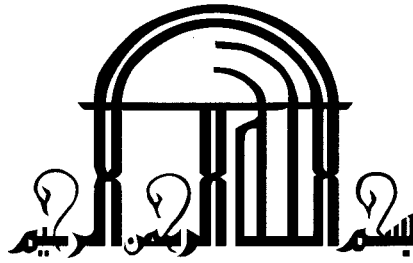


الفتحة

وَنَقُضُ مَطَاعِينَ الرَّهْبَانِ

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

دار الفقه
دمشق



قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي كَفَرَ وَكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
[النساء: ٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَنْتُمْ لِكُنُوبِكُمْ عَزِيزُونَ﴾ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٤٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

www.alkalam-sy.com

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مقدمـة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد:

فهذا الكتاب هو الثاني عشر من السلسلة القرآنية التي أعاننا الله على إصدارها «من كنوز القرآن»، والله الحمد والشكر.

وقد خصصنا هذا الكتاب «القرآن ونقض مطاعن الرهبان» للانتصار للقرآن، والدفاع عنه أمام هجمات أعدائه، الذين انتقصوه وخطؤوه، وأثاروا حوله الشبهات، ووجهوا له الاتهامات، وتعاملوا معه بعداوة وتحامل.

أدزنا هذا الكتاب لتفنيد اتهامات وجهها له أحد رجال الدين النصارى - أو مجموعة من رجال الدين النصارى - وزعم أن القرآن ليس معصوماً من الأخطاء، ففيه مجموعة من الأخطاء، تُعدُّ بالعشرات، في مختلف المجالات، وشتى الموضوعات.

الكتاب الذي خصصنا كتابنا للرد عليه وتفنيد شبهاته واتهاماته هو: «هل القرآن معصوم؟» ونُسب إلى رجل دين نصراني، هو «عبد الله الفادي». ويبدو أن هذا الاسم مستعار. وصدر الكتاب عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسمها «ضوء الحياة»، وظهرت طبعته الأولى عام (١٩٩٤م)، وتوزعه هيئات ومراكز التبشير النصرانية، ودعت مؤسسة «ضوء الحياة» إلى مراسلتها، لإرسال الكتاب لمن يطلبونه، كما أنها أنزلته على «الإنترنت».

والظاهر أنَّ هذا الكتابَ ثمرَةٌ جهودٍ مشتركةٍ لمجموعةٍ من رجالِ الدينِ النصراني، تفرَّغوا للنظرِ في القرآن، بهدفِ انتقاده، وبيانِ أخطائه وتناقضاته - حسبَ مزاعمهم - ويبدو أنهم ردَّدوا ما قاله اليهودُ والنصارى من قبلهم، وظنَّوا أنهم بذلك سيقضونَ على القرآن، ويوقفونَ انتشاره، ولكنَّ خابَ ظنُّهم، فالقرآنُ غالبٌ منصور، ونوره منتشرٌ مشرق، يفتحُ اللهُ له القلوبَ والعقول، في الغربِ والشرق.

وبما أنَّ الكتابَ «هل القرآنُ معصوم؟» في الظاهر من إعدادِ مؤلِّفٍ واحد، هو «عبدُ اللهِ الفادي» فسنتنظرُ إليه وننقدهُ على هذا الأساس، ونستعينُ عليه بالله.

أخبرَ «عبدُ اللهِ الفادي» في مقدمةِ كتابه أنه «رجلٌ دينٍ نصراني» حريصٌ على القيامِ «بخدمةٍ منتجةٍ دائمةٍ الأثرِ للجنسِ البشري»، وأنَّ يُقدِّمَ للناسِ عملاً عظيماً، يخدمهم ويُقدِّمُ فيه الخيرَ لهم. فماذا سيقدمُ لهم، وبماذا سيقدمهم؟.

رأى أنَّ أفضلَ ما يخدمهم به هو أنَّ يُحدِّرهم من خطرٍ كبير، ويُنبِّههم إلى افتراءٍ عظيم، حتى لا يُخدعوا به، إنَّ هذا الافتراءُ هو القرآنُ، الذي ادَّعى محمدٌ ﷺ أنه وَحْيٌ أَوْحَى اللهُ به إليه، مع أنَّ الفادي يوقنُ أنَّه لا وَحْيٌ بعدَ الإنجيل، ولا رسولٌ بعدَ المسيح!! فما أتى به محمدٌ ﷺ كذبٌ وإفكٌ مفترى. قال في مقدمته: «... ولكنني كرجلٍ دين، رأيتُ أنَّ أدرسَ القرآنَ.. وبما أنَّ اللهُ واحدٌ، ودينه واحدٌ، وكتابه المقدَّسَ واحد، الذي ختمه بظهورِ المسيح كلمته المتجسِّد، وقال: إِنَّ مَنْ يَزِيدُ على هذا الكتابِ يَزِيدُ اللهُ عليه الضرباتِ المكتوبة فيه، وبما أنَّ القرآنَ يقولُ: إنه وَحْيٌ، أخذتُ على عاتقي دراسته ودراسة تفاسيره، فدرسته مراراً عديدة، ووقفتُ على ما جاء به، ووضعتُ تعليقاتي في قالبٍ مئتين وثلاثة وأربعين سؤالاً، خدمةً للحق، وتبصرةً لأولي الألباب...!!».

ادَّعى عبدُ اللهِ الفادي أنه وجدَ في القرآنِ مئتين وثلاثة وأربعين خطأً،

وهذا معناه أَنَّ القرآنَ ليس معصوماً من الخطأ، ومعناه أَنه ليسَ وحياً من الله، وليس كلامَ الله، إذ لو كانَ كلامَ الله لما وُجدَ فيه خطأً واحداً!! وإذا لم يكن القرآنُ كلامَ الله، لم يكنَ محمداً رسولاً من عندِ الله، وإنما هو مُفْتَرٍ مُدَّعٍ، ومعنى هذا أَنَّ الإسلامَ ليس ديناً من عندِ الله، وَأَنَّ مَنْ يَعْتَقُ الإسلامَ فهو كافرٌ وعلى دينٍ باطل! والدينُ الوحيدُ المقبولُ عندِ الله هو الدينُ اليهودي والدينُ النصراني، واليهودُ والنصارى هم وحدهم المؤمنون الموحَّدون!!.

قسَمَ الفادي أسئلته عن القرآن، التي عَرَضَ فيها أخطاءَ القرآن، إلى عشرة أقسام؛ هي: أسئلةٌ جغرافية، وأسئلةٌ تاريخية، وأسئلةٌ أخلاقية، وأسئلةٌ لاهوتية، وأسئلةٌ لغوية، وأسئلةٌ تشريعية، وأسئلةٌ اجتماعية، وأسئلةٌ علمية، وأسئلةٌ فنية، وأسئلةٌ خاصةٌ بحياةِ رسولِ الله ﷺ.

وجاءَ الكتابُ في مئتين وتسعٍ وخمسين صفحة.

وتوزَّعَ الكتابُ هيئاتٌ وجمعياتٌ تنصيرية، بطريقةٍ خاصة، وتوجَّهه إلى المسلمين، بهدفِ تشكيكهم في القرآن، الذي يؤمنون به، وتدعوهم هذه الهيئاتُ إلى التعجبِ من وجودِ مئاتِ الأخطاءِ في كتابهم!!.

ومن بابِ الكيدِ واللؤمِ والخبث، وضعتِ الجهةُ التنصيريةُ المشرفةُ على تأليفِ الكتابِ وطبعه ونشره وتوزيعه بين المسلمين في آخرِ الكتابِ مسابقةً مكوَّنةً من عشرة أسئلة، لتتأكَّدَ اللجنةُ من أَنَّ القارئَ قرأَ الكتابَ، واستوعبَ ما فيه، وطالبتُه بالإجابةِ على الأسئلة، وإرسالِ الإجاباتِ إليها، لتُقَدِّمَ له الجوائز.

قالت اللجنةُ في بدايةِ المسابقة: «أيها القارئُ العزيز: إن تعمَّقتَ في قراءةِ هذا الكتابِ، تستطيعُ أن تُجاوبَ على الأسئلةِ بسهولة. ونحنُ مستعدون أن نُرسلَ لك أحدَ كتبنا الروحية، جائزةً على اجتهادك.. لا تنسَ أن تكتبَ اسمَكَ وعنوانَكَ كاملاً، عند إرسالِ إجابتك إلينا..». ووَضَعَتْ عنوانها في النمسا لمراسلتها..

وَنَزَلَتْ اللّٰجِنَةُ الْمَذْكُورَةُ الْكِتَابَ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ «الإنترنت» .

المشكلةُ في القسّيس عبدِ الله الفادي أنه دَخَلَ عالمَ القرآنِ بمقررٍ فكريٍّ مُسَبِّقٍ، هو أنّ القرآنَ تَأَلَّفَ بشريٌّ وليس كلامَ الله، وتعاملَ معه على هذا الأساس، ووزَعَمَ وجودَ هذه الأخطاءِ فيه .

ومن جَهْلِ الفادي بقواعدِ البحثِ العلميِّ الموضوعيِّ المحايد أنه أخذ كلامَ المفسرين، وما فيه من أخطاءٍ، وحمَّلَ القرآنَ مسؤوليته، كما أنه ألصقَ بالقرآنِ ما أخذَه من خرافاتٍ وأساطير .

لا يتحمَّلُ القرآنُ إلا مسؤوليةَ ما فيه من كلامٍ، أمّا أفهامُ المفسّرين لكلامه فلا يتحمَّلُ مسؤوليتها، لأنها فهمُ البشرِ لكلامِ الله .

وقد رأينا من المناسبِ أن نردَّ على كتابِ الفادي «هل القرآن معصوم؟» وأن نبيِّنَ تهاوتَ أسئلته، وتفاهةَ انتقاداته . . والذي دَفَعْنَا إلى الردِّ عليه أنه يمثلُ خلاصةَ جهودِ النصارى في فحْصِ القرآن، وإثارةِ الأسئلةِ والشبهاتِ حوله، فهناك كتبٌ كثيرةٌ لِنصارى عديدين، تنتقدُ القرآنَ، وتُشيرُ حوله الاعتراضاتِ، وترعُمُ الوقوفَ على أخطاءٍ، ولقد قرأنا بعضَ تلك الكتبِ، ولدى مقارنتها بهذا الكتابِ، وجدناه خلاصةً لها، فالردُّ عليه ردٌّ عليها، لأنه لَخِصَّ ما في تلك الكتبِ من أسئلةٍ وتشكيكاتِ .

إنَّ من اليقينِ عند كل مسلمٍ أنّ القرآنَ كتابُ الله، وأن الله قد تكفَّلَ بحفظه حتى قيام الساعة، وأنه لا خَطَأَ في القرآن، في أيِّ جانبٍ من جوانبه، وأنه أعظمُ معجزةٍ لرسولِ الله ﷺ .

وقد تحدّى القرآنُ الكفارَ أن يجدوا فيه أيَّ خَطَأٍ أو اختلافٍ أو تناقضٍ أو تعارضٍ أو ضعفٍ؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82] .

الدعوةُ إلى تدبُّرِ القرآنِ موجهةٌ لجميعِ الناسِ، المؤمنين والكافرين، يتدبَّرُ المؤمنونَ القرآنَ ليزدادوا يقيناً أنه مُنَزَّهٌ عن الأخطاءِ، وأنه كلامُ الله . .

ويتدبّر الكفارُ القرآنَ، ويَنظرونَ فيه، لعلّهم يجدونَ فيه خطأً أو اختلافاً،
فإنّ فَعَلُوا ذلكَ فلن يجدوا فيه ما يَبْحَثونَ عنه!! .

والقرآنُ لا يُوجِّهُ الدعوةَ للكفّارِ لتدبّره واكتشافِ الحَظْأ والاختلافِ فيه،
إلّا وهو واثقٌ من عَدَمِ وجودِ ذلكَ فيه، فلو كان فيه حَظْأ أو اختلافٌ لما دخلَ
معركةَ التحدي!! .

ونظَرَ الكفارُ في القرآنِ، وَبَحَثوا عن أخطاءٍ فيه، واستمرتْ نظراتُهم فيه
أكثرَ من خمسةَ عَشَرَ قَرْنًا، وما زالوا يَبْحَثونَ، وما زالَ القرآنُ يَتَحَدّاهمُ،
ويقولُ لهم: هاتوا ما وَجَدْتُم عندي من حَظْأ أو اختلاف! .

وقَدَّمَ الكفارُ ما زَعَموا أنّهم وَجَدوه في القرآنِ، ونظَرَ فيه العلماءُ، فوجدوه
تافهًا مُتَهافتًا، لا وَزْنَ ولا قِيمَةً له، ولا يَقِفُ أمامَ النقدِ والتمحيصِ والردِّ!! .

ولقد قَدَّمَ القسيسُ عبد الله الفادي ما ذَكَرَهُ إخوانه الكفارُ ممّا ظنّوه
أخطاءً في القرآنِ، وجمَعها في كتابه، وهو يظنُّ أنه بذلك يوجِّهُ الضربةَ
القاضيةَ للقرآنِ، ولنْ يَسْتَطِيعَ حَمَلَةُ القرآنِ وجنودُه الرَّدَّ عليها!! وتباهى القسيسُ
فيما قَدَّمَ في كتابه، وافتخرَ إخوانه بما سَجَلَهُ، وعملوا على توزيعِ الكتابِ على
أوسعِ مدى!! .

ونشهدُ أنّ كَلامَ الفادي المفتري في كتابه تافهٌ مُتَهافتٌ، والرَّدُّ عليه
وَإظهارُ تهافتِهِ سهلٌ ميسورٌ، والرَّدُّ على الأَسْئَلَةِ المثارَةِ مقدورٌ عليه، ولمْ يَأْخُذْ
منا جُهدًا كبيرًا والله الحمد .

ونُقَدِّمُ هذا الكتابَ «القرآنُ ونقضُ مطاعنِ الرهبانِ» إلى المسلمين،
ليزِدادوا يَقِينًا بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنه مُنَزَّهٌ عن الأخطاءِ والمطاعنِ، وليَقِفُوا
على تهافتِ وتَفاهةِ أَسْئَلَةِ واعتراضاتِ الكفارِ عليه، وليعرفوا كيفيةَ الرَّدِّ
عليها . . فقد يلتقي أَحَدُهُم مع أَحَدِ المنصِّرينَ المُشكِّكينَ في القرآنِ، فيقدِّمُ له
أَسْئَلَةً مثلَ ما في هذا الكتابِ، وعندما يقرأُ الردودَ التي في هذا الكتابِ تسهلُ
عليه الإجابةُ على تلكِ الأَسْئَلَةِ .

لقد صَعَّدَ أعداءَ القرآنِ المعاصرونَ من شبهاتهمُ ضدَّ القرآنِ، وحرَّصوا على نشرِها بينَ المسلمينَ، وكثيرٌ منَ المسلمينَ سمعوا كثيراً منَ الأسئلةِ المُشكِّكةِ الموجودةِ في هذا الكتابِ، ونَدَّعوهم إلى الوقوفِ على نَقْضِها ورَدِّها في هذا الكتابِ.

ونقدُ هذا الكتابِ ليكونَ حُطوةً نحوَ الأمامِ في الانتصارِ للقرآنِ، ومواجهةِ أعدائه، ونقضِ مطاعنهم، وإِطْلَاعِ القراءِ على نماذجٍ من مكائِدِ الأعداءِ، وتمكينهم من دَحْضِها.

ونسألُ اللهَ حُسْنَ القبولِ، وجزيلَ الأجرِ والثوابِ.
وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدَ، وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

الخميس ٢٨/١٠/١٤٢٦هـ
٢٠٠٥/١٢/١م

تعريف بكتاب «هل القرآن معصوم؟»

«هل القرآن معصوم؟».

عنوانٌ مثير، لكتابٍ حول القرآن، ظهرت طبعته الأولى عام (١٩٩٤م)، وقد صدر بثلاث لغات: الألمانية والإنجليزية والعربية.

وجاء في صفحة العنوان أن مؤلفه هو «عبد الله الفادي»، وهو اسمٌ مُستعار، ويبدو أنه لم يؤلفه رجلٌ واحد، وإنما أعده مجموعة من القساوسة والرهبان. وقد طُبِعَ في النمسا، وصدر عن مؤسسة تنصيرية، اسمها: Light of Life ومعناه: «نور الحياة»!!.

وعنوان الكتاب مقصود، والاستفهام للإثارة، فمعنى سؤالهم: «هل القرآن معصوم؟» تقريرٌ أن القرآن ليس مُنزهًا عن الخطأ، وإنما فيه عشرات الأخطاء المختلفة، وهذا معناه أنه ليس من عند الله، فلو كان من عند الله لما وُجد فيه خطأٌ واحد!.

وقد قسّم مؤلفو الكتاب كتابهم إلى عشرة أجزاء، ادّعوا أنهم وجدوا في كل جزءٍ منها مجموعة من الأخطاء في القرآن.

الجزء الأول: أسئلة جغرافية. زعموا فيه وجود اثني عشر خطأً جغرافياً في القرآن.

الجزء الثاني: أسئلة تاريخية. زعموا فيه وجود خمسة وخمسين خطأً تاريخياً في القرآن.

الجزء الثالث: أسئلة أخلاقية. زعموا فيه وجود تسعة أخطاء أخلاقية في القرآن.

الجزء الرابع: أسئلة لاهوتية. زعموا فيه وجود تسعة وعشرين خطأ لاهوتياً في القرآن.

الجزء الخامس: أسئلة لغوية. زعموا فيه وجود خمسة وعشرين خطأ لغوياً في القرآن.

الجزء السادس: أسئلة تشريعية. زعموا فيه وجود ستة وعشرين خطأ تشريعياً في القرآن.

الجزء السابع: أسئلة اجتماعية. زعموا فيه وجود واحد وعشرين خطأ اجتماعياً في القرآن.

الجزء الثامن: أسئلة علمية. زعموا فيه وجود اثنين وعشرين خطأ علمياً في القرآن.

الجزء التاسع: أسئلة فنية. زعموا فيه وجود أحد عشر خطأ فنياً في القرآن.

الجزء العاشر: أسئلة خاصة عن محمد ﷺ. زعموا فيه وجود ثلاثة وثلاثين خطأ يتعلق بحياة الرسول ﷺ في القرآن.

أي أن الذين ألفوا الكتاب وجدوا في القرآن مئتين وثلاثة وأربعين خطأ، في مختلف موضوعاته، وهذا رقم كبير، لو صحَّ لكان القرآن باطلاً مليئاً بالأخطاء!!

وقد وضع مؤلفو الكتاب في آخره قائمة بالمراجع التي رجعوا إليها، واستخرجوا منها أخطاء القرآن، وكانت اثنين وعشرين كتاباً، معظمها لمؤلفين من النصارى، خصصوها لانتقاد القرآن وإثارة الشبهات حوله.

ومن باب المبالغة في الكيد أراد مؤلفو الكتاب أن ترسخ شبهاتهم في ذهن القارئ، فوضعوا في آخر الكتاب مسابقة، طلبوا فيها من القارئ الإجابة على أسئلة اختاروها من الكتاب، وإرسال الإجابات إليهم في النمسا، ليرسلوا له جائزة قيمة بسبب اجتهاده! وقالوا في مقدمة المسابقة: «أيها القارئ العزيز:

إِنْ تَعَمَّقْتَ فِي قِرَاءَةِ هَذَا الْكِتَابِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُجَابِبَ عَلَى الْأَسْئَلَةِ بِسُهولةٍ . .
وَنَحْنُ مُسْتَعِدُّونَ أَنْ نُرْسَلَ لَكَ أَحَدَ كُتُبِنَا الرُّوحِيَّةِ جَائِزَةً عَلَى اجْتِهَادِكَ . . وَلَا
تَنْسَ أَنْ تَكْتُبَ اسْمَكَ وَعنوانَكَ كَامِلًا عِنْدَ إِرسَالِ إِجَابَتِكَ إِلَيْنَا . .» .

وَمِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي طَلَبُوا مِنَ الْقَارِئِ الْإِجَابَةَ عَلَيْهَا:

السُّؤالُ الْأَوَّلُ: فِي الْقُرْآنِ عَشْرَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَخْطَاءِ. مَا هِيَ؟

السُّؤالُ الثَّانِي: اذْكُرْ خَمْسَةً مِنَ الْأَخْطَاءِ الْجُغْرَافِيَّةِ، الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا

الْكِتَابِ! .

السُّؤالُ الثَّلَاثُ: ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ خَمْسًا وَخَمْسِينَ غَلْطَةً تَارِيخِيَّةً فِي الْقُرْآنِ،

اكَتُبْ عَشْرَ غَلْطَاتٍ مِنْهَا، وَاشْرَحْ ثَلَاثًا مِنْ هَذِهِ الْعَشْرِ.

السُّؤالُ الرَّابِعُ: يُحَلِّلُ الْقُرْآنُ تِسْعَ خَطَايَا. مَا هِيَ؟ اذْكُرْ أَكْثَرَ مَا سَاءَكَ مِنْهَا.

السُّؤالُ الْخَامِسُ: أَثَارَ الْمُؤَلِّفِ تِسْعَةً وَعَشْرِينَ سَوْألاً لَاهُوتِيًّا حَوْلَ

الْقُرْآنِ. اشرحْ خَمْسَةً مِنْهَا.

السُّؤالُ السَّادِسُ: وَجَدَ الْمُؤَلِّفُ سِتًّا وَعَشْرِينَ غَلْطَةً لُغَوِيَّةً فِي الْقُرْآنِ.

اذْكُرْ خَمْسًا مِنْهَا.

السُّؤالُ السَّابِعُ: وَجَدَ الْمُؤَلِّفُ سِتَّةً وَعَشْرِينَ خَطَأً تَشْرِيحِيًّا فِي الْقُرْآنِ.

اذْكُرْ خَمْسَةً مِنْهَا.

السُّؤالُ الثَّامِنُ: وَجَدَ الْمُؤَلِّفُ إِحْدَى وَعَشْرِينَ غَلْطَةً اجْتِمَاعِيَّةً فِي الْقُرْآنِ.

اذْكُرْ خَمْسًا مِنْهَا.

السُّؤالُ الثَّانِي: تَسَاءَلَ الْمُؤَلِّفُ عَنِ اثْنَيْ عَشْرِينَ أَمْرًا عِلْمِيًّا خَاطِئًا فِي

الْقُرْآنِ. اذْكُرْ خَمْسَةً مِنْهَا.

السُّؤالُ الْعَاشِرُ: وَجَدَ الْمُؤَلِّفُ فِي حَيَاةِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ أَمْرًا

مَعْيَبًا. اذْكُرْ مَا تَعْتَبِرُ أَنَّهُ أَسْوَأُهَا، وَاشْرَحْهُ . . ثُمَّ اذْكُرْ مَا تَعْتَبِرُهُ أَنَّهُ لَيْسَ

مَعْيَبًا، وَدَافِعٌ عَنِ وَجْهِ نَظَرِكَ.

وَيَلْبِسُ الْمُفْتَرُونَ ثُوبَ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْإِنْصَافِ وَال«الديمقراطية» عِنْدَمَا

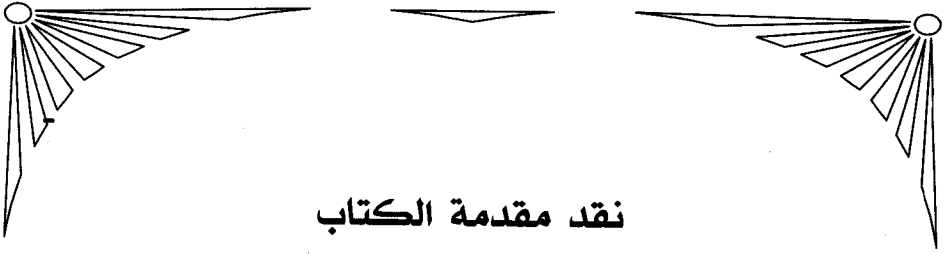
يَسْمَحُونَ لِلإِنسَانِ أَنْ يُخَالِفَهُمْ، وَيَأْذَنُونَ لَهُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ وَجْهِهِ نَظْرَهُ، كَمَا جَاءَ فِي السُّؤَالِ العَاشِرِ!! .

وهذا الكتابُ حلقةٌ عَنيفَةٌ حَادَّةٌ صَاحِبَةٌ مِنْ مَسْلَسِلِ «الهُجُومِ عَلَى القُرْآنِ»، الَّذِي يَشْتُنُهُ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ، مِنَ اليَهُودِ وَالنصَارَى، وَسَائِرِ الأَعْدَاءِ، الَّذِينَ لَا يَعْتَرِفُونَ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يَعلَنُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مُفْتَرٍ كَذَّابٌ، ادَّعى أَنه نَبِيٌّ، وَزَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ، مَعَ أَنه هُوَ الَّذِي أَلْفَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ!! .

هَذَا وَإِنَّ الحِمْلَةَ عَلَى القُرْآنِ طَوِيلَةٌ مَسْتَمِرَّةٌ، مَضَى عَلَيْهَا خَمْسَةٌ عَشَرَ قَرْنًا، وَبَاءَتْ بِالْفِشْلِ وَاللَّهِ الحَمْدُ، وَبَقِيَ القُرْآنُ ثَابِتًا قَوِيًّا، وَغَالِبًا مَنْصُورًا ظَافِرًا، وَلَنْ يَكُونَ هَذَا الكِتَابُ الكِتَابَ الأَوَّلَ فِي الهُجُومِ عَلَى القُرْآنِ، فَقَدْ سَبَقَهُ آلاَفُ الكُتُبِ الحَاقِدَةِ المَسْمُومَةِ، طَوَّاهَا الزَّمَنُ فِي مَلَفَّاتِ التَّارِيخِ المُنْسِيَةِ، فَتَسِيَهَا النَّاسُ وَنَسُوا أَصْحَابَهَا، وَبَقِيَ القُرْآنُ حَيًّا مُؤَثَّرًا، مَحْفُوظًا مَثْلُومًا، مَعْرُوفًا مُفَسَّرًا!! كَمَا أَنَّ هَذَا الكِتَابَ لَنْ يَكُونَ الأَخِيرَ فِي هَذَا المَسْلَسِلِ الحَاقِدِ الخَبِيثِ، إِذْ سَتَتَلَوُهُ وَتَتَبِعُهُ كُتُبٌ أُخْرَى، يُؤَلِّفُهَا أَعْدَاءُ حَاقِدُونَ فِي القُرُونِ القَادِمَةِ، وَسَيَبْقَى القُرْآنُ مُحَارَبًا مُهَاجِمًا مِنْ قِبَلِ أَعْدَائِهِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَكِنَّهُ سَيَبْقَى غَالِبًا بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَنَحْنُ لَا نَخَافُ عَلَى القُرْآنِ الهَزِيمَةَ، لِأَنَّنا مَوْقِنُونَ مِنْ انتِصَارِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَقَبْلَ البَدْءِ بِتَفْصِيلِ كَلَامِ هؤُلَاءِ الحَاقِدِينَ فِي شُبُهَاتِهِمُ الَّتِي اغْتَبَرُواها أخطَاءً، نُقَرِّرُ أَنَّهُ لَا يَوجَدُ أَيُّ خَطَأٍ فِي القُرْآنِ، فِي أَيِّ مَوْضُوعٍ مِنْ مَوْضُوعَاتِهِ، لَا فِي اللُّغَةِ، وَلَا فِي العَقِيدَةِ، وَلَا فِي الفِئَةِ، وَلَا فِي التَّارِيخِ، وَلَا فِي الجُغْرَافِيَا، وَلَا فِي الاجْتِمَاعِ، وَلَا فِي الأَخْلَاقِ، وَلَا فِي العِلْمِ، وَلَا فِي السِّيَاسَةِ، وَلَا فِي السِّيَرَةِ! وَمَا اغْتَبَرَهُ هؤُلَاءِ المَفْتَرُونَ أخطَاءً فِي القُرْآنِ، إِنَّمَا هُوَ وَفَّقَ مَا صَوَّرَتْهُ عُقُولُهُمُ القَاصِرَةُ، وَأَفْهَامُهُمُ السَّقِيمَةُ، وَنَظَرَاتُهُمُ العَاجِزَةُ، وَيَصْدُقُ عَلَى كَلَامِهِمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِبًا وَأَفْتَهُ هِيَ الفَهْمُ السَّقِيمُ



نقد مقدمة الكتاب

سبق أن قلنا: إن كتاب «هل القرآن معصوم؟» صادر عن لجنة من المنصّرين، جمعوا ما ظنّوه خطأً في القرآن، من مختلف المراجع والمصادر، ولكنّ الكتاب منسوبٌ إلى اسم مستعار، هو «عبد الله الفادي»، الذي زعم أنه هو الذي ألفه! وستكون ردودنا على عبد الله الفادي الذي نسب الكتاب إليه!! .

مما قاله المفترى الفادي في مقدمة الكتاب: «رغبت منذ حدثتي أن أقوم بخدمة مُنتجة دائمة الأثر للجنس البشري، وليس في مقدوري أن أكتشف قارة، مثل ما فعل «كولمبس»، ولا أن أخترع مدياعاً، كما فعل «ماركوني»، ولا أن أسخر الكهرباء، مثل ما فعل «أديسون»، ولا أن أحلل الذرة، كما فعل «أينشتاين»، فليس شيء من هذا يدخل في دائرة اختصاصي..»

ولكنني كرجل دين، رأيت أن أدرس القرآن..» .

المؤلف «عبد الله الفادي» قسيس، ورجل دين نصراني، وبما أنه مُتخصّص في الدين، فهو يريد أن يقوم بدراسة دينية، يخدم بها الجنس البشريّ خدمة دائمة. وأي دين سيدرسه دراسة فاحصة؟ هل هو الدين اليهودي أم الدين النصراني أم الدين الإسلامي؟ .

العهد القديم أساس الدين اليهودي، وهو جزء من الدين النصراني، لأنّ العهد القديم والعهد الجديد يُكوّنان «الكتاب المقدس» الذي يؤمن به النصارى أنه من عند الله.

لم يبقَ أمامه إلاّ الإسلام ليدرسه، وبما أنّ القرآن هو أساس الإسلام، فليوجه القسيس «الفادي» نظراته الكنسيّة النصرانية إليه، ليدرسه دراسة مفصّلة، يقدم بها خدمة للبشرية! .

ولا مانع من أن يدرس أيُّ إنسانِ القرآنَ، والقرآنُ لا يَحْشَى من أن يدرسه أيُّ إنسانٍ، سواء كانَ مُسْلِماً أو يهودياً أو نصرانياً، قَسِيماً أو باحثاً أو عالماً، لكنّه يشترطُ على الذي سيُدرسه شرطاً واحداً، هو: أن لا يُقْبَلَ على القرآنَ بمقرّرٍ فكريٍّ أو عقيدتيٍّ مُسَبَّقٍ، وأن لا يَحْمَلَ فكرةً يُريدُ إثباتها في القرآن! إنّه إن فَعَلَ ذلك تكونُ دراسته مُنحازةً مُتَحامِلةً، ومن ثمَّ سيُخرِجُ من هذه الدراسةِ بنتائجٍ خاطئة، تقومُ على التَحامُلِ والهوى والمزاجية.

يطلبُ القرآنُ من كُلِّ إنسانٍ أن يَضَعَ فكرته المسبقةَ عن القرآنِ جانباً، وأن يَدْخُلَ عالمَ القرآنِ وهو خالي الذهن، وأن يكونَ هدفه من ذلك البحثِ عن الحقيقة، والرغبةُ في المعرفة، ومُتَابَعَةُ الحَقِّ، وبذلك تكونُ دراسته موضوعيةً عادلةً مُنصفَةً، وسيُخرِجُ منها بنتائجٍ صحيحة.

ولقد قامَ بدراسةِ القرآنِ كثيرون من مُفكّري الغربِ النَّصارى، وكانت دراستهم موضوعيةً مُحايدةً مُنصفَةً، غيرَ قائمةٍ على المقرّرِ الذهنيِّ المُسَبَّقِ، والانحيازِ الدينيِّ المُسَبَّقِ ضده. وقد قادتهم تلك الدراسةُ إلى اليقينِ بأنَّ القرآنَ حَقٌّ لا خطأً فيه، وأنه من عندِ الله، وفي مقدمة هؤلاء البروفسورُ الفرنسي «موريس بوكاي»، والقسيسُ الكندي «جاري ميللر»، والقسيسُ السوداني «أشوك يانق»!

أمّا إذا وَضَعَ الدارسُ في ذهنه مقرّراً مُسَبَّقاً عن القرآن، وأقبلَ عليه يدرسه لتحقيقٍ وتأكيدِ ذلك المقرّر، فسوف تكونُ دراسته مُتَحامِلةً مُنحازةً ضده، وسيكونُ نظره في القرآنَ نظراً خاطئاً. كأن يوقنَ القسيسُ أنَّ القرآنَ ليس وَحِيّاً من الله، وإنما هو من تأليفِ البشر، وأنَّ محمداً ﷺ ليسَ رسولاً، وإنما هو مُدَّعٍ مُفْتَرٍ، وأنَّ في القرآنِ أخطاءً عديدة، ثم يدرسُ القرآنَ ليأخذَ منه الأدلّةَ والأمثلةَ على ما يُؤمّنُ به! عند ذلك سيُخرِجُ بنتائجٍ خاطئة، ويزعمُ أنه وَجَدَ الأدلّةَ على ما يُريدُ!

وهذا ما فعله القسيسُ «عبد الله الفادي» في دراسته «هل القرآنُ معصوم؟»

وقد صرَّح هو بدراسته المتحاملة المنحازة، ومُقرِّره المُسبِّق الذي أُقبلَ به على القرآن، وذلك بقوله في المقدمة: «وبما أن الله واحد، ودينه واحد، وكتابه المقدَّس واحد، الذي ختمه بظهور المسيح كلمته المتجسِّد، وقال: إِنَّ مَنْ يَزِيدُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ، يَزِيدُ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّرْبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِيهِ، وَبِمَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: إِنَّهُ وَحْيٌ، أَخَذْتُ عَلَى عَاتِقِي دِرَاسَتَهُ!».

هكذا إذن، يُؤْمِنُ الْقِسْيَسُ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ الْمَقْدَّسَ وَاحِدًا، وَهُوَ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ وَالْعَهْدُ الْجَدِيدُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ عَلَى عِيسَى عليه السلام، وَهَدَّدَ أَيَّ إِنْسَانٍ يَزِيدُ شَيْئًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ.

أَيُّ: يُؤْمِنُ الْقِسْيَسُ «الفادي» أَنَّهُ لَا وَحْيٍ بَعْدَ الْإِنْجِيلِ، وَلَا نَبِيٍّ بَعْدَ عِيسَى عليه السلام! وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ وَحْيًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَالْقُرْآنُ صِنَاعَةٌ بَشَرِيَّةٌ، فَهُوَ غَيْرُ مَعْصُومٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَلِيٌّ بِالْأَخْطَاءِ.

أَمَنْ الْقِسْيَسُ بِهَذِهِ الْفِكْرَةَ، وَتَسَلَّحَ بِهَذَا السَّلَاحِ، وَوَضَعَ هَذَا الْمَنْظَرَ عَلَى عَيْنِيهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَيَنْظُرُ فِيهِ، وَيُقَدِّمُ بِذَلِكَ خِدْمَةً لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ!.

فماذا سيجدُ فيه؟ سيجدُ فيه مجموعةً من الأخطاء، في مختلف المجالات والموضوعات، تُقَارِبُ مِثْلِينَ وَخَمْسِينَ خَطَأً!!.

ونقولُ: أَيْنَ الْبَاحِثُونَ الْغَرِيبُونَ النَّصَارَى، الَّذِينَ دَرَسُوا الْقُرْآنَ دِرَاسَةً مَوْضُوعِيَّةً، مِنْ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ، الَّتِي اكْتَشَفَهَا «الفادي»؟ لِمَاذَا لَمْ يَرَهَا مَورِيسُ بُوْكَاي، وَلَا جَارِي مِيلِرْ وَغَيْرُهُمَا؟!

ثم ما الذي دَرَسَهُ الْقِسْيَسُ «الفادي»؟ دَرَسَ الْقُرْآنَ دِرَاسَةً مَتْحَامِلَةً مَنحَازَةً، وَدَرَسَ التَّفَاسِيرَ الْقُرْآنِيَّةَ، قَالَ فِي الْمَقْدَمَةِ: «... وَبِمَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: إِنَّهُ وَحْيٌ، أَخَذْتُ عَلَى عَاتِقِي دِرَاسَتَهُ، وَدِرَاسَةَ تَفَاسِيرِهِ، فَدَرَسْتُهُ مِرَارًا عَدِيدَةً، وَوَقَّفْتُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ...».

والتفسيرُ الوحيدُ الذي أثبتَه الفادي في قائمة المراجع هو تفسيرُ
البيضاوي، ولا أدري لماذا تفسيرُ البيضاوي دونَ غيره؟ فهناك تفسيرانُ مأثورَةٌ
أفضلُ منه، كتفسيرِ الطبري وتفسيرِ ابن كثير.

ثم ما دَخَلَ التفسيرِ في الدراسة الموضوعية للنصِّ القرآني؟ إنَّ التفسيرَ
هي الفهمُ البشريُّ لمعاني القرآن، كما سَجَّلَه السادةُ المفسِّرون لها، وهذا
الفهمُ البشريُّ ينطبقُ عليه ما ينطبقُ على كُلِّ الأعمالِ البشريةِ القاصرة، ومهما
بَلَغَ أصحابُها من العلمِ والدقةِ والإتقان، فإنها ليستُ معصومةً من الخطأ، ولا
مُنزَّهةً عن الضعفِ والنقص.

ولذلك وُجِدَتْ في التفسيرِ المختلفةِ أخطاءٌ عديدة، باعتبارها جُهداً
بشرياً، ولا يوجدُ تفسيرٌ خالٍ من الخطأ، سواء كان قديماً أو معاصراً.

وهذا معناه أنَّ النصَّ القرآني لا يَتَحَمَّلُ الخَطَأَ الموجودَ في تلك
التفسيرِ، ولا يجوزُ أَنْ نَنسَبَ الخَطَأَ إلى القرآن، لأنَّ هذا الخَطَأَ وُجِدَ عند
الطبريِّ أو الرازيِّ أو البيضاويِّ أو القرطبيِّ أو غيرهم. فالفهمُ البشريُّ للقرآن
ليس حُجَّةً على القرآن، إلَّا عندَ أصحابِ النظراتِ الحاقدةِ على القرآن!

وقال الفادي في مقدمته: «وَوَضَعْتُ تعليقاتي على قَائِلِ مَثْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ
وَأَرْبَعِينَ سَوْألاً، خِدْمَةٌ لِلْحَقِّ، وَتَبَصُّرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ..».

وسوفَ نَتابعُ الفادي في أسئلته وشبهاته واعتراضاته، التي ادَّعى أنه
اكتشفها في القرآن، وسننظرُ فيها بمنظارِ القرآن، لنعرفَ تهافُتها وتفاهَتها،
وَصَدَقَ اللهُ الْقَائِلُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾
[الأنبياء: ١٨].





الفصل الأول

نقض المطاعن الجغرافية



هل تَغيبُ الشمسُ في بئرِ ماء؟

زَعَمَ «الفادي» أَنَّ الْقُرْآنَ أَخْطَأَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ مَغِيبِ الشَّمْسِ، حَيْثُ أَخْبِرَ أَنَّ الشَّمْسَ تَغِيبُ فِي بَيْرِ مَاءٍ!.

وذلك في قوله تعالى عن رحلة ذي القرنين الأولى نحو مغرب الشمس: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا... ﴿[الكهف: ٨٣ - ٨٦].﴾

نَسَبَ الْفَادِي إِلَى «البيضاوي» أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ: «إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا مُحَمَّدًا عَنِ إِسْكَندَرَ الْأَكْبَرَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَسَارَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَغْرُبُ فِيهِ الشَّمْسُ، فَوَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي بَيْرٍ حَمِئَةٍ، وَحَوْلَ الْبَيْرِ قَوْمٌ يَعْْبُدُونَ الْأَوْثَانَ!»^(١).

هل كان الفادي أميناً في النقل عن البيضاوي؟ وهل هذا الكلام موجودٌ في تفسير البيضاوي؟ لِنَنْظُرْ!

قال البيضاوي: «... واخْتَلَفَ فِي نُبُوَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، مَعَ الْإِتْفَاقِ عَلَى إِيمَانِهِ وَصَلَاحِهِ... وَالسَّائِلُونَ هُمُ الْيَهُودُ، سَأَلُوهُ امْتِحَانًا، أَوْ مُشْرِكُو مَكَّةَ...»^(٢).

لم يكن الفادي أميناً في النقل، وإنما كان مُحَرِّفًا، وَنَسَبَ إِلَى الْبَيْضَاوِيِّ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَكَذَّبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!.

ذَكَرَ الْبَيْضَاوِيُّ قَوْلَيْنِ فِي الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩. (٢) تفسير البيضاوي: ٢٩١/٣.

هل هم اليهودُ أو المشركون؟ والراجعُ أنَّ الذين أَوْصُوا أَنْ يُسْأَلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ والذين صاغوا السؤالَ هم اليهود، وأنَّ الذين وَجَّهوا له السؤالَ هم مشركو مكة، فلا تعارضَ بين القولين اللذين ذكرهما البيضاوي، مع أنَّ الأولى أَنْ نَعْتَبِرَ السَّائِلِينَ مشركي مكة، لأنهم هم الذين وَجَّهوا له السؤالَ مباشرةً!.

ولما سُئِلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ انتظرَ حتى يَأْتِيَهُ الجوابُ من الله، لأنه لم يكن يعلمُ عنه شيئاً، وآتاهُ اللهُ الجوابَ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

وقد تلاعبَ الفادي في كلام البيضاوي وحرَّفه، لحاجةٍ في نفسه، فزعمَ أنَّ اليهودَ سأَلوا رسولَ الله ﷺ عن الإسكندر الأكبر، مع أنهم سأَلوه عن ذِي الْقَرْنَيْنِ، وليس عن الإسكندر الأكبر، والراجعُ عند علماء المسلمين أنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ ليس هو الإسكندر الأكبر!.

وافترى الفادي على رسولِ الله ﷺ، عندما نَسَبَ له حديثاً موضوعاً، لم يَقُلْهُ، وهو: «إِنَّ اللَّهَ مَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَسَارَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَغْرُبُ فِيهِ الشَّمْسُ، فَوَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي بئْرِ حَمِيَّةَ، وَحَوْلَ الْبئْرِ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ».

ونشهدُ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَقُلْ هذا الكلامَ الذي نَسَبَهُ له الفادي المفترى، فهو ليس حديثاً صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً، وإنما هو مكذوبٌ موضوع.

وبعدما كَذَبَ الفادي المفترى على رسولِ الله ﷺ، افترى على البيضاوي فَنَسَبَهُ له، مع أنه لا يوجدُ في تفسيره!!.

وتابعَ المفترى افتراءه على رسولِ الله ﷺ وعلى البيضاوي، عندما قال: «... وَسَارَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَطْلُعُ مِنْهُ الشَّمْسُ، فَانْكَشَفَ أَنَّهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَا يَسْتَرُهُمْ مِنَ الشَّمْسِ بُيُوتٌ أَوْ ثِيَابٌ! وَسَارَ فِي طَرِيقٍ مَعْتَرِضٍ بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَمَغْرِبِهَا إِلَى الشَّمَالِ، فَوَجَدَهُ يَنْتَهِي إِلَى جَبَلَيْنِ، فَصَبَّ بَيْنَهُمَا رَدْمًا مِنْ

الحديد، وَكَوْنَ بِذَلِكَ سَدًّا مَنِيْعًا، لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ قِيَامِ السَّاعَةِ..!!
وهذا كلامٌ مفترى، لم يَقُلْهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ، ولم يَذْكُرْهُ البيضاوي..

ونَقَلَ الفادي عن تفسيرِ البيضاوي قولاً آخر، وذلك في قوله: «وقال البيضاوي: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعَ مَعَاوِيَةَ يَقْرَأُ «حَامِيَةَ»، فَقَالَ: ﴿حَمِيَّةٌ﴾ فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرُبُ؟ قَالَ: فِي مَاءِ وَطِينٍ..»^(١).

وكانَ الفادي مُفْتَرِيًّا على البيضاوي في هذا النقلِ أيضاً؛ فالذي في تفسيرِ البيضاوي هو: «في عَيْنِ حَمِيَّةٍ: ذَاتِ حَمًا.. من: حَمِيَّتِ البئرُ؛ إِذَا صَارَتْ ذَاتِ حَمَاءَ.. وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر: «حَامِيَةَ». أَي: حَارَّةٌ.. ولا تَنَافِي بَيْنَهُمَا، لِجَوَازِ أَنْ تَكُونَ العَيْنُ جَامِعَةً لِلوَصْفَيْنِ... ولعلَّه بَلَغَ سَاحِلَ المَحِيْطِ فَرَأَاهَا كَذَلِكَ.. وقيلَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعَ مَعَاوِيَةَ يَقْرَأُ «حَامِيَةَ»، فَقَالَ: ﴿حَمِيَّةٌ﴾.. فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرُبُ؟ قَالَ: فِي مَاءِ وَطِينٍ، كَذَلِكَ نَجِدُهُ فِي التَّوْرَةِ!»^(٢).

وَأَدْعُو إِلَى المَقَارَنَةِ بَيْنَ كَلَامِ البِيضَاوِيِّ، وَالكَلَامِ الَّذِي نَسَبُهُ لَهُ الفَادِي، لِمَعْرِفَةِ افْتِرَائِهِ وَتَحْرِيفِهِ وَتَلَاغُبِهِ.

الإمامُ البِيضَاوِيُّ يُرِيدُ أَنْ يُفَسِّرَ كَلِمَةَ ﴿فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ﴾. فَقَالَ: إِنَّهَا عَيْنُ ذَاتِ حَمًا. وَذَكَرَ مِثَالاً عَلَى هَذَا المَعْنَى لِلتَّوْضِيحِ. فَقَالَ: «يُقَالُ: حَمِيَّتِ البئرُ؛ إِذَا صَارَتْ ذَاتِ حَمَاءَ».

وَالْحَمَاءُ هُوَ: الطِّينُ الْأَسْوَدُ المُنْتَنُ المَتَغَيِّرُ. وَيُقَالُ: حَمِيَّ المَاءِ حَمًا: إِذَا كَثُرَ فِيهِ الحَمَاءُ، وَهُوَ الطِّينُ، فَتَكْدَرُ وَتَغَيَّرُ رَائِحَتُهُ. وَيُقَالُ: حَمَاتِ البئرُ: أَي: أَخْرَجَتْ حَمَاتُهَا. وَالعَيْنُ الحَمِيَّةُ هِيَ: الَّتِي فِيهَا الحَمَاءُ. وَهُوَ الطِّينُ^(٣).

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَمًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

(٢) تفسير البيضاوي: ٢٩١/٣.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩.

(٣) المعجم الوسيط، ص ١٩٥.

الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿الحجر: ٢٦﴾. وَالْحَمَأُ الْمَسْنُونُ هُوَ الطِّينُ
الْأَسْوَدُ الْمَتَعَيِّرُ.

فالعينُ الحمئةُ هي العينُ ذاتُ الحمأ، أي التي اختلطَ فيها الماءُ بالطينِ.
وذكرَ الإمامُ البيضاويُّ البئرَ لتوضيح معنى الحمأ، فقال: مِنْ حَمَّتِ البئرُ، إذا
صارَتْ ذاتَ حمأ. أي: اختلطَ ماءُ البئرِ بالطينِ، فصارت البئرُ حمئةً، اختلطَ
ماؤها بالطينِ!

وذكرَ البيضاويُّ أنَّ في «حمئة» قراءتين:

الأولى: قراءةُ نافعِ وابنِ كثيرِ وأبي عمرو ويعقوبِ وروايةُ حفصِ عن
عاصمٍ: ﴿حَمِيَّةٌ﴾ بالهمز، ومعنى: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِيَّةٍ﴾: عَيْنٌ اخْتَلَطَ مَاؤُهَا
بِالْحَمَأِ وَالطِّينِ.

الثانية: قراءةُ ابنِ عامرٍ وحمزة والكسائي وخلف وأبي جعفر وروايةُ أبي
بكر عن عاصمٍ: «حامية». ومعنى: «فِي عَيْنٍ حَامِيَّةٍ»: عَيْنٌ حَارَّةٌ.

وذكرَ البيضاويُّ: أنَّ ابنَ عباسٍ كان يقرأ: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِيَّةٍ﴾ بالهمزة،
بينما كان معاويةُ بنُ أبي سفيانٍ رضي الله عنه يقرأ: «فِي عَيْنٍ حَامِيَّةٍ».

وروى البيضاويُّ: أنَّ معاويةَ رضي الله عنه بعثَ إلى كعبِ الأحبارِ يسأله: كيف
تجدُ الشمسَ تغرب؟ قال: «تغربُ في ماءٍ وطينِ، كذلك نجدُه في التوراة».

وبدأ البيضاويُّ الروايةَ بصيغة «قيل»، وهي صيغةٌ دالةٌ على التمريضِ
والتضعيفِ! ومعناها أنَّ الروايةَ لم تثبت!!.

ولما نقلَ الفادي المفتري الروايةَ حذفَ من كلامِ كعبِ الأحبارِ الجملةَ
الآخيرةَ: «كذلك نجدُه في التوراة»، لئلا يُثبتَ هذا الكلامُ في التوراة!! مع أنَّ
الروايةَ لم تثبت كما قلنا!!.

وبهذا نعرفُ أنَّ الفادي كاذبٌ مُفترٌ، عندما نسبَ للبيضاوي قولَه: إنَّ
الشمسَ تغربُ في ماءٍ وطينِ، وهذا معناه أنها تغيبُ في بئرٍ حمئة! مع أنَّ
البيضاويَّ لم يقلْ ذلك أبداً.

وبهذا نعرفُ أنَّ القرآنَ لم يَقُلْ: إِنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ تَغِيْبُ فِي بئْرِ حَمِيَّةَ،
والرَّسُولُ ﷺ لم يَقُلْ: إِنَّهَا كَانَتْ تَغِيْبُ فِي بئْرِ حَمِيَّةَ!.

وبهذا نعرفُ أنَّ الفادي خبيثٌ مُغْرِضٌ، عندما طَرَحَ سؤَالَهُ الْمَشْكُوكَ
قَائِلاً: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: إِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ أَكْبَرَ مِنْ الْأَرْضِ مِليوناً وَثَلَاثِمِئَةَ أَلْفِ
مَرَّةً، فَكَيْفَ تَغْرُبُ فِي بئْرِ رَأَاهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَرَأَى مَاءَهَا وَطِينَهَا، وَرَأَى النَّاسَ
الَّذِينَ عِنْدَهَا؟!».

إِنَّ هَذِهِ الْأَكْذُوبَةَ الْخُرَافِيَّةَ لَمْ تَرِدْ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَقُلْهَا أَحَدٌ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا اخْتَلَقَهَا الْفَادِي الْمَفْتَرِي، وَجَعَلَهَا خَطَأً جُغْرَافِيًّا فِي الْقُرْآنِ!
بَقِيَ أَنْ نُبَيِّنَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي
عَيْنِ حَمِيَّةٍ﴾.

عندما تَوَجَّهَ ذُو الْقَرْنَيْنِ نَحْوَ الْغَرْبِ تَابَعَ سَبِيْرَهُ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ مَكَانٍ
تَلْتَقِي فِيهِ الْيَابِسَةُ مَعَ الْمَاءِ، وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ عِنْدَ شَاطِئِ أَحَدِ الْبِحَارِ، وَلَا دَلِيلَ
عَلَىٰ تَحْدِيدِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَهُوَ مِنْ مَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ!.

ولَعَلَّ الْمَكَانَ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ ذُو الْقَرْنَيْنِ كَانَ عِنْدَ مَصْبِّ أَحَدِ الْأَنْهَارِ فِي ذَلِكَ
الْبَحْرِ، وَيبدو أَنَّ مَاءَ النَّهْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ مَخْتَلِطًا بِالْتَرَابِ، فَكَانَ «حَمِيَّةً».

ولما وَقَفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، نَظَرَ أَمَامَهُ إِلَىٰ الشَّمْسِ وَهِيَ
تَغْرُبُ وَتَغِيْبُ، فَرَأَاهَا ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ﴾. أَيُّ أَنَّ قُرْصَ الشَّمْسِ سَقَطَ أَمَامَهُ
فِي الْمَاءِ الْمَخْتَلِطِ بِالْتَرَابِ، الَّذِي يَقْدُفُهُ النَّهْرُ فِي الْبَحْرِ، وَبِذَلِكَ رَأَاهَا تَغْرُبُ
فِي عَيْنِ حَمِيَّةَ!.

وهذا أَمْرٌ لَا يَدْعُو لِلْعَجَبِ أَوْ الْغَرَابَةِ أَوْ الْإِنْكَارِ. وَقَدْ عَلَّقَ الْإِمَامُ
الْبَيْضَاوِيُّ عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَلَعَلَّهُ بَلَغَ سَاحِلَ الْمَحِيْطِ، فَرَأَاهَا كَذَلِكَ، إِذْ لَمْ
يَكُنْ فِي مَطْمَحِ بَصَرِهِ غَيْرُ الْمَاءِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: كَانَتْ
تَغْرُبُ...»^(١).

(١) تفسير البيضاوي: ٢٩١/٣.

وبهذا نعرفُ كَذِبَ وافتراءِ الفادي، عندما اتَّهَمَ القرآنَ والرسولَ ﷺ بالقول بأنَّ الشمس «تغرب في بئر حمئة». ثم طرح سؤاله التشكيكيَّ الخبيث، والقرآنَ مُنَزَّهًا عن ادِّعاءِ وافتراءِ الفادي، حتى البيضاوي لم يقلْ ما نسبَه له ادِّعاءً وافتراءً.



هل الأرض ثابتة لا تتحرك؟

زَعَمَ الفادي أَنَّ القرآنَ أخطأ في حديثه عن خَلْقِ الأَرْضِ، عندما قالَ: إِنَّ الأَرْضَ ثابتَةٌ لا تَتَحَرَّكُ! وهذا خطأ جغرافيٌّ فَلَكي، لأنَّ دورانَ الأَرْضِ بدهيةٌ مُسَلِّمةٌ!

وأوردَ الفادي آياتٍ من سور: الرعد والنحل والحجر والأنبياء ولقمان، كلها تُقرِّرُ ثباتَ الأَرْضِ وعدمَ حركتها أو دورانها!.

قال: «جاء في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]. وجاء في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي﴾ [الرعد: ٣]. وجاء في سورة الحجر: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]. وجاء في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزْنَا مَسْبِلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]. وجاء في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].»

اختارَ الفادي خمسَ آياتٍ من خمسِ سور، تتحدثُ عن الجبالِ الرواسي، التي ثَبَّتَ اللهُ بها الأَرْضَ، لئلا تَمِيدَ وتضطربَ بأهلها.

ورجعَ إلى تفسيرِ البيضاويِّ ليأخذَ منه تفسيرَ الآيات. قال: «وقالَ البيضاويُّ تفسيراً لآيةِ الأنبياء: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: «كراهةٌ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ». وقالَ تفسيراً لآيةِ الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾: «بَسَطَهَا طَوِلاً وَعَرْضاً،

لثبتت عليها الأقدام، ويتقلب عليها الحيوان». . . وأجمل البيضاوي تفسير هذه الآيات بما فسّر به آية سورة النحل، فقال: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾: أي: جبالاً رواسي. ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي: كراهة أن تميل بكم وتضطرب. لأن الأرض قبل أن تُخلق فيها الجبال كانت كُرَّةً خفيفةً، بسيطةً الطبع، وكان من حَقِّها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سببٍ للتحريك. . . فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها، وتوجّهت الجبال نحو المركز، فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة. . . وقيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرٍّ أحدٍ على ظهرها، فأصاحت وقد أرسيت بالجبال. . .»^(١).

الآيات الخمس التي أوردتها الفادي صريحة في أن الله جعل الجبال رواسي مثبتة للأرض، لئلا تميد الأرض وتضطرب وتتحرك بأهلها، ولولا هذه الجبال لاضطربت الأرض بأهلها. فهي رواسٍ تستقرُّ بها الأرض، وهي أوتادٌ تثبت الأرض. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبا: ٦ - ٧].

وتحفظ على كلام الإمام البيضاوي، الذي ذكر فيه أن الأرض كانت تمور وتتحرك، لأنه لا دليل له على ذلك، لا من القرآن ولا من السنة، كما نتحفظ على كلامه الذي نسب فيه للملائكة قولهم: إن الأرض لا تصلح أن تكون مقرّاً لأحدٍ على ظهرها! لأنه لا دليل له على هذا الكلام الذي نسبته لهم، لا من القرآن، ولا من السنة الصحيحة! ومعلوم أن أنباء الماضي لا تؤخذ إلا من آية صريحة، أو حديث صحيح مرفوع للنبي ﷺ. وقد صدر البيضاوي كلامه بصيغة «قيل»، الدالة على التشكيك والتوهين!

وبعد ذلك سجّل الفادي تساؤله الحبيث، فقال: «ونحن نسأل: إذا كان واضحاً أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة، وينشأ عن تلك الحركة الليل والنهار، وتدور حول الشمس مرة كل سنة وينشأ عن ذلك

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩ - ٢٠؛ وتفسير البيضاوي: ٢٢٢/٣.

الدورانِ الفصولُ الأربعة، فكيف تكونُ الأرضُ ممدودةً مبسوطةً ثابتةً لا تتحرك، وأنَّ الجبالَ تمنعُها عن أن تَمِيدَ؟!..»^(١).

وهَدَفَ الفادي من طرِحِ سُؤالِهِ تَحْطِئَةُ القرآنِ، في حديثِهِ عن الجبالِ المَثْبُتَةِ للأرضِ، التي تمنعُها عن الحركة، لأنَّ الأرضَ تتحركُ حولَ نفسها، وتَدورُ حولَ الشمسِ!!.

والفادي جاهلٌ باللغَةِ وبالعلمِ وبالفلكِ، عندما اعتبرَ القرآنَ مُخطئاً، في حديثِهِ عن الجبالِ الرواسي، التي ثَبَّتَ اللهُ بها الأرضَ، لئلا تَمِيدَ وتضطربَ بأهلِها.

لقد صرَّحَ القرآنُ بأنَّ الجبالَ مثبتةٌ للأرضِ، حيثُ جعلَها اللهُ رواسيَ وأوتاداً لئلا تَمِيدَ الأرضُ، كما نصَّتْ على ذلك الآياتُ السابقة. وهذا هو الصوابُ بعينه، فالجبالُ عاملُ توازنٍ في الأرضِ، ولولاها لمادَّتْ الأرضُ واضطربتْ، ولذلك سَمَّاها اللهُ رواسيَ وأوتاداً. وسُمِّيتِ «رواسي» لأنها أشبهُ ما تكونُ برواسي السفينة، التي تحفظُ توازنها. وسُمِّيتِ «أوتاداً» لأنها أشبهُ ما تكونُ بأوتادِ الخيمة، التي تُربطُ بها جبالُها، فتحفظُ توازنها ولا تسقط. فالجبالُ تحفظُ توازنَ الأرضِ، فلا تَمِيدُ ولا تضطربُ، ولا تَمِيلُ ولا تتأرجحُ..

وليس معنى هذا أنَّ القرآنَ يُخبرُ أنَّ الأرضَ ثابتةٌ، لا تتحركُ ولا تجري ولا تسير، كما فهمَ ذلك الفادي الجاهل، واعتَبَرَهُ خطأً جغرافياً فلكياً في القرآنِ، واعتَبَرَهُ متعارضاً مع دورانِ الأرضِ حولَ نفسها وحولَ الشمسِ، الذي هو «بدهيةٌ فلكية» في العصرِ الحديث.

لقد صرَّحَ القرآنُ بأنَّ الجبالَ تحفظُ توازنَ الأرضِ، فلا تَمِيدُ بأهلِها. ولذلك خاطبَ الناسَ بذلك: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

فَمَنَعُ المَيمِدِ والاضطرابِ خاصُّ بالبَشَرِ، ولكنَّ هذا لا يَمَنعُ دورانَ الأرضِ حولَ نفسها وحولَ الشمسِ، وكونَ الجبالِ رواسيَ وأوتاداً لا يعني

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠.

أنها لا تدورُ دورانها المعروف، إننا نوقنُ أنَّ الأرضَ تدورُ حولَ نفسها مرةً كلَّ أربعٍ وعشرين ساعة، فينتجُ عن ذلك الليلُ والنهار، كما أنَّنا نوقنُ أنَّها تدورُ حولَ الشمسِ مرةً كلَّ سنة، فينتجُ عن ذلك الفصولُ الأربعة.

ولكنَّ الأرضَ ثابتةٌ أثناء دورانها وحركتها، وهي «متوازنة» أثناء هذا الدوران اليوميِّ والسَّنوي، والذي جعلها ثابتةً متوازنة في دورانها هو الجبالُ الرواسي الأوتاد. فدورانها لا يمنعُ توازنها، وتوازنها لا يُغيي دورانها، فهي ثابتةٌ متوازنة، متحركةٌ جارية، وليستُ ثابتةٌ ساكنة، واقفةٌ جامدة!!.



كيف تُرجمُ الشياطينُ بالنجوم؟

خطأً الفادي المفتري القرآن، لأنه صرَّحَ بأنَّ الله جعلَ النجومَ رُجوماً للشياطين.

وقد نصَّ القرآنُ على ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصْبُ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطَفَ السَّعْفَةَ فَاتَّبَعُهُمْ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ [الصافات: ٦ - ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١﴾ وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَاجِمٍ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَفَ أَتَى السَّعَةَ فَاتَّبَعُهُمْ شِهَابٌ مُنِينٌ ﴿١٣﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

تذكُرُ هذه الآياتُ وظيفتين من وظائفِ النجوم والكواكب:

الأولى: تزيينُ السماءِ الدنيا وتجميلها، فهي في الليلةِ الصافية تكونُ مضيئةً متلألئةً، تُرسِلُ أضواءها الجميلة، فتبدو السماءُ في أفضلِ أحوالها، وأجملِ صورها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾. و﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ﴾.

الثانية: حِفْظُ السَّمَاءِ مِنْ صُعودِ الشَّيَاطِينِ إِلَيْهَا، فَالشَّيَاطِينُ يُرِيدُونَ الصُّعودَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لِيَتَسَمَّعُوا إِلَى المَلَأِ الأَعْلَى الذِّينَ فِيهَا مِنْ المَلَائِكَةِ، لَعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ كَلِمَةً مِمَّا أَمَرَهُم اللهُ بِإِنفَاذِهِ فِي عَالَمِ البَشَرِ، فَيَهْبِطُونَ فَوْرًا إِلَى الأَرْضِ، وَيُقَدِّمُونَ مَا سَمِعُوهُ إِلَى أَعْوَانِهِمْ مِنَ الكَهَنَةِ وَالسَّحَرَةِ وَالدَّجَالِينَ، فَيُخْبِرُونَ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَيُوهِمُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الغَيْبَ. وَحَتَّى لَا يَنْجَحَ الشَّيَاطِينُ فِي اسْتِراقِ السَّمْعِ، فَإِنَّ اللهُ جَعَلَ عَلَى السَّمَاءِ حُرَّاسًا مِنَ المَلَائِكَةِ، يَحْفَظُونَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَإِذَا حَاوَلَ أَحَدُ الشَّيَاطِينِ الاقْتِرَابَ مِنَ السَّمَاءِ قَذَفُوهُ بِشَهَابٍ ثاقِبٍ مِنْ تِلْكَ النُّجُومِ وَالكَوَاكِبِ، بِأَنَّهُ يَأْخُذُوا قِطْعَةً مِنَ النُّجُومِ المُسْتَعِيلِ، فَيَضْرِبُوا بِهَا الشَّيْطَانَ، فَيَحْتَرِقُ وَيَمُوتُ!! .

فمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أَنَّ اللهُ يَأْمُرُ المَلَائِكَةَ الحُرَّاسَ عَلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَأْخُذُوا رُجُومًا وَحِجَارَةً وَشُهَبًا مُسْتَعِيلَةً مِنَ النُّجُومِ، وَيَرْجُمُوا وَيَرْمُوا بِهَا الشَّيَاطِينِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى المَلَأِ الأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطَفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثاقِبٌ﴾: أَنَّ اللهُ حَفِظَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، وَبِذَلِكَ امْتَنَعَ الشَّيَاطِينُ مِنَ التَّسْمُوعِ لِكَلَامِ المَلَائِكَةِ فِي المَلَأِ الأَعْلَى، فَإِذَا حَاوَلُوا التَّسْمُوعَ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ الحُرَّاسَ يَقْدِفُونَهُمْ بِالشُّهُبِ الثاقِبَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِذَا هَرَبَ شَيْطَانٌ بِكَلِمَةٍ خَطَفَهَا فَإِنَّ الحُرَّاسَ يَتَّبِعُونَهُ وَيَرْمُونَهُ بِشَهَابٍ ثاقِبٍ مِنْ تِلْكَ النُّجُومِ فَيَحْتَرِقُ.

فَالآيَاتُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ حُرَّاسَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنَ المَلَائِكَةِ يَرْجُمُونَ الشَّيَاطِينِ بِشُهَبٍ ثاقِبَةٍ مُسْتَعِيلَةٍ مِنَ النُّجُومِ. وَهَذَا بَعْدَ نُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَمَّا قَبْلَ نُبُوءَتِهِ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا صَرِيحًا فِي القُرْآنِ، عِنْدَمَا أَخْبَرْنَا عَنْ كَلَامِ الجِنَّ المُؤْمِنِينَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ - ١٠].

يُخْبِرُ الْجِنَّ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِبُونَ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَتَسَمَّعُونَ كَلَامَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى فِيهَا، وَيُبْلَغُونَ مَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْكَهْنَةِ وَالسَّحَرَةِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا نَبِيًّا ﷺ حَاولُوا الْاقْتِرَابَ مِنَ السَّمَاءِ لِلتَّسْمَعِ، فَمُنِعُوا مِنْ ذَلِكَ، وَوَجَدُوا مَلِيئَةً بِالْحَرَسِ الْأَشْدَّاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبِالشُّهُبِ الْمَشْتَعَلَةِ مِنَ النُّجُومِ، يَضْرِبُونَ بِهَا مَنْ يُحَاوِلُ الْاقْتِرَابَ مِنَ السَّمَاءِ.

وبهذا المعنى فَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ الْآيَاتِ. روى الترمذي والنسائي وأحمد عن ابن عباس قال: «كَانَ الْجِنَّ يَضْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ، يَسْمَعُونَ الْوَحْيَ، فَإِذَا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادَ فِيكَوْنُ بَاطِلًا، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ، وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ جُنُودَهُ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِمَكَّةَ، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ..»^(١).

وهذه الحقيقة القرآنية لم تُعجب القسيس الفادي، واعتبرها لجهله خطأ جغرافياً وَقَعَ فِيهِ الْقُرْآنُ، لِأَنَّهُ يَتَعَارَضُ مَعَ عِلْمِ الْفَلَكِ، وَبَعْدَ أَنْ أُورِدَ كَلَامًا لِلْبِيضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ طَرَحَ سُؤَالَ التَّشْكِيكِيِّ، فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: إِذَا كَانَ كُلُّ كَوْكَبٍ هُوَ عَالَمٌ ضَخْمٌ، وَالْكَوَاكِبُ هِيَ مَلَائِينُ الْعَوَالِمِ الضَّخْمَةِ، تَسْبُحُ عَلَى أَبْعَادٍ شَاسِعَةٍ فِي فِضَاءٍ لَا نَهَائِيٍّ، فَكَيْفَ نَتَصَوَّرُ الْكَوَاكِبَ كَالْحِجَارَةِ، يُمَسِّكُ بِهَا مَلَائِكٌ فِي حَجْمِ الْإِنْسَانِ، لِيَضْرِبَ بِهَا الشَّيْطَانَ، مَنْعًا لَهُ مِنْ اسْتِمَاعِ أَصْوَاتِ سُكَّانِ السَّمَاءِ؟ هَلْ كُلُّ هَذِهِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ خُلِقَتْ لِتَكُونَ ذَخِيرَةً أَوْ عِتَادًا حَرِيْبًا كَالْحِجَارَةِ لِرَجْمِ الشَّيْطَانَ، حَتَّى اشْتَهَرَ اسْمُهُ بِالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؟! وَكَيْفَ يَطْرَحُ الْمَلَائِكَةُ الْكَوَاكِبَ؟ وَكَيْفَ يُحْفَظُ تَوَازُنُ الْكُوْنِ إِذَا سَارَتْ فِي غَيْرِ فَلَكِيهَا؟!»^(٢).

(١) التفسير الصحيح، للدكتور حكمت بشير: ٥٤٤/٥.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١.

وقد طَرَخَ الفادي أسئلته الاعتراضية التشكيكية بأسلوب تَهْكُمِيٍّ، ولهجةٍ ساخرة، تدلُّ على تهكُّمه بالقرآن، وعَدَمِ احترامه له، وعَدَمِ أدبِهِ معه، وهذا أسلوبٌ لا يليقُ به، باعتباره قَسِيصاً ورجلَ دينٍ نصرانياً! .

واعترضه على كلام القرآن يَدُلُّ على جهله، حيثُ ظنَّ أنَّ كُُلَّ النجوم والكواكبِ في الفضاءِ حجارةٌ وعتادٌ حربي، لَضَرْبِ الشياطين التي تُحاولُ الصعودَ إلى السماء، وظنَّ أنَّ المَلَكَ الحارسَ بحجمِ الإنسان، أيَّ أنَّ حَجْمه لا يَكاذُ يزيدُ على مئة كيلوغرام، فكيفَ يَحْمِلُ بينَ يَدَيْهِ نَجْمًا، يَزِنُ ملايين الكيلوغرامات؟! .

إنَّ هذا الظنَّ السخيفَ يدُلُّ على غِبَاءِ الفادي وسخافةٍ تفكيره.. .

لقد ذَكَرَ القرآنُ أنَّ الملائكةَ الحُرَّاسَ يَقْذِفُونَ على الشياطين الصاعدة شُهْبًا ثاقِبَةً، ولم يَقُلْ: إنَّ أحدهم يَحْمِلُ كوكبًا يَزِنُ ملايين الأطنان! . ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ . فمع المَلَكِ شِهَابٌ مُشْتَعِلٌ، وهذا الشُهَابُ يكونُ مأخوذًا من النجم المشتعل.. . وهناك نجومٌ مُشْتَعَلَةٌ ملتَهَبَةٌ مثلُ الشمس، وهناك نجومٌ باردةٌ مظلمةٌ مثلُ القَمَرِ.. . فلم يَقُلْ القرآنُ: إنَّ كُُلَّ النجوم والكواكبِ التي تُعدُّ بالمليارات حجارةٌ لَضَرْبِ الشياطين، إنما أَخْبَرَ أنَّ مع الملائكةِ الحُرَّاسِ شُهْبًا مُبِينَةً مُشْتَعَلَةً، مأخوذةٌ من النجوم النارية.. . والشُهَابُ صَغِيرُ الحِجْمِ يَقْدِرُ الطِفْلُ على حَمَلِهِ، فما بالك بالمَلَكِ الضخمِ القوي؟! .

ومن الذي قال للفادي: إنَّ حَجْمَ المَلَكِ بحِجْمِ الإنسان؟ إنَّ المَلَكِ ضخْمٌ كَبِيرٌ عَظِيمٌ، كما قال تعالى: ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحٍ مَّنْحَىٰ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١] .

وبما أنَّ اللهَ أَخْبَرَنَا في القرآنِ أَنه جعلَ النجومَ رُجوماً للشياطين، وأنَّ الملائكةَ الحُرَّاسَ يأخُذُونَ منها الشُهْبَ الثاقبةَ يَرْمُونَ بها الشياطين، فهو الكلامُ الصحيحُ الصائبُ، ولا نَجِدُ فيه خَطَأً فَلَكِيًّا أو جغرافياً، ولا يَتَعَارَضُ مع

العقل. وبهذا نَعْرِفُ أَنَّ اعْتِرَاضَ الْفَادِي فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَأَنَّ تَهَكُّمَهُ عَلَى الْقُرْآنِ لَعِيبٌ فِيهِ، وَأَنَّهُ خَطَأٌ الصَّوَابُ!!



هل السموات سبع والأراضي سبع؟

اعترضَ الفادي على كونِ السمواتِ سَبْعاً، وَأَنَّ كُلَّ سَمَاءٍ مِنْهَا سَقْفٌ أَمْلَسُ عَلَى وَشِكِ السُّقُوطِ، كَمَا اعْتَرَضَ عَلَى كَوْنِ الْأَرْضِي سَبْعاً، وَاعْتَبَرَ هَذَا خَطَأً فِي الْقُرْآنِ.

أوردَ آيَاتٍ صَرِيحَةً فِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ سَبْعاً؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...﴾ [فصلت: ١٢]. وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ...﴾ [الطلاق: ١٢].

واعترضَ لجهله على كونِ السمواتِ سَبْعاً، فَقَالَ: «وَاضِحٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، مَعَ تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ لَهَا، أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاءَ الَّتِي فَوْقَنَا، وَهِيَ سَقْفٌ أَمْلَسٌ وَاسِعٌ، وَفَوْقَهُ سِتُّ سَمَوَاتٍ، كَالسُّقُوفِ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. فَكَيْفَ يَكُونُ الْفَضَاءُ اللَّامْتَنَاهِي سَقْفٌ أَمْلَسٌ، وَأَنَّهُ يَوْجَدُ فَوْقَهُ سَبْعَةُ سُقُوفٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ؟!»^(١).

واعترضه على هذه الحقيقة دالٌّ على جهله، واعتباره هذا خطأً فلكياً في القرآن بسببِ تحامله وحقده على القرآن.

وقد صرَّحَ الْقُرْآنُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَجَاءَ هَذَا التَّصْرِيحُ الْقُرْآنِيُّ فِي سَبْعِ آيَاتٍ صَرِيحَةٍ، وَهَذَا «التَّوَافُقُ الْعَدَدِيُّ» مَقْصُودٌ فِي الْقُرْآنِ!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢.

ولا يَعْرِفُ الْعِلْمُ الْبَشْرِيُّ الْقَاصِرُ إِلَّا شَيْئاً قَلِيلاً عَنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ الْأُخْرَى الَّتِي فَوْقَهَا، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُؤَهَّلٍ لِلْبَحْثِ فِيهَا، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِعَجْزِهِ وَقُصُورِهِ، وَأَنْ يَكِلَ الْعِلْمَ بِتِلْكَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ، وَأَنْ يَأْخُذَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَأَنْ لَا يُكَذِّبَ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ! .

فَالسَّمَوَاتُ سَبْعُ طَبَاقٍ، كُلُّ سَمَاءٍ سَقْفٌ لِمَا تَحْتَهَا، وَأَسَاسٌ لِمَا فَوْقَهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ...﴾ [الملك: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وَلَمْ يَخْتَرِقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ إِلَّا رَسُولُنَا ﷺ، عِنْدَمَا أُسْرِيَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَوَصَلَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى... وَوَصَفَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ فِي أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ! وَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ الْمَعْلُومَاتِ الْغَيْبِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنْ نَتَلَقَّهَا بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَأَنْ نَعْتَرِفَ بِقُصُورِ عِلْمِنَا، بِدَلِّ أَنْ «نَتَعَالَمَ» عَلَى الْقُرْآنِ، وَنُحَظِّيَ مَا فِيهِ مِنْ صَوَابٍ، كَمَا فَعَلَ هَذَا الْفَادِي! .

وَكَمَا خَطَّأَ الْفَادِي الْقُرْآنَ فِي كَلَامِهِ عَنِ السَّبْعِ سَمَوَاتٍ خَطَّأَهُ فِي إِشَارَتِهِ إِلَى أَنَّ الْأَرْضَ سَبْعُ أَرْضِينَ أَيْضاً. وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْإِشَارَةُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ...﴾ [الطلاق: ١٢].

وَاعْتَرَضَ عَلَى الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: «... وَخَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ، الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا، وَسَبْعَ أَرْضٍ مِثْلَهَا... فَجَمَلَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ... فَكَيْفَ يَقُولُ الْقُرْآنُ: إِنَّ أَرْضَنَا - وَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ مَلَائِيكِ الْكَوَاكِبِ وَالسِّيَارَاتِ وَالْأَقْمَارِ وَالشُّمُوسِ - يَوْجَدُ سَبْعَةَ مِثْلُهَا؟»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢.

لقد فهم الجاهل من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ بوجودِ سَبْعِ أَرْضِينَ، كُلُّ وَاحِدَةٍ كوكبٌ مِثْلُ كوكبِنَا، وَأَرْضٌ مِثْلُ أَرْضِنَا، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مُسْتَقَلَّةٌ عَنِ الْأُخْرِيَّاتِ مِثْلُ أَرْضِنَا، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ صَالِحَةٌ لِلْحَيَاةِ مِثْلُ أَرْضِنَا، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ عَلَيْهَا أَحْيَاءٌ مِثْلُنَا!! وهذا ما لم يَقُلْهُ الْقُرْآنُ!.

كُلُّ مَا قَالَهُ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَأَنَّهُ خَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. وَنَرَى أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لَيْسَتْ نَصًّا قِرَائِيًّا صَرِيحًا فِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْضَ سَبْعَ أَرْضِينَ، كَمَا خَلَقَ السَّمَاءَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا، وَلِهَذَا اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي فَهْمِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الْقِرَائِيَّةِ!!.

وَفِي الْمِرَادِ بِالْمِثْلِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قَوْلَانِ:
الأول: هِيَ مِثْلِيَّةٌ فِي الْخَلْقِ. فَاللَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ مِثْلَهُنَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ حَرْفُ الْجَرِّ «مِنْ» لِلْبَيَانِ. وَتَكُونُ ﴿الْأَرْضُ﴾ مَجْرُورَةً لِفِظًا، مَنْصُوبَةً مَحَلًّا، لِأَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿سَبْعَ﴾ الْمَنْصُوبَةِ قَبْلَهَا، لِأَنَّهَا مَفْعُولٌ بِهِ. وَ«مِثْلَهُنَّ»: حَالٌ مَنْصُوبٌ. وَصَاحِبُ الْحَالِ هُوَ «الْأَرْضُ». وَالتَّقْدِيرُ: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ مِثْلَهُنَّ. وَوَجْهُ الشَّبهِ بَيْنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْخَلْقُ، وَالْمِثْلِيَّةُ هُنَا هِيَ الْمِثْلِيَّةُ فِي الْخَلْقِ. فَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَخْلُوقَةٌ، وَالْأَرْضُ مِثْلَهُنَّ مَخْلُوقَةٌ!.

الثاني: هِيَ مِثْلِيَّةٌ فِي الْعَدَدِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمِثْلِيَّةِ فِي الْخَلْقِ. فَاللَّهُ خَلَقَ السَّمَاءَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا، وَخَلَقَ الْأَرْضَ مِثْلَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا سَبْعَ أَرْضِينَ!.

وَمَعَ أَنَّ الْجُمْلَةَ تَحْتَمِلُ الْقَوْلَيْنِ، وَلَكِنَّا نَرَى أَنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ هُوَ الرَّاجِحُ، أَمَا الْقَوْلُ الثَّانِي فَإِنَّهُ مَرْجُوحٌ.

فَالرَّاجِحُ أَنَّ الْأَرْضَ كَلَّهَا كِتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَأَرْضٌ وَاحِدَةٌ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِثْلَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَخَلَقَ الْأَرْضَ.

وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْأَرْضِينَ سَبْعٌ، فَقَدْ

روى البخاري ومسلم عنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ».. وفي روايةٍ أُخرى: «حُسِيفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ».

وقد يُفهم الحديث على أنه من باب الترهيب من الظلم وتهديد الظالم بالعذاب، وقد يُؤخذ الحديث على ظاهره، ويُعتبر دليلاً على أَنَّ الْأَرْضَ هِيَ سَبْعُ أَرْضِينَ.

وإذا قلنا بأنَّ الْأَرْضَ سَبْعُ أَرْضِينَ، فهي سَبْعُ أَرْضِينَ متصلةٌ ببعضها، ليس بينها فراغ، أمَّا السمواتُ فهي سَبْعُ طبقاتٍ منفصلة، بين كُلِّ سماءٍ وسماءٍ مسافةٌ بعيدة لا يعلمها إلا الله.

وبهذا نعرفُ خطأً وجهلَ القسيس الفادي، عندما اتَّهمَ القرآنَ بالقولِ إنَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعَ هي سَبْعُ كُرَاتٍ أَرْضِيَّةٍ مستقلة، مثلُ كرتنا الْأَرْضِيَّةِ التي نحنُ عليها!.

واعترضَ الجاهلُ أيضاً على القرآنِ في إخباره أَنَّ اللهَ هو الذي يمسكُ السماءَ لئلاَّ تقعَ على الأرضِ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

وسجَّلَ اعتراضه في قوله: «ونحنُ نتساءل: كيف يقول عن الفضاءِ المتسامي سُمُوًّا لا مُتناهي فَوْقَنَا: إِنَّهُ سَقَفٌ أَمْلَسَ قَابِلٌ لِّلسَّقُوطِ؟..»^(١).

واعترضه على القرآنِ دليلُ جهله، ولم يُخطئ القرآنُ في إخباره عن هذه الحقيقة، وهدَفُ الآيةِ تقريرُ حقيقةٍ أَنَّ كُلَّ شيءٍ في الكونِ إنما يتمُّ بأمرِ الله، وَأَنَّ اللهَ هو الذي يُدبِّرُ أَمْرَ الكونِ وما فيه، فهو سبحانه الذي خَلَقَ الْأَرْضَ والسماءَ، وهو الذي جَعَلَ السماءَ فوقَ الأرضِ، وهو الذي جعلَ الكواكبَ والنجومَ في الفضاءِ، وحدَّدَ لكلِّ منها سَيْرَه ومدارَه ومكانَه. وهذا واضح في الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢.

وأكد القرآن على هذه الحقيقة في آياتٍ عديدة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاءَ لَهُمْ آيَاتُ نَسَخِ مِنْهُ النَّهَارِ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيَاتُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠].

وليس معنى قوله تعالى: ﴿وَتُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أَنَّ السماءَ على وَشِكِ الوقوعِ على الأرض، وأنها قابلةٌ للسقوط، كما فهمَ الجاهل، وإنما معناها أَنَّ الله هو الذي يُمَسِّكُ السماءَ القويةَ المتينةَ المحكَّمةَ، ولولاهُ سبحانه لوقعتْ على الأرض، ولولاهُ لزالَتِ السماءُ والأرضُ، ولولاهُ لدمَّرتِ النجومُ والكواكبُ في الفضاء. . ولا يوجدُ مخلوقٌ في الوجودِ يَقْدِرُ على الإمساكِ بالنظامِ الكونيِّ المتوازن، الذي يُنظِّمُ السماءَ والأرضَ والكواكبَ في الفضاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

تُشيرُ الآيةُ إلى القوةِ المتوازنةِ التي جعلها اللهُ في الكون، والتي تمسكُ ما فيه من نجومٍ وكواكب، وهي قوةُ «الجاذبية» العجيبة. وعندما يَحِينُ وَقْتُ إنهاءِ هذا الكونِ وما فيه، يُزيلُ اللهُ قوَّةَ الجاذبية، فتتناثرُ النجومُ والكواكب، ويكونُ الانفطارُ والانشقاقُ والتكويرُ والانكدارُ والتسييرُ والتسجيرُ والتفجيرُ! وهذه مصطلحاتٌ قرآنيةٌ تتحدَّثُ عن يومِ القيامةِ!



ما هو النسيء؟

اعتبرَ الفادي حديثَ القرآنِ عن النسيءِ خطأً جُغرافياً فلكياً وَقَعَ فيه القرآن، واعترضَ على آيتينِ تتحدثانِ عن عِدَّةِ شهورِ السنة وعن النسيءِ؛ وهما قولُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا بُدِّلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿التوبة: ٣٦ - ٣٧﴾.

ولم يفهم الجاهل معنى النسيء، ولذلك طرح سؤالاً دالاً على جهله وغبائه، فقال: «ونحن نسأل: يُورِّخُ جميع العلماء بالسنة الشمسية، التي تفرق عن السنة القمرية شهر النسيء؛ فهل في هذا كُفْرٌ؟ وكيف نعتبر الحساب الفلكي الطبيعي كُفْراً؟»^(١).

كان الفادي كاذباً مَفْتَرِيّاً عندما زَعَمَ أَنَّ جميع العلماء يُورِّخون بالسنة الشمسية، فمن المعلوم أَنَّ هناك تقويمين للتاريخ: التقويم الشمسي، وهو الذي يتبعه العالم الغربي، والذي أَخَذَهُ عن الرومان. . . والتقويم القمري، وهو الذي أَرَّخَ به المسلمون، منذُ هجرة رسولِ الله ﷺ إلى المدينة. . . وإذا كان الغربيون قد دَخَلُوا في القرن الحادي والعشرين الميلادي الشمسي، فإنَّ المسلمين قد دَخَلُوا في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري القمري. وكان الفادي جاهلاً عندما جَعَلَ الفرقَ بين السنة الشمسية والسنة القمرية شهراً، أي أَنَّ السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية شهراً كاملاً!! وهذا ما لم يقله أحد!!.

إِنَّ السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية ما بين عشرة أيام إلى أحد عشر يوماً.

قال المؤرخ الإسلامي المعاصر أحمد عادل كمال في الفرق بين التقويم الشمسي والتقويم القمري: «يزيد اليوم الشمسي عن اليوم القمري ثلاث دقائق، وخمساً وخمسين ثانية، وتسعة في العشرة من الثانية! (٩، ٥٥: ٣)!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣.

واليوم عند العرب يبدأ من غروب الشمس، ويمتد إلى غروبها في اليوم التالي! .. والشهر القمري: (٢٩,٥٣٠٥٨٨) يوماً! والسنة القمرية (٣٥٤) يوماً، وثمانى ساعات، و(٤٨) دقيقة، و(٣٦) ثانية! أما السنة الشمسية فإنها (٣٦٥) يوماً، وست ساعات، وتسع دقائق، و(٩,٥) ثانية!!

فالفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية حوالي أحد عشر يوماً! (١).

فكيف يقول القسيس بعد هذا الضبط الدقيق لجزء من الثانية إن الفرق بين التقويمين شهر كامل، وليس أحد عشر يوماً؟ وكيف يقع في هذا الخطأ الحسابي الفلكي الشنيع؟ وكيف يدخل في ما لا يعرفه؟ ويتعالم بعد ذلك على القرآن!.

وانتقل الجاهل الذي يريد أن يحطى القرآن من خطئه في الحساب إلى خطأ أقبح، حيث لم يفهم معنى «النسيء» في الآية، فاعتبر النسيء هو «التأريخ بالسنة الشمسية»، ولذلك تساءل بعباء: كيف نعتبر الحساب الفلكي الطبيعي كُفراً؟.

ولا يقول عاقل: إن النسيء هو التاريخ الشمسي، وإنه كفر! فضلاً عن أن يقول القرآن بذلك!!

«النسيء» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ اسم، بمعنى التأخير، مشتق من «نَسَأَ» بمعنى: أخر. ونسء الشيء تأخيرُه. وهو في الآية تأخير خاص، إنه «نسيء» في حرمة الأشهر الحرم، كان يمارسه الكفار في الجاهلية.

لقد جعل الله أربعة أشهر حُرماً، من شهور السنة الاثني عشر: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ فَلَا تُظَلَمُوا فِيهَا أَنْفُسُكُمْ...﴾.

(١) جداول التقويم الميلادي المقابل للتقويم الهجري، لأحمد عادل كمال، ص ٣ - ٤.

وهي أربعة أشهر، لأنَّ الله حَرَّمَ فيها القتال، وجعلها أَشْهُرَ أَمْنٍ وَأَمَانٍ،
وَسَطَ باقيَ الشهور، القائمة على القتل والسلب والنهب والعدوان.

والأشهر الحُرْمُ هي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. ويلاحظ أنَّ
الأشهر الثلاثة مُتَّابِعَةٌ، أمَّا الشهر الرابع رجب فهو مُتَّخِرٌ عنها.

وكان الكفار في الجاهلية يتعاملون مع الأشهر الحُرْمِ بالهوى والمزاجية،
ويتلاعبون فيها، فإن دَخَلَ عليهم شهرٌ من الأشهر الحُرْمِ، وَوَجَدُوا لهم مصلحةً
في انتهاك حرمته وقاتل الآخرين فيه، «نَسُوهُ»: أي: نقلوا حرمته إلى شهرٍ
آخر بعده، واستباحوا القتال فيه.

شَهْرٌ «مُحَرَّمٌ» مثلاً من الأشهر الحُرْمِ؛ فإن دَخَلَ عليهم شهرٌ مُحَرَّمٌ حَرَّمَ
عليهم قتال الآخرين فيه، فإن وجدوا لهم مصلحةً في القتال فيه قالوا: نَنُقِلُ
حرمته إلى شهرٍ «صفر» بعده، ونُقَاتِلُ أعداءنا فيه، فهو «نَسِيءٌ»، بهذا
الاعتبار!!.

وهذا تلاعبٌ منهم بأحكام الله، يقود إلى زيادة في كفرهم وجرائمهم
وضلالهم، فهو ليس مجرد كفر، وإنما هو زيادة في الكفر! وعلى هذا قوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَ عَامًا
وَيُحْرِمُونَ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ
أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وقد فسرت الآية معنى النسِيءِ، وذلك في جملة ﴿يُحْلُونَ عَامًا وَيُحْرِمُونَ
عَامًا﴾ أي أنهم كانوا يحلون القتال في أحد الأشهر الحُرْمِ عامًا، ويحرمون
القتال في نفس ذلك الشهر الحرام عامًا آخر!.

ومعنى قوله: ﴿لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أنهم كانوا يقولون: نحن
نلتزم بعدد الأشهر التي حرّمها الله، فالمهم أن نُحَرِّمَ في السنة أربعة أشهر،
ولا يهم عندنا أسماءها أي أشهر تكون. كانوا يريدون أن «يؤاطئوا» ويوافقوا
عِدَّةَ ما حَرَّمَ الله، أربعة أشهر بأربعة أشهر، ومع هذه المواطأة والموافقة كانوا

يُجَلُونَ ما حَرَّمَ اللهُ، فكانوا يُجَلُونَ القتالَ في شهر ذي القعدة أحياناً، ويُجَلُونَهُ في شهر ذي الحجة أحياناً أخرى.

وبهذا نَعَرَفُ معنى «النسيء» الذي كان يفعلُه المشركونَ في الجاهلية، وأنه قائم على معنى التأخيرِ والنقلِ والتلاعبِ والتغييرِ والتبديلِ! وليس بمعنى تركِ التاريخِ بالحسابِ القمري، والتاريخِ بالحسابِ الشمسي، وأنَّ استعمالَ الحسابِ الشمسيِّ في التقويمِ والتاريخِ حرامٌ وكفرٌ! كما فهم ذلك الجاهلُ المتعالم! وصدَقَ فيه قولُ الشاعر:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا وَأَفْتُهُ هِيَ الْفَهْمُ السَّقِيمُ



بماذا تروى مصر؟

اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن رِيِّ أرضِ مصر! وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وقد فهمَ الفادي لجهله الآيةَ فهماً خاطئاً، واعتبرها خطأً جغرافياً، وقال في تخطئتها: «الإشارةُ هنا إلى القحطِ الذي أصابَ مصرَ سبعَ سنينَ متواليَّةً، أيامَ يوسف، فبيَّسُرُهُم بالخَصْبِ بعدَ الجَدْبِ، ويقولُ: إنه في عامِ الخَصْبِ يُمَطَّرُونَ، فكأنَّ خَصْبَ مصرَ مُسَبَّبٌ عن الغيثِ أو المطرِ. وهذا خلافُ الواقعِ، فالمطرُ قلَّما ينزلُ في مِصرَ، ولا دَخَلَ له في خَصْبِها الناتجِ عن فيضانِ النيلِ، فكيف يُنسَبُ خَصْبُ مِصرَ للغيثِ والمطرِ؟»^(١).

إنَّ الآيةَ التاسعةَ والأربعينَ من سورةِ يوسفَ مرتبطةٌ مع الآياتِ التي قبلَها، والتي أخبرتُ عن رؤيا رآها ملكُ مصر في زمنِ يوسفَ ﷺ، وطلبَ من الملاء حوله أن يعبروها له، ولما عَجَزُوا عن تعبيرها، تَوَجَّهُوا إلى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣.

يوسف عليه السلام ليعبرها، ففعل. وقد رأى الملك سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ٤٣ - ٤٩].

لما عبَّر يوسف عليه السلام رؤيا الملك أخبر أن مضر ستمر بدورتين، كل دورة منها سبع سنوات. . السبع سنوات الأولى سنوات خصب، يستغلونها في الزراعة والإنتاج: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾. . والسبع سنوات الثانية سنوات جذب وقحط ومحل: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾.

والسنة الخامسة عشرة ستكون عاماً للغيث والرّي: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾.

ولا يلزم من قوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أن يكون الغيث ناتجاً عن أمطار غزيرة، تهطل عليهم من السماء، حتى يعترض الفادي على ذلك، ويعتبره خطأ، لأن المَطَرَ قَلَّمَا يَهْطَلُ عَلَى مِصْرَ.

إننا نعلم أن ري مصر يكون من مياه نهر النيل، الذي يكون فيضانه سبباً في زيادة كميات الأراضي المروية، وفي زيادة الإنتاج الزراعي، ونعلم أن الأمطار قَلَّمَا تَنْزَلُ عَلَى مِصْرَ.

إِنَّ غَيْثَ مِصْرَ مِنْ مِيَاهِ نَهْرِ النِّيلِ، وَتَكُونُ مِيَاهُ النِّيلِ فِي الْعَامِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَزِيرَةً، وَسَيَكُونُ فَيضَانُ النِّيلِ فِيهِ غَوْثًا لِمِصْرَ.

وقد يكون الغيثُ بمياهِ الأمطارِ النازلةِ من السماء، وهذا هو الأَكثَرُ والأغلب، وقد يكونُ بمياهِ الأنهارِ، وهذا قليلٌ في البلدانِ، كما هو غيثُ مِصْرَ بمياهِ النيلِ.

فاعترضُ الفادي على الآيةِ في غيرِ مكانه، وهو لجهله حَطَأَ الصوابِ الذي في الآيةِ!!.



هل الرعد ملك من الملائكة؟ وكيف يسبح الله؟

اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن الرَّعْدِ. والذي وردَ في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

كيف يُسبحُ الرَّعْدُ بحمدِ الله؟ وهل هو مخلوقٌ حيٌّ يتحركُ ويتكلمُ ويُسبحُ اللهَ بلسانه؟.

رَجَعَ الفادي إلى تفسيرِ البيضاوي، ونَقَلَ عنه كلاماً عجيباً! قال: قال البيضاوي: «عن ابنِ عباس: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّعْدِ، فَقَالَ: «هُوَ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ».. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾: من خوفِ الله وإجلاله.. وقيل: الضميرُ للرعد.. وأخرج الترمذي عن ابنِ عباس: «أقبلت اليهودُ إلى محمد، فقالوا: أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: هُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُهُ بِهَا حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ. قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ؟ قَالَ: رَجْرُهُ السَّحَابِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ حَيْثُ أُمِرَتْ. قَالُوا: صَدَقْتَ».

ونحنُ نَسألُ: إِذَا كَانَ الرَّعْدُ هُوَ الْكَهْرِبَاءُ النَّاشِئَةُ عَنِ تَصَادُمِ السَّحَابِ،

فلماذا يقول: إِنَّ الرعدَ هو أَحَدُ الملائكة؟!»^(١).

لم يكن الفادي أميناً في النقلِ عن البيضاوي. حيث أسقط من كلامه قِسْماً مُهِمّاً، وأبقى قِسْماً يوافقُ هدفه في تخطئة القرآن. قَالَ البيضاوي: «﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ﴾: أَي: يُسَبِّحُ سامعوه. ﴿بِحَمْدِهِ﴾: مُلْتَبِسِينَ به، فيضجون بسبحان الله والحمد لله أو يدلُّ الرعدُ بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته، مُلْتَبِساً بالدلالة على فضله ونزول رحمته..»^(٢).

هذا هو رأي البيضاوي في معنى تسبيح الرعد بحمد الله، فإما أن يكون المعنى أن الناس الذين يسمعون الرعد يُسَبِّحُونَ الله، ويكون تسبيحهم مُلْتَبِساً ومقروناً بحمد الله، فيقولون: سبحان الله والحمد لله، وإما أن يكون صوت الرعد دالاً على وحدانية الله وكمال قدرته، مُلْتَبِساً بالدلالة على فضل الله ونزول رحمته.

وهذا هو التفسير الصواب لتسبيح الرعد بحمد الله، وهو الذي يقول به البيضاوي.

وبعدما قرّر البيضاوي التفسير الصواب أراد أن يذكر قولاً آخر هو عنده مرجوح، فأورد رواية عن ابن عباس رفعها للنبي ﷺ، ذكر فيها أن الرعد أحد الملائكة، يسوق السحاب وهو يذكر الله ويسبّحه.

ونسب الفادي إلى البيضاوي رواية لم يوردها في تفسيره، وهي التي أخرجها الترمذي في سننه، والتي فيها جواب الرسول ﷺ لسؤال اليهود عن أن الرعد أحد الملائكة، وصوت الرعد هو صوت الملك يزجر به السحاب.

هذه الرواية لم تُذكر في تفسير البيضاوي، وكان الفادي مفترياً عندما زعم وجودها في تفسيره.

لم يذكر القرآن أن الرعد ملك يسبّح الله بلسانه، وأنه يسوق السحاب، ويصرخ فيه ويذجره، وهذا الزجر والصرخ هو الصوت الذي نسمعه منه!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣. (٢) تفسير البيضاوي: ١٨٣/٢.

وإنما وردَ هذا في روايةٍ منسوبةٍ لابن عباس، رَفَعَهَا بدورِهِ لرسولِ الله ﷺ،
وهذه الروايةُ تَحْتَاجُ إلى تخريج، المَهْمُ أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْ ذلك!

وَأَسَدُ القرآنِ إلى الرَعْدِ التَّسْبِيحُ، على طريقةِ القرآنِ المعجزةِ في التعبيرِ،
وهي «التصوير»، يَعْرضُ فيها الأفكارَ والمعاني بطريقةِ مُصَوِّرةٍ، كأنَّ القارئَ
يرى أَمَامَهُ صُوراً حَيَّةً متحركةً، وليسَ مجردَ كلماتٍ وعباراتٍ.

الرَعْدُ صوتٌ مسموعٌ من السحابِ، وهو ظاهرةٌ جويةٌ معروفةٌ، ناشئةٌ عن
تصادمِ السحبِ في الجَوِّ، وارتطامِها بعضها ببعضٍ، وهو غيرُ ملموسٍ ولا
مُجَسَّمٍ، لكنَّ الآيةَ عَرَضَتْهُ بصورةٍ مجسَّمةٍ شاخصَةٍ متخيَّلةٍ، حيثُ حَوَّلَتْهُ إلى
جسمٍ ماديٍّ، وشخصٍ حيٍّ، يتحركُ ويتكلمُ، وله لسانٌ يُسَبِّحُ به رَبَّهُ وَيَحْمَدُهُ!
وليسَ مجردَ صوتٍ قاصفٍ، ناتجٍ عن ارتطامِ السُّحُبِ!!

وعندما يَسْمَعُ المسلمُ الآيةَ، يَتَخَيَّلُ في خياله الرعدَ، رَجُلًا جالِسًا وَسَطَ
السحابِ، يَذْكُرُ اللهَ وَيُسَبِّحُهُ وَيَحْمَدُهُ، بصوتٍ عالٍ مرتفعٍ!

فالقرآنُ لم يُخْطِئْ عندما تكَلَّمَ عن الرعدِ بهذه الطريقةِ المعجزةِ، وعَرَضَهُ
في هذه الصورةِ الحيةِ المتحركةِ. لكنَّ الفادي الجاهلَ لا يَعْرِفُ طريقةَ القرآنِ
في التعبيرِ، ولا يستمتعُ بما فيه من روائعِ التصويرِ!!

أما حديثُ الترمذيِّ عن ابنِ عباسٍ فقد اختلفَ فيه العلماءُ، فمنهم مَنْ ضَعَّفَهُ،
ومنهم مَنْ صَحَّحَهُ، وهذا أمرٌ حديثيٌّ لا يعنينا هنا، لأنَّ موضوعنا هو القرآن!!



بين وادي طوى وجبل حوريب

اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن المكانِ الذي سمعَ فيه موسى ﷺ
كلامَ الله، لأنَّه يتعارضُ مع ما وردَ في الكتابِ المقدَّسِ!.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ - ١٢]. وقال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ

تَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ كَفَرٌ ﴿١٧﴾ [النازعات: ١٥ - ١٧].

تُصْرِحُ هذه الآياتُ بِأَنَّ اسْمَ الوادي الذي نادى الله فيه موسى ﷺ هو «طوى». وكان اسمه «طوى» في زمن موسى ﷺ. وهذا معناه أنه اسم علم أعجمي، وليس عربياً مشتقاً، فلا نبحت له عن معنى في العربية.

ووادي «طوى» المقدسُ بجانب جبل الطور، وهو في جانبه الأيمن. قال تعالى: ﴿وَنَدَبْتُهُ مِنْ بَيْنِ الْأُطُورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسِيَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

ولكنَّ الفادي يرفضُ كلامَ القرآن، ويعتبره خطأً جغرافياً، يتعارضُ مع ما وردَ في العهدِ القديم، الذي هو جزءٌ من دينِ القسيسِ الفادي. وقد اعترضَ على كلامِ القرآنِ قائلاً: «قالَ المفسرونَ المسلمون: إنَّ «طوى» اسمُ الوادي. ولكنَّ الكتابَ المُقدَّسَ يُعلِّمنا أنه لما كانَ موسى يرعى غنمَ يثرونَ حميه كاهنِ مديان، ساقَ الغنمَ إلى ما وراءَ البرية، وجاءَ إلى جبلِ الله حوريب، وظَهَرَ ملائكةُ الربِّ بلهبِ نارٍ من وَسَطِ عَلِيْقَةٍ، ونظر، وإذا بالعليقة تتوقدُ بالنارِ دونَ أنْ تحترق. . فناداهُ الربُّ، وقال له: «لا تقتربِ إلى هاهنا، اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأنَّ الموضعَ الذي أنتَ واقفٌ عليه أرضٌ مُقدَّسة» [خروج ٣: ١ - ٥]. إذنُ موسى كانَ في جبلِ الله حوريب، فمن أينَ جاءَ القرآنُ باسمِ طوى، مع أنَّ حوريبَ اسمُ جبلٍ مشهورٍ في شبه جزيرةِ سيناء؟!»^(١).

ذَكَرَ العهدُ القديمُ أنَّ اسمَ الجبلِ «حوريب»، وذكرَ القرآنُ أنَّ اسمَه «الطور»، والقسيسُ الفادي يرفضُ اسمَ القرآن، ويعتمدُ اسمَ العهدِ القديم. . . أما نحنُ المسلمون فإننا نؤمنُ بالقرآن، ونعتمدُ الاسمَ المذكورَ فيه، ونرفضُ أيَّ اسمٍ آخرَ يَختلفُ معه، لأنَّ القرآنَ هو الذي تكفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ، فكلُّ ما فيه حقٌّ وصاب، أما الكُتُبُ الأخرى فقد عدتْ عليها يدُ التحريفِ فلا يؤتقُّ بها.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤.

اسْمُ الْجَبَلِ الَّذِي وَقَعَتْ بِجَانِبِهِ الْحَادِثَةُ هُوَ جَبَلُ الطُّورِ، كَمَا صَرَّحَ الْقُرْآنُ، وَلَا أُدْرِي مَنْ أَيْنَ أَتَى الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِاسْمِ «جَبَلِ حَوْرِيْبٍ». وَاسْمُ الْوَادِي الْوَاقِعِ بِجَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ هُوَ وَادِي «طُوِي»، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ صَرِيحًا!.

وَالوَاجِبُ اعْتِمَادُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، وَرَدُّ كُلِّ مَا يَتَعَارَضُ مَعَهُ!.



هل في طور سيناء زيتون؟

اعترض الفادي على القرآن، في حديثه عن شجرة الزيتون، التي تخرج من طور سيناء، واعتبر هذا خطأً جغرافياً في القرآن.

والآية التي أخبرت عن ذلك هي قول الله ﷻ: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لِّكُم فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٩ - ٢٠].

تتحدث الآيتان عن بعض النعم التي تنشأ عن إنزال الماء من السماء، ويتنعم بها الناس على وجه الأرض، منها الفواكه الكثيرة التي يأكلون منها، ومنها جنات النخيل وجات الأعناب.

ومن تلك النعم شجرة الزيتون المباركة، التي تخرج من طور سيناء، والتي يؤخذ منها الزيت، الذي يصلح أن يكون دهنًا للشعر والجسم، ويصلح أن يكون صبغاً للآكلين، يصبغ به الآكلون طعامهم، ويأكلونه مع الزعتر أو غيره.

وخطأ الفادي هذا الكلام، فقال: «ونحن نسأل: لم تشتهر صحراء سيناء الجرداء بشجر الزيتون. ألم يكن الأجدد أن تذكر فلسطين بزيتونها، لا سيناء التي من قحطها أرسل الله لبي إسرائيل فيها المن من السماء؟»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤.

نقولُ بداية: المرادُ بطورِ سَيْنَاءَ في الآيةِ شبهُ جزيرةِ سَيْنَاءَ المعروفة، وفيها جبلُ الطورِ المعروف، الذي ناجى موسى ﷺ ربّه عليه.

وذكرتُ «سَيْنَاءَ» مرّتين في القرآن: المرّة الأولى في سورة المؤمنين، والمرّة الثانية في سورة التين، في قول الله ﷻ: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وطورِ سَيْنَاءَ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣].

و«سَيْنَاءَ» الآنَ صحراءٌ في معظمها، وفيها مناطقٌ زراعيةٌ خصبة، وفي هذه المناطقِ الزراعيةِ أشجارُ زيتونٍ جيدة، فزراعةُ الزيتونِ ناجحةٌ فيها.

واعترضُ الفادي على الآيةِ مردود، لوجودِ أشجارِ زيتونٍ حتى الآنَ في الأراضي الزراعيةِ في سينا، ووجودُ هذه الأشجارِ حتى الآنَ يدلُّ على أنّ منطقةَ سَيْنَاءَ كانتُ منطقةَ زَيْتُونٍ في الماضي البعيد، يومَ كانتُ أراضيها خصبة، قبلَ أنَ تتحوّلَ إلى صحراءٍ!.

والدليلُ على هذا كلماتُ الآيةِ نفسها، حيثُ قالَ تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ...﴾. . . إنَّ كلمةَ «شجرة» منصوبة، لأنها معطوفةٌ على «جَنَاتٍ» قبلها، التي هي مفعولٌ به لفعلٍ «أنشأنا». في قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ﴾ والتقديرُ: أنشأنا لكم بالماءِ جناتٍ من نخيل، وأنشأنا لكم به شجرةً خارجةً من طورِ سَيْنَاءَ!.

وإنشاءُ الشيءِ إيجادُه من العدمِ أوّلَ مرّة. واختيارُ فعلٍ «أنشأ» في الآيةِ مقصود، لأنه يشيرُ إلى أوّلِ مرّة في التاريخ، ظهرتُ فيها جناتُ النَّخِيلِ والأعنابِ وأشجارِ الزيتون، ولعلَّ إنشاءَ أشجارِ الزيتونِ على الأرضِ كانَ قبلَ خلقِ آدمَ ﷺ بفترةٍ طويلة. ولا يعلمُ إلا اللهُ كيفَ كانتُ «سينا» عندما أُهبطَ آدمُ إلى الأرضِ!!.

فلايئةٌ تتحدّثُ عن إنشاءِ شجرةِ الزيتونِ لأوّلَ مرّة، وليس عن المناطقِ والأراضي التي تنبتُ فيها شجرةُ الزيتونِ في هذا الزمان.

ثم إنَّ حرفَ الجَرِّ «مِنَ» في الآيةِ يُقرّرُ هذا المعنى، فهو هنا للابتداء،

والمرادُ به الابتداءُ الزماني . والمعنى : كان ابتداءُ إنشاءِ وإخراجِ شجرةِ الزيتون في منطقة سيناء : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ .. ﴾ . وهذا الابتداءُ كانَ قبلَ آدمَ ﷺ .

فاعترضُ الفادي على الآيةِ دليلُ جهلهُ وغبائهُ ، لأنه «أسيرُ» هذا الزمان ، الذي رأينا فيه سيناءَ صحراءَ جرداء .

حتى الكتابُ المقدَّسُ الذي يؤمنُ به القسَّيسُ الفادي يُخبرُ أنَّ الزيتونَ كانَ منتشرًا معروفًا من قديمِ الزمان ، وذكرَ الأخبارُ في سفرِ التكوينِ من العهدِ القديمِ أنَّ الزيتونَ كانَ معروفًا قبلَ الطوفانِ ، وزعموا أنه بينما كانَ نوحٌ ﷺ في السفينةِ ، والطوفانُ قد غطى كُلَّ شيءٍ حتى قممِ الجبالِ ، أرادَ أنَ يعرفَ ماذا جرى خارجَ السفينةِ ، فأطلقَ الحمامةَ من السفينةِ ، فعادتْ لأنها لم تجدْ مكانًا تقفُ عليه ، وبعدَ فترةٍ أطلقَ الحمامةَ مرةً ثانيةً ، فعادتْ وفي فمِها «غصنُ زيتون» ، ومن يومِها سُمِّيتِ الحمامةُ حمامةَ السلامِ ، وصارَ شعارُ السلامِ الحمامةَ وغصنَ الزيتونِ !! فعودةُ الحمامةِ زمنَ نوحٍ ﷺ ومعها غصنُ زيتونٍ دليلُ على أنَّ الزيتونَ كانَ معروفًا زمنَ نوحٍ ﷺ .

إنَّ قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ يُشيرُ إلى ابتداءِ إنشاءِ الزيتونِ في التاريخِ البعيدِ ، وأنَّ بدايةَ هذه الشجرةِ كانتْ عندَ طورِ سيناءِ ، ثم انتشرتْ من هناكِ إلى باقيِ بلدانِ حوضِ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ ، في شمالِه وجنوبِه وشرقِه ! وهذا يُشيرُ إلى أنَّ «سيناء» كانتْ أراضيَ زراعيةً خصبةً ، ثم صارتْ صحراءَ جرداءَ بعدَ ذلك ! ولعلَّ تحوُّلَها إلى صحراءٍ كانَ في زمنِ تدميرِ قومِ لوطٍ ﷺ ، الذي نشأَ عنه جيولوجياً حفرةُ «الانهدام» الكبيرِ ، الذي يبدأُ من شمالِ سوريةِ ، مروراً بسهلِ الغابِ ، ونزولاً إلى الغورِ ، ثم البحرِ الميتِ ، ثم واديِ عربيةِ ، فالبحرِ الأحمرِ ، حتى مضيقِ بابِ المندبِ والقرنِ الإفريقيِ !! .

وهناك صلةٌ وثيقةٌ بين كونِ شجرةِ الزيتونِ المباركةِ ، تنشأُ وتخرجُ لأوَّلِ

مرة من أرض سيناء، وجبل الطور المقدس فيها، وبجانبه وادي طوى المقدس!!.



هل الشمس ثابتة؟

وقف الفادي وقفة غبية أمام حديث القرآن عن جريان الشمس، الذي ورد صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠].

نقل من تفسير البيضاوي خمسة أقوال في معنى اللام في جملة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، وفي بيان معنى هذه الجملة القرآنية:

- ١ - الشمس تجري لحد معين ينتهي إليه دورها.
 - ٢ - أو: الشمس تجري لكبد السماء، فإن حركتها هناك أبطأ، بحيث يُظن أن لها وقفة.
 - ٣ - أو: الشمس تجري لاستقرار لها على نهج مخصوص.
 - ٤ - أو: الشمس تجري لمتنها مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب.
 - ٥ - أو: الشمس تجري لمنقطع جريها عند خراب العالم!.
- والأقوال الخمسة متقاربة في المعنى.

«مُسْتَقَرٌّ»: اسم مكان، وهو مكان استقرار الشمس. والشمس لا تستقر إلا عندما تتوقف عن الجريان والسير، وهذا يكون عند قيام الساعة!.

والراجع أن اللام في: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ بمعنى «إلى»، وحرف «إلى» يدل على الغاية والنهاية، فمعنى الآية: آية للناس في الشمس وجريانها، فهي

تجري بسرعةٍ محدَّدة، منذُ أنْ خَلَقَهَا اللهُ، وستَبْقَى تَجْرِي بِنَفْسِ السَّرْعَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا لَهَا اللهُ، إِلَى أَنْ تَبْلُغَ مُسْتَقَرَّهَا، وَتَصِلَ إِلَى مَكَانِ اسْتِقْرَارِهَا، وَهُوَ مَا سَيَكُونُ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ!.

وهذا ما قصده الإمام البيضاوي بقوله: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا»: لِحَدِّ مُعَيَّنٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ دَوْرُهَا، شُبَّهَ بِمُسْتَقَرِّ الْمَسَافِرِ إِذَا قَطَعَ مَسِيرَهُ. . .» وقوله: «أَوْ لِمَنْقَطِعِ جَرِيهَا عِنْدَ خَرَابِ الْعَالَمِ»^(١).

إِنَّ الْآيَةَ تَصْرُحُ بِأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي وَتَتَحَرَّكُ وَتَسِيرُ، وَتَسْبُحُ فِي الْفِضَاءِ، وَهِيَ فِي حَالَةِ جَرِيَانٍ دَائِمٍ، بَدُونِ تَوَقُّفٍ، إِلَى أَنْ تَصِلَ مُسْتَقَرَّهَا، وَتَبْلُغَ نَهَايَتَهَا، وَهَذَا عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وهذا كلامٌ لا يُؤَافِقُ عَلَيْهِ الْقِسْيُسُ الْفَادِي، وَيَعْتَبِرُهُ خَطَأً فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ ثَابِتَةٌ لَا تَجْرِي وَلَا تَتَحَرَّكُ.

ولذلك اعترض عليه قائلاً: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: الشَّمْسُ ثَابِتَةٌ، تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا، وَلَا تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانِهَا، وَالْأَرْضُ هِيَ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَهَا، فَكَيْفَ يَقُولُ الْقُرْآنُ: إِنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي، وَإِنَّ لَهَا مُسْتَقَرًّا تَسِيرُ إِلَيْهِ؟!»^(٢).

وما يقوله الفادي يُخَالِفُ مَقَرَّرَاتِ الْفَلَكَ الْمَعَاصِرِ، فَقَدْ كَانَ عُلَمَاءُ الْفَلَكَ السَّابِقُونَ يَظُنُّونَ أَنَّ الشَّمْسَ ثَابِتَةٌ فِي مَكَانِهَا، لَا تَجْرِي وَلَا تَتَحَرَّكُ. . . وَلَكِنْ ثَبَتَ فِي الْفَلَكَ حَدِيثًا أَنَّ الْأَرْضَ تَجْرِي، وَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ تَجْرِي، وَأَنَّهُ لَا أَحَدٌ ثَابِتٌ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ، وَسَيَبْقَى جَرِيَانٌ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ مُسْتَقَرَّهَا، فَتَتَوَقَّفَ عَنِ الْجَرِيَانِ، وَهَذَا عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ!.

إِنَّ الْفَادِي هُوَ الَّذِي أَحْطَأَ خَطَأً جُغْرَافِيًّا فَلَكِيًّا عِنْدَمَا زَعَمَ أَنَّ الشَّمْسَ ثَابِتَةٌ، لَا تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانِهَا، وَأَنَّ الْقُرْآنَ أَحْطَأَ عِنْدَمَا أَخْبَرَ أَنَّهَا تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا. . . فَمَا قَالَ الْقُرْآنُ فَهُوَ الصَّوَابُ، الْمَتَّفِقُ مَعَ آخِرِ مُقَرَّرَاتِ عِلْمِ الْفَلَكَ

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٥.

(١) تفسير البيضاوي: ٢٦٨/٤.

الحديث، وما قاله الفادي فهو الخطأ، المتعارضُ مع تلك المقررات!! .
واتفاق القرآن مع آخر مقررات علم الفلك الحديث يدلُّ على أنَّ القرآن
من عند الله .

ووقع الفادي في مُغالطةٍ مفضوحة، عندما نَقَلَ عن تفسير البيضاوي قولاً
بوجود قراءةٍ أخرى في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي لِمْسْتَقَرِّ لَهَا﴾ .

قال البيضاوي: «وقرئ»: «لا مُسْتَقَرَّ لها». أي: لا سُكُونَ لها، فإنها
متحركةٌ دائماً، ولا مستقرَّ لها، على أنَّ «لا» بمعنى: «ليس» .

وعَلَّقَ الفادي على ذلك بقوله: «وأما القولُ بوجودِ قراءةٍ في القرآن: أنَّ
الشمسَ تجري ولا مستقرَّ لها، فيدلُّ على اختلافِ قراءاتِ القرآن اختلافاً يُغيِّرُ
المعنى، مما يطعنُ في سلامةِ القرآنِ وصحَّته .» (١) .

الفادي جاهل، لا علمَ له بالقراءات، ومع ذلك يتعالَمُ على القرآنِ
وقراءته .

إنَّ من البدهيَّاتِ المقرَّرة أنَّ القراءاتِ الصحيحةَ «توقيفيةٌ» من عندِ الله،
واللهُ هو الذي أنزلها على نبيه محمدٍ ﷺ، وأذنَ أن تُقرأَ بما تُقرأُ به!! .

ولا تُقبَلُ أيةُ قراءةٍ قرآنيةٍ إلا إذا اجتمعتُ فيها شروطُ ثلاثة:

١ - أن تكونَ القراءةُ صحيحةَ السَّنَدِ، منقولةً عن رسولِ الله ﷺ .

٢ - أن تكونَ القراءةُ موافقةً لرسمِ المصحفِ العثماني .

٣ - أن تكونَ القراءةُ موافقةً لقواعدِ اللغةِ العربية .

فإذا احتلَّ شرطٌ من هذه الشروطِ كانت القراءةُ شاذةً مردودةً، وليستُ
قرآناً. وقد سجَّلَ العلماءُ القراءاتِ الصحيحةَ المقبولة، التي توفرتُ فيها
الشروطُ الثلاثة .

والقراءاتُ الصحيحةُ عشرُ قراءات، منسوبةٌ لأنتمتها القراء، وهي: قراءةُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٥.

نافع، وقراءةُ عاصم، وقراءةُ الكسائي، وقراءةُ حمزة، وقراءةُ ابن كثير، وقراءةُ ابن عامر، وقراءةُ أبي عمرو، وقراءةُ أبي جعفر، وقراءةُ يعقوب، وقراءةُ خلف.

وأشهرُ القراءاتِ الشاذةُ أربعة، وهي: قراءةُ الحسن البصري، وقراءةُ الأعمش، وقراءةُ ابن محيصن، وقراءةُ اليزيدي.

وقد أجمعَ القراءُ العشرةُ على قراءةِ قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ بكسرِ اللامِ والتنوينِ في «لِمُسْتَقَرٍّ»، فليس فيها قراءةٌ صحيحةٌ أُخرى.. وما ذَكَرَهُ البيضاويُّ من القِراءةِ بحرفٍ: «لا»: «لا مُسْتَقَرٌّ لَهَا»، ليستُ قراءةٌ صحيحة، ولا من القراءاتِ الأربعِ الشاذةِ، وإنما هي موضوعةٌ باطلة، وليستُ قرآناً!

ولقد كان الفادي جاهلاً عندما اعتمدَ هذه القراءةَ الموضوعَةَ الباطلة، واعتبرها قرآناً! وكان مُتَحاملاً مُعْرِضاً عندما بنى على هذا الكلامِ الباطلِ نتيجةً باطلة، وذلك في قوله: «وأما القولُ بوجودِ قراءةٍ في القرآنِ أَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي ولا مُسْتَقَرٌّ لَهَا، فيدلُّ على اختلافِ قراءاتِ القرآنِ اختلافًا يُعَيِّرُ المعنى، مما يَطعنُ في سلامةِ القرآنِ وصحَّته».

إنَّ الفادي المفتري يزعمُ أَنَّ اختلافَ القراءاتِ في القرآنِ يُعَيِّرُ المعنى، وهذا زَعْمٌ مردود، وكلُّ مسلمٍ له علمٌ بالقراءاتِ يَعْلَمُ بُطلانَ هذا الزعم، ويوقنُ أَنَّ الاختلافَ بين القراءاتِ العشرِ الصحيحةِ اختلافٌ يَسِير، لا يُغَيِّرُ المعنى، ولا يُؤدِّي إلى التعارضِ والتناقضِ والاضطراب، وإنما تَلْتَقِي كُلُّ القراءاتِ على تقريرِ المعنى. وهذا علمٌ نفيس، من أنفسِ علومِ القرآنِ، يُسمَّى «علمُ توجيهِ القراءات»!

ويريدُ الفادي المفتري الوصولَ إلى هدفه الخبيث، وهو الطعنُ في سلامةِ القرآنِ وصحَّته، ورفضِ كونه من عندِ الله، فالاختلافُ في المعنى يَطعنُ في سلامةِ القرآنِ وحفظه! ووجودُ الأخطاءِ في القرآنِ ينفي كونه وحيًّا من عندِ الله!

إنَّ القرآنَ كلامُ الله، وقد حَفِظَهُ اللهُ، ونَزَّهَهُ عن التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ، والزيادةِ والنقصِ، فلا خَطَأٌ في القرآن، ولا تَعَارُضٌ بين قراءاتِهِ، ولا تَنَاقُضٌ في معانيه.



القمر كالعرجون القديم

ذَكَرَ الفادي آيتين من سورة يسَ تتحدَّثان عن القمر، وهما قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَالْقَمَرَ فَدَرَنَّهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَلْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩ - ٤٠].

اكتفى الفادي بذكر تفسير البيضاويِّ لهاتين الآيتين، وذكرَ منازل القمر الثمانية والعشرين، التي ينزلُ فيها خلالَ الشهر، وبيان معنى العرجون القديم، وكلُّ كوكبٍ من الكواكبِ في فَلَكٍ يَسْبَحُ فيه في الفضاء^(١).

ولم يُسجَلِ اعتراضه على الآيتين، ولم يذكُرْ ما رآه خَطَأً جغرافياً فلكياً فيها، فبقي الاعتراضُ في بطنه! ولا نعرفُ ما الذي لا يُعجبه من الآيات، حتى نردَّ عليه ونبيِّنَ سوءَ فهمه.

والعرجونُ جريدُ النخلِ «الشُّمْرَاخ» الدقيقُ الرفيعُ القديمُ العتيقُ اليابس، ومنازلُ القمر هي التي ينزلُ فيها على مدارِ الشهرِ القمري!



أسطورة جبل قاف

اعتراضَ الفادي على القرآنِ لورودِ كلمة «قاف» فيه. وهي المذكورةُ في أوَّلِ سورة «ق»، في قوله تعالى: ﴿قَافٌ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]. واعتبرَ القرآنَ كتابَ أساطيرٍ وخرافات، لوجودِ هذه الكلمةِ «قاف» فيه.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٥.

ونَقَلَ عن كتاب «عرائس المجالس» للثعلبيّ أَنَّ اللهَ خلقَ جبلَ «قاف»،
من زبرجدةٍ خضراءَ، وجعلهَ جبلاً عظيماً، مُحيطاً بالأرضِ كُلِّها!! .

ونقلَ عن كتابِ «قصص الأنبياء» - هو نفسه «عرائس المجالس» للثعلبيّ -
أَنَّ عبدَ اللهَ بنَ سلامٍ رضيَ اللهُ عنه سألَ رسولَ اللهَ صلَّى اللهُ عليه وآله عن أعلى جبلٍ في الأرضِ؟
فأخبره أَنه جبلُ «قاف»، وَأَنَّ ارتفاعه مسيرَةُ خمسِمِئةِ سنةٍ، وَأَنَّ طولَه مسيرَةُ
ألفي سنةٍ، وَأَنه مخلوقٌ من زمردٍ أخضرٍ.

وعَلَّقَ الفادي على هذا بأنَّ أوَّلَ مَنْ تكلمَ عن جبلِ قافٍ المحيطِ
بالأرضِ هو الكتابُ الدينيُّ اليهودي «حكيكاه»، عندما فسَّرَ كلمةَ: «توهو»
ب«وهو» المذكورةَ في أوَّلِ جملةٍ في سفرِ التكوين، الذي هو أوَّلُ أسفارِ العهدِ
القديم.

ونقلَ عن «حكيكاه» أَنَّ معنى كلمةِ «توهو» العبرية هو: الفضاءُ والفراغُ.
وَأَنَّ المرادَ بها الخَطُّ الأخضرُ المحيطُ بجميعِ العالمِ.. ولما أرادَ العربُ
تعريبَ كلمةِ «توهو» العبريةَ سَمَّوها «قاف».

وبعدما ذَكَرَ هذه الخرافةَ الأسطوريةَ، نَسَبَهَا إلى القرآن، وقال: «فالكلمةُ
العبريةُ المترجمةُ «الخط» هي «تاء»، ولما سَمِعَهَا الصحابةُ لم يَعْرِفُوا معناها أَنَّهُ
الخطُّ، وتوهموا أَنها سلسلةُ جبالٍ عظيمةٍ اسْمُها «قاف»!! .

فكيفَ يَعتبرُ القرآنُ ما نُسَمِّيهِ «الأفق» [وهو حَطٌّ وَهْمِيٌّ] جبلاً
حقيقياً؟^(١)

إِنَّ كتابَ الثعلبيّ «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» مرفوضٌ عند
العلماء، ولا يصلحُ أَنْ يكونَ مرجعاً في كتبِ التفسيرِ وقصصِ الأنبياء، ومعظمُ
الحكاياتِ والأخبارِ والرواياتِ التي فيه موضوعَةٌ ومردودةٌ، وهي خُرافاتٌ
وأساطير، مأخوذةٌ عن الإسرائيلياتِ المردودةِ الباطلةِ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٧.

وما أَخَذَهُ الفادي منه باطلٌ ومردود، لأنه ضمنَ الخرافاتِ والأساطيرِ التي مَلَأَتْ كتابَه! ولا يتحملُ القرآنُ ما في «عرائسِ المجالس» من أخطاءٍ وخرافاتٍ وأباطيلٍ!.

وما أوردَه الثعلبيُّ من حوارٍ بينَ عبدِ الله بنِ سلام رضي الله عنه وبينَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مردود، لأنه روايةٌ موضوعةٌ باطلة.

وحكايةُ جبلِ «قاف» الأَخضرِ المحيطِ بالأرضِ كُلِّها، خُرافَةٌ وأسطورة، باطلةٌ مردودة، لم يُقُلْ بها أَحَدٌ من العلماءِ المسلمينِ المحقِّقين!!.

ونحنُ مع الإمامِ الحافظِ المفسِّرِ ابنِ كثيرٍ رحمته الله في ردِّ هذه الخرافة. قال: «وقد روي عن بعضِ السلف أنهم قالوا: قاف: جبلٌ محيطٌ بجميعِ الأرض، يُقالُ له: «جَبَلُ قاف». وكأنَّ هذا - والله أعلم - من خرافاتِ بني إسرائيل، التي أَخَذَها عنهم بعضُ الناس، لِمَا رأوا من جوازِ الروايةِ عنهم مما لا يُصدِّقُ ولا يُكذِّبُ... وعندي أنَّ هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاقِ بعضِ زنادقِيهم، يُلَبِّسونَ به على الناسِ أمرَ دينهم، كما افترَي في هذه الأمة مع جلالَةِ قدرِ علمائِها وحُقاظِها وأئمتِها أحاديثٌ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وما بالعهدِ من قِدم، فكيفَ بأُمَّةِ بني إسرائيل، مع طولِ المدى، وقلةِ الحُقاظِ النُّقادِ فيهم، وشُرْبِهم الخمر، وتحريفِ علمائهم الكَلِمَ عن مواضعه، وتبديلِ كتبِ الله وآياتِهِ.. وإنما أَباحَ الشارِعُ الروايةَ عنهم في قوله: «وحدَّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ» فيما قد يُجَوِّزُهُ العقل، فأما فيما تُحيلُهُ العقول، ويُحكِّمُ فيه بالبطلان، ويَغلبُ على الظنونِ كذبُه، فليس من هذا القبيل.. والله أعلم..»^(١).

إنَّ ابنَ كثيرٍ يرفضُ أسطورةَ «جبلِ قاف» المحيطِ بالأرض، ويعتبرُها من رواياتِ بني إسرائيل، ويجعلُها خُرافَةً تتناقضُ مع العقل!

وبما أنها مرفوضةٌ مردودة، فإنَّ القرآنَ لا يَحْمِلُ وزرها، ولا يُستشهدُ بها

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢٢/٤.

على وجود الخطأ في القرآن، كما فعل المفتري المتحامل!!.

و«ق» الذي بنى عليه الفادي أسطوره وخرافته ليس اسماً لجبل، وإنما هو أحد حروف الهجاء، سمى الله به هذه السورة، وافتتحها به، ثم أقسم بعد ذلك بالقرآن على صدق نبوة محمد ﷺ: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ١ - ٢].

ومن المعلوم أن الله افتتح بعض سور القرآن ببعض حروف الهجاء، مثل سور: ن، و: ق، و: ص، و: يس، و: طه...





الفصل الثاني

نقض المطاعن التاريخية

هل كان هامان وزيراً لفرعون؟

«فرعون»: لَقَبٌ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ حَكَمَ مِصْرَ زَمَنِ مُوسَى ﷺ. وقد أُخْبِرَ الْقُرْآنُ أَنَّ وَزِيرَ فِرْعَوْنَ الْأَوَّلِ اسْمُهُ «هامان».

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُطْلَعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنْ ابْنِ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُبْلَغُ الْأَسْبَابِ﴾ [غافر: ٣٦].

ويعترضُ الفادي على هذا، ويعتبره خطأً تاريخياً في القرآن، لأنَّ هامان كان وزيراً للملك الفارسي.

قال: «يقول القرآن: إِنَّ هامانَ كانَ وزيرَ فرعون. بينما يُثْبِتُ التاريخُ أَنَّ هامانَ كانَ وزيراً لأَحْشَوِيرِش، وَأَنَّ بَيْنَ فرعونَ وَهامانَ زهاءَ أَلْفِ سَنَةٍ! ثمَّ إِنَّ فرعونَ كانَ ملكَ مِصْرَ، وكانَ هامانُ وزيراً في بابل! وما أَبْعَدَ الزمانَ والمكانَ بَيْنَ فرعونَ وَهامانَ، فكيفَ يكونُ هذا وزيراً لَذاك؟! وَيَقولُ سِفرُ أُستير في التوراة: إِنَّ هامانَ كانَ وزيراً وَخليلاًً لأَحْشَوِيرِش ملكِ الفرس، الذي يَدْعوهُ اليونانُ زَرْكيس!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٩.

يرى الفادي أنّ هامان لا يُمكنُ أن يكونَ وزيراً لفرعون، للفرقِ بينهما في الزمانِ والمكان، فرعونُ كانَ زَمَنَ موسى ﷺ، وهامانُ كانَ وزيراً للملكِ «أحشويرش»، وذلك بعدَ حوالي ألفِ سنةٍ من وفاة فرعون!!.

وأخذَ الفادي معلوماته من سفرِ أُستيرَ في العهدِ القديم، وهو السُّفْرُ الذي كَتَبَهُ أَحْبَارُ اليهود، وسَجَّلُوا فيه التفاصيلَ المثيرةَ لاستيلاءِ اليهودِ على الحكمِ في بلادِ فارس، وإبادةِ خصومِهِم من الفرسِ الوطنيّين.

وخلاصةُ سفرِ أُستيرَ أنّ «هامان» كانَ وزيراً عندَ الملكِ الفارسيِّ أحشويرش، وكانَ اليهوديُّ «مردخاي» يعملُ عندَ الملكِ، وحصلَ نزاعٌ بينَ هامانَ الفارسيِّ ومردخاي اليهودي، وتمكّنَ مردخايُّ من توصيلِ ابنةِ أخيه الفاتنةِ «أُستير» إلى الملكِ، حيثُ تزوّجَها، وتمكّنَ هامانُ من إقناعِ الملكِ بإصدارِ أمرِهِ بقتلِ اليهودِ في الدولةِ الفارسية، لما يقومون به من إفسادٍ وتخريبٍ. . لكنَّ الملكةَ أُستيرَ وعمَّها مردخاي تمكّنا من إلغائِ الأمرِ الملكيِّ السابق، وإصدارِ أمرٍ ملكيٍّ آخر، بإبادةِ مَنْ كانوا مع هامان، وقتلِ الملكِ وزيره هامان، وقضى على رجاله، وانتصرَ اليهودُ في صراعِهِم مع الفرسِ الوطنيّين، وتحكّموا في الدولةِ الفارسيةِ إلى حين، وخلّدَ الأحبارُ اليهودُ مؤامرةَ أُستير، بأنَّ جعلوها أحدَ أسفارِ التوراة^(١).

ونحن نتوقّفُ في قبولِ أخبارِ سفرِ أُستير، فلا نُصدّقُها ولا نُكذِّبُها، وهذا موقفنا من أخبارِ وأحداثِ العهدِ القديم ورواياتِ الإسرائيليات، الذي أرشدنا إليه رسولُ الله ﷺ، حيثُ قال: «إِذَا حَدَّثَكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، وَإِمَّا أَنْ تُكذِّبُوا بِحَقٍّ!». . . ومعلومٌ أنّ أحبارَ اليهودِ هم الذين أَلْفُوا وصاغُوا وكتبُوا أسفارَ العهدِ القديم، وأنَّهم ملأوها بالافتراءِ والكذبِ والادعاء، ونسبوا إلى الله زوراً وبُهتاناً، فهم ليسوا

(١) انظر حديثنا عن سفر أُستير في كتابنا: «جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم».

أمناء على التاريخ، وليسوا صادقين فيما يوردونه من أخبار وأحداث! ولذلك نتوقف في قبول كلامهم، فلا نصدقه ولا نكذبه!

وهب أن ما ورد في سفر أستير صحيح، وأن وزير أحشويرش اسمه هامان، فلا يلزم من ذلك أن يكون هامان وزير ملك فارس هو هامان وزير فرعون ملك مصر! إن هذا مستحيل، لوجود فترة زمنية طويلة بينهما قد تزيد على ألف سنة!

إنهما وزيران، كل منهما اسمه هامان:

هامان الأول: وهو الذي أخبر عنه القرآن، وكان الوزير عند فرعون، الذي يحكم مصر باسمه، ويُنفذ أوامره.

وهامان الثاني: وهو الذي ورد الكلام عنه في سفر أستير، وكان وزيراً عند ملك الفرس. وبين الوزيرين بُعد في المكان، وبُعد في الزمان.

وبهذا يسقط اعتراض الفادي، الناشئ عن جهله وغبائه، فوجود هامان الثاني عند ملك الفرس لا يلغي وجود هامان الأول عند فرعون. ومعلوم أن تكرار الأسماء أمر موجود في حياة الناس، لا ينكره عاقل!!



حول تعاون هامان وقارون مع فرعون

أخبر القرآن أن هامان وقارون كانا كافرين، متعاونين مع فرعون، وقرن القرآن بين الطغاة الثلاثة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَكَنَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣ - ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَتْرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَكَنَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

وقد سَبَقَ أَنْ اعْتَرَضَ الْقَسِيسُ الْفَادِي عَلَى كَوْنِ هَامَانَ وَزِيْرًا عِنْدَ
فِرْعَوْنَ، وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ فِي الْاِعْتِرَاضِ السَّابِقِ!.

وَأَعَادَ اِعْتِرَاضَهُ عَلَى هَامَانَ فِي سِيَاقِ اِعْتِرَاضِهِ عَلَى قَارُونَ، وَاعْتَبَرَ
هَذَا خَطَأً تَارِيخِيًّا فِي الْقُرْآنِ! قَالَ: «يَتَبَادَرُ لِلذَّهْنِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ قَارُونََ
وَهَامَانَ مِصْرِيَّانِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَأَنْهُمَا مَعَ فِرْعَوْنَ قَاوَمُوا مُوسَى فِي
مِصْرَ.. وَلَكِنْ هَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ قَارُونََ إِسْرَائِيلِيٌّ لَا مِصْرِيٌّ، وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى
لَا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿إِنَّ قَرُونََ كَانَتْ مِنْ
قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصاص: ٧٦]»^(١).

ذَكَرُ قَارُونََ وَهَامَانَ بِجَانِبِ فِرْعَوْنَ خَطَأً تَارِيخِيًّا فِي الْقُرْآنِ! هَذَا مَا قَرَّرَهُ
الْفَادِي الْعَبِي!!.

مَعَ أَنَّهُ لَا خَطَأً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَقَدْ صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِأَنَّ هَامَانَ كَانَ
الْوَزِيرَ الْأَوَّلَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ، يُنْفِذُ أَوْامِرَهُ، وَيُشْرِفُ عَلَى حُكْمِ مِصْرَ بِاسْمِهِ، وَهُوَ
مِصْرِيٌّ فِرْعَوْنِيٌّ.

أَمَّا قَارُونََ فَقَدْ كَانَ طَاعِيَةً مَعَ فِرْعَوْنَ، كَمَا صَرَّحَ الْقُرْآنُ: ﴿وَقَرُونََ
وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا
سَاقِيَةً﴾ [العنكبوت: ٣٩].

وَلَا يَلِزُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ قَارُونََ فِرْعَوْنِيًّا مِصْرِيًّا، كَمَا فَهَمَ الْفَادِي،
فَقَارُونََ إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ قَوْمِ مُوسَى، كَمَا صَرَّحَ الْقُرْآنُ: ﴿إِنَّ قَرُونََ كَانَتْ مِنْ
قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾. وَلَكِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِمُوسَى ﷺ، وَإِنَّمَا كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَهُ،
وَأَنْحَازَ إِلَى عَدُوِّهِ فِرْعَوْنَ، وَأَيَّدَهُ وَدَعَّمَهُ وَتَعَاوَنَ مَعَهُ فِي مَقَاوِمَةِ مُوسَى وَحَرْبِهِ
وَالْوُقُوفِ أَمَامَهُ؛ فَهُوَ إِسْرَائِيلِيٌّ كَافِرٌ، مُؤَيَّدٌ لِفِرْعَوْنَ الْمِصْرِيِّ!.

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يُخْطِئْ عِنْدَمَا جَمَعَ بَيْنَ الطَّغَاةِ الثَّلَاثَةِ: هَامَانَ
الْمِصْرِيِّ، وَقَارُونََ الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَفِرْعَوْنَ الْمِتَّأَلِ! وَاعْتِرَاضُ الْفَادِي عَلَى ذَلِكَ
دَلِيلٌ جَهْلُهُ وَغِبَائِهِ!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٩.

حول صنع السامري للعجل

أخبر القرآن أنه لما غاب موسى ﷺ عن قومه، وذهب إلى مناجاة ربه على جبل الطور، وترك فيهم أخاه هارون النبي ﷺ مسؤولاً، فتنتهم السامري، وأخذ ما معهم من حليّ وذهب، وصهره، وصنع منه عجلاً، ودعاهم إلى عبادته، على أنه إله لهم، ففعلوا...

قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أُتْرَىٰ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْتَمِسُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفُهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ [طه: ٨٣ - ٩٧].

تُصرح الآيات أن السامري هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، ولا تذكر الآيات شيئاً عن السامري غير صنع العجل. ولم يُذكر السامري في غير

هذه الآيات من سورة طه . ولا نَعْرِفُ نَحْنُ شَيْئاً عن بداية أمره، ولا عن علمه ومهارته، ولا عن نهايته، كلُّ ما أشار إليه القرآن أنَّ موسى ﷺ عاقبه بقوله: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ .

ونفهم من هذه الإشارة أنَّ موسى ﷺ عاقب السامريَّ على جريمته بطرده، وإخراجه من بين بني إسرائيل، ونَبَذَهُ، فذهب مَنبُوذاً مَطْرُوداً... ولا نَعْرِفُ كَيْفَ كَانَتْ وفاته ونهايته! .

وقد اعترض الفادي على هذا، وخطأ القرآن في حديثه عنه . وذلك في قوله: «ونحنُ نسألُ: السامرةُ مدينةٌ في فلسطين، لم يكن لها وجودٌ لَمَّا خرجَ بنو إسرائيل من مصر، وسافروا في سيناء، فعملَ لهم هارونُ العجلَ الذهبيَّ كطلبهم، فكيفَ نتخيَّلُ سامريّاً يصنعُ لهم العجلَ قبلَ أنْ يكونَ للسامريِّين وجوداً؟!»^(١) .

يربطُ الجاهلُ بين السامريِّ والسامريِّين والسامرة . وأرضُ السامرة هي منطقة نابلس المعروفة حالياً، ويدَّعي الفادي أنها لم تُسمَّ السامرة إلا بعد أن أقامَ فيها السامريُّون، وهم طائفةٌ معروفةٌ من بني إسرائيل، وسُمُّوا السامريِّين بعدَ وفاة موسى ﷺ بقرون . وبما أنَّ السامريَّ ابنُهم - حسبَ فهم الفادي القاصر - فكيفَ يكونُ موجوداً مع موسى ﷺ في سيناء؟ وكيف يولدُ الابنُ قبلَ أبيه وجده؟ إذنُ أخطأ القرآنُ عندما اتَّهمَ السامريَّ بصنعِ العجل، وذهب القرآنُ إلى أنَّ السامريَّ الابنُ خُلِقَ وعاشَ قبلَ مولدِ أبيه وجده!! .

لقد كان السامريُّ مع بني إسرائيلَ عندما كانوا في سيناء، ويبدو أنه إسرائيليٌّ خرجَ معهم من مصر، لكنه كان إسرائيليّاً كافراً، مثلَ قارونَ الذي تحدَّثنا عنه قبلَ قليل، ولذلك صنعَ لهم العجلَ ودعاهم إلى عبادته .

وبما أنَّ «السامريَّ» إسرائيليٌّ، كانَ معهم في مصر، فاسمُه إسرائيليٌّ، والكلمةُ إسرائيلية، ولها معنى في اللغة العبرية، ولهذا الاسمِ وجودٌ عند الإسرائيليين، سواء كان اسمَ شخصٍ أو اسمَ قبيلة!! .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٠.

وهذا معناه أن «السامريين» مجموعة من الإسرائيليين، قد يكونون فرعاً من قبيلة إسرائيلية، ولعلهم سُموا بهذا الاسم نسبةً لاسم «السامري»، ولعلهم كانوا من ذرية ذلك السامري الذي عاقبه موسى ﷺ بسبب صنعه العجل، والذي لا نعرف كيف كانت نهايته، فإذا كان أولاد وإخوة وأقارب، فمن الممكن أن يُسموا «السامريين»، وأن يكونوا معروفين بهذا الاسم من أيام موسى ﷺ!!.

ولما دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين المقدسة، كانت منطقة نابلس تُسمى أرض شكيم الكنعانية، وسميت أرض السامرة بعد ذلك، وهو اسم إسرائيليّ عبري، ولعلّ لعشيرة السامريين، المتولدة عن السامري صانع العجل دوراً في تسمية المنطقة بالسامرة، ولعلهم أقاموا في المنطقة، فسميت باسمهم!!.

فلا معنى لاعتراض الفادي على السامري في القرآن، واعتباره خطأً تاريخياً في القرآن، فالسامري أضلّ للسامريين والسامرة، وُجد قبلهم في الزمان. ومعنى «السامرة» في اللغة العبرية: «مركز المراقبة والحراسة».

جاء في كتاب «قاموس الكتاب المقدس»: «السامرة: اسم عبرانيّ معناه: مركز الحارس. وهي عاصمة الأسباط العشرة، أثناء أطول مدة في تاريخهم. والمدينة واقعة على تلّ، وسميت «مكان المراقبة»... وتقع مدينة السامرة - أو سبسطية - على تلّ على مسافة خمسة أميالٍ ونصف شمال غرب شكيم... والسامرة أيضاً اسم الإقليم الذي عاصمته مدينة السامرة، وهو الذي احتله الأسباط العشرة، والسامرة اسم المملكة الشمالية.. والسامريون هم السكان المتصلون بالمملكة الشمالية..»^(١).

إنّ ما قاله القرآن عن السامري هو الحقّ والصواب، ولا خطأ فيه، ولا اعتراض عليه، فهو قبل السامريين في التاريخ، وهم من نسله وذريته، ولذلك حملوا اسمه، ولما أقاموا في تلك المنطقة سميت باسمهم، فالصلة بين السامريّ والسامرة والسامريين وثيقة!!.

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٨ - ٤٥١ باختصار.

من هو أبو إبراهيم ﷺ؟

أخبر القرآن أن اسمَ والدِ إبراهيمَ ﷺ هو «آزر». قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وجعلَ الفادي هذا خطأً تاريخياً في القرآن، لأنه يتعارضُ مع الكتابِ المقدَّس. قال: «والصوابُ في التاريخ، كما يشهدُ الكتابُ المقدَّسُ أنَّ والدَ إبراهيمَ اسمه تارح، كما جاءَ في سفرِ التكوين»^(١).

اسمُ والدِ إبراهيمَ الواردُ في سفرِ التكوينِ «تارح»، ويَزعمُ اليهودُ والتَّصاري أنَّ العهدَ القديمَ كلامُ الله، أنزله على موسى وأنبياء بني إسرائيل ﷺ، مع أنَّ الله أخبرنا أنَّ الأحرارَ هم الذين أَلَّفوا العهدَ القديمَ، وكتبوه بأيديهم، ونسبوه إلى الله زوراً وبُهتاناً. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وهذا معناه أنَّه ليسَ كلُّ ما في العهدِ القديمِ من عندِ الله، وإنَّما كثيرٌ منه من عندِ الأحرارِ، وهذا ليسَ صحيحاً بالضرورة، فمنه الصحيحُ ومنه الخطأ. ومعنى هذا أنَّ نتوقَّفَ في قبولِ كلِّ ما وردَ في أسفارِ العهدِ القديمِ، ولا نقبلُ منه إلا ما وردَ في القرآنِ أو السنةِ مُصدِّقاً له. وما سكتَ عنه القرآنُ والسنةُ نتوقَّفُ فيه ونسكتُ عنه، فلا نصدِّقه ولا نُكذِّبه.

أما إذا وردَ خبرٌ في القرآنِ يختلفُ عن ما وردَ في أسفارِ العهدِ القديمِ، فإنَّ المعتمدَ هو ما وردَ في القرآنِ، لأنَّ ما في القرآنِ كلامُ الله قطعاً، لا شكَّ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٠.

ولا ريبَ فيه، وما خالفه فهو خطأ، وهو مما صاغه وكتبه الأخبار، ونسبوه إلى الله زوراً.. هذه قاعدة منهجية موضوعية في الصلة بين القرآن والعهد القديم.

ولا يجوزُ أن نحاكم القرآنَ الثابتَ الصحيحَ المحفوظَ إلى رواياتِ العهدِ القديمِ المشكوكِ فيها، كما فعلَ الفادي.

بالنسبة لوالدِ إبراهيمَ ﷺ، ذَكَرَ الأَحْبَارُ أَنَّ اسْمَهُ «تَارِح»، وَصَرَّحَ الْقُرْآنُ أَنَّ اسْمَهُ «آزِر». وَالْأَصْلُ أَنَّ نَعْتَمَدَ مَا صَرَّحَ بِهِ الْقُرْآنُ، لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ الثَّابِتُ وَالْمَحْفُوظُ، فَنَقُولُ: إِنَّ اسْمَهُ آزِر.

وَلَا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ الأَحْبَارُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِاسْمِ «تَارِح»! فِيمَا أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْمَانِ: آزِرُ وَتَارِحُ، فَذَكَرَ الْقُرْآنُ أَحَدَهُمَا وَذَكَرَ الأَحْبَارُ اسْمَهُ الثَّانِي، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا قَالَهُ الأَحْبَارُ خَطَأً، وَأَنَّ اسْمَهُ هُوَ آزِرُ فَقَطْ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَصْرُوحُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ.

فَالَّذِي أَخْطَأَ فِي اسْمِ وَالِدِ إِبرَاهِيمَ ﷺ لَيْسَ الْقُرْآنُ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا خَطَأَ فِيهِ، وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَخْطَؤُوا هُمُ الأَحْبَارُ عِنْدَ تَأْلِيفِهِمْ أَسْفَارَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَاتَّبَعُوا بِاسْمٍ يُخَالِفُ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ!!



حول أبي مريم وأخيها

ذَكَرَ الْقُرْآنُ اسْمَ وَالِدِ مَرْيَمَ ﷺ أَنَّهُ عِمْرَانُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ...﴾ [التحریم: ۱۲].

وَذَكَرَ اسْمَ أُخِيهَا أَنَّهُ هَارُونَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿۲۷﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ۲۷ - ۲۸].

ومن المعلوم أَنَّ اسْمَ والدِ موسى ﷺ عمرانُ، وَأَنَّ اسْمَ أَخِيهِ هَارُونُ ﷺ. فكيفَ يكونُ عمرانُ والدًا لموسى ولمريمَ، وبينَهُما مئآتُ السنين؟! وكيفَ يكونُ هَارُونُ أَخًا لموسى ولمريمَ، وبينَهُما مئآتُ السنين!؟.

اعتبرَ الفادي هذا خطأً تاريخياً في القرآن. قال: «ونحنُ نسأل: يَقولُ الإنجيلُ: إِنَّ مريمَ العذراءَ هي بنتُ هالي [لوقا: ٣/٢٣]، فكيفَ يَقولُ القرآنُ: إنها بنتُ عمرانِ أَبِي موسى النبي، وإِنها أُخْتُ هَارُونِ؟ معَ أَنَّ بَيْنَها وبينَ هَارُونِ وموسى وعمرانِ أَلْفًا وستمئةَ سنة!»^(١).

قالَ القرآنُ: اسْمُ والدِ مريمَ هو عمران.. وقالَ إنجيلُ لوقا: إِنَّ اسْمَهُ هو هالي! فما الذي نَأخُذُه ونقولُ به؟.

سبقَ أَنَّ ناقشنا هذا الأمرَ في الموضوعِ السابق، حولَ والدِ إبراهيمَ ﷺ، وَندعو إلى أَنَّ نَسْتَحضِرَهُ هنا، فما قُلْنَاهُ هناكَ عن التوراة، يَصْلُحُ أَنْ يُقالَ هنا عن الإنجيلِ.

إِنَّ المَعْتَمَدَ هو ما قالَهُ القرآنُ، لأنَّهُ هو المَحفوظُ الصوابُ، فاسْمُ والدِ مريمَ هو «عمرانُ»، واسْمُ «هالي» في إنجيلِ لوقا مردود، لتعارضِهِ معَ الاسمِ الواردِ في القرآنِ.

كيفَ عمرانُ والدُ موسى ووالدُ مريمَ؟ وكيفَ هَارُونُ أَخو موسى وَأخو مريمَ؟ وبينَ موسى ومريمَ أَلْفٌ وستمئةَ سنة؟ هذا خطأً تاريخياً في القرآنِ في نظرِ الفادي! وهذا بسببِ جهلِ الفادي وغباؤه.

إذا كانَ اسْمُ والدِ مريمَ عمرانَ، فلا يلزمُ أَنْ يكونَ هو عمرانَ والدَ موسى ﷺ، فهما رَجَلاَنِ كُلُّ منهما اسْمُهُ عمران. الأَوَّلُ: عمرانُ والدُ موسى ﷺ، والثاني: عمرانُ والدُ مريمَ.

وَهناكَ رَجَلاَنِ آخَرانِ، كُلُّ منهما اسْمُهُ هَارُون. الأَوَّلُ: هَارُونُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٠.

النبي ﷺ، أخو موسى ﷺ.. والثاني: هارونُ أخو مريمَ ﷺ.

ومن المعلوم أنَّ النَّاسَ الصَّالِحِينَ يُسَمَّونَ أبناءَهُم بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالصَّالِحِينَ السَّابِقِينَ، تَفَاوُلاً وَتَيَمُّناً وَبَرَكَهً، فَكَمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُسَمِّي ابْنَهُ
بِاسْمِ مُحَمَّدٍ، عَلَى اسْمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي ابْنَهُ عَلَى اسْمِ
عَمْرٍ أَوْ عَثْمَانَ أَوْ عَلِيًّا أَوْ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ.

فَلَمْ يَقَعْ الْقُرْآنُ فِي خَطَأٍ تَارِيخِيٍّ، عِنْدَمَا أُخْبِرَ أَنَّ اسْمَ وَالِدِ مَرْيَمَ عَلَى
اسْمِ وَالِدِ مُوسَى، وَاسْمَ أُخِيهَا عَلَى اسْمِ أَخِي مُوسَى. فَعِمْرَانُ وَالِدُ مَرْيَمَ غَيْرُ
عِمْرَانَ وَالِدِ مُوسَى، وَهَارُونُ أَخُو مَرْيَمَ غَيْرُ هَارُونِ أَخِي مُوسَى ﷺ، لِأَنَّ
بَيْنَ الْعِمْرَانِيِّينَ وَالْهَارُونِيِّينَ حَوَالِي أَلْفٍ وَسِتْمِئَةِ سَنَةٍ!!.

وَقَدِيمًا أَثَارَ الرَّهْبَانِ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ عَلَى الْقُرْآنِ، زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَحَلَّ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ.

رَوَى مُسْلِمٌ [بِرَقْمٍ: ٢١٣٥]، وَالتِّرْمِذِيُّ [بِرَقْمٍ: ٣١٥٥]، عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ
شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى نَجْرَانَ.
فَقَالُوا: أَلَسْتُمْ تَقْرَؤُونَ: ﴿يَتَأَخَّتَ هُرُونَ﴾؟
قُلْتُ: بَلَى!.

قَالُوا: وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا!؟.

فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتَهُ.

فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمَّونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ!».

عِنْدَمَا أَثَارَ أَحَدُ رَهْبَانِ نَصَارَى نَجْرَانَ الْإِشْكَالَ أَمَامَ الْمَغِيرَةِ بْنِ
شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمْ يَعْرِفْ بِمَاذَا يُجِيبُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ الرَّاهِبَ رَفَضَ أَنْ يَكُونَ هَارُونُ
أَخًا لِمَرْيَمَ، لِأَنَّهُ أَخٌ لِمُوسَى، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مِائَتِ السَّنِينَ.

فَلَمَّا سَأَلَ الْمَغِيرَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ ذَلِكَ أَجَابَهُ بِأَنَّ الصَّالِحِينَ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ كَانُوا يُسَمَّونَ أَبْنَاءَهُمْ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.. أَيُّ:
هُمَا رَجُلَانِ: هَارُونُ أَخُو مُوسَى، ثُمَّ هَارُونُ أَخُو مَرْيَمَ.

هل همَّ يوسفٌ عليه السلام بالزنى؟

أساء الفادي فهم إخبار القرآن عن ما جرى بين يوسف عليه السلام، وبين امرأة العزيز. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].

وذهب إلى أن القرآن اتهم يوسف عليه السلام بالهم بالزنى بامرأة العزيز، وقال: «أي: قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها، والهم بالشيء قصده والعزم عليه، ومنه «الهمام»، وهو الذي إذا قصد شيئاً أمضاه.

وهذا القول يناقض التاريخ المقدس الذي يقول: إنها لما طلبت منه الشر استنكر طلبها، وقال: كيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟!». ولما أمسكت بثوبه تركه معها وهرب^(١).

لم يفهم الفادي حديث القرآن عن مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، وردّه على إغرائها ودعوتها الجريئة له لارتكاب الفاحشة، ولم يفهم معنى الهم المذكور في الآية، واعتبر حديث القرآن الخاطيء متعارضاً مع حديث العهد القديم الصائب في نظره، وأخذ جملة من آيات عديدة تتحدث عن المراودة، وفصلها عن ما قبلها واعتبرها خطأ تاريخياً في القرآن.

ولا بد أن ننظر في الآيات التي أخبرت عن المراودة، لنعرف الهم المنسوب ليوسف عليه السلام.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٣) وَرَوَدَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتْلِصِينَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣١.

﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيْدَهَا لِدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿يوسف: ٢٢ - ٢٨﴾.

أخبر القرآن أنَّ امرأة العزيز راودت فتاها يوسف مراتٍ عديدة، وأنه كان يُقابلُ مراودتها وإغراءها وفتنتها بالتعفُّفِ والتَّرفُّعِ، وهذا ما اعترفتُ هي به لنساءِ المدينة: قال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْتُ﴾ [يوسف: ٣٢].

وازدادت المرأة عِشْقًا له، وكلَّما أمعنَ يوسفُ في تعفُّفه ورفضه المراودة أمعنتُ هي في عشقها وإغرائها وتهالكها!!.

واضطرت المرأة أخيراً إلى دعوته لمعاشرتها دعوةً جريئةً صريحةً مكشوفةً، بعدما غلقت الأبواب، لكنه ترفَّع بصراحة: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وسيطرتُ عليها شهوتُها، وزادَ سُعارُها الشَّهوانِي، وأرادتُ أن يُعاشِرَها بالقُوَّة، فَهَمَّتْ به، وعَزَمَتْ على مخالطته، وهَجَمَتْ عليه، والأبوابُ مُعَلَّقة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾.

ولما رأى يوسفُ نفسه في هذا الموقفِ المثير، أرادَ أن يتعفَّفَ ويحصِّنَ نفسه، فأمامه سيدته المتهالكة المثيرة المغرية، وهو الشابُّ القويُّ الممتلئُ، فما الذي يعصمه منها، ويحميه من فتنتها وإغرائها؟ وما الذي يمنعه من مقابلة هَمِّها بهمِّ منه؟ إنه قوةُ إيمانه ومراقبته لله!! لقد استحضَرَ هذا المعنى الإيماني، وهو في ذلك الموقفِ والجَوِّ، وقوى بُرهانَ ربِّه في قلبه وكيانه، فمنعه هذا من الهَمِّ بها، أو الرغبةِ في معاشرتها، أو التوجُّهِ إليها، والعزمِ على ارتكابِ الفاحشةِ معها!!.

وقد ذَكَرَ القرآنُ هذا في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ .
 إِنَّ هذه الآيةَ تَنفِي عن يوسفَ الهمَّ بارتكابِ الفاحشةِ، بعد أن أُثبِتَتْ
 لامرأةَ العزيزِ الهمَّ والعزمَ والتصميمَ على ارتكابِ تلك الفاحشةِ!! .
 وتتكوَّنُ الآيةُ من جملتين: الأولى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ . الثانية: ﴿وَهَمَّ
 بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ .

الواوُ في ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: حرفُ استئنافٍ، وليستَ حرفَ عطفٍ. ولو كانتَ
 حرفَ عطفٍ لَعَطَفَتْ جملةَ «هَمَّ بها» على «هَمَّتْ به»، ويكونُ هُمَّ كُلُّ منهما
 مِثْلَ هَمَّ الآخرِ، أي: هَمَّتْ هي بمعاشرتهِ، وهَمَّ هو بمعاشرتها! وهذا اتهامٌ
 ليوسفَ بالعزمِ على الزنى بها! .

وعندما تكونُ الواوُ حرفَ استئنافٍ، يكونُ ما بعدها جملةً استئنافيةً
 جديدةً، وهي جملةٌ شرطيةٌ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ .

لولا: حرفُ شرطٍ، يدلُّ على الامتناعِ لوجودِ. وفعلُ الشرطِ جملةٌ ﴿أَنْ
 رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وجوابُ الشرطِ مَحذوفٌ، دَلَّ عليه ما قَبْلَهُ. والتقدير: لَهُمَّ
 بها. فتكونُ الجملةُ هكذا: لولا أن رأى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهُمَّ بها.

وبما أنَّ «لولا» حرفُ امتناعٍ لوجودٍ، فإنَّها تُقَرَّرُ امتناعَ حصولِ جوابِ
 الشرطِ لوجودِ فعلِ الشرطِ. أي: الذي مَنَعَ يوسفَ من الهمِّ بها وجودُ
 بُرْهَانَ رَبِّهِ. والمرادُ ببرهانِ رَبِّهِ هنا قوةُ الإيمانِ في قلبه، واستحضارُه
 رقابةَ اللهِ وَمَعِيَّتَهُ، فكيف يعصيه ويرتكبُ فاحشةَ الزنى، واللهُ يراهُ وَيُرَاقِبُهُ،
 ولذلك رَدَّ على مراودةِ المرأةِ قائلاً: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ
 لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ .

إِنَّ قولَه تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يدلُّ على أَنَّ
 يوسفَ ﷺ لم يهَمَّ بامرأةَ العزيزِ مطلقاً، ولم يُفَكِّرْ بمعاشرتها، ولم يَلْتَفِتْ
 لها، في الوقتِ الذي هَمَّتْ هي به، وَعَزَمَتْ على معاشرتهِ.

وبهذا نَعَرَفُ جهلَ وَعَبَاءَ الفادي عندما اتَّهَمَ يوسفَ بالهمِّ بامرأةَ العزيزِ،

والعزم على مخالطتها ومعاشرتها، وذلك في قوله: «قَصَدْتُ مُخَالَطَتَهُ، وَقَصَدْتُ مُخَالَطَتَهَا».

أما ما نَقَلَهُ الفادي المفترى عن سِفْرِ التكوين: «أَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ لَمَّا أَمْسَكَتْ بِثَوْبِهِ تَرَكَ الثَّوْبَ مَعَهَا وَهَرَبَ» فهذا ليس صحيحاً، وهو يتعارض مع ما ذَكَرَهُ القرآن.

قَالَ الْأَحْبَارُ فِي سِفْرِ التكوين عن المراودة: «كَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الْهَيْئَةِ، جَمِيلَ الْمَنْظَرِ... وَحَدَّثَ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ، وَقَالَتْ لَهُ: اضْطَجِعْ مَعِي! فَأَبَى وَقَالَ لَهَا: سَيِّدِي لَا يَعْرِفُ شَيْئاً فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا يَمْلِكُهُ ائْتَمَنِي عَلَيْهِ، وَسَيِّدِي لَمْ يَمْنَعْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكَ، لِأَنَّكَ امْرَأَتُهُ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذِهِ السِّيئَةَ الْعَظِيمَةَ، وَأَخْطِئُ إِلَى اللَّهِ؟!».

وَكَلَّمْتُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا وَيَنَامَ مَعَهَا، فَلَمْ يَسْمَعْ لَهَا! .
وَاتَّفَقَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَقُومَ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَمْسَكَتْ بِثَوْبِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: ضَاجِعْنِي!.. فَتَرَكَ ثَوْبَهُ بِيَدِهَا، وَفَرَّ هَارِبًا إِلَى الْخَارِجِ.

فَصَاحَتْ بِأَهْلِ بَيْتِهَا، وَقَالَتْ لَهُمْ: انظُرُوا كَيْفَ جَاءَنَا بِرَجُلٍ عِبْرَانِيٍّ، لِيُدَاعِبَنَا وَيَتَلَاعَبَ بِنَا... دَخَلَ عَلَيَّ لِيُضَاجِعَنِي، فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي... وَلَمَّا سَمِعَنِي أَصْرُخُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي، وَفَرَّ هَارِبًا إِلَى الْخَارِجِ! .

وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ ثَوْبَ يُوسُفَ بِجَانِبِهَا، حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا إِلَى بَيْتِهِ، فَحَكَّتْ لَهُ الْحِكَايَةَ ذَاتَهَا. قَالَتْ: هَذَا الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ، دَخَلَ لِيُدَاعِبَنِي، وَعِنْدَمَا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ...

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ غَضِبَ عَلَى يُوسُفَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَجَعَلَهُ فِي السِّجْنِ^(١).

(١) سفر التكوين: ٣٩/٧ - ٢٠.

وما أَخْبَرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ يَخْتَلِفُ عَنْ مَا قَالَه الْأَخْبَارُ. فلما استعصَمَ يوسفُ أَمَامَ إِغْرَائِهَا، ولم يَهَمَّ بِهَا هَرَبَ مِنَ الْغُرْفَةِ، التي كانت المرأة قد أَغْلَقَتْ بَابَهَا، ولحَقَّتْ هي به لتُعِيدَهُ، واستَبَقَا الْبَابَ، وما أَنْ فَتَحَ الْبَابَ حَتَّى وَجَدَ زَوْجَهَا عِنْدَ الْبَابِ، فَسَارَعَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى اتِّهَامِ يَوْسُفَ، ودافعَ هو عن نفسه.. وأخْبَرَ الزَّوْجُ أَحَدَ أَهْلِهَا بِمَا جَرَى، ودعا الشَّاهِدَ الْحَكْمُ إِلَى مَلاحِظَةِ قَمِيصِ يَوْسُفَ، فَإِنْ كَانَ قُدَّ مِنَ الْأَمَامِ فَصَدَقَتْ هِيَ فِي كَلَامِهَا، لِأَنَّهُ يَكُونُ هُوَ الَّذِي اعْتَدَى عَلَيْهَا، وهي تُدافعُ عن نفسها، وَإِنْ كَانَ قُدَّ مِنَ الْخَلْفِ يَكُونُ هُوَ الصَّادِقَ وَهِيَ الْكَاذِبَةَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ هَارِباً مِنْهَا، وهي تَلْحَقُهُ لِتُدْرِكَهُ، فلما رأى الْقَمِيصَ قُدَّ مِنَ الْخَلْفِ عَرَفَ بَرَاءَةَ يَوْسُفَ وَجَرِيمَةَ امْرَأَتِهِ!.. قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿يوسف: ٢٥ - ٢٩﴾.



كيف دعا نوح على قومه بالضلال؟

أخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ نُوْحٍ ﷺ أَنَّهُ دَعَا عَلَى قَوْمِهِ بِالضَّلَالِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤].

واعتبرَ الْفَادِي هَذَا خَطَأً فِي الْقُرْآنِ، لا يَتَّفِقُ مَعَ نُبُوَّةِ نُوْحٍ ﷺ وَبِرِّهِ. ولذلك اعترضَ على الْقُرْآنِ قَائِلًا: «كَيْفَ يَدْعُو نُوْحٌ رَبَّهُ أَنْ يَزِيدَ النَّاسَ ضَلَالًا؟! كما أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ مَصْدَرَ الضَّلَالِ، وَنُوْحٌ نَفْسُهُ لَا يُحِبُّ الضَّلَالِ،

والتاريخُ الْمُقَدَّسُ يَشْهَدُ لَهُ: «كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا فِي أَجْيَالِهِ» (تكوين: ٩/٦) (١).

فَهَمَ الْفَادِي الْغَيْبِيُّ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ نُوحًا يُحِبُّ ضَلَالَ النَّاسِ، وَلِذَلِكَ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَزِيدَهُمْ ضَلَالًا، وَنَسَبَ الضَّلَالَ إِلَى اللَّهِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَصْدَرُ الضَّلَالِ! وَاعْتَبَرَ هَذَا خَطَأً مُنْكَرًا مَرْدُودًا، وَلِذَلِكَ نَزَّهَ نُوحًا عَنْهُ!.

إِنَّ نُوحًا نَبِيٌّ رَسُولٌ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ، وَمَحَبٌّ لِهَدَايَتِهِمْ، وَهُوَ لَا يُحِبُّ ضَلَالَهُمْ وَانْحِرَافَهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ يَدْعُو قَوْمَهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَلَمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ.

مَتَى دَعَا نُوحٌ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ بِالضَّلَالِ؟.

بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَصْنَعَ السَّفِينَةَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَ كَبَاغَيْنَا وَّوَحَيْنَا وَلَا تَخْطُبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٦ - ٣٧].

وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَهْمَا دَعَاهُمْ فَلَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، لِاخْتِيَارِهِمُ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ، مَهْمَا دَعَاهُمْ وَرَغَّبَهُمْ وَحَرَصَ عَلَيْهِمْ؛ فَمَاذَا يَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَمَامَهُ إِلَّا الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مَعْصُوفٍ وَاتَّبَعُوا مِن لَّدُنِّي مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٦﴾ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَا نَنْدُرُكَ الْهَتَكُ وَلَا نَنْدُرُكَ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوتَ وَيَعُوقَ وَشَرًّا ﴿٣٨﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٣٩﴾ مِمَّا خَطَبْتَنِيهِمْ أُعْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٤٠﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَنْدِرْ عَلَيَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٤١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٤٢﴾﴾ [نوح: ٢١ - ٢٧].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣١.

لم يكن نوحٌ ﷺ مخطئاً في الدعوة على قومه، لأنه ما دعا عليهم إلا بعد أن اختاروا الكفر والضلال، وأصرُّوا عليه.. لقد كفروا وضلُّوا، وأضلُّوا كثيراً، وكانوا دُعاة ضلالٍ وإفسادٍ للآخرين.

لقد دعا على الضالِّين أن يزيدهم الله ضلالاً، لأنهم هم الذين أرادوا الضلالَ وطلبوه واختاروه، ودعا على الكافرين أن يهلكهم الله ولا يُبقي منهم دياراً، لأنَّهم إن بقوا فسوف يُضِلُّون الآخرين!

وبذلك نعرف أن نوحاً ﷺ كان على صوابٍ في دعائه على القوم الكافرين بالهلاك، وعلى القوم الضالِّين بالزيادة من الضلال!



هل نجا فرعون من الغرق؟

اعتبر الفادي القرآنَ مُتناقضاً في حديثه عن نهاية فرعون، وهذا التناقضُ خطأً، يطعنُ في صححة القرآن!!.

أخبر القرآن أن الله أغرق فرعونَ في الماء. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمُنُّ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٣٨ - ٤٠].

وأخبر القرآن أن الله أنجى فرعونَ من الغرق. كما فهم القسيسُ الفادي. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلِيمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَأَيُّ وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ ءَأَيْتِنَا لَغٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

فهل أخطأ القرآن في حديثه عن نهاية فرعون؟ وهل تناقض في إخباره عن غرقه؟.

لقد كان كلام القرآن عن غرق فرعون وجنوده واضحاً صريحاً محدداً. فلما لحق فرعون وجنوده موسى ﷺ وأتباعه، أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه، وشق لهم طريقاً في البحر يبساً، ولما لحقهم فرعون وجنوده أطبق الله عليهم البحر، فأغرقهم جميعاً.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿طه: ٧٧ - ٧٩﴾.

إن الضمير «هم» في قوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾ يعود على فرعون وجنوده. وهذا تصريح بأن فرعون وجنوده أغرقوا جميعاً.

وقال ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَيْنَأْنَا مُوسَىٰ وَمَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿الشعراء: ٦٣ - ٦٦﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَمَجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنزَلْنَا نَظْرًا ﴿البقرة: ٥٠﴾.

ومن باب التأكيد على وفاة فرعون غرقاً نص القرآن على ذلك. قال تعالى: ﴿وَجَوزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿يونس: ٩٠ - ٩٢﴾.

لقد أتى القسيس الفادي من قبل جهله وغفلته وغباهه، فقهم الآية فهماً خاطئاً، وخرج منها بغير ما سيقنت له! فهم من جملة: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً﴾ أن الله أنجى فرعون من الغرق، وخرج من البحر

حَيًّا، وعادَ إلى مملكته ليُواصلَ حُكْمَها!! وهذا فَهْمٌ خاطئٌ للآية .
تُقرِّرُ الآيةُ عَرَقَ فرعونَ وموته، وتَصِفُ اللحظاتِ الأخيرةَ من عمرِ
فرعون، قبلَ خُرُوجِ روحِهِ تحتَ الماءِ .

ومعنى «فلما أدركه الغرق»: لما أحاطَ به العَرَقُ من كلِّ جانب، وأتاهُ
من كلِّ مكان، من تحته وفوقه، وعن يمينه وشماله، ورأى الموتَ بعينيه،
وأيقنَ بالهلاكِ . .

عند ذلك أعلنَ إسلامه وإيمانه بالله، وصرَّحَ قائلاً: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾!! .

ومن المعلوم أن الإيمانَ عند «الغرغرة» قبيلَ خُرُوجِ الروحِ غيرُ مقبول،
ولذلك رَدَّ عليه مَلَكُ الموتِ المكَلَّفُ بقبضِ روحِهِ قائلاً: ﴿ءَأَتْنَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾؟ وهذا معناه أن إيمانَ فرعونَ لم يقبله الله .

وقبيلَ قبضِ روحِ فرعون وهو تحتَ الماءِ قالَ له المَلَكُ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ
بِيَدِنَا لِنَكُونََ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً﴾ .

وليس معنى جملة: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا﴾: اليومَ نُنقِذُكَ من العَرَقِ،
ونُخرِجُكَ حَيًّا من تحتِ الماءِ .

إنَّ مَعْنَاهَا: عندما تَخْرُجُ رُوحُكَ، ويُصبِحُ جِسْمُكَ جُثَّةً هامدة، لن نتركَ
بَدَنَكَ يَسْقُطُ في الماءِ إلى قاعِ البحرِ، وَلَنْ نَجْعَلَ بَدَنَكَ طَعَاماً لِحيتانِ البحرِ
وَأَسْمَاكِه - وبالذاتِ سَمَكُ القَرشِ المِفترسِ الذي يملأُ البحرَ الأحمرَ - وإنما
سَنُنَجِّي بَدَنَكَ الهامِدَ الذي خَرَجَتْ منه الروحُ، وسنأمُرُ الحيتانَ أن لا تَأْكُلَهُ،
وسنأمُرُ الماءَ أن يحملَكَ، وسنأمُرُ الموجَ أن يُلقِيكَ على الشاطئِ، وسيكونُ
بَدَنُكَ ناجياً هامداً، وسيكونُ مُلقىً على الشاطئِ، وسيكونُ آيَةً لِمَن خَلَقَكَ،
وهم الأحياءُ من جنودِكَ وقومِكَ، فعندما يُشاهدونَ بَدَنَكَ جثَّةً هامدة سيَعرفونَ
أنكَ لَسْتَ إِلَهاً كما زَعَمْتَ، وإنما أَنْتَ بَشَرٌ مخلوقٌ ضعيفٌ، والأصْلُ أن
يَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا بذلكِ! .

وبهذا نعرفُ أنَّ القرآنَ لم يُخطئْ في حديثه عن فرعون، ولم يَقَعْ في تناقض، والتقت آياته على تقريرِ حقيقة موتِ فرعونَ عَرَقاً، والاحتفاظِ بجثته، لتكونَ آيةً لمن خَلَفَهُ!!.



بين زكريا ومريم!!

أخبرَ القرآنُ أنَّ اللهَ جعلَ النبيَّ زكريا عليه السلام يكفلُ مريمَ عليها السلام. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرًاثُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿آل عمران: ٣٥ - ٣٧﴾.

واعتبرَ القسيسُ الفادي هذا خطأً تاريخياً وَقَع به القرآن، لأنَّه يُناقضُ ما في الكتابِ المقدَّس - العهدِ القديمِ والعهدِ الجديد - والمعتمِدُ عند الفادي هو ما في الكتابِ المقدَّس طبعاً.

قال في تخطيطه للقرآن: «وهذا يُناقضُ وقائعَ التاريخ، فمريمُ ابنةُ عمِرام - حسبَ التوراة - لم تتزوَّجَ ولم تَلِد، وهي أختُ هارون، واسمُ أمِّها يوكابد..»

والمرأةُ الوحيدةُ التي نذرتُ ما في بطنها هي حَنَّةُ، أمُّ النبيِّ صموئيل.. ولم يَرِدْ أنَّ زكريا كانَ يقيمُ في الهيكلِ في أورشليم، حتى يكفلَ مريمَ هناك، لأنَّ زكريا من حَبْرُونَ، ولا يأتي لِيخدمَ في الهيكلِ إلاَّ بالقرعة، ولمدةِ خمسةِ عَشَرَ يوماً في السنة (لوقا: ١/٥ - ٤٠)، ولا يُقيمُ أحدٌ في المحرابِ أو يدخلُ فيه إلاَّ رئيسُ الكهنة، مرةً واحدةً فقط في السنة، في يومِ الكفارةِ العظيم، بدمِ

ذبيحة، لِيُكْفَرَ عن خطايا الشعب (الملوك الأول: ٦/٨ و ٨، و ١٦/٩).
ولم يكفل زكريا مريم، لأنها من سبط يهوذا، وزكريا من سبط لاوي
(عبرانيين: ١٤/٧) وكان زكريا يُقيم في حبرون، بينما كانت مريم تقيم في
الناصره...»^(١).

المرجع عند الفادي هو الكتاب المقدس، وهو عنده الحَكَم على كل ما
سواه، وما وردَ فيه فهو الصَّحيح والصواب، وما خالفه فهو الخطأ!! ولذلك
هو «يُحاكَم» القرآن إلى كتابه، وأيُّ كلام في القرآن اختلفَ مع ما في كتابه
فهو الخطأ.. وهو لا يؤمن أنَّ القرآن من عند الله، ولذلك يُجيزُ وقوع القرآن
في الخطأ، لأنه كلام بشرٍ يُخطئُ ويصيب!!.

وحاكم ما وردَ في القرآن عن زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وما وردَ عن
نشأة مريم عليها السلام إلى ما في كتابه الذي يؤمنُ به، وذكر ما وردَ في كتابه بهذا
الموضوع، واعتبر القرآن مخطئاً في حديثه عنه!
ونعتقد أنَّ ما يفعله القسيس الفادي خطأً منهجياً وَقَعَ فيه، وخلافنا معه
خلاف جذريٍّ أساسيٍّ منهجي.

إننا نوقن أنَّ القرآن كلام الله، وهو يُنكر ذلك، ونحن نوقن أنه لا خطأً
في القرآن، وهو يُثبت ذلك، ونحن نوقن أنَّ اليهود حَرَّفوا التوراة في أسفار
العهد القديم، وهو ينفي ذلك، ونحن نوقن أنَّ النَّصارى حَرَّفوا الإنجيل، وهو
ينفي ذلك! ومرجعنا القرآن، وهو يرفض أن يكون مرجعاً له، ومرجعُه هو
الكتاب المقدس ونحن نرفض أن يكون مرجعنا.

نرفض أن يتعامل الفادي مع القرآن على هذا الأساس، ونرفض الأحكام
التي يخرج بها من مقارنته بين القرآن والكتاب المقدس. فالصواب هو ما ذكره
القرآن عن ما يتعلق بمريم وزكريا عليهم السلام، وما قاله الكتاب المقدس مخالفاً لما
قاله القرآن نجزم بأنه خطأ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٢.

يَقُولُ الفادي معتمداً على الكتاب المقدّس: المرأة التي نَذَرَتْ ما في بطنها هي «حَنَّة» أُمُّ صموئيل.. وهذا كلامٌ نتوقّف نحنُ فيه، فلا نُنْفِيهِ ولا نُثَبِّتُهُ، والله أعلمُ بصحّته.. وقد أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّ المرأةَ التي نَذَرَتْ اللهُ ما في بطنها هي امرأةُ عمران. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥ - ٣٦].

لم يذكر القرآن اسمَ امرأةِ عمران، كما أنه لم يردْ ذكْرُ لها في الحديث الصحيح عن رسولِ الله ﷺ، وهو من «مُبَهَمَاتِ الْقُرْآنِ» التي لا نحاولُ بيانها، ونقول: اللهُ أعلمُ باسمِها.

كانت امرأةُ عمرانَ صالحةً عابدةً لله، ولما كانت حاملاً نَذَرَتْ ما في بطنها خالصاً لله، ولا نعرفُ مُلابساتِ هذا النذر، وكأنها كانت تَتَمَنَّى لو كان ما في بطنها ذكراً، ولما وَضَعَتْ حَمْلَهَا كانت أنثى، فاستمرت على نذرِها، وجعلت المولودةَ الأنثى اللهُ، وسَمَّيْتُها مريم، ودَعَتْ اللهُ أَنْ يَحْفَظَهَا وَيَرْعَاهَا.

فمريمُ هي ابنةُ عمران بنصِّ القرآن. قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

ونفى القسيسُ الفادي ما وردَ في القرآن، فمريمُ عنده هي «مريمُ بنتُ عِمران»، بالميم وليس بالتون، ولها أُخُّ اسمُه هارون، واسمُ أمِّها يوكابد.. وهذا كلامٌ نتوقّف نحنُ فيه، كلُّ ما نقولُه: مريمُ التي نعرفُها هي مريمُ بنتُ عمران، ولا نعرفُ اسمَ أمِّها التي نَذَرْتُها اللهُ، ولها شقيقٌ اسمُه هارون.

ويرى الفادي أَنَّ زكريّا من سَبْطِ لاوي، ومريمُ من سَبْطِ يهوذا، فلا قرابةَ ولا صلةَ بينها وبينه، فكيفُ يكفلُها؟!.

وهذا كلامٌ نتوقّف فيه، فلا نعرفُ السَّبْطَ الذي يتنسَّبُ له النبيُّ زكريّا ﷺ، ولا الذي تتنسَّبُ له مريمُ ﷺ، لعدمِ ذكرِه في مصادِرنا الإسلاميةِ الصحيحة.

ويرى الفادي أنَّ زكريَّا من حَبْرُونَ - الخليل - وأنَّ مريمَ كانت تُقيمُ في الناصرة شمالَ فلسطين، والمسافةُ بينهما بعيدة، فكيفَ يكفلُها؟! . وهذا كلامٌ نتوقَّفُ فيه أيضاً.

الذي نقولُ به هو ما وردَ في القرآن، من أنَّ اللهَ حفظَ مريمَ عليها السلام، وأنَّ العابدينَ تنازَعوا فيها، كلُّهم يريدُ أنْ يكفلَها، فافتَرَعوا قرعة، على أنْ يلقوا أقلامهم، وفازَ زكريَّا بالقرعة، وبذلك قامَ بكفالتِها، وبقيتُ في كفالتِهِ حتى كبرت. قالَ تعالى: ﴿فَنَقَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمَرِّمُ أَنَّ لِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقالَ تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفَلَمْهُمْ آيُهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمًا وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وتدلُّ مصادرنا الإسلامية على وجودِ صلةٍ قرابةٍ بينَ مريمَ وزكريَّا، فقد أخبرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنَّ عيسى ويحيى عليهما السلام أبناءُ الخالة، وهذا معناه أنَّ أمَّ يحيى وأمَّ عيسى أختان، فامرأةُ زكريَّا عليها السلام هي أختُ مريمَ الكبرى، وبكفالةِ زكريَّا مريمَ تكونُ مريمُ قد عاشتُ عندَ أختِها، لترعاها وتعهدها!! .



حول انتباز مريمَ مكاناً شرفياً

أخبرنا اللهُ في القرآن أنَّ مريمَ انتبذتُ من أهلِها مكاناً شرفياً. قالَ تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرِيْمَ إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ١٩].

ورفضَ الفادي هذا الكلامَ، واعترضَ عليه، وقالَ بتهكُّمٍ وسخريةٍ: «لا

يَذْكُرُ الْقُرْآنَ لِمَاذَا انْتَبَذَتْ مَرِيْمُ الْعِذْرَاءُ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، وَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا، قَبْلَ أَنْ تُبَشِّرَ بَعِيسَى.. هَلْ كَانَتْ فِي مَشَاجِرٍ مَعَ أَهْلِهَا، وَهَمَّ الْمَشْهُورُونَ بِالتَّقْوَى؟ وَلِمَاذَا تَسَكَّنُ فَتَاةُ عِذْرَاءٍ بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهَا، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ فِي الْمِحْرَابِ فِي كَفَالَةِ زَكَرِيَّا؟ وَيَقُولُ الْإِنْجِيلُ: إِنَّ مَرِيْمَ كَانَتْ فِي النَّاصِرَةِ، وَهِيَ مَخْطُوبَةٌ لِيُوسُفَ النَّجَارِ»^(١).

يُنْكَرُ الْفَادِي أَنْ تَكُونَ مَرِيْمُ ﷺ قَدْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَلِمَاذَا تَبْتَعُدُ عَنْهُمْ؟ هَلْ اخْتَلَفَتْ مَعَهُمْ؟ وَهَلْ طَرَدَوْهَا؟ وَكَيْفَ تَرْضَى أَنْ تَبْتَعُدَ عَنِ النَّاسِ، وَأَنْ تَبْقَى وَحِيدَةً وَهِيَ الْفَتَاةُ الْعِذْرَاءُ؟ أَلَا تَخْشَى أَنْ يَبْطِشَ بِهَا أَوْ يَعْتَدِي عَلَيْهَا أَحَدُهُمْ؟ وَكَيْفَ قَالَ الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ مَرِيْمَ: إِنَّهَا انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَابْتَعَدَتْ عَنْهُمْ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ أَخْبَرَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْمِحْرَابِ عِنْدَ زَكَرِيَّا كَفِيلِهَا؟.

وَتَسْأُولَاتٌ وَاعْتِرَاضَاتٌ الْفَادِي لَا مَعْنَى لَهَا، وَالْقُرْآنُ لَمْ يَتَنَاقَضْ فِي

حَدِيثِهِ عَنِ مَرِيْمَ ﷺ.

أَخْبَرَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ أَنَّ اللَّهَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا وَهِيَ طِفْلَةٌ، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهَا كَمَا ذَكَرْنَا، فَنَشَأَتْ عِنْدَهُ ﷺ، وَكَانَتْ عَابِدَةً لِلَّهِ فِي مِحْرَابِ بَيْتِهِ وَمَكَانِ صَلَاتِهِ، بَيْنَمَا كَانَ يُؤْمِنُ لَهَا حَاجَتَهَا مِنَ الطَّعَامِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَقَّبَلْنَا رُبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتْنَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلْنَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَيْمُ إِنَّ لِي لَكِبًا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وَكَانَتْ مَرِيْمُ مُتَفَرِّغَةً لِلْعِبَادَةِ، حَيْثُ مَلَأَتْ عَلَيْهَا وَقْتُهَا، وَأَنْفَقَتْ فِيهَا عُمْرَهَا، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى غَيْرِهَا.

وَلَعَلَّهَا لِأَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ كَانَتْ تَنْتَبِذُ عَنْ أَهْلِهَا، وَتَذْهَبُ إِلَى مَكَانٍ هَادِيٍّ، تَعْتَزِلُ فِيهِ مُتَعَبِدَةً، وَكَانَ أَهْلُهَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَكَانُوا عَابِدِينَ صَالِحِينَ،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٣.

وكانوا يقومون على رعايتها وحمايتها وحراستها، ورُهيِّنون لها جَوَّ العبادة، في المكانِ القَصِيّ الشرقي، الذي اختارته شرقيّ مكانِ إقامة أهلها، والذي كانت تتخذُ فيه من دونهم حجاباً.

فهي لم تكن بعيدةً عن عُيونِ وحمايةِ أهلها، ولم تكن فتاةً وحيدةً في مكانٍ بعيد، عُرْضةً للخطرِ والأذى، إنما كان أهلها حارسين لها مُحافظين عليها.

ولم يُحدِّد القرآن - ولا الحديثُ الصحيح - المدينةَ التي كانت تُقيمُ فيها مريمُ عابدةً لله، ولم يُحدِّد المكانَ الشرقيّ الذي كانت تعتزلُ فيه لعبادةِ الله، ولم يُحدد المدةَ التي أقامتها في ذلك المكان. كلُّ هذا من مبهماتِ القرآن التي لم يردْ بيانٌ لها في مصادرنا الإسلامية . .

أما ما قاله الفادي من أنّ مريمَ كانت تُقيمُ في الناصرة، في شمالِ فلسطين، فهذا مما نتوقَّفُ فيه، فلا نُكذِّبه ولا نُصدِّقه، لعدمِ ورودِ دليلٍ عليه عندنا . . كذلك نتوقَّفُ في ادِّعائه أنّ مريمَ عليها السلام كانت مخطوبةً ليوסף النجار!! .



حول ولادةِ مريم وكلام وليدها

أخبرنا الله أنه بعدما نفخَ جبريلُ في مريمَ عليها السلام، حملتْ بعيسى عليه السلام، وابتعدتْ عن أهلها مكاناً قصياً، وهناك وضعتْ وليدها تحت نخلة، وأنَّ الله أنطقه وهو في الدقائق الأولى من عمره، وأرشدَها إلى التصرفِ المناسب.

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَوَدَّعْتُهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّي خَتَمَكَ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَلِّطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَبِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكَلِمَةَ أَشْرَىٰ وَقِرَىٰ عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢ - ٢٦].

ورفض الفادي ما ورد في القرآن، واعتبره خطأ تاريخياً، لمخالفته ما ورد في كتابه المقدس. قال: «لقد ولدت مريمُ السيد المسيح في بيت لحم، كما تنبأ أنبياء التوراة بذلك قبل حدوثه بمئات السنين، وليس بجوار جذع نخلة!.. ووضعت وليدها في مذود [لوقا: ١/٢ - ٢٠] وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهز جذع النخلة، وتأكل من البلح، وتشرب من الجدول، فإذا مرَّ بها أحدٌ تقول: إني نذرتُ للرحمنِ صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً! فأين الصومُ وهي الآكلةُ الشاربةُ المتكلمةُ؟!»^(١).

يرى النَّصاري أن مريمَ ولدت عيسى ﷺ في بيت لحم.. وورد حديثٌ عن رسولِ الله ﷺ بهذا المعنى..

روى النَّسائي عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «أتيتُ بدابةً فوقَ الحمار، ودونَ البغل، حَطُّوها عندَ مُنتهى طرفِها، فركبتُ، ومعِي جبريلُ ﷺ»..

فَسِرْتُ.. فقال: انزِلْ فَصَلِّ. فنزلتُ فصَلَّيتُ.. فقال: أتدري أينَ صَلَّيتُ؟ صَلَّيتُ بطَيِّة، وإليها المهاجر..

ثم قال: انزِلْ فَصَلِّ. فنزلتُ فصَلَّيتُ.. فقال: أتدري أينَ صَلَّيتُ؟ صَلَّيتُ بطورِ سيناء، حيثُ كَلَّمَ اللهُ ﷻ موسى ﷺ!..

ثم قال: انزِلْ فَصَلِّ.. فنزلتُ فصَلَّيتُ.. فقال: أتدري أينَ صَلَّيتُ؟ صَلَّيتُ ببيت لحم، حيثُ وُلِدَ عيسى ﷺ»..

ثم دخلتُ بيتَ المقدس، فجمَع لي الأنبياءُ رضي الله عنهم، فقدمني جبريلُ حتى أَمَّمْتُهُمْ^(٢).

يُخبرُ رسولُ الله ﷺ عن المحطَّاتِ التي مرَّ بها في ليلةِ الإسراء، عندما أُسْرِيَ به من مكة إلى بيت المقدس، حيثُ أمره جبريلُ ﷺ أن ينزلَ ويصليَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٣. (٢) أخرجه النسائي، برقم (٤٥٠).

في المدينة، التي سيجر إليها، وسيموت ويُدْفَنُ فيها. . . وأن ينزل ويصلي في طور سيناء، حيث كلم الله نبيه موسى ﷺ. . . وأن ينزل ويصلي في بيت لحم، حيث كانت ولادة عيسى ﷺ. . .

ولم تتحدث الأناجيل عن النخلة التي ولدت مريم ابنتها عيسى تحتها، ولذلك خطأ الفادي القران في حديثه عن النخلة، وأنكر أن يكلمها ابنتها من تحتها، ويوجهها إلى التصرف المناسب!!.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَجَّأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: جاء المخاض بمریم إلى جذع النخلة، واضطرها إلى القُدم، وأكرهها على المجيء.

والمخاض: آلم الطلق التي تأخذ المرأة، عندما تدنو ساعة ولادتها! . . . وكأن هذا المخاض شخص قوي شديد، يخضع مريم له إخضاعاً ويدفعها دفعا، ويكرهها ويضطرها، ويجعلها تسير أمامه مضطرة، إلى أن تستند إلى جذع النخلة، وتعمد عليها. . .

وجذع النخلة الذي تقوم عليه. . . وإضافة الجذع إلى النخلة تدل على أنها نخلة حية خضراء نامية، وليس جزءاً مقطوعاً يابساً ملقى على الأرض. . .

وما هي إلا لحظات قصيرة قضتها مريم تحت جذع النخلة، حتى ولدت ابنتها: ﴿فَلَجَّأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾.

وما هي إلا لحظات حتى خاطبها ابنها الذي أنطقه الله، فكلمها بوضوح. . . قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا مَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٤﴾ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فَسَلِّطْ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ﴿١٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

استغرب الفادي أن يكلم الوليد أمه بعد لحظة من ولادته، لأن هذا لا يكون في عالم المواليد! ومن الذي قال: إن كلامه لها كان كلاماً عادياً مألوفاً معتاداً، حتى يستغرب ذلك؟!.

لقد كان الوليدُ معجزةً خارقةً للعادة، والله هو الذي أنطقه، وبما أن هذا من أمرِ الله فلا غرابة فيه، لأنَّ الله فعَّالٌ لما يُريد، وإذا كان كلامه لأُمِّه بعدَ لحظةٍ من ولادته أمراً مُدهشاً، فإنَّ حَمَلها به من غيرِ أبٍ، وولادتها له بعدَ ساعاتٍ من حَمَلها به هو الأكثرُ دهشةً! فلماذا صدَّقَ الفادي بالثاني الأكثرِ دهشةً وأنكرَ الأوَّلَ؟! .

وقد يُكذَّبُ بعضهم القرآنَ في حديثه عن النخلة، التي ولدتُ مريمُ ابنتها تحتهَا، بزعمِ أنَّ مدينةَ بيت لحم ليستُ مدينةَ نخل، لأنها منطقةٌ باردةٌ نسبياً، والنخلُ يحتاجُ إلى أرضٍ دافئة.

واتفقَ الإخباريون على أنه كانت في كنيسةِ المهدي في بيت لحم نخلةٌ كبيرة، وهذه النخلة ماتت وقُطعتُ فيما بعد.

ومرَّ الشيخُ عبدُ الوهاب النجارُ مؤلفُ كتابِ «قصص الأنبياء» بكنيسةِ المهدي في مطلعِ القرنِ العشرين. قال: «وأقولُ أيضاً: إنَّ وجودَ النخلِ ببيت لحم - وهي البلدةُ التي كانتُ بها مريمُ يومَ ولادةِ المسيح - نادرٌ. وقد رأيتُ بكنيسةِ بيت لحم المبنية على موضعِ ولادةِ المسيح مكاناً قد «قُورَ» البلاطُ فيه. . . ويقولون: إنَّ في موضعِ هذا التقويرِ كانت النخلةُ التي ولدتُ عندها مريمُ. . .»^(١).

وأخبرنا الله أنَّ الوليدَ عيسى خاطبَ أمَّهُ قائلاً: ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ١٤٤ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ سُنْقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴿١٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ .

السَّريُّ هو جدولُ الماء. فالله أنبعَ لمريمَ عينَ ماءٍ إكراماً لها، ودعا الوليدُ أمَّهُ إلى رؤيةِ ذلك السَّريِّ، والشربِ من مائه. كما أنه دعاها إلى أن تَهزَّ جِذعَ النخلة، فيتساقطَ عليها الرطبُ الناضج، فتأكلَ منه.

ويعتقدُ النَّصارى أنَّ ولادةَ عيسى ﷺ كانتُ في شهرِ كانونِ الأوَّلِ، أي

(١) قصص الأنبياء، للنجار، ص ٣٨١.

في الشتاء، ومن المعلوم أنه لا يكون على النخل بلح ولا تمر ولا رطب في الشتاء، لأن البلح ينضج في الصيف، وقد يستغرب بعضهم وجود رطب على النخلة التي لجأت مريم إليها!

والراجح أن الله أثمر النخلة إثماراً مُعْجِزاً، إكراماً لمريم، مثل ما أنبع لها عين الماء، فمن المتفق عليه أن النخلة لا تثمر في الشتاء، ولكن الله جعل تلك النخلة ثمر، وجعل تمرها رطباً، والله سبحانه فعّال لما يريد.

واعترض الفادي لعبايه على قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرِينٌ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾؛ وحمل الصوم في الآية على الصيام المعروف، الذي هو الإمساك عن الطعام والشراب. ولذلك تساءل بعبا: «فأين الصوم وهي الآكلة الشاربة المتكلمة؟!».

الصوم هنا ليس بمعنى الإمساك عن الطعام والشراب، وإنما هو بمعنى الإمساك عن الكلام، وهو ما تُفسّره بقية الآية: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.. فصومها بامتناعها عن تكليم أي إنسان.

وهي لم تنطق بهذه الجملة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ بلسانها، إذ إنها لو نطقت بها لما كانت صائمة عن الكلام.. وإنما كانت توحى للذي تراه بإشارات يديها وملامح وجهها، بحيث يفهم منها أنها صائمة عن الكلام.. واعتبرت الآية هذه الإشارات المفهومة قولاً: ﴿فَأَمَّا تَرِينٌ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي﴾..

ولماذا امتناعها عن الكلام؟ لأنها في موقف تُهمّة، ومهما تكلمت فلن يسمعوا لها. ولقد أنطق الله وليدها ليدافع عنها. ولذلك لما وصلت قومها، وفوجئوا بالغلام على حضنها، ولاموها مُتَعَجِّبين، لم تتكلم بكلمة، وإنما أشارت إليه، فتكلم هو وسط دُهور المستمعين. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧٧﴾ يَتَأَخَتُ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٧٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٧٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٤﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴿مریم: ٢٧ - ٣١﴾.

فلا خطأ في ما قاله القرآن عن ولادة مريم، وإنما أفهام الفادي وقومه هي القاصرة، لأنها لم تحسن فهم الآيات المتحدثة عن مريم وابنها ﷺ.



هل لكل أمة رسول؟

أخبر الله أنه بعث لكل أمة من السابقين رسولا من أنفسهم. قال تعالى:
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:
٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ...﴾ [النحل: ٣٦].
وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّن
أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩].

ويعترض القسيس الفادي على هذه الآيات، التي تقرر هذه الحقيقة،
ويعتمد في اعتراضه على الكتاب المقدس، الذي يقول بعكس ذلك، قال:
«تقول هاتان السورتان المكيّتان: إن الله أرسل في كل أمة نبيا منها إليها.
ويقول الكتاب المقدس: إن الأنبياء والرسل هم من بني إسرائيل، إليهم وإلى
كل العالم.. فإذا صدقت أقوال القرآن، فكيف لم يخرج للأمم في إفريقية
وأوروبا وأمريكا وأستراليا وآسية أنبياء منهم وإليهم؟ ولو كانت لهذه الأمم
أنبياء منها وإليها، لجاز أن يكون للعرب رسول منهم!»^(١).

يزعم المفتري أن الرسل والأنبياء محصورون في بني إسرائيل فقط، فلم
يبعث الله رسولا ولا نبيا من غيرهم!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٤.

وهذا كذبٌ على الله ﷻ، واتِّهَامٌ له بالظلم. فإذا كانَ كلامُه صحيحاً فماذا يقولُ في الأممِ الذينَ عاشوا وماتوا قبلَ وجودِ بني إسرائيلَ في التاريخ؟ هل بعثَ اللهُ لهم نبيّاً إسرائيلياً قبلَ أنَ يخلقَ اللهُ بني إسرائيلَ؟ هل بعثَ اللهُ لقومِ نوحٍ وعادٍ وشمودَ والبابليينَ والكنعانيينَ والمصريينَ أنبياءَ من بني إسرائيلَ؛ وهؤلاءِ الأقسامُ كانوا قبلَ بني إسرائيلَ؟ أم أنَّ اللهُ لم يبعثْ لهم رسولاَ قط؟ وبعدما خلقَ اللهُ بني إسرائيلَ هل بعثَ اللهُ أنبياءَ إسرائيليينَ للأقسامِ الآخريينَ، كالفرسِ والرومِ واليونانِ والهنودِ والصينيينَ والأفارقةِ والأمريكيينَ والأوربيينَ والأستراليينَ؟.

إنَّ ما قاله الفادي المفتري من قَصْرِ النبوةِ والرسالةِ على الإسرائيليينَ كذبٌ وافتراء، ويتعارضُ مع حقائقِ التاريخ.

ولقد صرَّحَ القرآنُ بأنَّ اللهُ بعثَ في كلِّ أمةٍ رسولاً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

وصرَّحَ بأنَّ الرسولَ كانَ من نفسِ الأمةِ، ويتكلمُ بلسانِ أفرادِها. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وصرَّحَ بأنَّ اللهُ لا يُعذِّبُ الناسَ إلا بعدَ أنَ يبعثَ لهم الرسولَ، فإنَّ كفروا به وكذبوه استحقوا العذابَ. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وبذلك أقامَ اللهُ الحجَّةَ على الكافرينَ، ولم يبقَ لهم حجَّةٌ على اللهِ، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وزعمُ قصرِ النبوةِ على بني إسرائيلَ تكذيبٌ صريحٌ لهذه الآياتِ وأمثالِها، وتناقضٌ مع حقائقِ التاريخ وقواعدِ الدين.

صحيحٌ أنَّ معظمَ الأنبياءِ والرسلِ المذكورينَ في القرآنِ الكريمِ بُعثوا إلى اليهودِ، لكنَّ النبوةَ ليستَ محصورةً فيهم.

ولا معنى لكلامِ الفادي: «فإذا صدقتْ أقوالُ القرآنِ فكيفَ لم يُخرجَ للأممِ في إفريقيةِ وأوروباِ وأمريكاِ وأسترالياِ وآسيةِ أنبياءَ منهم وإليهم؟!».

والمفتري في كلامه يُكذَّبُ القرآن، وَيُسَكِّكُ في صدقِ أخباره، وذلك في جملة: «فإذا صدقت أقوال القرآن». . . ومن البدهي عند كلِّ مسلم ومنصفٍ أنَّ أقوال القرآن صادقة، لا شك ولا خطأ فيها، فما قاله الله في القرآن فهو الصدقُ والحقُّ والصواب.

وقد ذَكَرَ القرآنُ أسماءَ خمسةٍ وعشرينَ نبياً ورسولاً، وليست النبوة والرسالة محصورةً فيهم، أي أن الله لم يذكر كلَّ الأنبياء في القرآن، وإنما ذَكَرَ أشهرهم فقط، والأنبياء يُعدون بالآلاف، لم يُخبرنا الله إلا بأسماء خمسةٍ وعشرين منهم.

كثيرٌ من الأنبياء لم يُخبرنا الله عنهم، فلم نعرف أسماءهم. قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٧٨].

ومعنى هذا أن الله بعث أنبياء لكلِّ الأقوام السابقين الذين كانوا يعيشون في آسية وإفريقية وأمريكة وأوروبية وأسترالية وغيرها، لكنه لم يُخبرنا بأسماء هؤلاء الأنبياء، وعدم معرفتنا بأسمائهم لا ينفي كونهم أنبياء.

ومن مزايا الأنبياء والرسول السابقين أن كلَّ نبيٍّ كان يُبعث إلى قومه خاصة، وكلُّ أنبياء بني إسرائيل كانوا يُرسلون إلى بني إسرائيل خاصة، ولم يُبعثوا إلى غيرهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِآيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّه يريدُكم فليأمنوا أو لا يؤمنوا﴾ [الصف: ٥].

وآخرُ أنبياء بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام، فقد بعثه الله رسولاً إليهم خاصة، ولم يكن رسولاً للناس كافة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦].

موسى ﷺ يقول لبني إسرائيل: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ . . وعيسى ﷺ يقول لبني إسرائيل: ﴿يَبْنَى إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ . فكل واحد منهما رسالته خاصة بهم .

وتحوّلت «النصرانية» إلى رسالة عالمية بعد رفع عيسى ﷺ ، وهذا خلاف طبيعتها التي جاء بها عيسى ﷺ إلى بني إسرائيل .

ويختتم الفادي المفترى كلامه بنفي نبوة محمد ﷺ ، وذلك في قوله: «فلو كانت لهذه الأمم أنبياء منها وإليها، لجاز أن يكون للعرب رسول منهم» . ومعنى كلامه هنا أن الله لم يبعث للعرب رسولا منهم، لأن كل الأنبياء في العالم كانوا من بني إسرائيل حسب ادّعايته!! .

وقد امتنّ الله على العرب بأن بعث منهم محمداً ﷺ رسولا ، وذلك في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] .

ورغم أن محمداً ﷺ من العرب إلا أن رسالته ليست للعرب فقط، وإنما هو رسول للعالمين . وقد قرّرت هذه الحقيقة آيات عديدة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨] .



هل أشرك آدم وحواء بالله؟

نسب الفادي للقرآن قوله بأن آدم وحواء أشركا بالله، وزعم أن هذا ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لِيْنِ ءَاتِنَا

صَلِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَنَهُمَا صَلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَنَهُمَا فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠].

تتحدّث الآيتان عن رجلٍ عاش امرأته، ولما حملت وأثقلت وأوشكت على الوضع، توجهت هي وزوجها إلى الله بالدعاء، وتعهّدا بأنه إن آتاها ولداً صالحاً سيكونان من الشاكرين، فلما آتاها ولداً صالحاً جعل الله شركاء. وَرَزَعَمَ الْفَادِي أَنَّ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ هُمَا آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَنَسَبَ هَذَا الْقَوْلَ لِلْمُسْلِمِينَ. قَالَ: «قَالَ مُفَسِّرُو الْمُسْلِمِينَ: لَمَّا هَبَطَ آدَمُ وَحَوَّاءُ إِلَى الْأَرْضِ، أَلْقَيْتِ الشَّهْوَةَ فِي نَفْسِ آدَمَ، فَأَصَابَ حَوَّاءَ، فَحَمَلَتْ مِنْ سَاعَتِهَا.. فَلَمَّا ثَقُلَ الْحَمْلُ وَكَبُرَ الْوَلَدُ آتَاهَا إِبْلِيسُ..»

قال البيضاوي: آتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري.. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلباً أو خنزيراً!.. قالت: إني أخاف بعض ذلك.. قال: وما يُدريك من أين يخرج، أمِن دُبُرِكَ، أم مِن فَمِكَ، أو يشقُّ بطنك فيقتلك؟... فخافت حواء ذلك، وذكرته لآدم، فلم يَزَلْ في غمٍّ..

ثم عاد إليها إبليس، فقال لها: إني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك، ويسهل عليك خروجه، تُسميه عبد الحارث... وكان اسم إبليس في الملائكة «حارث»... فذكرت حواء ذلك لآدم.. فعاودها إبليس.. فلم يزل بهما حتى غرهما.. فلما ولدت ولداً سمياه عبد الحارث..

وقال البيضاوي: في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَنَهُمَا﴾ أي: جعلاً أولادهما شركاء في ما أتى أولادهما، فسَمَّوه عبد العزى وعبد مناف.. وقال في قوله: ﴿تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٨٩﴾ أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾: يعني: الأصنام...

ويُعلق الفادي على الكلام السابق بقوله: «فمن أين جاءت هذه القصة الغريبة؟ وأين العزى ومناف وآلهة العرب من آدم في الجنة؟ حتى تكون أصنام»

العربِ آلهةً لآدمَ يُسمِّي أولادَه بأسمائِها؟»^(١).

لم يكن الفادي أميناً في النقل عن البيضاوي، فقد زعم أنه أخذ الخرافة السابقة من تفسير البيضاوي، مع أنه زاد على البيضاوي ما لم يقله، وحذف منه كلاماً مهماً...

والذي ذكره البيضاوي في تفسيره هو: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ: هو آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من جسدها، من ضلع من أضلاعها، أو من جنسها، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليستأنس بها ويطنن إليها، اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها، ﴿حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا﴾: حفت عليها، ولم تلق منه ما تلقى الحوامل غالباً من الثقل، ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا﴾: صارت ذات ثقل، بكبر الولد في بطنها، ﴿دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾: ولداً صالحاً سويّاً، قد صلح في بدنه، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك على هذه النعمة، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾: جعل أولادهما له شركاء، فيما أتى أولادهما، فسَمَّوه عَبْدَ العَزَى وَعَبْدَ مَنْافٍ.. على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، ويدل عليه قوله: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.. ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾: الأصنام.

وقيل: لما حملت حواء أناها إبليس، في صورة رجل، فقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله بهيمة أو كلب، وما يدريك من أين يخرج؟ فخافت من ذلك، وذكّرت له لآدم، فهما منه، ثم عاد إليها، وقال: إني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل خروجه تسميه عبد الحارث، وكان اسمه حارثاً بين الملائكة، فتقبلت، فلما ولدت سمياه عبد الحارث!! وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء!!

ويُحتمل أن يكون الخطاب في ﴿خَلَقَكُمْ﴾ لآلِ قُصَيٍّ من قُريش، فإنهم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٤.

خُلِقُوا مِنْ نَفْسٍ قُصِيٍّ، وَكَانَ لَهُ زَوْجٌ مِنْ جِنْسِهِ، عَرَبِيَّةٌ قُرَشِيَّةٌ، وَطَلَبَا مِنْ اللَّهِ الْوَلَدَ، فَأَعْطَاهُمَا أَرْبَعَةَ بَنِينَ، فَسَمَّيَاهُمْ: عَبْدَ مَنْفٍ، وَعَبْدَ شَمْسٍ، وَعَبْدَ قُصِيٍّ، وَعَبْدَ الدَّارِ. وَيَكُونُ الضَّمِيرُ فِي ﴿يُشْرِكُونَ﴾ لِهَمَا وَلَأَعْقَابِهِمَا الْمُقْتَدِينَ بِهِمَا..»^(١).

وَأَدْعُو إِلَى الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ كَلَامِ الْبَيْضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالْكَلَامِ الَّذِي رَعَمَ الْفَادِي أَنَّهُ لِلْبَيْضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ، لِمَعْرِفَةِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا، وَالْوُقُوفِ عَلَى تَلَاُحِبِ الْفَادِي وَعَدَمِ أَمَانَتِهِ!

يَقُولُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا﴾: جَعَلَ أَوْلَادَهُمَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَى أَوْلَادَهُمَا فَسَمَّوْهُ عَبْدَ الْعُرَى وَعَبْدَ مَنْفٍ، عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وَمَعْنَى كَلَامِ الْبَيْضَاوِيِّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ضَمِيرُ الْمُثَنَّى يَعُودُ عَلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا﴾ فَإِنَّ فَاعِلَ «جَعَلَا» فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَعُودُ عَلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَإِنَّمَا يَعُودُ عَلَى أَوْلَادِهِمَا الْمُشْرِكِينَ، وَالسِّيَاقُ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: جَعَلَ أَوْلَادَهُمَا اللَّهُ شُرَكَاءَ.. وَالذَّلِيلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ الْبَيْضَاوِيِّ. إِسْنَادُ فِعْلِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْجَمْعِ وَلَيْسَ إِلَى الْمُثَنَّى، فَقَالَ: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وَلَوْ كَانَ الْمُشْرِكَانِ هُمَا آدَمَ وَحَوَّاءَ لَكَانَ الْفَاعِلُ مُثَنَّى، وَلَقَالَ: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكَانِ!!

وَقَدْ حَرَفَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي كَلَامَ الْبَيْضَاوِيِّ، لِيَجْعَلَهُ دَلِيلًا لَهُ عَلَى تَخَطُّطِهِ الْقُرْآنِ... عِبَارَةُ الْبَيْضَاوِيِّ: «جَعَلَ أَوْلَادَهُمَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَى أَوْلَادَهُمَا، فَسَمَّوْهُ عَبْدَ الْعُرَى وَعَبْدَ مَنْفٍ» صَارَتْ عِنْدَ الْمَفْتَرِي: «وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: أَيُّ: جَعَلَا أَوْلَادَهُمَا، شُرَكَاءَ فِيمَا آتَى أَوْلَادَهُمَا.. وَفَرَّقَ بَعِيدًا بَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ.

(١) تفسیر البیضاوی: ٤٥/٣.

فالبيضاوي يُصرِّح بأنَّ الذينَ جعلوا لله شركاءَ هم أولادُ آدمَ وحواءَ، واتهمَ
المفتري البيضاويَّ بأنه يرى أنَّ آدمَ وحواءَ هما اللذانِ جعلاهُ شركاءَ!! .

ومن افتراءِ المفتري الفادي افتراؤه على البيضاويِّ بأنه يعتقدُ صحَّةَ قصةِ
إبليس مع حواءَ وعبد الحارث، مع أنَّ البيضاويَّ لا يرى صحَّةَ القصةِ
الموضوعة التي ذكَّرها. بدليلِ أنه بدأ القصةَ بالفعلِ الماضي: «قيل». وهذه
صيغةُ تَضْعِيفٍ، كما قرَّرَ العلماءُ. وقد حَذَفَ المفتري هذا الفعلَ «قيل» فيما
زَعَمَ نَقْلَهُ عن البيضاويِّ لحاجةٍ في نفسه...

ومن بابِ الإمعانِ في الكذبِ والافتراءِ لم يذكُرْ تعقيبَ البيضاويِّ على
القصةِ، وهو تعقيبٌ مهمٌّ، لأنَّه يُبَيِّنُ رِفْضَ البيضاويِّ للقصةِ، لمعارضتها
لعصمةِ الأنبياءِ؛ وهو قوله: «وأمثالُ ذلك لا يليقُ بالأنبياءِ...»!

كما أنَّ الفادي المفتري لم يذكُرِ الاحتمالَ الثاني الذي أوردَه البيضاويُّ
في تحديدِ الشخصينِ المشركينِ، لأنَّه يَنْقُضُ وَيُرُدُّ اتِّهامَه لآدمَ وحواءَ بالشُّركِ،
والاحتمالُ الذي أوردَه البيضاويُّ أنَّ الخطابَ يُمكنُ أن يكونَ لآلِ فُصَيِّ:
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، وعليه يكونُ المرادُ بالزوجِ وزوجه فُصَيِّ وامرأته، اللذانِ
سَمَّيا أولادهما بعبدِ شمسٍ وعبدِ مناف...

إنَّ هذا التصرفَ الشائنَ والتلاعبَ المردولَ من الفادي المفتري يدلُّ على
فقدانِهِ الأمانةِ العلميةِ فيما ينقلُهُ من كلامٍ، يَنْسُبُهُ للعلماءِ والمسلمينِ ليوافقَ
هواه، ويَحْرِفُهُ عن معناه!! وأدعو إلى الشُّكِّ في كلِّ ما ينقلُهُ الفادي وأهلُ ملَّتِهِ
من أقوالٍ ينسبونها للمسلمينِ، وإذا أحالوا على كتابِ لعالمٍ مسلمٍ، وزعموا
وُجودَ الكلامِ فيه، فأدعو إلى العودةِ المباشرةِ إلى الكتابِ الإسلاميِّ، وسوفَ
نَجِدُ فَرْقًا بَعِيدًا بينَ الكلامِ في الكتابِ الإسلاميِّ وبينَ الكلامِ المنقولِ منه!!
وبهذا نَعْرِفُ تَخَلِّيَ اليهودِ والنصارى والمستشرقينَ عن الأمانةِ العلميةِ في
بحوثهم العلمية!! .

وخلاصةُ هذه المسألة: ما ذكَّره بعضُ المفسِّرينَ المسلمينَ والإخباريينَ

المؤرخين من حوارٍ بين حَوَاءَ وإبليس انتهى بها إلى أنْ أشركتْ هي وآدمُ بالله، عندما سَمِيَا مولودهما الأولَ عبدَ الحارث - أي: عبدَ إبليس - هذا كلامٌ مُحْتَلَقٌ مكذوبٌ موضوع، لم يصحَّ ولم يثبت. فأدمُ وحَوَاءُ لم يُشركا بالله، ولم يُسَمِيَا ابْنَهُمَا عبدَ الحارث.

وتتحدثُ الآياتُ عن زوجينِ متأخريينِ من أبناءِ آدم، قد يكونانِ من العربِ أو من العجمِ أو من غيرهم، عاهدَا اللهُ أنْ يُؤمِنَا به وَيَشْكُرَاهُ، إنَّ آتَاهُمَا وَلَدًا صَالِحًا، فلما آتَاهُمَا صَالِحًا نَقَضَا الْعَهْدَ، وَأَشْرَكَا بِاللَّهِ.

وأبَقَّتْ الآياتُ قِصَّةَ الزَوْجَيْنِ مَبْهَمَةً، لم تُبَيِّنْ من تَفَاصِيلِهَا شَيْئًا، أَبْهَمَتْ أَسْمَى الزَوْجَيْنِ وَزَمَانَهُمَا وَمَكَانَهُمَا، وتفاصيل حملِ المرأةِ وولادتها، وتفاصيل الشريكِ بالله! وهذا كُلُّهُ لا نَحْوِضُ فِيهِ، لِأَنَّهُ لا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

المهمُّ أنْ آدَمَ وَحَوَاءَ لم يُشركا بالله، والبيضاويُّ لم يَنْسَبْ ذَلِكَ لَهُمَا، وكان الفادي مَفْتَرِيًا كاذبًا في زَعْمِهِ ونَقْلِهِ عن البيضاوي. . ولم يُخْطِئِ الْقُرْآنُ في حَدِيثِهِ عن زَوْجَيْنِ مُشْرِكَيْنِ بِاللَّهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الآياتِ تَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ زَوْجَيْنِ مُشْرِكَيْنِ، مَهْمَا كَانَ زَمَانُهُمَا وَمَكَانُهُمَا!.



هل غرق ابن نوح ﷺ؟

أخبرَ الْقُرْآنُ أَنَّ أَحَدَ أَبْنَاءِ نُوحٍ كان كافرًا، وَأَنَّهُ غَرِقَ فِي الطوفان. قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ سَوِّءٌ إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢ - ٤٣].

نَقَلَ الفادي عن البيضاوي أنَّ ابنَ نُوحٍ الكافر الذي رفضَ أنْ يركبَ مع نُوحٍ هو كنعان، وَأَنَّهُ غَرِقَ مع الكافرين!!

وَرَدَّ الفادي كلامَ البيضاويِّ وكلامَ الْقُرْآنِ، وحاكَمَ الْقُرْآنَ إلى العهدِ

القديم الذي يعتقد الفادي أنه التوراة كلامُ الله. قال: «ومعلومٌ أنَّ نوحاً لم يكن له إلا ثلاثة أولاد: سامٌ وحامٌ وياث، ولهم ثلاث زوجات.. فكان الذين خَلصوا في الفُلِّكِ ثمانية: نوحٌ، وزوجته، وأولاده الثلاثة، ونساء أولاده الثلاث.. فأين قصةُ غَرَقِ كنعان؟ ومعلومٌ أنَّ كنعانَ لم يكن قد وُلِدَ، ولم يكن ابناً لنوح، بل وُلِدَهُ حامٌ بنُ نوح، وذلك بعد الطوفان»^(١).

لقد أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ غَرَقِ أَحَدِ أَبْنَاءِ نُوحٍ ﷺ. فلما كان نوحٌ مع المؤمنين في السفينة، وهي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ، رَأَى أَحَدَ أَبْنَائِهِ واقفاً في معزِلٍ عَنِ الطوفانِ، فدَعَاهُ إِلَى أَنْ يركبَ معهم في السفينة، ولكنَّ الابنَ رفضَ الدعوة، وحالَ المَوْجُ بَيْنَ الابنِ وَأَبِيهِ، وطواهُ فِي طَيَّاتِهِ، فكانَ مِنَ الْمَغْرُوقِينَ! وحزنَ نوحٌ على ما أَصَابَ ابْنَهُ وسألَ رَبَّهُ مستوضحاً، فأخبره اللهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُ كَانَ كَافِراً، وكُفِّرُهُ قَطَعَ الصَّلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ النَّبِيِّ؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُوقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا تَارُضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَنَسِمَةَ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ [هود: ٤٢ - ٤٧].

ولقد أبهم القرآن اسمَ ولدِ نوحِ الكافر الذي غَرِقَ مع الكافرين، كما أبهمه رسولُ الله ﷺ، ولا سبيلَ لنا لمعرفةِ اسمِهِ لسكوتِ القرآنِ والحديثِ الصحيحِ عنه، والواجبُ علينا أَنْ نُبْقِيَهُ على إبهامِهِ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٥.

ولا نوافق البيضاوي وغيره من المفسرين الذين حدّدوا اسمه بأنه «كنعان»، لأنهم لا يملكون دليلاً على ذلك!!.

ومحاكمة القرآن للعهد القديم خطأ منهجي وقع به الفادي، وإذا كان أساس منهجه خطأ، كانت الأفكار والنتائج المترتبة عليه خاطئة. وكيف نحاكم كلام الله الثابت المحفوظ إلى كلام مشكوك فيه، اختلط فيه كلام الله بكلام الأخبار؟!.

ونتوقف فيما زعمه الأخبار في سفر التكوين من أنه كان لنوح ثلاثة أبناء، ونتوقف في أسمائهم التي أطلقوها عليهم، فلا ننفيها ولا نشتها، ونقول: الله تعالى أعلم بأعدادهم وأسمائهم وتفاصيل حياتهم!.

أما زعم الفادي أن الذين ركبوا في الفلك كانوا ثمانية أشخاص فقط فهذا خطأ؛ وقد أخبرنا الله أن الذين ركبوا في السفينة كل من آمنوا بنوح ﷺ، مع أنهم كانوا قلائل، إلا أنهم كانوا أكثر من ثمانية قطعاً. قال تعالى: ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وأخيراً الأخبار مؤلفو سفر التكوين والفيسس الفادي الذي تابعهم عندما صنّفوا ركاب السفينة تصنيفاً أسرياً نسبياً، وليس تصنيفاً إيمانياً. فالركاب الثمانية في السفينة هم عائلة نوح ﷺ في تصنيفهم: نوح وزوجته، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث!!.

والصحيح هو ما ذكره القرآن، من أن الذين ركبوا معه من أهله هم المؤمنون فقط، أما الكافرون منهم فقد هلكوا مع الهالكين، ولذلك قال الله عن حمل أهله معه: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾. والذي سبق عليه القول هو الكافر من أهله، والله حكّم أن يهلكه.

وقد نصّ القرآن على أن اثنين من أهل وأسرّة نوح كانا كافرين، ولم يركبا معه السفينة: امرأته، وابنه.

قَالَ اللَّهُ عَنْ امْرَأَتِهِ قَارِنًا لَهَا مَعَ امْرَأَةِ لُوطِ الْكَافِرَةِ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغَيِّبْنَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].

ولما أُغْرِقَ اللهُ ابْنَ نوح الكافر، وسأل نوح عنه لامه الله على ذلك، وأخبره أنه ليس من أهله لكفره، مع أنه ابنه.. قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٥ - ٤٦].

وبهذا نعرف جهلَ وعباءَ الفادي المفترى، حيثُ خَطَأَ القرآن، في الخبر الصادق الذي أورده عن غرق ابن نوح، واعتمد على كتاب من صنع بشري، أَلَفَهُ الأُحْبَارُ، ووقعوا في أخطاءٍ كثيرةٍ فيه، يمكنُ الوقوفُ عليها عند مقارنتها بالقرآن!!.



هل أيوب حفيد إسحاق؟

أخبر الله أنَّ أيوبَ من ذرية إبراهيم عليه السلام. قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

الضميرُ في «له» يعودُ على إبراهيم عليه السلام، لأنَّ الآياتِ السابقة كانت تتحدَّثُ عنه، وإسحاقُ ابنُه، ويعقوبُ حفيده، عليهم الصلاة والسلام. والراجحُ أنَّ الهاءَ في ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ تعودُ على إبراهيم عليه السلام، فالأنبياءُ الستة المذكورون في الآية من ذريته، وهم: داودُ وسليمانُ وأيُّوبُ ويوسفُ وموسى وهارونُ.

وهذا نصٌّ على أنَّ أيوبَ ﷺ من ذرية إبراهيم ﷺ. والذرية ليسوا
الأبناء والأحفاد فقط، وإنما هم الأولاد الذين ينتسبون له، ولو كان بينهم
وبينه عدة قرون.

وقد رفض الفادي اعتبار أيوب من ذرية إبراهيم، واعتبر هذا من أخطاء
القرآن التاريخية.

ونقل عن البيضاوي قوله: «أيوب بن أموص، من أسباط عيص بن
إسحاق»^(١).

ورفض كلامه قائلاً: «فأين أيوب الذي ظهر في بلاد العرب من عصر
إبراهيم وإسحاق والد إسرائيل في أرض فلسطين؟ وأين هو أموص والد النبي
أشعيا من أيوب؟»^(٢).

ذهب البيضاوي إلى أنَّ والد أيوب هو أموص، وأنه من نسل عيص،
وعيص هو حفيد إبراهيم وأخو يعقوب.

واعترض الفادي على كلام البيضاوي، وذهب إلى أنَّ أيوب ظهر في
بلاد العرب، وبينه وبين إبراهيم وإسحاق فترة زمنية طويلة!.

ولسنا مع البيضاوي في ما قاله عن أيوب ﷺ، لأنه ذكر أسماء ليس
عليها دليل معتمد، فلم يرد في مصادرنا الإسلامية اليقينية، أنَّ اسم والد أيوب
هو أموص، وأنَّ اسم ابن إسحاق هو عيص، وأنَّ أموص هو حفيد إسحاق،
وأنَّ أيوب هو ابن حفيد إسحاق!.

وهذه الأسماء التي أخذها البيضاوي عن الإسرائيليات نتوقف فيها، فلا
نتفيها ولا نثبتها، ولا يتحمل القرآن مسؤولية ما ذكره البيضاوي. . وكلُّ ما
نقولُه أنَّ أيوب كان من نسل وذرية إبراهيم ﷺ، مع وجود فترة زمنية طويلة
بينهما!!.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٥.

(١) تفسير البيضاوي: ١٧١/٢.

الصلة بين موسى والخضر ومحمد ﷺ

أخبرنا الله في سورة الكهف عن أحداثٍ مشيرةٍ وَقَعَتْ بينَ موسى والخضرِ ﷺ في الآيات من (٦٠) وحتى (٨٢) .. وَذَكَرَ رسولُ الله ﷺ فيما رواه عنه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما بعضَ تفصيلاتِ تلك الأحداثِ^(١).

وُخْلاصَةُ قصةِ موسى مع الخضرِ ﷺ كما ذُكِرَتْ في آياتِ القرآنِ وصحيحِ الأحاديثِ: أَنَّ موسى ﷺ وَقَفَ يوماً خَطيباً في بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقِيلَ له: هل أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ فقال: لا! .. فعتب الله عليه لأنه لم يُفَوِّضْ ذلك إلى الله، ولم يَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ! فقال اللهُ له: بل هناك مَنْ هو أَعْلَمُ مِنْكَ؟ فقال موسى: مَنْ هو يا رَبِّ حتى أتَعلَمَ منه؟ قال: إنه عَبْدُنَا الصالحُ خَضِرُ! قال: يا رَبِّ كيف السبيلُ إليه؟ .. قال: خُذْ حوتاً مُملَحاً في سَلَّةٍ، فإذا فَقَدْتَ الحوتَ وَجَدْتَهُ في ذلك المكانِ!!

فطلبَ موسى ﷺ من فتاه يوشعَ بن نون أن يَسِيرَ معه، ووضعَ سَمَكَةً مشويةً مملَحَةً في سَلَّةٍ، لتكونَ غداءً لهما، وتَوَجَّها إلى الخضرِ .. وفي الطريقِ تَعَبَا، فَوَجَدَا صخرةً بجانبِ البحرِ، فجلسَا يَسْتريحانِ عندهما، وَوَضَعَ يوشعُ السَلَّةَ التي فيها السمكةُ المشويةُ بجانبه، وناما .. وأخياً اللهُ السمكةَ المشويةَ بقدرته، فَفَقَزَتْ من السَلَّةِ، وذهبت في البحرِ .. وأبقى اللهُ مكانَ سيرِها على سطحِ الماءِ كما هو، ليكونَ دليلاً لموسى وفتاه.

ولما استيقظا، تابعا سَيْرَهُما نحو الخضرِ، وَحَمَلَ يوشعُ السَلَّةَ، ونسي أن يتفقدَ السمكةَ فيها .. وَبَعْدَ قليلٍ أَحَسَّ موسى ﷺ بالجوعِ، فطلبَ من يوشعَ أن يُجَهِّزَ السمكةَ المشويةَ للغداءِ! فلما نَظَرَ في السَلَّةِ لم يَجِدْها! فأخبرَ

(١) تكلمنا عن أحداثِ القصةِ بالتفصيل في كتابنا «مع قصص السابقين في القرآن».

موسى أنها خرجت من السَّلَّةِ عند الصخرة، فعادا إليها، لأنَّ الخَضِرَ سيكونُ هناك! .

ولما وصل موسى الصخرة وَجَدَ الخَضِرَ نائماً على ظهره، مغطى بقطيفته. . فألقى عليه السلام، وَرَدَّ الخَضِرُ عليه السلام، وقال له: أتى بأرضيك السَّلام؟ .

وَعَرَضَ عليه موسى أَنْ يَسِيرَ معه ليتعلَّم منه، فقال له الخضر: إِنَّكَ لن تستطيعَ معي صَبِراً، لأنَّكَ سترى مِنِّي أشياء لا تصبرُ عليها، فلقد عَلَّمَنِي اللهُ أشياء، لا عَلَّمَ لك بها، وَأَنْتَ عَلَّمَك اللهُ أشياء، لا عَلَّمَ لي بها. . فاستعدَّ موسى أَنْ يَصْبِرَ على كُلِّ ما يَرى، واشترط عليه الخضرُ أَنْ لا يعترضَ على كُلِّ ما سيراه منه، وَأَنْ لا يسأله، وَأَنْ ينتظرَ منه بيانَ وتوضيحَ ما يراه. . .

وسارَ موسى مع الخضر على شاطئِ البَحْرِ، ومَرَّتْ بهما سفينة، فعرف مالكوها الخضر، فأركبوها بغيرِ أُجْرَةٍ إِكْرَاماً لهما. . ومدَّ الخضرُ يَدَه فَقَلَعَ لَوْحاً من ألواحِ السفينة، فاعترضَ موسى ﷺ وقال له: القومُ أَكْرَمُونَا، وأركبونا في السفينة مَجَاناً، فكيف تقابلُ إِكْرَامَهُم بِحَرْقِ السفينة وإفْسَادِهَا؟ وَإِنَّكَ بذلكَ سَتُعْرِقُ أَهْلَهَا! وذَكَرَهُ الخضرُ بالشرطِ الذي اتفقا عليه، فاعتذرَ بأنَّه تكلمَ ناسياً الشرطَ.

وسارا في الطريق، وَوَجَدَا غُلاماً صغيراً يلعبُ مع الغلمان، فأقبلَ عليه الخضرُ وَقَتَلَهُ! فاستغربَ موسى واعترضَ عليه، إِذْ كَيْفَ يَقْتُلُ فتى صغيراً بغيرِ ذَنْبٍ ارتكبه؟! فذَكَرَهُ الخضرُ بالشرطِ بينهما، وَتَعَهَّدَ موسى بعدمِ الاعتراضِ، فَإِنْ اعترضَ عليه بعد ذلكَ فيمكنه أَنْ لا يُصَاحِبَهُ! .

وَوَصَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ بُحَلَاءَ، فَطَلَبَا مِنْهُمُ الطَّعَامَ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا! وَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً على وَشِكِ السَّقُوطِ، فَقَامَ الخضرُ بِإِصْلَاحِهِ وَإِحْكَامِ بِنَائِهِ، فاعترضَ عليه موسى بأنه كان الأولى أَنْ يأخذَ مِنْهُمُ الأجرَ، لأنَّهُم لا يستحقون الإكرامَ! .

وبهذا الاعتراض الثالث فَقَدَ موسى حَقَّهُ بمصاحبة الخضر، وقبلَ أَنْ يُفَارِقَهُ فَسَّرَ له الأحداث الثلاثة المثيرة:

حَرَقَ السفينةَ لأنه يُريدُ المحافظةَ عليها، وإبقاءها في مُلْكِ أصحابها المساكين، فأمامهم ملكٌ ظالمٌ غاصب، كُلُّما وَجَدَ سفينةً صالحةً صادَرَهَا، وعندما يَرى سفينَتَهُم مخروقةً سيتركها لهم. . . أمَّا العُلامُ فقد علمَ اللهُ أنه عندما يكبرُ سيكونُ كافراً، وبذلك سَيُرْهَقُ والدَيهُ المؤمنين، ولذلك أمرَهُ اللهُ بِقَتْلِهِ، وسيؤتي اللهُ والدَيهُ ابناً آخرَ أفضلَ وأكرمَ وأرحمَ منه. . . وأمَّا الجدارُ الذي بناه فقد كانَ لِعَلامينِ صغيرينِ يَتيمينِ، وكانَ أبوهما الصالحُ قد وَضَعَ لهما كَنْزاً تحتَه، ولو سقطَ الجدارُ لنهبَ أهلُ المدينةِ الكنزَ، لذلك قامَ الخضرُ بإصلاحِ الجدارِ إكراماً لِلعَلامينِ اليتيمينِ وليس إكراماً لِلبخلاء!

وقبلَ أَنْ يُفَارِقَ الخضرُ موسى أخبره أَنَّهُ لم يفعلْ ذلكَ باجتهاده، لأنَّهُ لا يَعْلَمُ الغيبَ، وإنما أخبرَهُ اللهُ بما سيكون، وأمرَهُ بِفعلِهِ! .

هذه خلاصةُ قصةِ موسى مع الخضر عليه السلام، كما وَرَدَتْ في الآياتِ والأحاديثِ الصحيحة، وهذه القِصَّةُ الصحيحةُ لم تَلْفُتْ نَظَرَ القسيسِ الفادي، وإنما ذهبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، وأخذ منه كلمتين، اعتبرَهُما خطأً من أخطاءِ القرآنِ التاريخية.

قالَ البيضاوي عن الخضر: «الجمهورُ على أَنه الخضرُ عليه السلام، واسمُهُ بلياً بن ملكان. وقيل: إيسع. وقيل: إياس»^(١).

أي: الخضرُ لَقِبَ لذلكِ النبيِّ، واسمُهُ فيه خلاف: بلياً، أو إياس. أو: إيسع. . . ولما نَقَلَ الفادي المفتري كلامَ البيضاويِّ لم يكنُ أميناً في النقل، وصارتَ عبارةُ البيضاوي السابقة عنده: «فَوَجَدَ الخضرَ، وهو إيليا النبي!!» .

وقالَ البيضاويُّ عن كَنْزِ العَلامينِ اليتيمينِ: «وكانَ تحتَه كَنْزٌ لهما من ذهبٍ وفضةٍ وقيل: من كتبِ العلم. . . وقيل: كانَ لوحاً من ذهبٍ مكتوبٌ فيه:

(١) تفسير البيضاوي: ٢٨٧/٣.

عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ؟! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتَعَبُ؟! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالحِسَابِ كَيْفَ يَغْفَلُ؟! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ؟! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبُهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا؟! . . . لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ . . .»^(١).

ويأبى الفادي المفتري إلا أن يتلاعب بالنص الذي ينقله عن البيضاوي، لأنه لا يمكن أن يكون أميناً في النقل! فعبارة البيضاوي السابقة صارت عند المفتري هكذا: «والجدار لغلامين يتيمين، بناه حتى متى كبرا يجدان تحت الجدار كنزاً من الذهب، مكتوب عليه بعض الحكم، ومنها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله! وكان ذلك في أيام إسكندر ذي القرنين!»^(٢).

فأضاف المفتري على كلام البيضاوي جملة: «وكان ذلك في أيام إسكندر ذي القرنين» وذلك بهدف تكذيب قصة الخضر مع موسى، واعتبارها من أخطاء القرآن التاريخية!

ونحن لسنا مع ما نقله البيضاوي من خلاف في اسم الخضر: بلياً، أو إيسع، أو إلياس! لأنه لا داعي لذلك؛ فالرسول ﷺ سَمَّاهُ الخضر، ويكفي ذلك، وما ذكره البيضاوي من خلاف في اسمه منقول عن الإسرائيليات!

وهذا معناه أننا لا نوافق الفادي على أن الخضر هو النبي إيليا، الذي كان في فلسطين في القرن التاسع قبل الميلاد! ونرى أنه هو الخضر، والراجح أنه نبي، وتفاصيل حياته ونبوته ودعوته من مبهمات القرآن، التي ليس عندنا دليل على بيانها!

ولما تكلم البيضاوي عن كنز الغلامين اليتيمين كان رأيه أنه كنز حقيقي من ذهب وفضة.

ولما ذكر أقوالاً أخرى في الكنز ذكرها بالصيغة التمريضية التضعيفية: «قيل» فقال: «وقيل: من كتب العلم. وقيل: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٦.

(١) تفسير البيضاوي: ٢٩١/٣.

بعض الحِكمم . . . » وَذَكَرَ خَمْساً مِنَ الْحِكْمِ، وَخَتَمَهَا بِالشَّهَادَتَيْنِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وهذه الصيغة التمريضية تدلُّ على أَنَّ البيضاوي لا يعتمدُ ما بعدها، وإنما يكتفي بإيرادها من بابِ الذِّكْرِ فقط.

وكنا نتمنى على البيضاوي لو لم يورد ذلك، حتى لا يأتي رجلٌ مغرضٌ مثلُ الفادي المفتري، ويجعله حُجَّةً على البيضاوي وعلى القرآن!

والراجحُ أَنَّ كُنْزَ الغلامين اليتيمين كان كُنْزاً حقيقياً مالياً، ولم يكن كُنْزاً من كتب العلم، ولا من دُررِ الحِكمم، مكتوبة بلغة عربية سليمة، ومبادئ إسلامية لم تُعرَفْ إِلَّا بَعْدَ الإسلام، مختومة بالشهادتين!.

إنَّ هذه مزاعمُ نرُدُّها، وأقوالُ نرفضها، ولا تُلزِمنا حتى لو كانت عند تفسيرِ البيضاوي، ولا يجوزُ لأحدٍ أَنْ يجعلها حُجَّةً على القرآن، لأنها لم تُثبت بحديثٍ صحيحٍ مرفوع!.

والزعمُ بأنَّ بناءَ الخضرِ للجدارِ كان في زمنِ الإسكندرِ المقدوني من مزاعمِ الفادي وافتراءاته وأكاذيبه، ليتوصَّل بها إلى تكذيبِ القرآنِ وتخطئته.

وبهذا نعرفُ بطلانَ الأسئلةِ والاعتراضاتِ التي أثارها المفتري على القرآنِ في حديثه عن قصة الخضر: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: أَيْنَ موسى الذي عاشَ في مصر سنة [١٥٠٠ ق.م]، من إيليا الذي عاشَ في فلسطين سنة [٩٠٠ ق.م]، من إسكندر الأكبر الذي عاشَ في اليونانِ سنة [٣٣٢ ق.م]! أَيْنَ هؤلاء من الشَّهادَةِ لمحمدٍ الذي ظهرَ في بلادِ العربِ في القرنِ السابعِ بعد الميلاذ؟! فبينَ موسى وإيليا [٦٠٠ سنة!] وبينَ إسكندر وموسى [١٢٠٠ سنة!] وبينَ موسى وظهورِ محمدٍ [٢٢٠٠ سنة!] فكيف يتسنَّى لهؤلاء الذين نشؤوا في ممالكٍ مختلفة، وفي قرونٍ متباعدة، أَنْ يجتمعوا في زمنٍ واحدٍ وفي صعيدٍ واحدٍ؟!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٦.

لقد بنى المفتري الفادي كُلَّ أسئلته على أكذوبة، ادَّعتْ أَنْ شهادةً أَنْ لا إلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ محمداً رسولُ اللهُ هي الكنزُ الذي بنى الخضرُ الجدارَ عليه، وخطأَ القرآنَ بسببها! فإذا كانت هذه الأكذوبةُ مردودةً، فإنَّ القرآنَ لا يتحملها.

الخضرُ كان مع موسى ﷺ، وهو ليس النبيَّ إيليا الذي عاشَ بعد موسى بتسعةِ قرون، ولا صلة بين الخضر وبين الإسكندر المقدوني، الذي جاء بعده باثني عشرَ قرناً! ولم تُكتب الشهاداتانِ على كَنزِ الغلامينِ اليتيمينِ حتى يَصِحَّ ما أثاره المفتري على القرآنِ من اعتراض!!.



حول ترتيب أسماء الأنبياء

في سورة الأنعام ثلاثُ آياتٍ ذَكَرَتْ ثمانيةَ عَشَرَ نبياً. وهي قولُ اللهُ ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلِيَّا كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٦].

الهاءُ في «له» تعودُ على إبراهيم ﷺ. والأنبياءُ الثمانيةَ عَشَرَ المذكورون في المجموعاتِ التالية: إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ، ونوحُ لوحده، وداودُ وسليمانُ وأيوبُ ويوسفُ وموسى وهارون، وزكريَّا ويحيى وعيسى وإلياس، وإسماعيلُ واليسعُ ويونسُ ولوطُ.

وذكرُ الأنبياءِ في هذه المجموعاتِ أثارَ اعتراضِ الفادي؛ قال: «ونحنُ نسأل: كيف صُفِّتْ هذه الأسماءُ بلا نظام ولا ترتيب، بما فيها من تقديم وتأخير، يدعو للتشويشِ والخلط؟ فما الداعي لذكرِ داودَ وسليمانَ قبلَ أيوبَ ويوسفَ وموسى وهارون؟ وما الداعي لذكرِ زكريَّا ويحيى وعيسى وإلياس؟ وما الداعي لذكرِ إسماعيلَ بعدَ إسحاقَ ويعقوبَ وداودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ

وموسى وهارونَ وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس؟ وما الدّاعي لذكرِ اليسعَ ويونسَ قبلَ لوط؟.

مع أنّ الترتيبَ التاريخيَّ معروفٌ قبلَ القرآنِ بمئاتِ السنين، أيوبُ في بلادِ عوص، وإبراهيمُ وابنُ أخيه لوط، وابنُهُ إسماعيلُ وإسحاق، وحفيده يعقوب، وابنُ حفيده يوسفُ. . . ومنَ بعدهم موسى وهارون. . . ومنَ بعدهما داوُدُ وسليمانُ ابنُهُ، ومنَ بعدهما إلياسُ واليسعُ تلميذه، ومنَ بعدهما يونسُ؛ هؤلاءُ كلُّهم في العهدِ القديم. . . ومنَ بعدهم زكريّا ويحيى وعيسى في العهدِ الجديد. . .^(١).

ولا يوجدُ في ذكْرِ الأنبياءِ في الآياتِ ما يدَعو للاعتراضِ أو الإنكار، وليس في ذكْرِ هؤلاءِ الأنبياءِ خطأً تاريخيًّا وقعَ به القرآنُ.

الهدفُ هو ذكرُ أسماءِ الثمانيةِ عشرَ نبياً ذكراً فقط، وليس الهدفُ ذكْرُ الأسماءِ وفقَ الترتيبِ والتسلسلِ التاريخيِّ، فاعتراضُ الفادي في غيرِ مكانِهِ. والترتيبُ الذي ذكَّرَهُ هو ليسَ صحيحاً، فهو يرى أنّ أيوبَ كانَ قبلَ إبراهيمَ ﷺ، وهذا غيرُ صحيح، والصحيحُ أنّ أيوبَ كانَ من ذريةِ إبراهيمَ، بنصِّ الآية: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾.

وهو يرى أنّ زكريّا ويحيى من أنبياءِ العهدِ الجديد، وهذا غيرُ مُسلّم، فالعهدُ الجديدُ هو الإنجيلُ الذي جاءَ به عيسى ﷺ، وكانَ زكريّا قبلَ عيسى، وإنَّ كانَ الأنبياءُ زكريا ويحيى وعيسى أنبياءَ لنبى إسرائيل. . .

واللافتُ للنظرِ أنّ القرآنَ عندما يذكرُ أسماءَ بعضِ الأنبياءِ فإنه لا يُرتبهم ترتيباً تاريخياً، كما هو في الآياتِ السابقة من سورةِ الأنعام، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاخِذِنَا دَاوُدَ زُبُوراً﴾ [النساء: 163].

(١) هل القرآنُ معصوم؟، ص ٣٦ - ٣٧.

إدريس وليس أخنوخ

ذَكَرَ الْقُرْآنُ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَمَّنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧].

وقد حاكمَ الفادي - كعادته - القرآنَ إلى العهدِ القديم، ولَمَّا لم يجد اسمَ إدريسَ فيه حَكَمَ بتخطئةِ القرآن، والذي في العهدِ القديم هو أخنوخ وليس إدريس.. ونَقَلَ الفادي عن سِفْرِ التكوين أنَّ أخنوخَ عاشَ ثلاثمئةَ وخمسةً وستينَ سنةً، وسارَ أخنوخُ مع الله، ولم يوجدَ بعدَ ذلك لأنَّ اللهَ أَخَذَهُ.

ونقلَ عن البيضاويِّ قولَه: «إدريسُ: هو جدُّ أبي نوح، واسمُه أخنوخ، واشتقاقُ إدريسَ من الدَّرْس، لكثرةِ دُرُوسِه، إذ روي أنَّ اللهَ أنزلَ عليه ثلاثينَ صحيفةً، وأنه أولُ مَنْ حَطَّ بِالْقَلَمِ، ونَظَرَ في علمِ النجومِ والحسابِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» يَعْنِي شرفَ النبوةِ والرُّفْضَى عندَ الله، وقيلَ: الجنة، وقيلَ: السماءُ السادسةُ أو الرابعةُ».

واعترضَ الفادي على تسميةِ القرآنِ له بإدريس، وقال: «ونحنُ نسألُ: من أينَ جيءَ باسمِ إدريسَ بدلَ أخنوخ، فالصوابُ أخنوخُ وليس إدريس!»^(١). لا تجوزُ محاكمةُ القرآنِ إلى الكتابِ المقدَّس، لما سبقَ أن قرَّرناه، وقرَّأنا هو المهيمُنُ على ما قبله من الكُتُب، لأنَّ الكُتُبَ السابقةَ مُحَرَّفَةٌ، والقرآنُ محفوظٌ. فما ذَكَرَهُ القرآنُ هو الصوابُ، والاسمُ الذي خالفَ المذكورَ في القرآنِ هو المرفوضُ، وبما أنَّ اسمَه في القرآنِ إدريسُ فهذا هو اسمُه ولا نَدْرِي من أينَ جاءَ مؤلفو سِفْرِ التكوينِ باسمِ أخنوخ، وهو اسمٌ مرفوضٌ! ولَسْنَا مع البيضاويِّ في ما ذَكَرَهُ عن إدريسَ من أنَّ اسمَه أخنوخ، وأنه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٧.

جَدُّ أَبِي نُوحٍ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنَظَرَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً، وَأَنَّهُ رُفِعَ بِجِسْمِهِ إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا رُفِعَ عِيسَى ﷺ! وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ رَفَعَ إِدْرِيسَ مَكَانًا عَلِيًّا: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٥٦﴾ وَرَفَعَتْهُ مَكَانًا عَلِيًّا. وَأَخَذَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقَالُوا: رُفِعَ إِدْرِيسُ بِجِسْمِهِ وَرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا رُفِعَ عِيسَى ﷺ.

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ مَاتَ مَوْتًا طَبِيعِيًّا، وَدُفِنَ عَلَى الْأَرْضِ، وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْمَرَادَ بِرَفْعِهِ مَكَانًا عَلِيًّا مَنْزِلَةَ النُّبُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْقُرْبَى وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ صِدِّيقٌ نَبِيٌّ ﷺ.

وَفِي زَمَنِ نُبُوَّةِ إِدْرِيسَ ﷺ خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ:

- فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ آدَمَ وَقَبْلَ نُوحٍ ﷺ، كَمَا ذَكَرَ الْبِيضَاوِيُّ، وَعِنْدَمَا يَعُدُّونَ الْأَنْبِيَاءَ يَكُونُ هُوَ فِي الرَّقْمِ الثَّانِي، فَيَقُولُونَ: آدَمُ، إِدْرِيسُ، نُوحٌ، هُودٌ، صَالِحٌ... وَهَكَذَا.

وَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ تَأَثَّرُوا بِكَلَامِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، حَيْثُ ذَكَرَ الْأَحْبَارُ أَنَّ اسْمَهُ أَخْنُوخَ، وَأَنَّهُ رُفِعَ بِجِسْمِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ بِقَوْلِهِمْ.

- وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ نُبُوَّةَ إِدْرِيسَ ﷺ مُتَأَخَّرَةٌ، وَأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ قَوْلَهُ: «وَمَنْ قَالَ: إِنَّ إِدْرِيسَ كَانَ قَبْلَ نُوحٍ، فَقَدْ وَهَمَ!». وَالِدَلِيلُ عَلَى وَهْمِهِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي الْمَعْرَاجِ، حِينَ لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ آدَمَ وَإِدْرِيسَ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، وَقَالَ لَهُ إِدْرِيسُ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ.. فَلَوْ كَانَ إِدْرِيسُ أَبًا لِنُوحٍ لَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَلَمَّا قَالَ لَهُ إِدْرِيسُ: الْأَخِ الصَّالِحِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي نُوحٍ...»^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٣٢/٧.

ونحنُ مع ابنِ العربيِّ والقرطبيِّ في أنَّ إدريسَ مُتَأَخَّر، وأنه من أنبياءِ بني إسرائيل، ومما يُؤكِّدُ ما قاله ابنُ العربيِّ أنَّ آدمَ وإبراهيمَ خاطبا محمداً ﷺ بالبُتُوَّة، وقالوا له: مَرَحَباً بالنبِيِّ الصالحِ والابنِ الصالحِ. بينما خاطبهُ الخمسةُ الآخرون: يوسفُ وموسى وهارونُ وإدريسُ وعيسى بالأخُوَّة، وقالوا له: مرحباً بالنبِيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ.

وبهذا نعرفُ حَظاً كلامِ الفادي من أنَّ إدريسَ هو أخنوخ، وأنه جدُّ نوح، فما قاله عنه القرآن هو الصحيح، وهو من أنبياءِ بني إسرائيل المتأخِّرين.



من هم أتباع نوح ﷺ؟

لَمَّا دعا نوحٌ ﷺ قومه إلى عبادةِ اللهِ وَحَدَه كَفَرُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ، وَأَثَارَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الشَّبَهَاتِ ضِدَّهُ، وَأَخْبَرَنَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ عَنْ بَعْضِ تِلْكَ الشَّبَهَاتِ. قَالَ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِتَّقِ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلَهِمِ ﴿١٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٧].

اتَّهَمَ الْمَلَأُ نُوحًا بِأَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا، وَأَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَيْسُوا سَادَةَ الْقَوْمِ وَأَشْرَافَهُمْ، إِنَّمَا هُمْ الْأَرَادِلُ وَالضَّعْفَاءُ: ﴿وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدَى الرَّأْيِ﴾.

وَحَظًّا الْفَادِي الْقُرْآنَ فِي هَذَا الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ يَتَعَارَضُ مَعَ كَلَامِ الْأَحْبَارِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَالْمَعْتَمَدُ عِنْدَهُ هُوَ مَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. . قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: أَيْنَ الْأَرَادِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا نُوحًا وَآمَنُوا بِهِ؟ إِنَّ أَحَدًا لَمْ يُؤْمِنْ بِكَرَارَتِهِ، كَمَا تَقُولُ

التوراة والإنجيل، ولم يدخل معه في الفلك إلا امرأته وأولاده ونساء أولاده، وهم ليسوا أراذل، والقرآن يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَلْبَابِينَ﴾^(١) [الصفات: ١٧٧]. وهذا يعني أن الحديث الذي دار بين نوح وقومه عن إيمان البعض به لم يحدث^(٢).

وقد سبق أن بيّنا كذب الأخبار والفادي في زعمهم أن ركاب السفينة كانوا ثمانية أشخاص فقط، هم أسرة نوح.

ويواصل الفادي هنا كذبه وافتراءه عندما ادّعى أنه لم يؤمن به أحد من قومه! ولا ندري ماذا كان نوح يفعل معهم طيلة حوالي ألف سنة؟ يزعم الأخبار والفادي أنه لم يدعهم إلى الله خلال هذه المدة كلها، ولذلك لم يؤمن به أحد! وقد أخطأ القرآن عندما أخبر عن كلام بينه وبين قومه عن إيمان بعضهم، لأن هذا الحديث لم يحدث كما جزم الفادي!

لقد كان القرآن صريحاً في إيمان عدد قليل من قومه. قال تعالى: ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وأخطأ الأخبار والفادي عندما زعموا أن كل عائلة نوح كانوا في السفينة، وقد سبق أن بيّنا خطأهم فيما مضى، ودكرنا أنه لم يركب معه في السفينة إلا المؤمنون من أهله، وأن امرأته كافرة، وأن أحد أبنائه كافر. فلم يخطئ القرآن في حديثه عن ما جرى بين نوح وقومه الكافرين، وإنما أخطأ الفادي في اعتراضه على القرآن، واعتماده على أخطاء العهد القديم التي كذبها القرآن.

(١) أخطأ الجاهل الفادي في كتابة الآية، فجعل «الباقون» مرفوعة، مع أنها في القرآن منصوبة: ﴿أَلْبَابِينَ﴾ لأنه مفعول به ثان لفعل ﴿جَعَلْنَا﴾.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٨.

بابل والنمرود

أخبر الله أنه دَمَّرَ بيوتَ كافرين سابقين . قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وقد نقل الفادي المتحامِلُ قولاً ذَكَرَهُ البيضاويُّ في تفسير الآية، مع أنه لم يَعْتَمِدْهُ، وَعَرَضَهُ بصيغة «قيل» الدالَّةُ على التضعيف . قال: «قال البيضاوي: قيل: المرادُ به نمرودُ بنُ كنعان، بنى الصرحَ ببابل، سُمِّكُهُ خمسةُ آلافِ ذراع، ليرصِّدَ أمرَ السماء، فأهَبَّ اللهُ الرِّيحَ، فَخَرَّ عليه وعلى قومِهِ فَهَلَكُوا...» .

مع أَنَّ القولَ الذي يقولُ به البيضاوي غيرُ الذي ذكره أعلاه قال: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: سَوَّوا مَنْصُوبات، لِيَمْكُرُوا بها رسلَ الله عليهم الصلاة والسلام. ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾: فأتاها أمرُهُ من جهةِ العُمْدِ التي بنوا عليها، بأنْ ضُعُضِعَتْ ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: وصار سببُ هلاكِهِمْ. ﴿وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يَحْتَسِبُونَ ولا يتوقَّعون.. وهو على سبيلِ التمثيل..^(١).

الآيةُ عامَّةٌ تتحدَّثُ عن الكفارِ الذين يمكرون بأولياءِ الله ودينه، على اختلافِ الزمانِ والمكان، فيبْطُلُ اللهُ مكرَهُم، وَيَنْصُرُ الحَقَّ، وهي من بابِ التمثيل.

وهذا معناه أَنَّ البيضاويَّ لا يَرى أَنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن بابل والنمرود، وأنه أوردَ روايةً بذلك من بابِ الذِّكْرِ، ولكنَّه لا يقولُ بها!! .

ولكنَّ الفادي المتحامِلَ اعتبرَ هذه الروايةَ دليلَ تخطئةِ القرآنِ والبيضاوي،

(١) تفسير البيضاوي: ٢٢٤/٣.

ولذلك قال: «ونحنُ نسأل: من أينَ جاءَ للبيضاويِّ أنَ نمرودَ هو ابنُ كنعان؟ فنمرودُ هو ابنُ كوش بن حام بن نوح [تكوين: ٦/١٠ - ٨]. . وأخذَ الناسُ بعدَ الطوفانِ يَنونَ مدينةً وِبرجاً عالياً يُخلِّدونَ به اسمَهُم، فعاقَبَهُم اللهُ بأنَّ بلبلَ أَلستَهُم، فلمَ يَستطيعوا التفاهم، وكَفُّوا عن البنيان. . . ولذلك سُميت المدينة «بابل»، لأنَّ هناكَ بلبلَ اللهُ أَلستَهُم [تكوين: ١/١١ - ٩]»^(١).

إنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن الكفارِ السابقين، بدونِ تعيينٍ أو تحديد، كانوا يمكرونَ بالأنبياء، ويتآمرونَ على المؤمنين، فأنجى اللهُ المؤمنين، وأوقعَ بهم عقابَهُ، بأنَّ قَلَعَ بُنيانَهُم من القواعد، فخرَّ عليهم السقفُ من فوقهم، وعَجَزوا عن النجاة. . وهذا ينطبقُ على كلِّ الأقوامِ الكافرين، مثل قومِ نوح، وعاد، وشمود، ومدين، وقوم لوط، والفراعنة، والآشوريين، والبابليين، واليونان، والرومان، وغيرهم.

وقد وردَ في سِفْرِ التكوينِ أسطورةُ برجِ بابل، التي كَتَبَها الأخبار، وزَعَموا أنها من عندِ اللهُ، وخلاصةُ تلكِ الأسطورةِ الخرافية، أنه كانَ الناسُ جميعاً مُتجمعين في بابل، ويتكلمونَ لغةً واحدةً، وأنهم أرادوا بناءَ مدينةٍ عظيمة، وِبرجاً عالياً، ليخلِّدوا اسمَهُم، ولما رآهم الربُّ على هذا الاجتماعِ والتعاونِ والاتفاقِ، خاف أنَ يَغْلِبوه، إنَّ نَحِحوا في تحقيقِ مُرادِهِم، فعاقَبَهُم بأنَّ بَلْبَلَ أَلستَهُم وَفَرَّقَ قُلُوبَهُم، وَشَتَّتَهُم، فَكَفُّوا عن مشروعِهِم الكَبير، وَتَفَرَّقُوا في الأَرْض. . وَسُميت المدينةُ التي كانوا فيها «بابل» لهذا السبب!!.

هذه الأسطورةُ الخرافيةُ التي كَتَبَها الأخبارُ الكافرون في سِفْرِ التكوينِ [١/١١ - ٩] يَؤمِنُ بها الفادي، مع أنها أباطيلٌ وكفَرٌ بالله، ونحنُ ننكرُها ونُكذِّبُها ونُكفِّرُ بها. .

أما اعتراضُ الفادي على البيضاوي لأنه جعلَ نمرودَ ابناً لَكنعان، فهو لا معنى له، وما قاله هو من أنَ نمرودَ هو ابنُ كوشِ بن حام بن نوح ادِّعاءٌ ليس

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٨.

عليه دليل، لأنه لم يرد في مصادرنا الإسلامية اليقينية، فنحن نتوقف فيه، لا نثنيه ولا نثبت. فلا نقول: نمرود بن كنعان، ولا نقول: نمرود بن كوش، ولا نقول: نمرود فقط. ونقول: الله تعالى أعلم، والجهل بذلك لا يضيرنا!!

والعجيب في تحامل المفتري الفادي أنه يحمل القرآن الكلام الذي ذكره البيضاوي، مع أنه لم يأخذه من القرآن، وإنما أخذه من الإخباريين السابقين، وإذا كان ذلك الكلام خطأ فكيف يتحمله القرآن، الذي لم يذكره في آياته؟!.



ما هو أصل الكعبة؟

أخبر الله في القرآن أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنيا الكعبة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّٔ وَعَهْدِنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْرَطُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَ الْمَصِيدُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٥ - ١٢٧].

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنيا بيت الله الحرام، وكانا يدعوان الله وهما يرفعان قواعد البيت، وجعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمناً، يأتونه زائرين مُصلّين، وحاجين ومعتَمِرين، من كل مكان في الأرض. ويخطئ الفادي المفتري القرآن في كلامه عن بناء الكعبة، ويحاكم القرآن إلى أسفار كتابه المقدس، وبما أن الأخبار لم يذكروا مجيء إبراهيم إلى بلاد الحجاز، فإن القرآن مخطئ في كلامه عن مجيئه إلى الحجاز!.

قال المفتري: «ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أن إبراهيم دعي من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان، وهناك بنى مذبحاً للرب. ولم يرد ذكر لذهابه إلى

بلادِ العَرَبِ، ولا ذِكْرُ لبنائه هو وإسماعيل الكعبة، ولكنه تَعَرَّبَ في أرضِ كنعان، التي وَعَدَهُ اللهُ وَوَعَدَ بِهَا نَسْلَهُ».

وكَلَامُ الفادي تَحَكُّمٌ في التاريخ، ووصايةٌ عليه، فالأصلُ عِنْدَهُ أسفارُ الكتابِ المقدس، فكلُّ ما وردَ فيها فهو عِنْدَهُ الصواب، وكل ما سَكَّتْ عنه تلك الأسفارُ فهو الخطأ! وهذا تَحَكُّمٌ مَرْدود، فلم يَذْكُرِ الكتابُ المقدسُ كُلَّ أحداثِ التاريخِ الماضي، حتى نُحَطِّيَ أَيَّ حَدَثٍ لم يَرِدْ فيه!.

هذا إذا كانتِ أسفارُ الكتابِ المقدس - بعهديه القديم والجديد - صحيحةً صادقة، فكيف إذا كانتِ تلك الأسفارُ مشكوكاً فيها، لأنَّ الأخبارَ الكاذبين هم الذين كَتَبوها؟ وهم ليسوا أُمَّنَاءَ على التاريخ!!.

إنَّ المرجعَ في أحداثِ التاريخِ الماضي هو القرآنُ الكريم، لأنه كَلَامُ اللهُ المحفوظُ الثابت، وكلُّ ما فيه حَقٌّ وصدقٌ وصواب، وبما أنَّ القرآنَ أَخْبَرَنَا بصريح آياته أنَّ إبراهيمَ هاجرَ إلى الأرضِ المقدَّسة، فهذا الخَبْرُ صحيح، وبما أنه أَخْبَرَنَا أنَّ إبراهيمَ أتى إلى بلادِ الحجاز، فهذا الخَبْرُ صحيح، وبما أنه أَخْبَرَنَا أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام هما اللذان بنيا الكعبة، فهذا الخَبْرُ صحيح.. واعتراضُ الفادي على هذا مردود، وتخطئته كلامَ القرآنِ هي الخطأ الفادحُ الذي وَقَعَ هو فيه!!.

ويتكلمُ الفادي المفتري عن الكعبةِ كلاماً فاجراً خطيراً، يقومُ على الكذبِ والافتراء.

اللهُ أَخْبَرَ أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام هما اللذان بنيا الكعبة، والفادي يَنْفِي ذلك وَيُحَطِّئُهُ وَيُكَذِّبُهُ.

واللهُ أَخْبَرَ أنَّ الكعبةَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ للناسِ لِعِبَادَةِ اللهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَفَّاهُ ﴿٩٧﴾ [آل عمران: 96 - 97] والفادي المفتري يُكَذِّبُ ذلك، ويعتبرُ الكعبةَ بيتاً بُنِيَ لِعِبَادَةِ كوكبِ زُحَل! قال في فقرة قبيحة فاجرة: «ونحنُ نَسألُ: كيف تكونُ

الكعبة بيت الله، وبيت المثوبة، وبيت الأيمن، وهي بيت الأوثان؟! وقد بُنيت أول الأمر لعبادة كوكب زحل؟! وكان كل من استولى عليها يقهر أهلها، ليمارسوا شعائر مذهبه! وفي أيام محمد كان في الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، لكل حي من أحياء العرب صنم! وقد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء محمد ومعه قضيب، وجعل يهوي به على كل صنم منها، فيسقط الصنم إلى الأرض، وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

من أين جاء المفترى بكذبتة الكُبرى، من أن الكعبة بُنيت لعبادة زحل أولاً؟! لقد بُنيت الكعبة لعبادة الله، لا لتكون بيتاً للأصنام، ودعا بانيها الأول إبراهيم ﷺ الله أن يجعل مكة كلها آمنة، لأنها بلد الكعبة، وسأله أن يُبعد عن بنيه عبادة الأصنام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ويتوقع المفترى فيكذب كلام الله تكديماً صريحاً. فالله يقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].. والفاجر يكذب ذلك قائلاً: «كيف تكون الكعبة بيت الله، وبيت المثوبة، وبيت الأيمن، وهي بيت الأوثان، وقد بُنيت أول الأمر لعبادة كوكب زحل؟!».

إننا نؤمن بكلام الله ونصدقُه ونثقُ به، ونكفرُ بكل كلام يكذبه ويتناقض معه، فالكعبة هي أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض، والذي بناها هو إبراهيم وإسماعيل ﷺ، وجعلها الله مثابة للناس وأمناً، وبقيت خالصة لعبادة الله وحده عدة قرون، وحولها المؤمنون العابدون لله...

ثم طراً عليها الشرك بالله، وأدخلت فيها الأصنام، وكان أول من أدخل الأصنام إليها هو «سالم بن عمرو الخزاعي»، وكان زعيم أهل مكة، وتوجه إلى البلقاء في الشام للعلاج، وأقام في «ربة عمون» - مدينة عمان حالياً - فترة من الزمن، ورأى فيها تماثيل وأصناماً جميلة، أعجبه منظرها، فحملها معه إلى مكة، ووضعها في الكعبة، ودعا قومه إلى عبادتها فاستجابوا له. وكان هذا بعد عدة قرون من وفاة إبراهيم وإسماعيل ﷺ!

وما زال المشركون يَضَعُونَ الأصنامَ فيها، ويزيدونَ أعدادَها، حتى وَصَلَتْ عند بعثةِ رسولِ الله ﷺ إلى ثلاثمئةٍ وستينَ صنماً!! ولكنَّ الشركَ طارئٌ على الكعبة، بعد أن بقيت قروناً عديدة بيتاً للإيمانِ والتوحيد.

ثم إنَّ الرسولَ ﷺ أعادَ الكعبةَ مثابةً للناسِ وأمناً، وبيتاً لعبادةِ الله، وطَهَّرَها للطائفينَ والعاكفينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ.. ولما دخلها يومَ فتحِ مكةَ في العشرين من رمضان في السنة الثامنة للهجرة حَطَمَ الأصنامَ كُلَّها، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وواصلَ الفادي المجرمُ شتمَ الإسلامِ والرسولِ ﷺ، عندما اتهم شعائرَ الحجِّ والعمرةِ بأنها من مُخَلَّفَاتِ الوثنيين عابدي الأصنام. قال: «.. ولما استولى محمدٌ على البيتِ أبقى فيه أغلَبَ الشعائرِ الوثنية كما هي، كالحجِّ، والطواف، والإحرام، والاعتمار، ورجم الحجارة، وتقبيل الحجرِ الأسود، والنحر، وغير ذلك!..».

ومن بابِ الخداعِ والدَّجَلِ والتمويه أحوالَ الفادي المفتري على بعضِ الكتب التي ألَّفها مسلمون، مثل كتاب تاريخِ الكعبة للخربوطلي، [هو كتاب: الكعبة على مر العصور، للدكتور علي حسني الخربوطلي]، والجذور التاريخية للشريعة الإسلامية لعبد الكريم الخليل^(١).

واتَّهَمُ الإسلامَ بأنه استمرارٌ للدياناتِ السابقة رَدَّدَهُ اليهودُ والنصارى والمستشرقون، وزَعَمُوا فيه أَنَّ القرآنَ مُسْتَمَدٌّ من التوراة والإنجيل، وأنَّ الإسلامَ مأخوذٌ من اليهودية والنصرانية، وأنَّ الأحكامَ الإسلاميةَ مأخوذةٌ من الشرائعِ السابقة، وأنَّ مناسكَ وشعائرَ الحجِّ والعمرة، مأخوذةٌ من ممارساتِ العربِ الوثنيين الجاهليين قبل الإسلام.

فما قاله الفادي المفتري هنا حولَ الحجِّ والعمرة استمرارٌ في الأكاذيبِ التي رَدَّدَهَا إخوانه المفترون الكاذبون الكافرون.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٩.

ونحن نوقن أن القرآن كلام الله، وأن الإسلام دين الله، وأن أحكام الإسلام من عند الله!!.



إبراهيم عليه السلام ونمرود

وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ جِدَالَ وَحِجَاخٍ وَنِقَاشٌ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ مَلِكٍ فِي عَهْدِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكان ذلك الملك يدعى الألوهية، ودعاه إبراهيم عليه السلام إلى الإيمان بالله وحده، والخضوع له، ولكنه أبي، فقال له إبراهيم: ربّي الذي يحيي ويميت. فقال الملك: أنا أحيي وأميت.. فقال له إبراهيم: الله هو الذي يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب، فإن كنت إليها فسيطر على الكون، وغير حركة الشمس، وأنت بها من المغرب! عند ذلك بهت الملك الكافر، واعترف بعجزه عن فعل ذلك!!.

وذهب كثير من المفسرين إلى أن اسم ذلك الملك الكافر هو: «نمرود». ونقل الفادي عن البيضاوي قوله: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ تَعَجُّبٌ مِنْ مُحَاجَّةِ نَمْرُودَ وَحِمَاقَتِهِ».

واعتبر الفادي هذا الكلام خطأ، لأنه لا يتفق مع التاريخ. وحمل القرآن هذا الخطأ التاريخي: فقال: «ونحن نسأل: كيف حدثت هذه المحاجة، ونمرود سابق لإبراهيم بثلاثمائة سنة؟ فبين إبراهيم ونوح اثنا عشر جيلاً [لوقا: ٣/٣٤ - ٣٦]، وبين نمرود ونوح أربعة أجيال [تكوين: ١/١٠ - ٨]»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٣٩.

واعترضُ الفادي مَرْدود: فالقرآنُ أَبْهَمَ اسْمَ ذلك الملكِ الكافر، الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه، ولم يذكرْ رسولَ الله ﷺ اسْمَهُ، وعلينا أن لا نخوضَ في تحديدِ اسْمِهِ، لأنَّ ذلك لا يُؤخَذُ إلا من الآياتِ القرآنية الصريحةِ أو الأحاديثِ النبويةِ الصحيحة. وبما أنَّ القرآنَ والحديثَ الصحيحَ سَكَنَّا عن اسْمِهِ فعلينا أن نتابعهما ونَبْقَى مَعَهُمَا!.

وهذا معناه أننا لسنا مع البيضاويِّ وجمهورِ المفسرين في أنه نمرود، لأنَّ هذا التحديدَ من الإسرائيليات، ونقول: اللهُ أَعْلَمُ بِاسْمِهِ.

وما ذَكَرَهُ الفادي نَقْلاً عن سِفْرِ التكوينِ في العهدِ القديمِ من وجودِ أربعةِ أجيالٍ بينَ نوحٍ ونمرودٍ لا دليلَ عليه، ولذلك نتوقَّفُ فيه، وما ذَكَرَهُ من أنَّ نمرودَ عاشَ قبلَ إبراهيمَ ﷺ بثلاثمئةِ سنةٍ نتوقَّفُ فيه أيضاً، كذلك نتوقَّفُ في ما نقلَهُ عن إنجيلِ لوقا من وجودِ اثني عشرَ جيلاً بينَ نوحٍ وإبراهيمَ ﷺ!.

وقد ذَكَرَ الإخباريونَ والمؤرِّخونَ أنَّ نمرودَ كانَ ملكاً في العراق، في ذلك الزمنِ البعيدِ، ونحنُ نتوقَّفُ فيه، فلا نُصدِّقُ ما ذَكَرُوهُ عنه ولا نكذِّبُهُ، ولا نَنفِيهِ ولا نُثَبِّتُهُ، ونقول: اللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهِ!!.

وقد كانَ الفادي مُتَحامِلاً على القرآن، عندما حَمَلَهُ كلاماً لم يَقُلْهُ، لأنَّ هَدَفَهُ الانتقاصُ من القرآنِ وتخطُّتُهُ، وإِدانتُهُ بما لم يَقُلْهُ!!.



إِسْمَاعِيلُ صِدِّيقٌ نَبِيٌّ ﷺ

إِسْمَاعِيلُ هو ابنُ إبراهيمَ البكر، وإِسْحاقُ هو أخوه، وهو عمُّ يعقوبَ، أبو بني إسرائيل، وذَكَرَ القرآنُ أنَّ إبراهيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحاقَ ويعقوبَ كانوا أنبياءً ﷺ.

وقد نَصَّ القرآنُ على نبوةِ إِسْمَاعِيلَ ﷺ في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ

أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٤ - ٥٥﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

واعترض الفادي على القولِ بنبوّةِ إسماعيلَ عليه السلام، واعتبرَ هذا من أخطاءِ القرآنِ التاريخيّة، وحاكَمَ القرآنُ إلى أسفارِ العهدِ القديمِ. قالَ: «ونحنُ نسألُ: كيفَ يكونُ إسماعيلُ نبيًّا، والتوراةُ تصفهُ في سفرِ التكوينِ بقولها: «وإنَّه يكونُ إنسانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ؟ [تكوين: ١٦/١٢]»^(١).

لقد كانَ الفادي مُخْطِئًا في محاكَمَةِ القرآنِ لأسفارِ العهدِ القديمِ، لأنَّ تلكَ الأسفارَ من تأليفِ الأَحبارِ، وما ذَكَرُوهُ فيها من كلامٍ مشكوكٍ فيه، أمَّا القرآنُ فهو كلامُ الله، وَنَجْزُمُ بَأَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَصَحِيحٌ وَصَوَابٌ.

وبما أَنَّ القرآنَ صَرَّحَ بِأَنَّ إسماعيلَ عليه السلام كانَ رسولاً نبيًّا، فهو الصوابُ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّ إسماعيلَ هو أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إِنَّ الْخِلَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَادِي وَإِخْوَانِهِ النَّصَارَى كَبِيرٌ، فَمَرْجِعِيَّتُهُ الَّتِي يَحْتَكُمُ إِلَيْهَا هِيَ أَسْفَارُ الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ، وَكُلُّ مَا لَمْ يَرِدْ فِيهَا فَهُوَ عِنْدَهُ خَطَأٌ، وَهَذِهِ الْمَرْجِعِيَّةُ مَرْفُوضَةٌ عِنْدَنَا. . . وَمَرْجِعِيَّتُنَا الَّتِي نَحْتَكُمُ إِلَيْهَا هِيَ الْقُرْآنُ، وَكُلُّ مَا ذَكَرَ فِيهِ فَهُوَ صَوَابٌ، وَهَذَا مَرْفُوضٌ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ! فَكَيْفَ نَلْتَقِي مَعَهُ؟! .



كيف احتال إخوة يوسف عليه السلام على أبيهم؟

ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ لَمَّا تَأَمَّرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَطْرَحُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ، احْتَالُوا عَلَى أَبِيهِمْ، لِيُؤْفِقَ عَلَى إِرْسَالِهِ مَعَهُمْ، وَأَوْهَمُوهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَصْلَحَةَ الصَّغِيرِ، لِيَرْتَعَ وَيَلْعَبَ وَيَقْفَزَ وَيَمْرَحَ. قالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٠.

مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ [يوسف: ١١ - ١٤].

وحاكم الفادي المفتري ما ورد في هذه الآيات إلى سفر التكوين، فلم يجد فيه كلاماً عنه، ووجد فيه كلاماً آخر، فحكم برد ما في الآيات، واعتباره من أخطاء القرآن التاريخية.

وتساءل بحُبثٍ ولُؤمٍ قائلاً: «ونحنُ نسألُ: من أين جاءت هذه المعلومات؟ مع أن التوراة لا تقول: إن إخوة يوسف طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم ليلعب، ولا أنهم يعقوب أولاده بالغفلة عن يوسف حتى يأكله الذئب! لكن الواقع أن يعقوب أرسل يوسف لیسأل عن سلامة إخوته، ولما رأوه قالوا: هو ذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار، ونقول: وحش رديء أكله، فنرى ماذا تكون أحلامه. [تكوين: ٣٧/١٩ - ٢٠]. . . ولما باعوه للإسماعيليين أخذوا قميصه، ولوثوه بدم جدي، وأحضره إلى أبيهم، ليوهموه أن ذئباً أكله..» (١).

إذا ورد في القرآن كلام عن أمر، وورد في الكتاب المقدس كلام آخر عن الأمر نفسه، يتعارض مع ما ورد في القرآن، فالصحيح عندنا هو ما ورد في القرآن، لأنه كلام الله، ولا أحد أضدق من الله، وكل ما خالفه وعارضه نحكم بأنه خطأ وباطل ومردود. وهذه بدهية إيمانية مقررّة عندنا.

ذكر القرآن أن الإخوة تأمروا على يوسف ليتخلصوا منه، وتحاولوا على أبيهم، ليأذن بخروجه معهم، وأوهموه بأنهم يريدون مصلحته، بأن يخرج معهم ليرتّع ويلعب، ولما ذكر لهم يعقوب بأنه يخاف أن يغفلوا عنه، ويأكله الذئب، ظمأنوه، بأن ذلك لن يكون، لأنهم حريصون عليه، حافظون له.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٠.

وهذا معناه أَنَّ اعتراضَ الفادي عليه مردود، وتخطئته له هي الخطأ الكبيرُ الذي وَقَعَ هو فيه، لأنَّه اعتمدَ على كلامِ سفرِ التكوينِ عنه، وهو من تأليفِ الأَحبارِ، الذين حَرَّفوا كلامَ الله، ومَزَجوه بأقوالِهِمْ وأكاذيبِهِمْ ومزاعمِهِمْ!!.

الذي وردَ في سفرِ التكوينِ: أَنَّ يَعْقوبَ كان يسكنُ في «النَّقبِ» في جنوبِ فلسطين. وذهبَ أبناؤُهُ العشرةُ من النَّقبِ في الجنوبِ إلى شَكِيم - هي نابلس - في الشمالِ يَرَعُونَ غَنَمَهُمْ، وَقَلِقَ يَعْقوبُ عليهم، ولم يكنْ عندهُ إلاَّ ابْنُهُ يوسفُ، وكان طفلاً صغيراً، فطلبَ منه أَنْ يذْهَبَ إلى إِخوته ليطمئنَ عليهم! وسارَ الطفلُ وَحدهُ، وقطَعَ المسافةَ من الجنوبِ إلى الشمالِ وحدهُ، واجتازَ منطقةَ النَّقبِ والخليلِ وبيتَ لحمِ والقدسِ ورام الله وَحدهُ، وهي مسافةٌ طويلة، يستغرقُ عبورها عدةَ أيامٍ!!! ووصلَ إلى إِخوانِهِ في منطقةِ شَكِيم، وكانوا يَرعونَ مواشيَهُمْ، وكانوا يَكْرَهُونَ يوسفَ، فلما رأوه قادمًا إليهِمْ تَأَمَّروا على إِلقائه في أَحَدِ الآبارِ على الطريقِ ليتخلَّصوا منه، فهَجَموا عليه، وجَرَدُوهُ من قميصِهِ الموشَى، وألقوه في بئرٍ، وذَبَحوا جَدِيًّا، ولَطَّخوا القميصَ بدمِهِ، وزَعَموا لأبيهِمْ أَنَّ ذُبَابًا أَكَلَهُ!!.

وإذا كان الفادي يَعتمدُ هذا الكلامَ، لأنه يؤمنُ أَنَّ كُلَّ ما في الكتابِ المقدَّسِ صحيح، فإننا لا نَعتمدُهُ ولا نقولُ به، لأنه يُخالفُ ما وردَ في القرآنِ، وأيُّ كلامٍ يَتعارضُ مع القرآنِ مردودٌ عندنا!!.



الشاهد ببراءة يوسف ﷺ

ذكرَ القرآنُ أَنه بعدَ أَن اتهمت امرأةُ العزيزِ يوسفَ بمراودتها، ودافعَ يوسفُ عن نفسه، تدخَّلَ أَحَدُ أفرادِ الأسرةِ للحكمِ في هذه المسألة. قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا

جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ فَمِصُّهُ قَدْ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
 ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ فَمِصُّهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى فَمِصُّهُ قَدْ
 مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا
 وَأَسْتَغْفِرِي لَذَنبِكُ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْغَاطِطِينَ ﴿يوسف: ٢٥ - ٢٩﴾.

وذهب الفادي إلى تفسير البيضاوي ليتعرف منه على هوية هذا الشاهد،
 وأخذ عن البيضاوي قوله: «قيل: هو ابن عم لها، كان صبيًا في المهدي». واثم الفادي القرآن بالخطأ، لأن البيضاوي ذكر ذلك وكيف يتحمل
 القرآن مسؤولية كلام لم يقوله؟! ولذلك علق على ذلك بقوله: «ونحن نسأل:
 من أين جاء هذا الشاهد؟ هل كان في البيت؟ ومع من كان؟ والبيت لم يكن
 به أحد؟..».

ويمكن أن يصح اعتراض الفادي لو قلنا: كان الشاهد طفلاً صغيراً في
 المهدي مع أن هذا الكلام الذي رواه البيضاوي لم يصح، ولا نقول به، إذ
 كيف يشهد هذه الشهادة الواعية طفل صغير في المهدي؟ وأين كان هذا الطفل؟
 هل كان داخل البيت وشاهد مرادة المرأة ليوسف؟.

الراجح أن هذا الشاهد كان رجلاً واعياً حسيماً، ولا نعرف شيئاً
 عن هوية هذا الشاهد، إلا أنه من أهل امرأة العزيز. ولا يلزم أنه شاهد
 مرادة المرأة ليوسف، كما أنه لا يلزم أنه كان مع العزيز عندما رأها لدى
 الباب... فمن المعقول - بعدما اتهمت المرأة يوسف، ودافع يوسف عن
 نفسه - أن يطلب العزيز حكماً ليحقق في الأمر ويصدر حكمه، وأن يختار هذا
 الحكم الشاهد القاضي من أهلها ليكون أبعد عن التهمة.

وتدل شهادة الشاهد على رجاحة عقله واتزانه، حيث دعا إلى النظر إلى
 القميص الذي يرتديه يوسف، فإن قد من الأمام كانت المرأة صادقة في
 دعوها، وكان هو كاذباً، لأنه يكون قد هجم عليها، وهي تردده وتدافع عن
 نفسها، فتقصد قميصه من قبل، وإن قد قميصه من دبر كان يوسف صادقاً وهي

كاذبة، لأنه يكون هارباً منها، وهي تلحقُ به لتعيدهُ إليها، وتشدُّ قميصه من الخلف فتقدهُ!

ولما رأى العزيز القميصَ قُدَّ من دُبُرٍ، عَرَفَ أَنَّ امرأته هي التي راودت يوسف، فقال لها: هذا من كيدِكُنَّ، إِنَّ كيدَكُنَّ عظيم.

وبهذا نعرفُ خَطَأَ الفادي عندما خَطَأَ القرآن في كلامه عن هذا الشاهد، وعندما وَضَعَ عنواناً تهكيمياً، وهو: «اختراعُ طِفْلٍ يَنْطِقُ بالشهادة»! والاختراعُ يَعْنِي الادِّعَاءَ والافتراءَ والكذبَ.

وبما أَنَّ القرآنَ أَخْبَرَ عن الشاهدِ وشهادتهِ فهو الصحيح، لأننا نثقُ ونؤمنُ بكلِّ ما وَرَدَ في القرآن!

وفي الوقتِ الذي خَطَأَ فيه الفادي القرآنَ في كلامه عن الشاهد، فقد اعتمدَ كلامَ الكتابِ المقدَّس، الذي زعمَ مؤلّفوه الأَجْبَارُ أنه لما راودت المرأةُ يوسفَ أَمْسَكْتَهُ من ثوبه، فتركَ ثوبه مَعَهَا وَهَرَبَ!.. ونحنُ ننكرُ ذلكَ ونرُدُّه، ولا نقولُ إِلَّا بما قال به القرآن.

وَيُنْكِرُ الفادي المَفْتَرِي أَنَّ تكونَ المرأةُ قَالَتْ لزوجها ما ذَكَرَهُ القرآنُ عنها: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وذلك في قوله: «وكيف يُعلنُ فوطيفارُ براءةَ يوسفَ وذُنْبَ امرأته، ثم يُبَيِّنُها هي ويوسفُ في البيت، ويرضَى بهذا العار؟ وكيف بَعْدَ أَنْ يَحْكُمَ فوطيفارُ ببراءةِ يوسفَ، وبعْدَ أَنْ تُصْرِّحَ زوجتهُ أَنَّها راودته عن نفسه فاستعصم، تعودُ لِتَهْدِدَ يوسفَ بالسجنِ إن لم يفعلْ ما أَمَرْتَهُ به من فحشاء، فَيَقْبَلُ فوطيفارُ أَنْ يسجنَه، لا لِشَرِّهِ بل لِعَقَبَتِهِ..»^(١).

واعترضُ الفادي على هذا دليلُ جهلهُ وغبائهُ، وهو اعتراضٌ لا معنى له، فيما أَنَّ اللهَ ذَكَرَ ذلكَ في القرآنِ فإننا نجزمُ بأنه حَصَلَ كما أخبرَ الله.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤١.

يوسف ومرآودة نسوة المدينة

أخبر الله أن نسوة في المدينة عدلن امرأة العزيز لحبها فتاها يوسف، ومرآودتها له، وكانت هي أمكر منهن، حيث أعدت لهن مأدبة، وأظهرت لهن يوسف، فلما رأيته فتنن وأعجبن به، فجاهرت المرأة بحبها له، وتصميمها على معاشرته.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأِيَهُنَّ أَكْبَرَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٠ - ٣٢].

واعترض الفادي المفتري على ما قاله الله، وأنكره وكذبه، وكان عنوان اعتراضه: «وليمة نسائية وهمية» أي لم تكن تلك المأدبة حقيقية، وإنما كانت وهمية متخيّلة، أفترها القرآن. وقال في إنكاره وتكذيبه: «ونحن نسال: هل يُعقل أن زوجة ضابط، كبير، تُهيئ وليمة خصيصاً، وتدعو سيدات أشراف المدينة، لتعلن أمامهن غرامها وهيامها بعبيدها، وتكشف عن وجهها برقع الحياء، دون أن تخشى فضيحة؟ وكيف يُعقل أن النسوة ينشغلن بجمال يوسف حتى يُقطعن أيديهن بالسكاكين من غير إحساس، من شدة الذهول؟ أليس هذا من الخيالات السقيمة؟!»^(١).

اعتبر الفادي المفتري كلام القرآن عن المأدبة من الخيالات السقيمة، فهي مكذوبة مختلقة، واعتبرها متناقضة مع المنطق العقلي! فمن غير المعقول

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤١.

أَنْ تُجَاهِرَ الْمَرْأَةَ بِعَشْقِهَا لِفَتَاهَا أَمَامَ النِّسَاءِ، وَأَنْ تَتَخَلَّى عَنِ بَرَقِ الْحَيَاءِ! وكأنه لا يعرفُ ماذا يدورُ بين النساءِ الفاجراتِ من كلامِ إباحيٍّ بذيءٍ، حولِ الجنسِ والشهوةِ!! ومن غيرِ المعقولِ عنده أَنْ تُصَابَ النِّسَاءُ بِالدهْشَةِ وَالذُّهُولِ عندما شاهدنَ جمالَ يوسفَ فيقَطَّعْنَ أيديهنَّ بالسكاكينِ!! مع أنه لا غرابةَ فيه، فالنساءُ شهوانياتٌ خاضعاتٌ لسلطانِ الشهوةِ، وكان جمالُ يوسفَ طاغياً، فلما رأيته صرَّخنَ قائلات: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وليس معنى قوله: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أَنَّهُنَّ قَطَّعْنَ أيديهنَّ حقيقةً، وفصلنَ أيديهنَّ عن أجسامهن، إنما معناه أَنَّهُنَّ جَرَّحْنَ أيديهنَّ بسكاكينهن، ونزفتِ الدماءَ منها، دونَ أَنْ يشعرنَ، لفرطِ تأثرهنَّ ودهشتهنَّ وإعجابهنَّ!! .
وبما أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ، فإننا نجزمُ أنه حصل، ولا يجوزُ لمسلم أَنْ يُكذِّبَ كلامَ الله، لأنه لا أَحَدَ أَصْدَقَ من الله حديثاً! وليذهبِ الفادي وتكذيبه إلى الجحيم!! .



توجيه طلبِ يوسفَ ذكرَه عند الملك

أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ يَوْسُفَ فِي السِّجْنِ رَجُلَانِ، وَأَنَّهُ رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا رُؤْيَا، وَأَوَّلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا رُؤْيَاهُ، وَطَلَبَ مِنَ الَّذِي سَيَفْرُجُ عَنْهُ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ، وَأَنَّهُ مَسْجُونٌ ظَلَمًا، لَعَلَّ الْمَلِكَ يَفْرُجُ عَنْهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

معنى قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: اذْكُرْ لِلْمَلِكِ قِصَّتِي، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي مَسْجُونٌ ظَلَمًا.

ومعنى قوله: ﴿فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: أنسى الشيطانُ الرجلَ الناجيَ المُفْرَجَ عَنْهُ تذكيرَ الملكِ بقصةِ يوسفَ السجينِ. فالهاءُ المفعولُ به في

«أنساه» تعودُ على الرجلِ الناجي، وليس على يوسف. و«ذَكَرَ» بمعنى تذكير،
والهاءُ المضافُ إليه في «رَبَّهُ» تعودُ على الرجلِ نَفْسِهِ. و«رَبَّهُ» هو الملك،
الذي كانَ يؤمِّنُ أَنه رَبُّه.

ولما نسيَ الرجلُ تذكيرَ الملكِ لَبِثَ يوسفُ في السجنِ بضعَ سنين، لم
يذكره ولم يفطنَ له أحد.

وقد اعترضَ الفادي على الآية، لأنه ظنَّ أنها تنهى عن استعانة الإنسانِ
بالإنسان. وذهبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، ونقلَ منه كلاماً مرَّجوحاً، وحديثاً غيرَ
صحيح.. قال الفادي: «قال البيضاوي: قال محمد: رحمَ اللهُ أخي يوسف.
لو لم يُقَلْ: اذْكَرني عندَ ربِّك، لما لبثَ في السجنِ سَبْعاً بعدَ الخمس»^(١).

يَعْنِي بكلمة «محمد»: محمداً رسولَ اللهُ ﷺ. فهل يُمكنُ للإمامِ
البيضاويِّ أنْ يذكرَ كلمة «محمد» غيرَ مقرونةً بالصلاةِ والسلام، ﷺ؟ لِنَنْظُر!..
قال البيضاوي: «أو أنسيَ يوسفُ ذَكَرَ اللهُ، حتَّى استعانَ بغيره.. ويؤيِّدُه قوله
عليه الصلاة والسلام: رحمَ اللهُ أخي يوسف...».

البيضاويُّ يقول: «قال محمدٌ عليه الصلاة والسلام»، ولما نقلَ المفتري
الفادي هذه الجملة حَرَفَها إلى قوله: «قال محمدٌ». لأنه لا يؤمِّنُ أنَّ
محمداً ﷺ رسولُ اللهُ، ولا يستحقُّ منه الصلاة والسلامَ عليه، لذلك يذكرُ
اسمَه مُجَرِّداً، بوقاحةٍ وسوءِ أدبٍ معه.. أما نحنُ فإننا مأمورونَ بالأدبِ مع
رسولنا، فلا نذكرُ اسمَه إلا مَقْرُوناً بالصلاة والسلامَ عليه، فنقول: قالَ محمدٌ
رسولُ اللهُ ﷺ.

والحديثُ الذي ذَكَرَهُ البيضاويُّ لم يصحَّ عن رسولِ اللهُ ﷺ، وفيه اتهامٌ
وإدانةٌ ليوسفَ عليه الصلاة والسلام، بأنه نسيَ ذَكَرَ اللهُ واستعانَ بغيره، ولذلك
عاقَبَهُ اللهُ بأنَّ أطلالَ سجنه، من خمسِ سنين إلى سبعِ سنين.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٢.

وقد عَلَّقَ البيضاويُّ على الحديثِ الذي لم يصحَّ بقوله: «والاستعانةُ بالعبادِ في كشفِ الشدائدِ وإن كانت محمودَةً في الجملة، لكنَّها لا تليقُ بمنصبِ الأنبياء»^(١).

وهذا تفسيرٌ للآيةِ مَرَجُوحٌ، والراجحُ هو ما ذكُرناه قبلَ قليلٍ، من أنَّ المقصودَ بجملةِ ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ هو الرجلُ الناجي وليسَ يوسُفَ عليه السلام. وهذا هو الراجحُ عند البيضاويِّ نفسه، ولذلك قال: «﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾. فَأَنسِيَ الشَّرَابِيَّ أَنْ يَذْكُرَهُ لِرَبِّهِ، فَأَضَافَ إِلَيْهِ الْمَصْدَرَ لِمَلَابِسَتِهِ لَهُ..»^(١).

وإذا كانَ الراجحُ في معنى الآيةِ ما قلناه، فإنَّ اعتراضَ الفادي عليها مردودٌ، وهو قوله: «ونحنُ نسألُ: هل حرامٌ أن يستعينَ الإنسانُ بأخيه وقتَ الشدائدِ؟ لَمْ يَنْسَ يوسُفُ رَبَّهُ عندما كَلَّفَ السَّاقِيَّ أَنْ يَذْكُرَهُ لدى فرعونَ، لِيُنصِفَهُ وَيُخْرِجَهُ مِنَ السَّجْنِ، كما لم يَنْسَ بولسُ الرسولُ رَبَّهُ عندما استغاثَ من اليهودِ، واستأنَفَ قضيتهِ إلى محكمةِ قَيْصَرَ. وماذا يقولونَ في محمدٍ الذي استعانَ بِعَلِيِّ وَأَلْبَسَهُ ثوبَهُ تَعْمِيَةً لِأَهْلِ قَرِيشٍ، فنجأ محمدٌ بعد أن كانَ عُرْضَةً لِلْحَطَرِ؟ أَمَا ذَكَرُ السَّاقِيَّ لِيوسُفَ أَمَامَ فرعونَ فيدلُّ على حكمةِ يوسُفَ، وعلى واجبِ السَّاقِي، من غير وقوعِ أيِّ ضررٍ على أيِّ أحدٍ..»^(٢).

والخلاصةُ: لم يُخْطِئْ يوسُفُ عليه السلام عندما طَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ الْمَفْرُجِ عَنْهُ ذَكَرَ قِصَّتِهِ عِنْدَ الْمَلِكِ، ولم يكنْ هذا منه استعانةً بِغَيْرِ اللَّهِ، ولا نسياناً لِذِكْرِ اللَّهِ، ولم يتسلَّطْ عليه الشيطانُ، ولم يُنْسِهِ ذَكَرَ رَبِّهِ، والذي نَسِيَ هو الرَّجُلُ، حيث نَسِيَ تذكيرَ الْمَلِكِ بِقضيةِ يوسُفَ الْمَظْلُومِ، وأدَّى هذا إلى أَنْ يَلْبَثَ يوسُفُ فِي السَّجْنِ بضعَ سنينَ، وهذه المدةُ لم تكنْ عقوبةً من اللَّهِ لِيوسُفَ عليه السلام، لأنَّهُ لم يُذْنِبْ حتى يعاقبهُ اللَّهُ، وإنما كانت ابتلاءً من اللَّهِ له.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٢.

(١) تفسير البيضاوي: ٣/١٦٥.

والحديث الذي ذكره البيضاوي عن رسول الله ﷺ لم يصح . . وهذا معناه
رَفُضَ كلام الفادي المفتري وَرَدُّهُ، لأنه بناءً على غير أساس!! .



عدد مرات مجيء إخوة يوسف لمصر

خَطَأَ الفادي المفتري القرآن، في حديثه عن عددِ مَرَاتِ مجيءِ إخوةِ
يوسفَ إليه في مصر، وحاكَمَ القرآنَ إلى سِفْرِ التكوين. قَالَ في اعتراضه على
القرآنِ وتخطئته له: «قَالَ البيضاوي: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾:
يَأْتِيَنِي بيوسفَ وبنيامين وأخيهما الذي توقَّفَ بمصر . .

ولكنَّ الكتابَ المقدَّسَ يُخْبِرُنَا أَنَّ إخوةَ يوسفَ العشرةَ جاؤوا إلى مِصْرَ
لِيَسْتَرُوا قَمْحًا، فَعَرَفَهُمْ يوسفُ، ولكنَّه تَنَكَّرَ لَهُمْ، وليعرفَ أحوالهم اتَّهَمَهُمْ
أنهم جواسيسُ، فقالوا: لا، بل إِنَّا إخوة، وَأَحَدُنَا مفقود، وواحدٌ صَغِيرٌ مع
أبيه، ونحنُ العَشْرَةُ، فَأَخَذَ يوسفُ شمعونَ، وَقَيَّدَهُ رَهِينَةً، حتى يُحْضِرُوا الأَخَ
الأصغرَ، لِيُبْرِهِنُوا أَنَّهُمْ ليسوا جواسيس . . وهذا لم يَذْكُرْهُ القرآنُ!

ولما رَجَعُوا إلى أبيهم، أَخَذُوا بنيامينَ، وجاؤوا به إلى مصر، وَوَضَعَ
رجالُ يوسفَ كأسَ يوسفَ في عِدْلِ بنيامينَ، واتَّهَمُوهُ بالسرقة، فدافعَ عنه
إخوته . . عندها عَرَفَهُمْ يوسفُ بنفسه، وأرسلهم لِيُحْضِرُوا أباهم، فَحَضَرُوا مع
أبيهم إلى مصر، حيثُ اسْتَقَرُّوا . .

ولكنَّ القرآنَ يَقُولُ: إِنَّ يوسفَ حَبَسَ بنيامينَ، وَإِنَّ شمعونَ بقيَ في
مِصْرَ، وَإِنَّ إخوةَ يوسفَ رَجَعُوا لأبيهم بدونهما . . فجعلَ عددَ مراتِ مجيءِ
إخوةَ يوسفَ لمصرَ أربعَ مَرَاتٍ بَدَلًا ثلاث . .»^(١).

عندما يُحاكِمُ الفادي القرآنَ إلى كتابه المقدَّس، وَيُخَطِّئُهُ في ما خالفَ فيه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٢.

كتابه المقدَّس يَقَعُ في خطأٍ منهجيٍّ كبيرٍ، سبق أن ذكرناه أكثرَ من مرَّةٍ، إنه يجعلُ كتابه المقدَّسَ أصلاً، ويجعلُ القرآنَ تابعاً له، فإنَّ لم يوافقهُ ويُتَابِعْهُ فهو المخطئ! وهذا باطلٌ ومردود، فمن المعلومِ من الدينِ بالضرورةِ عندنا أنَّ القرآنَ هو الأصلُ، وأنَّ الكتابَ المقدَّسَ هو الذي يُحْمَلُ عليه ويُحاكَمُ إليه، وما خالفَ فيه القرآنَ، فهو الذي أخطأ وليس القرآنُ!.

وخلاصةُ ما قاله القرآنُ عن ما جرى بينَ يوسفَ وأخيه هي:

بعدَ أن سلَّم الملكُ يوسفَ مقاليدَ البلادِ، وجعلَه على خزائنِ الأرضِ، جاءَ الناسُ من البلادِ المجاورةِ إلى مصرَ، ليأخذوا منها القمحَ، ومنهم إخوةُ يوسفَ، الذينَ جاؤوا من البدوِ إلى مصرَ.

١ - جاءَ إخوةُ يوسفَ العشرةُ طالبينَ القمحَ، ولما دَخَلوا عليه عَرَفَهُمْ، لكنَّهُم لم يَعْرِفُوهُ. . . ولما جَهَّزَهُم بجهازِهِم، وأعطاهم القمحَ الذي يُريدونَ، أعادَ لهم بضاعتَهُم التي أتوا بها إكراماً لهم، وترغيباً لهم بالعودة. . . وقبلَ أن يُغادره طلبَ منهم أن يُحضِرُوا معهم أخاهم من أبيهم، فإنَّ لم يأتوا به فلنَ يُعطيهم كَيْلاً ولا قمحاً ولا شيئاً كما ورد في الآيات (٥٨ - ٦٢) من سورة يوسف عليه السلام.

ولما رَجَعُوا إلى أبيهم أخبروه بما حَصَلَ معهم، وطلبوا منه أن يُرسلَ معهم أخاهم، وذَكَرَهُم الأبُّ بما فَعَلُوا مع أخيهم يوسفَ، وانتهى الأمرُ إلى أن اشترطَ عليهم أن يَحْلِفُوا له الأيمانَ المغلَّطَةَ أن يُحافظوا على أخيهم الصغِيرِ، وأن يُعيدوه إليه سالماً، إلا أن يَحْدُثَ شيءٌ لم يكن في الحسبان كما ورد في الآيات (٦٣ - ٦٨) من سورة يوسف عليه السلام.

٢ - دخلَ الإخوةُ العشرةُ على يوسفَ، ومعهم أخوهم الصغِيرِ، الذي يُسمِّيهِ سِفْرُ التكوينِ «بنيامين»، وتركُ نحنُ اسمَه ضمنَ مبهماتِ القرآنِ، لعدمِ وجودِ دليلٍ على بيانه. وهذا هو اللقاءُ الثاني بينَ يوسفَ وإخوته.

ولما عَرَفَ يوسفُ أخاه الصغِيرَ على نفسه، وطلبَ منه أن لا يُخبرهم بذلك، قامَ يوسفُ بتصرفٍ ليحتفظَ بأخيه، حيثُ جعلَ السقايةَ في رَحْلِ أخيه الصغِيرِ، وانتهى الأمرُ بأخذه بتهمةِ السرقةِ، ولم تنفعِ محاولاتُ الإخوةِ إطلاقَ

سراح أخيهما الصغير، أو جعل أحدهم مكانه كما ورد في الآيات (٦٩ - ٧٩) من سورة يوسف عليه السلام.

عند ذلك أصرَّ الأخ الأكبر أن يبقى في مصر ليتابع الأمر، وأمر إخوانه التسعة أن يعودوا إلى أبيهم، ويخبروه بما حدث، من أخذ الأخ الصغير بتهمة السرقة، وعجزهم عن إطلاق سراحه أو استبداله. كما ورد في الآيات (٨٠ - ٨٢) من سورة يوسف عليه السلام.

عند ذلك حزن على فقد أبنائه الثلاثة: يوسف والابن الأكبر والابن الأصغر، وقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، ويقصد بذلك الأبناء الثلاثة. وطلب يعقوب من أبنائه التسعة أن يعودوا إلى مصر، ويتحسسوا من يوسف وأخيه الصغير، ولا يئسوا من روح الله، ففعلوا. كما ورد في الآيات (٨٣ - ٨٧) من سورة يوسف عليه السلام.

٣ - دخل الإخوة على يوسف، وهذا هو اللقاء الثالث به، وأخبروه بما أصابهم من ضرر وتعب، ورجوه أن يعيد معهم أخاهم الصغير. . عند ذلك عرفهم يوسف على نفسه، فأصابتهم الدهشة والمفاجأة، وطلب منهم الإتيان بأبويهم وأهلهم أجمعين! وأن يأخذوا قميصه، ويلقوه على وجه أبيه ليرتد بصيراً. كما ورد في الآيات (٨٨ - ٩٨) من سورة يوسف عليه السلام.

٤ - رجع الإخوة إلى مصر، ومعهم أهلهم أجمعون، والتفوا بيوسف عليه السلام اللقاء الرابع، ورفع أبويه على العرش، وخر الجميع له سجداً. وبذلك استقرت العائلة كلها في مصر، آمنين مطمئنين. كما ورد في الآيات (٩٩ - ١٠٢) من سورة يوسف عليه السلام.

والمعتمد عندنا هو ما قاله القرآن، عن ما جرى بين يوسف عليه السلام وإخوته، ونقبل ما ورد في الكتاب المقدس، مما جاء موافقاً للقرآن، نقبله لأنه ورد في القرآن، وليس لأنه ورد في الكتاب المقدس. ونرد ما ورد في الكتاب المقدس مما جاء مخالفاً لما في القرآن، ونعتبره مما عبثت به أيدي الأخبار المحرفين للتوراة.

قَالَ الْأَحْبَارُ: إِنَّ يوسفَ عَرَفَ إِخْوَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي لِقَائِهِ الثَّانِي بِهِمْ، وَقَالَ الْقُرْآنُ: إِنَّهُ عَرَفَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ فِي لِقَائِهِ الثَّلَاثِ بِهِمْ، وَالصَّوَابُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ. وَقَالَ الْأَحْبَارُ: إِنَّ يوسفَ أَخَذَ أَخَاهُ الْكَبِيرَ شَمْعُونَ رَهِينَةً، وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ يَعُودَ الْإِخْوَةُ وَمَعَهُمْ أَخُوهُمْ الصَّغِيرَ بَنِيَامِينَ. وَهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ الْقُرْآنُ، وَلِذَلِكَ لَا نَقُولُ بِهِ.

وَقَالَ الْقُرْآنُ: إِنَّ يوسفَ هُوَ الَّذِي وَضَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِتَهْمَةِ السَّرْقَةِ، وَتَأَخَّرَ الْأَخُ الْكَبِيرُ فِي مِصْرَ لِمَتَابَعَةِ الْمَوْضُوعِ، وَرَجَعَ الْإِخْوَةُ التَّسْعَةُ إِلَى آبِيهِمْ لِيُخْبِرُوهُ بِالْمَوْضُوعِ، فزَادَ حُزْنَ يَعْقُوبَ عَلَى فَقْدِ أَبْنَائِهِ الثَّلَاثَةِ. . وَهَذَا مَا لَمْ يَذْكُرْهُ الْأَحْبَارُ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ. وَنَحْنُ نُوْمِنُ بِهِ وَنَعْتَمِدُهُ لَوُرُودِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا يَهْمُنَا عَدْمُ وَرُودِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَلَا وَزْنَ لَاعْتِرَاضِ الْفَادِي عَلَى مَا قَالَهُ الْقُرْآنُ وَتَخَطُّبِهِ لَهُ!.



حَقِيقَةُ قَمِيصِ يوسفَ

تَهَكَّمَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي عَلَى قَمِيصِ يوسفَ ﷺ، الَّذِي أَمَرَ إِخْوَانَهُ أَنْ يُلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ لِيُرْتَدَّ بَصِيرًا، وَجَعَلَ عِنْوَانَ اعْتِرَاضِهِ: «قَمِيصٌ سَحْرِي». وَقَدْ أَشَارَ إِلَى الْقَمِيصِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

وَذَكَرَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي حُرَافَةً حَوْلَ الْقَمِيصِ، نَسَبَهَا إِلَى التَّابِعِيِّ الْمَفْسَّرِ مَجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَرْجِعَ الَّذِي أَخَذَهَا مِنْهُ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَقُولَ التَّابِعِيُّ مَجَاهِدٌ تِلْكَ الْأَسْطُورَةَ الْمَكْذُوبَةَ، لِتَعَارُضِهَا مَعَ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ! وَخِلَافَةَ تِلْكَ الْأَسْطُورَةَ الْبَاطِلَةَ أَنَّ الْقَمِيصَ الَّذِي كَانَ يَلْبَسُهُ يوسفَ كَانَ قَمِيصًا لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ، عِنْدَمَا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَكَانَ قَمِيصًا مِنْ حَرِيرٍ، وَتَوَارَثَهُ أَبْنَاؤُهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ، وَوَضَعَهُ يَعْقُوبُ فِي قَصْبَةٍ مِنْ فِصَّةٍ وَعَلَّقَهُ فِي عُنُقِهِ، تَعْوِيذَةً تَدْفَعُ عَنْهُ الْعَيْنَ، وَلَمَّا أُلْقِيَ يوسفَ فِي الْبُئْرِ

أتاه جبريلُ وألبسه إياه، وكان يوسفُ محفوظاً مَوْفَقاً بفضلِ القميصِ.. وأمرَ يوسفُ بإرسالِ القميصِ إلى أبيه، لأنَّ فيه ريحَ الجَنَّةِ، وله أثرُ السحرِ، فما وُضِعَ على مريضٍ إلا عوفي.

وعَلَّقَ الفادي على هذه الأسطورةِ المكذوبةِ فقال: «ونحنُ نسألُ: كيف يلبسُ سُكَّانُ الأرضِ ثيابَ سُكَّانِ السَّمَاءِ؟ وكيف يعملُ القميصُ عملَ المعجزاتِ، على أيدي الذين توارثوه، أيًّا كانوا وأنى كانوا؟ ما هو مَصيرُ هذا القميصِ الآن؟ ألا نَسْحَرُ من الذين يلبسونَ أولادَهُم وبهائمَهُم تعاويذَ؟ وهل يتساوى الأنبياءُ والآباءُ الكرامُ إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ ويوسفُ بمن يستعملونَ التعاويذَ؟»^(١).

وبما أنَّ الكلامَ الذي ذَكَرَهُ الفادي عن القميصِ خُرافةٌ مكذوبةٌ، فكلُّ الأسئلةِ التي أثارها حوله باطلةٌ مُلغاةٌ، ولا داعي لها، وكان الأولى به أن يريحَ نفسه فلا يُثيرها، لأنها أسئلةٌ تافهةٌ لا وَزْنَ لها! وهو حيثُ مُتَحاملٌ على القرآنِ، لأنه حَمَلَ القرآنَ مسؤوليَّةَ كلامٍ لم يذكره، وما دَخَلَ القرآنَ بخُرافةِ القميصِ؟ ولماذا يُحَطِّطُ الفادي القرآنَ بشيءٍ ليس فيه؟.. لو قال: إنَّ هذا الكلامَ عن القميصِ خَطَأٌ، لقبَلنا كلامه، لأنه خَطَأٌ فِعْلاً، أمَّا أن يُنسَبَ هذا الخَطَأُ للقرآنِ، ويُسَجَّلَ ضمنَ أخطاءِ القرآنِ التاريخيَّةِ، فهذا هو الاتِّهامُ الباطلُ والتحامُلُ المفضوحُ!

كلُّ ما ذَكَرَهُ القرآنُ عن القميصِ، أنَّ يوسفَ ﴿٤١﴾ أمرَ إخوانه أن يلقوه على وجهِ أبيه، ليعودَ له بَصْرُهُ، ولما فعلوا ذلك عادَ بصيراً. قال تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا قَالَتُم أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ [يوسف: ٩٣ - ٩٦].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٣.

ولا يوجد في مصادِرنا الإسلامية اليقينية - المحصورة في الكتاب والسنة - ما تُضيفه على ما وردَ في هذه الآياتِ حولَ قميصِ يوسفَ ﷺ، ونحنُ مأمورونَ أنْ نبقى مع الآياتِ، نؤمنُ بما وردَ فيها، ونسكتُ عما سَكَتَتْ عنه. فنقول: كانَ القَمِيصُ قَمِيصاً عادياً، كباقي القَمِصانِ العاديةِ، يَلْبَسُهُ يوسُفُ ﷺ، كما يلبسُ أيُّ إنسانٍ قميصَه. . وأوحى اللهُ ليوسفَ أنْ يرسلَ قميصَه إلى أبيه ليعودَ له بصرُه، ولما أُلقيَ على وجهه عادَ له بصرُه، وكان هذا بأمرٍ من الله، الفَعَالِ لما يُريد، فهو سبحانه الذي جَعَلَ القَمِيصَ سَبباً مادياً لإِعادةِ البصرِ، وجعلَ هذا آيةً من آيَاتِه، جَرَتْ على أيدي النبيِّينَ يعقوبَ ويوسفَ ﷺ!.



امرأة فرعون تتبني موسى ﷺ

أخبرنا اللهُ في القرآنِ أنَّ امرأةَ فرعونَ رأتَ الطفلَ موسى في التابوتِ، فأحَبَّتُه وتبنته، وطلبتُ من زوجها فرعونَ أنْ يتبناه ولا يقتله، فاستجابَ لها. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَّ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِيُضَعِّعَ عَلَيْكَ عَيْنًا﴾ [طه: ٣٧ - ٣٩].

ولكنَّ الفادي يُخطئُ القرآنَ في هذا الكلام، ويحاكمه إلى الكتابِ المقدَّس، وبما أنه خالفَ ما في الكتابِ المقدَّس، فما وردَ في الثاني هو الصَّواب، وما وردَ في القرآنِ هو الخطأ!!.

ذَكَرَ الكتابُ المقدَّسُ أنَّ التي رأتْ موسى هي ابنةُ فرعونَ وليستِ امرأته. قال الفادي: «ويُعَلِّمنا الكتابُ المقدَّسُ أنَّ ابنةَ فرعونَ هي التي نَزَلَتْ

إلى نهر النيل لِتُعْتَسِلَ، لأنهم كانوا يَعْتَبِرُونَهُ إِلَهًا، يُطَهِّرُهُمْ مِنَ النِّجَاسَةِ. فرأت سُفْطًا مِنَ الْبَرْدَى بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَفَتَحَتْهُ، وَإِذَا صَبِيٌّ يَبْكِي، فَأَخَذَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ ابْنًا لَهَا. لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ زَوْجَةَ فِرْعَوْنَ... وَقَالَ مُوسَى فِي سِفْرِ الْخُرُوجِ: إِنَّهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ رَبَّتَهُ...»^(١).

الراجحُ والصحيحُ والمعتمدُ عندنا أَنَّ التِّي أَخَذَتْ مُوسَى الرَضِيعَ وَتَبَتَّهُ وَرَبَّتَهُ هِيَ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ كَمَا ذَكَرَ الْقُرْآنُ، وَليست ابنته كما ذَكَرَ الْأَخْبَارُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ مَا فِي الْقُرْآنِ مَعَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ، فَالصَّحِيحُ هُوَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمَحْفُوظُ الثَّابِتُ، وَيُتْرَكُ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ، لِأَنَّهُ هُوَ الْخَطَأُ!!.



حول تقتيل أولاد بني إسرائيل

أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَآلَهُ كَانُوا يَسُومُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ سُوءَ الْعَذَابِ، يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ. لَكِنْ مَتَى كَانَ هَذَا؟ هَلْ كَانَ قَبْلَ بَعْثَةِ مُوسَى ﷺ أَمْ بَعْدَهَا؟.

وَرَدَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ أَنَّ هَذَا التَّعْذِيبَ وَالتَّقْتِيلَ كَانَ قَبْلَ رِسَالَةِ مُوسَى ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْمَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْمَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٠﴾ وَنُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٤ - ٧].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٣ - ٤٤.

تَذَكُّرُ الْآيَاتِ أَنْ تَذْبِيحَ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ كَانَ قَبْلَ وِلَادَةِ مُوسَى ،
 بَلْ إِنَّ مُوسَى وُلِدَ فِي هَذَا الْجَوِّ ، وَكَانَ عُرْضَةً لِلذَّبْحِ ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ حَمَاهُ بَأَنَّ
 أَلْهَمَ أُمَّهُ حُسْنَ التَّصَرُّفِ ، بَأَنَّ تَضَعَهُ فِي التَّابُوتِ ، وَتَضَعِ التَّابُوتَ فِي الْيَمِّ ،
 فَيَأْخُذَهُ الْمَاءُ إِلَى السَّاحِلِ ، وَهَنَّاكَ يَأْخُذُهُ رِجَالُ أُسْرَةِ فِرْعَوْنَ ، لِيُرَبِّوهُ وَيَتَّبِعُوهُ !! .
 وَوَرَدَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ أَنَّ هَذَا التَّعْذِيبَ وَالتَّقْتِيلَ كَانَ بَعْدَمَا بَعَثَ اللَّهُ
 مُوسَى رَسُولًا ﷺ ، وَبَعْدَمَا قَدَّمَ نَفْسَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ .
 قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ
 وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَدِّمُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى
 لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٨] .

تَذَكُّرُ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ حَرَّضُوهُ عَلَى الْبَطْشِ بِمُوسَى
 النَّبِيِّ وَأَتْبَاعِهِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِحْيَاءِ نِسَائِهِمْ ، وَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ
 أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ بِالصَّبْرِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ! .

وَاعْتَبَرَ الْفَادِي الْآيَتَيْنِ مُتَنَاقِضَتَيْنِ ، قَالَ : « تَقُولُ سُورَةُ الْأَعْرَافِ : إِنَّ
 الْمَصْرِيِّينَ اشْتَكَوْا لِفِرْعَوْنَ مِنْ تَصَرُّفِ مُوسَى ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ أَبْنَاءِ الْعِبْرَانِيِّينَ
 وَاسْتِحْيَاءِ نِسَائِهِمْ . . وَتَقُولُ سُورَةُ الْقَصَصِ : إِنَّ فِرْعَوْنَ قَبْلَ وِلَادَةِ مُوسَى أَمَرَ
 بِذَبْحِ الْأَوْلَادِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ ، حَتَّى خَافَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَيْهِ ، وَخَبَأَتْهُ فِي صَفِطِ
 الْبَرْدِيِّ ، إِلَى أَنْ انْتَشَلَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ . . فَالْآيَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ » (١) .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ آيَاتِهِ . .
 وَفِي الْإِخْبَارِ عَنِ تَعْذِيبِ آلِ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَا تَعَارُضَ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ
 سُورَةِ الْقَصَصِ وَسُورَةِ الْأَعْرَافِ . إِنَّ تَعْذِيبَ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَمَرَ
 وَقْتًا طَوِيلًا ، بَدَأَ قَبْلَ وِلَادَةِ مُوسَى ، وَاسْتَمَرَ إِلَى مَا بَعْدَ وِلَادَتِهِ ، وَبَقِيَ إِلَى أَنْ
 عَادَ مُوسَى مِنْ أَرْضِ مَدْيَنَ رَسُولًا إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَلَمَّا جَرَى مَا جَرَى بَيْنَ
 مُوسَى ﷺ وَفِرْعَوْنَ ، وَاصَلَ فِرْعَوْنُ وَآلَهُ التَّعْذِيبَ وَالتَّذْبِيحَ وَالتَّقْتِيلَ ، وَجَدَّدَ
 فِرْعَوْنُ أَمْرَهُ السَّابِقَ بِقَتْلِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٤.

وهذا معناه أنه لا تناقض بين حديث سورة القصص وسورة الأعراف، فالتعذيب بدأ قبل ولادة موسى بفترة، وهذا ما تحدثت عنه سورة القصص، واستمر إلى ما بعد ولادته وطفولته وشبابه، وبقي متواصلاً إلى أن عاد موسى نبياً من مدين، وازداد التعذيب والتذبيح والتقتيل بعدما احتدم الصراع بين موسى ﷺ وبين فرعون، وهذا ما تحدثت عنه سورة الأعراف!! .

وَأَكَّدَتْ آيَاتُ سُورَةِ غَافِرِ آيَاتِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَفِرْعَوْنَ فَقَالُوا سَدَجٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ﴿غافر: ٢٣-٢٦﴾ .



حول صداق امرأة موسى

أخبر الله أن موسى ﷺ اتفق مع الرجل الصالح في مدين على أن يعمل عنده ثماني أو عشر سنوات مقابل أن يزوجه ابنته . قال تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجًّا فَإِنْ اتَّمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿القصص: ٢٧﴾ .

وقد اعترض الفادي على هذه الآية، واعتبرها من أخطاء القرآن، لأنها مخالفة لما في كتابه المقدس . قال : «ومعروف أن يثرون حما موسى كان له سبع بنات لا اثنتين، وزوجه واحدة، بدون أن يأخذه ثماني سنوات أو عشراً... وأما الذي خدّم حماه كصداق لامرأته فهو يعقوب، الذي خدّم حماه سبع سنين»^(١) .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٥.

واعترضُ الفادي عندنا لا وَزْنَ له، ولا يهْمُنَا ماذا قَالَتْ أَسْفَارُ العهدِ القديمِ عن يعقوبَ وموسى ﷺ . . . إِنَّ الذي يَعْينُنَا ويهْمُنَا هو ما قاله القرآن، وهو الصَّحِيحُ، والمعتمدُ عندنا، وكُلُّ ما وَرَدَ فيه فهو الصواب. لقد خَدَمَ موسى ﷺ عند الرجلِ الصالحِ في مَدِينٍ - الذي لم يذكر القرآنُ اسْمَه - عَشْرَ سنواتٍ، مقابلَ زواجهِ من إحدى ابنتَيْه، كان فيها يرعى الغنمَ، وكانت السنواتُ العشرُ التي قضاها مَهْرًا للمرأةِ التي تزوجَها. هذا ما صرَّحَ به القرآنُ، وهو الذي نؤمنُ به عن يقينٍ.



وراثه بني إسرائيل للأرض

وَعَدَ اللهُ بني إسرائيلَ أَنْ يَرِثُوا الأَرْضَ بعدَ هلاكِ فرعونَ وجنوده. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩].

وأرادَ الفادي أَنْ يُثِيرَ شبهةً على الآية، فذهبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، لعلَّه يَجِدُ فيه ما يُريدُ. فنَقَلَ عنه قوله في تفسيرِ الآية: «هي وَعْدٌ لهم بالنصرة، وتذكيرٌ لما وَعَدَهم، من إهلاكِ القبط، وتوريثهم ديارهم وتحقيقٌ له . . .» وقال في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ . . .﴾: «وقد رُوِيَ أَنَّ مصرَ إنما فُتِحَتْ لهم في زمنِ داودَ ﷺ».

وعَلَّقَ الفادي على كلامِ البيضاوي بقوله: «ومعروفٌ للجميعُ أَنَّ بني إسرائيلَ وَرِثُوا أَرْضَ مصرَ»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٥.

ولسنا مع البيضاوي في ما أورده من أن المراد بالأرض هنا أرض مصر، لأن بني إسرائيل لم يرثوا أرض مصر من فرعون وآله، ولم يسكنوها بعد هلاك فرعون.

ولكن ما ذكره البيضاوي مما لا يتفق مع التاريخ لا يتحمّله القرآن، ولا يجوز أن يُعتبر من أخطاء القرآن التاريخية، لأن أخطاء المفسرين لا تكون أخطاءً للقرآن، لأنها أخطاءً في فهم الآيات، وليس في نص الآيات.

ذكر القرآن «الأرض»، وليس «مصر»؛ فقد قال موسى لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، والمراد بالأرض هنا كلُّ بقاع الأرض، وكلُّ بلدانها وأقطارها، ومصر جزء منها، والله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. . وقد أورت الله بني إسرائيل أرض فلسطين بعد ذلك، واستخلفهم فيها، وحقق بذلك كلام موسى ﷺ لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ .

وحقق الله لهم ما أخبرنا عنه في القرآن من أنه مذكور في الزبور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٥٠﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عٰكِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٦].

ولكن بني إسرائيل لم يُحسنوا الاستخلاف في أرض كنعان، ومارسوا فيها ما حرم الله، فنزع الله الأرض منهم، وأوقع بهم لعنته، وأخرجهم منها أذلاء صاغرين.



تسع آيات لا عشر ضربات

أخبرنا الله أنه أرسل موسى ﷺ بتسع آيات بيّنات؛ قال تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِتْمَهُمْ كَأَنَّهُمْ قَوْمًا أَسْفِينًا﴾ [النمل: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمُ فِرْعَوْنُ

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِصَايِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ... ﴿١٠٤﴾

[الإسراء: ١٠١ - ١٠٤].

وأراد الفادي أن يُثير إشكالاً حول هذا الكلام، وحاكم القرآن إلى كتابه
المقدس، فزعم أنه وجد خطأً في عدد الآيات، التي آتاها الله لموسى ﷺ.
قال: «يقول الكتاب المقدس: إنَّ الضربات التي ضرب الله بها المصريين عشر
لا تسع، وإنَّ بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجيشه في البحر لم يسكنوا في
أرض مصر، بل في أرض كنعان، وإنَّ فرعون لم يكن يريد أن يخرج اليهود
من مصر، بل أراد أن يستعبدهم فيها...»^(١).

واعتراض الفادي على الرقم المذكور في القرآن مردود، لأنَّ ذكر العدد
فيه مقصود، فهي تسع آيات بالضبط، وليست عشرًا كما زعم الأخبار في
العهد القديم! وإذا تعارض المذكور في الكتاب المقدس مع المذكور في
القرآن فإنَّ الصواب هو ما ذكر في القرآن، كما قررنا أكثر من مرة.

والآيات التسع هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل،
والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الثمرات.

وظنَّ الفادي لغبائه أنَّ المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أرض مضر. ولذلك اعترض على الآية قائلاً:
«وإنَّ بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجيشه في البحر لم يسكنوا في أرض
مصر؛ بل في أرض كنعان». . . وسبق أن ناقشنا في هذه المسألة في المبحث
السابق، وقُلْنَا: إنَّ المراد بالأرض التي أسكن الله بني إسرائيل فيها بعد
خروجهم من مضر هي الأرض المقدسة فلسطين، والتي يُسميها الأخبار
أرض كنعان!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٥.

والمراد بالأرض في هذه الآية مختلف بقاع العالم القديم، مثل: فارس والروم والحبشة واليونان وغيرها، التي شتت الله اليهود فيها، وعاشوا «عَصْرَ الشَّاتِ» الذي استمرَّ قرونًا عديدة. وَسَيَقُونُ مُشْتَتِينَ فِي مُخْتَلَفِ بَقَاعِ الْأَرْضِ، فِي مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ، إِلَى أَنْ يَحِينَ مَوْعِدُ إِفْسَادِهِمُ الثَّانِي، حَيْثُ سَيَجْمَعُهُمُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْبُلْدَانِ، وَيَأْتِي بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ! وهذا ما تصرَّحُ به الآية: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنِّي إِسْرَائِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِنَّا بِكُمْ لَفِيغًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وهذا ما تحقق في هذا الزمان، الذي يعيش فيه اليهودُ إفْسَادَهُمُ الثَّانِي الكبير، حيثُ أتى الله بهم لَفِيغًا، من مختلفِ القَارَاتِ الخَمْسِ، وأقاموا دولَتَهُم على الأرضِ المُقدَّسة!.



العيون المتفجرة من الحجر

أخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَسْقَوْا مُوسَى وَهَمَّ فِي الصَّحْرَاءِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَضْرِبَ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ، وَلَمَّا فَعَلَ فَجَرَ اللَّهُ مِنَ الْحَجْرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، عَلَى عَدَدِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ صَرْبٍ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وَحَطَّأَ الْفَادِي كَلَامَ الْقُرْآنِ، وَحَاكَمَهُ إِلَى كَلَامِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، الَّذِي أَلْفَهُ الْأَحْبَارُ، وَكُلُّ مَا خَالَفَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ عِنْدَهُ حَطًّا!

نَقَلَ الْفَادِي عَنِ سِفْرِ الْخُرُوجِ: «أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سِينَاءَ، جَاؤُوا إِلَى «إِيلِيم»، وَوَجَدُوا فِيهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ، وَسَبْعِينَ نَخْلَةً، فَنَزَلُوا

عند النخل والماء قليلاً، ثم ارتحلوا إلى بَرِّيَّة «سين»، ونزلوا في «رفيديم» فيها، ولم يكن فيها ماءً ليشربوا، وطلبوا من موسى أن يُعطيهم ماءً ليشربوا، وتذمروا عليه وخاصموه، وصرخ موسى إلى الربِّ، طالباً منه التَّصَرُّف، فأمره الربُّ أن يأخذ الشَّعْبَ معه، إلى صخرة «حوريب»، ويضرب الصخرة بعصاه، ولما فعل ذلك أنبَع اللهُ منها عينَ ماءٍ لبني إسرائيل. وَعَلَّقَ الفادي على ما نَقَلَهُ من سِفْرِ الخروج بقوله: «فليست الاثنتا عشرة عيناً التي في إيليم هي الصخرة التي في حوريب»^(١).

ما ذَكَرَهُ الأَحْبَارُ في سِفْرِ الخروج، أَنَّ بني إسرائيل مَرَّوا على اثْنَتَيْ عشرةَ عيناً، أَنبَعَهَا اللهُ قَبْلَ مَرورِهِمْ، وعندما احتاجوا إلى الماء بعد ذلك أنبَعَهُ اللهُ لَهُمْ، بعد أن ضربَ موسى الصخرة بعصاه، فخرَجَتْ منها عينُ ماءٍ واحدة، هذا مردود عندنا، لأنه يتعارض مع ما ورد في القرآن، والمعتمدُ عندنا هو ما وردَ في القرآن! فالذي نقولُ به أنه بينما كان بنو إسرائيلَ في الصحراء، احتاجوا إلى الماء، فَطَلَبُوا من موسى ﷺ أَنْ يَسْتَسْقِيَ اللهُ لَهُمْ، فَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَضْرِبَ الحَجَرَ بعصاه، وكان حَجَراً في ذلك المكان، ولم يكن صخرةً كما زَعَمَ الأَحْبَارُ، ولما ضَرَبَهُ انفجرتُ منه اثنتا عشرةَ عيناً، كلُّ عينٍ منفصلةٌ عن غيرها، على عَدَدِ أَسْبَاطِ بني إسرائيل، ليشربَ كُلُّ سِبْطٍ من عينٍ خاصَّة: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبُهُمْ﴾.. ولم يكن خروجُ هذه العيونِ من الحجرِ عادياً، إنما كان معجزةً خارقة، من فعلِ اللهِ ﷻ.

ولسنا مع الأَحْبَارِ في تحديدهم الأماكن، في إيليم وسين ورفيديم وحوريب، ونَبَقِيَ مع القرآنِ في إبهام المكان، ولا يَضُرُّنا الجهلُ به، لعدمِ تحديده في الآياتِ والأحاديثِ، فقد يكونُ في إيليم، وقد يكونُ في حوريب، وقد يكونُ في مكانٍ آخر، وعلمُ ذلك عندَ اللهِ وَحْدَهُ!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٦.

الألواح التي كتبت عليها التوراة

أخبرنا الله في القرآن أنه لما ناجاه موسى ﷺ على جبل الطور، أنزل عليه التوراة من السماء مكتوبة على ألواح. قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٤ - ١٤٥].

وأخذ موسى ﷺ الألواح وتوجه إلى بني إسرائيل، فوجدهم يعبدون العجل، فألقى الألواح. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رَّبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ولما زال عنه الغضب أخذ الألواح، ودعا بني إسرائيل إلى الالتزام بما فيها. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقد حطأ الفادي القرآن في كلامه عن ألواح التوراة؛ فقال: «ومعروف أن موسى كتب الشريعة على لوحين لا على ألواح، وعلى اللوحين كتب الوصايا العشر فقط، وليس تفصيل كل شيء»^(١).

لا نقول إلا بما قال به القرآن، من أن الله أنزل التوراة على موسى ﷺ، وهو على جبل الطور، وكانت التوراة مكتوبة على «ألواح»، والألواح جمع، فهي عدة ألواح، أبهم القرآن عددها، فلا نعرفه، إنما نقول: كانت ألواحاً مكتوبة في السماء، ولا نعرف كيف كتبت في السماء، ولا ما هو حجم كل

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٧.

لوح ومقاسه، ولا نعرف ما كُتِبَ على كُلِّ لوحٍ منها، لأنَّ الله لم يُبَيِّنْ ذلك في القرآن.

وما قاله الأخبارُ في سِفْرِ الخروجِ من أنهما لوحانِ فقط، وأنَّ موسى ﷺ هو الذي كَتَبَهما بيده، كلامٌ مردودٌ عندنا لمخالفته ما وَرَدَ في القرآن!

ثم إنَّ الله أَخْبَرَنَا أنه كَتَبَ في التوراةِ كُلَّ شيءٍ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. أي أنَّ الله جعلَ فيها أحكاماً وتشريعات، وجعلَ فيها مواعظَ ونصائح، وجعلَ فيها تفصيلاً كُلِّ ما يحتاجُ إليه بنو إسرائيل، في ذلك الماضي السحيق.

وهذا معناه أن نَرَدَّ كلامَ الأخبار، الذين يزعمون أنَّ موسى ﷺ لم يَكْتُبْ على اللُّوحينِ إلا الوصايا العَشْرَ فقط. فالوصايا العَشْرُ لا تزيدُ عن عَشْرٍ جُمَلٍ مختصرةٍ مجملَةٍ، وهذه الوصايا العَشْرُ ليستُ موعظةً وتَفْصِيلًا لِكُلِّ شيءٍ!.

إنَّ مرجعيَّتنا غيرُ مرجعيةِ الفادي وقومه، والحكَمُ عندنا غيرُ الحكَمِ عندهم، وإنَّ القرآنَ هو المهيمنُ على الكتابِ المقدَّس، ولا يكونُ الكتابُ المقدَّسُ الذي ألَّفَه الأخبارُ مهيماً على القرآنِ العظيم!



هل طلب بنو إسرائيل رؤية الله؟

أخبرنا الله في القرآن أن بني إسرائيل طلبوا من موسى ﷺ أن يروا الله جهرة، وأن يُشاهدوه بعيونهم، فعاقبهم الله على هذا الطلبِ القبيحِ بأنَّ أخذهم بالصاعقة، ثم أحياهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

[البقرة: ٥٥ - ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقد حُطِّأَ الفادي القرآنَ لمخالفته ما وَرَدَ في الكتابِ المقدَّس. قال: «ولكنَّ الكتابَ المقدَّسَ يُعَلِّمُنَا أَنَّ بني إسرائيلَ خافوا من الله، وقالوا لموسى: «تَكَلَّمِ أَنْتَ مَعَنَا، ولا يتكلم الله معنا لئلاَّ نَموت»... فعكس القرآن الموضوع، وقال: إِنَّ بني إسرائيلَ طَلَبُوا أَنْ يَرَوْا الله فأَمَاتَهُمُ اللهُ بالصاعقة، ثم بَعَثَهُمُ ثانية.. ولعلَّ الدافعَ على هذا أَنْ يُخِيفَ العَرَبَ الذين سألوا محمداً أَنْ يَنْزَلَ لَهُمُ كتاباً من السماء...»^(١).

يَزَعُمُ الفادي أَنَّ بني إسرائيلَ لم يَطْلُبُوا أَنْ يَرَوْا الله جهرة، كما ذَكَرَ القرآن، وَإِنَّمَا طَلَبُوا أَنْ لا يُكَلِّمَهُمُ اللهُ، لأنهم خافوا إِنْ كَلَّمَهُمْ أَنْ يَموتوا. ونحن لا يَعْنِينَا ما قاله الأخبارُ في سِفْرِ الخروج، إِنما يَعْنِينَا ما ذَكَرَهُ القرآن، لأنَّهُ عِنْدنَا أَمْرٌ يَقِينِي جازم. لقد كان بنو إسرائيلَ جاهِلين، غَيْرَ مُعَظِّمينَ اللهُ، فقد ظَنُّوا أَنَّهُ يُمكنُ أَنْ يَرَوْا اللهُ بعيونهم، وظَنُّوا أَنَّ موسى ﷺ يَرى اللهُ عندما يُكَلِّمُهُ وَيُناجِيهِ، فحسدوه وغازوا مِنْهُ، وطلَبُوا أَنْ يَرَوْا اللهُ بعيونهم، كما يَرى اللهُ بعيونِهِ.. علماً أَنَّ موسى ﷺ لم يَرِ رَبَّهُ، وعندما سَأَلَ اللهُ أَنْ يَرَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَنْ يَرَاهُ. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَحَلْنَا رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد علقَ بنو إسرائيلَ الجاهِلين إيمانهم لموسى واستسلامهم وطاعتهم له على رؤيتهم اللهُ جهرةً بعيونهم، وطلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ اللهُ أَنْ يَنْزَلَ أَمَامَهُمْ، وَيُخاطِبَهُمْ، فَيَرَوْهُ وَيُشاهدوه وَيَسْمعوه!! عند ذلك عاقبهم، فأخَذَتْهُمُ الصاعقة،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٧.

فَصَعِقُوا وَأُغْمِيَ عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا كَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ أَيْقَظَهُمْ وَبَعَثَهُمْ، وَأَعَادَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ، لِيَسْتَكْمِلُوا أَعْمَارَهُمْ.

وَسَأَلَ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَ سَوَالُ تَعَنُّتٍ وَتَعْجِيزٍ، كَمَا كَانَ سَوَالُ أَجْدَادِهِمْ لِمُوسَى ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْغَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].



قَارُونَ الْإِسْرَائِيلِي الْكَافِرِ

أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَنْ قَارُونَ وَكَفْرِهِ وَغِنَاهُ، وَأَنَّهُ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا كَافِرًا، انْضَمَّ إِلَى فِرْعَوْنَ ضِدًّا لِمُوسَى وَقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَيْنَاهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مُفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

وَكَانَتْ نَهَائِيَّةُ قَارُونَ سَيِّئَةً، حَيْثُ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [القصص: ٨١]. وَقَدْ خَطَأَ الْفَادِي الْقُرْآنَ، وَنَقَلَ عَنِ السَّابِقِينَ أَنَّ قَارُونَ هُوَ مَلِكٌ لِيَدْيَا فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَذَكَرَ الْأَحْبَارُ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ أَنَّ الَّذِي خَرَجَ عَلَى مُوسَى هُوَ قُورِحٌ وَليْسَ قَارُونَ. قَالَ: «وَمَعْرُوفٌ أَنَّ قَارُونَ الْقُرْآنَ هُوَ كَرُوسُوسُ مَلِكٌ لِيَدْيَا (٥٦٠ - ٥٤٦ ق.م)، وَهُوَ عَلِمَ عَلَى الْغِنَى، بَيْنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ. . . وَلَا يُوْجَدُ مَا يُبَيِّرُ خَلْطَهُ بِقُورِحَ، الَّذِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي التَّوْرَةِ، فَلَا عِلَاقَةَ لِقَارُونَ بِقُورِحَ، الَّذِي ثَارَ عَلَى دَاثَانَ وَأَبِيرَامَ عَلَى مُوسَى، فَفَتَحَتْ الْأَرْضُ فَاها وَابْتَلَعَتْهُمْ»^(١).

لَا دَلِيلَ عَلَى أَنَّ مَلِكَ لِيَدْيَا فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ الْمِيلَادِ كَانَ اسْمُهُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٧.

قارون، وكلامُ المَوْرَحين ليس يقينياً قاطعاً، إنما هو محتملٌ للصحةِ والخطأ، فلا يُعْتَمَدُ عليه .

وكلامُ الأَحْبَارِ أيضاً ليس يقينياً، فلا يُعْتَمَدُ عليه، ولا يُحْكَمُ به على كلامِ الله في القرآن، ولذلك لا نقول: إِنَّ قورح هو الذي خرجَ على موسى ﷺ، مع اثنين من بني إسرائيل، وأنَّ الله خَسَفَ بالثلاثة في البرية. ونتوقَّفُ في هذا الكلامِ الذي ذَكَرَهُ الأَحْبَارُ، فلا نُصَدِّقُهُ ولا نُكذِّبُهُ . .

والذي نقوله ونؤمنُ به أنَّ قارونَ المذكورَ في القرآنِ ليس هو قارونَ ملكَ ليديا، ولا قورحَ الذي خَرَجَ على موسى، قارونَ المذكورُ في القرآنِ إسرائيليُّ من قومِ موسى، وقد أَعْنَاهُ اللهُ، وآتَاهُ من الكنوزِ ما يعجزُ الرجالُ الأشداءُ الأقوياءُ عن حَمْلِهِ، واختارَ الكُفْرَ والبغْيَ والطغيانَ، وانحازَ إلى فرعونَ ضدَّ قومِهِ الإسرائيليين، واستخدمَ أموالَهُ وكنوزَهُ في محاربةِ موسى ﷺ وأتباعِهِ، ولم يَسْتَجِبْ لنُصْحِ الناصحينِ المؤمنين، فعاقبه اللهُ وخَسَفَ به وبدارِهِ الأَرْضَ، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ أَلْمَنِينَ﴾ [الفصص: ٨١].

والراجعُ أنَّ قارونَ الإسرائيليَّ كان قد انضمَّ إلى فرعونَ ضدَّ بني إسرائيل، قبلَ أنْ يبعثَ اللهُ موسى ﷺ نبياً إلى فرعون، ولذلك أرسلَهُ اللهُ نبياً إلى الطُّغَاةِ الثلاثة: فرعونَ وهامانَ وقارونَ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣ - ٢٤].

والراجعُ أنَّ الله خَسَفَ بقارونَ ودارِهِ الأَرْضَ في مصر، قبلَ أنْ يَخرِجَ بنو إسرائيلَ منها!! .



بين داود وسليمان ﷺ

كان داودُ رسولاً ومَلِكاً على بني إسرائيل، وكان ابْنُهُ سليمانُ نبياً مَلِكاً من بعْدِهِ على بني إسرائيل، وكان سليمانُ مساعِداً لأبيه في عهده ﷺ. وقد

أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَنْ اسْتِدْرَاكِ لِسُلَيْمَانَ عَلَى حُكْمِ حَكَمَ بِهِ وَالِدُهُ دَاوُدَ .
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ
 وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ
 دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

وأورد الفادي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في حُكْمِ دَاوُدَ وسليمان في قضية
 الحرث والغنم، استدرك فيها سليمان على حُكْمِ أبيه . . . وخطأ القرآن في
 استدراك سليمان على حُكْمِ أبيه، كما خطأ الرواية عن ابن عباس، واعتبر
 ذلك متعارضاً مع فطنة ودقة وحُكْمِ داود.

قال في تخطيطه: «كان داود من الأنبياء الملهمين، ومن الملوك الحكماء، فلا
 يُعقل أن سليمان كان يتعقب أحكامه، وهو والده، ولا نظن أن داود الملهم يعجز
 عن حل قضية كهذه . . . أما الذي انتقد أحكام أبيه فكان أبشالوم وليس سليمان، فإن
 أبشالوم لما عزم على الثورة ضد والده كان يسترق قلوب بني إسرائيل، ويقول: مَنْ
 يجعلني قاضياً في الأرض لأنصف المظلوم! فكان يقبل الواحد ويكرمه ويعظمه،
 فاستمال الناس ثم قام بانقلاب فاشل على والده . . .» (١).

ما ذكره الفادي عن قصة الملك اليهودي أبشالوم مع أبيه وثورته عليه
 نتوقف فيه، فلا نصدق ولا نكذب، لعدم وجود دليل عندنا عليه.

أما تخطيطه الفادي لكلام القرآن عن ما جرى بين داود وسليمان رضي الله عنهما فهي
 مردودة عليه، وما قاله القرآن عنها فهو الصحيح والصواب، وهذا عندنا يقين.

لقد استدرك سليمان على حُكْمِ أبيه رضي الله عنهما في قضية الحرث والغنم،
 وقيل داود استدراك ابنه وأنفذ له حُكْمَه، وليس معنى هذا اتهام داود رضي الله عنه
 بالعجز أو الضعف أو الخطأ في الحُكْم؛ فقد أتى الله داود رضي الله عنه فقهاً وعلماً
 وحكمةً وفطنةً؛ قال تعالى عنه: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ
 وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٨.

شَدَّدَ اللهُ مَلَكَهَ وَقَوَاهُ، وَأَتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ الْفَهْمُ وَالْعَقْلُ وَالصَّوَابُ،
كَمَا أَتَاهُ فَضْلَ الْخَطَابِ، وَهُوَ مَنْعُ الْخِلَافِ وَالْجِدَالِ وَالنِّزَاعِ، بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ
الْمُحْتَكِمِينَ عِنْدَهُ، حَيْثُ يُصَدِّرُ حُكْمَهُ الَّذِي يَحُلُّ الْمَشْكَلَةَ، وَيُنْهِي الْأَمْرَ!.

وَكَانَ يَسَاعِدُهُ فِي أَحْكَامِهِ ابْنُهُ سَلِيمَانَ، الَّذِي أَتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ
وَالْفَهْمَ، وَبِذَلِكَ أُضِيفَتْ حِكْمَتُهُ إِلَى حِكْمَةِ أَبِيهِ، وَأُضِيفَ عِلْمُهُ إِلَى عِلْمِ أَبِيهِ..
وَإِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ اسْتَدْرَكَ الْإِبْنَ عَلَى حُكْمِ أَبِيهِ، وَتَقَبَّلَ الْأَبُ اسْتَدْرَاكَ الْإِبْنِ
وَحُكْمَهُ بِرِضًا، وَأَمْضَى حُكْمَهُ!.

وَهَذَا ثَنَاءٌ عَلَى دَاوُدَ فِي فَهْمِهِ وَحُكْمِهِ وَعِلْمِهِ، وَلَيْسَ اتِّهَامًا لَهُ بِالضَّعْفِ
وَالْغَفْلَةِ وَالْجَهْلِ، كَمَا ظَنَّ الْفَادِي الْجَاهِلُ.

وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَاتَانِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِشَارَةً مُجْمَلَةً مَبْهَمَةً إِلَى حَادِثَةٍ
مُعَيَّنَةٍ، احْتَكَمَ فِيهَا خَضَمَانِ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ ابْنُهُ سَلِيمَانَ،
فَقَبَّلَ الْأَبُ حُكْمَهُ وَأَمْضَاهُ.

احْتَكَمَ إِلَى دَاوُدَ رَجُلَانِ فِي قِضِيَةِ الْحَرْثِ وَالْغَنَمِ، وَالْحَرْثُ هُوَ الزَّرْعُ،
فَدَخَلَتْ غَنَمُ صَاحِبِ الْغَنَمِ إِلَى ذَلِكَ الزَّرْعِ، وَتَفَشَّتْ فِيهِ لَيْلًا، وَاشْتَكَى صَاحِبُ
الزَّرْعِ عَلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ عِنْدَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحُكِمَ دَاوُدُ بِحُكْمٍ لَمْ تَذْكُرْهُ الْآيَاتَانِ،
وَاسْتَدْرَكَ سَلِيمَانُ عَلَى حُكْمِ أَبِيهِ، وَأُصْدِرَ هُوَ حُكْمًا فَهَمَهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ هُوَ
الْحُكْمَ الْأَصْحَحَ!! وَنُلاحِظُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْآيَتَيْنِ مُجْمَلٌ مُخْتَصِرٌ مُبْهَمٌ، لَمْ يَذْكُرْ
تَفَاصِيلَ الْقِضِيَةِ الْمَعْرُوضَةِ، وَلَا حُكْمَ دَاوُدَ فِي الْقِضِيَةِ، وَلَا كَيْفِيَةَ اسْتَدْرَاكَ
سَلِيمَانَ، وَلَا حُكْمَهُ فِيهَا. وَلَا يَوْجَدُ عِنْدَنَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَرْفُوعٌ
لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُضِيفُ شَيْئًا إِلَى مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ.

وَقَدْ وَرَدَتْ رَوَايَةٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يُمَكِّنُ أَنَّ «نَسْتَأْنِسَ» بِهَا
فِي تَصَوُّرِ الْمَسْأَلَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى دَاوُدَ، أَحَدُهُمَا صَاحِبُ
حَرْثٍ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ غَنَمٍ. فَقَالَ صَاحِبُ الْحَرْثِ: إِنَّ هَذَا أَرْسَلَ غَنَمَهُ فِي
حَرْثِي، فَلَمْ يُبَيِّتْ مِنْ حَرْثِي شَيْئًا!.

فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك!

فَمَرَّ صَاحِبُ الْغَنَمِ بِسَلِيمَانَ، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَضَى بِهِ دَاوُدُ. . . فَدَخَلَ
سَلِيمَانُ عَلَى دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّ الْقَضَاءَ سِوَى الَّذِي
قَضَيْتَ!

فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: كَيْفَ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّ الْحَرْثَ لَا يَخْفَى عَلَى صَاحِبِهِ مَا
يَخْرُجُ مِنْهُ فِي كُلِّ عَامٍ، فَلَهُ أَنْ يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِهَا وَأَصْوَابِهَا وَأَشْعَارِهَا، حَتَّى
يَسْتَوْفِيَ ثَمَنَ الْحَرْثِ! فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: أَصَبْتَ. الْقَضَاءُ مَا قَضَيْتَ!

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ قَالَ: قَضَى دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِأَصْحَابِ
الْحَرْثِ، فَقَالَ لَهُمْ سَلِيمَانُ: كَيْفَ قَضَى بَيْنَكُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ. . . فَقَالَ لَهُمْ: لَوْ
وُلِّيتُ أَمْرَكُمْ لَقَضَيْتُ بغيرِ هَذَا! فَأَخْبَرَ دَاوُدُ بِكَلَامِ سَلِيمَانَ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ
تَقْضِي بَيْنَهُمْ؟

قَالَ سَلِيمَانُ: أَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْثِ، فَيَكُونُ لَهُ أَوْلَادُهَا وَأَبْنَائُهَا
وَمَنَافِعُهَا، وَيَبْذُرُ أَصْحَابُ الْغَنَمِ لِأَهْلِ الْحَرْثِ مِثْلَ حَرْثِهِمْ، فَإِذَا بَلَغَ الْحَرْثُ
الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، أَخَذَ أَصْحَابُ الْحَرْثِ حَرْثَهُمْ، وَرَدَّوْا الْغَنَمَ إِلَى
أَصْحَابِهَا. . . (١).

إِنَّ هَذَا التَّفْصِيلَ مَوْقُوفٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَمْ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَنَحْنُ نَذْكُرُ كَلَامَهُ مِنْ بَابِ الِاسْتِثْنَاءِ، مَعَ التَّحْفِظِ وَالِاحْتِيَاظِ.

لَكِنَّا نَقُولُ: لَمْ يُخْطِئْ دَاوُدُ ﷺ فِي حُكْمِهِ، لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ اللَّهِ، إِنَّمَا
نَقُولُ: كَانَ حُكْمُهُ خِلَافَ الْأَوْلَى، فَفَهَّمَهُ اللَّهُ سَلِيمَانَ الْمَسْأَلَةَ، وَأَلْهَمَهُ الْحُكْمَ
الْأَصَحَّ وَالْأَوْلَى. فَحُكْمُ دَاوُدَ صَحِيحٌ صَوَابٌ، وَلَكِنَّ حُكْمَ سَلِيمَانَ هُوَ الْأَصَحُّ
الْأَصُوبُ. . . وَاللَّهُ أَعْلَمُ!!

(١) تفسير ابن كثير: ١٨١/٣.

بين هاجر ومريم

أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْ مَا جَرَى لِمَرِيَمَ الْعِذْرَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، بَعْدَمَا نَفَخَ فِيهَا الرُّوحُ جَبْرِيْلُ، وَحَمَلَتْ بَعِيْسَى عَلَيْهَا السَّلَامُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۝٢٣﴾ فَادَّيْنَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤﴾ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِنْعِ النَّخْلَةِ سُنْقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾ فَكَلِمَى وَأَشْرَى وَقَرَى عَيْنًا فِيمَا تَرَى مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢ - ٢٦].

وقد سبق أن ناقشنا الفادي المفتري في تخطئته القرآن في كلامه عن انتباز مريم عن أهلها، وعن النخلة وجذعها ورطبها، وعن وليدها عيسى الذي كلمها بعد لحظة من ولادته.

وقد اعترض على القرآن من زاوية أخرى، حيث زعم أن القرآن خلط بين مريم وهاجر، فنسب لمريم ما حصل مع هاجر. قال: «وفي هذا خلط بين مريم العذراء وهاجر أم إسماعيل.. فهاجر هربت إلى البرية بإسماعيل، ولما عطشت هيأ الله لها عين ماء فشربت. أما العذراء فلم تهرب إلى برية، ولا احتاجت إلى الماء، ولا كانت تحت نخلة...»^(١).

واعترضه مردود، لأننا نتحفظ على ما ذكره الأخبار في سفر التكوين، بالنسبة لهرب هاجر بابنها إسماعيل إلى البرية، بسبب اضطهاد سارة لها، فما ذكره ليس في مصادرنا ما يؤيده ويصدق، ولذلك نتوقف فيه بدون تصديق أو تكذيب، ونقول: الله أعلم بذلك.

ويتجرأ الفادي المفتري على حديث القرآن عن مريم العذراء، فيكذبه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٩.

قائلاً: «وأما العذراء فلم تَهْرُبْ إلى بَرِيَّةٍ، ولا احتاجتْ إلى ماء، ولا كانتْ تَحْتَ نَخْلَةٍ!».

وقد أَخْبَرَنَا اللهُ في القرآنِ أَنَّ مَرِيَمَ العذراءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اعتزلتْ أهلَهَا، وابتعدتْ عنهم، وانتبذتْ بابينها الذي حَمَلَتْهُ مكاناً قَصِيماً. . وهناك جاءَتْها آلامُ المَخاضِ، فألجأتْها إلى جذعِ نخلةٍ حَيَّةٍ، فاعتمدتْ عليه، واستندتْ إليه، وازدادت الآلامُ بها حتى إنها تمنَّتْ أَنْ تكونَ ماتتَ قبلَ هذا الوضعِ. . وما هي إلا لحظةٌ حتى وضعتْ مولودَهَا عيسى بيُسرٍ، وما هي إلا لحظةٌ حتى سمعتْ مولودَهَا يُكَلِّمُهَا وهو تَحْتَهَا، ويدعوها إلى عدم الحُزْنِ، ويُرشِدُهَا إلى أَنْ تشربَ من ماءِ الجدولِ الذي أجراه اللهُ تَحْتَهَا، وَأَنْ تَهْزِرَ جذعَ النخلةِ إليها، حيث يتساقطُ عليها الرُّطْبُ الجنيُّ الذي أنضجَهُ اللهُ لها، وإذا رأتْ أمامها أَحَدًا لا تكلِّمُهُ، لأنها صائمةٌ عن الكلام، وسيتولَّى مولودُها مهمةَ الكلام نيابةً عنها.

هذا ما قاله القرآنُ عن ولادةِ مريمَ ابنتها عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو الصحيح والصوابُ عندنا، ولا وَزْنَ لكلامِ الفادي المخالفِ له، ولا قيمةَ لاعتراضِهِ عليه!!.



حول نزول المائدة على الحواريين

أَخْبَرَنَا اللهُ في القرآنِ أَنَّ الحواريينَ طَلَبُوا من عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يسألَ اللهُ إنزالَ مائدةٍ من السماءِ عليهم، فسألَ عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَبَّهُ. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ لِيَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

﴿١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿[المائدة: ١١٢ - ١١٥].

وقد اعترض الفادي المفتري على كلام القرآن وخطأه، واتهمه بعدم فهم كلام الأناجيل عن معجزات عيسى ﷺ أمام الحواريين، وقصة «العشاء الرباني». قال: «لا يقول الإنجيل إن تلاميذ المسيح طلبوا منه آية من السماء، ولا يقول إن مائدة نزلت من السماء، ولكن الذين تبعوا المسيح ليسمعوا تعاليمه في البرية مكثوا معه وقتاً طويلاً، ولم يرد المسيح أن يضرهم صائمين، لثلا يخوروا في الطريق، فأخذ خمس خبزات وسمكتين، وبارك وكسر، وأطعمهم جميعاً، وزادت عن الآكلين اثنا عشرة ففة!!».

ولعل قصة القرآن عن نزول مائدة من السماء، نشأت عن عدم فهم بعض آيات الإنجيل، فوردت في «متى: ٢٠/٢٦ - ٢٩»، و«مرقس: ١٤/١٧ - ٢٥»، و«لوقا: ١٤/٢٢ - ٢٠»، و: «يوحنا: ١/١٣ - ٣٠»، قصة العشاء الرباني، الذي رسمه المسيح تذكراً لصلبه، فورد في «لوقا: ٢٢/٣٠» بخصوص مائدة المسيح، حيث قال لهم: «لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر»^(١).

يعترف الفادي بالمائدة، التي أكل منها الحواريون؛ بحضور عيسى ﷺ، ويحيل على الأناجيل الأربعة في حديثها عنها، ويذكر أن تلك المائدة قامت على تكثير الطعام بين يدي عيسى ﷺ، حيث كان معه خمسة أرغفة وسمكتان، فدعا الله ليبارك فيها، فبارك فيها، وتغشى منها الحواريون جميعاً «عشاء ربانياً»، زاد عنهم اثنا عشرة ففة مليئة بالطعام!

وإن الله الذي كثر الطعام أمام عيسى ﷺ قادر على إنزال مائدة من الطعام من السماء، ليأكل منها الحواريون، فلا داعي لإنكار إنزال المائدة من

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٤٩.

السماء في الوقت الذي يتم الإيمان بتكثير الطعام، طالما أن كلا الأمرين من فعل الله، الذي هو على كل شيء قدير.

والإيمان بأن القرآن كلام الله، يدعوننا إلى الإيمان والتصديق بكل ما ورد في القرآن. وقد أخبرنا الله أنه مُنَزَّلُ المائدة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، والتعبير عن إنزالها بصيغة اسم الفاعل: «مُنَزَّلُهَا»، لتأكيد حقيقة إنزالها.



أصحاب القرية والرسل الثلاثة

أخبرنا الله في القرآن بقصة أصحاب القرية مع الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إليهم ليدعوهم إلى الله. وخلاصة تلك القصة أنه كان أهل قرية من القرى كافرين بالله، فأرسل الله إليهم رجلين رسولين، ولما وصلا إليهم ودعواهم إلى الله كذبوهما، فعزّزهما الله برسولٍ ثالث، وقام الرسل الثلاثة بإقامة الحجة على أهل القرية، ولكنهم لم يستجيبوا لهم. . وجاء رجل مؤمن من أقصى المدينة، مؤيِّداً الرسل الثلاثة، ودعا القوم إلى الإيمان بالرسول وتصديقهم والدخول في دينهم، وعبادة الله وحده، لكنهم لم يستجيبوا له. . وأمام إصرار أهل القرية على الكفر والتكذيب والإيذاء، حَقَّتْ عليهم كلمة الله، فأوقع بهم العذاب. . كما ورد في الآيات (١٣ - ٢٩) من سورة يس.

وقد أبهم القرآن تفصيل قصة أصحاب القرية، فلم يذكر اسمها، ولا زمانها، ولا مكانها، ولا جنسية أهلها، كما لم يبيِّن أسماء الرسل الثلاثة، ولا مَنْ أرسلهم، هل هم رسل من الله مباشرة، أم أرسلهم رسول من عند الله، ولم يذكر دينهم، ولا كيف وصلوا إلى القرية، ولم يذكر اسم الرجل المؤمن الذي جاء يسعى وينصُرُ الرسل، ولا تفاصيل ما جرى بينه وبين القوم، ولا كيف كانت نهاية الرسل الثلاثة والرجل المؤمن، هل قُتلوا أو نجوا، ولا كيف

كانت تفاصيلُ الصيحة الواحدة التي أخذتهم وأهلكتهم وجعلتهم خامدين!! .

ولم يرد حديثٌ صحيحٌ عن رسولِ الله ﷺ يُفسِّرُ بعضَ المبهماتِ في قصة أصحابِ القرية، ويوضحُ بعضَ التفاصيل، ولو وردَ لقلنا به.. فالواجبُ علينا أن نبقى مع القرآنِ في حديثهِ عن القصة، ونسكتَ عن ما سكتَ عنه، ولا نُبينَ بعضَ المبهماتِ التي أبهمها القرآنُ عمداً! .

ولكنَّ كثيراً من المفسِّرين لم يفعلوا ذلك، وذهبوا إلى الأخبارِ والرواياتِ التي لم تثبت، والإسرائيلياتِ التي تُفصلُ الكلام، وفسَّروا بها كلامَ الله، وبيَّنوا بها المبهماتِ التي أبهمها القرآنُ.

ومن ذلك ما فعله الإمامُ البيضاويُّ في تفسيرِ قصة أصحابِ القرية في سورة يس، مما جعلَ الفادي يتنقده، ويحملُ القرآنَ خطأه! .

قال: ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: القريةُ هي إنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: هم رسلُ عيسى عليه السلام. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: لأنه فعلُ رسوله وخليفته، وهما يحيى ويونس، وقيل: غيرهما. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّزْنَا بِتَالِكِ﴾: هو شمعون. ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾: وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام، فأرسلَ إليهم عيسى عليه السلام اثنين، فلما قُربا من المدينة رأيا حبيباً النجار يرعى غنماً، فسألتهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نَشْفِي المَريضَ، وَنُبرئُ الأَكْمَهَ والأَبْرصَ، وكان له ولد، فَمَسحاه فَبَرَأَ، فَآمَنَ حَبِيبٌ، فَفشا الخَبْرُ، وَشُفِيَ على أيديهما خَلْقٌ كثير. وَبَلَغَ حديثُهُما إلى الملك، فقالَ لهما: أَلنا آلهةٌ سوى أصنامِنَا؟ قالَا: نعم، مَنْ أوجدَكَ وآلهتِكَ؟... قال: حَتَّى أنظَرَ في أمرِكما، فحبسَهُما.. ثم بَعَثَ عيسى شمعونَ، فدخلَ مُتَنَكِّراً، وعاشَرَ أصحابَ الملك...، فأَنسَ به الملكَ، فقالَ له يوماً: سمعتُ أنك حبستَ رجلينِ فهل سمعتَ ما يقولان؟ قال: لا. فدعاهما. فقال شمعون: مَنْ أَرسلَكما؟ قالَا: اللهُ الذي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ، وليس له شريك. فقال: صِفاه وأوجِزا. فقالَا: هو يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ بما يُريد. فقال: وما آيتُكما؟ قالَا: ما يَتَمَنى المَلِكُ. فدعا

بِعُلامِ مَطْمُوسِ الْعَيْنَيْنِ، فَدَعَا اللَّهَ حَتَّى انشَقَّ لَهُ بَصَرُهُ، وَأَخَذَا بُنْدُقَتَيْنِ، فَوَضَعَاهُمَا فِي حَدَقَتَيْهِ، فَصَارَا مَقْلَتَيْنِ يَنْظُرُ بِهِمَا. فَقَالَ شَمْعُونُ لِلْمَلِكِ: أَرَأَيْتَ لَوْ سَأَلْتَ آلِهَتَكَ هَلْ تَصْنَعُ مِثْلَ هَذَا؟ فَقَالَ الْمَلِكُ: لَا أُخْفِي عَنْكَ سِرًّا، آلِهَتُنَا لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَلَا تُضَرُّ وَلَا تَنْفَعُ.. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ قَدَرَ إِلَهُكُمَا عَلَى إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ آمَنَّا بِهِ، فَأَتَوْا بِعُلامِ مَاتَ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَدَعَا اللَّهَ، فَقَامَ حَيًّا، وَقَالَ: إِنِّي أُدْخِلْتُ سَبْعَةَ أُودِيَةٍ مِنَ النَّارِ، وَأَنَا أَحْذِرُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ.. فَأَمِينُوا... . . . وَقَالَ: فَتُحْتِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَرَأَيْتُ شَابًّا حَسَنًا يَشْفَعُ لِهَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ... . . . فَلَمَّا رَأَى شَمْعُونُ أَنَّ قَوْلَهُ أَثَّرَ فِي الْمَلِكِ نَصَحَهُ، فَأَمَّنَ فِي جَمْعٍ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ صَاحَ عَلَيْهِمْ جَبْرِيلُ فَهَلَكُوا.. . .

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ هُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ، وَكَانَ يَنْحِتُ أَصْنَامَهُمْ، وَهُوَ مِمَّنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ، وَبَيْنَهُمَا سِتْمَةٌ سَنَةٌ.. . . وَقِيلَ: كَانَ فِي غَارٍ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ الرَّسُولِ أَتَاهُمْ وَأَظْهَرَ دِينَهُ.. . .^(١).

تُحَدِّدُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ الْقَرْيَةَ بِأَنَّهَا إِنطَاكِيَّةٌ، وَالرَّجُلَيْنِ الرَّسُولَيْنِ بِأَنَّهُمَا يَحْيَى وَيُونَسَ، وَأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُمَا هُوَ عَيْسَى، وَأَنَّ الرَّسُولَ الثَّلَاثَ الْمُؤَيَّدَ لِهَمَا هُوَ شَمْعُونُ. وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ يَسْعَى مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ هُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ، وَأَنَّ حِوَارَهُمْ كَانَ مَعَ مَلِكِ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُمْ قَدَّمُوا لَهُ الْآيَاتِ مِنَ الشِّفَاءِ وَالْإِحْيَاءِ حَتَّى آمَنَ... . .

وقد اعترض الفادي على هذه الرواية الإسرائيلية، وحمل القرآن مسؤوليتها، قال: «معلوم أن إنطاكية كانت تحت حكم الرومان، فكيف يقول القرآن: إن لها ملكاً؟ ويقول البيضاوي: إن حبيباً النجار نحات الأصنام في إنطاكية آمن بمحمد، فهل من المعقول أن يؤمن برسالة جاءت بعده بستمئة سنة؟ ثم إنه ليس من تلاميذ من يدعى شمعون أو يونس؟ فشمعون هو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ويونس أو يونان هو أحد أنبياء التوراة، الذي

(١) تفسير البيضاوي: ٢٦٤/٤ - ٢٦٥؛ وهل القرآن معصوم؟، ص ٥٠ - ٥١.

ابْتَلَّغَهُ الْحَوْتَ»^(١).

ونحنُ لسنا مع البيضاويِّ في الروايةِ الإسرائيليَّةِ التي ذَكَرَهَا، ولا نُفسِّرُ بها كلامَ الله، ونَبقى مع حديثِ القرآنِ عن قصةِ أصحابِ القريةِ، لا نُضيفُ له أيَّ تفصيلٍ.

وهذا معناهُ أنَّ اعتراضَ الفادي على القرآنِ مَرْدُودٌ من أساسه، لأنَّ القرآنَ لم يَذْكرْ أنَّ القريةَ هي إنطاكية، ولا أنه كان يحكُمُها مَلِكٌ، ولم يُسمِّ الرسلَ الثلاثةَ: يحيى ويونس وشمعون، ولم يتحدَّثْ عن حبيبِ النجار. ولقد كانَ الفادي متحاملاً على القرآنِ، عندما حَمَلَهُ خَطَأً كلامَ البيضاوي، وأدَّعى أنَّ القرآنَ هو الذي قال: كان الملكُ يحكُمُ إنطاكية! ومعلومٌ أنَّ القرآنَ لا يتحمَّلُ مسؤوليةَ أيِّ فهمٍ خاطئٍ له!!.



حول قوم عاد

أخبرنا اللهُ في القرآنِ عن قصةِ قومِ عاد، وكُفِّرهم بالله، وتكذيبهم نبيَّهم هوداً عليه السلام، ولما أصروا على كفرهم وتكذيبهم أوقع اللهُ بهم عقابه، حيث أخذتهم الصيحةُ ففضت عليهم وأهلكتهم. وقد ذُكرت قصةُ عادٍ بالتفصيلِ في سور: الأعرافِ وهودِ والشعراءِ وفُصِّلَت والقمرِ وغيرها.

وفُصِّلَت سورةُ الأحقافِ - قليلاً - العذابِ الذي أوقعه اللهُ بهم. قال تعالى: ﴿وَأَذَكَّرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ قَالُوا اجْتَنَبْنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأَنبَأَنَا بِمَا نَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرِنًا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥١.

بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿الأحقاف: ٢١ - ٢٥﴾.

وقد اعترض الفادي على كلام القرآن عن قوم عاد، واعتبره غير صحيح، لأنه لا يتفق مع حديث العهد القديم.. وأخذ من تفسير البيضاوي تفصيل العذاب الذي أوقعه الله بهم. قال: «قال البيضاوي: هوذ هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح... وقوم عاد كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم هوذا، فكذبوه وازدادوا عُتُوًّا، فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين، حتى جهدهم.. وأنشأ الله سحابات ثلاثاً، بيضاء وحمراء وسوداء، ثم نادى مُنادٍ من السماء لزعيمهم «قِيلَ بِنِ عَثْرَ»: يا قِيلَ! اختَرُ لنفسِكَ وقومِكَ. فقال: اخترتُ السوداء، فإنها أكثرهن ماء!!.. فخرجت على عادٍ من وادي المُغيث، فاستبشروا بها، وقالوا: هذا عارضٌ ممطرنا.. فجاءتهم منها ريحٌ عقيم، فأهلكتهم.. ونجا هوذ والمؤمنون معه، فأتوا مكة، وعبدوا الله فيها حتى ماتوا».

وعلق الفادي على كلام البيضاوي قائلاً: «ولا تذكرُ التوراة أن نبياً قام بين نوح وإبراهيم، وتذكر بين ذرية نوح رجلاً اسمه عاد، ولا تذكر عقاباً بانقطاع المطر ثلاث سنوات، إلا في أيام النبي إيليا»^(١).

وقد سبق أن قررنا القاعدة العلمية الموضوعية في التعامل مع أحداث الزمن الماضي، وهي أخذها من المصادر الإسلامية الموثوقة، المحصورة في الآيات القرآنية الصريحة، والأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ.

وخلاصة ما ذكره القرآن حول قصة عاد: أنهم كانوا يسكنون في منطقة الأحقاف في جنوب شرق الجزيرة العربية، وأنهم كانوا بعد قوم نوح ﷺ، وأنهم كانوا كافرين بالله، وكانوا ظالمين معتدين، أقوياء أشداء. فبعث الله لهم هوذا ﷺ رسولا، وجرى بينه وبينهم جدالٌ ونقاش، وأصرّوا على كفرهم،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٢.

ولما أوقع الله بهم عذابه أنجى هوداً عليه السلام، والذين آمنوا معه، وأرسل على القوم الكافرين ريحاً باردةً شديدةً قويةً عاتيةً، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، وأرسل عليهم سحباً أسوداً، اعترض جبالهم ووديانهم، فظنوه سحباً مطراً، واستبشروا به، فأهلكهم الله.

ولسنا مع ما أورده البيضاوي من نسب هود إلى نوح عليه السلام، لأنه لا دليل عندنا على هذا النسب، فلم يرد كلام عنه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. . . كما أننا لسنا مع البيضاوي في حديثه عن السحبات الثلاث، وعن اختيار زعيمهم السحابة السوداء؛ لأنها ممتلئة مطراً.

لا نقول إلا بما قال به القرآن حول هذا العارض الذي يحمل العذاب: ﴿لَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لَوْ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَذَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ . . .﴾.

وإذا كان في كلام البيضاوي ما ليس عليه دليل، فإن القرآن لا يتحمل ذلك، والقرآن لا يتحمل إلا ما ذكره ونص عليه بصراحة! فاعتراض الفادي على القرآن مردود.

وقد أخطأ الفادي عندما شكك في كلام القرآن عن قوم عاد، واعتبره من أخطاء القرآن التاريخية! وهو ينفي وجود قوم عاد في التاريخ، وينكر نبوة هود عليه السلام، والسبب هو عدم حديث التوراة عن ذلك! وعدم حديث التوراة عن عاد لا يعني عدم وجودهم في التاريخ، فلم تذكر التوراة كل شيء من قصص السابقين، وما سكتت عنه لا يعني عدم وجوده! ثم إن الأخبار حرفوا التوراة وأضافوا لها كثيراً من مزاعمهم وأكاذيبهم وأخطائهم، فليس كل ما فيها صحيحاً!

وبما أن القرآن تحدت عن عاد فهو الحديث الصحيح، لأنه هو مرجعنا المأمون الموثوق به، ولا وزن لاعتراض الفادي على حديثه، وتخطئه له!

حول النبي ذي الكفل ﷺ

ذو الكفلِ نبِيٌّ من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وقد ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ
 ضَمَنَ الْأَنْبِيَاءَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
 [الأنبياء: ٨٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾
 [ص: ٤٨].

وَدَهَبَ الْفَادِي إِلَى تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ لِيَنْظَرَ فِيمَا أوردَهُ عَنْ قِصَّةِ ذِي
 الْكِفْلِ، لِيَشْكُكَ فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ لَهُ.

قَالَ: «قَالَ الْبِيضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ ص: ذُو الْكِفْلِ ابْنُ عَمِّ الْيَسَعَ، أَوْ
 بِشْرُ بْنُ أَيُّوبَ، وَاحْتَلَفَ فِي نُبُوْتِهِ وَلَقَبِهِ. فَقِيلَ: فَرَّ إِلَيْهِ مِئَةٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ مِنَ الْقَتْلِ، فَأَوَاهُم وَكَفَلَهُمْ. وَقِيلَ: كُفِّلَ بِرَجُلٍ عَمَلٍ صَالِحًا، وَكَانَ
 يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ مِئَةَ صَلَاةٍ».

وَقَالَ الْبِيضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: «ذُو الْكِفْلِ يَعْنِي الْيَاسَ، وَقِيلَ:
 يَوْشَعَ، وَقِيلَ: زَكْرِيَّا، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ ذَا حَظٍّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ تَكْفَّلَ
 أُمَّتَهُ!».

وَجَاءَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ أَنَّ ذَا الْكِفْلِ نَبِيٌّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَحِكَايَتُهُ أَنَّ
 مَلِكًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنِّي أُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ، فَأَعْرِضْ مُلْكَكَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ،
 فَمَنْ تَكْفَّلَ أَنْ يُصَلِّيَ اللَّيْلَ وَلَا يَفْتَرِ، وَيَصُومَ النَّهَارَ وَلَا يُفْطِرَ، وَيَقْضِي بَيْنَ
 النَّاسِ وَلَا يَعْضَبَ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ مُلْكَكَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. . . فَقَامَ شَابٌّ، فَقَالَ: أَنَا
 أَتَكْفَّلُ لَكَ بِهَذَا. . . فَتَكْفَّلَ وَوَفَّى، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، وَنَبَّأَهُ. . . وَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ. . .».

وَعَلَّقَ الْفَادِي عَلَى مَا نَقَلَهُ بِتَخْطِئَةِ الْقُرْآنِ، قَالَ: «وَلَا تَذْكَرُ التَّوْرَةَ ذَا
 الْكِفْلِ، وَلَكِنهَا تَذْكَرُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي عَالَ مِئَةَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ عُوْبِدِيَا، وَزَيْرُ
 الْمَلِكِ أَحَابَ، وَكَانَ يَخْشَى الرَّبَّ جِدًّا، وَحَبًّا هُوَ لَاءِ الْمِئَةِ وَقَتَّ أَنْ قَتَلَتْ

الملكة إيزابلُ أنبياء الرب»^(١).

لم يُفْصَل القرآنُ الحديثُ عن ذي الكفل، واكْتَفَى بِذِكْرِهِ ضِمْنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِنَبْوَتِهِ وَقِصَّتِهِ فَهُوَ مِنْ مَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ، الَّتِي لَا نَعْرِفُ عَنْهَا شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ الْوَسِيلَةَ لِبَيَانِهَا، وَكُلُّ مَا نَقَوْلُهُ عَنْهُ: إِنَّ ذَا الْكِفْلِ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وهذا مَعْنَاهُ أَنْ نَتَوَقَّفَ فِي مَا حَكَاهُ الْبِيضَاوِيُّ وَالْمَفْسِّرُونَ الْآخَرُونَ عَنْ قِصَّتِهِ، كَمَا نَتَوَقَّفُ فِي كُلِّ مَا تَذَكَّرُهُ الْإِسْرَائِيلِيَّاتُ، فَلَا نُصَدِّقُهُ وَلَا نُكَذِّبُهُ، وَالتَّوَقُّفُ يَعْنِي أَنْ لَا نَذَكَّرُهُ وَلَا نَعْتَمِدَهُ وَلَا نَقُولَ بِهِ.

أما مِنْهُجُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي فِي النَّظَرِ إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ مِنْهُجٌ خَاطِئٌ مُرَدُّودٌ، فَهُوَ يُحَاكِمُ الْقُرْآنَ إِلَى التَّوْرَةِ، فَمَا وَافَقَ التَّوْرَةَ صَدَّقَهُ، وَمَا لَمْ تَذَكَّرْهُ التَّوْرَةُ خَطَّأَهُ وَكَذَّبَهُ وَرَدَّهُ. وَلِذَلِكَ لَا يَعْتَبَرُ ذَا الْكِفْلِ نَبِيّاً، لِأَنَّ التَّوْرَةَ لَمْ تَذَكَّرْ ذَلِكَ!.

ذو الكفلِ فِي نَظَرِ الْفَادِي لَيْسَ نَبِيّاً، وَالْقُرْآنُ أَخْطَأَ عِنْدَمَا ذَكَرَهُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ! أَمَا نَحْنُ فَإِنَّا نَوْمُنُ أَنَّ ذَا الْكِفْلِ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ، وَتَفَاصِيلُ قِصَّتِهِ مِنْ مَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ أَنْكَرَ كَوْنَهُ نَبِيّاً فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ لِأَنَّهُ كَذَّبَ الْقُرْآنَ!!.



من هم أصحاب الرّسّ؟

أَشَارَ الْقُرْآنُ إِشَارَةً إِلَى أَصْحَابِ الرَّسِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَادَا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ﴾ [ق: ١٢].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٢ - ٥٣.

وذهب الفادي إلى تفسير البيضاوي، ليتعرف منه على أصحاب الرس. ونقل عنه قوله: «أصحاب الرس: قوم كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله لهم شعبياً فكذبوه، فبينما هم حول الرس (وهي البئر غير المطوية) انهارت، فحسفت بهم وبديارهم. . . وقيل: الرس: قرية بجهة اليمامة، كان فيها بقايا ثمود، فبعث لهم نبي فقتلوه، فهلكوا. . . وقيل: الرس: الأخدود. وقيل: الرس: بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبا النجار. . . وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي، ابتلاههم الله تعالى بطير عظيم، كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء، لطول عنقها، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له: فتح أو دمخ، وتنقض على صيانتهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة. ثم إنهم قتلوه فأهلكوا. . . وقيل: هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه، أي: دسوه في بئر».

وشكك الفادي في هذا الكلام، وهاجم القرآن قائلاً: «ونحن نسأل: ما هذه الرس؟ وفي أي بلاد؟ وفي أي زمن؟ لماذا لم يوضح لنا القرآن ذلك، إن كان للرس وجود؟!»^(١).

«الرس»: مصدر. تقول: رس، يرس، رساً. وهو بمعنى الإدخال. تقول: رسه. أي: أدخله. ويطلق على البئر المحفورة في الأرض، ولكنها لم تظور، أي: لم تبين من الداخل.

و«أصحاب الرس»: هم قوم كانوا يقيمون حول بئر مطوية، غير مبنية بالحجارة. فقيل عنهم: أصحاب الرس.

ولم يفصل القرآن الحديث عنهم، ولم يقص قصتهم، واكتفى بذكر اسمهم ضمن مجموعة من الأقوام الكافرين السابقين، في سورتي الفرقان وق. فكانت قصة أصحاب الرس من مبهمات القرآن. ولم يرد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يتحدث عنهم. ولذلك لا نتحدث عنهم، ونكتفي بالإشارة القرآنية المجملة.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٣.

ولسنا مع البيضاوي في ما نقله عنهم، لأنه كلام لا دليل عليه، فقد ذكر خمسة أقوال في تعيينهم، وكلها أقوال ظنية، والتفاصيل التي ذكرها من باب الإسرائيليات التي لم تصح عندنا، فتوقف فيها، لا نصدقها ولا نكذبها ولا نرويها.

وما نقله البيضاوي في تعيين أصحاب الرس لا يتحملة القرآن، فإن كان خطأ فيتحمل مسؤوليته الذين رَووه وذكروه!!.

وتشكيك الفادي في وجود أصحاب الرس اتهام وتكذيب منه للقرآن، وتساؤله عن مكان وزمان أصحاب الرس من باب خبيثه ولوومه: «لماذا لم يوضح لنا القرآن ذلك إن كان للرس وجود؟!».

إننا نؤمن أن للرس وجوداً، وأنه كان قوم من الناس مُقيمون حولها، نؤمن بذلك لأن القرآن ذكر ذلك، وكل ما ورد في القرآن فهو صادق وصحيح وثابت، لأنه كلام الله.

أما لماذا لم يوضح القرآن زمان أصحاب الرس أو مكانهم، ولم يفصل قصتهم مع نبيهم، فإن هذا يتفق مع منهج القرآن في حديثه عن قصص السابقين. إن القرآن ليس كتاب تاريخ مُفصل، وحديثه عن قصص السابقين ليس رواية تاريخية فنية مفصلة، إنه لا يذكر من أخبار السابقين إلا ما فيه عبرة وعظة، وهو يعرض من أخبارهم ما يحقق أهدافه من الحديث عن قصص السابقين، وما يعرضه يتناسب مع السياق الذي ورد فيه.

وهذا معناه أن ما ورد في القرآن من أخبار السابقين هو لقطات ومَشاهد ومواقف قليلة، وما لم يورده من تفاصيل أخبارهم أكثر مما أورده، وقد تعمّد القرآن إبهام الكثير من تفاصيل حياتهم، عن تعمّد وقصد، لأن الله الحكيم العليم يذكر للناس ما يحتاجون إليه ويستفيدون منه، وما طواه عنهم يعلم أنهم لا يحتاجون إليه!.

المهم أن ما ذكره القرآن من أخبار السابقين صادق صحيح ثابت، ولا

يُلامُّ القرآنَ على ما أغفله من تفاصيلِ قصصِ السابقين، إنما يُلامُّ أو يتهم إذا أخطأ فيما أورده من قصصهم!!.



حول لقمان الحكيم

في القرآن سورة سماها الله سورة لقمان، وأخبر المسلمين فيها عن طرفٍ من قصة لقمان الحكيم. وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٢ - ١٣].

وذهب الفادي إلى تفسير البيضاوي ليأخذ منه مادته التشكيكية بالقرآن، ونقل عنه قوله: «لقمان بن باعوراء، من أولاد آزر، ابن أخت أيوب أو خالته، وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام، وأخذ منه العلم، وكان يُفتي قبل مبعثه».

وعلق على كلام البيضاوي قائلاً: «فكيف يكون لقمان هذا نبياً؟ وكيف يعتبره البيضاوي أنه عاصر أيوب وعاصر داود، وبين أيوب وداود ما يقرب من تسعمئة سنة؟! وأين بلاد عوص حيث عاش أيوب من بلاد فلسطين حيث عاش داود؟!».

لم يُفصل القرآن الحديث عن لقمان، وكل ما ذكره عنه أنه كان رجلاً مؤمناً بالله، عابداً شاكيراً له، آتاه الله الحكمة والعلم والفهم، وكان داعيةً ناصحاً، وكان له ولد، فقام بواجبه في نصحه وتوجيهه وتذكيره وتعليمه. وقد ذكرت سورة لقمان طرفاً مما وعظ ونصح به ابنه.

ولم تُصِف مصادرتنا الإسلامية اليقينية على ما ورد في القرآن عنه، ولذلك معظم ما يتعلق بقصته من مبهمات القرآن، التي لا نملك دليلاً على بيانها، فلا دليل على زمانه أو مكانه، ولا على القوم الذين كان يعيش معهم،

ولا نَعْرِفُ هل كان نَبِيًّا أَمْ مجردَ مؤمِنٍ عالمٍ حَكِيمٍ، ولا نَعْرِفُ من كَلامِهِ ومواعِظِهِ وحِكْمِهِ إِلَّا ما وَرَدَ في القُرْآنِ!.

وهذا معناه أَنْ نَتَوَقَّفَ في القَوْلِ بما وَرَدَ عَنْهُ من أَخْبَارٍ وأَقْوَالٍ وحِكَمٍ، لأنَّها من الإِسْرَائِيلِيَّاتِ والرِوَايَاتِ التي لم تُثَبِّتْ، فلا نُصَدِّقُها ولا نُكذِّبُها ولا نَرَوِيها. ولَسْنَا مع البِيضَاوِيِّ في حَدِيثِهِ عن لُقْمَانَ، لأنَّهُ لا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

وقد كان الفادي مُتَحَامِلًا على القُرْآنِ عندما اعترضَ على كَلامِ البِيضَاوِيِّ، وجَعَلَهُ من أخطاءِ القُرْآنِ التَّارِيخِيَّةِ، فما دَخَلَ القُرْآنِ في كَلامِ البِيضَاوِيِّ؟ لا يُسألُ القُرْآنُ إِلَّا عن الكَلامِ الذي يذُكِّرُهُ، ولا يُسألُ عن كَلامِ البَشَرِ المَفْسِّرِينَ، فهم قد يُخَطِّئُونَ وقد يُصَيِّبُونَ!.

لم يُصَرِّحِ القُرْآنُ بنبوَّةِ لُقْمَانَ، كما أَنَّهُ لم يَنْفِ نبوَّتَهُ، وإنَّما سَكَتَ عنها، ولذلك لا نَقُولُ بنبوَّتِهِ، لأنَّهُ قد لا يكون نَبِيًّا!! ولا نَنْفِي عنه النبوَّةَ، لأنَّهُ قد يكون نَبِيًّا، فالأَسْلَمُ هو التَّوَقُّفُ في هذا القَوْلِ، والاعترافُ بقصورِ العِلْمِ، فنحنُ لا نَعْلَمُ إِلَّا ما عَلَّمَنَا اللهُ إِيَّاهُ، أو وَفَّقَنَا إِلَيْهِ!.

ثم إنَّ ما ذَكَرَهُ الفادي نَقْلًا عن العهدِ القَدِيمِ لا دَلِيلَ عَلَيْهِ، فلا دَلِيلَ على أَنَّ أَيُوبَ كانَ قَبْلَ داوُدَ عليه السلام بتسعمئة سنة، ولا دَلِيلَ على أَنَّ أَيُوبَ كانَ ببلادِ عوصِ العَرَبِيَّةِ، ولم يَقُلْ لنا أينَ تَقَعُ بلادُ عوصِ في الجَزيرةِ العَرَبِيَّةِ. فما عابَهُ الفادي على البِيضَاوِيِّ وَقَعَ هو فيه، وما وَجَّهَهُ إِلَيْهِ من انتقادِ يُوَجِّهُهُ إِلَيْهِ.



بين الإسكندر وذي القرنين

ذَكَرَ اللهُ طَرَفًا من قِصَّةِ ذِي القَرْنَيْنِ في سورَةِ الكَهْفِ الآياتِ (٨٣ - ٩٨) وخِلاصَةُ ما ذَكَرَهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كانَ رَجُلًا مُؤمِنًا صالِحًا، وكانَ قوِيًّا شُجاعًا ظافِرًا منصورًا، وقامَ بثلاثِ رِحلاتٍ، رِحلةً نحوَ مَغربِ الشَّمسِ، فَتَحَّ فيها بلادًا،

وأحسنَ معاملَةً أهلها، ورحلَةً نحوَ مشرقِ الشمسِ، وصلَ فيها إلى أرضٍ مكشوفةٍ سهلةٍ منبسطةٍ، ورحلَةً نحوَ الشمالِ، وَجَدَ فيها قومًا ضِعافًا، شكوا إليه هجماتٍ يأجوجٍ ومأجوجٍ، فأقامَ سدًّا عاليًا بينَ جبَلَيْنِ، ليقبضَهم من هجماتِهِم.

ورجعَ الفادي إلى تفسيرِ البيضاوي، وأخذَ بعضَ ما قاله عن ذي القرنينِ، ونسبَ له قوله: «قالَ البيضاوي وابنُ هشام: إنَّ ذا القرنينِ هو إسكندرُ الأكبر. وقالَ البيضاوي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّقْرِينِ﴾: يعني إسكندرَ الرومي، مَلَكَ فارسِ والرومِ، وقيل: مَلَكَ المشرقِ والمغربِ، ولذلك سُمِّيَ ذا القرنينِ، أو لأنه طافَ قَرْنِي الدنيا شرقَها وغربَها، وقيل: لأنه انقرضَ قرنانِ من الناسِ، وقيل: كانَ له قرنانِ، أي ضفيرتانِ، وقيل: كانَ لتاجه قرنانِ.. ويُحتملُ أنه لُقِّبَ بذلك لشجاعته، كما يقال: الكبشُ للشُّجاعِ، كأنه ينطحُ أقرانه. واختلفَ في نبوّته مع الاتفاقِ على إيمانه وصلاحه»^(١).

ولا نوافقُ البيضاويَّ على هذا الكلامِ، لأنه ليس عليه دليلٌ من القرآنِ أو الحديثِ الصحيح عن رسولِ الله ﷺ، ولا داعي للأقوالِ السبعةِ المختلفةِ التي ذَكَرَها في سببِ تسميته بذي القرنينِ، ولا داعي لترجيحِ أحدِ منها، لأنها كُلُّها مما لا دليلَ عليه!

لم يَزِدِ القرآنُ على وُضفِ ذلك الرجلِ بذي القرنينِ، وأبهمَ اسمَه وزمّانَه ومكانَه، فلا نَعرفُ هل كانَ نبيًّا أم لا، ولا نَعرفُ اسمَه ونسبَه، ولا نَعرفُ البلدَ الذي كانَ يحكُمُه، ولا نَعرفُ النبيَّ الذي كانَ في عصره، ولا نَعرفُ تفاصيلَ رحلاتِهِ المذكورةِ في سورةِ الكهفِ، ولا يُمكننا تحديدهُ المكانِ الذي وَصَلَ إليه في الغربِ، ولا تحديدهُ العينِ الحمئةِ التي وَقَفَ عندها، ولا تحديدهُ المكانِ في المشرقِ، ولا تحديدهُ المكانِ الذي وَصَلَ في الشمالِ، ولا السّدَ الذي بناه بينَ الجبَلَيْنِ، فهذا كُلُّه من المبهماتِ التي لا تبيِّنُ لها، لعدمِ وجودِ دليلٍ عليها.

(١) هل القرآنُ معصومٌ؟، ص ٥٤.

وَنَرُدُّ الْقَوْلَ الَّذِي أوردَهُ الْبِيضَاوِي مِنْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ هُوَ الْإِسْكَندَرُ الْأَكْبَرُ
الرُّومِي، مَلِكُ الْيُونَانِ الْمَعْرُوفِ، الَّذِي فَتَحَ بِلَادَ الْيُونَانِ وَالرُّومَانَ وَتُرْكِيَا
وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَفَارِسَ، وَمَاتَ فِي شِبَاهِهِ فِي مَدِينَةِ بَابِلَ، كَمَا قَالَ الْمُؤَرِّخُونَ.

فَهَذَا الْقَوْلُ خَطَأً، وَإِنْ قَالَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْإِخْبَارِيِّينَ
وَالْمَفْسِّرِينَ، لِأَنَّهُ يَتَعَارَضُ مَعَ الْقُرْآنِ، فَالْإِسْكَندَرُ الْمَقْدُونِيُّ الرُّومِي كَانَ وَثْنِيًّا
كَافِرًا مُشْرِكًا بِاللَّهِ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مُؤْمِنًا صَالِحًا دَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ، فَأَيْنَ
هَذَا مِنْ هَذَا؟! .

إِذْ أخطأَ الْبِيضَاوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ عِنْدَمَا قَالُوا: ذُو الْقَرْنَيْنِ هُوَ
الْإِسْكَندَرُ! لَكِنَّهُ خَطُؤُهُمْ وَلَيْسَ خَطَأُ الْقُرْآنِ.

وَبِهَذَا نَرُدُّ الْأَسْئَلَةَ وَالْإِشْكَالَاتِ الَّتِي أَثَارَهَا الْفَادِي عَلَى حَدِيثِ الْقُرْآنِ
عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي قَوْلِهِ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يَجْعَلُ الْقُرْآنُ إِسْكَندَرَ الْأَكْبَرَ
الْمَلِكَ الْيُونَانِيَّ الْوَثْنِيَّ نَبِيًّا يُخَاطَبُهُ اللَّهُ وَيُوحِي إِلَيْهِ؟ وَكَيْفَ يَعْزُو إِلَيْهِ زِيَارَةَ
سُدُودٍ تَحُدُّ الْأَرْضَ وَأَبَارٍ تَغِيْبُ فِيهَا الشَّمْسُ؟ وَإِذَا كَانَ إِسْكَندَرُ عَمَرَ جِيلَيْنِ كَمَا
قَالَ الْبِيضَاوِي، فَمَا كَانَ أَقْصَرَ أَعْمَارِ أَهْلِ زَمَانِهِ؟ فَالتَّارِيخُ يَقُولُ: إِنَّ إِسْكَندَرَ
تُوفِيَ ابْنَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فِي مَدِينَةِ بَابِلَ سَنَةَ (٣٢٣ ق.م)، وَكَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا
أَوْ صَالِحًا مُؤْمِنًا، وَقَدْ كَانَ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَادَّعَى أَنَّهُ ابْنُ آمُونَ إِلَهَ
الْمِصْرِيِّينَ؟!» .

إِنَّ الْفَادِي يَفْتَرِي وَيُغَالِطُ وَيَتَلَاعَبُ، وَيَتَهَمُ الْقُرْآنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَيَحْمِلُهُ
أَخْطَاءَ الْمَفْسِّرِينَ، وَيَنْسُبُ كَلَامَ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى الْقُرْآنِ.

إِنَّهُ يَكْذِبُ فِي قَوْلِهِ: «كَيْفَ يَجْعَلُ الْقُرْآنُ إِسْكَندَرَ الْأَكْبَرَ الْمَلِكَ الْيُونَانِيَّ
الْوَثْنِيَّ نَبِيًّا يُخَاطَبُهُ اللَّهُ وَيُوحِي إِلَيْهِ؟». مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ
عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِنُبُوَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ ذَا
الْقَرْنَيْنِ هُوَ الْإِسْكَندَرُ، وَإِنَّهُ نَبِيٌّ! .

إِنَّ الَّذِي قَالَ بِأَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ هُوَ الْإِسْكَندَرُ هُوَ الْبِيضَاوِي وَمَنْ مَعَهُ مِنْ

المفسرينَ والمؤرِّخينَ، وقد أخطؤوا في كلامهم كما سبقَ أن قرَّرنَا، فكيفَ يَنسبُ الفادي المفتري كلامهم إلى القرآن، ويجعلُ خطأهم من أخطاءِ القرآن؟!.

وبمناسبة اتهامه للقرآن وتشكيكه في معلوماته، فقد شكَّك في كلام القرآن عن العينِ الحمئة التي وصلَّها ذو القرنين، وعن السدِّ الذي بناه. قال: «وإنَّ كانت الشمسُ تغربُ في بئرٍ فهل تدورُ الشمسُ حولَ الأرضِ أم الأرضُ حولَ الشمسِ؟ أمَّا السدُّ الذي بناه إسكندر من زُبُرِ (قطع) الحديدِ والنحاسِ بين جبَلَيْنِ، أحدهما مأهولٌ بأُمَّةٍ صالحه، والآخرُ بأُمَّةٍ متوحشة، فلا نجدُ له أثراً»^(١).

وقد سبقَ أن ناقشنا الفادي في تشكيكه في غروبِ الشمسِ في عينِ حمئة، التي أخبرَ اللهُ عنها في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦].

أما تشكيكه في إخبار القرآن عن سدِّ ذي القرنين بحجة أن السدَّ ليس موجوداً؛ فلا وزنَ له، لأنَّ عدمَ وجودِ السدِّ على الأرضِ لا يعني أنه لم يُبنَ ولم يَكُنْ موجوداً من قبل، فمن الراجح عندنا أن السدَّ قد تمَّ نقضه وهدمه، ولم يَعدْ له أثر، لكننا نوقنُ أنَّ ذا القرنين بناه بين الجبلَيْنِ من الحديدِ والنحاسِ، لأنَّ الله أخبرنا عن ذلك في القرآن.



الكعبة ومقام إبراهيم ﷺ

أخبرنا اللهُ أنَّ الكعبةَ هي أولُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ لعبادةِ اللهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٤ - ٥٥.

وَشَكَكَ الْفَادِي فِي هَذَا وَاعْتَبَرَهُ مِنْ أخطاءِ الْقُرْآنِ التَّارِيخِيَةِ .

وَنَقَلَ عَنِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ حَسَنِ الْخَرْبُوطِيِّ قَوْلَهُ: «إِنَّ الْوَثْنِيِّينَ هُمُ الَّذِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ لِعِبَادَةِ زُحَلٍ وَالْأَصْنَامِ، وَكَانَ الْعَرَبُ يَحْجُونَ إِلَيْهَا لِتَعْظِيمِ أَصْنَامِهِمْ» .

وَيُعَلِّقُ الْفَادِي عَلَى كَلَامِ الْخَرْبُوطِيِّ بِأَنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ اعْتِبَارُ الْكَعْبَةِ بَيْتًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ، قَالَ: «مِنَ الْخَطَأِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ أَوْ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، فَأَيْنَ بَيْتُ اللَّهِ مِنْ بَيْتِ الْأَصْنَامِ؟» .

وَمَا نَسَبَهُ الْفَادِي إِلَى الْخَرْبُوطِيِّ مُرْدُودٌ، وَالدُّكْتُورُ عَلِيُّ حَسَنِ الْخَرْبُوطِيُّ مُسَلِّمٌ، لَا يُخَالِفُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ فِي كِتَابِهِ «الْكَعْبَةُ عَلَى مَرِّ الْعَصُورِ» يَذْكُرُ بَعْضَ مَا قِيلَ عَنِ تَارِيخِ الْكَعْبَةِ وَمَاضِيهَا، فَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَعْبَةَ بُنِيَتْ لِعِبَادَةِ الْكُوكَبِ وَالْأَصْنَامِ، وَالْخَرْبُوطِيُّ لَا يَقُولُ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُ وَجَدَ هَذَا الْقَوْلَ فَسَجَّلَهُ، ضَمَّنَ أَقْوَالَ أُخْرَى، وَبَاعْتَبَرَهُ كَاتِبًا مُسَلِّمًا فَقَدْ رَجَّحَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، مِنْ أَنَّهَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ! .

وَلَكِنَّ الْفَادِي الْخَبِيثَ، وَقَفَّ أَمَامَ الْأَقْوَالِ الَّتِي أوردَهَا الْخَرْبُوطِيُّ، وَرَجَّحَ الْقَوْلَ الَّذِي يَتَّفِقُ مَعَ هَوَاهُ، فَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْأَقْوَالِ، لِيَجْعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى خَطَأِ الْقُرْآنِ. وَكُنَّا نَتَمَنَّى عَلَى الدُّكْتُورِ الْخَرْبُوطِيِّ لَوْ لَمْ يَذْكُرْ تِلْكَ الْأَقْوَالَ الْبَاطِلَةَ الْمُرْدُودَةَ لِلْمُخَالَفَةِ لِلْقُرْآنِ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِذِكْرِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، حَتَّى لَا يَحْتَجَّ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَالْمَغْرُضُونَ - كَالْفَادِي - بِتِلْكَ الْأَقْوَالِ!! .

وَالرَّاجِحُ فِي نَشْأَةِ الْكَعْبَةِ هُوَ مَا قَالَهُ الْقُرْآنُ، مِنْ أَنَّهَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَكَانَ الْمُوَحِّدُونَ الْمُؤْمِنُونَ يَحْجُونَ إِلَيْهَا لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ .

وَخَطَأً الْفَادِي الْمَفْتَرِي الْقُرْآنَ فِي إِخْبَارِهِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي بَنَى الْكَعْبَةَ، وَبَقِيَ «مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ» الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ أَثْنَاءَ الْبِنَاءِ بِجَانِبِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ لِّبَنَاتِكُمْ يُنَبِّئُكُمْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ . وَرَعِمَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ يُقِيمُ فِي فِلَسْطِينَ، فَأَيَّنَ هُوَ مِنَ الْحِجَازِ؟! . قَالَ: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَسْكُنُ أَرْضَ

كنعان، ولم يذهب إلى بلاد العرب، فمن الخطأ أن يُقال: إِنَّ الكعبةَ بيْتُ الله أو مقامَ إبراهيم، فَأَيْنَ بيْتُ الله من بيْتِ الأَصْنَامِ؟! وأَيْنَ العِبْرِيُّ من العربي؟! وأَيْنَ فلسطينُ من الحجاز؟ وقد أوردَ الدكتورُ طه حسين هذه الفكرةَ في كتابه الشعر الجاهلي^(١).

أَمَّا أَنْ إبراهيمَ ﷺ كان يُقيمُ في الأرضِ المقدَّسة، فهذا حَقٌّ وصواب، نقولُ به لأنَّ القرآنَ أَخْبَرَ عنه. وكونُه في بلادِ فلسطين لا يمنعُ ذهابَه إلى بلادِ الحجاز، وليس في هذا محذورٌ عقلاً، فقد كانَ في العراق، ثم توجَّهَ إلى فلسطين، والمسافةُ بينَ فلسطينَ والحجازِ ليستُ أبعدَ من المسافةِ بينَ فلسطينَ وجنوبِ العراق، فلماذا صَدَّقَ الفادي وطه حسين قُدومَ إبراهيمَ من العراقِ لفلسطين، ولم يُصدِّقاً ذهابَه من فلسطينِ إلى الحجاز؟ أَلَا إِنَّ الخَبَرَ الأوَّلَ وَرَدَ في العهدِ القديمِ فَصَدَّقاه، ولأنَّ الخَبَرَ الثاني لم يَرِدْ في العهدِ القديمِ، فلم يُصدِّقاً به؟ وَمَنْ قال: إِنَّ الحقيقةَ محصورةٌ بما وردَ في العهدِ القديمِ؟ ولماذا لم يُصدِّقاً ما وَرَدَ في القرآن؟ وهو كلامُ الله الثابتُ المحفوظُ!.

إِنَّ مرجعيتنا الأولى هي القرآن، وكلُّ ما وَرَدَ في القرآنِ نُؤمِنُ به، وقد نَصَّ القرآنُ على أَنَّ إبراهيمَ أتى إلى بلادِ الحجاز، وأسكنَ بعضَ أهلِه فيها. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

كما نَصَّ القرآنُ على أَنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ هما اللذانِ بَنَيَا البيْتِ الحرام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وعلى ضوءِ هذا البيانِ القرآنيِّ الصادقِ يكونُ كلامُ الفادي خطأً وباطلاً ومردوداً.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٥.

يمين أيوب والضغث والضرب

أشار القرآن إشارة مبهمّة مجملّة إلى يمين حلفه أيوب، فأرشدّه الله إلى كيفية التحلل من يمينه، وعدم الحنث فيه، بأن يأخذ ضغثاً فيضرب به الطرف الآخر. قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وذهب الفادي إلى تفسير البيضاوي، ليأخذ منه دليلاً على تخطئة القرآن في حديثه عن يمين أيوب عليه السلام. قال: «قال البيضاوي: الضغث: الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه ﴿فَأَصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾: روي أن زوجة أيوب «ليا بنت يعقوب»، وقيل: «رحمة بنت أفرايم بن يوسف» ذهبت لحاجة فأبطأت، فحلف إن برئ أن يضربها مئة ضربة، فحلل الله يمينه بذلك، وهي رخصة باقية في الحدود».

وأثار الفادي تشكيكه وشبهاته قائلاً: «ونحن نسأل: كيف يصح لأيوّب البارّ، الصبور على ضياع أولاده وعبيده ومواشيه، أن يغضب على زوجته، وهو المشهود له في التوراة باللفظ والجلم، وخاصة مع زوجته، إذ قال لها: «تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات!! أَلْخَيْرَ نَقَبْلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرَّ لَا نَقَبْلُ؟».. وكيف يصح لأيوّب أن يتوعد زوجته بالضرب مئة ضربة لمجرد إبطائها؟ وكيف يحلف ليضربها مئة سوط، فينصحه الله أن يأخذ حزمة فيها مئة عود، فيضربها بها ضربة واحدة فلا تقع يمينه؟ وأين أيوب من يعقوب حتى يتزوج ابنته؟ أو من يوسف حتى يتزوج حفيدته؟ والمعروف أن أيوب سابق ليعقوب ويوسف تاريخياً.. وهذه القصة موجودة في خرافات اليهود القدماء»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٥ - ٥٦.

لَسْنَا مَعَ الْإِمَامِ الْبِيضَاوِيِّ فِي تَبْيِينِهِ مَا أَبْهَمَهُ الْقُرْآنَ، لِأَنَّهُ لَا دَلِيلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ. فَلَا نَقُولُ: إِنَّ امْرَأَتَهُ هِيَ لِيَا بِنْتُ يَعْقُوبَ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهَا رَحْمَةُ بِنْتُ أَفْرَايِمَ، وَلَا نَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَبِهَذَا يَسْقُطُ اعْتِرَاضُ الْفَادِي عَلَى تَعْيِينِ اسْمِ زَوْجَتِهِ، وَاعْتِبَارُهُ ذَلِكَ مِنْ أَخْطَاءِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يُبَيِّنْ ذَلِكَ أَصْلًا.

وَيُخْطِئُ الْفَادِي فِي زَعْمِهِ أَنَّ أَيُّوبَ كَانَ قَبْلَ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ بِفِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ عَوْضِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالرَّاجِحُ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِ الْقُرْآنِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَتَأَخَّرِينَ، نَقُولُ هَذَا مِنْ بَابِ التَّرْجِيحِ وَالْإِحْتِمَالِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْعِزْمِ وَالْيَقِينِ.

وَلَسْنَا مَعَ الْإِمَامِ الْبِيضَاوِيِّ فِي تَبْيِينِهِ سَبَبِ حَلْفِ أَيُّوبَ، وَكَيْفِيَّةِ تَكْفِيرِهِ عَنْهُ، فَلَا دَلِيلَ عِنْدَنَا مِنَ الْآيَاتِ الصَّرِيحَةِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى أَنَّ أَيُّوبَ غَضِبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِأَنَّهَا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ، فَحَلَفَ أَنْ يَضْرِبَهَا مِثَّةَ سَوْطٍ، وَأَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ يَأْخُذَ عُضُنًا بِهِ مِثَّةَ عَوْدٍ، فَيَضْرِبَهَا بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، لثَلَا يَحْنَتَ فِي يَمِينِهِ.

وبهذا يسقط اعتراض الفادي على ما أورده البيضاوي، لأنه اعترض على كلام لم يصح ولم يثبت، وجعله دليلاً على إدانة القرآن وتخطئته، مع أن القرآن لم يقله! وكيف يُدان القرآن ويُخطأ على كلام لم يقله!.

وعلى ما أن نبقى مع القرآن والحديث الصحيح في فهم ما ذكره القرآن عن قصص السابقين، ولا يجوز أن نضيف إليهما كلاماً لأي شخص آخر، أو من أي مصدر آخر.

وقد أبهم القرآن الحديث عن يمين أيوب ﷺ، واكتفى بإشارة مجملة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ﴾.

ومعنى الآية: إِنَّ أَيُّوبَ ﷺ حَلَفَ يَمِينًا أَنْ يَضْرِبَ شَخْصًا ضَرْبًا، فَدَعَاهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ لَا يَحْنَتَ فِي يَمِينِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَأْخُذَ ضِغْتًا فَيَضْرِبَ بِهِ الطَّرْفَ الْآخَرَ، وَالضِّغْتُ هُوَ الْقَبْضَةُ مِنَ الْحَشِيشِ أَوْ الْعِيدَانِ؛ يُمْسِكُ بِهَا الْكَفَّ.

فَأَخَذَ أَيُوبُ الضُّعْثَ مِنَ الحَشِيشِ أَوْ العِيدَانِ وَضَرَبَ بِهِ الطَّرْفَ الآخَرَ، وَبِذَلِكَ أَمْضَى يَمِينَهُ وَلَمْ يَحْنَثْ! .

وَكَلُّ كَلَامٍ إِضَافَةٌ عَلَى هَذَا الكَلَامِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُفَسَّرَ بِهِ كَلَامَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ نَسْتَبَعِدُ مَا قِيلَ بِأَنَّ أَيُوبَ حَلَفَ عَلَى امْرَأَتِهِ أَنْ يَضْرِبَهَا مِثَّةً سَوِيَّةً، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَهَا بِغَضَنِ فِيهِ مِثَّةً عَوْدٍ كِي لَا يَحْنَثَ! .



الصرح الذي بُني لفرعون

أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَادَّعَى الأُلُوْهِيَةَ، وَطَلَبَ مِنْ وَزِيرِهِ هَامَانَ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ صَرْحًا لِيُحِثَّ عَنْ إِلَهِ مُوسَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمُنُّ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الفصص: ٣٨].

وَقَدْ اعْتَرَضَ الفَادِي عَلَى القُرْآنِ، وَخَطَّأَهُ، وَوَضَعَ لِكَلَامِهِ عِنْوَانًا اسْتَفْزَازِيًّا هُوَ: «فِرْعَوْنُ بَنَى بُرْجَ بَابِلَ بِمِصْرَ!». وَهُوَ تَهْكُومٌ وَسُخْرِيَّةٌ بِكَلَامِ القُرْآنِ، فَأَيْنَ بُرْجَ بَابِلَ الَّذِي فِي العِرَاقِ مِنْ فِرْعَوْنَ حَاكِمِ مِصْرَ؟!

قَالَ الفَادِي فِي تَخَطُّطِهِ للقُرْآنِ: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ البُرْجَ الَّذِي كَانَ بَنَى بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُ لِيَمَسَّ رَأْسُهُ السَّمَاءَ، وَقَدْ صَنَعُوهُ مِنَ الطِّينِ اللَّيِّنِ المَشْوِيِّ بِالنَّارِ، هُوَ بُرْجُ بَابِلَ فِي بِلَادِ الكِلْدَانِيِّينَ، وَقَدْ شَرَعُوا فِي بِنَائِهِ عَقَبَ حَادِثَةِ الكِلْدَانِيِّينَ. . . فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ بِالبُرْجِ هُوَ فِرْعَوْنَ، كَمَا أَنَّ البُرْجَ لَمْ يُبْنَ فِي مِصْرَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَزِيرُ فِرْعَوْنَ هُوَ هَامَانَ الوَازِيرَ الفَارِسِيِّ، وَقَدْ بَنَى بُرْجَ بَابِلَ قَبْلَ فِرْعَوْنَ بِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ!»^(١).

خَطَّأَ الفَادِي القُرْآنَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ صَرْحِ فِرْعَوْنَ، بَيْنَمَا اعْتَمَدَ حَدِيثَ سِيفِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٦.

التكوين عن برج بابل، مع أنها أسطورةٌ وخرافةٌ، لا تتفق مع الإيمان بالله، وخلاصتها: أن الناس تجمعوا في سهل بابل بعد انتهاء طوفان قوم نوح، فاتفقوا على أن يبنوا برجاً عالياً، يمس رأسه السماء، ليخلد ذكرهم على الأرض، ولما شرعوا في بنائه، رآهم الله وهو في السماء، وخاف منهم أن يصعدوا إليه، فقال لمن حوله من الملائكة: هؤلاء بنو آدم يبنون برجهم إلى السماء، وإن تركناهم وصلوا إلينا، فتعالوا ننزل ونبلبل ألسنتهم ونفرفقهم!! فنزل الرب إليهم وبلبل ألسنتهم، فتوقفوا عن البناء، وتشتتوا وتفرقوا في الأرض!!.

هذه الأسطورة الخرافية الكافرة يُصدّقها الفادي لأنها وردت في العهد القديم، مع أنها لا تتفق مع قوة الله وقدرته وعظمته وعدله، وهي من تأليف الأبحار المحرفين للتوراة.

أما حديث القرآن عن الصرح الذي طلب فرعون من وزيره هامان أن يبنه فإنه يُخطئه ويرفضه، كما يرفض أن يكون هامان وزيراً لفرعون، لأنه كان وزيراً لملك الفرس، الذي كان بعد فرعون بقرون.

والصرح هو البناء العالي، والأبنية العالية موجودة في كثير من المدن القديمة، وقد ذكر القرآن صرحين:

الأول: صرح فرعون الذي بناه له هامان من الطين المحروق، والذي أخبرت عنه آية سورة القصص: ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]. وأخبرت عنه آية سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُنظِّرُهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

الثاني: صرح سليمان العجيب، الذي فاجأ به ملكة سبأ. قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وبما أن الله أخبرنا عن صرح فرعون الذي بناه له وزيره هامان فإننا نصدّق ذلك ونؤمن به، ومعلوم أن الفراعنة تركوا خلفهم مجموعة من الأهرامات الأثرية، والذين بنوا تلك الأهرامات لا يعجزون عن بناء صرح عال!!.

وقد سبق أن ذكرنا أنه لا تعارض بين هامان المصري، الذي كان وزيراً لفرعون، والذي ذكر القرآن اسمه صريحاً، وبين هامان الفارسي، الذي كان وزيراً لملك الفرس، فكثيراً ما تشابه الأسماء!



حول الطوفان على المصريين

أخبرنا الله في القرآن أنه لما أصرّ فرعون وقومه على الكفر واضطهاد بني إسرائيل، أرسل الله عليهم عدة آيات، وابتلاهم بعدة ابتلاءات، لعلهم يتراجعون ويؤمنون. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا مَخُنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى آجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٩﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٢ - ١٣٦].

ذكرت الآيات خمس عقوبات عاقب الله بها فرعون وقومه، وهي: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وقد كان عاقبهم قبل ذلك بالمحل والجذب والسنين ونقص الثمرات، وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

ويبدو أن هذه العقوبات كانت متتابعة: فعاقبهم الله أولاً بالسنين والمحل ونقص الثمرات، حيث حُبست عنهم الأمطار، وقلّت مياه نهر النيل، وجفّت مزروعاتهم، وتلفت أشجارهم وثمارهم... ثم أرسل الله عليهم الطوفان، بأن

امتلاً نهر النيل بالمياه، التي أدّى طوفانها إلى إغراق أراضيهم ومزروعاتهم بالمياه. . . ولَمَّا انْحَسَرَتِ المِياهُ وَنَبَتَ الزَّرْعُ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِ الجِرَادَ فَقَضَى عَلَيْهِ. . . وما سَلِمَ من الزَّرْعِ من الجِرَادِ، وَحَصَدُوهُ، وَخَرَّتُوا حُبُوبَهُ، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِ «القُمَّلَ» - بتشديد الميم - وهو السَّوسُ الذي أَكَلَهُ وَنَخَرَهُ وَأَفْسَدَهُ. . . أمَّا الضفادعُ والدمُ فهما عقوبتان منفصلتانِ عما قبلهما، ولا نَعْرِفُ عن تفاصيلهما، لأنَّ اللهُ لم يُخَبِّرنا عن ذلك، فنكتفي بالإشارة القرآنية الإجمالية.

وقد رَفَضَ الفادي قَبولَ ذلك، واعتبره من أخطاءِ القرآنِ التاريخية، وحاكَمَ القرآنَ إلى العهدِ القديم، فوجَدَ فيه الحديثَ عن عَشْرِ ضَرْباتٍ، ضَرَبَ اللهُ بها آلَ فرعون. قال: «معلومٌ أَنَّ اللهُ ضَرَبَ المِصرِيِّينَ على يَدِ موسى عَشْرَ ضَرْباتٍ، هي: الدَّمُ، الضفادعُ، البعوضُ، الذُّبَّانُ، موثُ المواشي، الدماميلُ، البردُ، الجرادُ، الظلامُ، موثُ الأَبكارِ. . . أمَّا الطوفانُ فلم يُصِبْ مِصرَ زَمَنِ فرعون، بل كانَ حَدَثًا مَشهورًا حَلَّ بِقومِ نوحٍ»^(١).

وكلامُ الفادي عندنا مَرْدود، وعودته لسفَرِ الخروجِ لاستخراجِ الضرباتِ الربانيةِ العشرة منه غيرُ صحيحة، لأنَّ الأَحبارَ حَرَفُوا أَسفارَ العهدِ القديم! فنحنُ لا نَعتمدُ ما وردَ فيه، وإنما نَعتمدُ ما وَرَدَ في القرآنِ، فنقول: أَرْسَلَ اللهُ على فرعونَ وقومِهِ الطوفانَ والجِرَادَ وَالقُمَّلَ والضفادعَ والدمَ، بعدَ أَنْ أَخَذَهُم بالسنينِ ونقصِ الثمراتِ، لعلَّهُم يتذكرون!!

وقد حَطَأَ الفادي القرآنَ في حديثه عن الطوفانِ، الذي عاقَبَ اللهُ به قومَ فرعون، لأنَّه لا يوجَدُ عندهُ إلا طوفانٌ واحد، وهو الذي عَمَّ الجِبَالَ والسهولَ، وأغرقَ قومَ نوحِ الكافرين! وهذا بسببِ فكرِهِ القاصرِ وعقلِهِ الصغيرِ، فالطوفانُ زَمَنِ نوحٍ ﷺ طوفانٌ عامٌّ شاملٌ كامل، عَمَّ وَجَهَ الأَرْضِ كُلِّها، لكن هذا لا يَمنعُ وجودَ وحدوثِ حوادثِ طوفانٍ أُخرى جزئية، ومنها ذلك الطوفانُ الذي أَرْسلَهُ اللهُ على قومِ فرعون!!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٧.

حول طالوت وجيشه

أَخْبَرَنَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ عَنِ قِصَّةِ طَالُوتَ، وَخِلَاصَتِهَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ، طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّ لَهُمْ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا، يَفُودُهُمْ لِقِتَالِ أَعْدَائِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ لَهُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، فَاغْتَرَضُوا عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمَلُوكِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَالٌ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ التَّابُوتُ الَّذِي سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ أَعْدَاؤُهُمْ.. وَخَرَجَ طَالُوتُ بِالْجَيْشِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنَ النَّهْرِ، إِلَّا غَرْفَةً بَالِيْدٍ، فَشَرَبُوا مِنَ النَّهْرِ إِلَّا عَدَدًا قَلِيلاً مِنْهُمْ، وَخَاضَ بِذَلِكَ الْعَدَدِ الْقَلِيلِ الْمَعْرَكَةَ الْفَاصِلَةَ، وَهَزَمَ اللهُ أَعْدَاءَهُمْ، وَكَانَ دَاوُدُ جَنْدِيًّا فِي جَيْشِ طَالُوتَ، وَقَتَلَ جَالُوتَ قَائِدَ الْكُفَّارِ، وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ نَبِيًّا وَمَلِكًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. [انظر: سورة البقرة: ٢٤٦ - ٢٥٢].

واعترضَ الفادي على عرضِ القرآنِ لقِصَّةِ طالوتَ، وحاكَمَ القرآنَ إلى أسفارِ العهدِ القديمِ، وحاكَمَ بخطأ ما جاء في القرآنِ مُخَالِفًا لكلامِ الأُخبارِ. وقال: «والقِصَّةُ أَنَّ صموئيلَ النَّبِيَّ مَسَحَ شَاوُلَ الْمَلِكِ - الَّذِي يُسَمِّيهِ الْقُرْآنُ طَالُوتَ لِطُولِ قَامَتِهِ - مَلِكًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِي أَيَّامِهِ بَارَزَ دَاوُدُ جَالُوتَ - الَّذِي هُوَ جُولِيَات - وَقَتَلَهُ، وَنَصَرَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. غَيْرَ أَنَّ الْقُرْآنَ خَلَطَ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِحِكَايَةِ جَيْشِ جَدْعُونِ، الَّذِي امْتَحَنَهُ بِالشَّرْبِ مِنَ النَّهْرِ، عِنْدَمَا حَارَبَ الْمَدْيَانِيِّينَ، وَاعْتَبَرَ أَنَّ شَاوُلَ أَوْ طَالُوتَ هُوَ جَدْعُونُ، وَاعْتَبَرَ أَنَّ الْحَرْبَ مَعَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ هِيَ الْحَرْبُ مَعَ الْمَدْيَانِيِّينَ، مَعَ أَنَّ بَيْنَ الْحَادِثَتَيْنِ زَمَنٌ مَدِيدًا!»^(١).

إِنَّ الْمَرْجِعَ وَالْمَعْتَمَدَ هُوَ الْقُرْآنُ، فَإِذَا قَالَ الْقُرْآنُ قَوْلًا، وَقَالَ الْكِتَابُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٨.

المَقْدَسُ قولاً خالفه، حَكَمْنَا بخطأ قولِ الكتابِ المَقْدَسِ، واعتمدنا قولَ القرآنِ.
 الكتابُ المَقْدَسُ سَمِيَ الملكَ شاول، والقرآنُ سماهُ طالوت! والصحيحُ
 أَنَّ اسْمَهُ طالوت. وَسَمِيَ الكتابُ المقدسُ قائدَ الأعداءِ جُولِيَات، والقرآنُ
 سَمَاهُ جالوت! والصحيحُ أَنَّ اسْمَهُ جالوت. وَأخْبَرَ القرآنُ أَنَّ طالوتَ هو الذي
 امتحنَ جُنُودَهُ بالنهرِ الذي مَرَّوا به، وطلبَ منهم أن لا يَشْرَبُوا منه إِلَّا عَرَفَةً
 باليد، فَشَرَبُوا منه إِلَّا قَلِيلاً منهم، وَأخْبَرَ الكتابُ المَقْدَسُ أَنَّ الذي امتحنَ
 الجنودَ بالنهرِ هو جدعون، وكان قائداً لبني إسرائيل، ظهرَ قَبْلَ طالوتَ بفترة!
 والصحيحُ هو ما ذكره القرآن.

ولذلك كان الفادي مخطئاً في تخطئة القولِ الصحيحِ في القرآن.



حول كلام عيسى في المهد

أخْبَرَ اللهُ أَنَّ عيسى ﷺ تكلمَ في المهد، أَي كَلَّمَ النَّاسَ وهو على
 حُضْنِ أُمِّهِ. قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصُّبُلِ﴾ [آل
 عمران: ٤٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى
 وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١١٠].
 وَذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ عيسى تكلمَ في المهدِ مرتين:

المرَّة الأولى: بعد أن وُلِدَتْهُ أُمُّهُ مباشرة، فناداها مِنْ تَحْتِهَا، وَدَعَاها إِلَى
 عَدَمِ الْحُزْنِ، وَأرْسَدَهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَعَدَمِ كَلَامِ النَّاسِ. قال تعالى:
 ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجُنْحِ النَّخْلَةِ
 سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا خِثًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ النَّسْرِ أَحَدًا فَقُولِي
 إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مریم: ٢٤ - ٢٦].

المرَّة الثانية: بعدما حملته وذهبت به إلى قومها، وَتَعَجَّبُوا مِنَ الْأَمْرِ،
 وَسَأَلُوهَا عَنِ تَفْسِيرِ الْأَمْرِ، فلم تُكَلِّمهم، وَأشارتَ إِلَيْهِ وهو على حُضْنِهَا،

فكلمهم بلسانٍ فصيح، وقَدَّمَ نفسَه إليهم.. قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٣].

ولكنَّ الفادي كذَّبَ القرآنَ وخطَّأه، وحاكَمَهُ إلى كتابه المقدَّس. قال: «ويقول الكتابُ المقدَّس: إنه لما جاء المسيحُ في الجسدِ كان يَنمو نُمُوًّا طبيعيًّا، سواءً في بدنه أو عقله وتفكيره. فقال الإنجيل: «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ» فلم يحدث أن تكلم المسيحُ في المهدي»^(١).

وإن كلام الفادي المفتري مردود، ومحاكمته القرآن إلى الكتاب المقدس خطأ منهجي منه، لأن القرآن هو الأصل والمرجع، وبما أنه ذكر أن عيسى ﷺ تكلم في المهدي، فقد تكلم عيسى في المهدي. ثم إنه ليس في الأمر ما يدعو للاستغراب أو الإنكار، لأن كلامه في المهدي لم يكن أمراً مألوفاً معتاداً، وإنما كان آية خارقة من آيات الله! والله الذي خلق عيسى ﷺ من غير أب هو الذي أنطقه في المهدي!!.



عيسى ومعجزة خلق الطير

أخبرنا الله أن عيسى ﷺ كان يصنع من الطين شكلاً على هيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً حياً بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٨.

فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

وعَلَّقَ الفادي على هذا بكلام غامض؛ قال فيه: «يقول المسلمون: إنَّ المسيحَ لما كان صَبِيًّا خَلَقَ مِنَ الطِّينِ طَيْرًا. . . ويؤمنُ المسيحيون أنَّ المسيحَ كلمةُ الله، وهو الذي (كُلُّ شيءٍ به كان، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان)، ولكنهم يؤمنون أنَّ المسيحَ لما تَجَسَّدَ لبثَ ثلاثين سنةً قبلَ أن يبدأَ في الكرازةِ وعَمَلِ المعجزاتِ»^(١).

لم يُصرح الفادي باعتراضه على القرآن، ولم يُوضِّح ما يريد من كلامه عن المسيح ﷺ، فما معنى جملة «كُلُّ شيءٍ به كان، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان»!.

ظاهرُ هذه الجملة أنَّ كُلَّ شيءٍ في الوجودِ متعلِّقٌ ومرتبِّطٌ بعيسى ﷺ، وبدونه لا يوجدُ شيءٌ!! وهذا من صفاتِ الله الخالق، وليس من صفاتِ عيسى المخلوق، فهذه صورةٌ من صورِ إشراكِ النصارى، حيثُ أشركوا عيسى بالله في الخلق والقوة والفعل والتصرف، وكأنَّ عيسى ﷺ هو المتصرفُ في الأشياءِ، والقائمُ عليها، والحافظُ لها!!.

ومع ذلك اعترضَ الفادي على القرآن، وخطَّأه في إخباره عن معجزةِ باهرةٍ لعيسى ﷺ، حيثُ كانَ يأخذُ طيناً، ويصنعُ منه تمثالاً على شكلِ طائر، ثم ينفخُ فيه، فتدبُّ فيه الروح، ويصيرُ طائراً حياً، وهذا بإذنِ الله سبحانه. . . فاللهُ في الحقيقةِ هو الذي جَعَلَهُ حَيًّا، ونفخَهُ عيسى ﷺ ما هي إلا سببٌ ماديٌّ، لأنَّ المسبَّبَ والخالقَ والمريدَ هو الله ﷻ.

وبما أنَّ القرآنَ صرَّحَ بذلك، فإنَّنا نؤمنُ به ونُصدِّقه، ونعتبرُه معجزةً من معجزاتِ عيسى ﷺ، أجزاها اللهُ على يَدَيْهِ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٩.

من هو المصلوب؟

التَّبَسَّ عَلَى النَّصَارَى صَلْبُ عِيسَى ﷺ، كما التَّبَسَّ عَلَى الْيَهُودِ.. وَحَلَّ الْقُرْآنَ الْإِشْكَالَ، وَأَزَالَ اللَّبْسَ، لَكِنَّ النَّصَارَى لَمْ يُصَدِّقُوا الْقُرْآنَ.

قال الله ﷻ: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٥٨].

واعترض الفادي على نفي القرآن قتل عيسى ﷺ وصلبه، واعتبره خطأ من أخطاء القرآن، واستغرب من إنكار القرآن أمراً مُجمَعاً عليه بين اليهود والنصارى واليونان والرومان.

وُسَجِّلُ اعْتِرَاضَ الْفَادِي قَبْلَ أَنْ نُفَدِّهَ: «لِمَاذَا يَنْكُرُ الْقُرْآنُ صَلْبَ الْمَسِيحِ وَقَتْلَهُ بِأَيْدِي الْيَهُودِ، مَعَ أَنَّ الْيَهُودَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، وَالنَّصَارَى يُؤَكِّدُونَهُ وَيَقْتَضُونَ بِهِ؟ وَالْإِنْجِيلُ كُلُّهُ هُوَ خَبْرُ صَلْبِ الْمَسِيحِ وَالْبَشَارَةُ بِهِ، كَفَادٍ لِلْبَشَرِ؟. وَيَذْكُرُ الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مَوْتَ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتَهُ، وَارْتِفَاعَهُ إِلَى السَّمَاءِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٦]، وَفِيهِ يَقُولُ الْمَسِيحُ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، وَيَقُولُ أَيْضاً: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

أليس غريباً أن يجيء مَنْ يُنْكَرُ صَلْبَ الْمَسِيحِ بَعْدَ حَدُوثِهِ بِسِتْمِئَةِ سَنَةٍ؟! . إِنَّ حَادِثَةَ الصَّلْبِ حَقِيقَةٌ تَارِيخِيَّةٌ، سَجَّلَهَا الْيُونَانُ وَالرُّومَانُ وَالْيَهُودُ وَالْمَسِيحِيُّونَ.. وَفِي مَجْمَعِ «نَيْقِيَّة» الَّذِي انْعَقَدَ سَنَةَ (٣٢٥م) كَتَبَ أَسَاقِفَةُ الْعَالَمِ الْمَسِيحِيِّ قَانُونَ الْإِيمَانِ، مُقَرَّرًا صَلْبَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ خَلَاصِنَا، وَهُوَ الْقَانُونُ

الذي يَتْلُوهُ كُلُّ مَسِيحِيٍّ فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ، فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ! وَأَثَارُ الْمَسِيحِيِّينَ فِي الْقُرُونِ الْعَشْرِينَ الْفَاتَّةِ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ تَحْمَلُ شَارَاتِ الصَّلِيبِ؟ فَكَيْفَ يَنْكُرُ أَحَدٌ تَارِيخِيَةَ الصَّلِيبِ؟!»^(١).

يُؤْمِنُ كُلُّ النَّصَارَى أَنَّ الْيَهُودَ وَالرُّومَانَ قَتَلُوا عَيْسَى ﷺ وَصَلَّبُوهُ، وَأَنَّ رُوحَهُ خَرَجَتْ عَلَى الصَّلِيبِ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ دَفْنِهِ رُذِّتْ إِلَيْهِ رُوحُهُ، فَقَامَ مِنْ قَبْرِهِ، وَصَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ!

وَكَانَ الْيَهُودُ يَتَّبَهُونَ وَيَتَفَاخَرُونَ بِقَتْلِ عَيْسَى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾.. أَمَا النَّصَارَى فَقَدْ جَعَلُوا الصَّلِيبَ جُزْءًا مِنْ عَقِيدَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَالشُّعَارَ الْمُمِيزَ لَهُمْ عَنْ بَاقِي الْأَدْيَانِ، وَوَضَعُوا الصَّلِيبَ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَعَلَى كَنَائِسِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَمِرَاقِي حَيَاتِهِمْ.. فَإِذَا نَفَى الْقُرْآنُ صَلْبَ عَيْسَى ﷺ نَفْيًا صَرِيحًا فَإِنَّ النَّصْرَانِيَّةَ تَتَهَاوَى مِنْ أَسَاسِهَا، وَلِذَلِكَ كَذَّبَ الْفَادِي الْقُرْآنَ فِي نَفْيِهِ صَلْبَ عَيْسَى ﷺ!.

وَعِنْدَ النَّظَرِ فِي كَلَامِ الْقُرْآنِ عَنِ الصَّلْبِ نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَنْفِ الصَّلْبَ جَمَلَةً وَتَفْصِيلًا، وَإِنَّمَا نَفَى صَلْبَ عَيْسَى ﷺ، وَكَذَّبَ الْيَهُودَ فِي ادِّعَاءِ ذَلِكَ.. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شَيْبَةً لَهُمْ﴾؛ فَنَفَى أَنْ يَكُونُوا قَتَلُوا عَيْسَى ﷺ أَوْ صَلَّبُوهُ.

وَيُقَرَّرُ الْقُرْآنُ أَنَّ الْمَخْتَلِفِينَ فِي مَوْضِعِ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي شَكِّ مِنْهُ، لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْيَقِينِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَنْطَلِقُونَ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ، وَالظَّنُّ لَا يُوَصِّلُ إِلَى يَقِينٍ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكِّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظَّنِّ...﴾.

وَيُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ مَرَّةً أُخْرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوا عَيْسَى يَقِينًا، لِأَنَّ اللَّهَ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ رَفَعَهُ إِلَيْهِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. وَتَدُلُّ الْجَمَلُ الْقُرْآنِيَّةُ السَّابِقَةُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْفِ الصَّلْبَ مُطْلَقًا،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٩ - ٦٠.

وإنما نفى صَلَبَ عيسى ﷺ، فاليهودُ والرومانُ أرادوا صَلَبَ عيسى ﷺ، ولكنَّ اللهَ حَمَاهُ وَعَصَمَهُ مِنْهُمْ، وَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا بِجَسَمِهِ وَرُوحِهِ. . . أَمَّا هُمْ فَقَدْ صَلَبُوا رَجُلًا آخَرَ، وَكُلُّ ظَنِّهِمْ أَنَّهُ عَيْسَى! فَقَالَ الْيَهُودُ مُتَّبِعِينَ: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: شُبِّهَ لَهُمْ أَمْرُ الصَّلْبِ وَالْقَتْلِ، وَالتَّبَسُّعِ عَلَيْهِمْ، وَوَقَعُوا فِي لَبْسٍ وَشُبِّهَ بِشَأْنِهِ! وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ قَتَلُوا وَصَلَبُوا شَخْصًا مَشْبُوهًا، وَكُلُّ ظَنِّهِمْ أَنَّهُ عَيْسَى، مَعَ أَنَّ الْمَقْتُولَ الْمَصْلُوبَ لَمْ يَكُنْ عَيْسَى، إِنَّمَا كَانَ شَخْصًا آخَرَ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ: لَمْ يَقْتُلِ الْيَهُودُ عَيْسَى ﷺ يَقِينًا، وَلَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ الْمَقْتُولُ الْمَصْلُوبُ عَيْسَى حَقِيقَةً، إِنَّمَا كَانَ شَخْصًا آخَرَ غَيْرِهِ، بَيْنَمَا كَانَ عَيْسَى فِي السَّمَاءِ!!.

وهذا معناه أَنَّ هُنَاكَ شَخْصًا مَقْتُولًا مَصْلُوبًا، يَجْزُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالرُّومَانُ وَغَيْرُهُمْ أَنَّهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ، وَيَنْفِي الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ سِتْمِئَةِ سَنَةٍ مِنَ الْحَادِثَةِ أَنَّ يَكُونُ عَيْسَى، وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ شَخْصٌ آخَرَ غَيْرَ عَيْسَى!! فَمَنْ هُوَ هَذَا الشَّخْصُ الْآخَرُ الْمَقْتُولُ الْمَصْلُوبُ؟!.

لم يتحدَّثَ عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ في حديثٍ صحيحٍ مرفوعٍ، وَذَكَرَ قَصَّتَهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَهُوَ أَصَحُّ مَا جَاءَ فِي مَصَادِرِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، بِشَأْنِ الْأَحْدَاثِ الْخَطِيرَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ تَتَّفَقُ مَعَ حَدِيثِ الْقُرْآنِ عَنْ عَدَمِ قَتْلِ عَيْسَى وَصَلْبِهِ، وَتُشِيرُ إِلَى شَخْصِيَّةِ الْقَتِيلِ.

ونسجل فيما يلي رواية ابن عباس، وتمهيد ابن كثير لها، وحديثه عن أحداث تلك الليلة المثيرة:

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: «وَكَانَ مِنْ خَبْرِ الْيَهُودِ - عَلَيْهِمْ لَعْنَتُ اللَّهِ وَسَخَطُهُ وَغَضَبُهُ وَعِقَابُهُ - أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، حَسَدُوهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الَّتِي كَانَ يُبْرِئُ بِهَا الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ

ويُحيي الموتى بإذنِ الله... فخالفوه وكذبوه، وسَعَوْا في أذاهُ بَكلِّ ما أمكَنهم، حتى جعلَ نبيَّ الله عيسى ﷺ لا يُساكنهم في بلدة، بل يُكثرُ السياحةَ هو وأُمَّه... ثم لم يُقنِعهم ذلك حتى سَعَوْا إلى ملكِ دمشق في ذلك الزمان - وكان رجلاً مشركاً من عبدةِ الكواكب، وكان يُقالُ لأهلِ مِلَّتِه: اليونان - وأنهُوا إليه أنَّ في بيتِ المقدسِ رجلاً يفتنُ الناسَ ويُضِلُّهم، ويُفسدُ على الملكِ رعاياه... فغضبَ الملكُ من هذا، وكتبَ إلى نائِبِه بالقدس، أنَّ يَحْتَاطَ على هذا المذكور، وأنَّ يَضْلِبَه، ويَضَعَ الشوكَ على رأسِه، ويكفَّ أذاهُ عن الناس... فلما وَصَلَ الكتابُ امتثلَ والي القدس ذلك.

وزهدَ هو وطائفةٌ من اليهودِ إلى البيتِ الذي فيه عيسى ﷺ، وهو في جماعةٍ من أصحابِه، اثني عشر رجلاً.

فلما أَحَسَّ عيسى بهم، وأنه لا مَحالةَ من دخولهم عليه، أو خروجه إليهم، قالَ لأصحابِه: أيكم يُلقَى عليه شَبَهي، وهو رفيقي في الجنة؟. فانتدبَ لذلك شابَّ منهم، فكأنه استصغَرَه، فأعادها ثانيةً وثالثةً، وكُلُّ ذلك لا يَتَدَبُّ إلا ذلك الشابَّ...

فقالَ له عيسى: أنتَ هو!! وألقى اللهُ شَبَهَ عيسى عليه، فكأنه هو!!.

وفُتِحَتْ «رُوزَنَةٌ» من سَقْفِ البيتِ، وأخذتْ عيسى ﷺ سِنَّةً من النوم، فَرُفِعَ إلى السماءِ وهو كذلك... فلما رُفِعَ عيسى من سَقْفِ البيتِ، خَرَجَ أولئك النفرُ من البيتِ.

فلما رأى اليهودُ والجنودُ ذلك الشابَّ ظنَّوه عيسى، فأخذوه في الليلِ وِضْلَبُوهُ، ووَضَعُوا الشوكَ على رأسِه... وأظهَرَ اليهودُ أنهم سَعَوْا في ضَلْبِه، وتَبَجَّحُوا بذلك... وسَلَّمْ لَهُم طوائفُ من النصرانيِّ ذلك؛ لجهلِهِم وقلةِ عَقْلِهِم... ما عدا مَنْ كانَ في البيتِ مع المسيح، فإنهم شاهدوا رَفَعَه... وأما الباقونَ فإنهم ظنُّوا كما ظنَّ اليهودُ أنَّ المصلوبَ هو المسيحُ ابنُ مريم... حتى ذَكَرُوا أنَّ مريمَ جَلَسَتْ تحتَ ذلك المصلوبِ وبَكَتْ.

وهذا كله من امتحانِ الله لعباده، لما له في ذلك من الحكمة البالغة. وقد أوضح الله الأمرَ وجَلَّاه وأظَهَرَه وبيَّنه في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم ﷺ، حيث بيَّن أنهم ما قتلوا عيسى ﷺ وما صلَّبوه، ولكن شُبَّه لهم، حيث ألقى الله شَبَّهه على ذلك الشاب، فبدأ لهم عيسى، فقتلوه وصلَّبوه، ظانين أنه عيسى! وأخبر الله أن الذين اختلَّفوا في عيسى ﷺ من اليهود الذين ادَّعوا قتله، والنصارى الجهال الذين سلَّموا لهم بذلك، كلُّهم في شكٍّ وحيرةٍ وضلالٍ من ذلك! وأخبر أنهم ما قتلوه مُتَقِنِينَ أنه هو، وإنما كانوا شاكين مُتَوَهِّمين...

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «لما أراد الله أن يرفع عيسى ﷺ إلى السماء، خرَّج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، خرَّج عليهم من عينٍ في البيت، ورأسه يقطر ماءً، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي!».

ثم قال: أيكم يُلقى عليه شَبَّهي، فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟

فقام شابٌ من أحدثهم سنًا، فقال له: اجلس! ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال له: اجلس! ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال: أنا! فقال له عيسى ﷺ: هو أنت!!

فألقي عليه شَبَّه عيسى ﷺ، ورفَع عيسى من «روزنة» في البيت إلى السماء، وجاء الظلُّب من اليهود، فأخذوا الشَّبه، فقتلوه، ثم صلَّبوه...^(١).

وعلى ضوء كلام ابن عباسٍ رضي الله عنهما وابن كثيرٍ رحمهما الله، يمكن أن نتصوَّر أحداث تلك الليلة المثيرة كما يلي:

١ - نجح اليهود في إقناع الحاكم الروماني في إلقاء القبض على عيسى ﷺ.

(١) تفسير ابن كثير: ١/٥٤٣ - ٥٤٤.

٢ - توجّهت مجموعة من الجنود الرومان واليهود إلى المكان الذي فيه عيسى عليه السلام .

٣ - كان عيسى عليه السلام في أحد بيوت القدس في تلك الليلة، وكان معه اثنا عشر رجلاً من الحواريين .

٤ - علم عيسى عليه السلام بقدوم الجنود لاغتقاله وقتله، فلم يخف ولم يقلق ولم يحزن، لأنه يوقن أن الله معه، بحفظه وعنايته ورعايته .

٥ - أخبر الله عيسى عليه السلام أنهم لن يصلوا إليه، وطلب منه أن يتدب من أتباعه شاباً، ليُلقي شَبَهه عليه .

٦ - أخبر عيسى عليه السلام الحواريين أن الله سيحميه، وعرض عليهم أن يتدب أحدهم ليفديه بنفسه، بأن يُلقى عليه شَبَهه، فيؤخذ ويُقتل ويموت شهيداً، ويكون معه في الجنة .

٧ - استجاب لعيسى عليه السلام شاب من أصغر الحواريين سناً، وبقي اسمه مبهماً .

٨ - أجرى الله على ذلك الشاب الفدائي آيته الخارقة، فحوّله إلى عيسى، بأن ألقى شَبَهه عليه، بحيث لا يشك من رآه أنه عيسى .

٩ - رفع الله رسوله عيسى عليه السلام إلى السماء، بعد أن ألقى عليه النوم، وكان الحواريون معه في البيت، فرأوه وقد أُلقي عليه النوم، ورأوه وهو يُرْفَع من فتحة في البيت! .

١٠ - لما دخل الجنود واليهود البيت، رأوا أمامهم «عيسى»، وهو في الحقيقة «عيسى المتحوّل»، شبه النبي عيسى الذي رُفِع إلى السماء .

١١ - أخذ الجنود عيسى المتحوّل، وهم لا يشكّون أنه عيسى المطلوب، ولم ينف الشّاب أنه عيسى .

١٢ - لا نعرف ماذا جرى للحواريين الأحد عشر الذين كانوا في البيت، هل هربوا أم اغتقلوا، أم اغتقل بعضهم وهرب آخرون .

١٣ - أَخَذَ الْجَنُودُ «عِيسَى الثَّانِي الشَّيْبَةَ»، وَصَلَبُوهُ عَلَى الْخَشْبَةِ، وَقَتَلُوهُ عَلَى الصَّلِيبِ، وَلَقِيَ وَجْهَ اللَّهِ شَهِيداً، بَيْنَمَا كَانَ عِيسَى الرَّسُولَ ﷺ فِي السَّمَاءِ.

١٤ - كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ إِلَى الشَّابِّ الْمَقْتُولِ الْمَصْلُوبِ، وَلَا يَشْكُونَ أَنَّهُ عِيسَى، لِأَنَّ اللَّهَ أَلْفَى شَبَّهُهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلُوهُ عَنِ الصَّلِيبِ وَدَفَنُوهُ.

١٥ - كَانَ الْيَهُودُ فَرِحِينَ شَامِتِينَ، لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا عِيسَى وَصَلَبُوهُ، وَأَذَاعُوهُ فِي النَّاسِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ.. بَيْنَمَا كَانَ الْقَتِيلُ عِيسَى الشَّيْبَةَ.

١٦ - لَمْ يَعْلَمْ النَّصَارَى مَاذَا جَرَى مِنْ مَعْجَزَاتِ رَبَانِيَّةٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَأَيَّقَنُوا أَنَّ الشَّابَّ الَّذِي خَرَجَتْ رُوحُهُ عَلَى الصَّلِيبِ، وَدُفِنَ فِي الْأَرْضِ هُوَ عِيسَى رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَالُوا: قَتَلَ الْيَهُودُ رَسُولَنَا وَصَلَبُوهُ.

١٧ - صَبَّ الْيَهُودُ وَالرُّومَانُ الْعَذَابَ عَلَى الْحَوَارِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِعِيسَى ﷺ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَصَلَبُوا، وَشَرَّدُوا وَطَرَدُوا.. وَلَمْ يَلْتَقِظْ ذَلِكَ الْجِيلُ مِنَ النَّصَارَى أَنْفَاسَهُمْ لِيُفَكِّرُوا بَتَأَنَّ وَتَمَهَّلُوا فِيمَا جَرَى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَثِيرَةِ.

١٨ - بَقِيَتْ حَقِيقَةُ مَا جَرَى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ خَافِيَةً عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ يُوَقِنُونَ أَنَّ الْمَقْتُولَ الْمَصْلُوبَ هُوَ عِيسَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولًا ﷺ، بَعْدَ سِتَّةِ قُرُونٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَوَضَّحَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ وَأَزَالَ اللَّبْسَ، وَذَكَرَ أَنَّ الْمَصْلُوبَ هُوَ ذَلِكَ الشَّابُّ الْفِدَائِيُّ الشَّهِيدَ، وَأَنَّ عِيسَى الرَّسُولَ ﷺ فِي السَّمَاءِ!!.

معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

ادَّعَى الْفَادِي أَنَّ الْقُرْآنَ ذَكَرَ مَوْتَ عِيسَى ﷺ. قَالَ: «وَيَذْكُرُ الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مَوْتَ الْمَسِيحِ، وَقِيَامَتَهُ وَارْتِفَاعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ

أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴿١١٧﴾ [المائدة: ١١٧]، وقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] ﴿١﴾.

وهذا فهم خاطئٌ للآياتِ الثلاثِ، فهي لا تتحدّثُ عن موتِ عيسى عليه السلام على الصليب، ثم دفنه وقيامته، وإنما تتحدّثُ عن موته، وبعثه يومَ القيامة. معنى آيةِ سورةِ مريم: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: أَنَّ اللهَ سَيَمْنَحُهُ السَّلامَ، وَيُنْجِيهِ مِنَ الْخَطَرِ فِي الْمَوَاطِنِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ فِيهَا الْإِنْسَانُ لَخَطَرٍ كَبِيرٍ: يَوْمَ مِيلَادِهِ، وَيَوْمَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ بَعْثِهِ حَيًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ!.

والمرادُ بقوله: ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾: موته الحقيقيُّ بعدَ إنزاله على الأرضِ قُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، حَيْثُ سَيُنزَلُهُ اللهُ حَاكِمًا بَدِينِ الْإِسْلَامِ، وَسَيَكْسُرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُقَاتِلُ النَّصَارَى، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ... ثم يموتُ الموتةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ، ثُمَّ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ.

والمرادُ بقوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: بَعْثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ بَاقِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

فليس المرادُ بقوله: ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾: موته على الصليبِ وخروجِ رُوحِهِ عَلَيْهِ. كما أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: قِيَامَتُهُ مِنْ قَبْرِهِ الَّذِي دَفَنُوهُ فِيهِ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ صَلْبِهِ وَدَفْنِهِ.

أما معنى آيةِ سورةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ رَبِّهِ الَّذِي إِتَّخَذَ مِنْ نَافِثِ بْنِ مَرْيَمَ خَلْقًا مَخْلُوقًا مِثْلَ بَنِي آدَمَ إِذْ خَلَقَهُمْ مِنْ طِينٍ وَإِذْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ نَهْيًا وَنُحْبًا وَنُكْرًا وَإِذْ يُسَلِّمُ تَحْتَهُ بِنُورٍ مِثْلَ النُّجُومِ﴾ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ، لِنَفْيِ اللَّبْسِ وَحَلِّ الْإِشْكَالِ.

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ فِي الْآيَةِ خَبْرٌ «إِنَّ» مَرْفُوعٌ بِضِمَّةٍ مُقَدَّرَةٍ عَلَى الْيَاءِ، وَهُوَ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنَ الْفِعْلِ الْخُمَاسِيِّ: تَوَفَّى. تَقُولُ: تَوَفَّيْتُ، فَهُوَ الْمَتَوَفَّى.

والتوفي في القرآنِ قد يُسَنَدُ إِلَى اللهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَا زُرَيْتَكَ بَعْضَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٥٩.

الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿الرعد: ٤٠﴾ .

وقد يُسْنَدُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧].

وقد يُسْنَدُ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقد يُسْنَدُ إِلَى الْمَوْتِ نَفْسِهِ؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ يَا تَبِيتَ الْفَدْحَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاستَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَنسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

والتَّوَفَّى الْمَسْنَدُ إِلَى اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ كُلُّهُ بِمَعْنَى الْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يَرِدُ فِيهِ بِمَعْنَيْنِ:

الأوَّل: الْمَوْتُ. فَاللَّهُ يَتَوَفَّى النَّاسَ؛ أَي: يُمِيتُهُمْ وَيَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ...﴾ [النحل: ٧٠].

الثَّانِي: النَّوْمُ. فَاللَّهُ يَتَوَفَّى النَّاسَ. أَي: يَجْعَلُهُمْ يَنَامُونَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠].

وَمَعْنَى الْآيَةِ: اللَّهُ يَجْعَلُكُمْ تَنَامُونَ فِي اللَّيْلِ، وَيَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ أَثْنَاءَ نَوْمِكُمْ، ثُمَّ يُعِيدُ أَرْوَاحَكُمْ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ عِنْدَ اسْتِقْبَاطِكُمْ، وَيَبْعَثُكُمْ فِي النَّهَارِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِّكُ اللَّيْلِ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

اعتبرت الآية النوم موتاً، وقسمت الناس بالنوم إلى قسمين:

هناك أناسٌ يَنَامُونَ، وَيَمُوتُونَ أَثْنَاءَ النَّوْمِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَنهَىٰ أَجَالَهُمْ أَثْنَاءَ النَّوْمِ، وَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمْ، وَلَمْ يُرْجِعْهَا إِلَىٰ أَبْدَانِهِمْ: ﴿فِيمَسِّكُ اللَّيْلِ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ .

وهناك أناسٌ يَنَامُونَ، وَيَتَوَفَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ أَثْنَاءَ النَّوْمِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا إِلَىٰ

أَجْسَادِهِمْ عِنْدَ الْإِسْتِيقَاطِ، لِأَنَّهُ بَقِيَتْ فِي أَعْمَارِهِمْ بَقِيَّةٌ: ﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرِينَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

والفريقان يتوقَّاهم اللهُ أثناءَ نَوْمِهِمْ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾. . . والتوفيُّ معناه القبضُ، أي: اللهُ يقبضُ أرواحَ الأنفسِ كُلِّهَا حِينَ نَوْمِهَا، فَإِنِ انْتَهَى عُمُرُ بَعْضِ الْأَنْفُسِ أَمْسَكَ أرواحَهَا أثناءَ نَوْمِهَا، وَإِنِ بَقِيَتْ فِي عَمْرِ بَعْضِ الْأَنْفُسِ بَقِيَّةٌ أَعَادَ لَهَا أرواحَهَا.

وتدلُّ الآياتُ السابقةُ على أَنَّ التَّوْفِيَّ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى: «القبضِ» والتغيبِ. وهذا القبضُ والتغيبُ نوعان: قبضُ نَوْمٍ. . . وَقَبْضُ مَوْتٍ. فالتوفيُّ فِي الْقُرْآنِ نوعان: تَوْفِي نَوْمٍ. . . وتوفيُّ مَوْتٍ.

والمعْنَيَانِ مذكورانِ فِي قِصَّةِ عِيسَى عليه السلام: فَاللَّهُ تَوَفَّى عِيسَى عليه السلام تَوْفِي نَوْمٍ، ثُمَّ سَيِّقَاهُ تَوْفِي مَوْتٍ. . .

التَّوْفِي الْأَوَّلُ: وَرَدَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: أَي: إِنِّي أُلْقِي عَلَيْكَ النَّوْمَ، وَأَتَوَفَّاكَ تَوْفِي النَّوْمِ، وَأَقْبَضُكَ أثناءَ نَوْمِكَ، وَأَرْفَعُكَ إِلَيَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ، وَأُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

التَّوْفِي الثَّانِي: وَرَدَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] أَي: لَمَّا أَمَّتَنِي وَقَبَضْتَ رُوحِي، كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ.

والخِلاصَةُ: تَوَفَّى اللهُ عِيسَى عليه السلام تَوْفِي نَوْمٍ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا أَتَاهُ الْجَنُودُ وَالْيَهُودُ لِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فَحَمَاهُ اللهُ مِنْهُمْ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ النَّوْمَ، وَتَوَفَّاهُ وَقَبَضَهُ أثناءَ نَوْمِهِ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ حَيٌّ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ فِي السَّمَاءِ، حَيَاةً خَاصَّةً مَعْجِزَةً، لَيْسَتْ كَحَيَاتِنَا. . . وَسَيُنزَلُ قُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَسَوْفَ يَتَوَفَّى اللهُ عِيسَى عليه السلام تَوْفِي المَوْتِ، عِنْدَمَا يُنزَلُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَيَعِيشُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَا شَاءَ اللهُ لَهُ أَنْ يَعِيشَ. . . ثُمَّ يَتَوَفَّاهُ اللهُ بِقَبْضِ رُوحِهِ وَمَوْتِهِ. . . هَذَا مَا قَرَّرَهُ الْقُرْآنُ بِشَأْنِ تَوْفِي عِيسَى عليه السلام، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ وَاللهُ أَعْلَمُ!!





الفصل الثالث

نقض المطاعن الأخلاقية

الرخصة لمن أكره على الكفر

رَخَّصَ اللَّهُ لِمَنْ أُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

تُهُدُّدُ الْآيَةِ مِنْ ارْتِدَادٍ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَعَادَ إِلَى الْكُفْرِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ بِالْكُفْرِ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ، وَالْعَذَابِ الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ. وَ«مَنْ» فِي أَوَّلِ الْآيَةِ اسْمٌ شَرْطٌ. وَجَمَلَةٌ ﴿كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ فَعَلُّ الشَّرْطِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَهُوَ مُوَآخِذٌ مُعَذَّبٌ. وَالْمَعْنَى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مُخْتَارًا رَاضِيًا، وَعَادَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، بِرِضَاةٍ وَاخْتِيَارِهِ، فَهُوَ الْمَلْعُونُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ الْخَاسِرُ.

وَتَسْتَنِي الْآيَةُ مِنَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الَّذِي أُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ، وَتُرَخَّصُ لَهُ بِالنَّطْقِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ بِسَبَبِ الْإِكْرَاهِ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. وَنَزَلَتِ الْآيَةُ فِي مَا جَرَى لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، عِنْدَمَا أُكْرِهَهُ الْكُفَارُ عَلَى النَّطْقِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «عَنْ أَبِي عَيْبَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَعَذَّبُوهُ حَتَّى قَارَبَهُمْ فِي بَعْضِ مَا أَرَادُوا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟». قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ. قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدُّ...» فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...﴾ (١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٨/٢.

ولما أراد الفادي أن يُشير إشكالاً على الآية، ذهب إلى تفسير البيضاوي، ونقلَ منه ما قيلَ عن نزولِ الآية فيما جرى لعمارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه، وهو بمعنى الرواية السابقة عند ابن كثير في تفسيره. وعلّق البيضاويُّ على الآية والرواية بقوله: «وهو دليلٌ على جوازِ التكلمِ بالكفرِ عند الإكراه...».

وعلّق الفادي على كلام البيضاويِّ بقوله: «ونحنُ نسأل: هل من الأمانة أن يُزوّرَ الإنسانُ في عقيدته ويُنكّرَ إلهه الحيّ في سبيلِ إرضاءِ الناس؟ قال المسيح: «ومن أنكرني قدامَ الناس، يُنكرُ قدامَ ملائكةِ الله»^(١).

واعترض الفادي على الآية لا قيمة له، لأنّ الآية تتحدّث عن رخصةٍ رخصَ اللهُ بها لبعضِ المسلمين، أن يُنطقوا بكلمةِ الكفر، عندما يُكرهون على ذلك، بمعنى أنهم إن لم يُنطقوا قتلوا، وبعضُ الناسِ قد يُحبُّ الحياةَ، فُجيزُ له الآيةُ ذلك بشرطٍ أن تكونَ كلمةً باللسان، للنّجاةِ من القتل، وأن يكونَ القلبُ مطمئنّاً بالإيمان.

ومع أن الإسلام يُجيزُ النطقَ بكلمةِ الكفرِ للنّجاةِ من القتلِ إلا أن الأولى والأفضلُ للمسلم أن لا ينطقَ بها، وأن يُثبتَ على الإيمانِ حتى لو أدى ذلك إلى قتلِهِ.

قال ابن كثير: «.. اتفق العلماء على أن المكروه على الكفرِ يجوزُ له أن يُوالي، إبقاءً لمهجته، ويجوزُ له أن يُأبى، كما كان بلالٌ رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلونَ به الأفاعيل، حتى إنهم ليضْعونَ الصخرةَ العظيمةَ على صدرِهِ، في شدةِ الحرِّ، ويأمرونَهُ بالشُّركِ، فيأبى عليهم وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ.. ويقول: والله لو أعلمُ كلمةً هي أغیظُ لكم منها لقلْتُها. رضي اللهُ عنه وأرضاه. وكذلك حبيبُ بنُ زيدٍ الأنصاري، لما قالَ له مسيلمةُ الكذاب: أتشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله؟ فيقول: نعم. فيقول: أتشهدُ أني رسولُ الله؟ فيقول: لا أسمع! فلم يزل يُقطّعه إرباً إرباً وهو ثابتٌ على ذلك»^(٢).

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٨/٢.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٣.

وقد كان الفادي صاحب هوى خبيثاً في نقله عن تفسير البيضاوي، حيث أخذ منه ما يوافق هواه، ليتهم القرآن ويخطئه. فبعدما ذكر البيضاوي نزول الآية في حادثة عمار بن ياسر، واستدل بها على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه، ذكر أن الأولى والأفضل للمسلم أن لا ينطق بالكفر، وأن يثبت على الإسلام، حتى لو أدى ذلك إلى قتله.. قال: «.. وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه.. وإن كان الأفضل له أن يتجنبه عنه، إغزازاً للدين، كما فعله أبو عمار، ولما روي أن مسيلمة أخذ رجلين، فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: هو رسول الله ﷺ. قال: فما تقول فيي؟ قال: أنت أيضاً رسول الله!! فخلاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: هو رسول الله ﷺ. قال: فما تقول فيي؟ قال: أنا أصم. فأعادها عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله.. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق، فهنيئاً له»^(١).

ولو كان الفادي يتصف بالموضوعية والأمانة العلمية لذكر كلام البيضاوي كاملاً، وذكر ما رجحه البيضاوي من أن الأفضل للمسلم أن لا يأخذ بالرخصة، وأن يثبت على الحق حتى لو قُتل! ولكنه غير أمين على العلم والنقل.



العفو عن لغو اليمين

قال الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

تُخبرنا الآية أن الله يعفو عن لغو اليمين، ولا يؤاخذ بها، ولا يحاسب

(١) تفسير البيضاوي: ٢٤١/٣ - ٢٤٢.

عليها، وهو يُؤاخذُ باليمينِ المقصودة، التي يَعقدها القلبُ وَيَقصدها ويتعمدها. وحتى يُثِيرَ الفادي الشبهاتِ حول الآيةِ ذَهَبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، لعله يَجِدُ عنده ما يُريد. قال: فَسَرَهَا البيضاويُّ بقوله: «اللَّغْوُ: هو الساقطُ الذي لا يُعْتَدُّ به من كلامٍ وغيرِهِ.. ولَعُوَ اليمينِ ما لا عَقْدَ له، كالذي سَبَقَ به اللِّسانُ، أو تكلمَ به جاهلاً لمعناه، كقولِ العرب: لا والله، وبلى والله، لمجردِ التأكيدِ لقوله.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: المعنى: لا يُؤاخذُكم اللهُ بعقوبةٍ ولا كفارةٍ بما لا قَصْدَ منه، ولكن يُؤاخذُكم بهما أو بإحداهما بما قصدتم من الأيمان، وواطأتُ فيها قلوبُكم ألسنتكم.

وقال أبو حنيفة: اللغو هو أن يحلفَ الرجلُ بناءً على ظنِّه الكاذب. والمعنى: لا يُؤاخذُكم بما أخطأتم فيه من الأيمان، ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذبَ فيه»^(١).

ذَكَرَ البيضاويُّ قولين في معنى لَعُوَ اليمينِ الذي لا يُؤاخذُ صاحبه به:

الأول: هو الكلامُ الذي يَسْبِقُ به اللسانُ عندَ الكلام، فينطقُ به بدونِ قَصْدٍ ولا تَعَمُّدٍ، كقولِ الرجلِ أثناءَ كلامِهِ: لا والله، وبلى والله. وهذا هو قولُ الجمهورِ من الفقهاءِ والمفسرين. وَيُؤَيِّدُهُ ما صَحَّ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إنما اللغو في المزاحِ والهزل، وهو قولُ الرجل: لا والله، وبلى والله، فذاك لا كفارةَ فيه، إنما الكفارةُ فيما عَقَدَ عليه قلبُهُ أن يَفْعَلَهُ ثم لا يَفْعَلَهُ».

الثاني: هو أن يحلفَ الرجلُ اليمينَ بناءً على ظنِّه، وهو يَعْتَقِدُ أنه صادق. ثم يَظْهَرُ له أَنَّهُ أخطأ في ظنِّه ويمينه، فهذا لا يُؤاخذُ به مع أن يمينه غيرُ صحيح، لأنَّ الله لا يُؤاخذُ بالخطأ. وهذا هو فهمُ أبي حنيفة. وَيُؤَيِّدُهُ ما صَحَّ عن عائشة أيضاً رضي الله عنها أنها قالت: «لَعُوَ اليمينِ هو الشيءُ يحلفُ عليه

(١) تفسير البيضاوي: ١٤٠/١.

أَحَدُكُمْ لَا يُرِيدُ مِنْهُ إِلَّا الصَّدَقَ، فَيَكُونُ عَلَى غَيْرِ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ»^(١).

وهذا الكلام الواضح لم يعجب الفادي المفتري، واعتراض عليه وخطأه قائلاً: «ونحن نسأل: هل من مقومات التبل والشرف أن يكذب الإنسان؟! يقول المسيح: ليكن كلامكم: نَعَمْ، نَعَمْ.. لا، لا.. وما زاد على ذلك فهو من الشرير»^(٢).

ولا أدري كيف فهم الفادي الغبي من كلام البيضاوي السابق أن القرآن يُجيزُ للإنسان المسلم الكذب، ولذلك خطأ القرآن!!
القرآن لا يُجيزُ الكذب، ولا يُشجعُ عليه، ولا يدعو إليه، كما فهم هذا الغبي، وقد حرّم الكذب، وتوعّد الكاذبين والمكذّبين بالعذاب الشديد يوم القيامة، وعلى هذا آيات كثيرة.

وما قاله أبو حنيفة في بيان لغو اليمين ليس معناه مدح الكذب أو الدعوة إليه أو التشجيع عليه! إن الإنسان قد يخطئ في ظنه، ومن ثم قد يحلف على ما ظنه، فيخطئ في يمينه، بناءً على خطئه في ظنه.. ويكون هذا اليمين الخطأ من باب اللغو في اليمين، وهو ليس كذباً، لأن الكذب هو ما قصد الإنسان أن ينطق به، وتعمد أن يكون كلامه غير صحيح! وهذا أمرٌ بدهيٌّ مقررٌ لا شك فيه.



حول إعطاء المؤلفة قلوبهم

أجازَ الإسلامُ إعطاءَ المؤلفة قلوبهم من الزكاة، ووردَ هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْلُومِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٤.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥٣/١.

وَذَهَبَ الْفَادِي إِلَى تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ لِثَبِيرِ الشَّبَهَاتِ عَلَى الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ .
 قَالَ : فَسَّرَهَا الْبِيضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ : « الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ » : قَوْمٌ أَسْلَمُوا وَنَيْتُهُمْ ضَعِيفَةٌ
 فِيهِ ، فَيَسْتَأْلِفُ قُلُوبَهُمْ . . أَوْ هُمْ أَشْرَافٌ قَدْ يَتَرَقَّبُ بِإِعْطَائِهِمْ وَمِرَاعَاتِهِمْ إِسْلَامَ
 نُظْرَائِهِمْ . وَقَدْ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَيْنَةَ بَنِ حِضْنِ وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسِ
 وَالْعَبَّاسَ بْنَ مَرْدَاسٍ لَذَلِكَ . وَقِيلَ : هُمْ أَشْرَافٌ يُسْتَأْلَفُونَ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا ،
 فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يُعْطِيهِمْ . . وَالْأَصْحَحُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُعْطِيهِمْ مِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ ،
 الَّذِي كَانَ خَاصًّا مَالِهِ ، وَقَدْ عَدَّ مِنْهُمْ مَنْ يُؤَلَّفُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى قِتَالِ
 الْكُفَّارِ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ . . وَقِيلَ : كَانَ سَهْمُ الْمُؤَلَّفَةِ لَتَكْثِيرِ سَوَادِ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا
 أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَكْثَرَ أَهْلَهُ سَقَطَ ^(١) .

ذَكَرَ الْبِيضَاوِيُّ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ الَّذِينَ يُعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ :

- ١ - مِنْهُمْ مَنْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، لَكِنَّ نَيْتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ضَعِيفَةٌ ،
 فَيُعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ لِتَأْلَفِ قُلُوبِهِمْ ، وَيَتَّقُونَ إِيمَانُهُمْ ، وَيَثْبُتُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ .
- ٢ - وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ أَشْرَافٌ فِي أَقْوَامِهِمْ ، فَيُعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ طَمَعًا فِي
 إِسْلَامِهِمْ وَإِسْلَامِ أَتْبَاعِهِمْ .
- ٣ - وَمِنْهُمْ مَنْ يُرْجَى مِنْهُ قِتَالُ الْكَافِرِينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ ، فَيُعْطُونَ مِنَ
 الزَّكَاةِ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ وَمِنْ قَوَّتِهِمْ .

وَذَكَرَ الْبِيضَاوِيُّ قَوْلًا آخَرَ يَرَى أَنَّ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ أُعْطُوا مِنَ الزَّكَاةِ ، لَمَّا
 كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَلَائِلَ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ ضَعِيفًا ، فَلَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ
 لَمْ يَعُودُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَأْلِيفِ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَبِذَلِكَ سَقَطَ سَهْمُ الْمُؤَلَّفَةِ
 قُلُوبُهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ ! .

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى هَذَا ، وَجَعَلَ عِنْوَانَ اعْتِرَاضِهِ مُثِيرًا ، هُوَ « تَحْلِيلُ
 الْإِغْرَاءِ بِالْمَالِ » . وَقَالَ فِي اعْتِرَاضِهِ وَتَشْكِيكِهِ : « وَنَحْنُ نَسْأَلُ : هَلْ يُبِيحُ الدِّينَ
 الْإِغْرَاءَ بِالْمَالِ لِلدُّخُولِ فِيهِ ؟ وَهَلْ يُؤَجِّرُ النَّاسَ وَيُرْشُونَ لِيَهْدُوا وَيَقْتُلُوا الَّذِينَ

(١) تفسیر البیضاوی : ٣ / ٨٦ .

لا يَرغبونَ فيه؟ وهل هذا المالُ يُعْتَبَرُ زكاةً وصدقة، أم يُعْتَبَرُ رشوةً ومفسدة»^(١).

إنَّ إعطاءَ المؤلِّفةِ قلوبُهم نصيباً من الزكاةِ ليس رشوةً لهم، ولا إغراءً لهم بالمال، ولا استئجاراً لهم ليقتلوا الآخرين، إنما هو تأليفٌ لقلوبهم، وترغيبهم للإقبالِ على الإسلام، وتقديمُ هديةٍ ماليةٍ لهم، وهذه الهديةُ لمصلحةِ الإسلامِ والمسلمين. وإنَّ اللهَ الذي شرَعَ هذا الحكم، وأذنَ للمسلمين أن يُعطوا المؤلِّفةَ قلوبهم، جزءاً من زكواتهم، يعلمُ أثرَ المالِ في النفوسِ وتغييرِ مواقفها، وترسيخِ وتثبيتِ قناعاتها، ولذلك أذنَ بإعطاءِ المؤلِّفةِ قلوبهم من الزكاةِ، لتثبيتِ الإيمانِ في قلوبهم.

ثم إنَّ هذا التشريعَ ليس للوجوب، وإنما هو للإباحة، ويمكنُ أن يتوقفَ المسلمون عنه أحياناً، ولذلك ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى توقيته بأيامِ الإسلامِ الأولى، حيث كان المسلمون ضعفاءً، أما بعدما انتصرَ المسلمون وانتشرَ الإسلامُ فلم تعدِ الحاجةُ قائمةً لتأليفِ قلوبِ الناسِ، فأسقطوا سهمَ المؤلِّفةِ قلوبهم، قالوا: لا نحتاجُ إلى تأليفِ قلوبهم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر!!.



حول آيات الجهاد والقتال

اعترضَ الفادي على آياتِ الجهادِ والقتالِ في القرآن، فأوردَ سِتَّ عشرةً مجموعةً من تلك الآيات، تحت عنوانٍ «تحليل القتال»، أي أن القرآن يُحرِّضُ على القتلِ، ويجعله حلالاً، ويجعلُ صاحبه مأجوراً. والآياتُ التي أوردَها هي:

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٤.

١ - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

٢ - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَفِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَلُّوهُ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣ - قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

٤ - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَنِسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

٥ - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤١﴾ سَيَجِدُهَا لَهُمْ أَيْضًا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

٦ - قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

٧ - قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٨ - قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

٩ - قوله تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَأَفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢ - ١٣].

١٠ - قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ

كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنتَهَوْا فَإِنَّكَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[الأنفال: ٣٩].

١١ - قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

١٢ - قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

١٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ١١١].

١٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

١٥ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

١٦ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيُنَبِّئَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

اعترض الفادي المفتري على هذه الآيات، وأنكرها وخطأها، ونفى أن تكون من عند الله، لأنها تدعو إلى القتل وسفك الدماء ونهب الأموال! قال: «ونحن نسأل: هل يُكرهون الناس على قبول الدين بالسيف؟ وإذا كان القتل مُحللاً فما هو الحرام؟ وكيف يُحرّض نبي على القتال وانتهاك الأشهر الحُرْم، وتجهيز القبائل بالعتاد والسيف ليقتل وينهب؟ ويقول: إن هذا في سبيل الله والدين؟ ويُعري أتباعه بالغنائم، وأخذ الجزية في الدنيا، والجنة والحدود العين في الآخرة؟! ولقد جاء في حديث مسلم أن محمداً قال: «اغزوا باسم الله،

في سبيلِ الله، واقتلوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغزُوا ولا تَغْدُرُوا ولا تَمَثَّلُوا، ولا تَقْتُلُوا
وَلِيداً»^(١).

إننا نعلمُ أَنَّ اليهودَ والنَّصارى وباقي طوائفِ أعداءِ المسلمين تُزْعِجُهُم
آياتُ الجِهَادِ والِقِتالِ، وهم يُحارِبُونَ مبدأَ الجِهَادِ والِقِتالِ في الإسلامِ،
ويحرصونَ على قتلِ روحِ الجِهَادِ في نفوسِ المسلمين.. في الوقتِ الذي لا
يتوقفونَ هم عن الطمعِ في بلادِ المسلمين، وحشدِ الجيوشِ للعدوانِ عليهم،
ومحاربتِهِم واحتلالِ بلدانِهِم، ونهبِ خيراتِهِم، والقضاءِ على دينِهِم.. كما
قالَ تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾
[البقرة: ٢١٧].

ولا عَجَبَ في أَنَّ يَشُنَّ الأعداءُ حربَهُم الشرسةَ على الجِهَادِ والِقِتالِ في
الإسلامِ. ولا عَجَبَ في أَنَّ يُشاركَ الفادي المفتري في هذه الحربِ الفكريةِ
التدميرية، ولا عَجَبَ في أَنَّ يعترضَ على الآياتِ التي سَجَّلَهَا، وَأَنَّ يُنكرَها
ويرفضُها، وَأَنَّ يعتبرَها من أخطاءِ القرآنِ الأخلاقيةِ!.
أما نحنُ فإننا نعلمُ أصالةَ الجِهَادِ في الإسلامِ، وكونَهُ من مقاصدِ القرآنِ،
وهو يُشغلُ جانباً كبيراً في الفكرِ والتصورِ والعلمِ والمعرفةِ والثقافةِ في
الإسلامِ.

وإذا كانَ الكفارُ المعادون لا يتوقفونَ عن العدوانِ على المسلمين،
فكيف يُريدُ الفادي المفتري وإخوانُهُ، من المسلمين أَن يُلغوا هذا الجانبِ
الإسلاميِّ الكبيرِ، وَأَنَّ يَتَحَوَّلوا إلى مسالمين ومستسلمين، يَفْتَحونَ للمحتلِّين
بلادَهُم وبيوتَهُم، فإنَّ فَكَّرُوا في جهادِهِم ومواجهتِهِم وردَّ عدوانِهِم وتحريرِ
البلادِ منهم كانوا مجرمين إرهابيين؟!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٥ - ٦٦.

حول إباحة الغنائم

الغنائمُ هي ما يأخذُه المجاهدون من الأعداء المحاربين، عندما يهزمونهم، وهذه الغنائمُ تشملُ الأموالَ والسِّلاحَ والدَّوابَّ، ومختلفَ الأشياءِ المنقولة.

وقد أباحَ اللهُ للمجاهدينَ أخذَ تلكَ الغنائمِ، فقالَ تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنفِقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وبينَ في القرآنِ كيفيةَ توزيعِ الغنائمِ، وذلكَ في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبَائِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُحِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

واعترضَ الفادي علىَ إباحةِ الغنائمِ للمجاهدين، وذلكَ في قوله: «ونحنُ نَسألُ: هل يَأْمُرُ اللهُ بِقَتْلِ النَّاسِ وَنَهَبِ أَمْوَالِهِمْ، وَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا حَلَالٌ طَيِّبٌ؟ هل يُحَلِّلُ اللهُ أَمْوَالَ الْغَيْرِ؟»^(١).

لم تكنَ الغنائمُ مُباحةً عندَ السابقين، كاليهودِ والنَّصارى، وعندما كانوا يُقاتِلونَ أعداءَهُم وَيَهْزِمونَهُم كانوا يَأْخُذونَ الغنائمَ منهم، ويَجْمعونَهَا، ثم يُشْعَلونَ فِيهَا النَّارَ وَيَحْرِقُونَهَا، وكانوا يُعَاقِبونَ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا.

ولذلكَ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ الْغَنَائِمَ لَهُ وَلَاؤُمَّتِهِ، فقالَ: «وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِي».

ولا معنى لاعتراضِ الفادي المفتري علىَ إباحةِ الغنائمِ، وعلىَ أخذِ الغنائمِ من الأعداءِ، فالأعداءُ يَعْتَدونَ علىَ المسلمين ويحاربونَهُم وَيَهْجَمونَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٦.

عليهم، وأمر الله المسلمين برّدْ عُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ، ومحاربة المحاربين، والوقوفِ أمامِ الطامعين فيهم، وأوجب على المسلمين جهادهم وقتالهم وقتل مَنْ يَقْدِرُونَ عليه منهم. وجميع الأديان والشرائع والمذاهب والمناهج توجب على الناس مواجهة المعتدين، والدفاع عن الأوطان والأموال. ومن غير المقبول والمعقول أن يُشَجَّعَ الْمُعْتَدُونَ الْمُحْتَلُونَ، وأن يُدْعَى الْمُعْتَدَى عليهم إلى محبة المعتدين، واستقبالهم بالورود وأغصان الزيتون والأخضان!!.

يُرِيدُ الْفَادِي مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يُحَارِبُوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَحْتَلُوا بِلَادَهُمْ وَيَنْهَبُوا أَمْوَالَهُمْ، فَإِنْ قَامَ الْمُسْلِمُونَ بِوَأَجِبِهِمْ فِي الْجِهَادِ وَرَدَّ الْعُدْوَانَ، رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْإِعْتِرَاضِ وَالْإِنْكَارِ، وَقَالَ: «هَلْ يَأْمُرُ اللَّهُ بِقَتْلِ النَّاسِ وَنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ، وَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا حَلَالٌ طَيِّبٌ؟! هَلْ يُحَلِّلُ اللَّهُ أَمْوَالَ الْغَيْرِ?!».

ونحنُ بالمقابل نَسْأَلُ الْمُفْتَرِي: هَلْ أَبَاحَ اللَّهُ لِلصَّلِيبِيِّينَ - الَّذِينَ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْإِنْجِيلِ - اِحْتِلَالَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ؟! وَهَلْ أَبَاحَ اللَّهُ لِلْمُسْتَعْمِرِينَ الْإِنْجِلِيزِ وَالْفَرَنْسِيِّينَ وَالْإِسْبَانِ وَالطَّلِيَانِ وَالْأَمْرِيكَانِ اِحْتِلَالَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ وَمَوَارِدِهِمْ?!.

لِمَاذَا يُنْكِرُ الْفَادِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ جِهَادَ وَقِتَالَ الْمُعْتَدِينَ الْمُحَارِبِينَ الْمُحْتَلِّينَ، وَلَا يُنْكِرُ عَلَى أَوْلَئِكَ الْمُعْتَدِينَ عُدْوَانَهُمْ وَاحْتِلَالَهُمْ وَنَهْبَهُمْ?!.

وعندما يحارب الأعداء المسلمين فإنهم يستخدمون الأموال والسلاح لحربهم، وعندما ينتصر المسلمون عليهم ويهزمونهم، فإنهم يستولون على بعض الأموال والسلاح والعتاد والمتاع، فماذا يفعلون بها؟ هل يُعيدونها للأعداء المقاتلين، ليستعينوا بها على قتال المسلمين؟ أم يحرقونها بالنار كما كان يفعل اليهود في العهد القديم؟.. لقد أباح الله للمسلمين أخذ تلك الغنائم، والاستفادة منها والانتفاع بها، وقال لهم: ﴿كُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

والله حكيم في أمر المؤمنين بقتال المقاتلين، لأنَّ الْبَادِيَّ أَظْلَمَ، وهو حكيم في إباحة الغنائم للمجاهدين، لأنَّ فِي أَخْذِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ الْمُقَاتِلِينَ

إضعافٌ لهم. واعتراضُ الفادي على حكمِ الله الحكيمِ دليلُ جهله وتحمُّله!
وهو لا وِزْنَ له، لأنَّه يعترضُ على الصحيح، ويخطئُ الصَّواب!!.



حول قسم الله بمخلوقاته

أقسمَ اللهُ بكثيرٍ من مخلوقاته في القرآن، بحيثُ أصبحَ القسمُ بها ظاهرةً من ظواهرِ التعبيرِ القرآني.

وقد ذكَّرَ الفادي بعضَ الآياتِ التي أقسمَ اللهُ فيها ببعضِ مخلوقاته؛ منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ①﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ ②﴾ و﴿السَّجْدِ وَالْوَأْتِرِ ③﴾ و﴿الْبَيْتِ إِذَا يَسِرُّ ④﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿ [الفجر: ١ - ٥].

وعَلَّقَ الفادي المفتري على هذه الآياتِ بقوله: «فصاحبُ القرآنِ يُقسمُ بالفجرِ، والليالي العشرِ الأخيرة من رمضان، وبالآشياءِ كُلِّها شَفْعِها وَوَتْرِها، وبالليلِ المدبرِ، ويقولُ: إنَّ أقسامَه هذه لذي عَقْلٍ!»^(١).

ومن كَيْدِ الفادي ولُؤْمِه أنه لم يَقُلْ: «اللهُ يقسمُ بالفجرِ»، وإنما قال: «فصاحبُ القرآنِ يُقسمُ بالفجرِ!» ومن هو صاحبُ القرآنِ في نظره؟ إنه لا يُقَرُّ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ، أوحى به إلى رسوله محمدٍ ﷺ، وإنما يجعلُ القرآنَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ، فهو صاحبُ القرآنِ في نظرِ هذا المفتري!.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ①﴾ و﴿الْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ②﴾ و﴿النَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③﴾ و﴿الْبَيْتِ إِذَا يَسْتَلَّهَا ④﴾ و﴿السَّمَاءِ وَمَا بَنَّا ⑤﴾ و﴿الْأَرْضِ وَمَا طَحَّاها ⑥﴾ و﴿نَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾ فَالْهَمَّاهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّكَهَا ⑨﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ [الشمس: ١ - ١٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٦.

وَعَلَّقَ الْفَادِي عَلَى هَذَا الْقَسَمِ بِقَوْلِهِ: «فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُقَسَمُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالنَّفْسِ».

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٣].

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣].

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ أَلَتَجْمُ النَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ - ٣].

اعترض الفادي المفتري على قَسَمِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ. فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: لِمَاذَا يَحْلِفُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ، وَيُقَسَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالنَّفْسِ وَالضُّحَى، وَالتين والزيتون، وجبل سيناء ومكة، وغير ذلك؟! هل يَحْتَاجُ صَاحِبُ الْقَوْلِ الصَّادِقِ إِلَى قَسَمٍ يُؤَكِّدُ كَلَامَهُ؟».

قَالَ الْمَسِيحُ: «لَا تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لَا بِالسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ، وَلَا بِالْأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ، وَلَا تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بِيضَاءً أَوْ سُودَاءً.. بل لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ، نَعَمْ، لَا، لَا.. وما زادَ على ذلك فهو من الشَّرِّيرِ» [متى: ٣٤/٥ - ٣٧]. فما الذي دَعَا صَاحِبَ الْقُرْآنِ لِيَحْلِفَ بِكُلِّ شَيْءٍ؟! (١).

يَتَوَقَّعُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ وَعَلَى الْقُرْآنِ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عِنْدَمَا يُصِرُّ عَلَى اسْتِخْدَامِ كَلِمَةِ «صَاحِبِ الْقُرْآنِ»، وَهَذَا بِسَبَبِ تَحَامُلِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَرْهِهِ لَهُ وَحَقْدِهِ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يُطِيقُ اسْتِخْدَامَ كَلِمَةِ «قَالَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا يَدَّعِي الْمُسْلِمُونَ»!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٧.

واعتبرَ قَسَمَ اللهِ بمخلوقاته في القرآن من أخطاءِ القرآنِ الأخلاقية، لأنَّ الصادقَ يذكُرُ كلامه بدونِ قَسَمٍ، فهو لا يحتاجُ إلى توكيدِ كلامه بالقَسَمِ، ولا إلى أن يُصدِّقَه السامعُ بالقَسَمِ!

وليدلَّ الفادي على صِدْقِ كلامه وانتقاده للقرآن، أوردَ من إنجيلِ متى كلاماً مَنْسوباً للمسيحِ يَنْهَى فيه أتباعه عن القَسَمِ بأيِّ شيء، لا بالسَّمَوَاتِ ولا بالأَرْضِ ولا بالقدسِ ولا بالرأسِ!

وعندما نَنظُرُ في الكلامِ المنسوبِ لعيسى ﷺ فَإِنَّا نَرَى أَنَّهُ - إِنْ صَحَّتْ نَسْبَتُهُ لعيسى ﷺ - يتوافقُ مع نهْيِ المسلمين عن القَسَمِ بغيرِ الله، فعيسى ﷺ يَنْهَى عن القَسَمِ بالمخلوقاتِ: السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والقدسِ والرأسِ. والرسولُ ﷺ نَهَانَا عن القَسَمِ بغيرِ الله، واعتبرَهُ صورةً من صورِ الشريكِ بالله، فَصَحَّ عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ الله فقد أشْرَكَ».

على أننا نرفضُ اعتبارَ السماءِ كُرْسِيًّا لله! لأنَّ كُرْسِيَّه سبْحَانِه وَسِعَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ. قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ونرفضُ اعتبارَ الأرضِ موطنَ قَدَمِي الله، فلا نَجْعَلُ قَدَمِيْنِ الله، يَطَأُ بهما على الأرضِ! لأنَّ هذا تجسيمٌ لله، ووضفٌ له بصفاتِ المخلوقين! والله يقولُ في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واعترضُ الفادي على قَسَمِ اللهِ بمخلوقاته في القرآنِ مَرْدُود، ومن غبايته وجهله أَنَّهُ جَعَلَ القَسَمَ دليلاً على حرصِ الحالفِ المُقسِمِ على تَأْكِيدِ كلامه، وتصديقِ السامعِ له، فيلجأُ للقَسَمِ لتحقيقِ ذلك!

هذا ينطبقُ على قَسَمِ المخلوقين، ولذلك لا يجوزُ لَهُمْ أَنْ يُقسِمُوا بغيرِ الله! لكنه لا ينطبقُ على قَسَمِ اللهِ بمخلوقاته، فهو عندما يُقسِمُ بها لا يُريدُ مِنَّا أَنْ نُصدِّقَه، فهو الصادقُ في كلامه سبْحَانِه، وهو الذي يقولُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

عندما يُقسّم الله ببعض مخلوقاته فإنه يريد أن يلفت أنظارنا إليها، لنلاحظ عَظَمَتها وفائدتها لنا، وكونها آيةً دالةً على وحدانية الله وعظَمته وقوته ورحمته وإنعامه، وعندما نتذكّرها نذكّر خالقها العظيم ونشكره على تسخيرها لنا! .
وبهذا نعرف الفرق بين قَسَمِ الله بهذه المخلوقات وبين قَسَمِ المخلوقين بها، ونعرف سبب قَسَمِ الله بها!! .



حول الترخيص بالكذب

زَعَمَ الفادي المفتري أنّ الإسلام يُرْحِصُ في الكذبِ ويَحَلِّله، ويدعو المسلمين إلى أن يكذبوا. . وأورد آيتين، ليس فيهما أدنى إشارة إلى ذلك:
الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَمْ لَكُمْ مِنْ أَوْلَادٍ أَنْ تَنْكِحُوا الْأَيِّمَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهَا إِذَا تَزَوَّجَ مِنْهَا ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَحَمْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ يَوْمَ الْقِيَامِ وَأَنْ يُوَفَّى عَلَيْكُمْ أُنْتِفَاقُكُمْ بِالْأَيْمَانِ﴾ [المائدة: ٨٩].

تَتَحَدَّثُ الآيةُ عن عَدَمِ مؤاخِذَةِ المسلمين بِاللَّغْوِ في أَيْمَانِهِمْ، وهي اليمينُ التي تَخْرُجُ من أفواهِهِمْ بدونِ تَعَمُّدٍ وَقَصْدٍ، كقولِ أَحَدِهِمْ: لا وَاللهِ، وبلى وَاللهِ. ثُمَّ تُبَيِّنُ كَفَارَةَ اليمينِ المنعقدة، إِذَا حَنَثَ فيها صاحبُها. ولا تتحدث عن الكَذِبِ! .

الثانية: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦].

لا تَتَحَدَّثُ الآيةُ عن الكَذِبِ، وإنما تُشيرُ إلى رخصةِ إباحةِ النطقِ بكلمةِ الكفر، لمن كان مُكْرَهًا، مع أنّ الأولى أن لا يَنْطِقَ بها، حتى لو أدى ذلك إلى قَتْلِهِ. وقد سَبَقَ أن ناقشنا هذه الفكرة مع الفادي.

فلا أدري لماذا ذَكَرَ الفادي الآيَتَيْنِ السابقتَيْنِ في اعتراضه على الترخيص بالكذب في الإسلام. وكتابه كُله خَصَّصَه لكشفِ أخطاءِ القرآن، فالآيتانِ في مَوْضوعٍ آخَرَ غيرِ الموضوعِ الذي يتحدَّثُ هو عنه.

وزَعَمُ الفادي أَنَّ الإسلامَ حَلَّلَ الكذبَ وأباحه، أَخَذَهُ من حديثِ رسولِ الله ﷺ. قال: قالَ الربيعُ بنُ سليمان... عن أمِّ كلثومِ بنتِ عُقْبَةَ، قالتُ: ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُرخصُ في شيءٍ من الكذبِ إلا في ثلاث: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ: «لا أَعُدُّه كاذباً: الرجلُ يُصْلِحُ بينَ الناسِ، يقولُ القولَ ولا يُريدُ به إلا الإصلاحَ، والرجلُ يقولُ في الحربِ، والرجلُ يُحدِّثُ امرأتهُ، والمرأةُ تُحدِّثُ زَوْجَها».

يُرَخِّصُ الحديثُ بالكذبِ في ثلاثِ حالاتٍ: في الإصلاحِ بينَ الناسِ، وفي الحربِ، وفي بعضِ الحديثِ بينَ الزوجينِ.

ونَسَبَ إلى الرسولِ ﷺ حديثاً غريباً، لم يَذْكُرْ مَنْ أَخْرَجَهُ من أصحابِ السنن، فقال: «وقالَ محمد: إذا أتاكم عَنِّي حديثٌ يَدُلُّ على هُدَى، أو يَرُدُّ عن رَدِّي فاقبلوه، فُلتُّه أو لم أَقلُّه، وإن أتاكم عَنِّي حديثٌ يَدُلُّ على رَدِّي، أو يَرُدُّ عن هُدَى فلا تقبلوه، فَإني لا أقولُ إلا حَقاً!!».

وهذا حديثٌ غامضٌ، ومعناه غيرُ واضحٍ، وأخشى أن يكونَ من وَضَعِ الوضاعينِ!.

وقد اعترضَ الفادي على حديثِ الترخيصِ بالكذبِ في الحالاتِ الثلاثِ بقوله: «ألا تَفْتَحُ هذه الأقوالُ البابَ للكذبِ على مِضْرَاعَيْهِ؟ وهل الأخلاقُ الكريمةُ وصنعُ السَّلامِ يَقومُ على الأكاذيبِ؟ وكيف يكونُ حالُ بيتٍ يكذبُ فيه الزوجانِ على بَعْضِهِمَا؟ وكيف يكونُ حالُ الأبناءِ فيه؟.. يقولُ الإنجيل: وأمَّا الزناةُ والسحرةُ وَعَبْدَةُ الأوثانِ وجميعُ الكذبةِ فَنَصِيبُهُم في البُحيرةِ بنايرٍ وكبريتٍ، الذي هو الموتُ الثاني»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٨.

واعترض الفادي على الحديث مردود، فضلاً عن أنه لا يندرج ضمن موضوع كتابه الذي خصَّصه للحديث عن الأخطاء في القرآن.. وزعمه أن الإسلام يبيح الكذب، ويؤدّي هذا إلى فساد أخلاقي؛ افتراءً منه على الإسلام! فالإسلام يُحرّم الكذب تحريماً قاطعاً.. قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذاباً».

وترخيص الكذب في ثلاث حالات: الإصلاح، والحرب، وبين الزوجين، وهي ليست كذباً حقيقياً، وإنما هي من باب «المعاريض» والمعاريض من باب التعريض، وهو أن يتكلم الرجل بكلام غير صريح، فيفهم منه السامع شيئاً آخر، وهذا من باب الفطنة وفصاحة الكلام، كأن تقول لمن دعاك إلى تناول الغداء: لقد تغدّيت. فيفهم هو أنك تغدّيت اليوم، لكنك تقصد أنك تغدّيت بالأمس.

وقد دعانا رسول الله ﷺ إلى استخدام المعاريض بقوله: «إنّ في المعاريض لمدوحة من الكذب».

فما ورد من الترخيص بالكذب في الحالات الثلاث هو من باب المعاريض، وليس من باب الكذب، فليس فيه ما يُعاب عليه!!



إباحة رد العدوان

أباح الله للمسلمين المعتدي عليهم ردّ العدوان، وإيقاف المعتدين. ولكنّ هذا لم يُعجب الفادي المفتري، واعتبره من أخطاء القرآن. أعطى اعتراضه عنواناً مثيراً هو «تحليل الانتقام!» أي أنّ القرآن يبيح ويحلّل للمسلمين الانتقام، وهذا يفتح باب القتل والتخريب والأخذ بالثأر! والآية التي اعترض عليها هي قول الله ﷻ: «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

وَأَلْمَمْتُ بِصَاصٍ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ١٩٤﴾.

وَعَلَّقَ الفادي المفتري على الآية بقوله: «ونحن نرى الأثر السيئ لمبدأ الأخذ بالثأر متفشياً بسبب هذا القول، وكم تعب رجال الشرطة من نتائجه، وُبَحِّثْ أصوات المعلمين في التعليم ضده! وهل الاعتداء على من اعتدى علاج للجريمة؟! إِنَّ العنْفَ يُؤَلِّدُ المزيدَ من العنْفِ.

قال المسيح: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم» [متى: ٤٤/٥]. وقال أيضاً: «سمعتُم أنه قيل: عَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌّ بِسِنٍّ.. وأما أنا فأقول لكم: لا تُقاوموا الشرَّ، بل مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأيمن فَحَوِّلْ لَهُ الأخرَ أيضاً» [متى: ٣٨/٥ - ٣٩]. وقال الرسول بولس: «لا تَنْتَقِمُوا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: لي الثَّغْمَةُ، أنا أجازي.. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ، لأنك إِنْ فعلتَ هذا تَجْمَعُ جَمْرًا نارٍ على رأسه، لا يَغْلِبَنَّكَ الشرُّ، بل اغلب الشرَّ بالخير» [رومية: ١٢/١٩ - ٢١]. وقال بطرس الرسول: «المسيح أيضاً تَأَلَّمَ لأجلنا، تاركاً لنا مثلاً لكي تَتَّبِعُوا خطواته: الذي لم يَفْعَلْ خطيئة، ولا وُجِدَ في فيه مكر، الذي إذا شَتِمَ لم يكن يَشْتِمُ عَوْضاً، وإذا تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدُدُ، بل كان يُسَلِّمُ لمن يَقْضِي بالعدْل» [بطرس: ٢١/١٢ - ٢٣] (١).

نَقَلَ أربعة أقوالٍ عن المسيح وبولس وبترس تُدْمُ العنْفَ والعُدوان، وتَمْدَحُ العفوَ والتسامحَ والصَّفْحَ، وهي أقوالٌ مأخوذةٌ من الإنجيل، وكلُّ النَّصارى في العالم يؤمنون به، فهل التزم النَّصارى بهذه التوجيهات الأخلاقية؟ وهل تعاملوا مع غيرهم على أساسها وهديها؟ وهل كانت صلَّتْهم بالمسلمين تقوُّمٌ على العفو والتسامح؟ وهل ردّوا إساءة المسلمين بالإحسان؟!.

التاريخ القديم والمعاصر يشهد بعكس ذلك، فالنصارى الصليبيون هم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٨.

الذين بَدَّوْا بِالْعُدْوَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاحْتَلَوْا بِلَادَهُمْ عَشْرَاتِ السِّنِينَ، وَقَتَلُوا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ قَتَلُوا فِي حَمَلَاتِ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ اجْتَا حُوا
بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَعْمَرُوهَا فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ، وَخَضَعَتْ كُلُّ بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ لِلْإِسْتِعْمَارِ الصَّلِيبِيِّ: الْإِنْجِلِيزِيِّ وَالْفَرَنْسِيِّ وَالْإِسْبَانِيِّ وَالْبِرْتِغَالِيِّ
وَالْإِيطَالِيِّ وَالْهَوْلَنْدِيِّ وَالرُّوسِيِّ... وَهِيَ أَمْرِيكَةُ الصَّلِيبِيَّةُ تُعِيدُ احْتِلَالَ بِلَادِ
إِسْلَامِيَّةٍ وَاسْتِعْمَارَهَا فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ.

وَكُلُّ مِمَارَسَاتِ الصَّلِيبِيِّينَ الْقَدِيمَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ تُخَالِفُ
تَوَجِيهَاتِ الْإِنْجِيلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْتِي الْفَادِي الْمَفْتَرِي وَيَتَعَنَّى بِجَمَالِ
تِلْكَ التَّوَجِيهَاتِ، وَيَتَنَاسَى أَنَّ قَوْمَهُ الصَّلِيبِيِّينَ هُمُ الَّذِينَ خَالَفُوهَا وَنَقَضُوهَا!!
إِنَّهُ حَبِيبٌ مَآكِرٍ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ أَغْيَاءَ بُلْهَاءٍ، فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ
النَّصَارَى الصَّلِيبِيِّينَ، فَقَوْمُهُ يَعْتَدُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَحْتَلُونَ بِلَادَهُمْ، وَيَنْهَبُونَ
خَيْرَاتِهِمْ، وَيَسْفِكُونَ دِمَاءَهُمْ، وَهُوَ يَدْعُو الْمُسْلِمِينَ الْمَعْتَدِيَّ عَلَيْهِمْ إِلَى عَدَمِ
مُوجَهَتِهِمْ وَكِرْهِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُحِبُّوا أَعْدَاءَهُمْ، وَيُبَارِكُوا لِأَعْيُنِهِمْ، وَيُحْسِنُوا
إِلَى مُبْغِضِيهِمْ، وَيَشْكُرُوا الَّذِينَ يَحْتَلُونَ بِلَادَهُمْ وَيَطْرُدُونَهُمْ مِنْهَا! هَكَذَا يَجِبُ
أَنْ يَفْعَلَ الْمُسْلِمُونَ، إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا حَضَارِيِّينَ مُتَقَدِّمِينَ، دَعَاةَ سَلَامٍ
وَأَمَانٍ!!

مِنَ هَذَا الْمَنْطَلِقِ خَطَأُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي الْقُرْآنَ، لِأَنَّهُ يُجِيزُ لِلْمُسْلِمِينَ
الْمَعْتَدِيَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرُدُّوا عَلَى الْعُدْوَانِ بِالْمِثْلِ، وَأَنْ يَوْقِفُوا الْمَعْتَدِينَ، وَأَنْ
يَنْتَصِفُوا مِنْهُمْ... وَلَا يَوْجَدُ دِينَ أَوْ مَبْدَأً - حَتَّى الدِّيَانَةُ النَّصْرَانِيَّةُ - يَطْلُبُ مِنْ
أَتْبَاعِهِ الْمَعْتَدِيَّ عَلَيْهِمْ مُقَابَلَةَ الْمَعْتَدِينَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْأَحْضَانِ وَالْوَرُودِ وَالرِّيَاحِينَ،
وَيَأْمُرُهُمُ بِالتَّنَازُلِ لِهَؤُلَاءِ الْمَعْتَدِينَ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ. فَمُوجَهَةُ الْمَعْتَدِينَ وَالرَّدُّ عَلَى
عُدْوَانِهِمْ فِطْرَةٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لَا يَتَخَلَّى عَنْهَا إِلَّا مَنْ كَانَ نَاقِصَ
الْإِنْسَانِيَّةِ!!

وَلِذَلِكَ لَا يُلَامُ الْقُرْآنُ إِذَا أَجَازَ لِلْمُسْلِمِينَ رَدَّ الْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُعْتَبَرُ
هَذَا مَأْخِذًا يُؤْخَذُ عَلَيْهِ.

وَعَبَّرَ الْقُرْآنُ عَنْ رَدِّ الْعُدْوَانِ بِالْعُدْوَانِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وَهَذَا يُسَمَّى «مِشَاكَلَةً»، وَهِيَ الْإِتْفَاقُ فِي اللَّفْظِ مَعَ الْإِخْتِلَافِ فِي الْمَعْنَى! فَاعْتَدَاءُ الْمُعْتَدِينَ مَذْمُومٌ، لِأَنَّهُ يَقُومُ عَلَى الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ، وَاعْتَدَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُعْتَدِينَ مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ، لِأَنَّهُ يَقُومُ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْعُدْوَانِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ!.



حول إباحة تعدد الزوجات

أَبَاحَ الْقُرْآنُ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

وَاعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى هَذِهِ الرَّخِصَةِ، وَهَاجَمَ إِبَاحَةَ الْقُرْآنِ لَهَا. قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: هَلْ يُبِيحُ دِينٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ، بِخِلَافِ شَرِيعَةِ اللَّهِ، الَّذِي فِي الْبَدءِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَجَعَلَهُمَا جَسَدًا وَاحِدًا؟»^(١).

وَهُوَ فِي هَذَا الْكَلَامِ الْقَبِيحِ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ الْإِسْلَامُ دِينًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَنْفِي أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَبَاحَ التَّعَدُّدَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَعْتَبِرُ التَّعَدُّدَ مُخَالَفًا لِسُنَّةِ اللَّهِ، فِي أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةً! فَاللَّهُ خَلَقَ لِأَدَمَ أَنْثَى وَاحِدَةً هِيَ حَوَاءُ! فَلِمَاذَا الزَّوْجَتَانِ وَالثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُ؟!.

وَاعْتَرَضَهُ مَجْرَدُ كَلَامِ تَافِهِ لَا وَزْنَ لَهُ. وَلَيْسَ فِي إِبَاحَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ فِي الْقُرْآنِ مَا يُخَالِفُ الْفِطْرَةَ أَوْ يَتَصَادَمُ مَعَ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ زَوْجَةٌ وَاحِدَةً، جَازَ أَنْ يَكُونَ لَهُ زَوْجَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ، وَهَنَّاكَ حَالَاتٌ خَاصَّةٌ قَدْ يَمُرُّ بِهَا الرَّجُلُ، أَوْ تَمُرُّ بِهَا الْمَرْأَةُ، أَوْ يَمُرُّ بِهَا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٩.

المجتمع الإسلامي، تجعلُ تعدُّد الزوجاتِ ضرورةً لا بُدَّ منها!.

ثم إنَّ تعدُّد الزوجاتِ رخصةٌ لمن يرغب، وليس واجباً على كلِّ مسلم! ومعظم الرجال المسلمين لا يُعدِّدون زوجاتهم. . وهذه الرخصةُ مباحةٌ بشرط العدلِ بين الزوجات، فإن لم يعدل الرجل كان آثماً مُعذباً.

وبما أنَّ الله أباح التعدُّد، ونصَّ على ذلك في القرآن، فهو الصحيح والصواب، وتتحقَّق فيه المصلحة والحكمة، لأنَّ الله حكيمٌ عليمٌ سبحانه، لا خطأً في أحكامه وتشريعاته!.

وقوم الفادي الغربيون الذين يُحاربون تعدُّد الزوجاتِ المشروع الطاهر النظيف، لا يكتفي الرجلُ منهم بواحدة، كما ادَّعى الفادي أنها سنةُ الله، وإنما يذهبُ إلى العشيقات، ويُمارسُ تعدُّد العشيقاتِ بالحرام، وليس لهنَّ عددٌ مُعيَّن، وتعدُّد المرأةَ عندهم عاشقياً أيضاً، ومن النادرِ جداً عندهم أن تجد رجلاً غيرَ زانٍ، أو أن تجد امرأةً غيرَ زانية، فالعفة وحفظ الفرج عن الزنى نقصٌ وعيبٌ وذمٌّ عندهم!!.

أبعد هذه الإباحية الجنسية عند الغربيين، قوم الفادي المفتري، يأتي هؤلاء الملوِّثون المدنِّسون، الغارقون في الرذيلة والزنى إلى آذانهم، يعترضون على الإسلام الذي أباح تعدُّد الزوجات!!.

ويعترضُ الفادي على قولِ الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قال في اعتراضه بوقاحة: «كيف يُبيحُ كتابُ من عندِ الله لرسولٍ من عندِ الله، أن يتزوَّجَ بمنْ مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْأَسْرَى، وبأيةِ امرأةٍ تهوَّاهُ فتبهه

نَفْسَهَا، إِنَّ وَقَعَ هُوَ فِي هَوَاهَا؟! ..»^(١).

ما حكمه الزواج بالأسيرات اللواتي أصبحن ملك اليمين؟:

الإمام مخيّر في الكافرين المقاتلين اللذين يقعون أسرى بأيدي المسلمين، فهو إما أن يطلق سراح بعضهم متناً بدون مقابل، وإما أن يطلق سراح آخرين بالفداء، مقابل مبلغ من المال، وإما أن يسترق آخرين، ويجعلهم أرقاءً عبيداً للمسلمين لأنهم حاربوهم. وهو يختار من هذه الخيارات ما يحقق مصلحة المسلمين.

والذين يتخذ القرار باسترقاقهم يؤزعون على الرجال المجاهدين، ليكونوا عبيداً عندهم، يؤمنون لهم تكاليف حياتهم مقابل خدمتهم لهم.. ويرغب الإسلام المسلمين في إطلاق سراحهم وتحريرهم لوجه الله، وأوجب على من وجبت عليه بعض الكفارات تحرير هؤلاء العبيد، كما في كفارة القتل والظهار واليمين.

وإذا كانت الأسيرة المسترققة امرأة، فإنها تكون ملكاً لسيدها، وتسمى «ملك اليمين»، ولسيدها أن يعاشرها، كما أن له أن يتزوجها، أو يزوجه لغيره، فإذا أنجبت منه ولدًا وجب عليه عتقها وتحريرها. وقد رتب الإسلام نظام الرق والعتق بشروط وقواعد وضوابط، في الوقت الذي كان العالم القديم فيه يمارس ضد العبيد أشد صور الظلم والعدوان!!

ولا يلام الإسلام عندما أجاز للمسلم معاشره الأمة أو الزواج منها، لأنها تحتاج إلى من يؤويها، ويتكفل بحاجاتها، فهي ليس لها أهل، فمن أين ستؤمن حاجاتها؟ هل سترك الإمام والجواري في الشوارع، يتاجرن بأجسادهن مقابل تأمين حاجاتهن؟ وينشرن الفساد والرذيلة والفاحشة بين المسلمين؟ الحل أن يتكفل رجل بكل مجموعة منهن، ويبقى المجتمع الإسلامي محافظاً على طهارته وعفته!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٩.

وقد أباح الله لرسوله ﷺ أَنْ يتزوّج مَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، وجعلَ هذا الحُكْمَ خاصّاً به، وليس عامّاً لجميع المؤمنين، فقالَ له: ﴿وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وليس الأمرُ أمرَ عشقٍ وَهوى كما زعمَ المفتري، فلا تهوى امرأةٌ مسلمةٌ رجلاً أجنبيّاً، ولا تعشقه، حتى لو كانَ رسولَ الله ﷺ، والرسولُ ﷺ عنوانُ العفةِ والطهر، ولا يَقَعُ في هوى امرأةٍ أجنبية! ولذلك كانَ الفادي مُفترياً مُتوقفاً عندما قال: «يتزوّجُ بأيةِ امرأةٍ تهوَاهُ فتَهَبُهُ نَفْسَهَا، إِنْ وَقَعَ هُوَ فِي هَوَاهَا!!».

وتتحدّثُ الآيةُ عن حالةٍ خاصة، لظروفٍ خاصة، وحُكْمٍ خاصٍّ لرسولِ الله ﷺ. . . روى البخاريُّ ومسلمٌ عن سهل بنِ سعدِ الساعديّ رضي الله عنه قال: إني لفي القومِ عندَ رسولِ الله ﷺ، فجاءته امرأةٌ، فقالت: يا رسولَ الله إني قد وَهَبْتُ نفسي لك، فَرَفِيَ رَأْيِكَ! فقامتَ قياماً طويلاً، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله! زوّجنيها. . . فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هل عندك من شيء تصدُقُها إِيَّاهُ؟» قال: لا. قال: «التمسْ ولو خاتماً من حديد!» فالتَمَسَ فلم يجدْ شيئاً، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هل مَعَكَ من القرآنِ شيء؟» قال: معي سورةٌ كذا وسورةٌ كذا. . . قال: «زوّجْتُكها بما مَعَكَ من القرآن».

فرغمَ أنّ الله أباحَ لرسوله ﷺ أَنْ يتزوّجَ مَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، إلاّ أنه لم يَتَزَوَّجْهَا، وإنما زَوَّجَهَا لأحدِ أصحابِهِ. ولم تتكرّرُ تلك الحادثةُ معه.

وإباحةُ الزواجِ للرسولِ ﷺ عن طريقِ الهبةِ خاصٌّ به، كما أُبيحَ له الزواجُ بأكثرَ من أربعِ نساء، وكانَ زواجاً بدوياً ووليّاً ولا مَهْر، وهذا لا يجوزُ لغيرِهِ، مع أنه زواجٌ لم يَنَحَقَّقْ!.

ولهذا قالَ قتادة: ليسَ لامرأةٍ تَهَبُ نَفْسَهَا لرجلٍ بغيرِ وِليٍّ ولا مَهْر، إلاّ للنبيِّ ﷺ، لقوله: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لم يكنْ عندَ رسولِ الله ﷺ امرأةٌ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ.

أَيَّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَقْبَلْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ مُبَاحًا لَهُ وَمَخْصُوصًا بِهِ، لِأَنَّهُ مَرْدُودٌ إِلَى مَشِيئَتِهِ: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾.

واعترضَ الفادي المفتري على حديثِ القرآنِ عن الحورِ العينِ في الجنةِ، الَّتِي يَتَنَعَّمُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَالَّتِي وَرَدَ الْحَدِيثُ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَلَاحَةٌ مِمَّا يَخْتَارُونَ ﴿٢٠﴾ وَغَيْرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٍ عِينٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ أَلَمْ كُنُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢٣].

وهذا في رأيه خَطَأٌ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَزَوَّجُونَ فِيهَا!! وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَهَلْ جَنَّةُ اللَّهِ مَكَانٌ لِلَّهِوِ مَعَ الْحُورِ الْعِينِ؟! قَالَ الْمَسِيحُ: (لَأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لَا يُزَوَّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ)»^(١).

واعترضَ الفادي مردود، لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا فِي الْقُرْآنِ عَنِ اسْتِمْتَاعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَهُوَ صَادِقٌ فِيمَا قَالَ، وَنَحْنُ نُوْمِنُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ! وَمَا نَسَبَهُ إِلَى الْمَسِيحِ ﷺ مِنْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ يَكُونُونَ كَالْمَلَائِكَةِ، لَا يَسْتَمْتَعُونَ بِالنِّسَاءِ مَشْكُوكٌ فِيهِ، لِأَنَّ الرَّهْبَانَ حَرَّفُوا الْأَنَاجِيلَ؛ وَأَضَافُوا إِلَى كَلَامِ اللَّهِ فِيهَا الْكَثِيرَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَمَزَاعِمِهِمْ وَافْتِرَاءَاتِهِمْ!!.

وَالْآيَاتُ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنِ اسْتِمْتَاعِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ وَالنِّسَاءِ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٍ ﴿٥٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨ - ٤٩].

ومنها قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٦٩.

يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٢﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٣﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٤﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٥].

وما المانع من أن يلهو المؤمنون مع أزواجهم والهور العين في الجنة؟! إنَّ الجنةَ دارُ جزاءٍ ونعيم، ومتعة وسعادة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥ - ٥٨].





الفصل الرابع

نقض المطاعن اللاهوتية

التوحيد والتثليث والأقانيم

اعترض الفادي على الآيات التي تبطل التثليث، وتكفر النصارى القائلين بأن الله ثالث ثلاثة.

والآيات التي ذكرها هي قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ لِيَأْخُذُوا بِكَ وَإِنِّي جَاعِلٌكَ إِلَهًا لِلَّذِينَ آمَنُوا مَا كَانَ لِيَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ ثَلَاثَةً فَكَفَرْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

تتهى الآية الأولى النصارى عن الغلو في دينهم، وعن المبالغة في النظر إلى عيسى عليه السلام، وتدعوهم إلى عدم تأليهه، وعدم إشراكه مع الله، فإن قالوا: آللهة ثلاثة، كانوا كافرين، وتخيرهم عن حقيقة عيسى عليه السلام، فهو رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، فحملت به ووضعته، وهو روح من عند الله، جعلها في جسده، فصار عيسى الرسول البشر عليه السلام.

وتصرح الآية الثانية بكفر النصارى الذين آمنوا بالتثليث، وقالوا: إن الله

ثالث ثلاثة آلهة، هي: الله وعيسى وأمه مريم، أو: الله وعيسى وجبريل.
 وتُخبرُ الآيةُ الثالثةُ عن السؤالِ الذي سيوجَّهه اللهُ إلى عيسى ﷺ يومَ
 القيامة، حيث سيقولُ له: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ: اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ؟ وسيُتبرأُ عيسى ﷺ ممن عبَدوهُ وألَّهوهُ.

وتلتقي الآياتُ مع آياتٍ غيرها على تقريرِ وحدانيةِ الله، ونفيِ وجودِ
 شركاءٍ معه، وكُفْرِ النَّصَارَى القائلين بالتثليث أو الثالوث!.

يُعرضُ الفادي على هذه الآيات، وينكرُ كونَ النَّصَارَى قائلين بثلاثةِ
 آلهة. قال: «يَتَضَحُّ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ مُحَمَّدًا سَمِعَ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الْبَدْعِ
 مِنَ النَّصَارَى أَنَّهُ يَوْجَدُ ثَلَاثَةَ آلِهَةٍ، هُمْ: اللَّهُ وَمَرْيَمُ وَعَيْسَى، فَرَدَّ عَلَى هَذِهِ
 الْبَدْعَةِ، وَكَرَّرَ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ»^(١).

يعترفُ الفادي في هذه الفقرة بوجودِ فرقةٍ من النَّصَارَى يقولون: اللهُ ثالثُ
 ثلاثة، هم: اللهُ، ومريمُ، وعيسى ﷺ، ويعتبرُ هذه الفرقةُ النصرانيةَ مبتدعةً...
 وقد ذَكَرَ الْقُرْآنُ ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ وَكَذَّبَ قَائِلِيهِ، وَهَذَا مَا ظَهَرَ وَاضِحًا صَرِيحًا فِي
 الْآيَاتِ السَّابِقَةِ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾، و﴿فَقَامُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ...﴾، و﴿بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ
 قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾.

ويُصرِّحُ الفادي في عبارته بأنَّ القرآنَ من تأليفِ الرسولِ ﷺ وليس من
 عندِ اللهِ، وذلك في قوله: «... أَنَّ مُحَمَّدًا سَمِعَ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الْبَدْعِ مِنَ
 النَّصَارَى أَنَّهُ يَوْجَدُ ثَلَاثَةَ آلِهَةٍ... فَرَدَّ عَلَى هَذِهِ الْبَدْعَةِ! فَالرسولُ ﷺ هو الذي
 سَمِعَ تِلْكَ الْبَدْعَةَ بِأُذُنَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي رَدَّ عَلَى تِلْكَ الْبَدْعَةِ، وَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ
 الْمَرَّةَ بَعْدَ الْأُخْرَى أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ! فَالْكَلَامُ كَلَامُهُ وَالرَّدُّ رَدُّهُ، وَالْقُرْآنُ مِنْ
 تَأْلِيفِهِ، وَلَيْسَ وَحِيًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُنَزَّلًا عَلَيْهِ!!».

مع أنَّ الآياتِ صريحةٌ في أنَّ الله هو الذي أُخْبِرَ عَنْ كُفْرِ النَّصَارَى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٣.

وتثليثهم. ولنقرأ هذه الآيات التي تتحدث عن نفس الموضوع. قال الله ﷻ:
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ
وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٧٨﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ صَرًا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿المائدة: ٧٢ - ٧٦﴾.

وزعم الفادي أن الوجدانية هي أساس الدين النصراني، وأنه لا يوجد
نصراني يعبد ثلاثة آلهة، قال: «وكل من له إمام بالتوراة والإنجيل يعرف أن
وجدانية الله هي أساس الدين المسيحي.. فقد قالت التوراة والإنجيل: «الرب
إلهنا رب واحد» [التثنية: ٤/٦. ومرقس: ٢٩/١٢] ولم يقل مسيحي حقيقي قط إن
العداء مريم إله، مع كل التقدير والمحبة لها»^(١).

وهذه دعوى كبيرة ادّعاها الفادي، ونرجو أن تكون صحيحة صادقة،
لكن وإعهم لا يصدقها ولا يتوافق معها.

ويشرح الفادي الثالث، ويجعله بمعنى التوحيد، ويّزعم أن القرآن اتفق
مع الإنجيل على القول به!! قال: «المسيحيون لا يعبدون ثلاثة آلهة، بل إلهاً
واحداً في وجدانية جامعة: هو الأب والابن والروح القدس، أو بعبارة
القرآن: الله وكلمته وروحه!! والكل في ذات واحدة»^(١).

النصارى حسب زعم الفادي يعبدون إلهاً واحداً في وجدانية جامعة،
تتعدد فيها الأقانيم الثلاثة: الأب والابن والروح القدس!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٣.

علماً أَنَّ الأَقَانِيمَ الثلاثةَ هي ثلاثُ ذواتٍ مُنفصلة، فالأَبُ عندهم هو الله، والابنُ عندهم هو عيسى، والروحُ القُدُسُ هو جبريلُ عليه السلام، فكيف صارت هذه الذواتُ والشخصياتُ المتباينةُ إليها واحداً جامعاً؟! .

وزعمَ الفادي المفتري أَنَّ القرآنَ يقولُ بالثالثِ المقدَّسِ مثلُ الإنجيلِ، والثالثُ القرآنيُّ هو: اللهُ وكلمتهُ وروحه!! .

وأينَ وردتْ هذه الكلماتُ الثلاثُ بهذا اللفظِ في القرآن؟ إنَّ الفادي كاذبٌ مُفتَرٍ مُدَّعٍ. قالَ اللهُ في القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ .

لا تتكلمُ الآيةُ عن ثلاثةِ أقانيم، وإنما تُبطلُ الأَقَانِيمَ الثلاثةَ، وتذكرُ حقيقةَ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام. وتصفه بثلاثِ صفات:

الأولى: أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ: جعله اللهُ نبيّاً رسولاً، وأرسله إلى بني إسرائيل .

الثانية: أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ . ومعنى كونِ عيسى عليه السلام كلمةَ اللهِ: أَنَّ اللهُ خَلَقَهُ بِكَلِمَةٍ «كُنْ» الكونيةِ التكوينيةِ، التي يَخْلُقُ بها سبحانه جميعَ المخلوقين. وهي الكلمةُ التي خَلَقَ بها أبا البشر آدمَ عليه السلام، وقد أشارَ لها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. أي: أَنَّ اللهُ خَلَقَ عِيسَى بِكَلِمَتِهِ «كُنْ»، فكانَ كما أرادَ اللهُ، كما خَلَقَ آدَمَ بِكَلِمَتِهِ «كُنْ»، فكانَ كما أرادَ اللهُ! .

ألقي اللهُ العَظِيمُ كلمتهُ «كُنْ» إلى مريمَ، فكانت المخلوقَ عيسى الرسولَ عليه السلام، حيثُ تَخَلَّقَ عيسى في رحمِها، ولما نَفَخَ اللهُ فيه الروحَ، وضعتهُ مولوداً بشراً .

وكلُّ المخلوقاتِ يَخْلُقُها اللهُ العَظِيمُ بكلمتهِ «كن»، التي خَلَقَ بها عيسى عليه السلام، وجاءَ هذا صريحاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يسر: ٨٢].

الثالثة: أَنَّهُ رُوحٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾. أَي: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ رُوحَ عِيسَى ﷺ، كَمَا خَلَقَ رُوحَ أَيِّ إِنْسَانٍ، سِوَاهُ كَانَ نَبِيًّا أَوْ إِنْسَانًا عَادِيًّا، وَأَمَرَ جَبْرِيلَ الرُّوحِ الْقُدُسَ أَنْ يَحْمَلَ رُوحَ عِيسَى الْمَخْلُوقَةَ، وَأَنْ يَنْفُخَهَا فِي مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ ﷺ، ففعل، وَحَمَلَتْ بِعِيسَى بِأَمْرِ اللَّهِ.

و«مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ بَيَانِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ تَبْعِيضِيَّةً، تُبَيِّنُ أَنَّ رُوحَ عِيسَى الَّتِي نُفِخَتْ فِي فَرْجِ مَرْيَمَ إِنَّمَا هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَقَدْ حَرَّفَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي صِفَاتِ عِيسَى ﷺ الثَّلَاثَةَ: «رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» لِتَكُونَ أَقَانِيمَ ثَلَاثَةً يُؤْمَنُ بِهَا النَّصَارَى: «اللَّهُ وَكَلِمَتُهُ وَرُوحُهُ»، وَكَذَّبَ الْمَفْتَرِي فِي قَوْلِهِ: «وَالكُلُّ فِي ذَاتِ وَاحِدَةٍ». فَالْأَقَانِيمُ الثَّلَاثَةُ: الْأَبُ وَالابْنُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ ثَلَاثُ شَخْصِيَّاتٍ مَنْفَصَلَةٍ، وَلَيْسَتْ ذَاتًا وَاحِدَةً.

أَمَّا الصِّفَاتُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ: «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ» فَهِيَ ثَلَاثُ صِفَاتٍ لِذَاتِ الْمَسِيحِ وَشَخْصِيَّةٍ ﷺ. فَالْمَسِيحُ رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ نَفْسُهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، خُلِقَ بِكَلِمَةِ «كُنْ» الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ نَفْسُهُ رُوحٌ مِنْ اللَّهِ، الرُّوحُ الَّتِي فِي بَدَنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَانْتَقَلَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي إِلَى افْتِرَاءٍ آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِالثَّلَاثِ، زَعَمَ فِيهِ التَّقَاءَ الْقُرْآنِ مَعَ الْإِنْجِيلِ فِي الْقَوْلِ بِالثَّلَاثِ!! قَالَ: «وَقَدْ اتَّفَقَ الْقُرْآنُ مَعَ الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ فِي إِسْنَادِ الْفِعْلِ وَضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ فِي صِيغَةِ الْجَمْعِ إِلَى اللَّهِ.. وَلَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ كَلَامٌ مَخْلُوقٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ تَكَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَحِدَةِ الْجَوْهَرِ مَعَ تَعَدُّدِ الْأَقَانِيمِ فِي الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ. فَمَثَلًا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿تَزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، وَوَرَدَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] بِصِيغَةِ الْمَفْرُودِ.. فَتُسِيرُ الصِّيغَةُ الْأُولَى إِلَى جَمْعِ الْأَقَانِيمِ، وَتُسِيرُ الصِّيغَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى تَوْحِيدِ الذَّاتِ..»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٣.

يَزْعُمُ الْمُفْتَرِي الْجَاهِلُ أَنَّ إِسْنَادَ ضَمِيرِ الْجَمْعِ إِلَى اللَّهِ الْأَحَدِ فِي الْقُرْآنِ دَلِيلٌ عَلَى «الثالوث المقدس»، وعلى تعدد الأقسام في الذات العلية الواحدة وَحِدَةً جَوْهَرًا! وما درى الجاهل أن هذه النون في ﴿زَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ لا تُسَمَّى نونَ الجمع، وإنما تُسمى «نونَ العَظْمَةِ»، فالله المتكلمُ واحدٌ أحدٌ، فَرُدَّ صَمَدٌ، وعندما يتكلمُ بضميرِ «نحن» - المنفصل أو المتصل أو المستتر - فإنما يُريدُ أَنْ يُعْظَمَ نَفْسَهُ . . وليسَ في الأمرِ تَعَدُّدُ أَقَانِيمِ أو شخصياتٍ أو جواهرٍ أو إراداتٍ . . إنما هو إِلَهُ واحدٌ سبحانه!! .

وَيَزْعُمُ الْمُفْتَرِي أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ كَلَامٌ مَخْلُوقٍ كَائِنًا مِنْ كَانَ تَكَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، وَهَذَا زَعْمٌ بَاطِلٌ مَنْقُوضٌ، وَيَكْفِي فِي تَكْذِيبِهِ تَذْكَرُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ لِلْهَيْكَلِ قَالَ سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَنَتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ فَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

لَمَّا حَرَّضَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ فِرْعَوْنَ عَلَى مُحَارَبَةِ مُوسَى، وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ هُوَ وَأَتْبَاعِهِ، رَدَّ فِرْعَوْنُ عَلَيْهِمْ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ، مَعَ أَنَّهُ شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَأُورِدَ فِي كَلَامِهِ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ: «سَنْقِيلُ»، و«نَسْتَحِيءُ»، و«إِنَّا»، و«فَاهِرُونَ». فكيف يدعي الفادي المفتري أنه لم يتكلم فرد مخلوق بصيغة الجمع في القرآن؟! .

وحتى يُقْنِعَنَا بِأَنَّ التثليث توحيدٌ لله، وَأَنَّ الْقُرْآنَ قَالَ بِالتثليثِ، قَدَّمَ كَلَامَ الْقُرْآنِ عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِي دَلِيلًا عَلَى التثليثِ، وَحَصَّ اسْمَ «الْوَدُودِ» بِالذِّكْرِ . . قال: «ومن أسماء الله الحسنى أنه الودود، لقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الْوُدُودُ﴾ [البروج: ١٤] فالوُدُ صفةٌ من صفاته، ومن معرفتنا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةُ أَرْزَلِيَّةٌ، نَسْتَدُلُّ أَنَّ هُنَاكَ تَعَدُّدُ أَقَانِيمِ فِي الْوَحْدَةِ الْإِلَهِيَّةِ، لِتَبَادُلِ الْوُدِّ بَيْنَهَا قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ شَيْءٌ . . وَإِلَّا فَفِي الْأَرْزَلِ اللَّانِهَائِي كَانَتْ صِفَةُ الْوُدِّ عَاطِلَةً عَنِ الْعَمَلِ، وَابْتَدَأَتْ تَعْمَلُ، فَبَدَأَ اللَّهُ «يُودُّ»، بَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسَ! . وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ

قابلاً للتَّغْيِيرِ!»^(١).

الْوَدُودُ من أسماءِ الله، والوُدُّ من صفاتِ الله، وتَقَوُّمُ هذه الصِّفَةُ على المحبَّة، فاللهُ وِدودٌ يُحِبُّ عِبَادَهُ، وَيُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ وَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ. وعلى هذا تكونُ «وَدود» صِفَةً مُشَبَّهَةً بمعنى اسمِ الفاعل، فهي بمعنى «وَادٌّ»، والوَادُّ هو المَحِبُّ المنعمُ المحسِنُ. ويمكنُ أَنْ تَكُونَ «ودود» بمعنى اسمِ المفعول «مَوْدود». أي: هو سبحانه المودودُ المحبوب، يُوَدُّهُ عِبَادُهُ وَيُحِبُّونَهُ، وَيَدْعُونَهُ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ.

ولا يَلِزُ من كونِ اللهِ وِدوداً تَعَدُّ الأَقَانِيمَ، لَأَنَّ الوُدَّ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بالموصوف، ﷻ، لا تَنفَصِلُ عنه، ولا تَتَحَوَّلُ إِلَى «أَقْنوم» آخَرَ غيرِ الله! . وهكذا باقي صِفَاتِ الله، كالعِلْمِ والرَّحْمَةِ والسَّمْعِ والبَصَرِ، فهي صِفَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لموصوفٍ واحد، فاللهُ عليمٌ، وهو نفسُه رَحِيمٌ، وهو نفسُه سَمِيعٌ بَصِيرٌ وِدودٌ.

ويُغَالِطُ الفادي في زَعْمِ الشِّرَاكَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَبِّهِمْ، عِنْدَ إِيمَانِهِمْ بِصِفَاتِ الله، تلك الشِّرَاكَةُ الَّتِي تَقُودُ لِإِيمَانِ بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ. قال: «وهل نَسْتَطِيعُ أَنْ نُوفِّقَ بَيْنَ الإِيمَانِ بِصِفَاتِ اللهِ الأَزَلِيَّةِ كَالسَّمْعِ وَالتَّكَلُّمِ، دُونَ الإِيمَانِ بِثَلَاثَةِ أَقَانِيمٍ فِي إِلَهٍ وَاحِدٍ؟ وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَمَلَأَ الفَجْوَةَ الهَائِلَةَ بَيْنَ عِلَاقَةِ الإِنْسَانِ بِاللَّهِ عَلَى غيرِ قَاعِدَةِ الأبُوَّةِ وَالبُنُوَّةِ، وَحَيَاةِ الشَّرِكَةِ المَعْلَنَةِ فِي عَقِيدَةِ الثَّلَاثِ القَوِيْمَةِ»!!.

ولا أدري كيفَ يَقُودُ الإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ إِلَى الإِيمَانِ بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ، إِنَّ اللهَ الوَاحِدَ الأَحَدَ الصَّمَدَ، هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ الحَلِيمُ السَّمِيعُ الحَيُّ القَيُّومُ... فهو سبحانه مُتَّصِفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ العَظِيمَةِ الجَلِيلَةِ، وَلِهَذِهِ الصِّفَاتِ الجَلِيلَةِ آثارٌ عَمَلِيَّةٌ، وَمَظَاهِرٌ إِيْجَابِيَّةٌ، تَتَعَلَّقُ بِحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ، وَهَذِهِ المَظَاهِرُ الإِيْجَابِيَّةُ لَا تَعْنِي الأَقَانِيمَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي يُؤْمَنُ بِهَا النِّصَارِيُّ، لِأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الآثَارِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٣ - ٧٤.

العملية لصفات الله، وبين الزعم بوجود ثلاثة كيانات، انبثق كلُّ كيانٍ عن الذي قَبْلَهُ، وكأننا أمام شخصياتٍ ثلاثة: الأبُّ والابنُ والروحُ القُدُسُ!! .

ويَدْعُو الفادي الجاهلُ إلى ملءِ الفجوة الهائلة بين الله والإنسانِ بالتثليثِ والشراكة: «ولا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَمَلَأَ الفجوةَ الهائلةَ بين علاقةِ الإنسانِ باللهِ على غيرِ قاعدةِ الأُبُوَّةِ والبنوةِ، وحياةِ الشركةِ المعلنةِ في عقيدةِ الثالوثِ القويمَةِ»!! .

وهذا هو أساسُ الانحرافِ عندِ النصارى، الذي دَفَعَهُم إلى الإيمانِ بالأقانيمِ الثلاثةِ والقولِ بالتثليثِ: إنه ملءُ الفجوةِ بينِ الله والإنسانِ، بحيثُ أدَّى ذلك إلى اتِّحادِ الخالقِ والمخلوقِ، وصارتُ حياةُ المخلوقِ انعكاساً للخالقِ، ومَظْهَراً مادياً عملياً له! .

وهذا هو ما تَمَيَّزَ به الإسلامُ، حيثُ حَرَصَتْ نصوصُه على عدمِ ملءِ الفجوةِ بينِ الله والإنسانِ، بل التأكيدُ المتواصلُ على الفضلِ الدقيقِ بينِ الخالقِ والمخلوقِ، والعايدِ والمعبودِ، ولذلك قَامَتِ العقيدةُ الإسلاميةُ على الإيمانِ بحقيقتينِ منفصلتينِ: حقيقةِ الألوهيةِ، وحقيقةِ العبوديةِ. فالرَّبُّ هو اللهُ وحْدَهُ، وما سواه ليسَ رَبّاً ولا إِلَهاً ولا مَعْبوداً، إنما هو عبدٌ مخلوقٌ ضعيفٌ عاجزٌ!! .

ووردَ هذا في آياتٍ عديدةٍ في القرآنِ، في مقدمتها سورةُ الإخلاصِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

ولا يلزمُ من الفضلِ التامِّ بينِ الخالقِ والمخلوقِ، والعايدِ والمعبودِ، واللهِ والإنسانِ تعطيلُ صفاتِ الله، أو السيرُ في الحياةِ بعيداً عن الله، فالمؤمنُ يستحضرُ دائماً عَظَمَةَ الله، ويشعُرُ بمعيَّتِهِ، ويأْتَسُّ به، ويعيشُ مظاهرَ صفاتِهِ الإيجابيةِ، ويرى آثارَها فيه وفيما حوله، فيعيشُ باللهِ واللهِ وفي الله ومع الله... لكنْ مع استحضاره الفرقَ البعيدَ بينه وبينِ الله، ويَقِينُهُ بأنَّ اللهَ متفردٌ في ذاته وصفاتِهِ وأفعالِهِ. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وبهذا نعرفُ جهلَ الفادي الجاهلِ وخطأه عندما زعمَ أنَّ عدَمَ القولِ بالثالوثِ معناهُ الإيمانُ باللهِ بدونِ الأنسِ الروحيِّ به، وهذا إيمانُ الشياطينِ. قال: «إنَّ الإيمانَ بالتوحيدِ المجرَّدِ بدونِ أنسٍ روحيٍّ باللهِ هو إيمانُ الشياطينِ أنتَ تؤمنُ أنَّ اللهَ واحدٌ؛ حسنًا تفعل. . والشياطينُ يؤمنونَ ويقشَعرون!»^(١).

إننا نؤمنُ باللهِ، ونوحِّدُ اللهَ، ونعتمدُ أنه متفرِّدٌ في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننكرُ الأقانيمَ التي يؤمنُ بها النَّصارى، ولا نجعلُ ذواتاً متولِّدةً عن ذاته، ولا نجعلُ أشخاصاً متفرِّعينَ عن شخصه، ونؤمنُ أنه سبحانه خلقَ كلَّ المخلوقاتِ بكلمةِ «كُنْ» التكوينية. . ونحنُ المسلمونَ أكثرُ النَّاسِ أنساً باللهِ، وسعادةً بذكِّره، وملاحظةً للأثارِ العمليةِ لصفاته العلية، واستحضاراً لعظمته ورعايته وقيوميته سبحانه.

ويُجهدُ الفادي الجاهلُ نفسه في إقناعنا بأنَّ الثالوثَ يعني الوحداية، وأنَّ التثليثَ يعني الوحدة، فيقول: «ومثل التثليثِ مثل العقلِ والفكرِ والقولِ، فهذه ثلاثةُ أشياءَ متميزةٌ غيرُ منفصلةٍ لشيءٍ واحد؟ والنارُ والنورُ والحرارةُ ثلاثةُ أشياءَ متميزةٌ غيرُ منفصلةٍ لشيءٍ واحد! فهل نستبعدُ وجودَ ثلاثةِ أقانيمَ متميزةٍ غيرِ منفصلةٍ في إلهٍ واحدٍ حسبَ إعلانِ كتابهِ المقدَّسِ؟»^(١).

إنَّ الفادي الجاهلَ يُشَبِّهُ الأقانيمَ الثلاثةَ: الآبَ والابنَ والروحَ القدُّسَ، بالعقلِ والفكرِ والقولِ، ويُشَبِّهها بالنارِ والنورِ والحرارةِ. وَوَجْهُ الشَّبْهِ هو التثليثُ والتمييزُ، وعدمُ الانفصالِ، والتَّوْحُّدِ!.

يريدُ الجاهلُ أنْ يُفْنِعنا أنَّ العقلَ والفكرَ والقولَ، وأنَّ النارَ والنورَ والحرارةَ، مثلُ اللهِ وعيسى وجبريل! صحيحٌ أنَّ العقلَ والفكرَ والقولَ ثلاثُ صفاتٍ لموصوفٍ واحدٍ، وهو ما يقوله الإنسانُ بعد تفكيرٍ، حيثُ يفكِّرُ الإنسانُ، ثم يُعملُ عَقْلَه، ثم يَنطقُ بما فَكَّرَ به، وكأنَّ القولَ يَمُرُّ بثلاثِ محطاتٍ: الفكرِ والعقلِ والفمِ. لكنَّه شيءٌ واحدٍ، هو القولُ!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٤.

وكذلك النار والنور والحرارة، فهي نارٌ، لكنّها موصوفةٌ بأنها نورٌ نظراً لإضاءةِها، وموصوفةٌ بالحرارةِ نظراً لحرارتِها، فالنورُ والحرارةُ صفتانِ لموصوفٍ واحدٍ، هو النارُ.

إنَّ المثلينِ اللذينِ أوردَهُما الفادي يوضّحانِ إيمانَ المؤمنِ بصفاتِ الله، كالعلمِ والحياةِ والسمعِ والبصرِ، فهي صفاتٌ لموصوفٍ واحدٍ هو الله سبحانه، ولا يَلزَمُ من تعدُّدِ الصفاتِ تعدُّدُ الذاتِ، كما أنها ليستُ صفاتٍ متميزة، لأنَّ كُلَّ صفةٍ تَلَحَّظُ معنًى من معاني الذاتِ الإلهية، فصفةُ العلمِ تَلَحَّظُ هذا المعنى، وصفةُ السمعِ تَلَحَّظُ هذا المعنى، وهكذا باقي الصفاتِ. ولا تَمَيِّزُ ولا انفصالَ بين هذه الصفاتِ، وإنما بينها تكاملٌ وتناسُقٌ، لأنها كُلُّها تدلُّ على ما يتصفُّ به اللهُ من صفاتِ الكمالِ والجلالِ.

ومن قال: إنَّ صِفَتِي النورِ والحرارةِ متميِّزتانِ؟ إنهما صِفَتانِ مُتكامِلتانِ للنارِ المشتعلة، لا يُمكنُ التمييزُ بينهما ولا التفريقُ، فالنورُ في النارِ مُتداخِلٌ مع الحرارة، إذ كُلُّ جُزءٍ من النارِ حارٌّ مضيءٌ، وتَجتمعُ فيه الإضاءةُ مع الحرارةِ!.

أما الأَقانيمُ الثلاثةُ التي يؤمنُ بها النصارى فإنَّها ليستُ صفاتٍ لموصوفٍ واحدٍ، إنما هي ثلاثةُ كياناتٍ متميِّزة منفصلة، فالآبُ عندهم هو الله، والابنُ عندهم هو المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ، والروحُ القُدسُ عندهم هو جبريلُ، فهل هذه الكياناتُ الثلاثةُ مثلُ: النارِ والنورِ والحرارةِ، أو مثلُ الفكرِ والعقلِ والقولِ؟ اللهم لا!!.

من هم الجاهلونِ إذنٌ؟ هل هم المسلمون الذين يقولون: اللهُ أحدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ له كُفْواً أحدٌ؟ أم هم النصارى الذين يقولون: الآبُ، والابنُ، والروحُ القُدسُ. ثلاثةُ أَقانيمٍ متميِّزة غيرُ منفصلةٍ عن الذاتِ الواحدة؟ مع أنها منفصلةٌ عن الذاتِ الواحدة!!.

وكذَّبَ المفتري الفادي في اتِّهامِهِ للقرآنِ وتخطئته له، وصدَّقَ اللهُ القائلُ

في القرآن: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. . . وَصَدَقَ اللَّهُ فِي نَصْحِهِ لِلنَّصَارَى قَائِلًا: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ﴾ !! .



الذنوب بين الاستغفار والتكفير والفداء

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ الصَّغَائِرَ إِنْ اجْتَنَبُوا الْكِبَائِرَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وجاء في صفات المؤمنين الفاتزين قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وأثارت الآيتان اعتراض الفادي، واعتبرهما من مبادئ القرآن الخاطئة، لأنهما تتعارضان مع مبدأ «الفداء» عند النَّصَارَى، وسَجَّلَ اعتراضه وتخطئته بقوله: «ونحن نسأل: هل من المعقول أن يغفر الله أو القاضي لمذنب ارتكب السرقة لأنه تجنَّب القتل؟ يؤكد الكتاب المقدس لنا أنه لا عُفْرَانٌ بغير الفادي المسيح، الذي قال عنه القرآن: ﴿ءَايَةٌ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]، فالإله القدوس العادل لا يمنح العفْرَانِ للخاطيء بدون كَفَّارَةٍ، ولا يصفح عنه بدون فداء! إنَّ العفْرَانِ بغير حساب استهتارًا بصفات الله القدوس الكاملة، فالعدل يُطلبُ قصاصَ الخاطيء، والرحمة تُطلبُ العفو عنه، وإجابة أحدِ المطلبين تعني تعطيلَ إحدى الصفتين!«^(١).

لا يُصدَّقُ الفادي المفترى القرآن في وَعْدهِ عُفْرَانِ الصَّغَائِرِ باجتنابِ الْكِبَائِرِ، مع أنه وَعَدُ قرآنيٌّ صريحٌ، يجزُمُ به المؤمنُ ويفرِحُ له، لأنه وَعَدُ اللهُ الذي لا يُخلفُ الميعادَ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٤.

وهذا من رحمة الله بالمؤمنين، فهو يَعْلَمُ أنه لا بُدَّ للمؤمن أن يَضَعْفَ
وَيَزِلَّ وَيُخْطِئَ وَيُذْنِبَ، وهو غيرُ معصومٍ من الأخطاءِ والذنوبِ، وبما أنه
يتجنبُ الكبائرَ، كالقتلِ والزنى والرِّبَا والسَّرِقَةَ والحَمْرَ، فإنَّ اللهَ يَغْفِرُ له
الصِّغَائِرَ اللَّمَمَ، التي يُلِمُّ بها بدونِ قَصْدٍ أو تَعَمُّدٍ، كالكلمةِ الخَطَأَ، والنظرةِ
الخَطَأَ، والموقفِ الخَطَأَ، والشعورِ الخَطَأَ، على أن يعترفَ بذنبه ويُسارعَ إلى
التوبةِ والاستغفارِ، ويُتبعَ السيئاتِ الحسناتِ لَتَمحوها وتذهبَ بها.. قال
تعالى: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْتَهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾
[هود: ١١٤].

هذا المبدأ القرآني لا يُعجبُ الفادي المفتري، واعتبره لا يتفقُ مع العقلِ
والمنطقِ، ومنطقه العقليُّ يُقرُّ أن اللهَ القُدوسَ العادلَ لا يَغْفِرُ للمخطئِ بدونِ
كَفَّارَةٍ، ولا يَصْفَحُ عنه بدونِ فِداءٍ! وإذا ظنَّ المسلمُ أن اللهَ يُمكنُ أن يَغْفِرَ له
بدونِ فِداءٍ أو كفارةٍ فهذا استهتارٌ منه باللهِ، لأنَّ اللهَ العادلَ لا يَرَحِمُ بدونِ
قصاصِ، ولا يَغْفِرُ بدونِ كَفَّارَةٍ أو فِداءٍ.

وهل يَقْتُلُ المذنبُ نَفْسَهُ لتكونَ كَفَّارَةٌ؟! وهل يَسْفِكُ دَمَهُ ليكونَ فِداءً؟! ..
لا داعي لذلك، فقد فدى الله ذنوبَ المذنبين السابقين واللاحقين بابنه الفادي
المسيح، الذي أذِنَ لليهود أن يَقْتُلُوهُ وَيَصْلُبُوهُ، ليكونَ قَتْلُهُ كَفَّارَةً لذنوبِ
المذنبين جميعاً، ويكونَ دَمُهُ المسفوكُ على الصليبِ كَفَّارَةً لجميعِ الذنوبِ!!.

وعلى المذنبين والعصاةِ والمخطئين أن يَفْرَحُوا وَيَطْمَئِنُوا، فاللهُ فداهم
بابنه الفادي، وروحُ الفادي كَفَّارَةٌ لذنوبهم، ولا يُطَلَّبُ منهم شيءٌ! لا توبةٌ ولا
استغفار، ولا اجتنابٌ للكبائرِ، ولا تَرْكُ للصغائرِ، ولا دَفْعُ للكفارات!!
ليَعْمَلُوا ما شاؤوا من الذنوبِ الكبيرةِ والصغيرةِ ولا يخافوا، فالمسيحُ الفادي
فداهم وفدى ذنوبهم بنفسه!.

اعتبرَ الفادي المفتري القرآنَ مخطئاً عندما دعا المسلمين إلى تَجَنُّبِ
الكبائرِ، وإلى فَعْلِ الحسناتِ، وإلى التوبةِ والاستغفارِ، هذا كله لا داعي له،
والبركةُ في المسيحِ الفادي، الذي فداهم بنفسه!!.

واستشهدَ الفادي المفتري على هذا الفداءِ العجيبِ بالقرآن، حيثُ أَخْبَرَ
 أَنَّ اللهَ جعلَ المسيحَ آيةً ورحمةً. قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا
 وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]. فالمسيحُ رحمةٌ من الله للناس، لأنه فداهم
 بنفسه، ورضيَ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصَلَّبَ ليخلصَهم من ذنوبهم!!.

وهذا فهمٌ خاطئٌ وتفسيرٌ منحرفٌ للآية، فاللهُ أَخْبَرَ أَنه سيجعلُ المسيحَ ﷺ
 آيةً منه للناس، لأنه خَلَقَهُ بدونِ أب، وبغيرِ الطريقةِ المعتادةِ للولادةِ والنَّسْلِ،
 فكانَ خَلْقُهُ ونُموُّه في رَحِمِ أُمِّه آيةً دالةً على وحدانيةِ اللهِ وقدرتهِ.

واللهُ جعلَهُ رحمةً منه للناس، وليستُ رحمةً الناسِ به لأنه فدى الناسَ بدمِهِ،
 وقُتِلَ وصُلِبَ من أجْلِهِم، فهذا لم يَحْضَلْ، وهو الآنَ حَيٌّ في السماءِ.. إنما هو
 رحمةٌ لهم بنبوتهِ ورسالتهِ، وبالإنجيلِ الذي أنزله اللهُ عليه ليكونَ هدىً للآخرين.

وكلُّ رسولٍ أرسلَهُ اللهُ رحمةً للذينَ أرسلَ إليهم. ولهذا خاطبَ اللهُ
 رسولنا محمداً ﷺ بهذا، فقالَ له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
 [الأنبياء: ١٠٧].

وأكدَ الفادي فكرَه الكنسيِّ في جعلِ قَتْلِ عيسى وصلبِهِ - كما يفهمُ
 النَّصارى - توفيقاً بينَ عدلِ اللهِ في القصاصِ ورحمتهِ بالعفو! قال: «والمسيحيةُ
 تكشفُ الستارَ عن حكمةِ اللهِ المطلَّقة، فعن طريقِ قُدرةِ اللهِ غيرِ المحدودةِ جاءَ
 التَّجَسُّدُ، وعن طريقِ الصلبِ جاءَ التوفيقُ بينَ عدلِ اللهِ الكاملِ ورحمتهِ
 الكاملة. قالَ الإنجيل: «إِنَّ الناموسَ بِموسى أُعْطِيَ، أما النعمةُ والحقُّ فينسوعَ
 المسيحِ صارا..» [يوحنا: ١٧/١]»^(١).

إننا نرفضُ هذا الفكرَ الكنسيِّ حولَ الخَلاصِ والتكفيرِ والفداءِ، لأننا نؤمنُ
 أَنَّ اللهُ عَصَمَ رسولَهُ عيسى ﷺ من أعدائه، فلم يَقتلوه ولم يَصلبوه، فليسَ
 هناكَ قَتْلٌ ولا صَلْبٌ ولا فداءٌ ولا تكفير!!.

وهذا معناه أَنَّ كُلَّ مَنْ عصى أو أذنبَ عليه أَنْ يَتَوَبَ إلى اللهِ وَيَسْتَغْفِرَهُ،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٤ - ٧٥.

ليُغْفِرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْكِبَائِرَ لِيُكَفِّرَ اللهُ لَهُ الصَّغَائِرَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ.

وقد اعترضَ الفادي المتحاملُ على القرآنِ في تقريره أنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئاتِ، واعتبرَ هذا لا يَتَّفِقُ مع عدلِ الله، ولا يُريحُ ضميرَ المسلمِ العاصي. لنقرأ قوله العجيب: «أَمَا قَوْلُ الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فهو لا يَتَّفِقُ مع قَدَاسَةِ اللهِ وَعَدْلِهِ، ولا يُعْطِي الضميرَ راحةً ولا سَلاماً ولا شُعوراً بِفَرَحِ الْغُفْرَانِ»^(١).

وهذا تَوَقُّحٌ من الفادي على القرآن، وتخطئةٌ صريحةٌ له، واتهامٌ له بأنه لا يَتَّفِقُ مع عدلِ الله وقَدَاسَتِهِ، ولا أدري لماذا؟! أليس اللهُ الرَّحِيمُ هو الذي قَضَى أَنْ تُذْهِبَ الْحَسَنَاتُ السَّيِّئَاتِ؟! وماذا في ذلك طالما أنه أَمْرُ اللهِ وَقَضَاؤُهُ؟! وهو الْفَعَالُ لما يُريدُ سبحانه.. أليس اللهُ هو الْعَزِيزُ الْغَفُورُ، الذي يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ؟ أليس اللهُ هو التَّوَابُ الذي يَتُوبُ على عِبَادِهِ التَّائِبِينَ؟ لماذا يَدَّعي المفتري أنَّ هذا كُلُّهُ لا يَتَّفِقُ مع عدلِ الله!؟

وَدَّعي الفادي المفتري أنَّ مفهومَ الذنبِ والتوبةِ والاستغفارِ في الإسلامِ لا تُعْطِي ضميرَ المسلمِ راحةً ولا سَلاماً ولا فرحاً.. وقد نَقَلَ أقوالاً عن رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه، كأبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ رضي الله عنهم، تُعَبِّرُ عن ما كانوا يَعيشونَهُ من قَلْبٍ واضطرابٍ واكتئابٍ وإحباطٍ.. وهذه الأقوالُ مَكْذُوبَةٌ لم تَصُدْرَ عنهم، أو لعلَّ بَعْضُهَا صَدَرَ عَنْهُمْ لَكِنَّ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَسَاءَ فَهَمَّهَا وتَأْوِيلُهَا وتفسيرُها^(٢).



ما هي مصادر القرآن البشرية؟

يرى الفادي المفتري أنَّ القرآنَ ليس كلامَ اللهِ، وإنما أَخَذَهُ رسولُ اللهِ ﷺ من مَصادِرٍ بَشَرِيَّةٍ حَوْلَهُ! وَزَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَثْبُتُ أَمَامَ التَّدْبِيرِ وَالْبَحْثِ وَالْفَحْصِ.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٦.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٥.

وقد دعانا الله أن نتدبر القرآن لمعرفة تناسقه وصحته وصوابه، وخُلوه عن الخطأ والتناقض والاختلاف والاضطراب، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وعلق الفادي على الآية بقوله: «وهل يحتمل القرآن التدبر والفحص؟ وهل يقبل المسلمون مبدأ البحث للوقوف على حقيقة القرآن؟.. لقد دلت الأبحاث أن محمداً أخذ القرآن وشرائعه من الصابئين، وعرب الجاهلية، واليهود، والمسيحيين، وعن تصرفاته التي جعلها سنة لغيره»^(١).

هكذا إذن! القرآن في نظر المفتري لا يضمّد أمام الفحص والبحث والتدبر! وقد دلت الأبحاث على أن القرآن بشري المصدر، أخذه محمد ﷺ من الناس الذين حولته، كالعرب واليهود والصابئين.. ولم يُخبرنا الفادي المفتري من هم الذين قاموا بتلك الأبحاث، ولا كيفية قيامهم بها، ولا مكانها وزمانها ونتائجها.

وللتدليل على دعواه عرّض نماذج من ما أخذه محمد عن كل من: الصابئين والعرب واليهود والنصارى وعاداته الشخصية! لننظر في النماذج التي قدّمها:

أولاً: ما أخذه عن الصابئين:

رَعَمَ الفادي المفتري أن الرسول ﷺ اعتبر الصابئين أصحاب دين سماوي، وأدخلهم الجنة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. وقال أيضاً بنفس الفكرة في سورة البقرة (٦١)، وسورة الحج (١٧)...

هل هذه الآية اعتراف بدين الصابئين، وتقرير أنهم على حق، وأنهم من

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٦.

أهل الجنة؟ إنها تذكُر الصابئين مع اليهود والنصارى، فهل كلُّ اليهود مؤمنون في الجنة؟ وهل كلُّ النصارى مؤمنون في الجنة؟ كلا. لا يُعْتَبَرُ مؤمناً مقبولاً من الصابئين واليهود والنصارى إلا مَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخرِ وعملَ صالحاً!.

ومتى يكونُ الإيمانُ بالله صحيحاً كاملاً؟ لا يكونُ صحيحاً مقبولاً إلا إذا آمَنَ صاحبه بكلِّ رسلِ الله وأنبيائه، وبكلِّ كتبه، فمن لم يؤمن بنبوة رسولٍ من رسله لم يُقْبَلْ إيمانه كُلُّه، ومن لم يؤمن بأحدِ كُتبه التي أنزلها على رسله لم يُقْبَلْ إيمانه كُلُّه. . . فهل الصابئون واليهود والنصارى يؤمنون بكلِّ كُتبِ الله ورسله؟ الجوابُ بالنفي!!.

لا يؤمنُ الصابئون بدينِ اليهود والنصارى والمسلمين، فهم كافرونٌ مُخَلَّدون في جهنم. . . ولا يؤمنُ اليهود بدينِ النصارى، وينكرون رسالة عيسى وكتابه الإنجيل، كما يُنكرون رسالة محمد ﷺ والقرآن المنزَّل عليه. فهم كفارٌ لم يؤمنوا بالله حقاً. . . أما النصارى فإنهم لا يؤمنون بالله حقاً، لأنهم لا يؤمنون أنَّ القرآنَ كلامُ الله، ولا أنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ.

أما نحنُ المسلمون فإننا وَحَدنا الذين نؤمنُ بالله حقاً، ونُحَقِّقُ أركانَ الإيمانِ كاملة، فإننا نؤمنُ بكلِّ الرسلِ الذين أرسلهم الله، وفي مقدمتهم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ونؤمنُ بكلِّ الكتبِ التي أنزلها الله، ومنها التوراة والإنجيل والقرآن.

وعندما ننظرُ في الآيةِ موضوعِ الحديث، فإننا نراها تُقَدِّمُ لنا المسلمين باعتبارهم الأمة التي حَقَّقَت الإيمانَ الصحيحَ الكامل، أما الأممُ الأخرى فإنَّ الواحدة منها لا تُقْبَلُ إلا إذا كانَ إيمانها مثلَ إيمانِ المسلمين. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٧].

وتتكوَّنُ الآيةُ من جملتين: الجملة الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. والمراد بالموصولِ وصلته ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المسلمون. وخبرٌ «إِنَّ» محذوف، والتقدير: إنَّ المؤمنين مفلحون. . .

والجملة الثانية: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ﴾. . فالواو في: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ حرف استئناف وليس حرف عطف.
 ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ مبتدأ. ﴿وَالصَّيِّئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ معطوف عليه. والخبر هو: ﴿مَنْ
 آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

ومعنى هذه الجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: المؤمنون من هذه الطوائف: اليهود والصابئين والنصارى،
 هم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر. . ولئن يكونوا مؤمنين بالله حقاً إلا إذا آمنوا
 بكل كتبه وخاتمها القرآن، وآمنوا بكل رسل الله، وخاتمهم محمد ﷺ.

وليس في هذه الآية ثناء على الصابئين، وشهادة لهم بأنهم من أهل
 الجنة، كما زعم الفادي المفتري.

وكذب الفادي المفتري عندما زعم أن الإسلام أخذ عقيدته عن
 الصابئين! وذلك في قوله: «وقد نقل الإسلام عنهم عقائدهم، المعمول بها فيه
 إلى الآن!!»^(١).

ولم يجد المفتري دليلاً على دعواه الكبيرة الضالة، إلا كلاماً مجملاً
 نقله من كتاب «بلوغ الأرب في أحوال العرب» للآلوسي، ولم يُقدّم الآلوسي
 دليلاً على كلامه، واكتفى بادعاء أن للصابئة خمس صلوات مثل صلوات
 المسلمين، ويصلون على الجنازة مثل صلاة المسلمين عليها، ويصومون ثلاثين
 يوماً مثل المسلمين، ويتوجهون في صلاتهم نحو الكعبة، ويحرمون الميتة
 والدم ولحم الخنزير، ويحرمون زواج المحرمات من القربيات مثل المسلمين!!
 وهب أن هذا الكلام صحيح فهل معناه أن الإسلام أخذ عنهم عقائدهم؟
 إن «الصابئين» فرقة صغيرة قليلة العدد، لا يتجاوز عدداً أفرادها بضعة آلاف،
 وهم مقيمون في العراق، ولعلمهم تأثروا بالإسلام على مدار التاريخ الإسلامي،
 فأخذوا منه بعض أحكامه وتشريعاته. . أما أن يكون الإسلام هو الذي أخذ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٦.

عنهم عقائدهم وأحكامهم، فهذا ادعاء كبير ليس عليه دليل .
وبهذا نرى أن القرآن لم يأخذ من الصابئين شيئاً، وأن الفادي كاذب
مفتري عندما ادعى ذلك!! .

ثانياً: ما أخذه عن عرب الجاهلية:

نقل الفادي المفتري أقوالاً عن بعض العلماء المسلمين عن أحوال
العرب الجاهليين الدينية، مثل الشهرستاني في الملل والنحل، والألوسي في
نهاية الأرب، وزعم أن الإسلام جاء بها واعتمدها، وأن محمداً ﷺ أخذها
عنهم، وبذلك صارت حياة العرب الجاهلية من مصادر القرآن، وهذا معناه أن
القرآن من عند محمد ﷺ، وليس من عند الله!! .

ومما نقله عن الشهرستاني والألوسي عن أحوال العرب الدينية في
الجاهلية: كانوا يُحرمون الجمع بين الأختين، ويُحرمون نكاح زوجة الأب،
ويحججون ويعتمرون، ويطوفون ويسعون، ويغتسلون من الجنابة، ويقومون
بتقليم الأظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة، ويقطعون يد السارق اليمنى . .
وكانوا يلتزمون بدين إبراهيم وإسماعيل ﷺ، وكانوا يؤخدون الله ولا يشركون
به أحداً، ويصلون ويصومون ويؤزكون ويحججون، ثم طراً عليهم الشرك بعد
ذلك^(١) .

وليس غريباً أن يلتزم العرب الجاهليون بدين إبراهيم وإسماعيل ﷺ،
فقد بعث الله إسماعيل رسولاً إليهم ﷺ، والبيت الذي بناه إبراهيم
وإسماعيل ﷺ ما زال موجوداً بينهم، وقد كانوا مؤخدين لله فترة من الزمان،
ثم طراً عليهم الشرك بعد ذلك، عندما أدخل عمرو بن لحي عبادة الأصنام
عليهم، ووضع الأصنام في الكعبة، وحتى بعد شركهم بالله، بقيت فيهم بعض
الأحكام والقيم والأعراف الصحيحة، التي أخذوها عن شريعة إسماعيل ﷺ .

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص ٧٧.

وليس غريباً أن يأتي الإسلام بتلك الأحكام والتشريعات، وأن يكون مُصَدِّقاً لها، لأنَّ الله بعث إسماعيل عليه السلام رسولاً، كما بعث محمداً عليه السلام رسولاً، فالشريعة التي جاء بها إسماعيل هي من عند الله، والشريعة التي جاء بها محمد عليه السلام هي من عند الله أيضاً، والشرائع التي بعث الله بها الرسل يُصَدِّقُ بعضها بعضاً، مع أنَّ كلَّ شريعةٍ قد تختصُّ بما لم يوجد بالشرائع قبلها.

وقد جاء عيسى مُصَدِّقاً لما جاء به موسى قبله، عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وجاء القرآن مُصَدِّقاً وموافقاً لما سبَّقه من الكتب الربانية، فيما لم يُحرَّف منها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكون القرآن مُصَدِّقاً للتوراة والإنجيل ليس معناه أنه أخذ حقائقه وأحكامه منهما، ولا يقول هذا إلا جاهلٌ متحاملٌ مثل هذا الفادي المفتري. وكون الإسلام موافقاً لشريعة إسماعيل عليه السلام لا يعني أن محمداً عليه السلام أخذ رسالته من العرب الجاهليين، كما قال هذا المفتري، إنما يعني توافق الرسالتين والشريعتين: رسالة إسماعيل وشريعته، مع رسالة محمد وشريعته، عليهما الصلاة والسلام، لأنهما من عند الله.

ثالثاً: ما أخذه عن اليهود:

ادَّعى الفادي المفتري أنَّ التوراة وأسفار العهد القديم كانت أحد مصادر القرآن، وأنَّ الرسول عليه السلام أخذ القصص الكثيرة التي سجَّلها في القرآن عن أسفار العهد القديم!! وهذا يعني أنها كانت بين يديه، يقرأ فيها ويختار منها، وينقل عنها، وينسبها إلى الله! وما كان الرسول عليه السلام قارئاً ولا ناقلاً ولا كاتباً. وأشار الله إلى أمميته الدالة على نبوته ورسالته، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ

كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِمِيزَانِكَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ولنقرأ دعوى الفادي الباطلة؛ قال: «في التوراة قصة آدم وقاين وهابيل ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط ويوسف وموسى وفرعون وبني إسرائيل والمن والسلوى والوصايا العشر والتابوت، وشريعة العين بالعين والذبايح، وقصة الجواسيس وقورح وبلعام وجدهون وصموئيل وشاول وداود وسليمان وإيليا واليشع وأيوب. واقتطف القرآن من أقوال داود وأشعيا وحزقيال ويونان وغيرهم. وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾»^(١).

القَصَصُ المذكورة في القرآن أَخَذَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ من التوراة، في زعم هذا المفتري، ودليله على هذه الدعوى وجود تلك القَصَصِ في التوراة ووجودها في القرآن، وهذا يعني أَنَّ الكتاب المتأخر أَخَذَهَا من الكتاب المتقدم!!.

وعندما ننظر في حديث القرآن عن القصة من قَصَصِ السابقين وحديث التوراة عنها فإننا نجد فرقا واضحا بين الحديتين، ولا يلتقيان إلا في ذكر عنوان القصة ومجمليها، ولكنهما يختلفان في التفاصيل، ويظهر هذا في كل قصة ذكرها القرآن، كقصة آدم وقصة نوح وقصة إبراهيم وقصة يوسف وقصة موسى!

والفادي نفسه اعترف بالفرق بين حديث القرآن وحديث التوراة عن قَصَصِ السابقين، واعتبر هذا الفرق دليلا على وقوع الأخطاء التاريخية في القرآن، وسبق أن ناقشناه في تلك الأدعاءات.

وعجيب موقف هذا الفادي وفهمه الأعوج، فإذا وافق القرآن التوراة في حديثه عن قَصَصِ السابقين قال: أَخَذَ مُحَمَّدٌ القرآن عن التوراة، ونقل ما فيها! وإذا خالف القرآن التوراة في بعض التفاصيل قال: أخطأ القرآن في حديثه لأنه خالف التوراة!! المهم أَنَّ القرآن عندهم متهم على كل حال، سواء وافق التوراة أو خالفها!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٧ - ٧٨.

إنَّ وجودَ فروقٍ بينَ حديثِ القرآنِ وحديثِ التوراةِ عن قصصِ السابقين دليلٌ على أنَّ القرآنَ وحيٌّ من عندِ الله، ولو كانَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ لَنَقَلَ كُلُّ ما وَجَدَهُ أَمَامَهُ، سواءَ كانَ خَطَأً أو صَوَاباً.

وأشارَ القرآنُ إلى هذهِ الحقيقةِ، واعتبرَ ذَكَرَ أحداثِ القصةِ في القرآنِ دليلاً على أنه من عندِ الله. قال تعالى في خاتمةِ قصةِ نوح في سورةِ هود: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

وقال في خاتمةِ قصةِ يوسف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقال في حديثه عن قصةِ موسى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفُرْقَيْنِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنَ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٤٤ - ٤٦].

ومن مُغالطاتِ الفادي المفتري أنه أرادَ أن يجعلَ القرآنَ نفسه شاهداً على أنه مأخوذٌ من التوراةِ، فذَكَرَ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] شاهداً على ذلك.

قَطَعَ الآيةَ عن سياقها لِيُسيءَ الاستدلالَ بها، وهي واردةٌ في سياقِ آياتٍ تتحدَّثُ عن مصدرِ القرآنِ، وتجزمُ بأنه من عندِ الله. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٧].

وليس معنى قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ أن مادةَ هذا القرآنِ مأخوذةٌ من زُبُرِ الأوَّلِينَ، وكتبَ الأنبياءُ السابقين، كالتوراةِ والزبورِ والإنجيلِ، ولكن معناها أن القرآنَ مُصدِّقٌ للكتبِ الربانيةِ السابقةِ، المنزَّلةِ على الأنبياءِ السابقين،

وموافق لها في ما قدّمته من حقائق عقيدية وأخلاقية وعلمية.

رابعاً: ما أخذه عن النصارى:

زعم الفادي أنّ الإنجيل كان أحد المصادر التي أخذ محمد ﷺ منه مادة القرآن! وقال في زعمه: «أخذ القرآن عن الإنجيل قصة بشارة الملاك لذكريا عن يوحنا، وقصة بشارة الملاك لمريم العذراء عن ميلاد المسيح، وعن اسمه الكريم كلمة الله، وعن مسح بالروح القدس وتعاليمه، ومعجزاته من حيث شفاء الأبرص، وتفتيح عين الأعمى، وإقامة الموتى، ورفض اليهود له، وموته، وارتفاعه للسماء، وشهادة الرسل والكنيسة والقساوسة. . . واقتطف من أقوال بولس الرسول من رسائله لأهل رومية وكورنثوس وغلاطية وفيلبي وتسالونيكي والبرانيين. . . واقتطف من أقوال يعقوب الرسول وبولس الرسول ويوحنا الرائي. . .»^(١).

وما قلناه في المبحث السابق نقوله هنا، فالقرآن موافق للإنجيل الحق الذي أنزله الله على عيسى ﷺ، ومصدق له، لأنّ الاثنين من عند الله، وكُتِبَ الله يُصدق بعضها بعضاً، وتتوافق فيما تعرضه من معلومات وأخبار وحقائق.

صدق القرآن الإنجيل في الأخبار عن بشارة زكريا بيحيى ﷺ، وعن نذر أمّ مريم وولادتها لها، وعن بشارة مريم بعيسى، ومجيء جبريل ﷺ لها، وعن حملها بعيسى وولادته، وعن كون عيسى ﷺ عبد الله ورسوله، وعن آياته التي آتاه الله إياها، وعن دعوته لبني إسرائيل، وعداوتهم له، ومحاولتهم صلبه، وإنجاء الله له، وعن تبشيره بالنبى الخاتم محمد ﷺ.

ومع كون القرآن مُصدّقاً للإنجيل في هذه الموضوعات، إلا أنّ هناك فروقاً بين القرآن والأنجيل الموجودة في ذكر بعض التفصيلات، ولعلّ السبب

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٨.

في ذلك هو تحريفُ النصارى لأناجيلهم، وإضافةُ كلامهم إلى كلامِ الله فيها، وتسرُّبُ الخطأِ إليها، ولذلك لا يُتابعها القرآنُ في تلك الأخطاء!!.

ووجودُ هذه الفروقاتِ بين القرآنِ والأناجيلِ دليلٌ على أنَّ القرآنَ وَحْيٌ من عندِ الله، فلو أخذَ محمدٌ ﷺ مادَّته من الأناجيلِ لأخذَ كُلَّ ما فيها، سواء كان خطأً أو صواباً! وهذا أمرٌ يعترفُ به كلُّ مُنصفٍ محايدٍ، يُفكرُ بعقله ويبحثُ عن الحق!!.

خامساً: ما أخذه من تصرفاته:

زَعَمَ الفادي المفتري أنَّ محمداً ﷺ ملأَ القرآنَ بأخباره وسيرته وتصرفاته وأعماله. قال: «يحيوي القرآنُ الكثيرَ من أحوالِ محمدٍ الشخصية، التي جعلها سنَّةً لأتباعه، فذكَّرَ فيه غزواته وحوادثَ زوجاته، عائشة وزينب وخديجة ومارية القبطية وحفصة وأم هانئ وغيرهن. . . ودَوَّنَ ما أصابه من أثرِ السِّحْرِ وتعوذاته منه، وسَجَّلَ بعضَ أقوالِ الصحابة، وقال: إنها تنزيلُ الحكيمِ العليم!!»^(١).

إنَّ مزاعمَ الفادي باطلَةٌ تافهة، فالقرآنُ ليس «سيرةً ذاتيةً» لمحمدٍ ﷺ، سجَّلَ فيها تفاصيلَ حياته ودقائقَ أعماله، وليس كتابَ «مذكَّرات»، دَوَّنَ فيها كلَّ ما جرى له، كما يفعلُ الذين يكتبونَ مُذكَّراتِ حياتهم!! وإنَّ الحديثَ عن حياةِ الرسولِ الخاصةِ ﷺ قليلٌ في القرآن. فقد حَزِنَ ﷺ كثيراً لموتِ زوجته خديجةَ ﷺ قبلَ الهجرة، حتى سُمِّيَ ذلك العامُ عامَ الحزن، وحَزِنَ لموتِ ابنه إبراهيمَ بعدَ الهجرة. . . ولم يتحدَّثَ القرآنُ عن موتِهما، ولا عن حُزْنِ الرسولِ ﷺ، ولو كان القرآنُ من تأليفه لوجدنا فيه صفحاتٍ في رثائهما ونعيهما ومشاعره تجاههما!.

أمَّا حديثُ القرآنِ عن جهادِ الرسولِ ﷺ لأعدائه فهذا لا غرابةَ فيه. فقد تحدَّثَ القرآنُ عن دعوةِ الرسولِ ﷺ وتبليغِهِ، وعن موقفِ أعدائه المشركين

(١) هل القرآنُ معصوم؟، ص ٧٨.

والمنافقين واليهود منه، وعن مواجعتهم له، ومحاولاتهم القضاء عليه وعلى دعوته، وعن جهاده لهم وانتصاره عليهم، وجعل ذلك كله عبرة وعظة لأصحابه الذين عاشوا معه، والمؤمنين الذين سيأتون من بعده، ولذلك قال تعالى في تعقيبه على أحداث إجلاء بني النضير: ﴿فَاعْتَرُوا بِتَأْوِيلِ الْأَبَصْرِ﴾ [الحشر: ٢].

إن القرآن كتاب تعليم وتوجيه، وكتاب هداية وبيان، وكتاب تربية وتزكية، وكتاب تشريع وتكليف، وكتاب جهاد ومواجهة، وحقق القرآن هذه المقاصد الحية بمختلف الوسائل والأساليب، ومنها ذكر أحوال الرسول ﷺ وأحوال أصحابه وأحوال أعدائه، وجعل ذلك وسيلة لبيان فضل الله على المسلمين، ومعيته لهم، وحفظه لهم ورعايتهم، وتوجيههم إلى محبة الله وذكره وشكره.

وقد أخطأ الفادي المفترى عندما عدَّ أم هانئاً ﷺ ضمن أزواج النبي ﷺ، مع أنه لم يتزوجها. وكذب كذبة فاجرة عندما ادعى أن محمداً ﷺ سجّل في القرآن بعض أقوال الصحابة، زاعماً أنها وحي من الله إليه! وتحداه أن يثبت هذا الافتراء!!.



هل صلاة الجمعة من تشريع الجاهلية؟

اعترض الفادي المفترى على مشروعية صلاة الجمعة في القرآن، وادعى أنها من تشريع الجاهلية.

وقد أمر الله المؤمنين بصلاة الجمعة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ٩ - ١١].

نَقَلَ الفادي عن تفسيرِ البيضاويِّ أَنَّ يومَ الجمعةِ في الجاهليةِ كان يُسَمَّى يومَ العروبةِ، وقيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَمَّاهُ يومَ الجمعةِ كَعَبُ بْنُ لُؤَيٍّ، أَحَدُ أَجْدَادِ قريشٍ، لِأَنَّ النَّاسَ كانوا يَجْتَمِعُونَ إليه فيحَدِّثُهُم عند الكعبةِ. وقالَ البيضاويُّ: إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّىهَا رسولُ اللهِ ﷺ كانت عندَ قدومه المدينة حيثُ أدركته صلاةُ الجمعةِ قُبيلَ المدينة، فَصَلَّاهَا في تَجْمَعٍ للمسلمين في وادٍ لبني سالم بن عوف.

وَتَقَلَ عن كتابِ بُلُوغِ الأربِ للألوسي أَنَّ كَعَبَ بْنَ لُؤَيٍّ كانَ يَجْمَعُ قريشاً في ذلك اليومِ حولَ الكعبةِ، وَيَخْطُبُ فيهم، ولذلك سماهُ يومَ الجُمُعَةِ. وَعَلَّقَ الفادي الجاهلُ على ذلك النقلِ بقوله: «فيومُ الجمعةِ مصدرُهُ عَرَبُ الجاهليةِ، ومن وَضَعَ كَعَبِ بْنَ لُؤَيٍّ، وليس من وحيِ السماء»^(١).

نُبَادِرُ إلى القولِ: لم يَثْبُتْ بروايةٍ معتمدةٍ ما قاله البيضاويُّ والألوسيُّ عن وجودِ اسمينَ ليومِ الجمعةِ، وعن سببِ تغييره من يومِ العروبةِ إلى يومِ الجمعةِ، وعن أَنَّ كَعَبَ بْنَ لُؤَيٍّ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ قريشاً وخطبَ فيهم حولَ الكعبةِ، وكانَ هذا قبلَ ولادةِ الرسولِ ﷺ بعشراتِ السنين. وبما أَنَّ هذا القولَ لم يَثْبُتْ عندنا، فإننا نتوقفُ فيه، فلا نُكذِّبُه ولا نُصدِّقُه.

وَهَبْ أَنَّ القولَ صحيحٌ، فإنه لا يُؤَدِّي إلى النتيجةِ الخاطئةِ التي خرجَ بها الفادي الجاهلُ منه!! وأقصى ما يدُلُّ عليه أَنَّ يومَ الجمعةِ سُمِّيَ بذلك قبلَ ميلادِ الرسولِ ﷺ بعشراتِ السنين، وَأَنَّ العربَ الجاهليينَ كانوا يَجْتَمِعُونَ فيه ويتحدَّثون!! وأينَ هذا من مشروعيةِ صلاةِ الجمعةِ، التي أمرَ اللهُ المسلمين أنْ يُؤدِّوها فيه!؟.

نعم مصدرُ يومِ الجمعةِ عربُ الجاهليةِ، وهم سَمَّوهُ بهذا الاسمِ قبلَ الإسلامِ بعشراتِ السنين، كما أنهم سَمَّوا باقي أيامِ الأسبوعِ بأسمائها في ذلك الزمنِ البعيد. . ولم يدَّعِ المسلمونَ أَنَّ اسمَ يومِ الجمعةِ جاءَ وحيًا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٩.

من السماء، حتى يُسَجَّلَ الجاهلُ اعتراضه وتخطئته للقرآن!.

لما بعث الله محمداً رسولاً ﷺ وأنزل عليه القرآن، كان هذا اليوم يُسمَّى يومَ الجمعة، ولم يُسمَّه القرآن يومَ الجمعة، والجديد في الأمر أن الله شرع فيه صلاةَ الجمعة، وكان تشريعها قبيلَ دخولِ الرسولِ ﷺ المدينةَ يومَ الهجرة، ثم أنزل الله سورةَ الجمعةِ بعد الهجرة، وأمرَ المسلمينَ بأداءِ الصلاة، وكان الأمرُ في آياتِ سورةِ الجمعةِ تأكيداً لمشروعيتها يومَ الهجرة!.

وبهذا نعرفُ جهلَ الفادي في عدمِ تفريقه بين اسمِ يومِ الجمعة الذي سُمِّيَ به قبلَ الإسلامِ بعشراتِ السنين، وبين مشروعيةِ الصلاةِ فيه، التي شرعها الله وأمرَ المسلمينَ بها يومَ الهجرة!.

ونقلَ الفادي خبراً نسبَهُ إلى كتابِ مجهول، سمَّاه «السيرة النبوية الملكية»، زعمَ أن المسلمين هم الذين اقترحوا على النبي ﷺ صلاةَ الجمعة. قال: «وردَ في كتابِ (السيرة النبوية الملكية) أنه لما هاجرَ محمدٌ إلى المدينةِ قال له المسلمون: إن لليهودِ يوماً يجتمعون فيه للعبادةِ وسماعِ الوعظِ هو يومَ السبت، وللنصارى يوماً يجتمعون فيه للعبادةِ وسماعِ الوعظ، ونحنُ المسلمينَ لا يومَ لنا نجتمعُ فيه لعبادةِ الله تعالى أسوةً بأهلِ الكتاب، فأشارَ عليهم بيومِ الجمعة».

وهذا الخبرُ موضوعٌ مكذوبٌ باطل، ولذلك لم يردْ في حديثٍ صحيحٍ أو حسنٍ أو ضعيف، وهو يوحى بأنَّ تشريعَ صلاةِ الجمعةِ بشريٌّ، وليس ربانياً من عندِ الله، خضعَ فيه الرسولُ ﷺ لرغبةِ المسلمين، المتأثرين باليهودِ والنصارى، فلما طلبوا منه استجابَ لهم وشرعَ لهم صلاةَ الجمعة!!.

وقد كانَ الفادي حبيثاً عندما علَّقَ على خبره الموضوعِ قائلاً: «ونحنُ نسأل: إذا كانَ اليهودُ يجتمعون للعبادةِ يومَ السبت، لذكرِ خَلْقِ الله العالمِ في ستةِ أيام، واستراحتهِ في اليومِ السابع، وإذا كانَ النصارى يحفظون يومَ الأحدِ لذكرى قيامَةِ المسيحِ فيه، فما الذي يجعلُ المسلمينَ يجتمعون يومَ الجمعة؟

هل يُحاكوا أهل الكتاب؟ لِمَ لَمْ يَخْتاروا اليومَ الذي صنَعَه الربُّ، بل اليومَ الذي وَضَعَتْهُ عربُ الجاهلية؟! (١).

يُرِيدُ الفادي الخبيثُ من تعليقه أن يجعلَ المسلمين مُقلِّدين لليهود والنصارى، راغبين في محاكاتهم، فما أنَّ اليهود والنصارى يجتمعون يوماً في الأسبوع فلماذا لا يفعلُ المسلمون مثلهم؟ وهو بهذا يُؤكِّد على بشرية القرآن، وبشرية التشريع الإسلامي.

وعندما ننظرُ في الآية التي أمرت المؤمنين بصلاة الجمعة، فسَنجدُها تَكليفاً مباشراً من الله للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. فالله هو الذي خاطبهم وكلفهم وأمرهم، وشرع لهم صلاة الجمعة في يوم الجمعة، ولم يكن الأمرُ هو الرسول ﷺ بناءً على طلبٍ منهم، كما زعمَ الفادي المفترى!.

وقد أَخْبَرَنَا رسولُ الله ﷺ أنَّ يومَ الجمعةِ هو أفضلُ أيامِ الأسبوعِ، جعله الله أفضلَ الأيامِ قبلَ وجودِ اليهود والنصارى، وأنَّ اليهود والنصارى كانوا مأمورين بيومِ الجمعةِ، لكنهم تركوه، فاخْتارَ اليهودُ السبتَ، واختارَ النصارى الأحدَ، وكانوا مُتَّبِعِينَ لهواهم!.

روى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «نَحْنُ الآخِرُونَ، السابقون يومَ القيامةِ، بيد أنهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، وهذا يومهم الذي فَرَضَ اللهُ عليهم، فاختَلَفُوا فيه، فهدانا اللهُ له، فهم لنا فيه تَبَعٌ، اليهودُ غداً، والنصارى بعدَ غدٍ».

وروى مسلم عن أبي هريرة وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قالاً: قال رسولُ الله ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عن الجمعةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فكان لليهود يومُ السبتِ، وكان للنصارى يومُ الأحدِ، فجاء اللهُ بنا، فهدانا اللهُ ليومِ الجُمُعَةِ،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٩.

فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ».

وروى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا».

وَلَا وَزْنَ لِكَلَامِ الْفَادِي الْمَفْتَرِي وَاعْتِرَاضِهِ، بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ الصَّرِيحَةِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حَوْلَ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ!.



هل يباح القتال في الأشهر الحرم؟

جَعَلَ اللَّهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي السَّنَةِ أَشْهُرًا حُرْمًا، حَرَّمَ فِيهَا الْقِتَالَ. وَهَذِهِ الْأَشْهُرُ هِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمٌ وَرَجَبٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

وَاعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى الْقُرْآنِ فِي حَدِيثِهِ عَنْ حَرَمَةِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، ثُمَّ إِبَاحَتِهِ الْقِتَالَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ: «يُحَرَّمُ الْإِسْلَامُ الْقِتَالَ وَالْقَتْلَ وَالنَّارَ تَحْرِيمًا مُطْلَقًا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، وَهِيَ رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمٌ، مَهْمَا كَانَتِ الدَّوَاعِي إِلَى ذَلِكَ، وَيَعُودُ أَضَلُّ ذَلِكَ إِلَى عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ!».

وَبَعْدَ أَنْ نَقَلَ كَلَامًا لِلْأَلُوسِيِّ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ أَكَّدَ مُغَالَطَتَهُ وَاتِّهَامَهُ السَّابِقَ بِقَوْلِهِ: «فَالْإِسْلَامُ أَخَذَ هَذَا التَّحْرِيمَ عَنْ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٩ - ٨٠.

وقد سبق أن ناقشنا الفادي في زعمه أخذ القرآن تشريعاته من الجاهلية .
صحيح أن العرب الجاهليين كانوا يُحرِّمون القتال في الأشهر الحُرْم، لكن هذا
ليس تشريعاً منهم، وإنما أخذوه عن شريعة إسماعيل عليه السلام، ضمن الكثير من
الموروثات الدينية التي ورثوها عنه عليه السلام، كالحج إلى الكعبة . . ولكنهم تلاعبوا
بحرمة الأشهر الحُرْم بالنسيء، فإذا كانت مصلحتهم بالقتال في أحد الأشهر
الحُرْم، نسَّؤوا حرمته إلى شهر آخر .

وقد ذمَّهم الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّفُوا عِندَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ
اللَّهُ زَيْبٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٣٧] .

ولما جاء الإسلام حَرَّمَ النسيء الذي كان يمارسه الجاهليون، وثبتت
حرمة الأشهر الأربعة الحُرْم. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِي
أَلْفَمْتُمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦] .

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرمة الأشهر الحُرْم، وثبتتها، ومنع النسيء
فيها، في خطبة الوداع، التي ألقاها يوم عرفة في حجة الوداع؛ روى البخاري
عن أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الزَّيْمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثُ
مُتَوَالِيَاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ، وَرَجَبُ مَضَرَ الَّذِي بَيْنَ جَمَادَى
وَشَعْبَانَ» .

وبهذا نعرف أن القرآن لم يأخذ تشريع حرمة الأشهر الحُرْم عن الجاهلية
العربية، وإنما هو تشريع ذاتي منه، توافَق مع شريعة إسماعيل عليه السلام، على
اعتبار أن شريعة إسماعيل وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله .

وبهذا نعرف افتراء الفادي في قوله: «فالإسلام أخذ هذا التحريم عن
عرب الجاهلية، ولم يأت بجديد»! .

وقد افترى الفادي على الإسلام افتراءً آخرَ عندما زعمَ أنَّ الإسلامَ يُحرِّمُ القتالَ والقَتْلَ تحريمًا مُطلقًا في الأشهرِ الحُرْمِ، مهما كانت الدواعي: «يُحرِّمُ الإسلامُ القَتْلَ والقتالَ والثَّارَ في الأشهرِ الحُرْمِ، مهما كانت الدواعي إلى ذلك»^(١).

والصحيحُ أنَّ الإسلامَ حرَمَ على المسلمين أنْ يَبْدُوا هم بالقتالِ في الأشهرِ الحرمِ، لكنَّه يُبيحُ للمسلمين أنْ يُقاتِلوا الكُفَّارَ في الأشهرِ الحُرْمِ، إذا بدأ الكُفَّارُ بالقتالِ، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَانْقُوا﴾ [البقرة: ١٩٤].

ومعنى الآية: التزامُ المسلمين بحرمَةِ الشهرِ الحرامِ مشروطٌ بالتزامِ المشركين، لأنه لا بُدَّ على الطَّرَفِ الآخرِ من الالتزامِ، فإذا لم يلتزمِ المشركونَ بذلكِ وهاجَموا المسلمين واعتَدوا عليهم، كانَ المسلمونَ في حِلٍّ من الالتزامِ، لأنه لا معنى لأنْ يُواجهَ المسلمونَ عُدوانَ الكافرينَ بالكُفِّ عن قتالِهِم والرَّدِّ على عدوانِهِم، لأنَّ هذا الشهرَ حرامٌ! فالحُرُماتُ قِصاصٌ، بمعنى أنَّ المسلمين مُلتزمونَ بحرمَتِها إذا التزمَ الكُفَّارُ بها، فإن انتهكوا حُرُمَتِها واعتَدوا على المسلمين، جازَ للمسلمين قتالَهُم، والبادئُ أَظْلَمُ!

واستشهدَ الفادي الجاهلُ على حُرْمَةِ الأشهرِ الحُرْمِ بآيةٍ من سورةِ التوبةِ، زعمَ أنها نفسها في سورةِ محمد. قال: «جاءَ في سورةِ محمد: ٤، وسورةِ التوبة: ٥: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾»^(٢).

وبمراجعةِ سورةِ محمدٍ لم نجدَ الآيةَ الرابعةَ فيها بهذا النَّصِّ كما زعمَ المفتري، ونصُّها هو: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَانَكَ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا فِدَاءُ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. فإِحالةُ الفادي المفتري على آيةٍ ليستْ بالنَّصِّ الذي أورده صورةً من صورِ تحريفِهِ وتلاعِبِهِ بكتابِ الله!

واستشهدَ الفادي بالآيةِ الخامسةِ من سورةِ التوبةِ على حُرْمَةِ القتالِ في

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق نفسه

الأشهر الحُرْمُ دليلٌ على جهله، والراجحُ أنَّ الأشهرَ المذكورةَ فيها غيرُ الأشهرِ الحُرْمِ التي تحدَّثنا عنها.

لقد ذَكَرَ القرآنُ نوعينِ من الأشهرِ الأربعةِ الحُرْمِ:

النوع الأول: الأشهرُ الأربعةُ الحُرْمِ، التي حَرَّمَ اللهُ على المسلمينَ البدءَ بقتالِ الكفارِ فيها، وأجازَ لهم الرَّدَّ على عدوانهم، وهي: ذو القعدةِ وذو الحجةِ ومحرم ورجب. والتي ثَبَتَ الرسولُ ﷺ حُرْمَتَها، ومنعَ النَّسِيءَ فيها.

النوع الثاني: الأشهرُ الأربعةُ الحُرْمِ، التي جعلها الرسولُ ﷺ مهلةً للمشركين لتصويبِ أوضاعهم وترتيبِ أمورهم. . . حيثُ سيعلنُ الحربَ عليهم بعد انقضاءها، لتطهيرِ الجزيرةِ العربيةِ من الشرك والكفر.

وهي المذكورةُ في مقدمةِ سورةِ التوبة؛ قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ①﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مَخْرُجُ الْكُفْرِينَ ②﴾ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ بُسْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ③﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ④﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١ - ٥].

وقد كانَ نزولُ مقدمةِ سورةِ التوبةِ في أواخرِ السنةِ التاسعةِ من الهجرة، حيثُ وَجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ ليحجَّ بالمسلمين في موسمِ السنةِ التاسعة، وبعدهما تَوَجَّهَ أبو بكرٍ ﷺ بالحجاجِ إلى مكةَ أنزلَ اللهُ على رسوله ﷺ مطلعَ سورةِ التوبة، بتحديدِ العهودِ بين رسولِ اللهِ ﷺ وبين المشركين، وإعطائهم مهلةً أربعةِ أشهر، تبدأ من يومِ عرفةَ من السنةِ التاسعة، لترتيبِ أمورهم، حيثُ سيعلنُ عليهم الحربَ بعد انقضاءها، لتحريرِ الجزيرةِ

العربية من الشرك.. فأرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ ليلحق بأبي بكر ﷺ، ويخبر الناس في موسم الحج بمضمون الآيات. وكان علي ومعه بعض الصحابة يصيحون في تجمعات الحجاج في عرفات ومنى ومكة بمضمونها. قال علي بن أبي طالب ﷺ: بعثني رسول الله ﷺ في موسم الحج أنادي في الناس بأربعة أمور: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين الرسول ﷺ عهد فمدته أربعة أشهر فقط.

وكان بدء الأربعة أشهر المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَيَسْجُأُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ هو العاشر من ذي الحجة من السنة التاسعة، وتنتهي في العاشر من شهر ربيع الثاني من السنة العاشرة!!.

والذي حصل أن كل القبائل العربية أسلمت في كل الجزيرة العربية خلال الأشهر الأربعة، وبعثت وفودها ومندوبيها إلى رسول الله ﷺ في عام الوفود، وهو السنة العاشرة من الهجرة.

ولكن الفادي الجاهل لا يعرف هذه المعلومات، فجعل الأربعة أشهر المذكورة في الآية الخامسة من سورة التوبة، هي نفسها الأربعة أشهر المذكورة في الآية السادسة والثلاثين من السورة!!.

وقد توقع الفادي المجرم على الرسول ﷺ، وشتمه وشتم الإسلام والقرآن، وذلك في قوله الفاجر: «... فالإسلام أخذ هذا التحريم عن عرب الجاهلية، ولم يأت بجديد.. وأما الجديد في الأمر فهو أنه بعد أن وافق الإسلام العرب على الأشهر الحرم التي جعلوها فرصة للسلام والتعايش والهدوء النسبي، وجعل هذا التحريم شريعة من الله، رأى محمد أن هذا يتعارض مع رغبته في الغزو والانتقام، فعذر بأعدائه، وأباح ما سبق تحريمه، وناقض نفسه بقوله في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ [البقرة: ٢١٧].»

تَأْمَلْ مَعَنَا الْجُمَلَ الْخَبِيثَةَ فِي كَلَامِهِ، الَّتِي هَاجَمَ فِيهَا الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ، وَأَصْرَرَ عَلَى بَشْرِيَةِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَهُ مِنْ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ نَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ، وَجَعَلَ أَحْكَامَهُ شَرِيعَةً مِنَ اللَّهِ! وَتَأْمَلْ شَتْمَهُ لِلرَّسُولِ ﷺ، عِنْدَمَا زَعَمَ أَنَّ رَغْبَتَهُ قَائِمَةٌ عَلَى الْغَزْوِ وَالْإِنْتِقَامِ، وَوَصَفَهُ بِالْعَدْرِ! وَنَاقَضَ نَفْسَهُ حَيْثُ أَبَاحَ مَا سَبَقَ أَنْ حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ.

وَزَعَمَ الْفَادِي الْمَجْرُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ تَأْلِيفِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «وَنَاقَضَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ...». أَيُّ أَنَّ سُورَةَ الْبَقَرَةَ مِنْ تَأْلِيفِهِ، وَالْقُرْآنَ كُلَّهُ مِنْ تَأْلِيفِهِ.. وَكُلُّ كِتَابِ الْفَادِي الْمَفْتَرِي يُؤَكِّدُ عَلَى تَكْذِيبِهِ الْقُرْآنَ، وَنَفْيِ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَتَأْكِيدِ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ وَتَأْلِيفِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ فِي الْأَخْطَاءِ وَالتَّنَاقُضِ!!.

وَوَصَّفَ الْفَادِي الرَّسُولَ ﷺ بِالْعَدْرِ دَلِيلٌ عَلَى بَدَءَاتِهِ وَوَقَاحَتِهِ، وَقَدْ شَهِدَ أَبُو سَفْيَانَ الَّذِي كَانَ زَعِيمَ مَكَّةَ الْكَافِرَةَ وَأَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَغْدِرْ. فَعِنْدَمَا سَأَلَهُ هِرْقُلُ: هَلْ يَغْدِرُ؟ أَجَابَهُ قَائِلًا: إِنَّهُ لَا يَغْدِرُ!. وَيَأْتِي هَذَا الدَّعْيُ الْمَفْتَرِي الْيَوْمَ لِيَقُولَ: إِنَّهُ يَغْدِرُ!!.



مَا هُوَ أَصْلُ التَّكْبِيرِ؟

يَرَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ أَصْلَ التَّكْبِيرِ جَاهِلِيٌّ، وَأَنَّ الْجَاهِلِيِّينَ كَانُوا يَقُولُونَ: اللَّهُ أَكْبَرُ!.

أوردَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] ومعنى قَوْلِهِ: «كَبِرَهُ تَكْبِيرًا»: قُلُ: اللَّهُ أَكْبَرُ!.

كَمَا أوردَ قَوْلَ اللَّهِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ مَا جَرَى بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَبَيْنَ قَوْمِهِ، عِنْدَمَا أَبْطَلَ كَوْنَ الْكُوكَبِ آلِهَةً: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِرُ إِلَيَّ بِرِيءٍ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وَفَهَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُؤْمِنُ بِوُجُودِ آلِهَةٍ
 مَعَ اللَّهِ، وَأَنَّ بَعْضَ تِلْكَ الْآلِهَةِ صَغِيرٌ، وَأَنَّ الشَّمْسَ أَكْبَرُ مِنْ تِلْكَ الْآلِهَةِ.
 وَخَرَجَ مِنْ هَذَا بِافْتِرَاءٍ كَبِيرٍ، هُوَ أَنَّ التَّكْبِيرَ مِنْ أَصْلِ جَاهِلِيٍّ، وَأَنَّ
 الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَائِلِينَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، إِنَّمَا أَخَذُوا هَذَا عَنِ
 الْجَاهِلِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ! وَأَنَّ مَعْنَى «اللَّهُ أَكْبَرُ» عِنْدَهُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنَ الْآلِهَةِ
 الصَّغِيرَةِ، الَّتِي تُسَاعِدُهُ فِي إِدَارَةِ هَذَا الْعَالَمِ! فَالْمُسْلِمُونَ فِي نَظَرِهِ مُشْرِكُونَ،
 يُؤْمِنُونَ بِوُجُودِ آلِهَةٍ صَغِيرَةٍ بِجَانِبِ اللَّهِ الْأَكْبَرِ!!.

قَالَ فِي افْتِرَائِهِ: «كَانَ عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ يُكَبِّرُونَ اللَّهَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ
 قَائِلِينَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. . . بِنَاءً عَلَى اعْتِقَادِهِمْ بِوُجُودِ إِلَهٍ فِي السَّمَاءِ، أَوْ اللَّهُ بَيْنَ كُلِّ
 الْآلِهَةِ هُوَ إِلَهٌ وَرَبُّهَا، وَالْآلِهَةُ الْأُخْرَى أَعْوَانُهُ وَعُمَّالُهُ فِي أَرْضِهِ.
 وَزَعَمَ النَّقْلَ عَنْ كِتَابِ بَلُوغِ الْأَرْبِ لِلْأَلُوسِيِّ أَنَّهُ لَمَّا افْتَدَى عَبْدُ الْمُطَلَبِ
 - جَدُّ الرَّسُولِ ﷺ - ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بِمِئَةِ مِنَ الْإِبِلِ وَنَجَا ابْنَهُ مِنَ الذَّبْحِ صَاحٍ
 عَبْدَ اللَّهِ قَائِلًا: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَكَبَّرْتُ قَرِيشٌ مَعَهُ!»^(١).

إِنَّ كَلَامَهُ عَنِ إِيْمَانِ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيِّينَ بِوُجُودِ آلِهَةٍ مَعَ اللَّهِ صَحِيحٌ، فَهَذَا
 مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَأَبْطَلَهُ وَقَدَّه، وَعَرَضَ الْأَدْلَةَ
 الْعَدِيدَةَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

أَمَّا زَعْمُهُ أَنَّ الْعَرَبَ الْجَاهِلِيِّينَ كَانُوا يُكَبِّرُونَ اللَّهَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ فَهَذَا
 بَاطِلٌ، وَزَعْمُهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَبَّرَ اللَّهَ لَمَّا نَجَا مِنَ الذَّبْحِ بَاطِلٌ، وَهُوَ يَعْتَمِدُ عَلَى
 بَعْضِ الْأَخْبَارِ وَالرِّوَايَاتِ غَيْرِ الثَّابِتَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ قَوْلٍ أَوْ خَبَرٍ فِي
 كِتَابِ الْمُؤَرِّخِينَ أَوْ الْمُحَدِّثِينَ أَوْ الْمَفْسِّرِينَ مَعْتَمَدًا، وَلَا بُدَّ مِنْ تَخْرِيجِ تِلْكَ
 الْأَقْوَالِ وَالْأَخْبَارِ، وَاعْتِمَادِ مَا صَحَّ مِنْهَا!!.

وَقَدْ كَانَتْ فَرِيئَةُ الْفَادِي كَبِيرَةً، عِنْدَمَا زَعَمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخَذُوا قَوْلَهُمْ:
 «اللَّهُ أَكْبَرُ» عَنِ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَاعْتَبَرَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ صُورَةً مِنْ صُورِ الشَّرِكِ
 بِاللَّهِ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ آلِهَةٍ صَغِيرَةٍ بِجَانِبِ اللَّهِ الْأَكْبَرِ!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٠.

إِنَّ كَلِمَةَ «الله أكبر» عنوانُ التوحيد، بجانبِ الكلمةِ الطيبة: «لا إله إلا الله»، ولذلك جعلها الإسلامُ عنوانَ الدخولِ في الصلاة، والانتقالِ فيها، وفي العيدين وغيرهما.



حول عالم الجن

تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنْ عَالَمِ الْجِنِّ، وَأَخْبَرَ عَنْ اسْتِمَاعِ نَفَرٍ مِنَ الْجِنِّ الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِيمَانِهِمْ بِهِ، وَدُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِمَكُمْ مِنَ عَذَابِ آلِيبِرِ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

وقد حَطَّأَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي الْقُرْآنَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عَالَمِ الْجِنِّ، وَنَفَى وَجُودَ جِنِّ مُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ عَالَمَ الْغَيْبِ عِنْدَهُ إِمَّا مَلَائِكَةٌ وَإِمَّا شَيْطَانِينَ، وَأَثَارَ حَوْلِ الْقُرْآنِ أَسْئَلَةٌ تَشْكِيكِيَّةٌ. قَالَ: «وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ الْمَقْدَسُ بِوُجُودِ مَلَائِكَةٍ وَشَيْطَانِينَ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعَلِّمُ بِوُجُودِ الْجِنِّ، الَّذِي يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّهُمْ جِنْسٌ عَاقِلٌ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالشَّيْطَانِينَ، وَإِنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ آمَنُوا بِهِ وَبِاللَّهِ، وَبَشَّرُوا الْجِنِّ الْآخَرِينَ، وَقَالُوا: إِنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ.»

فَلِمَاذَا لَمْ يُسْمِعِ اللَّهُ الْجِنِّ رِسَالَةَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ؟ وَلِمَاذَا خَصَّ الْجِنِّ بِالْقُرْآنِ وَحْدَهُ؟ وَلِمَاذَا يَقُولُ الْجِنُّ: إِنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ؟ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ بَعْدِ الزُّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، مَعَ أَنَّ الْإِنْجِيلَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ عَهْدِ مُوسَىٰ؟ وَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ أَنَّ الْجِنِّ وَهُمْ أَرْوَاحٌ يَتَرَوَّجُونَ وَيَتَنَاسَلُونَ مَعَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْجِنِّ؟^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨١.

يَزَعُمُ الْفَادِي أَنَّ الْكِتَابَ الْمَقْدَّسَ لَا يَتَحَدَّثُ إِلَّا عَنِ الْمَلَائِكَةِ
وَالشَّيَاطِينِ، وَهُوَ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّيَاطِينِ وَطَبِيعَتِهِمْ وَالْمَادَّةِ الَّتِي خُلِقُوا مِنْهَا،
وَيَنْفِي الْفَادِي وَجُودَ عَالَمِ الْجِنِّ، لِأَنَّ الْكِتَابَ الْمَقْدَّسَ لَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْهُ.

وَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ صَرِيحاً فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْجِنِّ، حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ
الْجِنَّ قَبْلَ الْإِنْسِ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾
[الحجر: ٢٦ - ٢٧].

وَأَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَادَّةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا كُلُّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ
وَالْإِنْسِ: «خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ الْجِنَّ مِنَ النَّارِ، وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا
وَصَفَ لَكُمْ».

وَالْمَخْلُوقَاتُ الْعَاقِلَةُ فِي هَذَا الْكُونِ ثَلَاثَةٌ هِيَ: الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ.
وَسُمِّيَ الْجِنُّ جِنًّا لِأَنَّهُمْ يَسْتَتِرُونَ عَنِ الْإِنْسِ وَلَا يَرَوْنَهُمْ. قَالَ تَعَالَى عَنِ إِبْلِيسَ
وَالْجِنِّ: ﴿إِنَّهُ يَرْتَدُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وَالشَّيَاطِينُ لَيْسُوا جِنْساً مُسْتَقِلاً كَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَإِنَّمَا وَصَفَ يُطْلَقُ عَلَى
الْكَافِرِينَ، سِوَاهُ كَانُوا إِنْساً أَوْ جِنًّا، فَهَذَا شَيْطَانُ الْإِنْسِ وَهَذَا شَيْطَانُ
الْجِنِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وَوُصِفَ الْكُفَّارُ بِأَنَّهُمْ
شَيْطَانُ لَأَنَّهُمْ مُتَمَرِّدُونَ بَعِيدُونَ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَإِبْلِيسُ شَيْطَانٌ لِأَنَّهُ أَوَّلُ كَافِرٍ،
وَهُوَ مِنَ الْجِنِّ بَنَصُّ الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] فَهُوَ جِنِّيٌّ مِنْ حَيْثُ
النَّسَبُ وَالْجِنْسُ، وَهُوَ شَيْطَانٌ مِنْ حَيْثُ الْوَصْفُ.

وَالْجِنُّ مُكَلَّفُونَ كَالْإِنْسِ، لِأَنَّهُمْ عَقْلَاءُ مِثْلَهُمْ، وَمَنْحَهُمُ اللَّهُ مِنْ وَسَائِلِ
الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ مَا أَهْلَهُمُ لِلْمَسْئُولِيَّةِ وَالتَّكْلِيفِ.

وَبَعَثَ اللَّهُ رَسَلاً لِلْجِنِّ كَمَا بَعَثَ رُسَلاً لِلْإِنْسِ، وَالرَّاجِحُ أَنَّ رُسُلَ الْجِنِّ

من الجن، لأن الله بعث كل رسول بلسان قومه، ليبين لهم الدعوة، ويفهموا عليه كلامه. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وأخبرنا الله أنه بعث للجن رسلاً من الجن. قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

ولذلك لم يُبعث أحد من الرسل السابقين المذكورين في القرآن إلى الجن، ولم يُبعث رسولاً للناس كافة، وإنما بعث كل منهنم إلى قومه خاصة، ينطبق هذا على نوح وإبراهيم، كما ينطبق على موسى وهارون، وعلى داود وسليمان، وعلى زكريا وعيسى عليهم السلام.

وخصَّ الله أفضل الخلق وأشرفهم محمداً صلى الله عليه وسلم بخاصية، دالة على فضله على باقي الأنبياء والمرسلين، فبعثه للناس كلهم، على اختلاف الزمان والمكان، حتى قيام الساعة، ونسخ برساليته جميع الرسالات السابقة. وورد هذا صريحاً في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولم يُبعثه للإنس كلهم فقط، وإنما بعثه للإنس والجن جميعاً، وأمر الجن بأن يؤمنوا به كالإنس، واستجاب فريق منهم وآمنوا به، وصاروا مسلمين، والذين لم يدخلوا في الإسلام كفارون مخلدون في نار جهنم، ككفار الإنس. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَىكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٨].

ولذلك ساق الله إلى رسوله نقرأ من الجن، فسمعوا القرآن منه، وتأثروا

به، وأعلنوا إيمانهم وإسلامهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوهُ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّذِرِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدَىٰ إِلَىٰ الرَّشَدِ فَمَنَّا بِهِ﴾.

بعد هذا البيان نعرف سخافة وغباء الفادي الجاهل في اعتراضه على حديث القرآن عن الجن، وفي أسئلته التشكيكية التي أثارها حول الجن وموسى وعيسى ﷺ، والجن والتوراة والزبور والإنجيل!! فلم يكونوا مكلفين بالإيمان بموسى وعيسى ﷺ، ولا الإيمان بالكتب السابقة كاللوراة والإنجيل، لأنهم مأمورون بالإيمان بالقرآن فقط.

وحديثهم عن التوراة النازلة على موسى ﷺ لا غرابة فيه، وهو الذي أشار له قوله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدَىٰ إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

فرغم أن الجن لم يكونوا مكلفين بالتوراة وبموسى ﷺ، إلا أنهم كانوا يعرفون أن الله بعث موسى ﷺ رسولا، وأنزل عليه التوراة، لأن الجن يعلمون أخبار الإنس وأحوالهم، وأخبرهم رسلهم من الجن بهذه الأخبار عن موسى والتوراة.

المهم عندنا أن مرجعيتنا هو القرآن، وكل ما ورد فيه فهو حق، نؤمن به ونصدقّه، لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



هل يأمر الله بالفسق والفحشاء؟

اعتراض الفادي على قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُرَفِبَهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وأثار حول هذه الآية أسئلة خبيثة، تدل على تخطئته لها. قال: «فهل

يُرِيدُ اللهُ إِهْلَاكَ النَّاسِ؟ وهل يَأْمُرُ مُتَعَمِّمِهِم بِالْفُسُقِ، لِتَحَقُّ الْعُقُوبَةُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْفُقَرَاءِ بَيْنَهُمْ؟ وهل يُنَاسِبُ هَذَا عَدْلَ اللهِ وَقِدَاسَتَهُ وَأَمَانَتَهُ؟ وَكَيْفَ يُنَسَبُ لِلَّهِ الْجورُ وَالْفُسُقُ وَالظُّلْمُ؟».

وَذَكَرَ آيَاتٍ أُخْرَى تُنَاقِضُ الْآيَةَ السَّابِقَةَ فِي نَظَرِهِ. قَالَ: «وَيُنَاقِضُ الْقُرْآنُ قَوْلَهُ السَّابِقَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وَلَا تُنَاقِضُ بَيْنَ آيَةِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْآيَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي أوردَهَا، لِأَنَّهُ لَا تُنَاقِضُ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَهَذِهِ بَدْهِيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ. فَتَتَّفَقُ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ مَعَ آيَةِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفُسُقِ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْحَرَامِ، وَلِذَلِكَ كَذَّبَ الْقُرْآنُ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ فَعَلُوا الْفَحْشَاءَ، وَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ وَالْخَيْرِ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾.

أَمَّا آيَةُ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فَإِنَّ الْفَادِي الْجَاهِلَ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهَا، وَلِذَلِكَ خَطَّأَهَا وَأَثَارَ حَوْلَهَا أَسْئَلَتُهُ التَّشْكِيكِيَّةَ الْخَبِيثَةَ.

إِنَّ الْآيَةَ تُخْبِرُ عَنْ سُنَّةِ رَبَّانِيَّةٍ مَطْرُدَةٍ، بِشَأْنِ فَسَقِ الْمَتْرَفِينَ وَبَطْرِهِمْ، وَتَكْبَرِهِمْ عَلَى أَوْامِرِ رَبِّهِمْ، وَنَشْرِهِمِ الْفَسَادَ فِي الْبِلَادِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْعِقَابِ وَالْإِهْلَاكِ وَالتَّدْمِيرِ.

تُخْبِرُ الْآيَةَ عَنِ إِنْعَامِ اللهِ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِالْمَالِ، وَغْنَى مَجْمُوعَةٍ مِنْهُمْ، وَتَحْوِيلِهِمْ إِلَى أَغْنِيَاءَ مُتْرَفِينَ، وَيَأْمُرُ اللهُ هَؤُلَاءِ الْمَتْرَفِينَ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَتَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ مُحَرَّمَاتِهِ، لَكِنَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى اللهِ، وَيَرْفُضُونَ طَاعَتَهُ،

وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَيَفْسُقُونَ فِي الْقَرْيَةِ، وَيُنْشُرُونَ فِيهَا الْفَسَادَ وَالْمَعَاصِي وَالْفُسُوقَ، وَيُفْسِدُونَ بِذَلِكَ أَهْلَهَا، فَيَحِقُّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ، وَتَنْطَبِقُ عَلَيْهَا السَّنَةُ الرِّبَانِيَّةُ، وَيَوْقَعُ بِهَا الْعِقَابُ، وَيُدْمَرُهَا تَدْمِيرًا.

فِي مَعْنَى الْآيَةِ جُمْلٌ مُقَدَّرَةٌ، لِتَوْضِيحِ الْمَعْنَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَذْفَ وَالذِّكْرَ مَلْحُوظَانِ فِي الْقُرْآنِ، وَمَرَادَانِ لِحِكْمَةٍ مَقْصُودَةٍ، فَإِذَا ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْجُمْلَةَ ذَكَرَهَا لِحِكْمَةٍ مَقْصُودَةٍ مَرَادَةٍ، وَإِذَا حَذَفَهَا حَذَفَهَا لِحِكْمَةٍ مَقْصُودَةٍ مَرَادَةٍ، فَهُوَ مَعْجَزٌ فِي مَا يَذْكَرُ، وَمَعْجَزٌ فِي مَا يَحْذِفُ!.

وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ: إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ أَهْلَ قَرْيَةٍ، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا بِالطَّاعَةِ، لَكِنَّهُمْ يَرْفُضُونَ أَمْرَنَا، وَيَفْسُقُونَ فِيهَا، وَبِذَلِكَ يَحِقُّ عَلَيْهَا قَوْلُنَا، وَتَنْطَبِقُ عَلَيْهَا سُنَّتُنَا، وَنُدْمَرُهَا تَدْمِيرًا.

وَتَهْدَفُ الْآيَةُ إِلَى أَنْ تُقَرَّرَ قَاعِدَةٌ مَطْرَدَةٌ، وَهِيَ ارْتِبَاطُ التَّرْفِ بِالتَّمْرِدِ وَالْعِصْيَانِ وَالْمُخَالَفَةِ وَالْفُسُوقِ، وَانْتِشَارُ الْفَسَادِ ثَمَرَةٌ لِلتَّرْفِ وَالْفُسُوقِ، وَهَذَا كُلُّهُ طَرِيقٌ لِلْهَلَاكِ وَالْعِقَابِ وَالتَّدْمِيرِ.

وَبِهَذَا نَعْرِفُ عَبَاءَ أَسْئَلَةِ الْفَادِي الَّتِي اعْتَرَضَ بِهَا عَلَى الْآيَةِ. فَاللَّهُ لَا يُرِيدُ إِهْلَاكَ النَّاسِ ابْتِدَاءً، لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الظُّلْمِ سُبْحَانَهُ، وَلَكِنَّهُ يُرْتَّبُ الْإِهْلَاكَ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالْفُسُوقِ وَالدُّنُوبِ، فَإِذَا عَصَى النَّاسُ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ وَقَرَّرَ إِهْلَاكَهُمْ، وَهَذَا عَدْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ!.

وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ الْمُتْرَفِينَ بِالْفُسُوقِ كَمَا فَهَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ، لَكِنَّ الْفُسُوقَ نَاتِجٌ عَنِ عِصْيَانِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَعِقَابُ اللَّهِ لِلْفَاسِقِينَ الْمُتْرَفِينَ الْمُجْرِمِينَ عَدْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْآيَةَ تَنْسِبُ الْجَوْرَ وَالْفُسُوقَ وَالظُّلْمَ إِلَى اللَّهِ؟! هَذَا هُوَ فَهْمُ الْفَادِي الْجَاهِلِ! إِنَّ الْآيَةَ تَنْسِبُ الْعَدْلَ إِلَى اللَّهِ، وَتُرْتَّبُ الْعِقَابَ عَلَى الْفُسُوقِ النَّاتِجِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ!.

لم يشك الرسول ﷺ بالوحي

وَضَعَ الفادي المفتري عنواناً مثيراً هو: «الوحي الذي يَشْكُ فيه مُبْلَغُهُ»
اعتراض فيه على آيتين من القرآن، ووظفهما دليلاً على عَدَمِ نبوة محمد ﷺ،
وعلى سيطرة الوسواس عليه بشأن الوحي:
الأولى: قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا نُزُلًا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنذِرَ
بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

اعتبر الفادي الآية دليلاً على شك الرسول ﷺ بالوحي والنبوة، وزعم
أنه ملاً الحرج والشك صدره، وسيطرت الوسواس عليه، ولذلك تدعوه الآية
إلى إخراج الحرج من صدره، وإزالة الشك والوسواس عنه!
ونقل كلاماً عن البيضاوي يُؤيد ما ذهب إليه. قال: «وقال البيضاوي في
تفسير الآية: ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: أي شك فيه. فإن الشاك حرج الصدر وضيق
القلب مخافة أن يكذب فيه..»^(١).

وقد تصرف المفتري في كلام البيضاوي! والذي قاله البيضاوي هو:
﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: أي: شك، فإن الشاك حرج الصدر. أو:
ضيق قلب من تبليغه، مخافة أن تكذب فيه، أو تقصر في القيام بحقه..
وتوجيه النهي إليه للمبالغة..»^(٢).

لا تدل الآية على أن الرسول ﷺ كان عنده شك في الوحي، كما فهم
الفادي منها ذلك، إنما تنهى الآية الرسول ﷺ عن التحرج من تبليغ الوحي
وإنذار الناس به: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ﴾. أي: لا تتحرج من
إنذار الناس به.. وفرق بين القول: كان عنده شك في الوحي والنبوة. وبين
القول: يدعو الله إلى عدم التحرج من إنذار الناس به!

(٢) تفسير البيضاوي: ٥/٣.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٢.

وإذا تخرج من الإنذار والتبليغ، يكون التخرج خشية أن يكذبه الكافرون، أو خشية تقصيره من القيام بالحق وأداء الواجب. ولا تدل الآية على أن الرسول ﷺ تخرج من الإنذار، إنما تدل على أنه إذا أصابه التخرج من الإنذار فعليه أن يزيله. علماً أن الرسول ﷺ لم يتخرج من الإنذار أبداً!!.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]. إن شك الرسول ﷺ بالوحي الذي أنزله الله إليه فعليه أن يزيل هذا الشك، بسؤال أهل الكتاب من قبله، أما إن لم يشك بالوحي فلا داعي لسؤال أهل الكتاب.. فهل شك بالوحي واضطراً إلى السؤال؟ الجواب بالتفني، فلم يشك بالوحي، ولم يضطراً إلى السؤال.

ولما أراد الفادي المفتري أن يوظف الآية لافتراءه، ويجعلها إدانة للنبي ﷺ بأنه شاك بالوحي والنبوة، ذهب إلى تفسير البيضاوي كعادته، فلما لم يجد عنده ما يريد؛ تركه، وتوجه إلى تفسير الرازي! فلماذا الرازي في هذه المرة؟ لأن المفتري يظن أن عنده ما يوافق هواه!.

قال الفادي: «قال الإمام الرازي في تفسير سورة يونس: من الوجوه في تفسير النص: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب لمحمد. وأن محمداً من البشر، وكان حصول الخواطر المشوشة والأفكار المضطربة في قلبه من الجائزات، وتلك الخواطر لا تندفع إلا بإيراد الدلائل وتقرير البيئات، حتى إن بسببها تزول عن خاطره تلك الوسوس»^(١).

ولما رجعنا إلى تفسير الرازي وجدنا الأمر على غير ما ذكره الفادي المفتري. فقد ذكر الرازي قولين في تحديد المخاطب بالآية:
الأول: الخطاب للنبي ﷺ في الظاهر، والمراد غيره.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٢.

الثاني: الخطاب للإنسان الشاك في نبوة محمد ﷺ. والتقدير: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ، فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته.

ونفى الرازي أن يكون الخطاب في الحقيقة للنبي ﷺ، ورجح أن يكون الخطاب في الظاهر له، لكن المراد غيره. وقال كلاماً رائعاً في توجيه ذلك: «والذي يدل على صحة ما ذكرناه من وجوه:

الأول: قوله تعالى في آخر السورة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾. فبين أن المذكور في الآية السابقة هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح.

الثاني: أن الرسول ﷺ لو كان شاكاً في نبوة نفسه لكان شك غيره في نبوته أولى، وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية.

الثالث: بتقدير أن يكون شاكاً في نبوة نفسه، فكيف يزول ذلك الشك بإخبار أهل الكتاب عن نبوته، مع أنهم في الأكثر كفاراً! وقد ثبت أن ما في أيديهم من التوراة والإنجيل مصحفٌ مُحَرَّفٌ... فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وإن كان في الظاهر لرسول الله ﷺ، إلا أن المراد به أمته».

حذف الفادي هذا الكلام كله، لأنه لا يساعد في ما يريد من اتهام النبي وتخطئة القرآن.

حتى الوجه الذي قاله الرازي، ونقله الفادي عنه ليس كما نقله الفادي، لأنه أخذ منه الجزء الذي يتفق مع هواه، وأسقط الجزء المهم منه، وهو قول الرازي: «وتمام التقرير في هذا الباب: إن قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ فافعل كذا وكذا قضية شرطية، والقضية الشرطية لا إشعار فيها البتة بأن الشرط وقع أو لم يقع، ولا بأن الجزاء وقع أو لم يقع، وليس فيها إلا بيان أن ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك الجزاء.

... إن الآية تدل على أنه لو حصل هذا الشك لكان الواجب عليه هو،

فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَأَمَّا أَنَّ هَذَا الشَّكَّ وَقَعَ أَوْ لَمْ يَقَعْ، فَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ. وَالْفَائِدَةُ فِي إِنْزَالِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ أَنَّ تَكْثِيرَ الدَّلَائِلِ وَتَقْوِيَتِهَا مِمَّا يَزِيدُ فِي قُوَّةِ الْيَقِينِ وَطَمَأْنِينَةِ النَّفْسِ وَسُكُونِ الصَّدْرِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ أَكْثَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ تَقْرِيرِ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ»^(١).

ذَكَرْنَا مَا قَالَهُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ لِنُطْلَعَ الْقِرَاءَةَ عَلَى مَزَاجِيَةِ الْفَادِي وَافْتِرَائِهِ، وَتَلَاغِيَهُ وَتَحْرِيفِهِ، وَافْتِقَادِهِ الْأَمَانَةَ الْعِلْمِيَّةَ فِي النُّقْلِ وَالْإِحَالَةِ، مَعَ أَنَّهُ يَلْبَسُ ثَوْبَ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْمَنْهَجِيَّةِ وَالْحِيَادِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ.

وَاسْتَخْرَجَ مِنْ كَلَامِ الرَّازِيِّ وَالْبِيضَاوِيِّ أُكْذُوبَةً مُفْتَرَاةً، لَمْ يَذْكُرْ أَيُّ مَتْنِهَا حَرْفًا وَاحِدًا مِنْهَا؛ قَالَ: «وَاضِحٌ مِنْ هَذَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ يَشْكُ فِي مَصْدَرٍ وَحِيهِ، وَأَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمْ لَيْسَ بُوْحِي، حَتَّى نَصَحَهُ مَصْدَرٌ وَحِيهِ أَنَّ يَسْأَلَ فِي ذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ، فَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ يَشْكُ فِي رِسَالَتِهِ، وَالْمَبْلُغُ يَرْتَابُ فِي صِدْقِ بَلَاغِهِ فَكَيْفَ يَتَوَقَّعُ مِنْ سَامِعِيهِ أَنْ يُصَدِّقُوهُ؟»^(٢).

وَلَقَدْ كَانَ الْفَادِي كَاذِبًا مُفْتَرِيًّا فِي كَلَامِهِ، وَفِي هَذِهِ النَّتِيجَةِ الَّتِي خَرَجَ بِهَا، وَسَبَقَ أَنْ نَفَاهَا كُلُّ مِنَ الرَّازِيِّ وَالْبِيضَاوِيِّ.

وَنَفَى الرَّسُولُ ﷺ الشَّكَّ عَنْ نَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ» أَي: أَنَا لَسْتُ فِي شَكٍّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، وَلَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى سُؤْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي دَعْوَى كَاذِبَةٍ، زَعَمَ فِيهَا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ اعْتَرَفَ أَنَّ مَرْجِعَ الْقُرْآنِ هُوَ الْكِتَابُ الْمَقْدَّسُ. قَالَ: «وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الشُّكُوكُ تُسَاوَرُ مُحَمَّدًا فِي وَحْيِهِ اعْتَرَفَ أَنَّ الْمَرْجِعَ وَالْمَحْكَ لَأَقْوَالِهِ هُوَ الْكِتَابُ الْمَقْدَّسُ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾»^(٣).

(١) تفسير الرازي: ١٦٧/٩ - ١٦٩.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٣.

ولا نُعيدُ ما قلناه قبلَ قليلٍ عن دلالةِ الجملةِ الشرطيةِ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. إنما نُشيرُ إلى افتراءٍ وكذبِ الفادي في فريته، التي جعلَ فيها الكتابَ المقدَّسَ مرجعاً للقرآن، وحكماً عليه. وقد أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمَرْجِعُ وَالْحَكْمُ، وَأَنَّ الْكِتَابَ السَّابِقَةَ كَالْتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ لَا بُدَّ أَنْ تُحَاكَمَ إِلَى الْقُرْآنِ، وَأَنْ تُعْرَضَ عَلَى الْقُرْآنِ، فَمَا اتَّفَقَ مَعَ الْقُرْآنِ مِنْهَا أَخَذْنَاهُ، وَمَا خَالَفَ الْقُرْآنَ رَدَدْنَاهُ، وَجَزَمْنَا بِوَضْعِهِ وَكُذِبِهِ وَاخْتِلَاقِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ اللهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْأَحْبَارِ أَوْ الرِّهْبَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾. [المائدة: ٤٨].

وافترى الفادي كذبةً أخرى عندما نَسَبَ إلى القرآنِ إقرارَه بأنَّ توراَةَ يهودِ عِضْرِهِ صَحيحةٌ سليمةٌ، قال: «وَأَكَّدَ الْقُرْآنُ أَنَّ التُّورَةَ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْ يَهُودِ عِضْرِهِ صَحيحةٌ سليمةٌ، فِيهَا حُكْمُ اللهِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا، لَا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التُّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ [المائدة: ٤٣]. وَأَوْصَى الْقُرْآنُ الْمَسِيحِيِّينَ أَنْ يُلَازِمُوا أَحْكَامَ إِنْجِيلِهِمْ، وَحَكَمَ بِالْفِسْقِ عَلَى مَنْ لَا يُقِيمُ أَحْكَامَ الْإِنْجِيلِ. فَقَالَ: ﴿وَلِيَحْكُرْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].»

لم يُقرِ القرآنُ أَنَّ التُّورَةَ الَّتِي مَعَ الْيَهُودِ فِي عِضْرِ التَّنْزِيلِ صَحيحةٌ سليمةٌ، فِيهَا حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُتَّبَعَ، وَإِنَّمَا جَزَمَ أَنَّ هَذِهِ التُّورَةَ مُحَرَّفَةٌ مُكْذُوبَةٌ. وَجَاءَ هَذَا فِي عِدَّةِ آيَاتٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَعُونَ قُرْطُبِسَ بُدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

وَأَنْكَرَ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ احْتِكَامَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ التَّلَاعِبَ وَالتَّحَايِلَ وَالمَكْرَ وَالجِدَاعَ، بِهَدَفِ الحُصُولِ عَلَى حُكْمٍ مُحَقَّفٍ مِنْهُ، وَقَدْ عَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا التَّلَاعِبَ وَالمَكْرَ، فَحَكَمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ فِي التُّورَةِ، وَأَقَامَ حَدَّ الرَّجْمِ عَلَى الْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِيَةِ اللَّذَيْنِ زَنِيَا.

ودعوة القرآن النصارى إلى الاحتكام للإنجيل، ليقود ذلك إلى الاعتقاد بأن القرآن كلام الله، وأن محمداً هو رسول الله ﷺ، لأن الإنجيل بشر بالنبى الخاتم ﷺ، فاحتكامهم الصحيح للإنجيل معناه دخولهم في الإسلام!!.



هل في القرآن أقوال للناس؟

هل أخذ محمد ﷺ القرآن من الناس؟ وهل وضع فيه أقوالاً للناس؟ هذا ما يؤكدُه الفادي المفترى، ولذلك بدأ اعتراضه السادس والثمانين على القرآن بنفي كون القرآن وحياً من عند الله، قال: جاء في سورة المدثر: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فقال محمد: إن قرآنه وحى من الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]. وهذه مغالطة من الفادي المفترى، فأية سورة المدثر التي سجّلها، ذكر الله فيها اتهام زعيم مكة الوليد بن المغيرة للقرآن بأنه سحر، والآية ضمن آيات تتحدث عن حادثة الوليد واتهامه، يعرفها الفادي عن يقين، لكنه لم يشير إليها.

وخلاصة حادثة الوليد بن المغيرة أن زعماء قريش اجتمعوا قبيل موسم الحج، ليتفقوا على كلام موحد، يقولونه في القرآن، ليصدوا الناس عنه، فقال لهم الوليد: قولوا وأنا أسمع. فقالوا: نقول عنه: إنه سحر. قال: إنه ليس شعراً. فقالوا: نقول: إنه شعراً. فقالوا: إنه ليس سحراً. قال: إنه ليس سحراً. فقالوا: نقول: إنه كذب. قال: إنه ليس كذباً.. وكُلّمَا ذكروا قولاً ردّه الوليد بأنه غير منطقي، وأن الذين يسمعون لا يصدقونه!.

فقالوا له: قل أنت يا أبا الوليد! فماذا تقول في القرآن؟.

قال: دعوني أفكر... ولما فكر لم يجد إلا أن يتهمه بأنه سحر! وهو ما نفاه عنه من قبل. وقال لهم: قولوا: إنه سحر يؤثر، يفرق بين المرء وزوجه.

وقد أنزل الله آياتٍ من سورة المدثر نُصَوِّرُ الوليدَ بنَ المغيرة صورةً
 ساخرةً وهو يُفَكِّرُ ويُقدِّرُ، ويقولُ كلاماً لا يُصدِّقه هو. قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ
 خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُحُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾
 ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّكُمْ كَأَنْ لَابِتِنَا عِنْدًا ﴿١٦﴾ سَأَهْقُمْ نُصُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّكُمْ فَكَّرْتُمْ وَقَدَّرَ
 ﴿١٨﴾ فَقُلْتُمْ كَيْفَ قَدَرْنَا ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرْنَا ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَبَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ
 وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾
 [المدثر: ١١ - ٢٦].

فالذي قالَ عن القرآن: «إن هذا إلاً قولُ البشر» هو الزعيمُ القرشيُّ
 الكافر، الوليدُ بنُ المغيرة، واعتمدَ الفادي المفتري كلامه، لأنه يوافقُ هوى
 في نفسه!!.

ولاحظَ قَصَدَ المفتري الخبيث من قوله: «فقال محمد: إن قرآنه وحْيٌ
 من الله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. فهو يُؤكِّدُ على بشرية القرآن، وأنَّ
 محمداً ﷺ هو الذي يُؤلِّفُ الآيات، ويضعُها في السُّور، ويدَّعي أنها من
 عندِ الله!!.

وأثارَ الفادي المفتري الشبهاتِ حولَ «موافقات عمر»، واستشهدَ بها
 على فكرته الشيطانية حولَ بشرية القرآن!.

وموافقاتُ عمرَ هي حوادثٌ محدَّدةٌ، كانَ عمرُ بن الخطابِ ﷺ يقترحُ
 على رسولِ الله ﷺ فعلَ شيءٍ مُعيَّن، فتنزَلُ الآيةُ توافقه على اقتراحه،
 ويدعو الله فيها إلى الأخذِ به.

قالَ الفادي المفتري: «أما أنَّه قولُ البشرِ فواضحٌ من أنَّ القرآنَ حوى
 أقوالَ عمرَ بن الخطابِ التي دَوَّنها محمد، باعتبارِ أنها نزلت من السماء».

ويقصِدُ المجرمُ من هذا الكلامِ الاستفزازيِّ الوقح أنَّ القرآنَ من قولِ
 البشر، وأنَّ محمداً ﷺ أخذَه من قولِ الناسِ وكلامِهِم وعباراتهم، وادَّعى أنها
 نازلةٌ عليه من عندِ الله، ونَسَبَ القرآنَ كلَّه لله!!.

وهو بهذا الاتهام ينفي الجريمة التي وَقَعَ هو وأهلُ ملته وأسياده اليهودُ بها عن نفسه وشياطينه، ويوجِّهها للنبي ﷺ.

اليهودُ والنصارى هم الذين حَرَفُوا التوراةَ والإنجيلَ، وقد أدانهم اللهُ على جريمتهم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

أما الرسول ﷺ فقد رَدَّ على الكفار الذين طلبوا منه تغيير القرآنِ أو تبديله، بأنه لا يُمكنه أن يفعل ذلك، لأنه مُتَّبِعٌ للوحي الذي يأتيه من عند الله. قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥ - ١٦].

وهَدَدَ اللهُ بأنه لن يسمح لأحدٍ أن يتقول عليه، وينسب له ما لم يقله، حتى لو كان هذا الشخص هو رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٧].

وقد نَسَبَ الفادي المفترى خمسة أقوالٍ لعمر، وزَعَمَ أن النبي ﷺ أخذها منه وأثبتها في القرآن.

قال عن القولِ الأول: «مرّة قال عمر: يا رسول الله! لو اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. فجاء قرآنٌ يقول: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].»

والروايةُ صحيحة، ومقامُ إبراهيم هو الحجرُ الذي كان إبراهيمُ ﷺ يقومُ

وَيَقِفُ عَلَيْهِ وَهُوَ بَيْنِي الْكَعْبَةِ، حَيْثُ كَانَ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَكَانَ هُوَ يَقِفُ عَلَى الْحَجَرِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْحَجَرُ مُلْتَصِقًا بِالْكَعْبَةِ، ثُمَّ أَبْعَدَهُ عَمْرٌ عَنِ الْكَعْبَةِ لثَلَاثَ يَسْتَقَّ الطَّوْفُ عَلَى الطَّائِفِينَ.

وَقَدْ اقْتَرَحَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ الطَّائِفُونَ رَكَعَتِي الطَّوْفِ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمَا رُكْعَتَا السَّنَةِ اللَّتَانِ يُصَلِّيَهُمَا الطَّائِفُ بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الطَّوْفِ، فَأَقْرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اقْتِرَاحِهِ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾. وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ اقْتِرَاحِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِطْنَتِهِ وَبُعْدِ نَظَرِهِ.

وَقَالَ عَنِ الْقَوْلِ الثَّانِي لِعَمْرٍ: «وَمَرَّةً قَالَ عَمْرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ. فَجَاءَ قِرَآنٌ يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيِهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].»

وَالرَّوَايَةُ صَحِيحَةٌ، دَالَّةٌ عَلَى بُعْدِ نَظَرِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَغِمَ أَنْ أَزْوَاجَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرَّمَاتٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ تَخَطَّرُ لَهُمْ خَوَاطِرُ السُّوءِ نَحْوَهُنَّ، وَلِذَلِكَ اقْتَرَحَ عَمْرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَهُنَّ بِالْحِجَابِ، لِأَنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَهَذَا مِنْ قَرَطٍ غَيْرَتِهِ عَلَيْهِنَّ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ يَأْمُرُهُ بِذَلِكَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ اقْتِرَاحِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ الْفَادِي عَنِ الْقَوْلِ الثَّلَاثِ: «وَمَرَّةً اجْتَمَعَ نِسَاءُ مُحَمَّدٍ فِي الْغِيْرَةِ. فَقَالَ عَمْرٌ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ. فَجَاءَ قِرَآنٌ يَقُولُ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٥].»

وَالرَّوَايَةُ صَحِيحَةٌ، فَقَدْ اجْتَمَعَتْ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاتَّفَقْنَ عَلَى أَنْ يُطَالَبْنَ بِالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِنَّ، وَزِيَادَةِ نَفَقَتِهِنَّ، فَتَأَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَطَالِبِهِنَّ، فَوَعَّظَهُنَّ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذَكَّرَهُنَّ وَهَدَّدَهُنَّ، وَقَالَ لَهُنَّ: إِنْ طَلَّقَكُنَّ فَعَسَى رَبُّهُ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾.

وقال الفادي عن القول الرابع: «ومرّة جاء قرآن يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢)...»، فقال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فسجّل محمد قول عمر في القرآن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وهذه الرواية أوردتها الحاكم وابن مردويه وابن المنذر، لكنّها لم تصحّ. فلا تُصنّف ضمن موافقات عمر.

وقال الفادي عن القول الخامس: «ومرّة لقي يهودي عمر بن الخطاب، فقال: إنّ جبريل الذي يذكّره صاحبكم عدوّ لنا! فقال له عمر: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ. فَسَجَّلَ مُحَمَّدٌ أَقْوَالَ عَمْرٍ هَذِهِ بِنُصِّهَا: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].»

وهذه الرواية أوردتها الحاكم، ولكنّها لم تصح. والحادثه وَقَعَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْيَهُودِ، وَلَيْسَ بَيْنَ عَمْرٍ ﷺ وَبَيْنَ الْيَهُودِ.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن حوار بين رسول الله ﷺ وبين اليهود حول أسئلة ثلاثة سألوه عنها، لا يعلم جوابها إلا نبي، فلما أجابهم عليها الجواب الصحيح قالوا له: حَدِّثْنَا مَنْ وَلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَعِنْدَهَا نَجْمِعُكَ أَوْ نُنْفِرُكَ.. قال: فَإِنَّ وَلِيَّيَ جِبْرِيلَ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ.. قالوا: عِنْدَهَا نَفَارُكَ، وَلَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ!. قال: فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟ قالوا: إِنَّهُ عَدُوْنَا!.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وبهذا نعرفُ أنَّ نسبةَ القولين الرابع والخامس لعمرَ رضي الله عنه لم تصحَّ، رغم أنَّهما ذُكرا في بعض الروايات، ونقلهما عنها السيوطيُّ في «الإتقان»، ومعلومٌ أنَّ السيوطيَّ لا يتحرى الدقَّة في ما ينقل، وأنَّ صحَّة الرواية عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وأصحابه شرطٌ لقبولها واعتمادها.

أمَّا الأقوال الثلاثة السابقة فقد ذكَّرها البخاريُّ في صحيحه، وهي من موافقاتِ عمر. روى البخاريُّ عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: قالَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: وافقْتُ رَبِّي - أو وافقني رَبِّي - في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتَّخَذتَ من مقامِ إبراهيمَ مُصلًى، فنزلتُ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وقلتُ: يا رسولَ الله! يدخلُ عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرتُ أمهاتِ المؤمنين بالحجاب، فأنزلَ اللهُ آيةَ الحجاب. وبلغني مُعاتبَةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله بعضَ نساءه، فدخلتُ عليهنَّ فقلتُ: إن انتهيتنَّ أو لبيدلنَّ اللهُ رسولَه خيراً منكن، فأنتِ إحدى نساءه، فقالتُ: يا عمر! أما في رسولِ اللهِ ما يعظُ نساءه، حتى تعظهنَّ أنتِ؟ فأنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِذْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ...﴾.

ولا تدلُّ موافقاتُ عمرَ رضي الله عنه - وما نزلَ من القرآنِ على لسانِ بعضِ الصحابة كما ذكرَ السيوطيُّ في الإتقان - على أنَّ في القرآنِ أقوالَ الناس. وأنَّ القرآنَ صناعةٌ بشرية، كما قالَ الفادي المفتري! فكلُّ مسلمٍ يؤمنُ أنَّ القرآنَ كُلُّه كلامُ اللهِ، وأنَّ ما فيه من موافقاتٍ إخبارٍ من اللهِ عن بعضِ ما قاله الصحابةُ أو فعلوه، وهذا علمٌ معروفٌ بعلمِ «أسبابِ النزول». وهو أنَّ تقعَ الحادثةُ، فتنزلَ الآيةُ عقبها.

وموافقاتُ عمرَ التي نزلتْ الآياتُ مُقرَّرةً لكلامِ عمرَ واقتراحه، تدلُّ على فضلٍ ومنزلةٍ وفطنةٍ عمرَ رضي الله عنه، بحيثُ ينزلُ اللهُ الآيةَ في اعتمادِ كلامِهِ والأخذِ

به.

ومن هذا البابِ ما «حكاهُ» القرآنُ في قصصِهِ، ونسبَهُ لأناسٍ من السابقين، من كلماتٍ وأقوالٍ وحِواراتٍ، حيثُ نقلَ ما قالوه بلغاتهم السابقة غيرَ العربيةِ بلسانِ عربيٍّ مبين!!.

ولقد شتمَّ الفادي المجرمُ القرآنَ والرسولَ ﷺ في عباراتٍ استفزازية، مثل قوله: «فَسَجَّلَ مُحَمَّدٌ قَوْلَ عَمَرَ فِي الْقُرْآنِ»، وقوله: «فَسَجَّلَ مُحَمَّدٌ أَقْوَالَ عَمَرَ هَذِهِ بَنَصُّهَا».. وهو يجزُمُ في هذه العباراتِ بأنَّ محمداً ﷺ هو الذي صاغ القرآنَ وألّفه، ونقَلَ فيه من أقوالِ الناسِ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه!!.



حول سور الخَلْعِ والحَفْدِ والنُّورين

يرى الفادي المفتري أنَّ المسلمينَ حَرَّفوا القرآنَ، وأسقطوا منه بعضَ سُورِهِ، وأنَّ بعضَ المسلمينَ أَلَفَ بعضَ السورِ القرآنية، وهو بهذا يُكذِّبُ آياتِ التحدي، التي قَرَّرَتْ أَنَّ البَشَرَ لَا يَمَكُنُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ.

قال: «جاءَ في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

وجاءَ في سورة يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

وجاءَ في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولم يُصدِّقِ الفادي المفتري مضمونَ آياتِ التحدي، ورَعَمَ أنه تمَّ الإتيانُ بسُورٍ مثلِ القرآنِ. قال: «فماذا يحدثُ لو أننا أتينا بسورةٍ واثنين وثلاثِ سُورٍ مثلِ القرآنِ، دونَ حاجةٍ إلى اجتماعِ الإنسِ والجنِّ؟».

والسورُ الثلاثُ التي رَعَمَ الفادي المجرمُ أنها مثلُ القرآنِ، هي سور: الخَلْعِ والحَفْدِ والنُّورينِ، ورَعَمَ أنَّ سورتي الحَفْدِ والخَلْعِ كانتا في مصحفِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ وابنِ عباسٍ، وذَكَرَ كلماتِ السُّورِ الثلاثِ.

وَنصُّ سورةِ الخَلْعِ الذي ذَكَرَهُ هو: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُشْنِي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ».

وَنصُّ سورةِ الحَفْدِ الذي ذَكَرَهُ هو: «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَفَّارِ مُلْحِقٌ».

وَعَلَّقَ عَلَى كَلِمَاتِ السُّورَتَيْنِ الْمَزْعُومَتَيْنِ بِقَوْلِهِ: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ سُورَتِي الْخَلْعِ وَالْحَفْدِ جَاءَتَا فِي مَصْحَفِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَفِي مَصْحَفِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَلَّمَهُمَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُهُمَا لِلنَّاسِ، وَصَلَّى بِهِمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. . فَلِمَاذَا لَا تُوجَدَانِ فِي الْقُرْآنِ الْمَتَدَاوِلِ الْيَوْمَ؟ وَلِمَاذَا أَسْقَطَهُمَا الْمُسْلِمُونَ؟» (١).

وهذا التعليقُ كَذِبٌ وافتراءٌ، وَمَصْحَفُ الصَّحَابَةِ الشَّخْصِيَّةُ لَا تُخَالَفُ الْمَصْحَفَ الْإِمَامَ، الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَلَا لِابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا لِابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَصْحَفٌ خَاصَّةٌ، فِيهَا سُورَتَا الْخَلْعِ وَالْحَفْدِ، كَمَا زَعَمَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي.

وَأَلْفَاظُ سُورَتِي الْخَلْعِ وَالْحَفْدِ الَّتِي سَجَّهَا الْفَادِي الْجَاهِلُ، كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقْرَأُ بِهَا فِي الصَّلَاةِ! وَعَلَّمَهَا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا، لِيَقْرَأَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ!! نَعَمْ، هَذَا صَحِيحٌ!! لَكِنْ لَيْسَ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا عَلَى أَنَّهَا دَعَاءُ اللَّهِ.

أَلْفَاظُ السُّورَتَيْنِ الْمَزْعُومَتَيْنِ جِزْءٌ مِنْ دَعَائِ الْقُنُوتِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو بِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَعَلَّمَهُ لِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَكَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ بِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَسَمِعَهُ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ، وَرَوَّوهُ عَنْهُمْ، وَذَكَرَهُ هَذَا فِي الْكُتُبِ. . وَقَرَأَ قَوْمُ الْفَادِي مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَلْفَاظَ هَذَا الدَّعَاءِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَذْكُرُونَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَاعْتَبَرُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ لِجَهْلِهِمْ وَغَبَائِهِمْ!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٤ - ٨٥، ٨٧.

دُعَاءُ الْقَنُوتِ الَّذِي يَدْعُو بِهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَفِي صَلَاةِ الْوُتْرِ
 هُوَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَهْدِيكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ،
 وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَنُشْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، نَشْكُرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرِكُ مَنْ
 يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو
 رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدِّ بِالْكَفَّارِ مُلْحِقٌ».

أَمَّا كَلِمَاتُ سُورَةِ النُّورِ الَّتِي زَعَمَ الْمُفْتَرِي وَقَوْمُهُ أَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ
 الْمَحْذُوفِ فَإِنَّهَا كَلِمَاتٌ رَكِيكَةٌ ضَعِيفَةٌ، لَا تَرْقَى إِلَى مَسْتَوَى الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ
 الْفَصِيحِ الْبَلِيغِ، فَضْلاً عَنْ بُلُوغِهَا مَسْتَوَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمَعْجَزِ، وَهِيَ كَلِمَاتٌ
 صَاغَهَا قَوْمٌ ضَعَفَاءُ فِي التَّعْبِيرِ الْبَيَانِيِّ الْمَشْرُقِ!

وَأَضَعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقِرَاءِ كَلِمَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ الْمَفْتَرَاةِ، وَأَدْعُوهُمْ إِلَى إِعْمَانِ
 النَّظَرِ فِيهَا، لِيَعْرِفُوا صِدْقَ مَا أَقُولُ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: آمِنُوا بِالنُّورَيْنِ، أَنْزَلْنَاهُمَا، يَتْلُوَانِ عَلَيْكُمْ آيَاتِي،
 وَيُحَذِّرَانَكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.. نُورَانِ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّا لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ..
 إِنَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ بَعْهَدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي آيَاتِ لَهُمْ جَنَاتُ النَّعِيمِ.. وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا آمَنُوا بِنَفْسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَمَا عَاهَدَهُمُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ يَقَذِفُونَهُ فِي
 الْجَحِيمِ.. ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَعَصَوْا الْوَحْيَ الرَّسُولِ أُولَئِكَ يُسْقَوْنَ مِنْ حَمِيمٍ..
 إِنَّ اللَّهَ الَّذِي نَوَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا شَاءَ، وَاصْطَفَى الْمَلَائِكَةَ وَالرُّسُلَ،
 وَجَعَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُولَئِكَ مِنْ خَلْقِهِ، يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.. قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِرُسُلِهِمْ، فَأَخَذْتَهُمْ بِمَكْرِهِمْ، إِنَّ
 أَخْذِي أَلِيمٌ شَدِيدٌ.. إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ عَادًا وَثَمُودَ بِمَا كَسَبُوا، وَجَعَلَهُمْ لَكُمْ
 تَذَكْرَةً، أَفَلَا تَتَّقُونَ.. وَفِرْعَوْنُ بِمَا طَغَى عَلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ أَغْرَقْتَهُ وَمَنْ
 تَبِعَهُ أَجْمَعِينَ.. لِيَكُونَ لَكُمْ آيَةٌ، وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ.. إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُهُمْ يَوْمَ
 الْحِشْرِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَوَابَ حِينَ يُسْأَلُونَ.. إِنَّ الْجَحِيمَ مَأْوَاهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ.. يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ إِنْ دَارِيَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ

كانوا عن آياتي وحُكْمِي مُعْرِضِينَ . . مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جناتِ النَّعِيمِ . . إني لذو مغفرةٍ وأجرٍ عظيمٍ .

. . . وَإِنَّ عَلِيًّا لَمِنَ الْمُتَّقِينَ . . وَإِنَّا لَنُؤَقِّهَ حَقَّهُ يَوْمَ الدِّينِ . . وما نحن عن ظلمه بغافلين . . وكرَّمناهُ على أَهْلِكَ أَجْمَعِينَ . . وَإِنَّهُ وَذُرِّيَّتَهُ لَصَابِرُونَ . . وَإِنَّ عَدُوَّهُمْ إِمامُ الْمُجْرِمِينَ . . قل للذين كَفَرُوا بعدما آمَنُوا: طَلَبْتُمْ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاسْتَعْجَلْتُمْ بِهَا، وَنَسِيتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَنَقَضْتُمْ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . . يا أَيُّهَا الرَّسُولُ: قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ، فِيهَا مَنْ يَتَوَقَّهَ مُؤْمِنًا، وَمَنْ يَتَوَلَّهَ مِنْ بَعْدِكَ يَظْهَرُونَ . . فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ إِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . . إِنَّا لَهُمْ مُحَرِّضُونَ، فِي يَوْمٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْءٌ، وَلَا هُمْ يُرْحَمُونَ . . إِنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَقَامًا عَنْهُ لَا يَعْدِلُونَ . . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . . ولقد أرسلنا موسى وهارون، فَبَعَا هَارُونَ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، فَجَعَلْنَا مِنْهُمْ الْفِرْدَاةَ وَالْخَازِرِ، وَلَعَنَّاهُمْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . . فَاصْبِرْ فَسَوْفَ يُبْلُونَ، وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ الْحُكْمَ، كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . . وَجَعَلْنَا لَكَ وَصِيًّا مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . . وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْ أَمْرِي فَإِنِّي مُرْجِعُهُ، فَلْيَتَمَتَّعُوا بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا، فَلَا تَسْأَلُنِ عَنِ الْنَاكِثِينَ . . يا أَيُّهَا الرَّسُولُ قَدْ جَعَلْنَا لَكَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ آمَنُوا عَهْدًا، فَخُذْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . . إِنَّ عَلِيًّا قَانِتًا بِاللَّيْلِ سَاجِدًا، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ. قل هل يَسْتَوِي الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَهُمْ بِعَذَابِي يَعْلَمُونَ . . سَيَجْعَلُ الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَنْدَمُونَ . . إِنَّا بِشَرِّكَ بَدْرِيَّةِ الصَّالِحِينَ . . وَإِنَّهُمْ لَأَمْرًا لَا يَخْلِفُونَ . . فعليهم مني صلاة ورحمة، أحياء وأمواتاً ويومَ يُبْعَثُونَ . . وعلى الذين يُبْعَثُونَ عليهم مني بعديكَ غَضَبِي، إِنَّهُمْ قَوْمٌ سَوْءٌ خَاسِرِينَ . . وعلى الذين سَلَكَوا مَسَلَكَهُمْ مِنِّي رَحْمَةً وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ . . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . . آمِينَ . .» (١) .

هذا هو النصُّ الركيكُ لسورة التورين، وقد تَعَمَّدْتُ أَنْ أَذْكَرَهُ كَمَا هُوَ فِي كِتَابِ الْفَادِي الْمِفْتَرِي، بِأَخْطَائِهِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ، وَأَدْعُو الْقُرَّاءَ إِلَى الصَّبْرِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٥ - ٨٧.

على قراءته، ليعرفوا المستوى الهابط الذي انحدر إليه الذين كتبوه. . وزعموا أنه وحي من الله، وأنه كان في القرآن، ثم حذفه منه المسلمون زمن عثمان رضي الله عنه. ولا وَجْهَ للمقارنة بين هذا الكلام وبين القرآن، لأنه لا مُقارَنَةَ بين الثرى على الأرضِ والثرى في السماء!!.

وكم كان الفادي غيبياً سخيلاً عندما جعلَ عنوانَ كلامه: «سُورٌ مثله»، وادَّعى أن هذا الكلامَ مثلُ القرآن! ولا أتخرجُ من ذِكرِ وتسجيلِ ما زَعَمَهُ بعضُهُم من أنه قرآن، وما ادَّعاهُ بعضُهُم من القدرة على معارضة القرآن والإتيانِ بسورٍ مثله، ولا أخافُ منه على القرآن. ولدى قراءتنا لكلامهم التافه الذي كتبوه نزدادُ ثقةً بالقرآن، ومحبةً له، ويقيناً بأنه كلامُ الله، وعجزِ البشرِ الأبدِيِّ عن معارضته!!.



كيف يشاء الله الكفر؟

اعترضَ الفادي المفتري على قولِ الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ مَجْنَأْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ونقلَ من تفسيرِ البيضاويِّ كلاماً، خلاصتهُ: «﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما يَصِحُّ لَنَا ﴿أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ خِذْلَانَا وَاِرْتِدَادَنَا. . وفيه دليلٌ على أَنَّ الكفرَ بمشيئةِ الله!»^(١).

وسَجَّلَ اعتراضه وتساؤله قائلاً: «ونحنُ نسأل: كيف يشاء الله الكفر، وهو أكبرُ المعاصي؟! وهل يتفقُ هذا مع قداسةِ الله وصلاحيه وعدله؟ أليسَ الأوفقُ والأكرمُ لمجدِ الله أن نعتقدَ بقولِ التوراةِ وقولِ الإنجيلِ: الله يُريدُ أن جميعَ الناسِ يُخلصون، وإلى معرفةِ الحقِّ يُقبلون»^(٢).

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧ - ٨٨.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٧.

الآية التي اعترضَ عليها المفتري ضمنَ آياتٍ تتحدثُ عن قصةِ شعيبٍ عليه السلام مع قومه، وتُسجَلُ رَدُّ شعيبٍ على تهديدِ قومه الكافرين له ولأتباعه المؤمنين، بإخراجهم من قريتهم إن لم يعودوا في ملتهم. قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩].

أخبرَ شعيبٌ عليه السلام قومه بأنه لن يعودَ هو وأتباعه المؤمنون في ملتهم الكافرة، وأنه لا يكونُ ولا ينبغي له ولأتباعه المؤمنين أن يعودوا إلى الكفر بعد أن نجَّاهم الله منه، ومنَّ عليهم بالإيمان.

ثم رَبطَ شعيبٌ عليه السلام الأمرَ بمشيئةِ الله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾.

والمعنى: نحنُ قرَرنا أن لا نعودَ في ملتكم، لكن لا ندري ما الذي يَشأؤه الله ويريدُه، فإن شاء خذنا لنا وردتنا فإنَّ مشيئته نافذةٌ ماضية.

والمصدَرُ «أنَّ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا» في محلِّ نصبٍ مستثنى، والاستثناء هنا منفصل، غيرُ مرتبطٍ مع ما قبله، والمفعولُ به لفعل «يشاء» محذوف، تقديرُه: يَشَاءُ اللهُ رَبُّنَا عودتنا. وتقديرُ الاستثناء: ما يكونُ لنا أن نعودَ فيها إلا مشيئة ربنا ذلك.

وحكمةُ ذكْرِ الاستثناء هنا، رَبطُ كُلِّ شيءٍ بمشيئةِ الله وإرادته، وعلمه وقدره وقضائه، وبيانُ أنَّ مشيئةَ الله هي النافذة، وأنَّ إرادته هي الماضية، وأنه إذا أراد شيئاً أوجده كما أراد، وأنه لن يَقَعَ شيءٌ في الوجودِ كُلِّه إلا بمشيئته سبحانه وإرادته. وهذا معناه أن يُسَلِّمَ المؤمنُ أمرَه إلى الله، وأنَّ يحسنَ التوكلَ عليه، والتفويضَ إليه، والرضا بقدره!.

وخاطبَ إبراهيمُ عليه السلام قومه بكلامٍ قريبٍ مما خاطبَ به شعيبٌ عليه السلام قومه

قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

فبعد أن واجههم بعدم خوفه منهم ومن آلهتهم، ربط الأمر بمشيئة الله، والمعنى: أنا لا أخاف آلهتكم لأنها لا تُضُرُّ ولا تُنْفَع، فإن شاء الله ربي أن تُضُرَّني، وَقَعَ الضُّرُّ بي، لأنَّ الله شاء ذلك، وليس لأنها هي تُضُرُّ، فهي سبب في هذه الحالة، والمسبب والمقدَّر هو الله!!.

ولم يفهم الفادي الجاهل معنى إرادة الله ومشيئته، وادَّعى أن الله لا يشاء الكفر! وهذا ادِّعاء كبير، وخطأ فادح!.

إذا كان الله لا يشاء الكفر، فمعنى ذلك أن الكفار يكفرون رَغماً عن الله، وهذا يقود إلى إثبات العجزِ لله، لأنه لا يستطيعُ مَنْعُ كُفْرِ الكفار، وأنه تحدث في ملكه أشياء بدونِ إذنه!! وهذا اتِّهامٌ لله بالنقصِ والضعفِ والعجز!!.

ولا إشكال في قولنا: الكافرُ يكفُرُ بمشيئةِ الله، والله هو الذي يشاء الكفر، لأنه لا يقع شيءٌ في الوجودِ بدونِ إذنِ الله وإرادته ومشيئته سبحانه، ومن هو ذلك الشخصُ المخلوقُ القادرُ على تعجيزِ الله!؟.

ومشيئةُ الله كُفْرَ الكافرِ تعني علمه بأنه سيكفُرُ، وإرادته في أن يكفُرُ، ولو لم يُرد ذلك لمنع الكافر من الكفر، ومنع العاصي من المعصية.

ولا يعني هذا أن الله يرضى ذلك الكفر، ويحبُّ الكافرَ عندما يكفر، فإنَّ الله لا يرضى ذلك، ولا يُحبُّه، وقد نهى الكافرَ عنه، وهَدَّه بالعذاب، وسيحاسبُه ويعاقبه ويُعذِّبه.

ومعنى هذا أن مشيئة الله وإرادته نوعان:

الأول: مشيئةٌ كونيَّة: وهي مشيئةٌ تقومُ على مجردِ العلم، وهي المتعلقةُ بكفرِ الكافرِ، ومعصيةِ العاصي.. فالله شاء ذلك الكفرَ وأراده، بمعنى أنه علمه، لكنَّه لا يرضى ذلك ولا يقبلُه، وقد نهى عنه وحذَّر منه، وتوعَّد فاعله بالعذاب.

الثاني: مشيئة شرعية: وهي تقوم على العلم أولاً، ثم ينتج عنها الرضا والمحبة، وهي المتعلقة بإيمان المؤمن وعبادته لله وطاعته له. فالله شاء إيمان المؤمن وعبادته، بمعنى أنه علم أنه سيؤمن، وقدّر له أن يؤمن، وأراد له أن يؤمن، وأعانه على أن يؤمن، ورضي له أن يؤمن... ولما آمن المؤمن أحبّه الله، وأثابه على إيمانه، وأعطاه على ذلك الأجر والثواب!.

والقرآن صريح في حديثه عن هاتين المشيئتين، وذكر ذلك في آيات عديدة، نكتفي منها بقول الله ﷻ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٧].

وبهذا نعرف أنه لا محذور في الحديث عن مشيئة الله، وتقرير أنه يشاء الكفر، بالمعنى الذي وصّحناه، وإنما المحذور في نفي ذلك عن الله، لأنه يؤدي إلى إثبات العجز والضعف لله، وهو ما يؤدي إليه كلام الفادي الجاهل!!.



الله يبتلي عباده بالخير والشر

تحدثت آيات سورة الأعراف عن قصة أصحاب السبت، وهم سكان قرية من اليهود، نهاهم الله عن صيد الأسماك يوم السبت، فتحايّلوا على ذلك، وارتكبوا المحذور، ولم يستجيبوا للتأصّحين الذين نصّحوهم ونهوههم عن ذلك، فعاقبهم الله بأن مسحهم قردة خاسئين، وأنجى الدعاة الذين نهوههم عن ارتكاب ما حرّم الله!.

ومما قاله الله عن أصحاب السبت: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

تُخبر الآية أنّ الله ابتلى أصحاب القرية، فوجّه الأسماك والحيتان إليهم

يومَ السبت، الذي حُرِّمَ عليهم صَيْدُهَا فيه، حيث كانت تأتيهم على وجهِ الماء، وكأنها شُرِّعَ تَسِيرُ على وجهِ الماء، وفي باقي الأيام كانت لا تأتيهم، وكانوا يُتَعَبُونَ أَنْفُسَهُمْ في البَحْثِ عنها في البحرِ لصَيْدِهَا.

واعترضَ الفادي على الآية، وخطأها، واعتبرها لا تتفق مع عدلِ الله. قال: «ومعنى هذا أن الله أوصى بني إسرائيل أن يستريحوا من أعمالهم للعبادة يومَ السبت، وجعلَ الحيتانَ تأتي ظاهرةً يومَ السبت، لإغرائهم بصيدها، وتحتفي باقي أيام الأسبوع... فكيف نتصورُ إلهًا يُجربُ عباده بالشُرور، ويُسهِّلُ لهم العصيان بإظهار الحيتانِ يومَ السبت؟.. مع أن الإنجيلَ يقول: لا يُقْلُ أَحَدٌ إذا جُرِّبَ إني أُجربُ من قِبَلِ الله، لأنَّ اللهَ غَيْرَ مُجربٍ بالشُرور، وهو لا يُجربُ أَحَدًا، ولكن كلُّ واحدٍ يُجربُ إذا انجذبَ وانخدعَ من شهوته»^(١).

يرى الفادي الجاهلُ أن الله لا يبتلي عباده ولا يمتحنهم ولا يُجربهم، لأنَّ هذا لا يتفق مع عدله، أي كيف يُقدِّمُ لهم الشرورَ والمغريات، ويُسهِّلُ لهم الحصولَ عليها، ثم يمنعهم منها ويحرِّمها عليهم؟!.

واعترضه مرفوض، وكلامه مردود، فالله خلق عباده وكلفهم بالتكاليف، وذلك لِيبتليهم ويمتحنهم، ويُجربهم ويختبرهم، فالتكاليف والشرائع ابتلاءٌ من الله لعباده.. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

والله يبتلي عباده بالخير، كما يبتليهم بالشرِّ، لِيَميزَ الخبيثَ من الطَّيِّبِ؛ فالمؤمنُ يشكرُ الله عندَ الخيرِ والسرِّاءِ، ويصبرُ عندَ الشرِّ والضَّرِّاءِ، وبذلك ينجحُ في هذا الابتلاءِ والاختبار. أمَّا الكافرُ والفاسقُ فإنه يطغى عندَ الخيرِ والنعمة. وييأسُ عندَ الشرِّ والمصيبة، وبذلك يخسرُ ويرسبُ في الابتلاءِ والامتحان. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٨.

على ضوء هذه الآية نعرف ابتلاء أهل القرية، حيث امتحنهم بعدم صيد الحيتان يوم السبت، ومبالغة في الابتلاء كان يسوق إليهم الأسماك والحيتان في يوم السبت، وكانت هذه الحيتان لا تأتيهم في باقي أيام الأسبوع. ورسب معظم أصحاب القرية في الامتحان، حيث تحايّلوا على حُكم الله، وازتكبوا ما حرّم الله.

وكما ابتلى الله بني إسرائيل بالتكليف، ومنعهم من الصيد يوم السبت، ابتلى الله المؤمنين، ومنعهم من صيد البرّ أثناء إحرابهم بالحجّ أو العمرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ مَا كَفَرْنَا مِنْ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعَدَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

فالله قرّب الصيد للمسلمين المُحرّمين، كما قرّب الحيتان لليهود من أصحاب القرية، وعبرّت الآية عن هذا التقريب: ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾. وقد نجح المسلمون في هذا الابتلاء والامتحان، والتزموا بحُكم الله.



حديث القرآن عن المسيح ﷺ

تحدّث القرآن عن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ كما تحدّث عن غيره من الرسل، وكان حديثه عن أولي العزم من الرسل أكثر من حديثه عن غيرهم. وأولو العزم من الرسل خمسة هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، عليهم الصلاة والسلام.

وقد كذّب الفادي المفتري عندما قال: «إنّ الذي ذكره القرآن عن المسيح يفوق ما ذكره عن سائر البشر، بمن فيهم محمد! ألا يشير هذا إلى تفرّد المسيح عن سائر البشر؟ وهذا ما يقوله الإنجيل عن لاهوت المسيح»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٢.

إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرَهُ عَنْ عَيْسَى ﷺ ،
وكذلك ما ذَكَرَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﷺ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرَهُ عَنْهُ .

أولاً: مثل عيسى كمثل آدم:

أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ مَثَلَ عَيْسَى كَمَثَلِ آدَمَ ﷺ . قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].
خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ﷺ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَقَالَ لَهُ: كُنْ إِنْسَانًا حَيًّا،
فَكَانَ إِنْسَانًا حَيًّا . . . وَهَكَذَا عَيْسَى ﷺ ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَهُ بَدُونِ أَبِي، فَأَمَرَ
جَبْرِئِيلَ ﷺ أَنْ يَنْفَخَ رُوحَهُ فِي مَرْيَمَ ﷺ فَفَعَلَ ، وَقَالَ اللَّهُ لِعَيْسَى: كُنْ إِنْسَانًا
حَيًّا فِي رَحِمِ مَرْيَمَ، فَكَانَ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ . فَلَا غَرَابَةَ فِي خَلْقِ عَيْسَى ﷺ بَدُونِ
أَبٍ، كَمَا أَنَّهُ لَا غَرَابَةَ فِي خَلْقِ آدَمَ بَدُونِ أَبِي أَوْ أُمِّ .

ولكنَّ هذا الكلامَ لم يُعجب الفادي المفتري، ولذلك اعترضَ على الآية
بقوله: «ونحنُ نقولُ: إِنَّ آدَمَ مِثْلُ الْمَسِيحِ فِي أَنَّهُ أَبُو الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ وَوَكِيلُهُ
وَنَائِبُهُ، وَلَكِنَّ آدَمَ بِمَعْصِيَتِهِ جَرَّ ذَرِيَّتَهُ جَمِيعاً لِلْهَلَاكِ . أَمَّا الْمَسِيحُ فَهُوَ أَبُ
وَكَيْلٌ وَنَائِبٌ جَدِيدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، الَّذِينَ مَنَحْتَهُمْ كَفَارَتَهُ وَعَمَلَهُ النِّيَابِيُّ وَطَاعَتُهُ
خِلَاصَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِنْجِيلُ: آدَمُ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الْآتِي»^(١) .

أَمَّا أَنَّ آدَمَ ﷺ أَبُو الْبَشَرِ فَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ مِنَ الْبَشَرِ .
وَأَمَّا أَنَّ عَيْسَى الْمَسِيحَ ﷺ أَبُو الْبَشَرِ فَهُوَ أَمْرٌ مَرْفُوضٌ، لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ آدَمَ بِفِتْرَةٍ
طَوِيلَةٍ، تَزِيدُ عَنْ مِائَةِ الْآلَافِ مِنَ السِّنِينَ . وَلَقَدْ كَانَ الْفَادِي وَأَهْلُ مِلَّتِهِ مُغَالِينَ
مُبَالِغِينَ عِنْدَمَا اعْتَبَرُوا عَيْسَى ﷺ أَباً لِلْبَشَرِ، وَوَكِيلَهُمْ وَنَائِباً عَنْهُمْ، لِدَرَجَةِ أَنَّ
فَدَاهُمْ بِنَفْسِهِ، وَجَعَلَ دَمَهُ كَفَارَةً لذُنُوبِهِمْ، وَتَخْلِيصاً لَهُمْ!! وَقَدْ سَبَقَ أَنْ نَاقَشْنَا
الْفَادِي فِي مَوْضُوعِ الْكِفَارَةِ وَالْفِدَاءِ وَالْخِلَاصِ .

وَيُحْطَى الْفَادِي الْآيَةَ، لِأَنَّهَا شَبَّهَتْ عَيْسَى ﷺ بِآدَمَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . فَهُوَ يَرَى أَنَّ خَلْقَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٨.

عيسى ليس كخلق آدم، قال: «أما تشبيه المسيح بآدم، بما يُفِيدُ أَنَّ الْمَسِيحَ مخلوقٌ كآدمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، فهذا خطأ.. لأنَّ الْمَسِيحَ ليس بكائنٍ من كلمةِ الله، بل هو ذاته كلمةُ الله الأزلي، الذي تجسَّدَ من مريم العذراء، وظهرَ بينَ الناسِ ليخلصهم..»^(١).

يرى الفادي أَنَّ آدَمَ ﷺ خُلِقَ بكلمةٍ من الله، وكُلُّ بَشَرٍ خُلِقَ بكلمةٍ من الله، إِلَّا الْمَسِيحُ ﷺ، فإنه ليسَ مَخْلُوقًا بكلمةٍ من الله، وإنما هو كلمةُ الله ذاتها، التي يَخْلُقُ بها الناسَ، وهي كلمةٌ أزليةٌ غيرُ مَخْلُوقَةٍ، وَجَهَهَا اللهُ إِلَى مريمَ، وَتَجَسَّدَتْ هذه الكلمةُ في عيسى!!.

ومعنى هذا الكلامِ أَنَّ عيسى ليسَ مخلوقًا، وإنما هو أزلِي، والأزليُّ هو الله، لأنَّ كُلَّ ما سِوَى اللهِ مَخْلُوقٌ، فَإِنْ لم يكنِ عيسى مخلوقًا، وَإِنْ كَانَ أزلِيًّا، فسيكونُ إلهًا، لأنَّ الموجودَ إِذَا كَانَ مَخْلُوقًا حَادِثًا، وَإِذَا كَانَ يَكُونُ أزلِيًّا خَالِقًا، فَإِنْ لم يكنِ مَخْلُوقًا حَادِثًا كَانَ أزلِيًّا خَالِقًا!!.

إِنَّ جَمَلَةَ الْفَادِي السَّابِقَةَ تَأْلِيهِ مِنْهُ لِعِيسَى ﷺ. وَقَدْ أَدَانَ اللهُ الَّذِينَ أَلْهَوْا عِيسَى ﷺ وَكَفَرَهُمْ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

ثانياً: وضوح حديث القرآن عن المسيح:

كَانَ الْقُرْآنُ وَاضِحًا صَرِيحًا فِي تَقْرِيرِهِ خَلْقَ عِيسَى كَخَلْقِ آدَمَ ﷺ، وَوَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا خُلِقَ بِكَلِمَةِ اللهِ الْأَزَلِيَّةِ، الَّتِي خَلَقَ بِهَا بَاقِي الْمَخْلُوقِينَ، وَهِيَ كَلِمَةُ «كُنْ» التَّكْوِينِيَّةُ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وَرَعَمَ تَقْرِيرِ الْقُرْآنِ الْوَاضِحِ بِشَأْنِ خَلْقِ عِيسَى ﷺ، وَأَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا أَنَّ الْفَادِي اتَّهَمَهُ بِالتَّنَاقُضِ. قَالَ: «وَيَقُولُ الْقُرْآنُ فِي الْمَسِيحِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٨ - ٨٩.

كلاماً متناقضاً. تقول سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]. وورد في سورة الزخرف: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وفي الوقت نفسه توجد آيات أخرى تُشير إلى لاهوت المسيح، كشخص غريب وعجيب بين البشر، وتُعطيه أعظم الألقاب، التي لم تُعط في القرآن لغيره^(١).

إنَّ الفادي يفترى على القرآن عندما يتهمه بالتناقض في حديثه عن عيسى ﷺ، وهو الذي لم يُحسِن فهم حديث القرآن!

ومن أراد أن يعرف حديث القرآن عن عيسى ﷺ، وأن يتعرف على شخصيته من خلال القرآن، فعليه أن يجمع الآيات التي تحدثت عنه من مختلف السور، وأن ينظر فيها مجتمعة، وأن يجمع بينها، ويستخرج دلالتها. ومعلوم أنه لا تعارض ولا تناقض في آيات القرآن.

عيسى ﷺ خَلَقَهُ اللهُ بدون أب: وَخَلَقَ رُوحَهُ بِكَلِمَتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ، «كُنْ»، وأمر جبريل أن يحمل روحه المخلوقة، وأن يتوجه إلى مريم العذراء، وأن ينفخ تلك الروح فيها، فحملت مريم بعيسى بأمر الله، وكان حمل معجزة بأمر الله، وبعد ولادة عيسى بلحظات كَلَّمَ أُمَّهُ، وبعد ذلك كَلَّمَ قَوْمَهَا، فهو عبدُ الله ورسوله، وهو كلمته التكوينية «كُنْ»، والروح التي فيه روح من عند الله، وهو خَيْرٌ مَنْ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ، عندما كَلَّمَ قَوْمَ أُمَّهُ بعد ميلاده. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٣].

وقد وقف الفادي أمام كلمات قرآنية وردت في حديث القرآن عن

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٩.

عيسى ﷺ، واستشهد بها على عقيدة أهل ملته في المسيح، وحرّف معناها ودلالاتها، وهذه الكلمات هي:

١ - المسيح كلمة الله:

ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ عَيْسَى ﷺ كَلِمَةُ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وفهم الفادي الآيتين فهماً خاطئاً، قال: «كلمة الله: هذا الاسم الكريم لا يصح أن يُسمّى به مخلوق، فهو خاصٌّ بالمسيح، انفرد به عن سائر البشر والملائكة»^(١).

يُصْرِّحُ الْفَادِي بِأَنَّ عَيْسَى لَيْسَ مَخْلُوقاً، لِأَنَّهُ سُمِّيَ بِاسْمٍ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ، فَلَا يَجُوزُ لِأَيِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ أَنْ يُسَمَّى «كَلِمَةَ اللَّهِ»، وَبِمَا أَنَّ الْمَسِيحَ سُمِّيَ كَلِمَةَ اللَّهِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ مَخْلُوقاً، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْلُوقاً كَانَ خَالِقاً، لِأَنَّ الْمَوْجُودَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَخْلُوقاً كَانَ خَالِقاً، وَهَذَا يُؤَكِّدُ إِيمَانَ الْفَادِي وَأَهْلِ مِلَّتِهِ بِالْوَهِيَةِ عَيْسَى وَأَزْلِيَّتِهِ!

وزعمه أن «كلمة الله» لم تُطلق على غير المسيح في القرآن كذبٌ وافتراء، وهو يعلم أنه كاذبٌ مفترٍ، لأنه يعلم أن «كلمة الله» في القرآن أُطلقت على غير المسيح.

ذُكِرَتْ «كَلِمَةُ اللَّهِ» فِي مَقَابِلِ «كَلِمَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا»، وَذَلِكَ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ نَصْرِ اللَّهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي رِحْلَةِ الْهَجْرَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٩.

كلمة الكفار: هي رغبتهم وإرادتهم في محاربة الحق والقضاء عليه.

وكلمة الله: هي إرادة الله في نصر الحق وهزيمة الباطل، وسُميت إرادته سبحانه «كلمة»، لأنها أمرٌ من الله ﷻ، حيث يأمرُ بإنفاذِ قدرته وإرادته، وتحقيقِ علمه، فيكونُ ما أَرَادَهُ سبحانه وأَمَرَ بِهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَوَقَّمتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] وكلمة رَبِّكَ: هي إرادته وأمره بنصر بني إسرائيل وإهلاك أعدائهم.

فعبارة «كلمة الله» ليست خاصةً بالمسيح ﷺ، إنما أُطلقت في القرآن على عيسى وعلى غيره.

ومعنى كون عيسى ﷺ كلمة الله: أَنَّ الله أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ خَلْقَهُ معجزةً، عن غيرِ طريقةِ الخلقِ المعروفةِ المألوفةِ، عن طريقِ التزاوجِ والاتصالِ والمعاشرةِ والإخصابِ! فَأَنْقَذَ إِرَادَتَهُ وَخَلَقَ عِيسَى فِي رَحِمِ مَرْيَمَ العذراءِ. وكان خَلْقُهُ بكلمته التكوينيةِ التنجيزيةِ، التي تُحوِّلُ إِرَادَةَ الله من صورتها العلميةِ النظريةِ إلى صورتها العمليةِ الحادثةِ، التي تَمَّ بها إيجادُ عيسى ﷺ!.

وَفَرَّقَ بَيْنَ إِخْبَارِ الْقُرْآنِ أَنَّ عِيسَى كَلِمَةُ (اللهِ)، أَيُّ أَنَّهُ خُلِقَ بِكَلِمَةِ الله وإِرَادَتِهِ، وبين كَلَامِ الْإِنْجِيلِ الْمَحْرَفِ أَنَّهُ كَلِمَةُ الله: «في البدءِ كان الكلمةُ، والكلمةُ كانَ عندَ الله، وكانَ الكلمةُ اللهُ، هذا كانَ في البدءِ عندَ الله!». فالْمَسِيحُ كَلِمَةُ الله، أَيُّ أَنَّهُ هُوَ اللهُ! كما سَبَقَ أَنْ صَرَّحَ الْفَادِي بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةً، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَلِيَّةٌ مِثْلُ اللهُ، مَلَاذِمَةٌ لهُ، لَا تَنْفَصِلُ عَنِ اللهُ، وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ. وَقَدْ قَاسَ الْفَادِي الْجَاهِلُ كَلِمَةَ اللهُ عَلَى كَلِمَةِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ: «وَلَقَدْ سُمِّيَ الْمَسِيحُ كَلِمَةَ اللهُ، لِأَنَّ كَلِمَةَ الْإِنْسَانِ هِيَ مِنْهُ، وَمِنْ مَقُومَاتِ شَخْصِيَّتِهِ، فَهِيَ صُورَةٌ عَقْلِيَّةٌ وَفِكْرِيَّةٌ، وَالْمُتْرَجِمَةُ لَهُ، وَالْمَنْفُذَةُ لِسُلْطَانِهِ وَقُوَّتِهِ.. فَالْمَسِيحُ هُوَ ذَاتُ كَلِمَةِ اللهُ، وَهَذَا يُثَبِّتُ لَاهُوتَهُ،

لأنَّ كلمةَ الله من الله وفي الله منذ الأزل. وهل يُمكنُ أن يكونَ قد مرَّ وقتٌ على الله كان فيه بلا كلمة؟»^(١).

كلمةُ الله في نظرِ الفادي وأهلِ ملته أزلِّيَّةٌ ملازمةٌ لله، وهي الله نفسه: «وكانَ الكلمةُ الله» كما وردَ في إنجيلِ يوحنا، وبما أنَّ عيسى كلمةُ الله فهو أزلِّيٌّ مثلُ الله، وليسَ مخلوقاً مثلُ المخلوقاتِ التي خَلَقَهَا الله. . . وبما أنَّ المسيحَ هو كلمةُ الله، وبما أنَّ الكلمةَ هي الله، فإنَّ المسيحَ هو الله!! وهذا ما يؤمنُ به الفادي وقومُه! وهذا هو كفرُ النصارى الذي أدانهم اللهُ به، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢ - المسيح روح من الله:

أخبرَ اللهُ أنَّ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام روحٌ من الله. قال تعالى: ﴿يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وَوَقَفَ الفادي المفترى الخبيثُ أمامَ الآية، واستدلَّ بها على عقيدته الباطلة! قال: «لم تكتفِ الآيةُ بنعتِ المسيحِ بالرسالة، بل شهدتْ أنه كلمةُ الله. ولكي لا نتوهمَ خلافَ المقصودِ باللفظِ «كلمةُ الله»، أتبعها بما يُزيلُ الشكَّ، وهو «وروحٌ منه»، لنفهمَ أنَّ المسيحَ ليس مجردَ رسولٍ عادي، بل ابنُ مرسلٍ من أبيه إلى عالمِ الدنيا، كأشعةِ الشمسِ المنبعثةِ إلى الأرضِ من الشمس!! وما الفرقُ بين القول: إنَّ المسيحَ نورٌ من نورِ إلهِ حقٍّ من إلهِ حق، والقول: روحُ الله، أو: روحٌ من الله؛ أليسَ أنَّه من ذاتِ الله ومن جوهره؟»^(٢).

يُوكِّدُ الفادي على فكرته الباطلةِ وعقيدته المخالفةِ للحق، التي تقومُ على أنَّ المسيحَ جزءٌ ماديٌّ من ذاتِ الله المادية!!.

إنه يرى أنَّ المسيحَ ليس مجردَ رسولٍ عاديٍّ! ومعنى هذا أنه ليسَ رسولاً بشراً، كباقي الرسلِ البشر!.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٨٩.

وهذا كلامٌ مرفوضٌ مردود؛ فعيسى ﷺ رسولٌ عاديٌّ كباقي الرسل، كلُّ ما في الأمرِ أنَّ اللهَ الحكيمَ خَلَقَهُ بدونِ أب، وأنطقَهُ وهو في المهد، وهو في هذا يَخْتَلِفُ عن باقي الرسل، وفي ما سوى ذلك هو رسولٌ عاديٌّ كباقي الرسل. . وشَبَّهَ القرآنُ خَلْقَ عيسى بِخَلْقِ آدمَ ﷺ، لِيُزِيلَ استغرابَ النصارى من خَلْقِهِ بدونِ أب. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿آل عمران: ٥٩ - ٦٠﴾.

ونظرةُ الفادي إلى المسيح ﷺ نظرةٌ باطلة، إنه يرى أنه «ابنٌ مرسلٌ من أبيه إلى عالم الدنيا». أي أنه ابنُ الله، واللهُ أبوه هو الذي أَرْسَلَهُ إلى الدنيا!! وهذا هو الكفرُ والشركُ بالله! وقد نفى القرآنُ أن يكونَ لله وَلَدٌ. قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴿المؤمنون: ٩١﴾﴾. وقال تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿الأنعام: ١٠١﴾﴾.

صلةُ عيسى بالله عندَ الفادي كصلةِ أشعةِ الشمسِ بالشمسِ! وانظرُ ما أسخَفَ هذا التشبيه، وما أجهَلَ مَنْ ذَكَرَهُ! أينَ الشمسُ وأشعتها من الله ورسوله عيسى ﷺ؟ الشمسُ كوكبٌ مخلوقٌ مرئيٌّ في السماء، إننا نرى الشمسَ المخلوقةَ بعيوننا، ونرى أشعتها المنبعثةَ منها. وفرقٌ بين الشمسِ المخلوقة، وبينَ الله الذي خَلَقَهَا، إن الله لا يُمكنُ أن يُرى بالعينِ المجردةِ في الدنيا، كما تُرى الشمسُ! وفرقٌ بينَ عيسى الذي خَلَقَهُ الله، وبينَ أشعةِ الشمسِ المتولدةِ عنها والمنبعثةِ منها! لأنَّ هذه الأشعةَ منفصلةٌ عن الشمسِ انفصلاً مادياً مُشاهداً، فهل انفصلَ عيسى عن الله انفصالَ الجزءِ الصغيرِ من الكلِّ الكبيرِ؟.

إنَّ الفادي الكافرَ يرى أنَّ عيسى انفصلَ عن الله انفصالَ الجزءِ عن الكلِّ! لأنَّه جزءٌ ماديٌّ صغيرٌ من ذاتِ الله الكبيرة! قال: «أليسَ أنه من ذاتِ الله ومن جوهره» فهو يؤمنُ أنَّ لله ذاتاً ماديَّةً، وجَوْهراً وجودياً، يُمكنُ أن يُحصَرَ ويُجَسَّمَ ويُحدَّدَ، ويُمكنُ أن ينفصلَ عنه جزءٌ صغير، فيه روحٌ وحياة، اسمه المسيح.

وهذا كُفِّرَ بالله، وتجسِّمٌ وتحدِيدٌ له، وتجزئةٌ وتقسيمٌ له، وفصلٌ جُزءٍ منه عنه! .

ولقد كانت الآية دقيقةً في الإخبارِ عن المسيح ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ . وتكلّمنا عن معنى كون عيسى ﷺ كلمةً في المسألة السابقة، ونبيّن هنا معنى قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: فقد وَصَفَ اللهُ عِيسَى ﷺ بأنه روحٌ من الله. وفرّقَ بعيدٌ بين قوله: روحٌ من الله، وقوله: روح الله.

لو قال: إنه روح الله لكان المعنى أنّ الله روحاً مادية، كانت فيه، موجودةً داخله، كما توجد روحٌ أحدنا في كيانه، ثم أخرج اللهُ روحه من داخله وجعلها عيسى، وهذا الكلام لا يقوله عاقل!

عيسى ﷺ «روح من الله». أي خَلَقَ اللهُ روحَ عيسى ﷺ، كما يَخْلُقُ روحَ أيِّ إنسانٍ آخر، وهذا معناه أنّ هذه الروح غيرُ الله! وحرفُ الجَرِّ «من» في الآية للبيان، كما أنه للابتداء. أي: الروح التي جعلها اللهُ في عيسى ﷺ هي روحٌ من عندِ الله.

حرفُ الجَرِّ «من» في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ عند الفادي وأهل ملّته للتبعيض، أي أنها جزءٌ وبعضٌ انفصلَ عن الله ودخلَ مريمَ وصارَ عيسى! بينما هذا الحرفُ عند المسلمين للبيان والابتداء، كما وَضَّحْنَا! .

٣ - عيسى ابن من؟:

عيسى هو ابنُ مريمَ ﷺ، وذكرَ القرآنُ ذلكَ أكثرَ من مرّة، وقد شاء اللهُ أن يَخْلُقَهُ بدونِ أب. . ولكنَّ الفادي الكافر يقولُ: إِنَّهُ ابْنُ اللهِ. قال: «انفردَ المسيحُ عن سائرِ البشرِ بولادتهِ من عذراء! فلماذا تميّزَ عن سائرِ الأنبياءِ بدخوله عالمنا بهذه الطريقة المعجزية؟. . إنه كلمةُ الله وروحُ الله، حلَّ في أحشاءِ العذراء، وتجسّدَ وظهرَ بينَ الناسِ، آيةً ورحمةً للعالمين. . . فهو ابنٌ. من أمّه؟ مريم. . ومن أبوه؟ الله. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].» .

سَبَقَ أَنْ تَكَلَّمْنَا عَنْ مَعْنَى كَوْنِ عَيْسَى كَلِمَةً لِلَّهِ، وَرُوحاً مِنَ اللَّهِ، وَالْجَدِيدُ فِي كُفْرِ الْفَادِي هُنَا أَنَّهُ نَصَّ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ: «وَمَنْ أَبَوْهُ؟ .. اللَّهُ!».
 وَأَرَادَ بِالْبُنُوَّةِ الْبُنُوَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ الْمَادِيَّةَ، لِأَنَّهُ قَالَ: أُمُّهُ مَرْيَمٌ وَأَبُوهُ اللَّهُ! وَهَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ بِاللَّهِ، لِادِّعَاءِ أَنَّ لَهُ ابناً وَوَلِداً هُوَ الْمَسِيحُ.
 وَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ صَرِيحاً فِي رَفْضِ كَوْنِ عَيْسَى ابناً لِلَّهِ، وَكُفْرِ الَّذِينَ جَعَلُوا لَهُ وَوَلِداً، وَإِنْكَارِ كَوْنِ الْمَسِيحِ ابناً لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وَدَعَا اللَّهُ النَّصَارَى إِلَى التَّخَلِّيِ عَنْ فِكْرَةِ التَّثْلِيثِ وَزَعْمِ كَوْنِ وَلَدِ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لِمَ لَمْ يَكُن فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وَبَعْدَ مَا تَحَدَّثَتْ آيَاتُ سُورَةِ مَرْيَمَ عَنْ قِصَّةِ حَمَلِ مَرْيَمَ بِعَيْسَى وَوِلادَتِهِ وَكَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ، عَقَّبَتْ عَلَى ذَلِكَ بِنْفِي بُنُوَّتِهِ لِلَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٤٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٥].

٤ - عيسى بدون ذنب!

تَحَدَّثَ الْفَادِي فِي الْمَسْأَلَةِ الرَّابِعَةِ عَنْ تَمَيُّزِ الْمَسِيحِ عَنْ بَاقِي الرُّسُلِ ﷺ، وَجَعَلَ عِنْوَانَ الْحَدِيثِ: «قُدُوسٌ بَدُونَ شَرٍّ». أَيُّ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ شَرًّا وَلَا ذَنْبًا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي ارْتَكَبَ فِيهِ الرُّسُلُ الْآخَرُونَ الشُّرُورَ وَالذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ وَالْأَخْطَاءَ! وَبَعْدَمَا أوردَ آيَةً قُرْآنِيَّةً وَحَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَلَاماً لِأَبِي حَامِدٍ

الغزالي عن تميُّز عيسى عند ولادته بإبعادِ الشيطانِ عنه، قال: «ونحنُ نسألُ: ما سِرُّ هذه القداسةِ المطلقةِ والكمالِ الفائقِ؟ ولماذا لا يذكُرُ القرآنُ للمسيحِ خطأً كما ذكَّرَ لغيره من الأنبياءِ؟ ولماذا لا توجدُ في القرآنِ إشارةٌ إلى أنَّ المسيحَ تابَ إلى الله، ولا أنَّ اللهَ تابَ عليه، ولا قدَّمَ استغفاراً، ولا أنَّ اللهَ غَفَرَ له، كما جاءَ عن سائرِ الأنبياءِ والرسلِ؟ أليسَ لأنَّ المسيحَ ذاتُ قدسية، وهو كلمةُ الله وروحه؟» (١).

أما أنَّ اللهَ أعادَ عيسى ﷺ من الشيطان، فهذا صحيحٌ، لأنه ذكَّرَ في القرآنِ وفي الحديثِ. قالَ اللهُ ﷻ عن دُعاءِ أمِّ مريمَ عند ولادتها: ﴿وإني سَمَيْتُهَا مَرِيماً وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

واستجابَ اللهُ دعاءَها، فحمى ابنتها مريمَ عند ولادتها من الشيطان. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ، قال: «ما مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرِيماً وَابْنَهَا». ثم قالَ أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

وأما أنَّ عيسى ﷺ لم يرتكبْ معصيةً ولا ذنباً، فهذا صحيحٌ أيضاً، لأنه عبدُ اللهِ ونبيُّه ورسولُه، فاللهُ عصمه من الأخطاءِ والذنوبِ والمعاصي، ولم يجعلْ للشيطانِ سلطاناً عليه!

وأما أنَّ الرسلَ الآخرينَ وقعوا في الأخطاءِ والذنوبِ والمعاصي، فهذا خطأٌ وباطلٌ، فكما عصَمَ اللهُ رسولَه عيسى، كذلك عصَمَ باقي الأنبياءِ والمرسلينَ، ونزَّههم من الأخطاءِ والذنوبِ والمعاصي، واضطفاهم لنفسِهِ، وصنَّعهم على عينِهِ، فلم يكنْ للشيطانِ سبيلٌ ولا سلطانٌ عليهم.

وأخطأَ الفادي في اتهامه للمرسلينَ: «ولماذا لم يذكُرِ القرآنُ للمسيحِ خطأً كما ذكَّرَ لغيره من الأنبياءِ؟».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٠.

والراجعُ أَنَّ القرآنَ لم يَذْكُرْ لِلأَنْبِيَاءِ أخطاءً أو ذُنُوباً، إِنَّمَا ذَكَرَ بَعْضَ المَأْخِذِ التي أُخِذَتْ عَلَيْهِم، وَعَاتَبَهُم اللهُ عَلَيْهَا. . وهم لم يُخْطِئُوا في تلكِ المواقِفِ، ولم يُذنبُوا في تلكِ الأفعالِ، وما صَدَرَ عَنْهُم صوابٌ، وَلَكِنَّ اللهُ أَرشَدَهُم إلى ما هو أَوْلَى، لِأَنَّ اللهُ يُحِبُّ لَهُم الأَوْلَى والأَفْضَلَ والأَصْوَْبَ والأَكْمَلَ^(١).

إِنَّ عيسى ﷺ معصومٌ كباقي الأنبياءِ، وليسَ للشيطانِ سُلْطانٌ عليه كباقي الأنبياءِ، ولذلك لم يَعصِ ولم يُخْطِئْ ولم يُذنبِ، كباقي الأنبياءِ.

٥ - حول معجزات عيسى ﷺ:

من مظاهرِ كُفْرِ الفادي باللهِ، وجَعَلَهُ المَسِيحَ عيسى ﷺ ابناً لله، حديثه عن معجزاته، التي تَمَيَّزَ بها عن باقي الأنبياءِ. قال: «يشهدُ القرآنُ للمسيحِ بقدرته المطلقةِ على إتيانِ المعجزاتِ بصورةٍ ليس لها مثيلٌ بين سائرِ الأنبياءِ» [ص ٩٠]. وهذا كَذِبٌ من المفتري على عيسى ﷺ، لِأَنَّهُ نَسَبَ له القدرةَ المطلقةَ على إتيانِ المعجزاتِ، وهذا مَعْنَاهُ أَنَّهُ هو الذي يَأْتِي بالمعجزاتِ وَيَخْتَارُها وَيَصْنَعُها! وهذا خطأ كبير!!.

معجزاتُ الأنبياءِ ليست من اختيارِهم، وإنما هي من الله وَخَدَهُ. وقد كانَ القرآنُ صريحاً في تأكيدِ هذه الحقيقةِ، وجاءَ هذا في آياتٍ عديدة. منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠].. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وليس هذا خاصاً بالنبي ﷺ، بل هو عامٌّ، يَشْمَلُ جَمِيعَ الأنبياءِ والمرسلين، ومنهم المَسِيحُ ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨].

(١) خصصت كتابين لتوجيه مواقف الأنبياء التي جاء الاستدراك عليها في القرآن؛ هما: «مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه»، و«عتاب الرسول في القرآن»، وهما مطبوعان في دار القلم بدمشق.

ولما طَلَبَ الأَقْوَامُ السَّابِقُونَ مِنْ رُسُلِهِمْ آيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ أَخْبَرَهُمْ رُسُلُهُمْ أَنَّ الآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ بِيَدِ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٠ - ١١].

فإذا كان الرسل جميعاً يعترفون أنهم لا يمكن أن يأتوا بالمعجزات من أنفسهم، لأن الله وحده هو الذي يأتيهم بها فكيف يقول الفادي المفتري بأنه كان للمسيح قدرة مطلقة على الإتيان بالمعجزات بصورة ليس لها مثيل بين سائر الأنبياء؟! إن هذا افتراء على القرآن، وكذب على المسيح ﷺ!.

ولما تكلم الفادي على معجزات المسيح ﷺ في القرآن قَدَّمَ مجموعة من الافتراءات، ونسبها إلى القرآن:

أ - زَعَمَ المفتري أَنَّ القرآنَ نَسَبَ لِعِيسَى ﷺ العِلْمَ بِالْغَيْبِ، وَذَلِكَ لِيُخْرِجَ بِنَتيجَتِهِ مِنْ أَنَّ المسيحَ إِلَهَ، لِأَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ خَاصٌّ بِاللَّهِ، وَبِمَا أَنَّ عِيسَى يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَهُوَ إِلَهٌ!! قَالَ: «نَسَبَ القرآنُ لَهُ العِلْمَ بِالْغَيْبِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] مع أَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ خَاصٌّ بِاللَّهِ وَحَدَهُ: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ...﴾ [يونس: ٢٠]»^(١).

عِلْمُ الْغَيْبِ خَاصٌّ بِاللَّهِ وَحَدَهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَيُّ مَخْلُوقٍ شَيْئاً مِنَ الْغَيْبِ، إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِمْتُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

فِعِيسَى ﷺ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئاً مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. وَكَانَ مِنْ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٠.

معجزاته لبني إسرائيل أنه كان ينبئهم ويخبرهم بما أكلوه من طعام، وما ادّخروه في بيوتهم من الطعام، وجعل ذلك دليلاً على نبوته. وهو لم يعلم ذلك بنفسه، لأنه لا يعلم الغيب، وإنما أعلمه الله بذلك، وهو بدوره أنبأهم به. فالله هو الذي علم الغيب، والله هو الذي أعلمه بالغيب!!.

وأتى الله يوسف عليه السلام وهو في السجن مع الفتيتين نفس المعجزة، وذكرها القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَايَكُمَا طَعَامٌ تُزَقَايَهُ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]. كان يوسف يخبر السجينين اللذين معه بنوع الطعام الذي سيأتيهما في السجن قبل تقديمه لهما. وهذا علم بالغيب، لكنه لم يعلمه بنفسه، إنما أعلمه به الله، ولذلك صرح بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

ب - زعم المفتري أن القرآن نسب لعيسى عليه السلام القدرة على الخلق، والخلق خاص بالله، وبما أن عيسى يخلق خلقاً سويّاً فهو إله، لأنه لا خالق إلا الله. قال: «ونسب القرآن للمسيح القدرة على الخلق. قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. ومعلوم أن الخلق خاص بالله وحده: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

وزعم المفتري مردود عليه، وعيسى عليه السلام لم يخلق شيئاً خلقاً حقيقياً مادياً، يوجد فيه المخلوق الحي من العدم، لأن هذا الخلق خاص بالله وحده، ولا يمكن أن يفعله عيسى عليه السلام ولا غيره، وقد جعله الله دليلاً على وحدانيته. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢١﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

وقد نسب القرآن الخلق إلى عيسى عليه السلام، لكن أي خلق؟ وبإذن من كان يتم الخلق؟ كان عيسى عليه السلام يخلق الطير من الطين، لكن بإذن الله، وليس بقدرته الذاتية. قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ما الذي كان يفعله عيسى ﷺ؟ كان يأخذ المادة الأولية التي خلقها الله، يأخذ حفنة من التراب الذي خلقه الله، ويأخذ إناءً من الماء الذي خلقه الله، ويجبل التراب بالماء حتى يصير طيناً، ثم يأخذ ذلك الطين، ويشكّله على هيئة الطائر، ويصوّره على صورته، ويجعله تمثال طائر، ثم ينفخ فيه، ويطلب من الله أن يبيث فيه الروح، فيجعل الله فيه الروح، ويكون طيراً حياً. فعيسى لم يخلق في الطائر روحاً، ولم يجعله حياً، إنما الله الذي فعل ذلك.

وبمعنى آية سورة آل عمران السابقة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]. وقد نصت الآيتان من سورة آل عمران وسورة المائدة على أن وضع الروح في الطير كان بإذن الله، فالله هو الخالق في الحقيقة، وليس عيسى ﷺ، فهو كان مجرد سبب مادي، يُشكّل ويصوّر وينفخ، والمسبب والمريد هو الله سبحانه.

ج- زعم الفادي أن القرآن نسب لعيسى ﷺ القدرة على إحياء الموتى! وإحياء الموتى خاصٌ بالله، وبما أن عيسى ﷺ فعل ذلك فهو إله، لأنه نجح في فعل شيء خاصٌ بالله!.. قال: «ونسب القرآن له القدرة على شفاء المرضى وإحياء الموتى. قال: ﴿وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأُمِّي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وإحياء الموتى خاصٌ بالله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [المؤمنون: ٨٠].»

وكما قلنا في خلقه من الطين كهية الطير نقول في إحيائه الموتى، فالله هو الذي آتاه معجزة إحياء الموتى.. أي كان عيسى ﷺ يقف أمام الميت، ويدعو الله أن يحييه، ويستجيب الله له. فالذي أحيا الميت في الحقيقة هو الله، ولم يكن عيسى ﷺ إلا سبباً. وهذا ما أكدّه القرآن، في قوله عن هذه المعجزة. قال تعالى: ﴿وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأُمِّي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَتَدْرِئُ الْأَكْمَمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

قال الله لعيسى ﷺ: إنك ستخرج الموتى بإذني. فأخبر عيسى ﷺ بني إسرائيل بذلك، وقال لهم: أنا سأحيي الموتى بإذن الله.

٦ - رفع عيسى ﷺ إلى السماء:

وَقَفَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَمَامَ حَدِيثِ الْقُرْآنِ عَنْ رُفْعِ عَيْسَى ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَسَاءَ فَهْمُهُ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى عَقِيدَتِهِ الْبَاطِلَةِ فِي الْوَهْيَةِ الْمَسِيحِ! قَالَ: «يَشْهَدُ الْقُرْآنُ أَنَّ الْمَسِيحَ رُفِعَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ حَيٌّ خَالِدٌ فِي السَّمَاءِ، فَجَاءَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (٥٥): ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسُوهُ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾».

وقد سبق أن ناقشنا كلام الفادي حول معنى الآية، وذكرنا معناها الصحيح. وقد ألقى الله على عيسى ﷺ النوم، ورفعهُ إليه وهو نائم، والتَّوَفَّى هنا تَوَفَّى نَوْمٌ وليس تَوَفَّى مَوْتٌ، وعيسى ﷺ حَيٌّ الْآنَ فِي السَّمَاءِ. وهو ليس خَالِدًا فِي السَّمَاءِ، لأنَّ الله لم يجعل الخلود لأيِّ مخلوقٍ من البَشَرِ، ولذلك أخطأ الفادي في قوله: «وهو خالدٌ في السماء».

كُلُّ الْمَخْلُوقِينَ سَيَمُوتُونَ، حتى رسولُ الله محمدٌ ﷺ سيموت، والوحيدُ المخلدُ الذي لن يموتَ - في نظرِ الفادي - هو عيسى ﷺ، وهذا دليلٌ عنده على ألوهيته!! قال: «وقيلَ عن محمدٍ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّهِ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّن مَّتِّ فَهَمَّ الْخُلْدُونَ﴾ (٢٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥] فلماذا انتصرَ المسيحُ على المَوْتِ، وقد ماتَ الناسُ في كلِّ جيلٍ، وهو حَيٌّ خَالِدٌ، وله الخُلْدُ، وله الرفعةُ والمجدُ؟»^(١).

صحيحٌ أنَّ عيسى ﷺ حَيٌّ الْآنَ فِي السَّمَاءِ، بروحِهِ وجسمِهِ، ولكنَّه ليس مُخَلَّدًا، ولن ينتصرَ على الموتِ، كما ادَّعى الفادي، وسيُنزَلُهُ اللهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وسيَمُوتُ مَوْتًا طَبِيعِيًّا كَمَا مَاتَ الْبَشَرُ، ثم يُبْعَثُ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَنَصَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّ عَيْسَى ﷺ سَيَمُوتُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْسَلْنَا عَلَى يَوْمِ وُلْدَتْ وَيَوْمِ أَمُوتُ وَيَوْمِ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩١.

٧ - المسيح وجية في الدنيا والآخرة:

ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجِيَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٦].

وَأَسْتَخْرِجُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي مِنَ الْآيَةِ مَا يَتَّفِقُ مَعَ هَوَاهُ مِنْ تَأْلِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ: «قَالَ فِي تَفْسِيرِ الْجَلَالِينِ: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: ذَا جَاءَ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِ النُّبُوَّةِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِسَبَبِ الشَّفَاعَةِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَا». فَلَمَّا ذَا يَخُصُّ الْقُرْآنُ الْمَسِيحَ بِالْوَجَاهَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟^(١).

لَمْ يَخُصَّ الْقُرْآنُ الْمَسِيحَ بِالْوَجَاهَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا ادَّعَى الْمَفْتَرِي، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ وَجِيَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارُ بِوَجَاهَتِهِ لَا يَعْنِي اخْتِصَاصَهُ بِهَا. فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجِيَهُ عِنْدَ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وَالشَّفَاعَةُ فِي الْآخِرَةِ مَقَامٌ مَحْمُودٌ، خَصَّ اللَّهُ بِهِ أَشْرَفَ الْخَلْقِ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وَيُوضَّحُ الْمَرَادُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي الْآخِرَةِ بِأَنَّهُ الشَّفَاعَةُ، مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ: «... يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ... فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَم...» إِلَى أَنْ «يَأْتُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى: أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَم، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا، عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩١.

ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر... فيأتوني. فأنطلق، حتى أستأذن على ربّي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقلّ يسمع، واشفع تسمع».

لم يخصّ الله عيسى ﷺ بالشفاعة كما ادّعى المفتري، إنما خصّ بها عبده ورسوله محمداً ﷺ.

وارتكب الفادي المحرف جريمة نكراء، عندما حرّف معنى آية تتحدّث عن الله ربّ العالمين، وجعلها تتحدّث عن المسيح ﷺ.. قال: «جاء في سورة السجدة (٤): ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. تذكّر الآية أنّ الله هو الذي خلّق السموات والأرض في ستة أيام، وأنه استوى على العرش، وتبيّن أنه لا يوجد للناس وليّ ولا شفيع من دون الله».

وقد ادّعى المفتري أنّ الآية خصّت عيسى ﷺ بالشفاعة. قال: «فلماذا لم يعط الله سلطاناً لأحدٍ من البشر بالشفاعة إلا المسيح؟ أليس لأنه ابنُ الله المتجسّد، والوسيط الوحيد بين الله والناس؟».

آية سورة السجدة لا تتحدّث عن المسيح، وإنما تتحدّث عن الله، والهاء في ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ لا تعود على المسيح، وإنما تعود على الله. والمعنى: ليس للناس وليّ ولا شفيع من دون الله.

وذكّر الفادي المفتري الكافر بالله عبارة كافرة فاجرة، جعل فيها المسيح ابناً لله: «أليس لأنه ابنُ الله المتجسّد». ويؤمن المؤمنون أنّ الله ليس له ابنٌ ولا صاحبة. حتّى الجنّ يؤمنون بذلك، وقد أخبرنا الله عن إيمانهم بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

وكذب الفادي المفتري عندما قال: «والمسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس» ولقد رحم الله الناس، فلم يجعل أيّ شخص وسيطاً بينهم وبينه، لا عيسى ولا محمداً ولا ملكاً.. وأذن الله لأيّ إنسان أن يتصل به مباشرة، عن طريق ذكره وشكره وعبادته ومناجاته.

٨ - هل المسيح هو المخلص وحده؟

أساء الفادي المفتري فهِمَ اسم عيسى الذي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مرة، حيثُ جعله بمعنى «يسوع»، ومعنى عيسى ويسوع عنده هو: «المخلص». أما معنى المسيح عنده فهو: «المعِينُ مَلِكًا وَنَبِيًّا وَكَاهِنًا». وقد ذَكَرَ الْمَسِيحُ فِي الْقُرْآنِ ثَمَانِي مَرَاتٍ: ومعنى «الإنجيل» هو: «الخبرُ المفرح». وقد ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ اثْنِي عَشْرَةَ مَرَّةً.

وخرج الفادي من هذا بنتيجة خاطئة، اعتبر فيها المسيح يسوع ﷺ هو وَحْدَهُ الْمَخْلُصَ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ!!.

وهذا خطأ مردود، فليس المخلص والمنقذ هو عيسى ﷺ وحده، فكلُّ نبيٍّ ورسولٍ هو مُخْلَصٌ أَيْضًا، يُخْلَصُ النَّاسَ مِنَ الْخَطَرِ، وَيُنْقِذُهُمْ مِنَ الْأَذَى، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ.

قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وآخر ما قاله الفادي المفتري عن تَمَيِّزِ وَتَفَرُّدِ عَيْسَى ﷺ عن سائر الأنبياء، مما يدلُّ على ألوهيته وعدم بشريته؛ قوله: «إنَّ الذي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ عَنِ الْمَسِيحِ، يَفُوقُ مَا ذَكَرَهُ عَنِ سَائِرِ الْبَشَرِ، بَمَنْ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ. أَلَا يُشِيرُ هَذَا إِلَى تَفَرُّدِ الْمَسِيحِ عَنِ سَائِرِ الْبَشَرِ؟ وَهَذَا مَا يَقُولُهُ الْإِنْجِيلُ عَنِ لَاهُوتِ الْمَسِيحِ»^(١).

إنَّ الذي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ عَنِ عَيْسَى ﷺ لَا يَفُوقُ مَا ذَكَرَهُ عَنِ سَائِرِ الْبَشَرِ، كَمَا ادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي، فَهَنَّاكَ رُسُلٌ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنْهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا تَحَدَّثَ عَنِ عَيْسَى ﷺ، مِثْلُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَيُمْكِنُ الْخُرُوجُ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ عِنْدَ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُمْ وَعَنِ عَيْسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَا نَنْسَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ الْخَمْسَةَ هُمْ أَوْلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ أَفْضَلُ الرُّسُلِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، وَأَفْضَلُهُمْ وَأَشْرَفُهُمْ هُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٢.

أَمَا عَنْ تَفَرُّدِ الْمَسِيحِ ﷺ عَنْ سَائِرِ الْبَشَرِ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِوِلَادَتِهِ، الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا عَنْ وِلَادَةِ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَنُطْقِهِ وَهُوَ بِالْمَهْدِ، وَرَفَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ بِرُوحِهِ وَجَسَمِهِ، وَإِبْقَائِهِ هُنَاكَ حَيًّا، وَهُوَ الْآنَ يَنْتَظِرُ أَنْزَالَهُ إِلَى الْأَرْضِ قُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهُوَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِثْلُ بَاقِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. إِنْسَانٌ لَهُ جِسْمٌ وَرُوحٌ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْآخِرِينَ مِنْ صِحَّةٍ وَمَرَضٍ، وَحُزْنٍ وَفَرَحٍ، وَنَوْمٍ وَيَقْظَةٍ، وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].



موقف الملائكة من خلق آدم ﷺ

أَسَاءَ الْفَادِي فَهَمَّ آيَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ خَلْقِ آدَمَ ﷺ، وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

مَا مَعْنَى إِخْبَارِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً؟ وَمَا مَعْنَى سُؤَالِ الْمَلَائِكَةَ عَنِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي سَيُفْسِدُ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟ وَمَا مَعْنَى إِخْبَارِهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيَحْمَدُونَهُ وَيُقَدِّسُونَهُ؟.

وَقَفَّ الْفَادِي الْجَاهِلُ أَمَامَ الْآيَةِ، وَفَكَّرَ فِي هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ، فَاعْتَبَرَهَا خَطَأً مِنْ أَخْطَاءِ الْقُرْآنِ! قَالَ: «فَلِمَاذَا يَسْتَشِيرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ أَنْ يُشِيرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؟... وَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ يَعْصُونَ، وَيُعَارِضُونَ رَغَبَاتِ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَطْعَنُونَ فِي آدَمَ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ؟ وَيُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْأَسْتِثْمِ؟»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٢.

فَهُمْ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: مَا رَأَيْتُمْ؟ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ، هَلْ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ أَجْعَلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً؟ وَلِذَلِكَ عَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُشِيرَ عَلَيْهِ أَحَدًا!

وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لَيْسَ مِنْ بَابِ اسْتِشَارَتِهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَشُورَةٍ أَحَدٍ، لِأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَهُوَ الْأَعْلَمُ بِالْأَنْسَبِ وَالْأَفْضَلِ وَالْأَحْكَمِ، وَكُلُّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ فَهُوَ صَوَابٌ!

إِنَّ قَوْلَهُ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ بَابِ إِخْبَارِهِمْ بِمَا سَيَفْعَلُهُ، لِيَكُونَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ وَخَبْرٌ بِمَا قَرَّرَ سَبْحَانَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلِذَلِكَ جَاءَتْ الْجُمْلَةُ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ، حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: «إِنِّي سَأَجْعَلُ» وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ يُخْبِرُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ بِمَا شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ، سِوَاءَ كَانَ الْمَخْلُوقُ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا!!

وَفَهُمَ الْفَادِي مِنْ سَوَالِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: أَنَّهُ اعْتَرَضَ مِنْهُمْ عَلَى فِعْلِ اللَّهِ، فَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَى اللَّهِ فِعْلَهُ، وَيُخَطِّئُونَهُ فِي مَا سَيَفْعَلُهُ، وَهَذِهِ مَعْصِيَةٌ مِنْهُمْ لِلَّهِ، وَتَمَرُّدٌ عَلَيْهِ! فَكَيْفَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟

وَهَذَا فَهْمٌ خَاطِئٌ مُرَدُّودٌ! فَلَمْ يَكُنْ سَوَالُهُمْ مِنْ بَابِ الْإِعْتِرَاضِ وَالْإِنْكَارِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ بَابِ الْاسْتِفْسَارِ وَالِاسْتِعْلَامِ، وَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَبَّنَا: إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَأَنَّ فِعْلَكَ هُوَ الصَّوَابُ، لَكِنَّا نَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ، فَمَا حِكْمَةُ جَعْلِكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟

وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ عَنْ آدَمَ: ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ طَعْنًا فِي آدَمَ وَاتِّهَامًا لَهُ قَبْلَ خَلْقِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ادِّعَاءُ الْعِلْمِ بِالْغَيْبِ مِنْهُمْ، كَمَا فَهَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَلَامُهُمْ عَنِ الْخَلِيفَةِ أَنَّهُ سَيُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ صَحِيحٌ، بِدَلِيلِ إِقْرَارِ اللَّهِ لَهُ، وَلَوْ كَانَ خَطَأً لِأَخْبِرَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ خَطَأٌ، وَلِذَلِكَ اِكْتَفَى بِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أَيُّ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ذَرِيَةَ الْخَلِيفَةِ سَيُفْسِدُونَ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ، لَكِنَّ الْخِلَافَةَ فِي الْأَرْضِ وَتَعْمِيرَهَا لَا بُدَّ أَنْ يُصَاحِبَهَا إِفْسَادٌ وَسَفْكٌ لِلدَّمَاءِ!.

أَمَّا كَيْفَ عَرَفَ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ، فَلَيْسَ فِي مَصَادِرِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ الْمَتَمَثِلَةِ فِي الْقُرْآنِ وَمَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَنَحْنُ لَا نَأْخُذُ شَيْئاً عَنِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَلَا نُنَسِّرُ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ!.

وَلَعَلَّ الرَّاجِحَ أَنَّ كَلَامَهُمْ عَنِ إِفْسَادِ الْخَلِيفَةِ وَسَفْكِهِ الدَّمَاءِ مِنْ بَابِ الْاسْتِشْرَافِ وَفِرَاسَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ قَدْ شَاهَدُوا مَرَاحِلَ خَلْقِ آدَمَ، مِنْ التَّرَابِ وَالطِّينِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّرَابَ يَعْنِي الْإِلْتِصَاقَ بِالْأَرْضِ وَالْهَبُوطَ إِلَيْهَا، وَالْمَخْلُوقُ مِنَ التَّرَابِ قَدْ تَحَدَّرُ نَفْسُهُ إِلَى الْأَسْفَلِ، فَيَرْتَكِبُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيُفْسِدُ وَيَقْتُلُ!.

وَلَمْ يَقْصِدِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أَنْ يُزَكَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّنَنِ، كَمَا فَهَمَّ الْفَادِي ذَلِكَ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ هُمْ لَمْ يَكُونُوا طَامِعِينَ فِي أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْخُلَفَاءِ!.

كُلُّ مَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ، وَقَطَّرَهُمْ عَلَى ذِكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَقْدِيسِهِ، وَلَعَلَّهُمْ قَاسُوا الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ، فَفَهِمُوا أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ سَيَخْلُقُهُ اللَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ، لَا يَعْرِفُ إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَتَسْبِيحَهُ، فَكَيْفَ سَيَكُونُ الْخَلِيفَةُ مُهْتَمًّا بِالْعَمَلِ فِي الْأَرْضِ؟!.

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْآيَةِ الَّتِي اعْتَرَضَ عَلَيْهَا الْفَادِي مَا يَدْعُو لِلْإِعْتِرَاضِ، وَأَنْ تَخَطَّتْ لَهَا بِسَبَبِ جَهْلِهِ!.



مَا مَعْنَى سَجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ ﷺ؟

ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَلَمَّا عَجَزَ الْمَلَائِكَةُ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، عَرَفَهَا آدَمُ، فَتَمَيَّزَ عَلَيْهِمْ بِعَلْمِهِ، وَلِذَلِكَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أُنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٤].

وقد اعترض الفادي على هذه الآيات وخطأها، لأنها تتعارض مع توحيد الله وعدله! قال: «ونحن نسأل: في أول الأمر علم الله آدم الأسماء، ثم عرضهم على الملائكة فَعَجَزُوا عن التسمية، واعترفوا بالعجز! فكيف يمتحن الله الملائكة في ما لا يعرفونه، ويُعطي الإجابات لآدم ليعلم ما لا يعلمون؟ وكيف أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم؟ وحاش الله القدوس أن يأمر بالسجود لغير ذاته العلية! قال الله في الخروج: لا تسجد لإله آخر، لأنَّ الربَّ اسمه غيور، إله غيور هو»^(١).

واعترضه لا وزن له، فليس في الآية ما يدعو للاعتراض والإنكار. أراد الله أن يبين للملائكة الحكمة من جعله آدم وذريته الخلفاء في الأرض، مع أنه قد يصدر عن هؤلاء الخلفاء إفساد في الأرض وسفك للدماء. فلما طلبوا من الله أن يُخبرهم بحكمة استخلاف آدم أجرى لهم ولآدم الامتحان، الذي أشارت له هذه الآيات، وهي مرتبطة مع الآية السابقة التي تحدَّثنا عنها في المبحث السابق: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ردَّ على سؤالهم بأنه يعلم ما لا يعلمون، أي أنه يعلم أنه لا يصلح للخلافة في الأرض إلا هذا الخليفة، لأنه سيؤدِّه بوسائل ومواهب وطاقات وقدرات، يتمكن بها من حُسن الخلافة في الأرض، وفي مقدمتها العلم الذي وهبه الله إياه، والنطق الذي مكَّنه منه، بحيث يستطيع أن يُعبِّر عما في نفسه،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٣.

وَيَرْمِزُ بِالْأَسْمَاءِ لِلْمَسْمِيَّاتِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمَسْبُوحُونَ لِلَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، فَالْعِلْمُ وَالنُّطْقُ وَالتَّفَكِيرُ وَالتَّعْبِيرُ أُمُورٌ ضَرُورِيَّةٌ لِلخَلْقِ فِي الْأَرْضِ!.

عَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَجَعَلَ فِيهِ النُّطْقَ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَالرَّمْزَ بِالْأَسْمَاءِ لِلْمَسْمِيَّاتِ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَهْمَتِهِمْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ. . . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْمَلَائِكَةِ الْحِكْمَةَ مِنْ اسْتِخْلَافِ آدَمَ، وَأَنَّهُ مَيَّزَهُ عَلَيْهِم بِالْعِلْمِ وَالنُّطْقِ وَالتَّفَكِيرِ وَالتَّعْبِيرِ. . . فَالْمَوْضُوعُ لَيْسَ مَوْضُوعَ امْتِحَانِ الْمَلَائِكَةِ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ، وَ«تَعْشِيشٌ» آدَمَ بِتَقْدِيمِ الْإِجَابَاتِ لَهُ قَبْلَ دُخُولِهِ الْامْتِحَانَ، كَمَا فَهَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ، إِنَّمَا الْمَوْضُوعُ تَوْجِيهًُ وَتَعْلِيلٌ وَبَيَانٌ لِلْحِكْمَةِ وَالْعِلَّةِ، وَهَذَا مَا فَهَمَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَلِذَلِكَ صَرَّحُوا بِعَجْزِهِمْ عَنِ الْجَوَابِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْنَحْهُمْ ذَلِكَ الْعِلْمَ، وَقَالُوا: ﴿سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

وَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ آدَمُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَطْلُوبَةِ عَرَفُوا حِكْمَةَ اسْتِخْلَافِهِ فِي الْأَرْضِ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِشَمُولِ عِلْمِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

أَمَّا سَجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ ﷺ فَهُوَ لَيْسَ مِنْ بَابِ السَّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَا عِبَادَةَ آدَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا الشَّرْكَ بِاللَّهِ، كَمَا فَهَمَهُ الْفَادِي الْجَاهِلُ، ثُمَّ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ وَخَطَّأَهُ وَأَنْكَرَهُ.

إِنَّهُ سَجُودٌ لِلَّهِ فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ، أَيُّ هُوَ الَّذِي كَلَّفَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ عِبَادَةً لِغَيْرِهِ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِهِ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَأْذَنُ لِأَيِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَهُ.

وَعِنْدَمَا سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ كَانُوا عَابِدِينَ لِلَّهِ، وَكَانَ آدَمُ كَأَنَّهُ قِبْلَةٌ لَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلَّهِ، كَمَا يُصَلِّي أَحَدُنَا صَلَاتَهُ لِلَّهِ، وَيَجْعَلُ الْكَعْبَةَ قِبْلَةً لَهُ، فَهُوَ لَا يَعْبُدُهَا وَلَا يَسْجُدُ لَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مَجْرَدُ قِبْلَةٍ، وَاللَّهُ أَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا وَاسْتِقْبَالِهَا، وَهَكَذَا كَانَ آدَمُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلَائِكَةِ.

لم يكن سُجودُهم لآدمَ عبادةً له من دونِ الله، إنما كان سُجودَ تَكريمٍ وتَشريفٍ لآدمَ، واعترافاً منهم بفضْلِ آدمَ عليهم، لأنَّ اللهَ مَيَّزَهُ عليهم بالعلمِ.

هل جهنم لجميع الأبرار والأشرار؟

وَقَفَ الفادي أَمَامَ آيَتَيْنِ تَحَدَّثَانِ عَن جَهَنَّمَ، وَاَعْتَرَضَ عَلَيْهِمَا، وَقَارَنَهُمَا بِكَلَامِ الْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ، وَخَرَجَ بِخَطِّ الْقُرْآنِ وَصَوَابِ الْإِنْجِيلِ.

وَالْآيَتَانِ هُمَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣ - ٤٤]. وَقَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ كَمَا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْحَجْرِ، وَنَقَلَ الْفَادِي عَن بَعْضِ الْعُلَمَاءِ تَحْدِيدَ أَسْمَاءِ تِلْكَ الْأَبْوَابِ السَّبْعَةِ، وَتَحْدِيدَ الْأَصْنَافِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا، وَهَذَا كَلَامٌ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، فَلَا نَخُوضُ فِيهِ وَلَا نَتَوَقَّفُ عِنْدَهُ.

وَفَهِمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ مِنَ الْآيَاتِ أَنَّ الْقُرْآنَ يُخْبِرُ أَنَّ جَهَنَّمَ لِلْجَمِيعِ، سِوَا كَانُوا أَبْرَارًا أَوْ أَشْرَارًا، مُؤْمِنِينَ أَوْ كَافِرِينَ! وَلِذَلِكَ خَطَّ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ. قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يَذْهَبُ الْمُؤْمِنُ إِلَى جَهَنَّمَ؟ وَمَا قِيَمَةُ التَّوْبَةِ وَالْغُفْرَانِ الْإِلَهِيِّ؟ يَقُولُ الْكِتَابُ الْمَقْدَّسُ بِوُجُودِ مَكَانٍ لِلْأَبْرَارِ، وَهُوَ السَّمَاءُ، وَمَكَانٍ لِلْأَشْرَارِ، وَهُوَ جَهَنَّمَ: «فَيَمْضِي هُوَ لِأَنَّ عَذَابَ أَبَدِيٍّ، وَالْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» [٢٥ - ٤٦] فَلَا يَذْهَبُ الْأَبْرَارُ إِلَى جَهَنَّمَ، لِأَنَّ اللَّهَ بَرَّرَهُمْ بِبِرِّهِ الْكَامِلِ، وَبِالتَّالِي لَا يَخْرُجُونَ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى السَّمَاءِ... وَإِذَا كَانَ جَمِيعُ النَّاسِ سَيِّذْهُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَمَا يَقُولُ الْقُرْآنُ، وَإِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الطَّوَائِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ هِيَ الَّتِي تَخْلُصُ كَقَوْلِ الْحَدِيثِ، أَفَلَا يُخَيِّمُ الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ وَالدِّينُونَةِ عَلَى حَيَاةِ

كُلُّ الْمُسْلِمِينَ؟ مَا أَعْظَمَ الْفَرْقَ بَيْنَ حَيَاةِ الْمُسْلِمِ الْخَائِفِ الْحَائِرِ، وَبَيْنَ حَيَاةِ الْمَسِيحِيِّ، الَّذِي يَشْتَهِي أَنْ يَنْطَلِقَ مِنَ الدُّنْيَا لِيَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، وَيَنْتَظِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِفَرَحٍ، حَيْثُ يَنَالُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ!.

لَمْ يَقُلِ الْقُرْآنُ إِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ سَيَذْهَبُونَ إِلَى جَهَنَّمَ، وَالتَّنَائِجُ الَّتِي بَنَاهَا الْفَادِي عَلَى هَذَا الزَّعْمِ بَاطِلَةٌ مَرْدُودَةٌ، لِأَنَّ مَا بُنِيَ عَلَى الْفَاسِدِ فَهُوَ فَاسِدٌ.

وَلَا تَتَحَدَّثُ آيَاتُ سُورَةِ الْحَجْرِ الَّتِي خَطَّأَهَا الْفَادِي الْجَاهِلُ عَنِ الْأَبْرَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِنَّمَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَشْرَارِ الْغَاوِينَ فَقَطْ، الَّذِينَ اسْتَسَلَمُوا لِلشَّيْطَانِ، وَتَقَرَّرُ أَنَّ جَهَنَّمَ مَوْعِدٌ هَؤُلَاءِ الْغَاوِينَ أَجْمَعِينَ، وَتَسْتَنِي الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ. وَالْآيَاتُ وَارِدَةٌ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنِ مَا جَرَى بَيْنَ آدَمَ ﷺ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ، وَتَعَاهِدُ إِبْلِيسَ بِإِغْوَاءِ مَنْ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرْطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينٍ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٦].

لَا أُدْرِي كَيْفَ فَهَمَ الْمَفْتَرِي مِنَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ الصَّرِيحَةِ دُخُولِ الْأَبْرَارِ وَالْأَشْرَارِ جَهَنَّمَ، مَعَ أَنَّهَا صَّرِيحَةٌ فِي دُخُولِ الْكُفَّارِ فَقَطْ جَهَنَّمَ. . . إِنَّ الضَّمِيرَ الْمَتَّصِلَ «هُمْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يَعُودُ عَلَى «الْغَاوِينَ» فِي الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. وَالْمَعْنَى: إِنَّ جَهَنَّمَ مَوْعِدُ الْغَاوِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ.

ثُمَّ إِنَّ الْآيَاتِ الْلاحِقَةَ صَرَّحَتْ بِأَنَّ الْمُتَّقِينَ آمِنُونَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينٍ﴾.

لَقَدْ تَعَمَّدَ الْفَادِي الْمَجْرُمُ أَنْ يُحَرِّفَ مَعْنَى الْآيَاتِ الْوَاضِحِ، وَأَنْ يَتْرُكَ الْآيَاتِ وَالْكَلِمَاتِ الصَّرِيحَةَ، وَأَنْ يَتَلَاَعَبَ بِهَا، لِيُخْرِجَ مِنْهَا بِنْتِيجَةِ خَاطِئَةٍ، يُحَطِّطُهَا بِهَا، مَعَ أَنَّهَا لَا تُوحِي بِهَا!!.

ولا تَدُلُّ آيَاتُ سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَى دُخُولِ الْأَبْرَارِ وَالْأَشْرَارِ النَّارَ، كَمَا ادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۖ ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَابًا ۖ ۞ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٦٨ - ٧٢].

الكلامُ في الآياتِ الأولىِ عنِ الكافرين، حيثُ سيُحْشَرُهُم اللهُ مع شياطينهم، ثم سيُحْضِرُهُم إلى جَهَنَّمَ، وسيُجْثُونَ فيها على رُكَبِهِم، ثم يُخْرَجُ اللهُ منهم زُعماءَهُم الذين هم أَشَدُّ عِدَاةَ اللهِ، ثم سيزيدُ عَذَابَ هؤُلاءِ الزُعماءِ، ولا يَدْخُلُ المؤمنونَ ضمنَ هذه الآياتِ، لأنهم مُؤْمِنُونَ أَبْرارٌ صالحون.

وبعدما قَرَرَتِ الآياتُ دُخُولَ الْكُفَّارِ جَهَنَّمَ تَوَجَّهَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْخُطَابِ، وَأَدْمَجَتْهُمْ فِي الْخُطَابِ مَعَ الْآخِرِينَ، وَأَخْبَرَتْ عَنْ وُرُودِ جَمِيعِ النَّاسِ جَهَنَّمَ، وَلَمْ تَسْتَثِنْ أَحَدًا مِنْ هَذَا الْوُرُودِ، سِوَا مَا كَانَ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا، وَقَرَّرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ نَجَاةَ الْمُتَّقِينَ وَهَلَاكَ الْكُفَّارِينَ الظَّالِمِينَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾.

فالمرادُ بالورودِ في الآيةِ المرورُ فوقَ جَهَنَّمَ، بِدَلِيلِ ذِكْرِ نَجَاةِ الْمُتَّقِينَ بَعْدَهُ.

وهذا مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُنْصَبُ الصُّرَاطُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، وَيُمْرُ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْبَشَرِ، مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارِينَ، أَمَّا الْمُتَّقُونَ فَيُنَجِّهِمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، وَأَمَّا الظَّالِمُونَ فَيُسْقِطُهُمُ اللهُ فِيهَا.

وَفَسَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْوُرُودَ بِالْمُرُورِ؛ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أُمِّ مُبَشَّرِ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدًا! الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قَالَتْ حَفْصَةُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! فَانْتَهَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالَتْ حَفْصَةُ: قَالَ اللهُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾! فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾».

لقد فهمت حفصة رضي الله عنها الورود بأنه بمعنى الدُّخول، وأنَّ المؤمنين والكافرين سيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ جميعاً، ولكنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله فسَّرَ الوُرُودَ بالمرور، وأخبرها أنَّ الله يُنجي المؤمنينَ برحمته، فلا يُدخِلهم جَهَنَّمَ، وإنما يَمُرُّونَ عليها مُروراً سَريعاً، في طريقهم إلى الجنة.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله الطويلَ في الشفاعة: «... ثم يُضْرَبُ الجِسْرُ على جَهَنَّمَ، وتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، ويقولون: اللهم سَلِّمْ، سَلِّمْ، قيل: يا رسولَ الله! وما الجِسْرُ؟ قال: دَخُضْ مُزَلَّةً، فيه كلاليبُ وخطاطيفُ وحسك، تكونُ بَنَجْد، فيها شُويْكةٌ، يُقالُ لها: السَّعدان، غيرَ أنه لا يَعْلَمُ ما قَدْرُ عِظْمِها إِلَّا اللهُ. تَخْطِفُ الناسَ بأعمالِهِم، فمنهم الموبِقُ بَعْمَلِهِ، ومنهم المُجَازِي حتى يَنْجُو، فَيَمُرُّ المؤمنونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وكالعَيْنِ، وكالريحِ، وكالطَّيرِ. وكأجاويدِ الخَيْلِ والركابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، ومُخَدَّوشٌ مُرْسَلٌ، ومُكْدوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ...».

بهذا البيانِ القاطعِ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله يَتَّضِحُ أنَّ المرادَ بالورودِ هو المرورُ وليس الدخولُ، فالمتَّقونَ لا يَدْخُلونَ جَهَنَّمَ مُطلقاً! وبهذا نَعْرِفُ جَهْلَ وَخَطَأَ الفادي في ادِّعائه وافتراءه.



مظاهر نعيم المؤمنين في الجنة

اعتراضَ الفادي المفتري على حديثِ القرآنِ عن الجنة، ومظاهر النعيم التي فيها، واعتبرَ هذه المظاهرَ لا تليقُ بالمؤمنين، وأثنى على حديثِ الكتابِ المقدَّسِ عن الجنة، وسَجَرَ من آياتِ القرآنِ التي ذَكَرَتْ صفاتِ الجنة. وقال في بدايةِ اعتراضه وتهكُّمه: «هذه جنةٌ تُناسِبُ الميولَ الجسدية، وتوافقُ رغباتهم المادية».

وفَصَّلَ الحديثُ في اعتراضه قائلاً: «بَدَلِ الصحراءِ المحرقة، وَعَدَمِهِم بجنةٍ تَجْرِي من تَحْتِها الأنهارُ... وَبَدَلِ النومِ على الرمالِ، وَعَدَمِهِم بجنةٍ فيها

سُرُرٌ مرفوعة . . وبدل لبسٍ وبرِ الجمال، وعدهم بجنةٍ يُحلّون فيها من أساور
من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير . . وبدل القحط والمحل، وعدهم بجنّتين
ملائنتين بالفاكهة . . وبدل الخيام التي لا تقي من حرّ الصيف وزمهرير الشتاء،
وعدهم بقصورٍ مُشيّدة، فيها عُرفٌ من فوقها عُرفٌ مبنية، ولا يروُن فيها شمساً
ولا زمهريراً . . وبدل النساء البدويّات، وعدهم بأزواج من الحور العين، لم
يطمئنهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌ، وجعلهنّ أبقاراً عُرباً أتراباً . . وبدل الحرمان من
الخدم وعدهم بولدان الحور، يُقدّمون لهم ما لذّ من الشّراب . . وبدل طعام
الفاقة وعدهم بلحم الطير . . وبدل الجوع والفاقة وشظف العيش، وعدهم
بجناتٍ فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسن، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمه، وأنهارٌ من
خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مُصقّى . .» (١).

إنّ الجنة التي يراها الفادي خالية من النعيم المادي، فليس فيها أشجارٌ
ولا أنهارٌ، ولا قُصورٌ وعُرف، ولا أسيرةٌ وبُسط، ولا ملابسٌ وأساور، ولا
نساءٌ ولا ولدان، ولا خدمٌ ولا حورٌ عين، ولا طعامٌ ولا شراب، ولا استمتاعٌ
ولا شهوة، ولا مُلكٌ ولا أرض . . . ومع هذا يُسمّيها جنة، ولا أدري كيف
تكونُ جنةٌ وهي خالية من كلّ هذه المظاهر للنعيم والاستمتاع؟.

وزعم الفادي المفتري أنّ المسيح ﷺ نفى وجود نعيم مادي في الجنة.
قال: «أين هذه الصفات من قول المسيح: «في القيامة لا يُزوّجون ولا
يتزوّجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء» [متى: ٢٢ - ٣٠]. وقوله أيضاً:
«لأنّه ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح
القدس». [رومية: ١٤ - ١٧]» (٢).

ينسب الفادي للمسيح ﷺ أنّ المؤمنين يكونون في الجنة بدون طعام أو
شرابٍ أو زواج، فهم كالملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوّجون،
وحياتهم في الجنة مجرد فرح وسرور وبرّ وسلام!!.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٥.

(١) هل القرآن معصوم؟، ٩٤ - ٩٥.

وأورد الفادي خرافاتٍ حول نعيم الجنة، نَسَبَهَا لرسولنا محمد ﷺ، وزَعَمَ أَنَّ رسولنا قال: إِنَّ لكلِّ مؤمِنٍ قَصُوراً كثيرةً في الجنة، في كُلِّ قَصْرِ سَبْعُونَ داراً من ياقوتٍ أَحْمَرٍ، في كُلِّ دارٍ سَبْعُونَ بيتاً من زُمُرُدٍ أَخْضَرَ، في كُلِّ بيتٍ سَرِيرٍ، على كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشاً من كُلِّ لونٍ، على كُلِّ فِرَاشٍ سَبْعُونَ زوجةً من الحورِ العِينِ، وفي كُلِّ بيتٍ سَبْعُونَ وَصِيفَةٌ، وسَبْعُونَ مائدةً، وعلى كُلِّ مائدةٍ سَبْعُونَ لَوناً من الطعامِ، ويتزوَّجُ الرجلُ في الجنةِ خمسمئةَ حوراءٍ، وأربعةَ آلافِ بَكْرٍ، وثمانيةَ آلافِ ثِيَبٍ!

وهذا كلامٌ مَكْذُوبٌ على رسولنا محمد ﷺ، لم يَقُلْهُ، وفيه طابَعُ المبالغةِ والمغالاةِ... وهو كلامٌ مَرْفُوضٌ عندنا لأنه لم يَصِحَّ عن رسولِ الله ﷺ ومعلومٌ أَنَّ الجنةَ من عالمِ الغيبِ، ولا نأخذُ عالمَ الغيبِ إلا من آياتِ القرآنِ الصريحةِ، وما صَحَّ من حديثِ رسولِ الله ﷺ!

وأنهى الفادي المفتري اعتراضه على حديثِ القرآنِ عن الجنةِ بادِّعاءِ كاذبٍ، قال: «ولم يَذْكَرِ القرآنُ أَنَّ في هذه الجنةِ سعادةً روحيةً في محبةِ الخالقِ وتسيحه!»^(١).

ولقد ذَكَرَ القرآنُ السعادةَ العالِيَةَ التي يَكُونُ عليها المؤمنونَ في الجنةِ، والفرحَ والسُرورَ الذي يُظَلِّلُ حياتَهُم.

فوجوههم ناضرة، ضاحكةٌ مستبشرة. قال تعالى: ﴿وَجُوهُهُمْ نَازِرَةٌ تَابِعَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَجُوهُهُمْ مُسْفِرَةٌ﴾ (٢٨) ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ [عبس: ٣٨ - ٣٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) عَلَى الْأَرَابِكِ يُنظَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: ٢٢ - ٢٤].

ويحمدون الله على ما أنعمَ به عليهم، ويتذكرونَ ما كانوا عليه في الدنيا. قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُسْفِقِينَ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَدَابَ السَّمُورِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٥.

وَمِنْ سُرُورِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ الرُّوحِيَّةُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ هَابُ الْحَزَنِ عَنْهُمْ فِيهَا .
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١٤٤)
 الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥]،
 وَمِنْ سَعَادَتِهِمْ الْغَامِرَةُ فِي الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا إِلَّا مَا يُحِبُّونَ
 سَمَاعَهُ . قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ أَهْوَاءُ سُلَّامًا سَلَامًا﴾
 [الواقعة: ٢٥ - ٢٦].

وَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ، يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ، وَيُرْحَبُونَ بِهِمْ وَيُبَشِّرُونَهُمْ . قَالَ
 تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِشْيُ الدَّارِ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (١٣٦) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾
 [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

وَمِنْ سَعَادَتِهِمْ الْغَامِرَةُ أَنَّ اللَّهَ يُحِلُّ عَلَيْهِمْ رِضْوَانَهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ،
 وَهَذَا الرِّضْوَانُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَظَاهِرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَزَوَاجٍ
 وَلِبَاسٍ . قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

تَنْصُرُ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الرِّضْوَانَ الَّذِي يُحِلُّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 فِي الْجَنَّةِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَظَاهِرِ النِّعَمِ الْمَادِيَّةِ فِيهَا .

وَوَضَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْمَعْنَى؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي
 سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ
 لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فيقول: هل
 رِضِيْتُمْ؟ فيقولون: وما لنا لا نَرْضَى، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ .
 فيقول: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قالوا: يَا رَبَّنَا: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ
 ذَلِكَ؟ فيقول: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فلا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» .

أَبْعَدَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الصَّرِيحَةِ، الَّتِي تُصَوِّرُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ

في الجنة من سعادة ونضرة وفرح وسرور، يأتي الفادي المفترى ليتها القرآن بأنه لم يذكر شيئاً عن هذه السعادة؟! .

إن الله يكرم المؤمنين في الجنة، بكل مظاهر النعيم، سواء كان نعيماً مادياً، ممثلاً في الجنات والأشجار والأنهار والقصور واللباس والطعام والشراب والحور العين. أو كان نعيماً معنوياً، ممثلاً في سعادتهم وفرحهم وسرورهم ونضرتهم.. قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٨﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٧﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٢].



أرواح الشهداء وأجواف الطيور الخضر

خطأ الفادي المفترى القرآن في حديثه عن حياة الشهداء عند ربهم، كما خطأ رسول الله ﷺ في إخباره عن كون أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر، واعترض على كلام القرآن عن البرزخ.

قال الله عن البرزخ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

والبرزخ هو المرحلة الانتقالية التي يكون عليها الأموات من البشر في قبورهم، بانتظار قيام الساعة، وهم إما منعمون في قبورهم إن كانوا محسنين، وإما معذبون في قبورهم إن كانوا مسيئين، والقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، كما أخبر رسول الله ﷺ.

وعلق الفادي على كلام القرآن عن البرزخ بقوله: «والبرزخ هو مكان

الأرواح، فيه تُحَفَظُ أرواحُ الأشرار، فلا يَقْدِرُونَ على الرُّجُوعِ إلى الحياة الدنيا^(١). وكلامه غيرُ صحيح، فالبرزخُ ليسَ مكاناً لحَفَظِ أرواحِ الأشرارِ فقط، وإنما هو مكانٌ لكلِّ النَّاسِ، مُؤْمِنِينَ وكافِرِينَ، ومُحْسِنِينَ ومُسيئينَ، لأنه مرحلةٌ حتميةٌ لما بَعْدَ الموتِ.

كما أنَّ البرزخَ ليسَ مكاناً للأرواحِ فقط، وإنما هو مكانٌ لكلِّ إنسانٍ، بجسْمِهِ وروحِهِ وكيانِهِ كُلِّهِ. وقد أَخْبَرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ إنسانٍ عندما يوضعُ في قَبْرِهِ، تُرَدُّ له روحُهُ في جَسَدِهِ، ويأتيهِ المَلَكُانِ فيُجَلِّسانِهِ ويسألانِهِ، فإنَّ أَجابَ كانَ مُنْعَمًا في قَبْرِهِ، وإنَّ لم يُجِبْ كانَ مُعَذَّبًا. فنَعِيمُ القَبْرِ أو عَذابُهُ ليسَ للروحِ فقط، لكنَّه للروحِ معِ الجَسَدِ.

لكنَّ البرزخَ من عالمِ الغيبِ، ولا يُقاسُ بمقاييسنا الماديةِ الدنيويةِ، فلو فَتَحْنَا قَبْرًا ماتَ صاحِبُهُ قبلَ عَشْرَةِ السنينِ فلنَ نَجِدَ فيه جِسْمًا ولا روحًا، ولا نَعِيمًا ولا عَذابًا، ولنَ نَجِدَ فيه إلا تُرابًا، ولا يَعْنِي هذا أَنَّ صاحِبَهُ صارَ تُرابًا حقيقةً، إنما هو بروحِهِ وجَسَدِهِ في عالمِ الغيبِ، وهو مُنْعَمٌ أو مُعَذَّبٌ في قَبْرِهِ، وَيَعِيشُ حياتَهُ البرزخيةَ بانتظارِ قيامِ الساعةِ!

أما حياةُ الشهداءِ عندَ اللَّهِ، فقد ذَكَرَها القرآنُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ (١٦٩) فَوَحِينَ يَمَّا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَنَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

وهذه الآياتُ نازلةٌ بعدَ غزوةِ أُحُدٍ، في السنةِ الثالثةِ من الهجرةِ، التي اسْتَشْهِدَ فيها مَنْ اسْتَشْهِدَ من الصحابةِ، فأخْبَرَ اللَّهُ أَهْلَهُم عن حياتِهِمْ. وهذا ما أَكَدَهُ وَوَضَّحَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ.

روى مسلمٌ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قال: سألنا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآيةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) هل القرآنُ معصومٌ؟، ص ٩٦.

يُرْفُونَ ﴿١﴾ .. فقال: «أرواحهم في جوف طيرٍ خُضِرٍ، لها قناديلٌ مُعَلَّقَةٌ بالعرش، تسرُحُ من الجنةِ حيثُ شاءتُ، ثم تأوي إلى تلك القناديل».

وروى أبو داود عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحْدٍ، جَعَلَ اللهُ أرواحهم في جوفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، تَرِدُ أَنهَارَ الجنةِ، تَأْكُلُ من ثَمَارِهَا، وتَأوي إلى قناديلٍ من ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ في ظِلِّ العرشِ .. فلما وَجَدُوا طيبَ مَا كَلِمِهِمْ ومَشْرَبَهُمْ ومَقِيلَهُمْ، قالوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أحياءٌ في الجنةِ نُزْرَقُ، لئلا يَزْهَدُوا في الجهادِ، ولا يَنْكَلُوا عندَ الحربِ؟ فقالَ اللهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عنكم! فأَنْزَلَ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا...﴾».

وقد اعترضَ الفادي على كلامِ رسولِ الله ﷺ، واعتبرَ جَعَلَ أرواحِ الشهداءِ في أجوافِ طيورٍ خُضِرٍ لا يَتَّفِقُ مع كرامةِ الإنسانِ. قال: «ونحنُ نَسألُ: إِنْ كانَ اللهُ خَلَقَ الإنسانَ على أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، فكيفَ إذا ذَهَبَ إلى الجنةِ يُنَزِّلُهُ مَنْزِلَةَ الطيرِ؟ ويتناسخُ الأشرارُ في النارِ إلى قرودٍ وخنازيرٍ، والأبرارُ في الجنةِ إلى طيورٍ وعصافير؟»^(١).

واعترضه يَدُلُّ على جَهْلِهِ وسَخافَةِ تَفْكيرِهِ، فلا يَدُلُّ حَدِيثُ رسولِ الله ﷺ على أَنَّ اللهُ يَحَوِّلُ الشهداءَ من بَشَرٍ إلى طيورٍ وعصافيرٍ، إنما يَدُلُّ على أَنَّ اللهُ يُكْرِمُهُم بعدَ استشهائِهِم، فلا يُبْقِي أرواحَهُم مع أجسادِهِم في الدنيا، وإنما يَسْتَقْدِمُها إلى الجنةِ، ويجعلُها في حواصلِ طيورٍ خُضِرٍ، تتمتعُ في الجنةِ حيثُ شاءت، وتسرحُ فيها بينَ أَنهارِها وأشجارِها وثمارِها، وتأوي ليلًا إلى قناديلٍ مُعَلَّقَةٍ في ظِلِّ العرشِ.

وهذا كُلُّهُ في الدنيا، فأجسادُهُم بَقِيَتْ في قُبُورِهِم، وأرواحُهُم هي التي استَقْدَمَها اللهُ إلى الجنةِ، فليسَ في الأمرِ تناسخٌ ولا استِنساخٌ، ولا إهانةٌ واحتقارٌ للشهيدِ، بتحويلِهِ من إنسانٍ مُكْرَمٍ إلى عُصفورٍ!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٦.

أَمَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الشُّهَدَاءَ كَمَا يَبْعَثُ النَّاسَ الْآخِرِينَ، وَيَسِيرُونَ إِلَى الْمَوْقِفِ بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَيَكُونُونَ فِيهَا بَشَرًا أَسْوِيَاءَ، مُعَزَّزِينَ مُكْرَمِينَ، عَلَى أَرْقَى وَأَكْمَلِ الصُّورِ الْبَشَرِيَّةِ!!



حول تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ

ذَكَرَ الْفَادِي الْمِفْطَرِي خُرَافَةَ مَوْتِ جَرَوٍ تَحْتَ سَرِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِمَّا جَعَلَ الْوَحْيَ يَتَأَخَّرُ عَنْهُ أَيَّامًا، وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ إِخْرَاجِ جُثَّةِ الْجَرَوِ، وَجَعَلَ الْمِفْطَرِي عِنْوَانَ الْمَوْضُوعِ تَهْكِيمِيًّا: «جَرَوٌ يُعْطَلُ الْوَحْيُ!». وَنَسَبَ هَذِهِ الْخُرَافَةَ إِلَى تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ.

وَزَعَمَ أَنَّ خُرَافَةَ الْجَرَوِ الْمَيِّتِ سَبَبٌ فِي نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَأَلَيْلٍ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿ [الضحى: ١ - ٣]

قَالَ الْفَادِي: «قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: رُوِيَ أَنَّ الْوَحْيَ تَأَخَّرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ أَيَّامًا.. لِأَنَّ جَرَوًا مَيِّتًا كَانَ تَحْتَ سَرِيرِهِ.. فَقَالَ الْمَشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبَّهُ وَقَلَاهُ، فَتَنَزَّلَتْ رَدًّا عَلَيْهِمْ» (١).

وَجَعَلَ الْفَادِي الْمِفْطَرِي نَفْسَهُ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ، حَبِيرًا بِالتَّصْحِيحِ وَالتَّضْعِيفِ، فَزَعَمَ أَنَّ رِوَايَةَ الْجَرَوِ الْمَيِّتِ مَرْوِيَةٌ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ! قَالَ: «... وَرُوِيَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّ جَرَوًا دَخَلَ بَيْتَ مُحَمَّدٍ، فَاتَتْ تَحْتَ السَّرِيرِ، فَمَاتَتْ، فَانْقَطَعَ الْوَحْيُ عَنْهُ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ لِحَادِمَتِهِ خَوْلَةَ: يَا خَوْلَةَ! مَاذَا حَدَّثَ فِي بَيْتِي؟ جَبْرِيلُ لَا يَأْتِينِي.. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ فَكَنَسْتُهُ، فَأَهْوَيْتُ بِالْمَكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ، فَأَخْرَجْتُ الْجَرَوَ... فَجَاءَ مُحَمَّدٌ يَرْعُدُ بِجُبَّتِهِ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ، فَقَالَ: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَأَلَيْلٍ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٦ - ٩٧.

وهذه الرواية مكذوبة موضوعة، رَغَمَ وِرْوَدِهَا فِي بَعْضِ كُتُبِ الْمَأْثُورِ،
وَمِنْ غَيْرِ الْمَقْبُولِ وَالْمَعْقُولِ أَنْ يَمُوتَ جَرَوْ تَحْتَ سَرِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْ
تَبْقَى جُثَّتُهُ تَحْتَ السَّرِيرِ أَيَّاماً عَدِيدَةً، بَدُونَ أَنْ تَخْرُجَ رَائِحَتُهَا الْمُنْتِنَةَ، أَوْ أَنْ
يَتَّبِعَ لَهَا أَحَدٌ.

وَأَثَارَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي عَلَى الرِّوَايَةِ الْمَكْذُوبَةِ أَسْئَلَةٌ تَهْكِمِيَّةٌ خَبِيثَةٌ، قَالَ:
«وَنَحْنُ نَسْأَلُ: أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْوَحْيِ هَذَا الَّذِي يَنْقَطِعُ عَنِ الْبَشَرِ بِسَبَبِ جَرَوْ؟
وَأَيُّ مَلَائِكَةٍ هَذَا الَّذِي يُقَاطِعُ نَبِيًّا بِسَبَبِ جَرَوْ؟ وَمَا دَخَلَ الْجَرَوْ فِي الْوَحْيِ؟ أَلَمْ
يَكُنْ أَعْلَبُ الْأَنْبِيَاءِ كِابِرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَمُوسَى وَدَاوُدَ رُعَاةَ أَعْنَامٍ
وَتَحْرُسُهَا الْكِلَابُ؟ فَلِمَاذَا لَمْ نَسْمَعْ بِمَقَاطَعَةِ السَّمَاءِ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ
كِلَابِهِمْ؟...»^(١).

وَكُلُّهَا أَسْئَلَةٌ مَتَهَافَتَةٌ لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِرِوَايَةٍ مَكْذُوبَةٍ مَوْضُوعَةٍ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى
جَهْلِ الْفَادِي وَتَحَامُلِهِ، وَجِرْصِهِ عَلَى إِثَارَةِ الشَّبَهَاتِ ضِدَّ الْقُرْآنِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ
عَلَيْهَا دَلِيلٌ أَوْ بُرْهَانٌ!



هل تذهب الحسنات السيئات؟

أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْرَبُ الصَّلَاةِ
طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِّرِينَ﴾
[هود: ١١٤].

وقد اعترض الفادي المفتري على هذه الآية، وعلى استشهاد الرسول ﷺ
بها. قال: «روى الترمذي عن أبي البسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا، فقلت:
إن في البيت تمرًا هو أظيب منه، فدخلت معي البيت، فأهويت عليها،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٧.

فقبلتها... ثم ذهب إلى محمد ﷺ وأخبره بما كان، فأطرق محمد طويلاً، ثم قال: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. فقال: يا رسول الله! أهي لي خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة^(١). والذي صحَّ في نزول الآية ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فأنزل الله الآية: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

تدلُّ الحادثة على أن أحد المسلمين زلّت قدمه، وارتكب ذنباً، حيث قبل امرأة قبلة محرمة، ثم استيقظ ضميره، وشعر بذنبه، واستغفر الله، وتاب إليه، وأتى النبي ﷺ مستسليماً، واضعاً نفسه بين يديه، ليحكم فيه بأمره. ولاحظ الرسول ﷺ صدق الرجل في توبته، وإقلاعه عن ذنبه، وحرصه على الإكثار من الحسنات، فأخبره أن الحسنات يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ!!.

وقد صرح الرسول ﷺ في حديث آخر أن الصلوات الخمس تُكْفِرُ الذُّنُوبَ، وشبهها برجلٍ يغتسل في نهرٍ خمسَ مرّاتٍ في اليوم. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بابِ أحدكم يغتسل فيه كلَّ يوم خمسَ مرّاتٍ، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثلُ الصلواتِ الخمسِ يمحو الله بهنَّ الخطايا».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعة، كفارةٌ لما بينهما، ما لم تُغشِ الكبائر».

وقد رفض الفادي ما قرّره الآية، وما أكّده رسول الله ﷺ، وطرح حولها أسئلته التشكيكية، فقال: «ونحنُ نسأل: كيف يقترف الناسُ الشرور، ثمَّ يكفرونَ عنها بالصلواتِ الخمس؟ ألا يُنافي هذا قداسة الله وعَدَّته؟ فإنه لا يمكنُ التكفيرُ عن الخطيئةِ إلاَّ بسفكِ دمٍ، كقولِ الإنجيل: «بدونِ سفكِ دمٍ لا تحصلُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٧ - ٩٨.

مَغْفِرَةٌ» وَكَيْفَ يَسْتَخْفُونَ بِخَطِيئَتِهِ هِيَ أَشْنَعُ وَأَفْظَعُ شَيْءٍ أَمَامَ اللَّهِ»^(١).

لقد قَدَّمَ الفادي طريقاً شاقاً للتوبة والتكفير، لا تَتَّفِقُ مع عقيدته النصرانية، إنه لا توبة ولا تَكْفِيرَ إِلَّا بِسَفْكِ دَمٍ، وبدونِ سَفْكِ دَمٍ لا تَحْصُلُ مغفرة!! فما معنى هذا؟ هل يَجِبُ على المذنبِ أَنْ يَقْتَلَ نَفْسَهُ ليغفرَ اللهُ له؟ أَلَا يُؤْمِنُ النَّصَارَى أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الْفَادِي؟ وَأَنَّ اللَّهَ شَاءَ أَنْ يُصَلِّبَ ابْنَهُ لِيَكُونَ فِدَاءً لِلبَشَرِ جَمِيعاً حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ؟ وَأَنَّهُ لَا دَاعِيَ لِأَنْ يَسْتَغْفَرَ الْمَذْنُبُونَ، فَقَدْ فَدَاهُمْ الْفَادِي بِنَفْسِهِ.. فَكَيْفَ يَقُولُ الْمُفْتَرِي الْآنَ: إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ إِلَّا بِسَفْكِ دَمٍ!.

أَمَّا ادِّعَاؤُهُ أَنَّ الْآيَةَ وَحَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُجَرِّئُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ارتكابِ الذُّنُوبِ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْاسْتِخْفَافِ بِالْمَعَاصِي، فَهَذَا افْتِرَاءٌ بَاطِلٌ، لِأَنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ وَأَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَدْعُو إِلَى تَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ وَتَعْظِيمِ مَقَامِهِ، وَعَدَمِ مَعْصِيَتِهِ، فَإِذَا أَخْطَأَ الْمُسْلِمُ بِدُونِ قَصْدٍ، وَوَقَعَ فِي ذَنْبٍ بِدُونِ تَعَمُّدٍ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَأَكْثَرَ مِنْ مَظَاهِرِ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ.

لهذا المسلم التائب، المنيب لربه، المقلع عن ذنبيه، الذي عمل الحسنات بعد السيئات، توجّه الآية، ترغيباً له في الاستمرار على طريقه الإيجابي بعد التوبة: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ﴾، كما توجّه له أحاديث رسول الله ﷺ المرغبة في فعل الحسنات بعد السيئات.



من الذي صُلب: المسيح أم شبيهه؟

سَبَقَ أَنْ نَاقَشْنَا الْفَادِي الْمَفْتَرِي فِي مَسْأَلَةِ صَلْبِ الْمَسِيحِ ﷺ وَمَوْتِهِ وَرَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ، عِنْدَمَا أَثَارَ مَوْتَ الْمَسِيحِ ثُمَّ حَيَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَذَكَّرْنَا مَا قَالَهُ الْقُرْآنُ حَوْلَ ذَلِكَ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٨.

وقد عادَ الفادي إلى هذا الموضوع، وخصَّصَ له مَبْحَثًا خاصًّا، وهو السؤالُ الثامنُ والتسعون، الذي جعلَ عنوانه: «خِدْعَةُ إِلقَاءِ شِبهِ المِسيحِ على غيرِهِ».

اتهمَ الفادي المفتري القرآنَ بالتناقُضِ في حديثه عن عيسى ﷺ، فأحياناً يذكُرُ أَنَّ اليهودَ لم يَقْتُلُوهُ ولم يَصْلُبُوهُ، وإنما قَتَلُوا وَصَلَبُوا شَبَّهُه، وأحياناً يذكُرُ أَنهم قَتَلُوا المِسيحَ ودَفَنُوهُ، ثم أحياءُ اللهُ بعدَ موتِهِ، ورفَعَهُ إلى السَّمَاءِ!!.

قال: «جاءَ في سورةِ النساءِ: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ رسولَ اللهِ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبههُ لهمَّ وإنَّ الذينَ اختلفوا فيه لفي سَكِّ منهُ ما لهم به من علمٍ إلاَّ ابَّاعَ الظنَّ وما قتلوه يقيناً﴾ (١٥٧) بل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]

بسببِ هذه الآيةِ القرآنيةِ الواحدةِ يُنكَرُ بعضُ المسلمين صلبَ المِسيحِ، مع أنَّ في القرآنِ ثلاثَ آياتٍ تقطَعُ أَنَّ المِسيحَ تُوفِّي ومات، وُبِعِثَ حَيًّا، وُرفِعَ إلى السماءِ. وهي: ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَفَعْنَاهُ وَإِنَّا لَمَتَّبِعُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]. و﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتَ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُنْعَثُ حَيًّا﴾ [٣٣] ﴿ [مريم: ٣٣]».

ثم قال: «ونحنُ نَسألُ: كَيْفَ يَقولُ القرآنُ مرَّةً: إِنَّ المِسيحَ لم يُصَلَبْ ولم يُقتل، بل رُفِعَ حَيًّا، ويقولُ مراراً: إِنَّهُ تُوفِّي ومات ثم رُفِعَ حَيًّا؟!».

وإنَّ جازاً أن يُقالَ: إِنَّ اللهَ يُلقِي شَبَّهُ إنسانٍ على آخَر، ألا يَفْتَحُ هذا بابَ السُّكِّ في كلِّ شيءٍ؟ فإذا رأيتَ زيَداً، يُحتملُ أَنه ليسَ بزَيد، بل أَلقيَ شَبَّهُ زيَداً عليه، وعند ذلك لا تَبقى على الأرضِ حقيقة! بل إننا نَشكُّ في التواتر، لأننا نتساءلُ إن كانَ ما رواهُ الأُولونَ حَقًّا أو شَبِهاً بالحَقِّ، بل إننا نَشكُّ في الشرائعِ التي جاءَ بها أشباهُ الأنبياءِ، بل الأنبياءِ أَنفُسُهُم! وهل في إلقَاءِ الشَبِّهِ

على آخَرَ لِيَقْتُلَهُ الْيَهُودُ بَدَلَ الْمَسِيحِ شَيْءٌ مِنَ الْعَدْلِ عَلَى الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ؟ أَلَا يَظُنُّ الْيَهُودُ أَنَّ اللَّهَ يُعِزُّ الْمَسِيحَ وَيُكْرِمُهُ؟ إِنَّ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصَّلْبَ يَرَسْمُونَ لَنَا اللَّهُ إِلَهَا يَرْضَى بِالْغِشِّ وَالْكَذِبِ»^(١).

لقد أثارَ الفادي المفتري في كلامه مجموعةً من الإشكالات والمغالطات، ويُمكنُ الرَّدُّ عليها في النقاط التالية:

١ - زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُتَنَاقِضٌ فِي حَدِيثِهِ عَنِ نَهَايَةِ الْمَسِيحِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ يَصَلِبُوهُ، وَإِنَّمَا شُبِّهَ لَهُمْ، وَقَالَ: إِنَّ عَيْسَى تُوْفِّي وَمَاتَ ثُمَّ بُعِثَ حَيًّا، وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ.

وهذا زَعْمٌ باطلٌ مردود، فلم يَتَنَاقَضِ الْقُرْآنُ فِي حَدِيثِهِ، وَلَا تَنَاقَضَ بَيْنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنِ الْمَوْضُوعِ الْوَاحِدِ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ تَنَاقُضٌ أَوْ تَعَارُضٌ فَهُوَ مَوْهُومٌ، نَاتِجٌ عَنِ سُوءِ فَهْمِهَا، وَيُمْكِنُ إِزَالَةُ ذَلِكَ التَّعَارُضِ بِإِمْعَانِ النَّظَرِ فِيهَا، وَإِحْسَانِ فَهْمِهَا، وَدِقَّةِ الْجَمْعِ بَيْنَهَا.

٢ - الْمُعْتَمَدُ فِي أَمْرِ الْمَسِيحِ ﷺ آيَاتُ سُورَةِ النَّسَاءِ، الَّتِي تُصَرِّحُ أَنَّ اللَّهَ حَمَى رَسُولَهُ عَيْسَى ﷺ، وَعَصَمَهُ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ، فَلَمَّا أُنُوا بِالْجُنُودِ الرُّومَانِ لَصَلْبِهِ وَقَتْلِهِ، أَلْقَى اللَّهُ شَبَّهُهُ عَلَى أَحَدِ تَلَامِيذِهِ الْمُتَبَرِّعِينَ، فَأَخَذُوا الْمُؤْمِنَ الْمُتَبَرِّعَ، وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى أَنَّهُ عَيْسَى، ثُمَّ أَنْزَلُوهُ وَدَفَنُوهُ! أَمَّا عَيْسَى ﷺ فَقَدْ أَنْجَاهُ اللَّهُ وَعَصَمَهُ وَحَمَاهُ، وَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مُبَاشَرَةً، فَلَمْ يُصَبِّ بِأَذَى.

٣ - لَمْ يَتَحَدَّثِ الْقُرْآنُ عَنِ صَلْبِ عَيْسَى وَدَفْنِهِ وَمَوْتِهِ، ثُمَّ قِيَامَتِهِ حَيًّا مِنْ قَبْرِهِ، كَمَا ادَّعَى الْفَادِي ذَلِكَ وَنَسَبَهُ لِلْقُرْآنِ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ نَاقَشْنَاهُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفُءْكَ وَإِلَىٰ وَطْنِكَ مِنْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وَخُلَاصَةُ مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ شَبَّهُهُ عَيْسَى ﷺ عَلَى ذَلِكَ الشَّابِّ الْمُتَطَوِّعِ، بَحِيثٌ صَارَ كَأَنَّهُ عَيْسَى تَمَامًا، أَلْقَى اللَّهُ النَّوْمَ عَلَى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٨ - ٩٩.

عيسى ﷺ، فنامَ وهو وسط تلاميذه الحواريين، في تلك الليلة المثيرة، وتوقاهُ اللهُ بأنَّ أنامَه، ثم رَفَعَه إلى السماءِ وهو نائم، وكان ذلك بروحِه وجَسَدِه، وتمَّ بآيةِ خارقةٍ ومعجزةٍ باهرةٍ من الله!.

فليس معنى قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: سأسمح لليهودِ بصَلْبِكَ وقتلِكَ ودَفْنِكَ، وأكونُ بهذا قد أمتُّكَ وتَوَفَّيْتُكَ، ثم أُحييك بعدَ دفنِكَ مباشرة، وأرفعُكَ إِلَيَّ حَيًّا. كما يؤمنُ بذلك الفادي وأهلُ مِلَّتِه من النصارى. وإنما مَعْنَاهَا: إِنِّي مُنِمْكَ، ورافِعُكَ إِلَيَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ، وبذلك أُطَهِّرُكَ من الذين كَفَرُوا، فلم تَمْتدَّ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ بسوء.

٤ - لا يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: لما أمتَّني على الصليب، كما فهمَ ذلك الفادي المفترى، إنما المرادُ بها هنا الوفاةُ الحقيقيةُ، التي سَيَتَوَفَّى اللهُ بها عيسى ﷺ، عندَ انتهاءِ أَجَلِه، وذلك بعدَ نزوله في آخرِ الزمان، حيث سَيَتَوَفَّاهُ اللهُ وَيُمِيتُهُ كما يَتَوَفَّى وَيُمِيتُ أَيَّ إِنْسَانٍ!

٥ - أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فليس كما فهمه الفادي المفترى، بما يَتَّفِقُ مع هَوَاهُ، من أَنه ماتَ ودُفِنَ، ثم بَعَثَهُ اللهُ حَيًّا بعدَ ذلك ورفَعَه إلى السماء، وإنما يُخبرُ عن المراحلِ الثلاثةِ التي يَمُرُّ بها عيسى ﷺ، كما يَمُرُّ بها كلُّ إِنْسَانٍ، وهي ميلادُه، ثم موتهُ، ثم بَعثُهُ حَيًّا يَوْمَ القِيَامَةِ. فعيسى الحَيُّ الآنَ في السماءِ، سَيُنزَلُهُ اللهُ في آخرِ الزمان، ثم يُمِيتُهُ، ثم يَبْعَثُهُ حَيًّا يَوْمَ القِيَامَةِ كما يَبْعَثُ باقي الناس.

وبهذا نُزيلُ التناقضَ الموهومَ بين الآيات، ونَعْرِفُ من القرآنِ أَنَّ اليهودَ لم يَقْتُلُوا عيسى ولم يَصْلُبوه، وَأنامَه اللهُ، وتوقاه تَوَفَّى نَوْمَ، ورفَعَه إليه وهو نائم، وسَيُنزَلُهُ في آخرِ الزمان، وَيُمِيتُهُ كما يُمِيتُ باقي البشر، ويبعثُهُ حَيًّا يَوْمَ القِيَامَةِ كما يَبْعَثُ باقي البشر!!.

٦ - لا يَتَرْتَبُ عَلَى إِقَاءِ شَبِّهِ عَيْسَى ﷺ عَلَى تَلْمِيذِهِ الْمَتَطَوِّعِ
 الْإِشْكَالَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْفَادِي، لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ خَاصٌّ أَرَادَهُ اللَّهُ، وَمَعْجَزَةٌ
 خَاصَّةٌ قَدَّرَهَا اللَّهُ، لِيَحْمِيَ بِهَا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ عَيْسَى ﷺ، وَلَا يَصِيرُ ذَلِكَ
 الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ عَلَى سَكْلِ عَيْسَى ﷺ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَا يُؤَدِّي هَذَا إِلَى
 الشُّكِّ فِي الْحَقَائِقِ وَالْأَشْيَاءِ وَالْأَشْخَاصِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَعْجَزَةُ لَا تُعَمَّمُ عَلَى
 الْجَمِيعِ! كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَمْرِ ظَلَمٌ لِلشَّابِّ الْمَتَطَوِّعِ، الَّذِي أُخِذَ وَقْتِلَ
 وَصُلِبَ عَلَى أَنَّهُ عَيْسَى ﷺ، لِأَنَّهُ تَبَرَّعَ بِذَلِكَ وَرَضِيَ بِهِ، طَالِباً الْأَجْرَ
 مِنَ اللَّهِ، حَيْثُ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ عَيْسَى ﷺ: «مَنْ مِنْكُمْ يَرْضَى أَنْ
 يُلْقَى عَلَيْهِ شَبِّهِ، فَيُؤْخَذَ وَيُقْتَلَ، وَيَكُونَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ؟». فَقَالَ ذَلِكَ
 الشَّابُّ: أَنَا.

٧ - الْجَمَلَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ كَلَامِ الْفَادِي فَاجِرَةٌ قَبِيحَةٌ مَرْدُولَةٌ: «إِنَّ الَّذِينَ
 يُنْكِرُونَ الصَّلْبَ يَرْسُمُونَ لَنَا اللَّهَ إِلَهًا يَرْضَى بِالْغِشِّ وَالْكَذْبِ!». أَيُّ أَنَّ ذَلِكَ
 الشَّابُّ الْفِدَائِيُّ الْمَتَطَوِّعُ كَانَ كَاذِبًا عَشَّاشًا عِنْدَمَا صَارَ شَبِيهًا بِعَيْسَى ﷺ، عِلْمًا
 أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَتِمَّ بِفِعْلِهِ، إِنَّمَا تَمَّ بِفِعْلِ اللَّهِ، وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَرَادَ ذَلِكَ وَفَعَلَهُ
 فَهُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ!.



حول تكفير الصوم للخطايا

وَقَفَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَمَامَ تَكْفِيرِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِلْخَطَايَا، وَفَضَلَ لَيْلَةَ
 الْقَدْرِ فِيهِ، الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَأُورِدَ أَحَادِيثٌ لَمْ تَصِحَّ عَنْ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اعْتَرَضَ عَلَيْهَا.

بَعْدَمَا سَجَّلَ آيَاتِ سُورَةِ الْقَدْرِ قَالَ: جَاءَ فِي حَدِيثٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِذَا
 كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمَرَ اللَّهُ جَبْرِيْلَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَنْزِلَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ
 مَلَكٍ، سُكَّانِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَعَهُمُ أَلْوِيَّةٌ مِنَ النُّورِ، فَيُرَكِّزُونَ أَلْوِيَّتَهُمْ فِي

المسجد الحرام ومسجد محمد وبيت المقدس، ويُركّزُ جبريلُ لواءَ أخضرَ على ظهرِ الكعبة.. ثم تتفرّق الملائكةُ في أقطارِ الأرضين، فيدخلونَ على كُلِّ مؤمن، يجدونه في صلاةٍ أو ذكرٍ، يُسلمونَ عليه ويُصافحونه، ويؤمنونَ على دُعائه، ويستغفرونَ لجميعِ أُمَّةِ محمدٍ حتى مطلعِ الفجرِ...!! وفي حديثٍ آخر: «إِنَّ اللَّهَ يُعْتَقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ سِتْمِئَةَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْهُ أَعْتَقَ بِقَدْرِ مَا مَضَى!!»!

والحديثان اللذان ذكّرهما ليسا صحيحين، ولم يقلهما رسولُ الله ﷺ، وفيهما مبالغةٌ واضحةٌ غيرُ مقبولة.

وانظرُ إلى شيطنةٍ وخُبثِ الفادي المجرم، في قوله عن المساجد الثلاثة: «فَيُرَكِّزُونَ أَلْوَيْتَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ مُحَمَّدٍ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ». الروايةُ التي نقلها تقول: «المسجدُ الحرامُ والمسجدُ النبويُّ وبيتُ المقدس». فحذفَ المفتري المحرّفُ كلمةَ «المسجدِ النبوي»، ووَضَعَ مكانها «مسجدَ محمد!». وذلك ليَنفي نُبوَّةَ محمدٍ ﷺ، لأنّه لا يؤمنُ بأنّه رسولُ الله، وإنما هو كاذبٌ مُفترٍ مُدّعٍ، ادّعى أنّه نبيٌّ، وألّفَ القرآنَ، ولذلك يحرصُ في كتابه على حذفِ أيِّ كلمةٍ تُشيرُ إلى نُبُوّته، فيحذفُها ويضعُ مكانها اسمَه المجرّد! حتى لو أدّى ذلك إلى التلاعبِ بالنصِّ الذي أَمّاه وتحرّيفه، وهذا مما لا يتفقُ مع الأمانةِ العلميّةِ في التعاملِ مع النصوصِ المخالفة!

وقد اعترضَ الفادي على الحديثين اللذين أوردَهما، وخطأً القولَ بأنَّ الصومَ يُؤدّي إلى مغفرةِ الخطايا. قال: «ونحنُ نَسألُ: هل مجردُ صومِ رمضانَ يُؤدّي إلى الخلاصِ، ويغفرُ الخطايا؟ ألا يُنافي هذا عدلَ الله وقُداسَتَه؟ لقد وَفَّقَ اللهُ بحكمتِه بينَ عدلِه ورحمتِه، وجعلَ المسيحَ بتجسُّدِه يَموتُ عن الخُطَاةِ، ليخلِّصَهُم مِنَ الخُطِيَّةِ، ويمنحَهُم القوَّةَ للعيشَةِ بالبرِّ والقُداسَةِ. إنَّ الاتكالَ على رحمةِ الله فقط دونَ النظرِ للعداءِ يَطعنُ في عدلِ الله، فيكونُ اللهُ كَمَلِكٍ يُصدرُ قانوناً، ويتهاونُ في تنفيذه، فلا يُعاقبُ كاسريه!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٩٩.

واعترضُ الفادي على تكفيرِ الصَّومِ للخطايا دليلٌ على جهله، فالمؤمنُ عندما يصومُ يقومُ بجهدٍ وعَمَلٍ وكَسْبٍ، ويفعلُ الخيرَ، مُتَقَرِّباً به إلى الله، ويكافؤُه اللهُ على جهده وعمله بتكفيرِ خطاياها، ومضاعفةِ حسناته، وماذا في ذلك؟ ولماذا لا يَنفَقُ هذا التكفيرُ مع عدلِ الله؟ ولماذا يُؤدِّي القولُ بهذا إلى اتِّهامِ الله بالتهاونِ في تنفيذِ عقابه والتراجعِ عنه؟! .

إنَّ اللهَ واسعُ المغفرةِ، يتقبَّلُ الصالحاتِ من عباده الصالحين، ويتعاملُ معهم برحمتهِ وكرمه، فيضاعفُ لهم الحسناتِ، وهو يُريدُ منهم أن يتَّقوهُ ويُطيعوه، فإذا أذنبوا ثم تابوا واستقاموا، وعَمِلوا الطاعاتِ، فيقبلُهم ويعفو عنهم، واللهُ غفورٌ رحيمٌ، يَغْمُرُ التائبين العابدين برحمتهِ وفضله!! .

وأيهما الأذعَى للإنكارِ والاعتراضِ والتخطئة؟ فكرةُ الإسلامِ عن تكفيرِ العباداتِ من صلاةٍ وصومٍ للذنوبِ والخطايا، أو فكرةُ النصرانيةِ عن الخِلاصِ والفداء؟ التي تقومُ على أن اللهَ ضحىَ بابنه المسيحَ، وأذن أن يُقتلَ ويُصلبَ ليكونَ فادياً للناسِ جميعاً، وكان دمُ ابنه المسيحِ المسفوكُ تكفيراً لجميعِ ذنوبِ المذنبين حتى قيام الساعة! ولا داعي لأن يتوبَ هؤلاء المذنبون، ولا أن يستغفروا اللهَ، ولا أن يَعْمَلُوا الصالحاتِ، ولا أن يتوقَّفوا عن المعاصي! فاللهُ ضحىَ بابنه المخلَّصِ الفادي من أجلهم!! باللهِ هذا كلامٌ؟! وهذا دينٌ؟! وقائلُ هذا الكلامِ هل هو مؤحِّدٌ لله؟ وهل هو مؤهَّلٌ للاعتراضِ على الإسلامِ وتخطئته في كلامه عن تكفيرِ الخطايا بالعملِ الصالح؟ صدقَ في كلامِ الفادي الجاهلِ قولُ الشاعر:

هذا كلامٌ لهُ خبيءٌ مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ



نفي النبوة عن نسل إسماعيل عليه السلام

يَحصرُ الفادي المفتري وأهلُ ملتهِ النبوةَ في بني إسرائيلَ من نسلِ إبراهيمَ عليه السلام، وينفون النبوةَ عن نسلِ إسماعيلَ عليه السلام، وهذا مَعْنَاهُ أنهم ينفون نبوةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وَبَحَثَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي فِي الْقُرْآنِ نَفْسِهِ عَنْ دَلِيلٍ يَحْصِرُ فِيهِ النُّبُوَّةَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَنْفِي نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ! وَادَّعَى أَنَّهُ وَجَدَ آيَتَيْنِ تُصَرِّحَانِ بِذَلِكَ!

قَالَ: جَاءَ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ (١٦): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، وَجَاءَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ (٢٧): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وَخَرَجَ مِنَ الْآيَتَيْنِ بِنتِيحَةٍ فَاجِرَةٍ! قَالَ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ النُّبُوَّةَ مَحْصُورَةٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ دُونَ سِوَاهُمْ، وَهِيَ تُؤَافِقُ رَأْيَ التَّوْرَةِ، الَّتِي تُحَذِّرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبُولِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلِ»^(١).

ثُمَّ ذَكَرَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي نُصُوصاً مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ تُصَرِّحُ بِذَلِكَ، مِنْهَا: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعْيشُ أَمَامَكَ! فَقَالَ اللَّهُ: بَلِ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ، وَأَقِيمْ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ!».

هَذَا النَّصُّ يَنْفِي نُبُوَّةَ إِسْمَاعِيلِ ﷺ، وَيَرْفَعُ الْبُرْكَاتِ عَنْهُ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَيَخْصُ الْبُرْكَاتِ وَالنُّبُوَّةَ بِإِسْحَاقَ ﷺ وَنَسْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ!! وَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، وَهُوَ مِنْ تَأْلِيفِ الْأَحْبَارِ، وَهُوَ مَرْدُودٌ لِأَنَّهُ يَتَعَارَضُ مَعَ الْقُرْآنِ الَّذِي صَرَّحَ بِنُبُوَّةِ إِسْمَاعِيلَ ﷺ.

وَيَنْقُلُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ الْمَفْتَرِي قَوْلَ اللَّهِ لِإِسْحَاقَ: «وَأَكْثَرَ نَسْلِكَ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأَعْطَيْتُ نَسْلَكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَتَبَارَكَ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ».! كَمَا يَنْقُلُ قَوْلَ اللَّهِ لِيَعْقُوبَ الْهَارِبِ مِنْ أَخِيهِ عَيْسُو: «وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشِمَالًا وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكَ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعِ قِبَائِلِ الْأَرْضِ».

وَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنُ كَلَامَ الْأَحْبَارِ، فَاللَّهُ لَمْ يُعْطِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَعَدًا مُطْلَقًا مَفْتُوحًا، لَهُ وَلذُرِّيَّتِهِ مِنْ نَسْلِ إِسْحَاقَ فَقَطْ، إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٠.

ذريته، سواء كانوا من نسل إسماعيل أو من نسل إسحاق، وحرّم الظالمين الكافرين من عهده وفضله. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ثم من قال: إن نسل إسحاق ويعقوب أكثر الأقسام نسلاً، وأنهم لا يخصصون لكثرتهم، وأنهم كتراب الأرض ونجوم السماء؟ إن الواقع يكذب ذلك، فاليهود في هذه الأيام لا يزيدون عن خمسة عشر مليوناً في العالم أجمع، وكثير منهم ليسوا من أصول يهودية إسرائيلية، أي ليسوا من نسل إسحاق ويعقوب عليهما السلام، وإنما هم من أصول غير إسرائيلية دخلت في الديانة اليهودية!.

وقد ادّعى الفادي المفتري أن النبوة محصورة في نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام قال: «فالبركة للعالم والعهد الإلهي عن النسل الموعود به ينحصر في نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلى المسيح»^(١).

ومعنى قوله هذا نفى نبوة الأنبياء السابقين من غير بني إسرائيل، والكفر بهم، مثل هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ عليهم الصلاة والسلام، والكفر بهم كفرٌ بالله، فهذا مظهرٌ من مظاهر كفر الفادي بالله.

وصرّح الفادي المفتري بعد ذلك بنفي نبوة محمد صلى الله عليه وآله. قال: «إذا كانت النبوة محصورة في بني إسرائيل، حسب شهادة التوراة والإنجيل والقرآن، فكيف يكون محمد نبياً؟»^(٢).

إنّ المفتري يفترى ويكذب على القرآن، ويدّعي أنّ القرآن حصّر النبوة في بني إسرائيل، وهذا كذبٌ على القرآن، فقد ذكر القرآن قصص أنبياء من غير بني إسرائيل، مثل: نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ ومحمد، عليهم الصلاة والسلام. وقد صرّح المفترى بكفره الصريح في نفي نبوة محمد صلى الله عليه وآله: «فكيف يكون محمد نبياً؟» وهو بهذا يكذب الآيات القرآنية الكثيرة التي تُصرّح بنبوة

(٢) المرجع السابق، ص ١٠١.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٠.

محمد ﷺ؛ كقولهِ تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهذا مظهرٌ آخَرُ من مظاهر كُفْرِهِ بالله!.

ويُكَذِّبُ الفادي المجرمُ القرآنَ في تصرِيحِهِ بنبوةِ إسماعيلَ ﷺ.

قال: وكيف يقول القرآن: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مریم: ٥٤]، ثم يقول: إِنَّ مُحَمَّدًا وَحْدَهُ نَبِيُّ الْعَرَبِ، وَقَبْلَهُ لَمْ يُرْسَلْ لَهُمْ نَبِيٌّ: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَذْرُؤُنَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وقال: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

يريدُ المفتري أن يتهِمَ القرآنَ بالتناقُضِ، فهو يذُكِّرُ أَنَّ إسماعيلَ ﷺ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا، ثم يذُكِّرُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا نَبِيًّا لِلْعَرَبِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ!.

مع أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا إِلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا فِي مَكَّةَ، عِنْدَمَا تَمَّ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ، وَبِذَلِكَ نَبَتْ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ!.. ولما نفى اللهُ وجودَ رسولٍ نذيرٍ للعربِ في الحجازِ قَبْلَ نبوةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّمَا أَرَادَ نَفْيَ وُجُودِ نَبِيٍّ مِنْ زَمَنِ قَرِيبٍ، لِأَنَّ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ عِيسَى ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَدَمِ وُجُودِ أَنْبِيَاءٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى ﷺ، وَهِيَ مَدَّةُ سِتَّةِ قُرُونٍ تَقْرِيبًا، فَالآيَاتُ الَّتِي نَفَتْ إِرسَالَ نَذِيرٍ لِلْعَرَبِ فِي الْحِجَازِ تَحَدَّثَتْ عَنِ الْفِتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا تَمْتَدُّ هَذِهِ الْفِتْرَةُ لِتَنْفِي نُبُوَّةِ إِسْمَاعِيلَ، الَّذِي كَانَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَكْثَرِ مِنَ أَلْفِي سَنَةٍ!.

إِنَّ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا رَسُولًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﷺ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ، وَهَذَا مَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَ نُبُوَّتَهُمَا - كَالفادي المجرمِ - فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، لِأَنَّهُ كَذَّبَ مَا قَالَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ.. وَليست النبوةُ محصورةً في بني إِسْرَائِيلَ كَمَا ادَّعَى الفادي المفتري، فهناكُ أَنْبِيَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِثْلُ هُودٍ وَصَالِحٍ ﷺ، لِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ لِكُلِّ أُمَّةٍ نَذِيرًا، كَمَا قَالَ

تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. مع أَنَّ معظمَ الأنبياءِ المذكورين في القرآن إنما بُعثوا لبني إسرائيل، وكانوا من بني إسرائيل!! .

ووقفَ الفادي المفتري أمامَ بعضِ الآياتِ التي تُثني على إسحاقَ ويعقوبَ، واستدلَّ بها على عدمِ نبوةِ إسماعيل. قال: «وَذَكَرَ الْقُرْآنُ مِرَاراً أَنَّ إِسْحَاقَ (الابنَ الثاني لإبراهيم) وَيَعْقُوبَ (حفيده) هما هبةُ الله لإبراهيم، دونَ ذِكْرِ إِسْمَاعِيلَ (مع أَنَّهُ بَكْرُ إِبراهيم) فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤] وقال: ﴿فَلَمَّا أَغْرَقْنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]».

وما خَرَجَ به الفادي المفتري من الآياتِ غَيْرُ صَحيح، فبينما اُكْتَفَتْ بعضُ الآياتِ بذكرِ إسحاقَ ويعقوبَ، فقد ذَكَرَتْ آياتٌ أُخرى إسماعيلَ، وأُثِنْتُ عليه كما أُثِنْتُ عليهما، عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

فالآياتُ التي ذَكَرَتْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﷺ في سورة مريم، تَلَتْهَا آياتٌ أُثِنْتُ على إسماعيلَ ﷺ، حيثُ قالَ اللهُ عنه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

وسورةُ الأنبياءِ التي أُثِنْتُ على إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢] أُثِنْتُ بعدَ ذلك على إسماعيلَ ﷺ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وسورةُ الأنعامِ التي ذَكَرَتْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤] ذَكَرَتْ إسماعيلَ ﷺ بعدَ ذلك: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَافًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

وسورةُ الصافاتِ التي تحدثتُ عن إِسْحَاقَ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾

[الصافات: ١١٢ - ١١٣] تَحَدَّثَتْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَتْ قِصَّةَ الذَّبْحِ وَالْفِدَاءِ: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلجِبِينِ ﴿١١٦﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابِرَهُسُ ﴿١١٧﴾ قَدْ صَدَفَتْ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَجَرَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلْتَوَا الْمُئِينِ ﴿١١٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿[الصافات: ١٠١ - ١٠٧].

ولما حَضَرَ يَعْقُوبَ ﷺ المَوْتُ وَأَرَادَ أَنْ يَطْمِئِنَّ عَلَى تَدْيِينِ أَوْلَادِهِ، سَأَلَهُمْ عَنْ مَنْ سَيَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِهِ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ سَيَعْبُدُونَ إِلَهَ آبَائِهِ، وَمِنْهُمْ عَمَّهُ إِسْمَاعِيلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ عَابَاؤُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وَقُدِّمَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى إِسْحَاقَ ضَمَّنَ ذِكْرَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

١٠١

هل بلاد العرب للمسيح ﷺ؟

ذَكَرَ الْفَادِي الْآيَةَ الَّتِي تُخْبِرُ أَنَّ نَصَارَى مَخْصُوصِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وَلَا نَنْسَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَا تَتَحَدَّثُ عَنْ كُلِّ النَّصَارَى، وَإِنَّمَا عَنْ نَصَارَى مَخْصُوصِينَ، هُم الْقِسِّيُونَ وَالرُّهْبَانُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبْشَةِ،

والذين تَأْتَرُوا بِالْقُرْآنِ عِنْدَمَا سَمِعُوهُ، وَفَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، وَأَعْلَنُوا
 إِيمَانَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَبِالنَّبِيِّ ﷺ. وهذا ما صرَّحت به الآيات التي بَعْدَ تلك الآية:
 ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ قَرَأَهُ عَنِ النَّبِيِّ سَمِعُوكَ سَمْعًا كَرِيمًا وَأَدْبَارَ السُّجُودِ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
 وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٥].

ولا تَتَحَدَّثُ الآيَاتُ عَنِ النَّصَارَى الْأَعْدَاءِ الْمُقَاتِلِينَ الصَّلِيبِيِّينَ، الَّذِينَ
 جَهَّزُوا الْجِيُوشَ وَغَزَوْا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ، وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ! كما أنها لا تتحدَّثُ
 عَنِ النَّصَارَى الَّذِينَ حَارَبُوا الْقُرْآنَ، وَشَكَّكُوا فِيهِ، وَحَطَّوْهُ، وَذَمُّوهُ وَانْتَهَكُوهُ،
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْفَادِي الْمُعَادِي!

وقد جَعَلَ الْفَادِي عِنْدَ سُؤَالِهِ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْمِئَةِ: «بِلَادُ الْعَرَبِ
 لِلْمَسِيحِ!» وهو عنوانٌ خَطِيرٌ مُثِيرٌ، سَجَّلَ فِيهِ الْفَادِي آمَالَهُ فِي أَنْ تَكُونَ بِلَادُ
 الْعَرَبِ لِلنَّصَارَى، بَأَنْ يَنْتَصِرَ أَهْلُهَا!

وقالَ الْمُفْتَرِي فِي كَلَامِهِ: «انْتَشَرَتِ الْمَسِيحِيَّةُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَدَخَلَتْ
 قِبَائِلُهَا فِيهَا، حَمِيرٌ وَغَسَّانٌ وَرَبِيعٌ وَنَجْرَانٌ وَالْحِيرَةُ، وَكَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ
 حَاضِرِينَ عِيدَ الْخَمْسِينَ فِي أُورُشَلِيمَ، فَحَمَلُوا أَخْبَارَ الْمَسِيحِيَّةِ لِبِلَادِهِمْ...
 فلماذا اضْطَهَدَ الْمُسْلِمُونَ الْمَسِيحِيِّينَ، فَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَأَجْبَرُوا بَعْضَهُمْ عَلَى
 الْإِسْلَامِ، وَنَفَّوْا الْبَاقِينَ؟»^(١).

وكلامُ الْفَادِي غَيْرُ صَاحِحٍ، فَلَمْ تَنْتَشِرِ النَّصْرَانِيَّةُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَمَعْظَمُ
 الْقِبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ تَنْتَصِرْ، وَبَقِيَتْ عَلَى وَثْنَيْتِهَا، وَالَّذِينَ تَنْصَرُوا بَعْضُ الْقِبَائِلِ
 الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الْعَرَبِ، مِثْلُ نَجْرَانَ فِي مَنطِقَةِ تَهَامَةَ وَالْغَسَّاسِنَةِ فِي
 شِمَالِ الْجَزِيرَةِ عَلَى حُدُودِ الشَّامِ وَالرُّومَانَ، وَالْمَنَادِرَةَ عَلَى حُدُودِ فَارِسَ.

ولما جَاءَ الْإِسْلَامُ، وَجَاهَدَ الْمُسْلِمُونَ الْكَافِرِينَ، وَفَتَحُوا بِلَادَ الشَّامِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠١ - ١٠٢.

والعراق، طردوا الرومان من مِصرَ والشام، وجعلوها بلاداً إسلامية، وأخضعوا سُكَّانها لسلطان المسلمين، ولم يضطهدوا النَّصارى فيها، ولم يُجبروهم على الدخول في الإسلام، لأنه لا إكراه في الدين. ومكَّنوا النَّصارى من حرية الاختيار بدون إكراه، فدخَلَ معظمهم في الإسلام، والذين بقوا على النصرانية لم يتدخَّل بهم المسلمون!.

ثم ما دخَلَ هذا الكلام عن النَّصارى في بلاد العرب بأخطاء القرآن؟ والفادي خصَّص كتابه لاكتشاف وتسجيل أخطاء القرآن!!.



هل أكلت الشاة القرآن؟

ذَكَرَ الفادي المفترى آية سورة الحجر التي تكفل الله فيها بحفظ القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وذكر خرافة تتناقض مع الآية، تقوم على أكل شاة للورق المكتوب عليه القرآن! قال: «روى ابن ماجه: قالت عائشة: إن آية الرجم والرضاعه نزلتا... وكان القرطاس المكتوبتان فيه تحت فراشي. ومات رسول الله ﷺ حيثذ، وفيما أنا مشغولة بموته دخلت بهيمة وأكلت القرطاس»!

وهذه خرافة مكذوبة موضوعة باطلة، لم ترد في حديث صحيح، وردّها علماء الحديث. ولا يعتمدها إلا صاحب هوى مثل الفادي المفترى!! وهب الحادثة حصلت، وأن الشاة أكلت الورق المكتوب عليه بعض آيات القرآن، الموجود في بيت عائشة، فهل معنى هذا أنه ضاع بعض آيات وسور القرآن؟ التي أكلتها الشاة لم تكن هي النسخة الوحيدة المدونة من القرآن، بل كانت هناك عشرات النسخ في بيوت الصحابة، يمكن أخذ الآيات المأكولة من أي نسخة منها! إلا إذا هاجمت الغنم البيوت كلها في وقت واحد، وبلعت النسخ كلها في لحظة واحدة!!.

وكم كان الفادي بذيئاً فاقد الذوق والأدب والحياء في تعليقه السَّيِّحِ على تلك الأكذوبة، حيث قال: «فإذا كان القرآن أقوال الله، فلماذا لم يَحْفَظْهُ اللهُ من الضَّياعِ في جوفِ بهيمة؟».



حول إحراق عثمان المصاحف

أثار الفادي الشبهات حول إحراق عثمان رضي الله عنه المصاحف المخالفة لمصحفه، واعتبر هذا طعنًا في صحة القرآن وحفظه، ودليلاً على أن القرآن ليس من عند الله. ويتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]. فالآية تُقرر أن سنة الله لا تتبدل، وعثمانُ بدَّلَ القرآن، وهذا معناه أن القرآن ليس كلام الله، فلو كان كلام الله لمنع الله عثمان من تبديله!!.

قال الفادي المفتري في تعليقه على الآية السابقة: «أحرق عثمان بن عفان - ثالث الخلفاء الراشدين - جميع نسخ القرآن التي تختلف عن نسخته، وأبقى على نسخته التي كتبها هو.

ونحن نسأل: أليست جميع الأقوال التي تختلف عن نسخة عثمان قرآناً؟ فلماذا أحرقها؟ ولماذا لم تحفظ من الضياع بالنار إن كانت أقوال الله؟ ولماذا بدَّلَ قرآناً بقرآن، وأحرق الواحد وأبقى على الآخر؟»^(١).

يكذب الفادي عندما يدعي أن عثمان كتب نسخته من القرآن، وأنه حرق كل النسخ المخالفة لها، ومن يقرأ هذا الكلام يظن أن عثمان ألف القرآن من عنده، وأنه حرَّفه وغيره وبدَّله، واستغلَّ منصبه باعتباره خليفة، لإقرار واعتماد نسخته المبدلة المحرَّفة، وإتلاف جميع النسخ الأخرى المخالفة لها.

ولا يتسع المجال للحديث المفصَّل عن جمع القرآن وحفظه والمراحل التي مرَّ بها، إنما نشيرُ إشارةً سريعةً إلى ذلك.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٢.

لقد جُمِعَ القرآنُ أيامَ رسولِ الله ﷺ بطريقتين: جَمَعُهُ في الصُّدُورِ، بِإِثْقَانٍ حَفِظَهُ من قَبْلِ الآلافِ الحُفَاطِ من الصحابة. وَجَمَعُهُ في السُّطُورِ، بِكِتَابَتِهِ على أدواتِ الكتابةِ الميسرةِ في عصرِهِم، وهذا تَمَّ على أيدي العشراتِ من الصحابة.. حيث كان الصَّحَابِيُّ يَكْتُبُ على أوراقِهِ بعضَ سورِ القرآنِ التي يَخْشَى نِسْيَانَهَا، فمنهم مَنْ كَتَبَ كُلَّ القرآنِ، ومنهم مَنْ كَتَبَ نِصْفَهُ أو ثلثَهُ أو ربعَهُ أو بعضَ سورِهِ.

وفي خلافةِ أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ بدأت حركَةُ الجهادِ، واستُشهِدَ كثيرٌ من حُفَاطِ القرآنِ في المعاركِ، فدَعَتِ الحاجةُ إلى جَمْعِ القرآنِ، وألْهَمَ اللهُ عمرَ ﷺ أن يُشِيرَ على أبي بكرٍ ﷺ بذلك، وكَلَّفَ أبو بكرٍ زيدَ بنَ ثابتٍ ﷺ بذلك. فكَتَبَ زيدٌ النسخةَ الأولى من المصحفِ، وَسَجَّلَ فيها القرآنَ مُرَتَّبَ السورِ والآياتِ كما أَمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ، في العَرَضَةِ الأخيرةِ التي حَضَرَهَا زيدٌ بنُ ثابتٍ ﷺ. وكان زيدٌ لا يَكْتُبُ آيةَ آيةٍ في المصحفِ إلا بعدَ أن يَأْتِيَهُ صحابِيُّ يَحْفَظُهَا حِفْظًا مُتَقَنَّأً، ويَأْتِيَهُ بها مَكْتُوبَةً عنده، ومعه شاهدٌ آخَرُ من الصحابةِ، وكان زيدٌ نفسه حافِظًا مُتَقَنَّأً. وبهذا كان يشهدُ على كلِّ آيةٍ أربعةً من الصحابةِ الحافظين، وكانت الآيةُ مُدَوَّنةً مَكْتُوبَةً.

وَوُضِعَتِ النسخةُ المعتمَدةُ من المصحفِ والتي أجمَعَ عليها جميعُ الصحابةِ عندَ أبي بكرٍ، ثم عندَ عمرَ، ثم عندَ حفصة بنتِ عمرَ ﷺ.

والذي دَعَا إلى الجَمْعِ الثالثِ للقرآنِ في خلافةِ عثمانَ هو بقاءُ النُّسخِ الخاصَّةِ من مصاحفِ بعضِ الصحابةِ في بيوتِهِم، ولم تَكُنْ على طَريقَةٍ واحدةٍ كما ذكرنا، فأدَّى هذا إلى اختلافٍ في بعضِ تلكِ النُّسخِ، في ترتيبِ بعضِ السورِ والآياتِ، للأسبابِ التي أَشْرنا لها، وكان كُلُّ واحدٍ يُقَرِّئُ الآخَرينَ من نسخَتِهِ التي قد تخالفُ بعضَ النسخِ، فألْهَمَ اللهُ حذيفةَ بنَ اليمَانِ ﷺ أن يُشِيرَ على الخليفةِ عثمانَ بجمعِ جديدٍ للقرآنِ، لاعتمادِ النسخَةِ الجديدةِ وإلغائِ ما سِوَاهَا من النسخِ المخالفةِ!

فشكّل عثمانُ لجنةً من الصحابةِ برئاسة زيدِ بنِ ثابتٍ لإعادةِ جَمْعِ القرآن، على أساسِ النسخةِ التي كَتَبَهَا زيدٌ زمنَ الصديق، وأجمعت اللجنةُ على النسخةِ الجديدة، ثم نَسَخَ منها عدةَ نُسخ، أرسلتْ إلى العواصمِ الإسلاميةِ في مكةَ واليمنِ والبصرةِ والكوفةِ والشام، وأجمعَ الصحابةُ على اعتمادِ تلكَ النسخةِ، بعدَ تَرُدُّدٍ من بعضهم كعبدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه، الذي عادَ ووافقَ الصحابةَ على إجماعهم. وسُمِّيَ ذلكَ المصحفُ «المصحفُ العثمانيُّ»، نسبةً إلى الخليفةِ عثمانَ الذي جُمِعَ في عهده، وبما أنه نالَ إجماعَ جميعِ الصحابةِ وإقرارهم، لذلكَ سُمِّيَ «المصحفُ الإمام»!

عند ذلكَ أمرَ عثمانُ رضي الله عنه أيَّ صحابيٍّ عندهِ مصحفٌ كاملٌ أو جزءٌ منه، أو بعضُ سورٍ منه أن يحرقَ ما عنده؛ لأنه قد يختلفُ في ترتيبِ بعضِ آياتهِ وسوره عن ما جاءَ في «العُرْضَةِ الأخيرة»، التي عَرَضَ فيها جبريلُ القرآنَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وبذلكَ أُحْرِقَتْ تلكَ النسخُ غيرُ الكاملةِ للقرآن، واعْتَمِدَ المصحفُ العثمانيُّ الإمامُ، وكان هذا من مظاهرِ حفظِ الله للقرآن!

ولقد مَدَحَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عندما كان أميراً للمؤمنين جَمْعَ عثمانَ للمصحف، وإحراقَه المصاحفَ المخالفةَ بقوله: لا تقولوا في عثمانَ إلاَّ خَيْراً، فوالله ما فَعَلَ ما فَعَلَ إلاَّ عن موافقةِ مِنَّا، ولو كنتُ مكانَ عُثمانَ لفعلتُ ما فَعَلَ عُثمان!!



كيف يضل الله الإنسان ثم يعذبه؟

ذَكَرَ الفادي سِتَّ آياتٍ تُخبرُ أنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ؛ منها قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدرثر: ٣١] وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَهُوَ الضَّالُّ﴾ [الأعراف: ١٧٨ - ١٧٩].

واعترضَ على ما تُقَرَّرُهُ هذه الآيات، واعتبره لا يتفق مع رحمة الله
وعذله؛ قال: «ونحنُ نَسألُ: أيُّ إلهِ هذا، الذي يُضِلُّ الناسَ الذينَ خَلَقَهُم،
ليَمَلَأَ بِهِم جَهَنَّمَ، بعدَ أن قضى بهذا منذ الأزل قضاءً مُبرماً لا مَفَرَّ منه
بالضلالةِ والعذاب؟ فأينَ كرامةُ الإنسان؟ وأينَ حريةُ إرادته؟ وما معنى الأوامرِ
والنواهي والشرائع، والترغيبِ بالثوابِ والتحذيرِ بالعقاب؟»^(١).

يُريدُ الفادي أن يقول: كيف يُضِلُّ اللهُ النَّاسَ الذينَ خَلَقَهُم؟ وكيف كَتَبَ
عليهم الضلالَ منذ الأزل؟ وكيف خَلَقَهُم إلى النار؟ وإذا كانوا مَخْلُوقِينَ إلى
النارِ فأينَ إرادَتُهُم واختيارُهُم؟ وما فائدةُ التكاليفِ والشرائعِ والأوامرِ؟.

يتكلمُ الفادي عن قضيةٍ معروفةٍ في الفكر الإسلاميِّ بقضيةِ «الجبرِ
والاختيارِ» وهل الإنسانُ مُسَيَّرٌ أو مُخَيَّرٌ؟ وكَثُرَ حولَها الكلامُ عند رجالِ الفرقِ
الإسلاميةِ.

وقد كانَ كَلامُ القرآنِ واضحاً حولَ هذه القضيةِ. ونلخِّصُ الكلامَ عنها

بالإشاراتِ السريعةِ التالية:

اللهُ الخالقُ لكلِّ شيءٍ في هذا الوجودِ، وكلُّ شيءٍ يكونُ بإذنِ الله
ومشيئتهِ وإرادتهِ، وحاشَ اللهُ أن يَقَعَ شيءٌ في الكونِ رَغماً عنه، فالخيرُ والشرُّ،
والكفرُ والإيمانُ، والطاعةُ والمعصيةُ، كلُّ ذلك بإرادتهِ سبحانه، لكنَّه لا يَرْضَى
الكفرَ والمعصيةَ والشرَّ، ولا يَقْبَلُ ذلكَ من أصحابِهِ، ولذلك يُعاقِبُهُم عليه، أمَّا
الإيمانُ والطاعةُ فإنه يَرْضاهُما، ويقبَلُهُما من أصحابِهِما، ويشيهُم عليهِما!.

وكرَّمَ اللهُ الإنسانَ الذي خَلَقَهُ، ومَنَحَهُ القدرةَ على اختيارِ ما يُريدُ، ولم
يُجبرِهِ على أيِّ شيءٍ، إيماناً أو كُفراً، طاعةً أو معصيةً، فالإنسانُ يَخْتارُ طريقَهُ
بحريتهِ وإرادتهِ، يُمكنُ أن يَخْتارَ الإيمانَ والطاعةَ بحريتهِ وإرادتهِ، ويمكنُ أن
يَخْتارَ الكفرَ والضلالَ بإرادتهِ وحرِيتهِ، واللهُ لا يُجبرُهُ على هذا، ولا على
هذا!!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٣.

لكنَّ الإنسانَ لا يَخْتارُ إحدى الطريقتينِ إِلَّا بمشيئةِ اللهِ وإذنه وإرادته؛ لأنه لا يحدثُ شيءٌ في الكونِ إِلَّا بإذنه ومشيئته كما قرَّرنا، فالمؤمنُ يؤمنُ بمشيئةِ اللهِ، والكافرُ يكفُرُ بمشيئةِ اللهِ أيضاً! .

ومشيئةُ اللهِ مشيئتهُ علمٌ أولاً، أي أنَّ اللهَ يَعْلَمُ أنَّ فلاناً سيؤمنُ، وأنَّ فلاناً سيكفُرُ، وعِلْمُهُ بذلك منذُ الأزل، قبلَ خَلْقِهِ سبحانه السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، فيكونُ إيمانُ المؤمنِ وكُفْرُ الكافرِ تَحْقِيقاً لما عَلِمَهُ اللهُ وشاءَهُ وَقَدَرَهُ وأرادَهُ! .

ومن المعلومِ أنَّ اللهَ لا يُحَاسِبُ الإنسانَ إِلَّا على ما كَسَبَهُ وَعَمِلَهُ وفَعَلَهُ، فهو سبحانه لا يُحَاسِبُهُ على ما عَلِمَهُ منه، ولكنَّ يُحَاسِبُهُ بعدَ فِعْلِهِ المتفقِ مع ما عَلِمَهُ منه، وهو مُخَيَّرٌ في ما سِفَعَلَهُ وَيَخْتارُهُ! .

من الآياتِ الصريحةِ التي تُقرِّرُ هذه الحقيقةَ قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ حَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿الشمس: ٧ - ١٠﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿الإنسان: ٣﴾ .

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اخْتِذْ إِلَيَّ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿الإنسان: ٢٩ - ٣١﴾ .

وإذا كانَ الإنسانُ يؤمنُ بإذنِ اللهِ، ويكفُرُ بإذنِ اللهِ، بالمفهومِ الذي وَضَّحناه، كانَ الإيمانُ والهُدى بيدِ اللهِ، وكانَ الكفْرُ والضلالُ بيدِ اللهِ، فاللهُ هو الذي يَهْدِي مَن يَشَاءُ هدايته، واللهُ هو الذي يُضِلُّ مَن يَشَاءُ إضلاله، بالمفهومِ الذي أوضحناه... بهذا نفهمُ معنى إسنادِ الهُدى والضلالِ إلى اللهِ، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وكما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

بقيت في هذه القضية مسألة؛ وهي: مَنْ هو الذي يَشَاءُ اللهُ هدايته؟ وَمَنْ هو الذي يَشَاءُ اللهُ إضلاله؟.

يَشَاءُ اللهُ هدايةَ الشخص الذي يَخْتَارُ الإيمانَ والهدى ويريدُه، ويتوجَّهُ إليه، ويرغبُ فيه، فهذا يُعِينُهُ اللهُ وَيُثَبِّتُهُ عليه، وَيُحِبُّهُ ويرضى عنه، وَيُثَبِّهُ على ما فعلَ جَنَاتِ النعيمِ.

ويَشَاءُ اللهُ إضلالَ الشخصِ، الذي يَخْتَارُ الكفرَ والضلالَ، ويرفضُ الإيمانَ والهدى، ويسيرُ في طريقِ الانحرافِ والفسادِ، ويحصى اللهُ عليه جرائمه، ويحاسبُه على أفعاله، ويُعَذِّبُه في نارِ جهنمِ.

ومن الآياتِ الصريحةِ في تقريرِ هذه الحقيقةِ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٢١﴾ كَلَّا نُمَدِّهُنَّ هُنَّ وَأَنَّهُنَّ مِنَ الْعَاقِلِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢٤﴾

[الإسراء: ١٨ - ٢١].



بين قدر الله وإرادة الإنسان

ذَكَرَ الفادي أربعَ آياتٍ تُقَرِّرُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي هَذَا الوجودِ إِنَّمَا يكونُ بقَدَرِ اللهِ ومشيئَتِهِ وإرادَتِهِ، سواءَ كانَ الشَّيْءُ خَيْرًا أو شَرًّا. منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةً بَالْبَصْرِ﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].

وخطأُ المفتري هذه الآياتِ ورفضُ ما تُقَرِّرُهُ، واعتراضُ عليها قائلاً: «من هذه الآياتِ وغيرها كثيرٌ يرى الإسلامُ أَنَّ كُلَّ ما يَقَعُ فِي الوجودِ من خيرٍ وشرٍّ هو من عندِ اللهِ! فيكونُ اللهُ عِلَّةَ الشُّرُورِ ابتداءً، وتكونُ رسالةُ الأنبياءِ وتكليفُهُم

بالكرازة والدعوة عَبَثٌ لا ضرورةَ له ولا فائدةَ فيه!.. وهذا بعكسِ تعاليمِ الكتابِ المقدَّسِ».

وبعدما أوردَ بعضَ كلامِ المسيحِ في الأناجيل عن حريةِ الإنسانِ وإرادتهِ قال: «وقال الفلاسفةُ في البيانِ النظريِّ عن الحيوان: إنَّه الجسمُ الحَسَّاسُ المتحرِّكُ بالإرادةِ.. فإذا كان حَدُّ الحيوانِ البهيميِّ أَنه متصرِّفٌ بالإرادةِ، فكيفَ نتصوَّرُ أَنَّ الإنسانَ - أَشرفَ مخلوقاتِ اللهِ في عالمِ الحسِّ - عاجِزٌ، مَجْبُورٌ على العصيانِ أو الطاعةِ؟ وإذا كان هناك إجبارٌ فما فائدةُ العَقْلِ؟»^(١).

يَتَحَدَّثُ الفادي المفتري عن قضيةِ الإيمانِ بالقَدَرِ، ولذلك جَعَلَ عنوانها: «اللهُ قَدَّرَ الشُّرُورَ!» وهذه القضيةُ مرتبطةٌ بالقضيةِ السابقة، التي أثارها في السؤالِ السابق، قضية «الجبرِ والاختيار».

وَنَدْعُو إلى استصحابِ ما قُلناهُ في المسألةِ السابقةِ ونحُنُّ نناقشُ الفادي في كلامِهِ عن الإيمانِ بقَدَرِ اللهِ.

نقررُ بدايةً أَنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ جُزءٌ سادسٌ من أركانِ الإيمانِ، وإذا لم يؤمنِ الإنسانُ بالقدرِ كان كافرًا، حَتَّى لو آمَنَ بأركانِ الإيمانِ الخمسةِ الأخرى: الإيمانُ باللهِ، وملائكتهِ، وكتبه، ورسوله، واليومِ الآخرِ.

ويقومُ الإيمانُ بالقَدَرِ على حقيقةٍ أَنَّ كُلَّ شيءٍ يَقَعُ في هذا الوجودِ يكونُ بقَدَرِ اللهِ، وحاشَ لله أَنْ يَقَعَ شيءٌ في الوجودِ رَغْمًا عنه، فاللهُ هو الذي قَدَّرَ كُلَّ شيءٍ وأرادَه وشاءَه.

والآياتُ التي تُقرِّرُ هذه الحقيقةَ كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ٢].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٣ - ١٠٤.

وهذا معناه أَنَّ اللهَ قَدَرَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الوجودِ وَأَرَادَهُ، وجاءَ هذا الشَّيْءُ كما قَدَرَهُ اللهُ وَأَرَادَهُ، سواءً كانَ هذا الشَّيْءُ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، هُدًى أَوْ ضَلالًا، طاعةً أَوْ معصيةً . . وهذا معناه أَنَّ الشُّرورَ والمصائبَ تكونُ بِقَدْرِ اللهِ سبحانه؛ لأنَّها إنْ لم تَكُنْ بِقَدْرِ اللهِ وإرادتِهِ يكونُ أصحابُها قد فَعَلوها رَعْمًا عن اللهِ، ويَكُونونَ بِذلك قد فَهَرُوهُ وَعَلَبُوهُ، وَأَعَجَزُوهُ وَهَزَمُوهُ!! .

وليس معنى كَوْنِ الشُّرورِ واقعةً بِقَدْرِ اللهِ وإرادتِهِ أَنَّ اللهُ راضٍ عنها مُحبَّبٌ لأصحابِها، أَوْ أَنَّ اللهُ مُحبَّبٌ لهذه الشُّرورِ راغبٌ فيها وأمرٌ بها، فإنَّ اللهُ لا يَرْضَى عن الشُّرورِ، ولا يُحِبُّ أصحابَها، ولا يَأْمُرُ بها سبحانه. ولذلك رَدَّ اللهُ على الذين بَرَّروا فواحِشَهُم بأنَّ اللهُ يُحِبُّها ويَأْمُرُهم بها بقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّا لَأَنزِلُوكَ بِالْفَحِشَةِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٢٩].

ولقد فَرَّقَ القرآنُ بينَ تقديرِهِ للكُفْرِ وَعَدَمِ رضاهُ به، وبينَ تقديرِهِ للإيمانِ والشكرِ ورضاهُ به. قالَ تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

وهذا معناه أَنَّ القرآنَ يُفَرِّقُ بينَ القَدْرِ والرضا والإرادةِ والمحبةِ، فليس كلُّ ما يُقَدَّرُهُ يَرْضَى عنه ويَأْمُرُ به، وليس كلُّ ما يُريدُهُ اللهُ يُحِبُّهُ، فالشُّرورُ يُقَدِّرُها اللهُ وَيُريدُها، لكنَّهُ لا يَرْضَى عنها ولا يُحِبُّها، ولذلك يُعاقِبُ أصحابَها، أمَّا الطاعاتُ فإنَّ اللهُ يُقَدِّرُها وَيَرْضَى عنها، وَيُريدُها ويحِبُّها، ولذلك يُثيبُ أصحابَها!! .

ومن كَرِهَ اللهُ للشُّرورِ أَنَّهُ نَهَى عنها، ومن محبتهِ للطاعاتِ أَنَّهُ أَمَرَ بها، وأرسلَ رسلَهُ بالدعوةِ إلى الخَيْرِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

ومن جانبٍ آخَرَ، فإنَّ اللهُ مَنَحَ الإنسانَ حريَّةَ الاختيارِ، والقدرةَ على الاختيارِ، وتمكينه من الاختيارِ، ولم يُجْبِرْهُ على شيءٍ، ولم يُكْرِهُهُ على اختيارِ شيءٍ.

عند الإنسان الكافر قدرة على اختيار الكفر، وعند الإنسان المؤمن قدرة على اختيار الإيمان، لم يمنع الله الكافر عن كُفْرِهِ بالقَسْرِ والإكراه، ولم يُجبر الله المؤمن على الإيمان إجباراً، فالكافر كَفَرَ باختياره، والمؤمن آمَنَ باختياره.

لكنَّ الله شاءَ كُفْرَ الكافرِ وأرادَه، بمعنى أَنه عَلِمَهُ منذُ الأزل، وَقَدَرَهُ بقدرته، وأرادَه بإرادته الكونية العامة، وكان الكافر بكفره مُتَوَافِقاً مع علم الله وقدرته وإرادته، ويُحاسبُه اللهُ عليه؛ لأنَّه نَهَاهُ عنه وكرهه ولم يرِضَهُ منه.

أما إيمان المؤمن فإنَّ الله شاءَهُ وأرادَه، بمعنى أَنه عَلِمَهُ منذُ الأزل، وَقَدَرَهُ بقدرته، وأرادَه بإرادته الكونية والشرعية، والمؤمن بإيمانه متوافق مع علم الله وقدرته وإرادته، والله يُحِبُّ ذلك ويرِضاهُ، ويتقبَّلُهُ منه، ويُثَبِّتُهُ عليه.

بهذا البيان الواضح يتم التوفيق والتنسيق بين قدر الله وقدر الإنسان، وبين إرادة الله واختيار الإنسان، وكُره الله للشرور التي يختارها الإنسان الشرير، ومحبة الله للطاعات التي يختارها الإنسان المطيع!! وعلى هذه الحقيقة آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩ - ٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧ - ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكُرُوا ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ﴾ [المدثر: ٥٤ - ٥٦].

وبعد هذا نعرفُ جهلَ الفادي الجاهل في اعتراضه على قدر الله قائلاً: «كيف نتصوّر الإنسان أشرف مخلوقات الله في عالم الحسّ، أنه عاجزٌ مجبورٌ على العصيان أو الطاعة؟! وإذا كان هناك إجبارٌ فما فائدة العقل؟!».





الفصل الخامس

نقض المطاعن اللغوية

ذكر المرفوع بعد المنصوب

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقُونَ وَالنَّصِرَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

خطأ الفادي الجاهل الآية، لأن كلمة ﴿وَالصَّٰدِقُونَ﴾ فيها مرفوعة بالواو، مع أنها معطوفة على اسم «إِنَّ» المنصوب، ولذلك جعل عنوان تخطئته: «رُفِعَ المعطوف على المنصوب»، وهذا خطأ نحوي؛ لأن المعطوف على المنصوب منصوب، وقال الجاهل في تخطئته: «وكان يجب أن يُنصب المعطوف على اسم «إِنَّ» فيقول: «والصائبين» كما فعل هذا في سورة البقرة وسورة الحج...»^(١).

لقد ذكر القرآن أصحاب الديانات المعروفة في ثلاث من سورته:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصِرَىٰ وَالصَّٰدِقِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

٢ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالنَّصِرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الحج: ١٧].

٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقُونَ وَالنَّصِرَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾ [المائدة: ٦٩].

ولا إشكال على آية سورة البقرة؛ لأن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في محل نصب معطوفة على ﴿إِنَّ﴾ و﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوفة عليها في محل نصب، و﴿النَّصِرَى﴾ معطوفة

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٧.

عليها منصوبة، ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾: معطوفةٌ عليها منصوبةٌ بالياء. وخبرٌ «إِنَّ» اسمُ الموصولِ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾. والتقدير: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِغِينَ الْمُقْبُولُ مِنْهُمْ هُوَ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

ولا إشكال على آية سورة الحج؛ لأنَّ: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ معطوفةٌ على اسم «إِنَّ»، وهو ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وخبرٌ «إِنَّ» جملةٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ والتقدير: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَهُودَ وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالْمَشْرِكِينَ مَفْصُولٌ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

والمشكلة في آية سورة المائدة، لأنَّ ظاهرها عطفُ المرفوعِ ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ على المنصوبِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الذي هو اسمُ «إِنَّ»، وهذا لا يجوزُ في اللغة والنحو، ولذلك اعتَبَرَهُ الفادي خطأً نحويًّا!

والراجعُ أَنَّ آية سورة المائدة مَكُونَةٌ مِنْ جَمَلَتَيْنِ:

الجملةُ الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. وهي تتحدَّثُ عن الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وتُفَرِّدُ فَلَاحَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ. والراجعُ أَنَّ خَبَرَ «إِنَّ» محذوف، والتقديرُ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مَفْلُحُونَ.

الجملةُ الثانية: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

والراجعُ أَنَّ الواوَ في ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ حرفُ استئنافٍ وليست حَرْفُ عَطْفٍ، والجملةُ بَعْدَهَا استئنافيةٌ وليست معطوفةٌ على ما قبلها، والراجعُ أَنَّ ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ في محلِّ رُفْعٍ مُبْتَدَأٍ. والواوُ في ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ حرفُ عطفٍ، ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ مرفوعةٌ لأنها معطوفةٌ على المبتدأِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، و﴿النَّصْرَى﴾ مرفوعةٌ لأنها معطوفةٌ على المبتدأِ. والراجعُ أَنَّ خَبَرَ المبتدأِ هُوَ اسْمُ الموصولِ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. والتقدير: وَالْيَهُودَ وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْهُمْ هُمُ الْمَفْلُحُونَ!!.

وعلى هذا التوجيه يكونُ مَعْنَى الآية: الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

مُفْلِحُونَ فَائِزُونَ. وَالْيَهُودُ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وبهذا نعرف أنه لا خَطَأً نحوياً في الآية، وأنها ليست من عَطْفِ المرفوع
على المنصوب كما فهم الفادي الجاهل، وإنما هي من استثنافِ جملةٍ بعدَ جملةٍ!



الفاعل لا يكون منصوباً

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْنَجَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِن دُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ في جملةٍ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
فاعلُ الفعلِ ﴿يَنَالُ﴾، وبما أنه فاعلٌ فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً، ولا بُدَّ أَنْ تَكُونَ
الجملةُ هكذا: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ! وقد أَخْطَأَ القرآنُ فِي نَصْبِ
﴿الظَّالِمِينَ﴾ لِأَنَّ الفاعلَ لَا يَكُونُ منصوباً!

وهذا الكلامُ دَلٌّ على جَهْلِ الفادي باللُغَةِ العَرَبِيَّةِ وقواعدِهَا. إِنَّ
﴿عَهْدِي﴾ هو الفاعلُ، و﴿الظَّالِمِينَ﴾ مفعولٌ به منصوبٌ. ومعنى ﴿يَنَالُ﴾ هنا:
يَصِلُ وَيُصِيبُ. أَي: لَا يَصِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ مِنْ ذَرِيَّتِكَ. وليسَ مَعْنَى ﴿يَنَالُ﴾
هنا: يَأْخُذُ، إِذْ لو كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ فاعِلُهُ «الظَّالِمُونَ»، وَلِكَانَ المَعْنَى: لَا
يَأْخُذُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ.

فجملةُ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ تُرِيدُ أَنْ تُقَرَّرَ أَنَّ عَهْدَ اللَّهِ لَا يَصِلُ الظَّالِمِينَ.



المبتدأ مؤنث والخبر مذكر

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٧] خَطَأً
الفادي الجاهلُ الآيةَ لِأَنَّ خَبَرَ «إِنَّ» مُذَكَّرٌ ﴿قَرِيبٌ﴾، مع أَنَّ اسْمَهَا مُؤنَّثٌ

﴿رَحِمَتِ اللَّهُ﴾، والأصلُ أَنْ يَتَّبِعَ الْخَبْرُ الْمَبْتَدَأَ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، فَالْأَصْلُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ هَكَذَا: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

وَلِتَوْجِيهِ تَذْكِيرٌ خَبْرٌ «إِنَّ» فِي الْآيَةِ نَقُولُ: يَجِبُ أَنْ يَتَّبِعَ الْخَبْرُ الْمَبْتَدَأَ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، إِذَا كَانَ الْمَبْتَدَأُ مُؤَنَّثًا تَأْنِيثًا حَقِيقِيًّا، وَلَمْ يَفْصِلْ فَاصِلٌ بَيْنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ. نَقُولُ: عَائِشَةُ قَرِيبَةٌ مِنَّا.

فَإِذَا كَانَ تَأْنِيثُ الْمَبْتَدَأِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ جَازَ فِي خَبْرِهِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ. وَتَأْنِيثُ ﴿رَحِمَتِ﴾ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أُنْثَى حَقِيقِيَّةً. وَقَدْ فَصَلَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ ﴿اللَّهُ﴾ بَيْنَ اسْمِ «إِنَّ» وَخَبْرِهَا: ﴿إِنَّ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٢] فَتَأْنِيثُ السَّاعَةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَفَصَلَ فَعْلُ ﴿تَكُونُ﴾ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ، فَجَاءَتْ كَلِمَةُ ﴿قَرِيبًا﴾ مُذَكَّرًا وَلَيْسَتْ مُؤَنَّثَةً!.

وَهُنَاكَ حِكْمَةٌ أُخْرَى لِتَذْكِيرِ خَبْرِ «إِنَّ» فِي الْآيَةِ، وَهِيَ أَنَّ كَلِمَةَ ﴿قَرِيبٌ﴾ مُجَاوِرَةٌ لِكَلِمَةِ «اللَّهُ»، فَمِنْ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ أَنْ تُؤَنَّثَ ﴿قَرِيبٌ﴾، لِهَذِهِ الْمَجَاوِرَةِ اللَّفْظِيَّةِ، مِنْ بَابِ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ شُبُهَةِ التَّأْنِيثِ اللَّفْظِيِّ!!.



تَأْنِيثُ الْعَدَدِ وَتَذْكِيرُ الْمَعْدُودِ

قَالَ اللَّهُ عَنِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

الْعَدْدُ فِي الْآيَةِ مُؤَنَّثٌ ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾. وَالْمَعْدُودُ مُذَكَّرٌ ﴿أَسْبَاطًا﴾ لِأَنَّهُ جَمْعُ «سَبَطٍ» وَهُوَ مُذَكَّرٌ.

وَقَدْ خَطَأَ الْفَادِي الْجَاهِلُ الْآيَةَ، وَقَالَ: «كَانَ يَجِبُ أَنْ يُذَكَّرَ الْعَدَدُ وَيَأْتِيَ بِالْمَعْدُودِ مُفْرَدًا، فَيَقُولُ: وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنِي عَشَرَ سَبَطًا»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٧.

والراجعُ أَنْ ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حالٌ منصوب، وصاحبُ الحالِ ضميرُ «هُمْ» الذي هو في محلِّ نصبٍ مفعولٌ به، في ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾، وهو يعودُ على بني إسرائيل. والراجعُ أَنْ ﴿أَسْبَاطًا﴾ بَدَلٌ من ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ منصوب. أي: قَطَّعْنَاهُمْ أَسْبَاطًا. والراجعُ أَنْ ﴿أُمَّمًا﴾ بَدَلٌ من ﴿أَسْبَاطًا﴾ منصوب. أي: قَطَّعْنَاهُمْ أُمَّمًا. ولا تصلحُ ﴿أَسْبَاطًا﴾ أَنْ تكونَ تمييزاً للعددِ ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ لِأَنَّ شَرْطَ تمييزِ العددِ أَنْ يكونَ مُفْرَدًا، فالراجعُ أَنْ تمييزَ العددِ محذوف، والتقدير: قَطَّعْنَاهُمْ اثْنَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً أو قَبِيلَةً أو أُمَّةً.

وبما أَنَّ التمييزَ المحذوفَ مؤنَّثٌ مُفْرَدٌ، فقد زالَ اعتراضُ الفادي. وصارَ تركيبُ الآيةِ هكذا: وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً أَسْبَاطًا أُمَّمًا. . واتفقَ العددُ مع المعدودِ في التأنِيثِ، وجاءَ المعدودُ التمييزُ مفردًا، فلا إشكالَ في الآية.



جمع الضمير العائد على المثنى

قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ...﴾ [الحج: ١٩].

خطأً الفادي صياغة الآية، فكلمة ﴿خَصْمَانِ﴾ مُثْنَى، والجملة الفعلية بَعْدَهَا صفةٌ لها، والفاعلُ في ﴿أَخْتَصَمُوا﴾ واو الجماعة يعودُ على المثنى ﴿خَصْمَانِ﴾ قال: «وكانَ يَجِبُ أَنْ يُثْنَى الضميرُ العائدُ على المثنى، فيقول: هذانِ خصمانِ اختصما في ربهما...»^(١).

﴿هَذَانِ﴾: اسمُ إشارةٍ مُثْنَى في محلِّ رفعٍ مبتدأ. و﴿خَصْمَانِ﴾ خبرُهُ مرفوع، والكلمتانِ مُثْنَى لفظًا، لكنهما تُشيرانِ إلى جَمْعٍ، لأنهما ليسا رَجُلَيْنِ مُخْتَصِمَيْنِ، وإنما فَرِيقانِ مختصمانِ، وكلُّ فريقٍ مُكوَّنٌ من عِدَّةِ أفرادٍ، فريقُ الكافرين وفريقُ المؤمنين.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٧.

ولذلك جاء الخبر ﴿حَصَّانٍ﴾ مثني مراعاةً لاسم الإشارة المثني «هذان»،
وجاء الضمير العائد عليه جمعاً ﴿أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ مراعاةً لعدد أفراد الفريق،
والفريق جمع. ولذلك جاء بعد ذلك قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن تَارٍ...﴾ بصيغة الجمع!



اسم الموصول المفرد العائد على الجمع

قال تعالى: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: 69].

اعترض الفادي على الآية بقوله: «كان يجب أن يجمع اسم الموصول
العائد على ضمير الجمع، فيقول: حُضِّتُمْ كَالَّذِينَ خَاضُوا»^(١).

ولا معنى لاعتراضه، لأنَّ شبه الجملة ﴿كَالَّذِي﴾ صفة لمفعولٍ مطلقٍ
محذوف، والتقدير: حُضِّتُمْ حَوْضاً كَالَّذِي خَاضُوهُ. أي: حُضِّتُمْ حَوْضاً
كحوض الذين من قبلكم. وبهذا يكون اسم الموصول «الذي» عائداً على
مفرد، وليس على جمع، وبهذا تناسق الموصول وما عادَ عليه، فلا إشكال في
صياغة الآية.

والخوض في الآية معطوف على الاستمتاع قبله. قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾.

والمعنى: استمتمتُمْ بخلايقكم استمتاعاً كاستمتاع الذين من قبلكم،
وحُضِّتُمْ حَوْضاً كحوض الذين من قبلكم.

وبهذا نعرف جهل الفادي بقواعد اللغة.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٧.

جزم فعل معطوف على منصوب

اعتراض الفادي على تركيب وصياغة قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

قال في اعتراضه على الآية: «وكان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب: «فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ». أي أن فعل «أَكُنْ» معطوف على فعل «أَصَّدَّقَ» وبما أن المعطوف عليه منصوب فيجب أن ينصب المعطوف. ولذلك كان جزم المعطوف خطأً نحوياً وَقَعَ به القرآن!!»^(١).

في قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قراءتان صحيحتان:

الأولى: قراءة أبي عمرو البصري بنصب الفعل المعطوف: «فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ»، وتوجيه هذه القراءة أن «أَكُونَ» معطوف على «أَصَّدَّقَ» منصوب مثله؛ لأن المعطوف على المنصوب منصوب.

الثانية: قراءة القراء التسعة بجزم الفعل «أَكُنْ». وهو ليس معطوفاً على «أَصَّدَّقَ»؛ لأنه لا يجوز عطف المجزوم على المنصوب. ولكنه معطوف على محل «أَصَّدَّقَ» الذي هو الجزم؛ لأنه في معنى جواب الشرط، ففعل «أَصَّدَّقَ» منصوب لفظاً لكنه مجزوم محلاً!

إن فعل «أَصَّدَّقَ» منصوب بحرف «أن» المصدرية المقدّر، وهو واقع في جواب التمني، فالجملة هكذا: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿يَأْتِي﴾: فعل مضارع منصوب بحرف «أن»، و«يَقُولَ»: مضارع منصوب لأنه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٨.

معطوفٌ على ﴿يَأْتِي﴾. و﴿لَوْلَا﴾: حرفٌ للتَّمْنِي. وجوابُ التَّمْنِي جملة: ﴿فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. والتقديرُ: لولا أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَنْ أَصَدَّقَ. ومع أَنَّ «أَصَدَّقَ» منصوبٌ لفظاً بحرفِ «أَنْ»، إلا أَنَّهُ مجزومٌ محلاً، على أَنَّهُ جوابُ الشَّرْطِ، فالجملةُ للتَّمْنِي في الظاهر، لكنَّها جملةٌ شرطيةٌ في الحقيقة، والتقديرُ: إِنَّ أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَصَدَّقَ. وعلى هذا يكونُ ﴿أَكُنْ﴾ مجزوماً، لأنَّهُ معطوفٌ على محلِّ «أَصَدَّقَ». الذي هو جوابُ الشرطِ في الحقيقة، والتقديرُ: إِنَّ أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَصَدَّقَ، وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. أي أَنَّ الكافرَ يتعهَّدُ بفعلِ أمرينِ اثْنَيْنِ إِنَّ أَخَّرَ اللهُ أَجَلَهُ: يتصدَّقُ في سبيلِ اللهِ، ويكونُ مِنَ الصَّالِحِينَ.



عود ضمير الجمع على المفرد

اعتراضُ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]. اعتراضُهُ على ضميرِ الجمعِ في ﴿بِنُورِهِمْ﴾، فكيفَ جاءَ بصيغةِ الجمعِ مع أَنَّهُ يعودُ على المفردِ، وهو الضميرُ المستترُ في ﴿اسْتَوْقَدُوا﴾. قال: «وكانَ يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ الضميرَ العائدَ على المفردِ مُفْرَدًا، فيقولُ: استوقد ناراً فلما أضاءتْ ما حوله ذهبَ اللهُ بنوره»^(١).

واعترضُ الفادي دليلُ جهلهُ بأساليبِ التعبيرِ الرائعةِ البليغةِ في اللغةِ العربيةِ الشاعرةِ.

إنَّ التشبيهِ في الآيةِ تشبيهًُ تمثيليً، شبّهَ حالاً بحالٍ، حالَ المنافقينَ في عدمِ انتفاعِهِم بالإيمانِ، بحالِ الذي استوقدَ ناراً ثم أطفأها اللهُ، فلم ينتفعْ هو بها.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٨.

وجاء ضمير «هُم» في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جمعاً، مراعاةً للحالِ المشبَّهة، وهي حالُ المنافقين، وليس الحالُ المشبَّه بها، وهي حالُ المستوقِدِ ناراً؛ لأنَّ الهدفَ من هذا التشبيهِ التمثيلي هو المشبَّه وليس المشبَّه به، وبيانُ عَدَمِ استفادةِ المنافقين من الهدى والنور.

لقد عادَ ضميرُ «هم» في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ على ضميرِ «هُم» في ﴿مَثَلُهُمْ﴾، والمرادُ بهذا الضميرِ المنافقون.

ولو عادَ الضميرُ على المفردِ، وقالَ: «ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات» لكانَ التركيزُ على التشبيهِ والتمثيلِ، وهذا ممكِنٌ، ولكنه ليسَ فصيحاً. إنَّ الأفصحَ والأبْلَغَ الانتقالُ من التمثيلِ والتشبيهِ إلى الحقيقة، ليدلَّ على أنَّ اللهَ أذهبَ نورَ الإيمانِ من قلوبِ المنافقين؛ لأنَّ هذا هو المقصودُ من التشبيهِ.

وصارَ التقديرُ هكذا: مَثَلُ المنافقين في عَدَمِ استفادتهم من الإيمانِ كَمَثَلِ رجلٍ استوقدَ ناراً، فلما أضاءت ما حوله، ذهبَ اللهُ بناره، فلم يستفد منها، وكذلك المنافقون ذهبَ اللهُ بنورهم، فلم يستفيدوا من الإيمانِ.

وقد جاءَ ضميرُ الجمعِ في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ بين ضميرَيِ جَمْعٍ: الضميرِ في ﴿مَثَلُهُمْ﴾ قبله. والضميرِ في ﴿وَتَرَكَّهُمْ﴾ بعده!!.

وعلى هذا يكونُ اعتراضُ الفادي لا معنى له، فالأفصحُ والأبْلَغُ هو ما وردَ في القرآن!.



هل يجوز نصب المعطوف على المرفوع؟

اعتراضَ الفادي على قولِ الله ﷻ: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

خَطًّا نَضَبَ ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ لأنها في نظره القاصِرِ معطوفةٌ على ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، والأصلُ أَنْ تَكُونَ مرفوعة: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون... والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة... وتخطئه الفادي للآية دليل جهله بقواعد اللغة العربية.

الآية مَكُونَةٌ من الجمل التالية:

الأولى: الجملة الاسمية: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: ﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراكٍ مُلغى لأنه مُخَفَّف. ﴿الرَّاسِخُونَ﴾: مبتدأ مرفوع. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: معطوفٌ على ما قبله مرفوع. والجملة الفعلية ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ في محلِّ رفعٍ خَبَر. والتقدير: الراسخون في العلم والمؤمنون هم المؤمنون بما أنزل إليك.

الثانية: الجملة الفعلية: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾. وهي معطوفةٌ على الجملة السابقة. ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ منصوبٌ على المدح. أي أَنَّهُ مفعولٌ به لفعلٍ محذوف، تقديره: أمدح المقيمِينَ الصلاة، و﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعولٌ به منصوبٌ لاسمِ الفاعل ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾.

الثالثة: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وهي معطوفةٌ على الجملة الأولى: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾: مبتدأ مرفوع. و﴿الزَّكَاةَ﴾: مفعولٌ به لاسمِ الفاعل ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾. و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ مرفوع. وجملة ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في محلِّ رفعٍ خَبَرِ المبتدأ ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾.

وبهذا نعرفُ أَنَّ ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ ليست معطوفةٌ على ﴿الرَّاسِخُونَ﴾، من بابِ عَطْفِ كلمةٍ على كلمة، لتكون مرفوعةً مثلها. والعطفُ من بابِ عَطْفِ جُمْلَةٍ على جُمْلَةٍ.

والعدولُ عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية، ونَصْبُ اسمِ الفاعلِ

بفعلٍ مُقدَّرٍ، جمالٌ رائع في الأسلوبِ القرآني، وتعبيرٌ بليغٌ معجزٌ رفيع. لكنَّ الجاهلين من أمثالِ الفادي لا يَرْتَقون إلى مستوى فهمه فيخطئونَه!.



هل ينصب المضاف إليه؟

خطأ الفادي نَصَبَ «ضراء» في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَّهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَّاءَ مَسْتَهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].
وبما أنَّ ﴿بَعْدَ﴾ ظَرَفُ زَمَانٍ، وهي مضاف، فإنَّ ﴿ضِرَّاءَ﴾ مضافٌ إليه.
والمضافُ إليه مجرور، فلا بُدَّ أن تكونَ كلمةُ ﴿ضِرَّاءَ﴾ مجرورةً بالكسرة!!.
إنَّ اعتراضَ الفادي على الآيةِ وتخطئته لها دليلٌ على جهله المطبقِ بأبسطِ قواعدِ اللغةِ العربيةِ.

إنه لا يعرفُ الشيءَ المسمَّى «الممنوع من الصرف». وهو الاسمُ الذي لا يَلْحَقُه التَّنوين، والذي يُجَرُّ بالفتحةِ بدلَ الكسرة. وتَحْكُمُ الممنوعُ من الصرفِ قواعدُ وضوابطُ دقيقة.

ومن الأسماءِ الممنوعةِ من الصَّرْفِ كُلُّ اسمٍ مُؤنَّثٍ مختومٍ بألفٍ ممدودةٍ بَعْدَها همزة، على وَرْنِ «فَعْلَاءَ».

وفي الآيةِ التي خَطَّأها الجاهلُ كَلِمَتانِ مَمْنوعَتانِ من الصَّرْفِ هما ﴿نَعْمَاءَ﴾ ﴿ضِرَّاءَ﴾. وهما كلمتانِ مُتقابلتانِ.

﴿نَعْمَاءَ﴾: مفعولٌ به ثانٍ للفعلِ ﴿أَذْقَنَّهُ﴾. وهو منصوبٌ بالفتحةِ وليس بالتَّنوين؛ لأنه ممنوعٌ من الصرفِ.

و﴿ضِرَّاءَ﴾ في قوله: ﴿بَعْدَ ضِرَّاءَ مَسْتَهُ﴾ مضافٌ إليه مجرورٌ بالفتحةِ بدلَ الكسرة؛ لأنه ممنوعٌ من الصَّرْفِ.

ولكنَّ أتَى للفادي الجاهلِ أن يعرفَ هذه القواعدُ؟ ومع ذلك نَصَبَ نَفْسَه قاضياً على القرآن!!.

جمع الكثرة بدل جمع القلة

خَطَأَ الْفَادِي الْإِتْيَانَ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ بَدَلِ جَمْعِ الْقَلَّةِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

قال في اعتراضه على الآية: «وكان يجب أن يجمعها جمع قلة؛ لأنهم أرادوا القلة، فيقول: أياماً معدودات»^(١).

يرى الفادي أن «معدودات» جمع قلة، وأن ﴿مَعْدُودَةً﴾ جمع كثرة! وهذا الكلام باطل، فالصیغتان جمع قلة. لكن ﴿مَعْدُودَةً﴾ تدل على عدد أقل من «معدودات». فإذا أريد العدد الأقل ذكرت صيغة ﴿مَعْدُودَةً﴾، وإذا أريد العدد الأكثر ذكرت صيغة «معدودات».

وهذا عكس ما قاله الفادي الجاهل باللغة العربية.

والآية التي خطأها الجاهل تحدثت عن اليهود، واستخفافهم بعذاب الله، وادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

واللطيف في التعبير القرآني المعجز أنه أورد الصيغتين «معدودة، ومعدودات» في نفس الموضوع، وهو زعم اليهود عدم تعذيبهم إلا أياماً قليلة في جهنم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿الرَّ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُعْجَبُونَ إِيَّكَ بِمَا كُنْتَ تَفْعَلُ بِحَكْمٍ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُتُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣ - ٢٤].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٨.

ما حكمه وَصَفِ الأَيَّامِ فِي سُورَةِ البَقْرَةِ بِالصِّيغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى العَدَدِ الأَقَلِّ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وَوَصَفِ الأَيَّامِ نَفْسِهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ بِالصِّيغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى العَدَدِ الأَكْثَرِ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾؛ مَعَ أَنَّ الأَيَّامَ فِي السُّورَتَيْنِ وَاحِدَةٌ، وَالقَائِلِينَ فِيهِمَا اليَهُودَ؟.

إِنَّ السِّيَاقَ هُوَ الحَكْمُ، وَهُوَ فِي سُورَةِ البَقْرَةِ غَيْرُهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ!.
إِنَّ الكَلَامَ فِي سُورَةِ البَقْرَةِ مُخْتَصِرٌ، وَالهِدْفُ مِنْهُ ذِكْرُ زَعْمِ اليَهُودِ ثَمَّ الرَّدُّ عَلَيْهِ بِإِيْجَازٍ، وَلِذَلِكَ وَصِفَتِ الأَيَّامَ بِالصِّيغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى القِلَّةِ، لِتَنَاسَبِ مَعَ الهِدْفِ مِنَ الكَلَامِ، وَهُوَ الاِخْتِصَارُ الدَّالُّ عَلَى التَّقْضِيلِ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

أَمَّا الكَلَامُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فَإنَّهُ مُفَصَّلٌ مُطَوَّلٌ قَلِيلاً، فَهُوَ لَا يَكْتَفِي بِمَجْرَدِ تَسْجِيلِ زَعْمِ اليَهُودِ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى التَّعْجِبِ مِنْ مَوْقِفِ اليَهُودِ الاِسْتِعْلَاقِيِّ، فَإنَّهُمْ عِنْدَمَا يُدْعَوْنَ إِلَى الاِسْتِجَابَةِ لِحُكْمِ اللهِ، يَرْفُضُونَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ، وَيَتَوَلَّوْنَ وَيُعْرِضُونَ، وَيُصِرُّونَ عَلَى باطِلِهِمْ، وَالسَّبَبُ فِي هَذَا زَعْمُهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبُوا فِي النَّارِ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وَاغْتِرَارُهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَتَصْدِيقُهُمْ مَزَاعِمَهُمْ.

وَبِمَا أَنَّ الكَلَامَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ مُطَوَّلٌ مُفَصَّلٌ، فِي عَرْضِ بَعْضِ صِفَاتِ اليَهُودِ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، جَاءَ بِالصِّيغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَكْثِيرِ الأَيَّامِ، لِتَنَاسَبِ مَعَ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ: ﴿قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.



جمع القلة بدل جمع الكثرة

بِنَاءٍ عَلَى تَفْرِيقِ الفَادِي الجَاهِلِ بَيْنَ ﴿مَّعْدُودَةً﴾ وَ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ عَلَى أَنَّ ﴿مَّعْدُودَةً﴾ جَمْعُ كَثْرَةٍ، وَ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ جَمْعُ قِلَّةٍ، تَابَعَ اعْتِرَاضَهُ عَلَى القُرْآنِ، فَأَثَارَ سُؤْالِهِ السَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ، وَجَعَلَهُ تَابِعاً لِسُؤْالِهِ السَّابِقِ، الَّذِي نَاقَشْنَاهُ فِيهِ.

قال: «جاء في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴿البقرة: ١٨٣ - ١٨٤﴾ وكانَ يَجِبُ أَنْ يَجْمَعَهَا جَمْعُ كَثْرَةٍ، حَيْثُ إِنَّ الْمِرَادَ جَمْعُ كَثْرَةٍ عِدَّتُهُ ثَلَاثُونَ يَوْمًا، فيقول: أَيَّامًا مَّعْدُودَةً»^(١).

ومعنى اعتراضه أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ الْوَاجِبَ صِيَامُهُ ثَلَاثُونَ يَوْمًا، وَهِيَ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ، فَمِنْ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ أَنْ تُوصَفَ أَيَّامُهُ بِجَمْعِ الْقِلَّةِ ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾، وَإِنَّمَا تُوصَفُ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ: ﴿مَّعْدُودَةً﴾.

وعلى هذا يكون القرآن - في نظر الفادي - قد أخطأ، عندما قال عن أيام رمضان: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، وكان الواجب أن يقول: أياماً معدودة!!.

وقد سبق أن ناقشناه في المبحث السابق، ورفضنا كلامه أن ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ جمع قلة، و﴿مَّعْدُودَةً﴾ جمع كثرة، وذكرنا أن اللفظين جمع قلة. وأن ﴿مَّعْدُودَةً﴾ تستعمل مع العدد الأقل، و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ مع العدد الأكثر!.

نقول مثلاً: هذه عشرة أيام معدودة. وتقول: هذه ثلاثون يوماً معدودات!!.

ولذلك ذكر القرآن صفة «معدودات» مع أيام شهر رمضان الثلاثين: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾!



هل يجمع الاسم العلم؟

ذهب الفادي إلى أن القرآن جمع اسم العلم المفرد الأعجمي، وهذا لا يجوز في اللغة، ولذلك خطأ القرآن.

قال: «جاء في سورة الصافات: ﴿سَلِّمٌ عَلَىٰ إِلٍ ءِيسِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿الصافات: ١٣٠ - ١٣٢﴾، فلماذا قال: ﴿إِلٍ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٩.

يَاسِينَ ﴿ بالجمع عن «إلياس» المفرد؟ فَمِنَ الْخَطَأِ لَغَوِيًّا تَغْيِيرُ اسْمِ الْعَلَمِ حُبًّا فِي السَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ .

وجاء في سورة التين: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا أَلْبَدُ الْأَمِينِ ﴿ [التين: ١ - ٣]؛ فلماذا قال: ﴿سِينِينَ﴾ بالجمع عن سيناء؟ فَمِنَ الْخَطَأِ لَغَوِيًّا تَغْيِيرُ اسْمِ الْعَلَمِ حُبًّا فِي السَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ؟﴾^(١) .

﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ في نظر الفادي جمع الاسم الأعجمي «إلياس». و﴿سِينِينَ﴾ جمع الاسم الأعجمي ﴿سِينَاءَ﴾؛ فهل هذا صحيح؟
نَقَفَ أَمَامَ كَلِمَةِ ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ أَوْلًا .

في كلمة ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ قراءتان صحيحتان:

الأولى: قراءة نافع وابن عامر: «سلام على آل ياسين». بإضافة «آل» إلى «ياسين». و«ياسين» هو «إلياس». و«آل ياسين» هم أتباعه المؤمنون الذين آمنوا به ودخلوا في دينه. والسَّلَامُ على آل ياسين سَلَامٌ على إلياس نفسه؛ لأنه هو السبب في هدايتهم!

الثانية: قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو: ﴿سَلِّمُ عَلَىَّ إِلِ يَاسِينَ﴾ بكسر الألف وسكون اللام.

و ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ ليس جمع إلياس، وإنما هو لغة ثانية في «إلياس»، تقول: إلياس وإلياسين، كما نقول: إسماعيل وإسماعين، وجبرائيل وجبرائين، وميكائيل وميكائين، وإسرائيل وإسرائيلين. فتُقَلَّبُ اللامُ نوناً في هذه الأسماء بهدف التسهيل. وفي إلياس، أُضِيفَتْ له الياء والنون للتسهيل وليس للجمع.

وقد يُرَادُ بكلمة ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ آل إلياس الذين آمنوا به واتبعوه. وعلى هذا تكون ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ جمع، مفردُه «إِلْيَاسِيٌّ» بياء النسبة. تقول: إلياس. وعندما تُنْسَبُ إليه مَنْ اتَّبَعَهُ تقول: إِلْيَاسِيٌّ. كما تقول: شافع، ومع الياء تقول: شافِعِيٌّ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٩.

وجمَعُ «إِيَّاسِيَّ»: «إِيَّاسِيَّوْنَ» بالياءِ المُشَدَّدة. كما تقولُ في «شَافِعِيَّ» شَافِعِيَّوْنَ. ثم حُدِفَتْ إِحدى الياءَيْنِ لِلتَّسْهِيلِ، فصارتِ الكَلِمَةُ «إِيَّاسونَ» وعندما جُرَّتْ بِحرفِ الحَرِّ صارتُ: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِلى يَاسِينَ﴾. والمرادُ بِكَلِمَةِ ﴿إِلى يَاسِينَ﴾ على هذا التَّوجِيهِ «أَلُّ إِليَّاس»، فألُّ إِليَّاسِ هم «إِيَّاسونَ»، وهم المُؤمِنونَ بِهِ.

أَمَّا ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: فهو اسْمٌ مَكَّوْنٌ من جزأين: ﴿طُورِ﴾: وهو اسْمُ جَبَلٍ الطورِ الَّذِي ذَكَرَ عِدَّةَ مرَّاتٍ في القرآن، وهو الموجودُ في سِيناءَ، وناجى عليه موسى ﷺ رَبَّهُ.

و﴿سِينِينَ﴾: وهو اسْمٌ لصحراءِ سِيناءَ المعروفة، التي تُفَصِّلُ بَينَ مِصرَ وفلسطين. وهي المرادُةُ في قولهِ تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سِيناءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلأَكِينِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]

وبالجمَعِ بَينَ آيةِ سورةِ المُؤمِنونَ ﴿طُورِ سِيناءَ﴾ وآيةِ سورةِ التينِ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ نَعرِفُ أَنَّ لِّلصحراءِ الواقِعةِ بَينَ مِصرَ وفلسطينِ اسْمَيْنِ في القرآن: سِيناءَ، وسِينينَ، والكَلِمَتانِ أعجميتانِ.

وبهذا نَعرِفُ أَنَّ القرآنَ لَم يَجْمَعِ اسْمَ العلمِ الأَعجميِّ المُفردِ؛ لأنَّ هذا لا يَجوزُ في اللِغَةِ، وَأَنَّهُ لَم يَفعَلْ ذلك حُبًّا في السَّجْعِ المُتكَلِّفِ، كما اتَّهَمَهُ الفادِي الجاهِلُ بِذلك!!.



بين اسم الفاعل والمصدر

اعترضَ الفادِي على صياغَةِ قولِ اللهِ: ﴿لَيْسَ أَلْبَرُّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ أَلْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَاللَّيْكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، واعتراضُهُ على جَمَلَةٍ ﴿وَلَكِنَّ أَلْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾، حيثُ جاءَ حَبْرُ «لَكِنَّ» اسْمٌ موصول، والموصولُ وصلُّهُ هنا بِمعنى اسمِ الفاعلِ. والتقديرُ: وَلَكِنَّ البَرَّ المُؤمِنُ بِاللَّهِ!.

قال: «والصوابُ أَنْ يُقالَ: «ولكنَّ البرَّ أَنْ تُؤْمِنُوا بالله»، لأنَّ البرَّ هو الإيمانُ وليس المؤمنُ»^(١).

صحيحٌ أنَّ البرَّ هو الإيمانُ وليس المؤمنُ، ولكنَّ الخبرَ في الحقيقةِ ليس اسمَ الموصولِ «مَنْ»، وإنما هو محذوف، و«مَنْ» في الحقيقةِ مضافٌ إليه لمضافٍ محذوف. والتقدير: ولكنَّ البرَّ برُّ مَنْ آمَنَ بالله. أي: ولكنَّ البرَّ برُّ المؤمن.

فلم يأتِ اسمُ الفاعلِ «المؤمن» في الآيةِ بدَلِ المصدر، كما فهم الفادي الجاهل، وإنما هو مُضافٌ إليه لمضافٍ محذوف: ولكنَّ البرَّ برُّ مَنْ آمَنَ.



لا يعطف المنصوب على المرفوع

اعترضَ الفادي على صياغةِ قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعَثْنَهُنَّ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

واعتبرَ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ المنصوبَ معطوفٌ على ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ المرفوع، وهذا خطأ. قال: «وكانَ يجبُ أَنْ يُرفَعَ المعطوفُ على المرفوع، فيقول: والمؤمناتُ بعثنهم... والصابرون...»^(٢).

﴿الصَّابِرِينَ﴾ ليستُ معطوفةٌ على ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾، وإلا لكانتُ مرفوعة؛ لأنه لا يجوزُ عطفُ المنصوبِ على المرفوع.

إنَّ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ مفعولٌ به منصوبٌ بالياء، لفعلٍ محذوف، تقديره: «أمدح» أي: وأمدحُ الصابرين في البأساء والضراء.

وقد سبقَ أَنْ ناقشنا الفادي المفتري في آيةٍ قريبةٍ من هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ

(٢) المرجع السابق نفسه.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٠٩.

فَيْكُ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿ [النساء: ١٦٢]؛ حيثُ ظَنَّ
 الفادي أَنَّ ﴿ وَالْمُقِيمِينَ ﴾ منصوبٌ لِأَنَّهُ معطوفٌ على المرفوع قبله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾،
 مع أَنَّهُ منصوبٌ؛ لِأَنَّهُ مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ تقديره: أمدَحُ المقيمين الصلاة.



حكمة وضع المضارع بدل الماضي

اعتراضَ الفادي على قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ط
 خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

قال في اعتراضه: «كَانَ يَجِبُ أَنْ يُعْتَبَرَ الْمَقَامُ الَّذِي يَفْتَضِي صِيغَةَ
 الماضي لا المضارع، فيقول: ثم قال له: كُنْ، فكان»^(١).

الكلام في الجملة عن خَلَقِ أَبِي الْبَشَرِ آدَمَ ﷺ، فالله خَلَقَهُ بكلمته
 التكوينية، وَلَمَّا سَوَّاهُ مِنْ تُرَابٍ، قال له: ﴿كُنْ﴾، فكان، وصارَ إنساناً حَيًّا.
 و﴿كُنْ﴾ فعلٌ أمرٌ تامٌّ، يَحْتَاجُ إِلَى فاعلٍ فَقَطْ، وهو ضميرٌ مستترٌ تقديره: أَنْتَ.
 وهو بمعنى الوجود والتكوين. أي: تَكُونُ وَتَشَكَّلُ كما نُريدُ.

والفاء في ﴿فَيَكُونُ﴾ حَرْفٌ عطف. وجملة ﴿يَكُونُ﴾ معطوفةٌ على جملة
 ﴿كُنْ﴾. و﴿يَكُونُ﴾ فعلٌ مضارعٌ تامٌّ، وفاعله تقديره «هو» وجملة «يكون» في
 محلِّ رَفْعٍ خبرٍ لمبتدأٍ محذوفٍ، تقديره: فهو يَكُونُ. أي: قال له: كُنْ،
 وتَكُونُ، فهو كائِنٌ مُتَكَوِّنٌ كما أمره الله.

وكانَ المتوقعُ أَنْ يُعَبَّرَ بِالْمَاضِي: ثم قال له: كُنْ فكان. لأنه أَخْبَرَ عن
 خَلَقِ آدَمَ ﷺ في بدايةِ تاريخِ البشرية، لكنَّهُ عَدَلَ عن الماضي إلى المضارع،
 فقال: ثم قال له: كُنْ، فيكون. وذلك لكي نستحضرَ نحنُ في خيالنا خَلْقَ آدَمَ
 آدمَ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمَضارعَ يدلُّ على التجدُّدِ والاستمرارِ، والحيوية والتفاعل.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٠.

حكمة حذف جواب الشرط

اعتراض الفادي على صياغة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، وتساءل عن جواب «لَمَّا» وقال: «أين جواب لَمَّا؟ ولو حذف الواو التي قبل ﴿أَوْحَيْنَا﴾ لاستقام المعنى»^(١).

اعتراضه على حذف جواب «لَمَّا». واقترح على القرآن حذف الواو من جملة ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾، لتكون هي جواب الشرط، فيكون التقدير: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيبة الجب أوحينا إليه!!

واعترضه متهافت، والأفصح والأبلغ حذف جواب الشرط... إن «لَمَّا» ظرف زمان للماضي، يتضمن معنى الشرط. وجملة ﴿ذَهَبُوا بِهِ﴾ فعل الشرط. وجملة ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾ معطوفة عليها. وجواب الشرط محذوف، تقديره: جعلوه في غيبة الجب. وجملة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ استئنافية، ولا تصلح أن تكون جواب الشرط.

فيكون معنى الآية: لما ذهب الإخوة بأخيهم الصغير يوسف، وأجمعوا على التخلص منه، نفذوا ما أجمعوا عليه، ووضعوه في غيبة الجب. ولما استقر الصغير يوسف في غيبة الجب وأسبناه وطمأنأه، وأوحينا إليه بأنه سيتجاوز تلك المحنة، ويكون في وضع مريح، حيث سيبثهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون به، ولا يتوقعون أن يكون هو.

وقد يكون من البلاغة ذكر جواب الشرط في الجملة، ولكنه قد يكون حذف جواب الشرط أحياناً هو الأفصح والأبلغ. وبهذا يكون اعتراض الفادي على حذف جواب الشرط دليل جهله وغبائه.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٠.

توهم الاضطراب بسبب عودة الضمائر

اعترض الفادي على قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿[الفتح: ٨ - ٩].

ولنقرأ ما سجّله في اعتراضه وانتقاده وتخطئته. قال: «وهنا نرى اضطراباً في المعنى، بسبب الالتفات، من خطاب محمد إلى خطاب غيره. ولأن الضمير المنصوب في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائد على الرسول المذكور آخراً، وفي قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائد على اسم الجلالة المذكور أولاً. هذا ما يقتضيه المعنى، وليس في اللفظ ما يعينه تعييناً يزيل اللبس.

فإن كان القول: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عائداً على الرسول يكون كُفْرًا؛ لأنّ التسييح لله فقط. وإن كان القول: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عائداً على الله يكون كُفْرًا؛ لأنّه تعالى لا يحتاج لمن يُعَزِّرُهُ وَيُقَوِّيه...» (١).

المشكلة عند الفادي في عودة الضمائر في الأفعال الثلاثة: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ لأنّ الضمائر في الأفعال الثلاثة لا بُدَّ أن تعود على واحد، إما الله وإما رسوله، المذكوران في: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾... فإن عادت الضمائر الثلاثة على الرسول ﷺ كان القرآن مُحْطِئًا، لأنه يدعو المؤمنين إلى تسييح الرسول ﷺ، وتسييح البشر كُفْرًا... وإن عادت الضمائر الثلاثة على الله كان القرآن مُحْطِئًا، لأنه يدعو إلى تعزير الله وتوقيره، وهذا كُفْرًا، لأنّه يدلُّ على أنّ الله يحتاج إلى تعزيرٍ وتوقيرٍ واحترام!..

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٠.

وقبل حلّ المشكلة نقول: إِنَّ تَعْزِيرَ اللَّهِ وَتَوْقِيرَهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كُفْرًا؛ لِأَنَّ التَّعْزِيرَ مَعْنَاهُ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ، وَالتَّوْقِيرَ مَعْنَاهُ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ، وَهَلْ نَصَرَ اللَّهُ وَتَأْيَدَهُ كُفْرًا؟ وَهَلْ تَعْظِيمُ اللَّهِ وَإِجْلَالُهُ كُفْرًا؟!

لقد دَعَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَصْرِهِ، وَرَبَطَ نَصْرَهُ لَهُمْ بِنَصْرِهِمْ لَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] فهل معنى هذا أَنَّ اللَّهَ ضَعِيفٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُ؟ حَاشَ لِلَّهِ. وَهَكَذَا نَفْهَمُ تَعْزِيرَ اللَّهِ وَتَأْيِيدَهُ، فَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْزِيرٍ وَتَأْيِيدٍ أَحَدٍ، وَالْإِنْسَانُ هُوَ الْمُسْتَفِيدُ عِنْدَمَا يُعَزِّرُ اللَّهَ وَيُؤَيِّدُهُ وَيَنْصُرُهُ.

ولقد ذَمَّ اللَّهُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ لَمْ يَقْدُرُوا حَقَّ قَدْرِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]. وَأَنْكَرَ نُوْحٌ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ عَدَمَ تَوْقِيرِ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ - ١٤]. وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ تَوْقِيرَ اللَّهِ وَتَعْظِيمَهُ وَإِجْلَالَهُ وَاجِبٌ.

بعد هذا البيان نقول: للعلماء قولان في مَنْ عَادَتْ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ الثَّلَاثَةُ:

القول الأوَّل: عَادَ الضَّمِيرُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي عَلَى الرَّسُولِ ﷺ: ﴿وَتَعَزَّزُوهُ وَتُوقِّرُوهُ﴾. بِمَعْنَى نَصْرِهِ وَاحْتِرَامِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ. أَمَّا الضَّمِيرُ الثَّلَاثُ: ﴿وَتَسْبِيحُوهُ﴾ فَإِنَّهُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ.

فتكون الواو في ﴿وَتَسْبِيحُوهُ﴾ حرف استئناف وليست حرف عطف؛ لِأَنَّ ﴿وَتَسْبِيحُوهُ﴾ لَيْسَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿وَتُوقِّرُوهُ﴾، فَالتَّعْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ لِلرَّسُولِ ﷺ. أَمَّا التَّسْبِيحُ فَإِنَّهُ لِلَّهِ.

القول الثاني: الضَّمَائِرُ الثَّلَاثَةُ تَعُودُ عَلَى اللَّهِ: ﴿وَتَعَزَّزُوهُ وَتُوقِّرُوهُ وَتَسْبِيحُوهُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا﴾، وَالْأَفْعَالُ الثَّلَاثَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿لَتُؤْمِنُوا﴾. وَيَكُونُ الْمَعْنَى دَعْوَةً إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَتَعْزِيرِهِ، وَتَوْقِيرِهِ، وَتَسْبِيحِهِ.

والراجحُ هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي، فَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَعْزِيرِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَتَسْبِيحِهِ، عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ فِي التَّعْزِيرِ وَالتَّوْقِيرِ.

وبهذا يكون الفادي جاهلاً عندما ادعى اضطرابَ معنى الآية، وخطأً تركيبتها وعودة ضمائرها، وكان جاهلاً عندما ادعى أن توقيرَ الله وتعزيزه كفر!!.



هل صرف القرآن الممنوع من الصرف؟

اعترض الفادي على تنوين ﴿قَوَائِرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَائِرًا ﴿١٥﴾ قَوَائِرًا مِنْ فِضَّةٍ فَذَرُّهَا قَدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦]، كما اعترض على تنوين ﴿سَلْسِلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

يرى الفادي أن ﴿قَوَائِرًا﴾ ممنوعة من الصرف، لأنها على وزن «مفاعيل»، مثل «مصاييح». والممنوع من الصرف لا يُنَوَّن، إلا بشروط، لذلك أخطأ القرآن، في نظر الفادي في تنوين ﴿قَوَائِرًا﴾ وصرفها، كذلك أخطأ القرآن في - نظر الفادي - في تنوين وصرف ﴿سَلْسِلًا﴾، مع أنها ممنوعة من الصرف، لأنها على وزن «مفاعل».

وتوجيه تنوين الكلمتين الممنوعتين من الصرف «سلاسل» و«قواريير» سهل.

في كلمة «سلاسل» قراءتان صحيحتان:

الأولى: قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر المدني، ورواية أبي بكر عن عاصم، وهشام عن ابن عامر: «سلاسلًا» بالتنوين.

والكلمة مُنَوَّنَةٌ على هذه القراءة، مع أنها ممنوعة من الصرف في الأصل، لوقوع كلمتين مصروفتين بعدها: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾، وحكمة تنوينها وصرفها مراعاة المزاجية والجوار، ومراعاة المزاجية طريقة فصيحة بليغة ملحوظة، ولا تُسمى خطأً نحوياً في اللغة والقرآن، كما زعم الفادي الجاهل!.

الثانية: قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو ويعقوب وخلف ورواية حفص عن عاصم: «سلاسل» بالفتحة فقط. على أنه ممنوع من الصّرف، لأنه على صيغة منتهى الجموع.

وعليه يكون اعتراض الفادي الجاهل مردوداً، فالكلمة ممنوعة من الصّرف على القراءتين، لكنها مُنَوَّنة على القراءة الأولى للمزاوجة والمجاورة.

وفي كلمة قوارير في قوله تعالى: ﴿وَيَطَّافُ عَلَيْهِم بِآيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ثلاث قراءات:

الأولى: قراءة نافع والكسائي: ﴿قَوَارِيرًا﴾. . . ﴿قَوَارِيرًا﴾ بتنوين الكلمتين، والوقوف عليهما بالألف، اتباعاً لرسم المصحف؛ لأنّ الكلمتين مكتوبتان في المصحف بالألف.

وتوجيه هذه القراءة أنّ تنوين «قواريرا» الأولى ليس صرفاً لها، لأنها ممنوعة من الصّرف، وإنما تنوينها مراعاةً للفاصلة في الآيات التي قبلها وبعدها، حيث خُتمت آيات السورة الواحدة والثلاثون كلها بكلمات مُنَوَّنة، فمن غير المناسب أن تأتي «قوارير» وحدها ممنوعة من الصّرف، وسَط ثلاثين آية مُنَوَّنة! وهذا من روائع التناسق في السياق القرآني، وليس مأخذاً عليه! وأمّا تنوين ﴿قَوَارِيرًا﴾ الثانية فلمجاورتها ﴿قَوَارِيرًا﴾ الأولى المنوّنة.

الثانية: قراءة ابن كثير وخلف: ﴿قَوَارِيرًا﴾ الأولى بالتنوين. و﴿قَوَارِيرًا﴾ الثانية بالفتحة وليس بالتنوين. وحجّة تنوين الأولى موافقتها للفاصلة في آيات السورة كما قرّرنا، وحجّة عدم تنوين الثانية عدم الاعتداد بالمجاورة والمزاوجة، واعتماد المنع من الصرف.

الثالثة: قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة، ورواية حفص عن عاصم بعدم التنوين في الكلمتين: ﴿قَوَارِيرًا﴾. . . ﴿قَوَارِيرًا﴾. واعتماد القاعدة في منع الكلمتين من الصرف؛ وتقديم القاعدة النحوية على رؤوس الآيات والمجاورة. ولكنهم وقفوا على «قوارير» الأولى بالألف، لأنها رأس آية: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾.

بهذا التوجيه للقراءات الثلاث نعرف خطأ وجهل الفادي المفتري في
اعتراضه على القرآن، وأنه تكلم بشيء لا يعرف عنه شيئاً، ورحم الله امرأ
عرف قدر نفسه!



حول تذكير خبر الاسم المؤنث

اعتراض الفادي الجاهل على قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. وقال في اعتراضه: «لماذا
لم يتبع خبر «لعل» اسمها في التأنيث؟ ولماذا لم يقل: «قريبة»؟»^(١).
﴿السَّاعَةُ﴾ مؤنثة، وهي في الآية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ اسم
«لعل» منصوب. و: «قريب»: خبر «لعل» مرفوع.

والإشكال عند الفادي في تذكير الخبر ﴿قَرِيبٌ﴾ مع أن الاسم
﴿السَّاعَةُ﴾ مؤنث، ولا يجوز أن نقول: الساعة قريب، وإنما نقول: الساعة
قريبة، ولذلك أخطأ القرآن - في زعمه - لإخباره عن المؤنث بالمدكر!

وفي توجيه هذا قولان:

الأول: ﴿قَرِيبٌ﴾ في الجملة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ليس خبر
«لعل»، ومن ثم ليس إخباراً عن الاسم المؤنث ﴿السَّاعَةُ﴾. وإنما هو خبر
لمبتدأ محذوف، تقديره: موعده. فتكون جملة اسمية من مبتدأ وخبر: موعدها
قريب. وهذه الجملة الاسمية في محل رفع خبر «لعل». فيكون السياق هكذا:
وما يدريك لعل الساعة موعدها قريب.

الثاني: ﴿قَرِيبٌ﴾ في القرآن وصف لم يأت إلا مُدَكَّرًا، فهو وصف على
وَرْنٍ «فعليل»، لكنه بمعنى «فاعل». أي: قارب. ولذلك جاء مُدَكَّرًا، سواء كان
المخبر عنه مُدَكَّرًا أو مؤنثاً. ولم تأت صفة «قريبة» المؤنثة في القرآن.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١١.

ومن مجيئه وَصْفًا لِمَذْكُرٍ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
[البقرة: ٢١٤]. أَي: أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ مَوْعِدُهُ قَرِيبٌ.

ومن ذلك أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلٌّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾
[الإسراء: ٥١].

ومن مجيئه وَصْفًا لِمَوْثِقٍ، عَلَى تَقْدِيرِ كَلِمَةٍ مَحْذُوفَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا
يُذْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]. أَي: يَكُونُ مَوْعِدُهَا قَرِيبًا.

ومن ذلك أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
[الأعراف: ٥٦].

ويمكنُ الجَمْعُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ بِأَنَّهُ بِمَا أَنَّ ﴿قَرِيبٌ﴾ لَمْ يَأْتِ إِلَّا مُذَكَّرًا فِي
الْقُرْآنِ. فَهُوَ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مُذَكَّرٍ مَحْذُوفٍ، هُوَ «مَوْعِدٌ». أَي: مَوْعِدُهُ قَرِيبٌ.
وَلَكِنَّ الْفَادِي الْجَاهِلَ لَا يَعْرِفُ أُسْلُوبَ الْقُرْآنِ، وَلَا مَظَاهِرَ التَّعْبِيرِ فِيهِ.



هل القرآن يوضح الواضح؟

اتَّهَمَ الْفَادِي الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ يُوضِّحُ الْوَاضِحَ، وَهَذَا مَطْعَنٌ فِيهِ، فَمَا الدَّاعِي
لِلَّذَلِكَ. وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَعْيِهِ إِذَا
رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]. قَالَ: «فَلِمَاذَا لَمْ يَقُلْ: «تِلْكَ عَشْرَةٌ» مَعَ
حَذْفِ «كَامِلَةٌ»، تَلَا فَيَا لِإِيضَاحِ الْوَاضِحِ؟ وَمَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْعَشْرَةَ تِسْعَةٌ؟!»^(١).

تَتَحَدَّثُ الْآيَةُ عَنِ الْوَاجِبِ عَلَى مَنْ حَجَّ مُتَمَتِّعًا، أَي يُؤَدِّي مَنَاسِكَ الْعِمْرَةِ
مِنْ طَوَافٍ وَسَعْيٍ، ثُمَّ يَتَحَلَّلُ، وَيَلْبَسُ مَلَاسِيَهُ الْعَادِيَّةَ، ثُمَّ يُحْرَمُ بِالْحَجِّ يَوْمَ
الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَتَوَجَّهُ مَعَ الْحُجَّاجِ إِلَى عَرَفَةَ، فَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ
يَذْبَحَ هَدْيًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ثَمَنَ هَدْيِهِ انْتَقَلَ لِلصِّيَامِ، بِأَنْ يَصُومَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَإِذَا عَادَ إِلَى بَلَدِهِ صَامَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، فَيَكُونُ الْمَجْمُوعُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، يَصُومُهَا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١١.

كاملة. قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّنَ تَمَعِّ بِالْعِمْرَةِ إِلَىٰ الْحُجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196].

ومعلومٌ أنَّ ناتجَ الثلاثةِ معَ السبعةِ عشرة، فلماذا قال: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؟ وهل هذا من بابِ تحصيلِ الحاصلِ وتوضيحِ الواضحِ؟.

الإشارةُ في ﴿تِلْكَ﴾ إلى حاصلِ جَمْعِ الثلاثةِ والسبعة. والتقديرُ: نتيجةُ جمعِ الأيامِ الثلاثةِ والسبعة هي عشرةُ أيام.

وحكمةُ ذكْرِ الجملةِ: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ هي التوكيدُ، وإفادةُ تقريرِ الحكمِ

مرَّتَيْنِ: مرةً بالتفريقِ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، ومرةً بالجمعِ: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. وهذا كقولك: كتبتُ بيدي. فإضافةُ شبهِ الجملةِ «بيدي» للتوكيدِ؛

لأنَّ الكتابةَ لا تكونُ إلَّا باليد، فهو يُريدُ التأكيدَ على الكتابةِ الحقيقيةِ الحسيةِ.

ولذُكرِ الجملةِ حكمةً أُخرى، وهي نفيُ التخييرِ، والتأكيدُ على الإيجابِ

والإلزامِ بصيامِ العشرةِ أيام، لأنَّ تَفْرِيقَ الأيامِ: ثلاثةٌ وسبعةٌ قد يَتَوَهَّمُ منه

بعضُهم بأنَّ المرادَ التخييرُ بينَ الثلاثةِ والسبعة، فنفتِ الجملةُ الأخيرةُ التخييرَ،

وأكدتْ على أنَّ المرادَ هو الإيجابُ، فليستِ الرخصةُ في إنقاصِها عن عشرة،

وإنما الرخصةُ في تفريقِها بينَ ثلاثةٍ وسبعة.

ووصفُ العشرةِ بأنها كاملة: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ليسَ من بابِ توضيحِ

الواضحِ، كما فَهَمَ الفادي الجاهلُ، وإنما من بابِ الحَثِّ على صيامِها كُلِّها

كاملة، وعدمِ إنقاصِ أيِّ يومٍ منها، فإنَّ أنقصَ يوماً منها لم تَكُنْ العشرةُ

كاملةً. فالمرادُ بكمالِها كمالُ صيامِها، وليسَ كمالَ عَدِّها، ولن يكونَ عَدُّها

كاملاً إلَّا أن يكونَ صيامُها كاملاً، فكمالُ عَدِّها بكمالِ صيامِها!.



هل يأتي فاعلان لفعل واحد؟

اعتراضُ الفادي على قولِ الله ﷻ: ﴿وَأَسْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: 3].

وفهم الجاهل من الآية اجتماع فاعلين لفعل «أسر»، وهما واو الجماعة، واسم الموصول «الذين». واقترح على القرآن حذف الواو من ﴿أَسْرُوا﴾، والاكتفاء باسم الموصول فاعلاً! (١).

بداية نقول: لا يجوز ورود فاعلين لفعل واحد، إلا على رأي ضعيف في اللغة، يُسمى لغة «أكلوني البراغيث». والقرآن المعجز يُوجه إلى أقوى اللغات وأفصح الاختيارات، وأرجح الاحتمالات، ويربأ به عن اللغات الضعيفة، والتأويلات المتكلفة!

وفي توجيه وقوع الموصول بعد الضمير في ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أقوال عديدة، تعرّض لها معظم الذين فسّروا القرآن وأعربوه.

والراجح أنّ ﴿الَّذِينَ﴾ في محلّ رفع بدل من الضمير الفاعل في ﴿أَسْرُوا﴾. و﴿ظَلَمُوا﴾ صلة الموصول. والتقدير: وأسروا النجوى، الظالمون. وبما أنها بدل فإنه يمكن ذكرها بدل الفاعل، فيصح أن تقول: أسرّ الذين ظلموا النجوى. أي: أسرّ الظالمون النجوى.

واللطيف في الآية مجيء كلمتين بدلين من قبلهما: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾. فجملة ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من الفاعل. وجملة ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ بدل من المفعول به ﴿النَّجْوَى﴾ ولو وضعنا البدلين مكان المبدل منهما لكان التقدير: وأسرّ الظالمون قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم!. وأتى للفادي الجاهل أن يتذوّق هذا التعبير القرآني الرائع! ولأنه عجز عن الارتقاء إلى مستواه قام بانتقاده وتخطّيته.

١٢٨

اعتراض على الالتفات

اعتراض الفادي الجاهل على قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١١.

حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ يَمِيمٌ يَرْبِيعُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ
أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿يونس: ٢٢﴾.

قال الفادي: «لماذا التفت عن المخاطب إلى الغائب قبل تمام المعنى؟
والأصح أن يستمر على خطاب المخاطب!»^(١).

بدأت الآية بالخطاب: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، والخطاب
للناس جميعاً، الذين يسيرون في البرِّ، ويسيرون في البحر، سواء كانوا
مسلمين أو كافرين.

وعرضت الآية مشهداً لهم وهم يركبون في السفينة في البحر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا
كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾، وهذا المشهد يشمل كل الذين في السفينة، سواء كانوا
مسلمين أو كافرين.

وخطابهم من باب الامتنان عليهم، وذكر نعمة الله عليهم بتسييرهم في
البرِّ والبحر.

ثم انتقلت الآية للإخبار عن الكفار، وموقفهم من الخطر والكرب:
﴿وَجَرِينَكُمْ يَمِيمٌ يَرْبِيعُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أُنجَيْنَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغِيكُمُ
عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

والدليل على أن الكلام عن الكفار، في قوله: ﴿وَجَرِينَكُمْ يَمِيمٌ يَرْبِيعُ طَيْبَةً﴾
قوله في آخر المشهد: ﴿فَلَمَّا أُنجَيْنَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾،
والمؤمنون لا يفعلون ذلك.

والوقف الآن أمام الجملة التي اعترض عليها الفادي: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي
الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ يَمِيمٌ يَرْبِيعُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١١.

الالتفاتُ فيها من المخاطب: ﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ إلى الغائب: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَقَرَحُوا بِهَا﴾.

واللطفُ في صياغة الآية أنَّ أوَّلَ جملتين فيها بصيغة الخطاب: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾، ولعلَّ الخطابَ فيهما دعوةُ السامعين إلى تصوُّر المشهد وتخيُّله واستحضاره، فإذا استحضروه وتخيَّلوه، جاء الكلامُ بصيغة الغائب؛ لأنَّ السامعين مُراقبون مُشاهدون، رُواة مُخبرون، وجاءتْ سِتُّ جُمَلٍ للرواية والإخبار: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَقَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. والمشهدُ المعروضُ يناسبه الإخبارُ بصيغة الغائب، وليس الخطابُ المباشرُ.

واللطفُ في الآية أيضاً أنَّ فِعْلَ الشرطِ جاءَ بصيغة الخطاب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾، وجوابَ الشرطِ جاءَ بصيغة الغائب: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

وهذا معناه أنَّ القرآنَ المعجزَ «يُنَوِّعُ» في أساليبِ تعبيره، و«يتفنَّنُ» في تصويره وتأثيره.

١٢٩

حكمة إفراد الضمير العائد على المثنى

اعترضَ الفادي على عودة ضميرٍ مفردٍ على اثنتين مذكورين قبَّله. قال: جاء في سورة التوبة: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، فلماذا لم يُشَنَّ الضميرَ العائدَ على الاثنتين، اسمَ الجلالةِ ورسوله، فيقول: «أَنْ يُرْضَوْهُمَا»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١١.

تَدُمُ الْآيَةَ الْمَنَاقِقِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى إِرْضَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَحْلِفُونَ لَهُمُ الْإِيمَانَ يَتَبَرَّؤُونَ فِيهَا مِنْ أَقْوَالِ قَالِوْهَا، وَهُمْ يَكْذِبُونَ فِي تِلْكَ الْإِيمَانِ، فَتَرْشُدُهُمُ الْآيَةُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ الْأَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى إِرْضَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

لفظُ الجلالةِ ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. و﴿رَسُولُهُ﴾ معطوفٌ عليه مرفوع. وأُفْعِلُ التفضيل: ﴿أَحَقُّ﴾ خبرٌ مرفوع. والمفضَّلُ عليه محذوف، والتقدير: منكم. أي: اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ مِنْكُمْ أَنْ يُرْضَوْهُمَا. والمصدرُ المؤوَّلُ من ﴿أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ بَدَلٍ مِنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ. والتقدير: إِرْضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَحَقُّ مِنْ إِرْضَائِكُمْ!.

وَيُحْطَى الْفَادِي الْآيَةَ لِأَنَّ الضميرَ المفردَ «الهاء» فِي «يُرْضَوْهُ» عَادَ عَلَى الْاِثْنَيْنِ: اللهُ وَرَسُولُهُ. وَالْأَوْلَى عِنْدَهُ أَنْ يَجِيءَ الضميرُ مثنى: «أَنْ يُرْضَوْهُمَا». أي: اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُمَا.

وكلامه مَرْدُودٌ، وَهُوَ دَلِيلٌ جَهْلُهُ بِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَسَالِيبِ الْبَيَانِ فِيهَا. فَالْهَاءُ فِي «يُرْضَوْهُ» لَا يَعُودُ عَلَى «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ» مَعًا، وَإِنَّمَا يَعُودُ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ ﴿اللَّهُ﴾ أَوَّلًا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْمَذْكُورَيْنِ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَى «رَسُولُهُ» بَعْدَ ذَلِكَ.. عَلَى أَنَّ الْعَطْفَ فِي «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ...» لَيْسَ مِنْ عَطْفِ الْكَلِمَاتِ، وَإِنَّمَا مِنْ عَطْفِ الْجُمْلِ! وَهَذَا هُوَ الْأَرْوَعُ وَالْأَبْلَغُ!.

إِنَّ جُمْلَةَ ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ جُمْلَتَانِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ، وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ. وَلِذَلِكَ عَبَّرَ بِالضَّمِيرِ الْمَفْرُودِ «يُرْضَوْهُ» لِيَعُودَ عَلَى كُلِّ جُمْلَةٍ عَلَى حِدَةٍ!!.

وَهُنَاكَ حِكْمَةٌ أُخْرَى لِلتَّعْبِيرِ بِالضَّمِيرِ الْمَفْرُودِ «يُرْضَوْهُ»، وَهِيَ الْإِشَارَةُ إِلَى التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ الْإِرْضَاءَيْنِ: إِرْضَاءِ اللَّهِ وَإِرْضَاءِ رَسُولِهِ! فَإِرْضَاءُ اللَّهِ هُوَ الْأَسَاسُ، وَإِرْضَاءُ الرَّسُولِ مُتَفَرِّعٌ عَنْهُ وَتَابِعٌ لَهُ.

وَمِنْ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ التَّعْبِيرُ بِالضَّمِيرِ الْمَثْنِيِّ، الْعَائِدِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لِأَنَّهُ

يَجْمَعُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ بِضَمِيرِ تَثْنِيَّةٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّقْدِيرُ: اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ، وَالرَّسُولُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ.

وَقَدْ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيباً يَقُولُ: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى!» فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَخَاطَبَهُ قَائِلاً: «بئسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ. وَيْحَكَ، أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟ قُلْ: وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى!!».

فَالرَّسُولُ ﷺ اعْتَرَضَ عَلَى الْخَطِيبِ عِنْدَمَا عَبَّرَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِضَمِيرِ التَّثْنِيَّةِ، وَدَعَاهُ إِلَى التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الظَّاهِرِ لِكُلِّ مِنْهُمَا. وَهَذَا مَعْنَى دَوْقِيٍّ تَوْحِيدِيٍّ، لَا يَعْرِفُهُ الْفَادِي، الَّذِي تَقَوْمُ عَقِيدَتُهُ عَلَى الْمَرْجُحِ بَيْنَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادِيَّةِ فِي مَبْدَأِ التَّثْلِيثِ، وَلِذَلِكَ دَعَا الْقُرْآنُ إِلَى التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ التَّثْنِيَّةِ الْجَامِعِ بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ!!.



كَمْ قَلْبًا لِلْإِنْسَانِ؟

اعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى آيَةِ جَمَعَتْ قَلْبِي امْرَأَتَيْنِ، وَعَنُونَ لَاعْتِرَاضِهِ بِقَوْلِهِ: «أَتَى بِاسْمِ جَمْعٍ بَدَلَ الْمَثْنِيِّ». وَمِمَّا جَاءَ فِي اعْتِرَاضِهِ قَوْلُهُ: «جَاءَ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ: ﴿إِنْ نُؤَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التَّحْرِيمِ: ٤] وَالْخَطَابُ (كَمَا يَقُولُ الْبِيضَاوِيُّ) مَوْجَّهٌ لِحَفْصَةَ وَعَائِشَةَ. فَلِمَاذَا لَمْ يَقُلْ: «صَغَا قَلْبَاكُمَا»، بَدَلَ ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ لِثَلَاثَتَيْنِ أَكْثَرُ مِنْ قَلْبَيْنِ؟»^(١).

تَتَحَدَّثُ الْآيَاتُ عَنِ مَشْكَلَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، هُنَّ: حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ وَزَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، حَيْثُ تَأَمَّرَتْ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ عَلَى زَيْنَبَ، وَأَشَاعَتَا حَدِيثًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَدَّاهُمَا اللَّهُ بِالْعِقَابِ، وَدَعَاهُمَا إِلَى الْمَسَارَعَةِ

(١) هل القرآن معصوم؟ ص ١١٢.

إلى التوبة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ الْأَتِئِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَديثًا فَلَمَّا نَبَّاتَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٤١﴾﴾ إن نُبُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿التحریم: ٣ - ٤﴾.

والذي أثار اعتراض الفادي إسناد القلوب للاثنتين: حفصة وعائشة رضي الله عنهما: ﴿إِنْ نُبُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. وإذا كان لكل واحدة قلب واحد، فكان المتوقع أن يُعبر بالمشنى، فيقول: فقد صغاً قلبكما! ولذلك خطأ الفادي القرآن؛ لأنه ذكر الجمع بدل المشنى!

وحكمة العدول عن المشنى إلى الجمع: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ هي الرغبة في التخفيف والتسهيل، وكراهة اجتماع مُشْنَيْنِ، فلو قال: «قلباكما» لاجتمع مُشْنَانِ: الاسم البارز «قلبا»، وضمير التثنية المضاف إليه «كما». والكلمة ثقيلة في النطق، وثقيلة على الأذن، فعدَل إلى الجَمْع ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ طلباً للخفة.

والقاعدة النحوية تُقرُّ أنه إذا أُضيف المشنى إلى المشنى، فإن المشنى الأول المضاف يصيرُ جمعاً للتخفيف: تقول: قلوبكما، بدل: قلبكما. وتقول: بيوتكما، بدل: بيتكما، وتقول: رؤوسكما، بدل: رأسكما!!.

ثم إنَّ المراد بالجمع ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ المشنى؛ لأنَّ صيغة الجمع قد تُطلق على الاثنين، لأنَّ أقلَّ الجمع اثنان!.

وعندما يقرأ القارئ قول الله: ﴿إِنْ نُبُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ علم أنَّ المراد قلبان وليس قلوباً؛ لأنَّ الخطاب لاثنتين، وبذلك أمِن اللبس. وهذه المعاني لا يعرفها الفادي الجاهل في اللغة، ولذلك اعترض على القرآن في استعماله الأفتح والأبلغ.



الفصل السادس

نقض المطاعن التشريعية

لماذا قطع يد السارق؟

أمر الله بقطع يد السارق والسارقة بشروطٍ خاصّة. قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقد اعترض الفادي على حُكم الله؛ لأنّه يُؤدّي إلى إصابة الإنسان بالإعاقة والبطالة، قال: «ونحنُ نَسأل: إذا كان القرآنُ وَضَعَ شريعةً قَطَعَ يَدَ السارقِ، خِلافًا لكلِّ الشرائعِ السماويةِ والوضعيةِ، ألا يسيءُ هذا إلى الإنسانية؟ ويجعلُ أصحابَ الأيديِ المقطوعةِ، حتى بعدَ توبتِهِم، عالةً على المجتمعِ، يعيشونَ فيه بمرارةٍ ناقمينَ عليه؟ إنَّ قَطَعَ يَدَ السارقِ يحرمُهُ من العملِ، وكسبِ رزقِهِ بعرقِ جبينِهِ.. وجاءَ في كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني أن قَطَعَ يَدَ السارقِ عقوبةٌ جاهلية، فلماذا شرَعَ محمدٌ عوائدَ الوثنيين الذميمةَ في دينه؟»^(١).

واعترض الفادي متهافتٌ مردودٌ عليه، وإنه يتطوَّعُ للدِّفاعِ عن السارقِ، الذي يظلمُ ويظغى، ويسرقُ ويتعدّى، ويأخذُ غيرَ حقِّه، ويتركُ المسروقينَ المظلومينَ، الذين ذهبتْ أموالُهُم، وضاعتْ جهودُهُم، وتلاشتْ أعمالُهُم!! إنهم قد عمِلوا واجتهدوا، وتعبوا وكدوا، حتى حصَلوا أموالُهُم، ثم جاءَهُم رجلٌ كسولٌ ظالمٌ، لا يملكُ إلّا العُدوانَ، فأخذَ ما تعبوا به، وتملَّكهُ في لحظة! فماذا يُقدِّمُ الفادي المعترضُ لهؤلاءِ؟.

وبماذا يُعاقبُ الفادي هذا السارقِ، الذي اعتدى على غيره، وأخذَ ما لا يحِلُّ له، وبذلك صارَ عالةً على العاملينِ المجتهدينَ، يأخذُ ثمرةَ كدِّهم. لقد

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٥.

اكتفى الفادي بتخطئة القرآن الذي أمر بقطع يده، ولم يذكر لنا العقوبة الإنسانية الرحيمة الرقيقة التي تتفق مع الرأفة والرقة، إلا إذا كان الفادي يرى أن لا يُعاقب السارق مطلقاً؛ لأنَّ عقابه لا يتفق مع إنسانية الإنسان، أمّا قيامه بالسرقة والاعتداء على الآخرين فلا شيء فيه!! .

إنَّ قَطَعَ يَدِ السَّارِقِ تَأْدِيبٌ لَهُ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي مَنَحَهُ الْيَدَ لِيَكْسَبَ بِهَا وَيَعْتَاشَ وَيُرْتَقِ، وَلَكِنَّهُ حَوَّلَهَا إِلَى أَدَاةٍ لِلْعُدْوَانِ، فَنَاسَبَ أَنْ تُقَطَعَ، وَأَنْ تُزَالَ الْقُوَّةُ الْبَاغِيَّةُ الَّتِي يَعْتَدُّ بِهَا، وَيَعْتَدِي بِهَا عَلَى الْآخِرِينَ، وَهُوَ الَّذِي أَسَاءَ لِنَفْسِهِ، وَوَلِيْدِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَطَّلَهَا عَنْ مَهْمَتِهَا الْإِيجَابِيَّةِ، وَحَوَّلَهَا إِلَى وَسِيلَةٍ تَخْرِيْبِيَّةِ، وَلِذَلِكَ أَدَّبَهُ اللَّهُ بِقَطْعِهَا.

وَإِنَّ قَطَعَ يَدِ السَّارِقِ لَيْسَ حُكْمًا بَشَرِيًّا قَابِلًا لِلخَطَأِ وَالصَّوَابِ، وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، وَإِنَّمَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلتَّنْفِيزِ، وَالَّذِي لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلَ، وَلَا يَعْتَرِيهِ الخَطَأُ، وَلَا يَقِفُ أَمَامَهُ اعْتِرَاضٌ أَوْ تَخْطِئَةٌ أَوْ اقْتِرَاحٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يُوقِنُ أَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الصَّوَابُ! وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ يَعْلَمُ مَا يُصْلِحُهُ فَأَمَرَ بِهِ، وَيَعْلَمُ مَا يُفْسِدُهُ فَنَهَى عَنْهُ! وَلَعَلَّهُ لِأَجْلِ هَذَا خُتِمَتْ آيَةُ الْأَمْرِ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وَنَقَوْلُ لِلْفَادِي الْجَاهِلِ: أَأَنْتَ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ؟! .

أَمَّا زَعْمُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ قَطَعَ يَدِ السَّارِقِ عُقُوبَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَإِحَالَتُهُ عَلَى كِتَابِ الشَّهْرِسْتَانِيِّ لِنُصَدِّقِهِ، فَهَذَا زَعْمٌ بَاطِلٌ، وَافْتِرَاءٌ مُرَدُّودٌ، فَلَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ الْجَاهِلِيُّونَ يُعَاقِبُونَ السَّارِقَ أَضْلًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقْطَعُوا يَدَهُ! وَلِأَنَّ الْفَادِي صَاحِبُ هَوَى، فَإِنَّهُ يَبْحَثُ فِي كِتَابِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْ قَوْلِ يُوَأْفِقُ هَوَاهُ وَكَذَّبَهُ، فَإِنْ وَجَدَهُ سَجَّلهُ وَفَرَّحَ بِهِ، كَمَا فَعَلَ مَعَ الْقَوْلِ الَّذِي نَسَبَهُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ، وَلَا يُهْمُهُ إِنْ كَانَ صَاحِبًا أَوْ بَاطِلًا! .

إِنَّ قَطَعَ يَدِ السَّارِقِ عُقُوبَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ، تَفَرَّدَ بِهَا الْإِسْلَامُ، فَلَمْ تَرِدْ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَبَادِئِ السَّمَاوِيَّةِ أَوْ الْأَرْضِيَّةِ، وَهِيَ حَقٌّ وَصَوَابٌ لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾!

اعترض الفادي على حُكْمِ شَرْعِيٍّ يَتَعَلَّقُ بِالطَّلَاقِ، فللرجل على امرأته أَنْ يُطَلِّقَهَا ثَلَاثَ طَلِّقَاتٍ، فَإِنْ طَلَّقَهَا الطَّلَاقَ الثَّلَاثَةَ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، وَلَا تَحِلُّ لَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ آخَرَ، وَيُطَلِّقَهَا إِنْ شَاءَ! وقد وردَ هذا الحُكْمُ صَرِيحاً فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وذكرَ الفادي خَبَرًا عَنِ الْبِيضَاوِيِّ يُعْتَبَرُ سَبَبًا فِي نَزْوِلِ الْآيَةِ، وقد وردَ هذا الخَبَرُ فِي الصَّحِيحَيْنِ. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَ رِفَاعَةُ الْقُرْظِيُّ امْرَأَةً، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَتْ آخَرَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَتْ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ! فَقَالَ ﷺ: «لَا، حَتَّىٰ تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكَ».

ومعنى الحديث أَنَّ رِفَاعَةَ الْقُرْظِيَّ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ، وبذلك حَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا آخَرَ - هو عبدُ الرحمن بنُ الزبيرِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ - وَكَانَ مُصَابًا بِالْعَجْزِ الْجِنْسِيِّ، وَذَكَرَهُ مُتْرَاحٌ كَقِطْعَةِ الْقِمَاشِ، فَلَمْ يُعَاشِرْهَا، فَأَرَادَتْ أَنْ تَعُودَ لَزَوْجِهَا الْأَوَّلِ، وَأَخْبَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَنَعَ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعَاشِرَهَا زَوْجُهَا الثَّانِي، وَعَبَّرَ عَنِ الْجَمَاعِ بِذُوقِ الْعُسَيْلَةِ. وَدَلَّ هَذَا عَلَى اشْتِرَاطِ جَمَاعِ الزَّوْجِ الثَّانِي لَهَا، حَتَّى تَعُودَ إِلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ: ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾.

واعترضَ الفادي على الحُكْمِ الَّذِي تُقَرَّرُهُ الْآيَةُ. قَالَ: «وَكثِيرًا مَا تَكُونُ امْرَأَةٌ، لَهَا زَوْجٌ عَظِيمٌ، وَأَوْلَادٌ وَبَنَاتٌ، هُم سَادَةٌ مَجْتَمِعُهُمْ، وَفِي حَالَةٍ غَضَبٍ يُطَلِّقُهَا زَوْجُهَا، ثُمَّ يَنْدُمُ عَلَى مَا فَعَلَ، فَإِذَا الشَّرْعُ الْقُرْآنِيُّ يُلْزِمُ هَذِهِ السَّيِّدَةَ أَنْ تُجَامَعَ غَيْرَ زَوْجِهَا قَبْلَ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٥.

إنَّ الفادي يَرَفُضُ الطَّلَاقَ وَيُحَارِبُهُ وَيُنْكِرُهُ، وَيُحَطِّئُ الْقُرْآنَ لِأَنَّهُ أَبَاحَهُ، وَهُوَ يَعتَبِرُ زَوَاجَ الْمَطلَّقةِ بِزَواجٍ آخَرَ جَريمَةً.

وانظر إلى عبارته البذيئة الوقحة، التي يعتبر فيها الزواج الثاني لها زنى، ويعتبر زوجها الثاني زانياً، وهي زانية، ويعتبر القرآن داعياً إلى الزنى! «فإذا الشرع القرآني يلزم هذه السيدة أن تُجامع غير زوجها قبل أن تعود إليه!».

الله يقول: ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، والنكاح هو عقد الزواج، وما يترتب عليه من جماع ومعاشرة زوجية، فلا بد لزوجها الثاني من أن يُجامعها حتى تعود لزوجها الأول، كما صرح الرسول ﷺ لامرأة رفاعة.

وحرف الفادي المحرف المجرم الجملة القرآنية إلى قوله: «يلزم القرآن هذه السيدة أن تُجامع غير زوجها!» فهو يعتبر إتيان الرجل الثاني لها مجرد جماع، والجماع بدون زواج هو الزنى بعينه!! فالقرآن في نظر الفادي الفاجر يدعو إلى الزنى والفجور!!.

والله حكيم في تشريعه الطلاق، وفي تحديد الأحكام المترتبة على كل طلاق، وحكمه صحيح وصواب في تحريم الزوجة على زوجها بعد الطلاق الثالثة، وبعدما تنتهي عدتها منه تكون هي بالخيار، فإن تقدم لها رجل آخر جاز أن تتزوج، ولا بد أن ينكحها ويعاشرها ويجامعها، وغالباً قد لا يطلقها، فإن بدا له أن يطلقها، فإنه يجوز أن يتزوجها زوجها الأول، بعد انقضاء عدتها من زواجها الثاني! وليس في هذه الأحكام القرآنية عيب أو ذم أو خطأ واعتراض!!.



حول شهادة المرأة وضربها وميراثها

اعترض الفادي على القرآن في حديثه عن المرأة، من حيث شهادتها وميراثها وإباحة ضربها، وجعل عنوان اعتراضه: «هضم حقوق المرأة في المعاملة الزوجية والشهادة والميراث».

قَالَ عَنْ إِبَاحَةِ ضَرْبِ الْمَرْأَةِ فِي الْقُرْآنِ: «جَاءَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. فلماذا يَقْنُنُ الْقُرْآنُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَضْرِبَ زَوْجَتَهُ؟»^(١).
يَرَفُضُ الْفَاقِدِيُّ إِبَاحَةَ ضَرْبِ الْمَرْأَةِ، وَيَعْتَبِرُ هَذَا الضَّرْبَ اعْتِدَاءً عَلَيْهَا، وَيَخْطِئُ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ!!.

إِنَّ الْآيَةَ تَحَدَّثُ عَنْ وَسَائِلَ نَاجِعَةٍ لِعِلَاجِ الْمَرْأَةِ، عِنْدَ ظَهْوَرِ بَدَايَاتِ النُّشُوزِ وَالتَّمَرُّدِ عِنْدَهَا، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحَلَ النُّشُوزُ عِنْدَهَا، وَتُعْلَنَ تَمَرُّدُهَا. وَهَذَا لَا يُصِيبُ كُلَّ الزَّوْجَاتِ، إِنَّمَا يُصِيبُ بَعْضَهُنَّ، وَمَعْظَمُ الزَّوْجَاتِ الْمُسْلِمَاتِ مَلْتَزِمَاتٌ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ، تَعْرِفُ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ وَاجِبَهَا فَتَوَدِّدُهُ، وَتَعْرِفُ حَقَّهَا عَلَى زَوْجِهَا فَتَأْخُذُهُ، فَالْآيَةُ لَا تَضَعُ تَشْرِيْعًا لِكُلِّ الزَّوْجَاتِ، وَإِنَّمَا لِلنِّسْبَةِ الْقَلِيلَةِ النَّاشِزَةِ مِنْهُنَّ!.

وَتُرْشِدُ الْآيَةُ زَوْجَ النَّاشِزِ إِلَى اتِّخَاذِ ثَلَاثِ خُطُوبٍ مُتَدَرِّجَةٍ، فَإِنْ تَمَّ الْعِلَاجُ فِي الْأُولَى فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِلَّا انْتَقَلَ لِلثَّانِيَةِ، وَالثَّلَاثَةُ آخِرُ الْخِيَارَاتِ: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾.

الخطوة الأولى: وَعَظُّ الزَّوْجَةِ، وَتَذْكِيرُهَا بِاللَّهِ، وَتَحْذِيرُهَا مِنْ عَاقِبَةِ نُشُوزِهَا.

الخطوة الثانية: هَجْرُهَا فِي الْمَضْجَعِ، بَأَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ مَعَاشِرَتِهَا.

الخطوة الثالثة: ضَرْبُهَا تَأْدِيبًا لَهَا، وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ بَعْضِ النِّسَاءِ انْحِرَافٌ نَفْسِيٌّ أَوْ سَلُوكِيٌّ، وَلَا يَقُومُ هَذَا الْانْحِرَافُ إِلَّا بِضَرْبِهَا ضَرْبًا خَفِيفًا، وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَ النِّسَاءَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِهِنَّ، فَشَرَعَ ضَرْبَهَا الْخَفِيفَ لِتَقْوِيمِ ذَلِكَ الْانْحِرَافِ.

وَعِنْدَ الْاضْطِرَارِ إِلَى اللُّجُوءِ إِلَى الْخُطُوبَةِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الزَّوْجَ إِلَى أَنْ يَكُونَ الضَّرْبُ خَفِيفًا غَيْرَ مُبْرَحٍّ، وَأَنْ لَا يَتْرَكَ آثَارًا عَلَى الْوَجْهِ أَوْ الْبَدَنِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٥.

وَأَنْ لَا يَكُونَ أَمَامَ الْآخَرِينَ، وَأَنْ لَا يَقْتَرْنَ بِالسَّبِّ وَالشَّتْمِ وَالذَّمِّ وَالتَّقْبِيحِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ دَائِمًا مُتَوَاصِلًا، وَإِنَّمَا فِي حَالَاتٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ نَادِرَةٍ!.

وقال الفادي في اعتراضه على حديث القرآن عن شهادة المرأة: «وجاء في سورة البقرة: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رِضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾» [البقرة: ٢٨٢].

فلماذا تكون شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، مع أنها في أحيان كثيرة قد تفوق رجلها في العقل والثقافة والشخصية^(١).

ليست الشهادة في الآية مُطلَقة، وإنما هي شهادة مُقيَّدة، متعلقة بموضوع الآية، وهو الكلام على «الدِّينِ» وكيفية كتابته وإقراره والشهادة عليه. ووجه القرآن المسلمين إلى الإشهاد على الدِّينِ بشاهدين رجلين، فإن لم يجدوا رجلين، فيمكن أن يستشهدوا برجل وامرأتين.

لماذا شهادة امرأتين مقابل الرجل؟ الجواب في الآية: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. أي أن المرأتين تتعاونان وتتكاملان في الشهادة، فإن ضلَّت إحدى المرأتين تفاصيل القضية المالية المرفوعة، ذكَّرتُها صاحبُتها بتلك التفاصيل، وكلُّ واحدة معرضة للضلال والنسيان، فتذكَّرها الأخرى بما نسيته!

ولا يعني شهادة المرأتين بشهادة رجل اثتمام المرأة في عقلها وشخصيتها، كما فهم الفادي خطأ، فللمرأة عقلها وتفكيرها وحفظها، وقد تفوق الرجل في ذلك!

إنَّ المسألة مالية، تتعلق بتفاصيل الدِّينِ وملابساته وكتابته وإجراءاته، وهذه أمور لا تعني النساء غالباً، ولا تلفت انتباههن، ولو اكتفي بشهادة امرأة

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٦.

واحدة في هذا الموضوع المالي فقد تنسى كثيراً من التفاصيل، وبذلك قد تُضَيِّعُ حَقَّ الرجل، ولذلك اشترط القرآن اجتماع امرأتين للشهادة، بحيث تُدَكَّرُ كُلُّ واحدةٍ الأخرى، وبذلك تُؤَدِّي الشهادةُ على وجهها، ولا تُضَيِّعُ الحقوق.

أما الرجالُ فَإِنَّ التفصيلاتِ الماليةَ تُعْنِيهِمْ غالباً؛ لأنها تَنفَقُ مع مهمتهم التي خَلَقَهُم اللهُ لها، ولذلك يَحْفَظُونَهَا وَيَعْرِضُونَهَا بِدَقَّةٍ!.

وقال الفادي في اعتراضه على القرآنِ بِشأنِ نصيبِ المرأةِ من الميراث: «وجاء في سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ [النساء: ١١] فلماذا يُعْطَى المرأةُ نَصِيبَ الرجل، مع أَنَّ الحياةَ تَقْسُو على المرأةِ أحياناً أكثرَ من قسوتها على الرجل؟ إِنَّ القسمةَ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ من أصلِ الجاهلية، جاء في كتابِ بلوغِ الأرب: وَأَوَّلُ مَنْ قَسَمَ للرجلِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ عامرُ بنُ جَهْمِ الجُهَنِيِّ».

الزعمُ بأنَّ إعطاءَ الرجلِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ تَشْرِيعُ جاهليٍّ زَعَمَ باطلٌ مردود، رَدَّدَهُ الفادي الجاهلُ، ونَسَبَهُ إلى كتابٍ غيرِ موثوقٍ! إِنَّهُ تَشْرِيعُ إسلاميٌّ قرآني، وَرَدَّ النَّصُّ عليه في القرآن.

وليس فيه هَضْمٌ لحقوقِ المرأةِ كما ادَّعى الفادي، وإنما هو يَنفَقُ مع طبيعةِ المرأةِ ومهمَّتها ووظيفتها في الحياة. فالإسلامُ قد كَرَّمَ المرأةَ وسانها واحترمها، وَمَنَحَهَا شخصيتها الماليةَ المستقلة، وأبَاحَ لها جمعَ الأموالِ وتملُّكها، في الوقتِ الذي لم يوجِبْ عليها إنفاقَ شيءٍ من أموالها على الأسرة.

جعلَ الإسلامُ الإنفاقَ على الرجلِ في البيت، سواء كان أباً أو زوجاً أو أختاً أو ابناً، ولو كانت النساءُ في البيتِ يمتلكنَ الأموالَ فَإِنَّهُ لا يَجِبُ عليهنَّ إنفاقُ شيءٍ من أموالهن، وعلى الرجلِ أَنْ يُرَتِّبَ أمرَهُ ويُنفِقَ ولو بالاستدانة.

ولذلك ناسبَ أَنْ يُعْطَى الرجلُ المأمورُ بالإنفاقِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ، اللَّتَيْنِ لا يَجِبُ عليهما إنفاقُ شيءٍ. وسبحان الله الحكيم في خَلْقِهِ وفعلِهِ وتشريعِهِ!.

حول تعدد الزوجات

اعترض الفادي المفتري على القرآن لإباحته تعدد الزوجات. وقال في اعتراضه: «جاء في سورة النساء: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنَّ خِفْتُمْ آلاَ تَعْلَمُوا فَوَاحِشَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقد فسّر البيضاوي: ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بالسّراري. ونحن نسأل: أليس تعدد الزوجات والتسري مخالفاً لسنة الله منذ بدء الخليقة؟ خلق الله حواء واحدة لآدم واحد. . . ونحن نكرم الرجولة باحترام الأمهات والأخوات والبنات والزوجات، ومن يفسد البيت يفسد الإنسانية، وفي تعدد الزوجات إفساد لأخلاق الرجل بالمظالم، وتأخير لنجاح الأولاد، وإهانة للزوجات، وتدمير للتقدم الاجتماعي والسلامة القومية^(١).

تعدّد الزوجات في نظر الفادي المفتري جريمة عظيمة، ومفاسدُها وأخطارها عديدة، فهو مُخالفٌ للفطرة والسنة الإلهية، لأنَّ الله خلق لكلِّ رجلٍ امرأةً واحدة، فإذا أخذ الرجل امرأتين أو أكثر كان مُتعدِّياً على حقِّ غيره، وتعدّد الزوجات إهانةٌ للمرأة، وإفسادٌ للأخلاق ولالأولاد وللبيوت، ونشرٌ للظلم، وتدميرٌ للمجتمع والإنسانية! يا لطيف! أكلُّ هذه الجرائم والمفاسدِ ناتجةٌ عن تعدّد الزوجات؟!.

إنَّ تعدّد الزوجات مُباحٌ في الإسلام، وليس واجباً على كُلِّ رجلٍ متزوج، والواقع العملي أنَّ معظم المتزوجين لا يأخذون بهذه الرخصة، وأنَّ الذين يُعدّدون الزوجات أعدادٌ قليلةٌ جداً.

ثم إنَّ الإسلام عندما أباح تعدّد الزوجات اشترط على الرجل العدلَ والمساواة بين الزوجات، وحرّم عليه أن يميل لامرأة على حساب الأخرى،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٦.

كما اشترط عليه القدرة المالية والجسدية والجنسية على التعدد، فإن لم تتحقق تلك الشروط كان التعدد حراماً.

وإن تعدد الزوجات حلّ لمشكلاتٍ عديدةٍ عند الرجل والمرأة والبيت والمجتمع، ولا يكون الحلُّ بغيره، وإن الله الذي أباح تعدد الزوجات وأذن به يعلم حاجة الرجال إليه أحياناً، ولكنه لم يجعله مفتوحاً، وإنما وضع له الشروط، كي لا يتحوّل إلى مفسدة!.

ولا أدري لماذا يشنّ النصارى والغريون عموماً على تعدد الزوجات هذه الحرب الشرسة، ويشيرون حوله الشبهات والاتهامات، وماذا يصيرهم لو عدّد بعض الرجال زوجاتهم، إذا كانت مشكلاتهم ومشكلات النساء العوانس لا تحلُّ إلا بالتعدّد!!.

ولماذا يحاربون تعدد الزوجات، وقد كان التعدد منتشرًا بين الناس، من قديم الزمان. وقد ذكر العهد القديم - الذي يعتبره النصارى جزءاً من دينهم - أمثلةً عديدةً لأنبياء عدّدوا الزوجات، وفي مقدمتهم داود وسليمان عليهما السلام! فهل كان النبيان داود وسليمان مخطئين عندما عدّدوا الزوجات؟ أم أنّهما لم يعدّدا؟ وهل يمكن للفادي أن يكذب العهد القديم ويبقى مؤمناً؟!

وإذا كان النصارى الغريون لا يعدّدون الزوجات، ويعتبرونه جريمةً ومفسدةً ودماراً، فإنهم يمارسون فاحشة الزنى مع العشيقات والخليلات، يُخالل الرجلُ منهم في الوقت الواحد أكثر من عشيقة، ويُعيّر ويُبدّل في عشيقاته كما يشاء، ولو عدّ الرجلُ الغربيّ النساء العشيقات اللواتي زنى بهنّ فقد يصل العدّد إلى مئة عشيقة أو أكثر! وقُلْ مثل هذا في عُشاق المرأة، الذين تُعاشِرهم وترتكب معهم الفاحشة، فقد يزيد عدد الرجال الذين زنوا بها عن مئة!.

فالذين يرفعون أصواتهم في الاعتراض على تعدد الزوجات، وتخطئة القرآن الذي أباحه، يمارسون تعدد العشيقات الزانيات، وتحدّث عن امتهان المرأة العشيقة واحتقارها، وتحدّث عن المفساد والمصائب والخسائر، التي

تَنْتَجُ عن تَعَدُّدِ العَشِيقَاتِ! ولا مُقَارَنَةً بين عِظْمَةِ القُرْآنِ عندما حَدَّدَ العَدَدَ الأَقْصَى بأَرْبَعِ زَوَاجَاتٍ عَفِيفَاتٍ، وَبَيْنَ الإِبَاحِيَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي لا تَجْعَلُ قَيْدًا عَلَى عَدَدِ العَشِيقَاتِ الزَانِيَاتِ!!.



هل الطلاق خطأ؟

حَطَّأ الفادي القرآن في إباحته الطَّلَاق. قال: «جاء في سورة البقرة: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. أباَحَ القرآنُ للرجلِ بإِرادَتِهِ المنفردة، بدونِ رجوعٍ لأَحَدٍ في ما يُريد، أَنْ يَهْدِمَ أُسْرَتَهُ، وَيُقَوِّضَ أركانها، وَيُسْتَتِها، فيوقِعُ يَمِينِ الطَّلَاقِ على زَوْجَتِهِ، ومن المَبْكِياتِ أَنْ نَرى الرجلَ المسلمَ إِذا تَشَاجَرَ خارجَ البَيْتِ وحَلَفَ اليمِينِ ثلاثاً يَطْرُدُ زَوْجَتَهُ الآمَنَةَ من بَيْتِها، لا لسببٍ إِلاَّ لِأَنَّهُ حَلَفَ في مِشَاجِرَةٍ لا نَاقَةَ لِلمرأَةِ فيها ولا جَمَلٍ! ثم يَقولون: «إِنَّ أَبْغَضَ الحَلائِلِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ!» فكيف يُحَلِّلُ اللَّهُ شَيْئاً يَكْرَهُهُ؟ أليسَ الأَصْحَحُ أَنْ ما يَكْرَهُهُ يُحَرِّمُهُ؟»^(١).

يَمْنَعُ النصارى الطَّلَاقَ، ولا يوقعونَهُ إِلاَّ في حالاتٍ خاصَّةٍ نادرةٍ جداً، تُضَبِّطُ فيها الزوجةُ متلبَّسَةً بالزنى، وإِذا لم يَكُنْ تَفاهُماً بينَ الزَّوْجَيْنِ عِنْدَهُم، فَإِنَّ كَلاًَّ مِنْهُما يَذْهَبُ في حالِ سَبيلِهِ، يَبْحَثُ الرجلُ عن عَشِيقَاتِهِ يَزْنِي بِهِنَّ، وَتَبْحَثُ هِيَ عن عُشَاقِها يَزْنونَ بها! ومعَ ذلكَ يَبْقَى الزَّوْجَانِ أَمامَ الناسِ زَوْجَيْنِ، يَرِبطُهُما رِباطُ الزَّواجِ المَقَدَّسِ! لِأَنَّ المَهَمَّ عِنْدَهُم هو المَحافِظَةُ على المِظَاهِرِ الاجْتِماعِيَّةِ!!.

ولذلكَ يُحارِبونَ الإسلامَ الذي أباَحَ الطَّلَاقَ، وَيُحَطِّطونَ القرآنَ الذي ضَبَطَهُ ونَظَّمَهُ، وَيَعْتَبرونَ الطَّلَاقَ عدواناً على المرأةِ وظُلماً لها.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٦ - ١١٧.

وإنَّ اللهَ حَكِيمٌ، وهو يَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ الأزواجِ قد لا يكونُ بينهمُ أُلْفَةٌ وائتلافٌ، وقد لا يَكْتَشِفُونَ هذا إِلَّا بَعْدَ الزَّواجِ، وقد تَقَعُ الخِلافاتُ بَينَ الزَّواجينَ، ولا تَنْفَعُ مَعها كُلُّ مَحاولاتِ الإِصلاحِ! فما هو الحَلُّ؟ هل الحَلُّ أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ مَنهُما إلى حَالي سَبيلِهِ يَبْحُثُ عَن قِضاءِ شَهوَتِهِ عَن طَريقِ فاحِشَةٍ الزَّنى؟ وهل الحَلُّ أَنْ يَتحوَّلَ بَيتُ الزَّواجيةِ إلى سَجِنٍ لهُما، يَقْضيانِ فِيهِ عِقوبَةَ السَّجِنِ المؤدِّدِ إلى أَنْ يَموتَ أَحَدُهُما فَيَسْتريحَ الآخَرُ؟.

الحَلُّ الصَّحيحُ هو أَنْ يَفْتَرِقا بِإِحسانٍ، كما اجْتَمَعَا بِإِحسانٍ، أي أَنْ يُطَلِّقَ الرَّجُلُ امرَأَتَهُ، وَسوفَ يُعَوِّضُهُ اللهُ خَيراً مَنها يَتَّفِقُ مَعها، وَيُعَوِّضُها اللهُ خَيراً مَنه تَتَّفِقُ مَعه.

وقد ذَكَرَ الفادِي جَمَلَةً شائِعَةً تَترَدُّ عَلى ألسِنَةِ النَّاسِ، لَكِنها جَمَلَةٌ خاطِئَةٌ، وهي: «إِنَّ أَبْغَضَ الحَلالِ إلى اللهِ الطَّلاقُ!». وهي خاطِئَةٌ لأنَّ اللهُ لا يُحَلِّلُ شَيْئاً ثُمَّ يُبْغِضُهُ وَيَكْرَهُهُ، وَإِذا كانَ يَكْرَهُهُ فلماذا أَباحَهُ؟!

اللهُ أَباحَ الطَّلاقَ، وجَعَلَهُ حَلاً لِمَشْكلاتِ بَينَ الزَّواجينَ، لا تُحَلُّ إِلَّا بِهِ، وبهذا يكونُ الطَّلاقُ آخَرَ العِلاجِ، وقد يكونُ آخَرَ العِلاجِ الكَيِّ بالنَّارِ!.

ولا نُنْكِرُ أَنَّ كَثيراً مِنَ الرِّجالِ يَتَعَسَّفُونَ فِي الطَّلاقِ، وَيُسيئونَ اسْتِخدامَهُ، فَيُطَلِّقُونَ لِأَتْفِهِ الأَسبابِ، وبذلكَ يَظْلِمُونَ الزَّواجاتِ، وَلَكِنَّ الحَطَّأَ يَبْقَى مَحْصوراً فِيهِم، ولا يَلامُ القِراءُ عَلى إِباحتِهِ إِذا أَساءَ الرِّجالُ اسْتِخدامَهُ، والحَلُّ هو أَنْ يُعَلِّمَ وَيُرَبِّي وَيُؤدِّبَ هؤُلاءِ، بَدَلُ أَنْ يُتَّهَمَ الإِسلامُ بِسَببِ الطَّلاقِ!.



حول جلد الزاني والزانية

اعتَرَضَ الفادِي عَلى حَدِّ الزَّنى المَذْكورِ فِي القِراءِ. قال: «جاءَ فِي سورَةِ النُّورِ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنَّ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذابُهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: ٢]،

ونحنُ نسأل: هل إيقاعُ هذه العقوبةِ البدنيةِ علناً يُصلِحُ المخطئَ ويُطَهِّرُ قلبه. ثم أوردَ قصةَ المسيح ﷺ عندما رُفِعَتْ له قضيةُ امرأةٍ زانية، فطلبَ منه اليهودُ أن يَرجمَها بالحجارة؛ لأنَّ عقوبةَ الزنى في شريعةِ موسى ﷺ هي الرجم، فقالَ لهم عيسى: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا بِحَجَرٍ. . فانسحبوا من حولها، فعفا المسيحُ عنها، ونصَحَها أنْ تتوقَّفَ عن الزنى^(١).

أيُّ أنَّ الفادي يَرى أن لا يُعاقَبَ الزاني والزانيةُ بأيةِ عقوبة، سواء كانت العقوبةُ رَجْماً أو جَلْداً أو غيرَ ذلك!

أليست العقوبةُ للردعِ والتأديبِ والتربية؟ الفادي يَنفي ذلك، ويكتفي بالنصحِ والوعظِ والتذكيرِ، بأن يُقالَ للزاني: لا تَزُنْ، ويُقالَ للزانية: لا تَزْنِي! وكأنَّ هذا كافٍ للقضاءِ على انتشارِ الزنى في المجتمعات!

اللهُ الحكيمُ شرعَ عقوبةَ الزنى، ليرتدعَ الزناة، لا سيَّما إذا تمَّ إيقاعُ العقوبةِ على مشهَدٍ من الناس! بحيثُ يُجلدُ كُلُّ من الزاني والزانيةِ مئةَ جلدة: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد رَدَّت الآيةُ على اعتراضاتِ الفادي وأمثاله، الذين قد يتهمون العقوبةَ بالشدَّةِ والعنفِ، ويدَّعونَ الرحمةَ والرأفةَ. فقالت: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾. أي: لا تدَّعوا الرأفةَ بالزاني والزانية، فحمايةُ المجتمع من فاحشةِ الزنى وآثارها المدمرةِ أولى من الرأفةِ بالذين يرتكبونها، وعليكم أن تُطبَّقوا عليهم حكمَ الله؛ لأنَّ الحكمةَ والمصلحةَ مرتبطةٌ بحكمِ الله.



حول إباحتِ التسري

اعتراضَ الفادي على إباحتِ التَّسْرِي في القرآن. قال: «جاءَ في سورةِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٧.

النساء: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]، وجاء في سورة الأحزاب: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّ لَنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ عَائِتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ونحن نسأل: هل هذا لكرامة النبي والمسلمين؟ وهل هذا لكرامة الزوجات والبنات والأولاد؟ وهل هذا لتقدم الأسرة والأمة والمجتمع؟! (١).

التَّسْرِي هو الاستمتاع بالجارية الرقيقة التي هي «مِلْكُ اليمين»! ويَعْتَبَرُ الفادي هذا التَّسْرِي إِذْلاً لَ لِلْمَرْأَةِ، وَلَا يَتَّفِقُ مَعَ كِرَامَتِهَا وَكِرَامَةِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ!

والتَّسْرِي بالجوارِي مرتبٌ بنظام الرِّقِّ، الذي كان نظاماً سائداً في العالم القديم، فالإسلام لم يَصْنَعْهُ، وَإِنَّمَا وَجَدَهُ نِظَاماً عَالَمِيّاً، فَعَمِلَ الْإِسْلَامُ عَلَى ضَبْطِهِ وَتَنْظِيمِهِ وَتَوْجِيهِهِ، كَمَا عَمِلَ عَلَى التَّقْلِيلِ مِنْهُ وَتَجْفِيفِهِ، تَمْهيداً لِلتَّخْلُصِ مِنْهُ! وَلِذَلِكَ لَا يُلَامُ الْإِسْلَامُ لَضَبْطِ وَتَنْظِيمِ الرِّقِّ، إِنَّمَا يُمَدَّحُ وَيُسْتَبَدَّ عَلَيْهِ لِهَذَا الضَّبْطِ وَالتَّنْظِيمِ!

المصدرُ الوحيدُ المعترفُ به في الإسلام للاسترقاق هو الكفارُ المقاتلون للمسلمين من الرجال والنساء، فإذا انهزم الكفارُ في الحربِ فقد يَقَعُ بَعْضُ رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ الْمُقَاتِلِينَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَيَكُونُونَ عَبِيداً وَأَرْقَاءً، سِوَاءَ كَانُوا رِجَالاً أَوْ نِسَاءً!

كَيْفَ يَكُونُ وَضْعُ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟ هَلْ يُتْرَكُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، لِيُنْشَرُوا الْمَفَاسِدَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟ الْحَلُّ هُوَ أَنْ «يُوزَّعُوا» عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لِيَكُونُوا عَبِيداً لَهُمْ، تُؤَمَّنُ لَهُمْ حَاجَاتُهُمْ! وَبِذَلِكَ تَكُونُ السَّبَابِيَا الْمُقَاتِلَاتُ الْكَافِرَاتُ فِي بِيوتِ الْمُسْلِمِينَ، وَتُصْبِحُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ أُمَّةً جَارِيَةً فِي بَيْتِ سَيِّدِهَا، يَتَكَفَّلُ سَيِّدُهَا بِكُلِّ حَاجَاتِهَا. وَمِنْ ذَلِكَ حَاجَتُهَا الْجِنْسِيَّةُ، حَيْثُ يَتَسَرَّى بِهَا وَيُعَاشِرُهَا وَتَكُونُ «مِلْكُ يَمِينِهِ»، فَإِنْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٧ - ١١٨.

يُعْتَقَهَا وَيُحَرِّرَهَا، لِأَنَّهَا أُمٌّ وَلَدِهِ! هل هذا إِذْلَالٌ لَهَا وَإِيسَادٌ لِلْمَجْتَمَعِ؟ كما يقولُ الفادي المفتري! .

ما هو الحَلُّ عند الفادي وأمثاله، الذين يُحَارِبُونَ التَّسْرِيَّ والاستمتاعَ بالجاريةِ مَلِكِ اليمِينِ؟ نساءُ كافراتٍ مُقاتِلاتٍ انهزَمْنَ في المعركةِ وأُلْقِيَ القَبْضُ عليهنَّ؟ وبعدَ كُلِّ معركةٍ تُؤَخِّدُ عَشْرَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، بِحَيْثُ يَصِلُ عَدَدُهُنَّ إِلَى أَلْفٍ! .

ماذا يُفَعَلُ بِهِنَّ؟ هل يُتْرَكْنَ فِي مُدُنِ الْمُسْلِمِينَ، يَتَحَوَّلْنَ وَيَعِشْنَ حَيَاتَهُنَّ كما يُرَدْنَ؟ وَمَنْ الْمَسْئُولُ عَنْهُنَّ؟ وَمَنْ الْمَتَكْفِّلُ بِهِنَّ؟ وَمَنْ الَّذِي يُرَاقِبُهُنَّ؟ أَلَا يَتَحَوَّلْنَ إِلَى مُحَرِّبَاتٍ فَاسِدَاتٍ مُفْسِدَاتٍ؟ أَلَا يُتَاجِرْنَ بِأَعْرَاضِهِنَّ لِإِغْوَاءِ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ؟ أَلَا يَنْشُرْنَ الْفَاحِشَةَ وَالرَّذِيلَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟ وَمَنْ هُوَ الْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ الَّذِي يَرْضَى بِهَذَا؟ .

لقد ضَبَطَ الْإِسْلَامُ حَيَاتَهُنَّ، بِأَنْ أُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدَةٍ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ، فَصَارَ مَسْئُولاً عَنْهَا، وَمَتَكْفِلاً بِحَاجَاتِهَا، وَمِنْهَا الْحَاجَةُ الْجِنْسِيَّةُ، وَدَعَاهُ إِلَى عِتْقِ مَا فِي مُلْكِ يَمِينِهِ مِنْ هَوْلَاءِ النِّسَاءِ بِمُخْتَلَفِ الْأَسْبَابِ وَالصُّورِ! هَذَا هُوَ الْحَلُّ الصَّوَابُ وَالتَّصَرُّفُ السَّلِيمُ، وَهُوَ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.



الحجاب الحافظ للمرأة

اعترضَ الفادي على القرآنِ في دعوتهِ المسلماتِ إِلَى الْحِجَابِ لِیَحْفَظْنَ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ الْخَطَرِ.

قال: «جاء في سورة النور: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ خِطْمَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وجاء في سورة الأحزاب: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَازِجَةً وَبَنَانِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أدْفَعُ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] . . ونحنُ

نَسألُ: هل يمنعُ حجابُ المرأةِ عَيْنَ الرجلِ الشَّريرِ مِنْ أَنْ تَشْتَهِيَ؟ إِنَّ عَيْنَ الشَّريرِ تَرى بَعينِ الخَيالِ!.

ولقد تَحَدَّثَ الإنجيلُ عن الولادةِ الجديدةِ وتغييرِ القلبِ بعَمَلِ الروحِ القدسِ، الذي نَتيجَتُهُ: أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإنسانِ العَتيقِ الفاسدِ بحَسَبِ شَهَوَاتِ الغُرورِ، وتَتَجَدَّدُوا بِروحِ ذَهْنِكُمْ، وتَلْبَسُوا الإنسانَ الجديدِ، المخلوقَ بحَسَبِ اللهِ، في البرِّ وَقَداسَةِ الحَقِّ^(١).

الحجابُ مُحافِظَةٌ على المرأةِ المسلمةِ، وتكريمٌ لها، وبه تَسْتُرُ المرأةُ عورتَها، ولا تَفْتَنُ بها الآخَرينَ. ولكنَّ الفادي يُنكرُ على القرآنِ دعوتهِ المرأةَ المسلمةِ إلى التَّحجُّبِ والتَّعَفُّفِ والتَّسْتُرِ والتَّطَهُّرِ، ويرى أَنه لا داعيَ ولا حاجةَ له! لماذا؟ لأنَّ هذا الحجابَ لا يَمْنَعُ عَيْنَ الرجلِ الشَّريرِ مِنْ أَنْ تَشْتَهِيَ المرأةَ المتحجَّبةَ؛ لأنَّ عَيْنَ الشَّريرِ تَرى بَعينِ الخَيالِ! أَيُّ أَنَّ الرجلَ الشَّريرَ يَنْظُرُ للمرأةِ المحجَّبةِ، وَيَشْتَهِيها، ويتخيَّلُها بخياله عارية!!.

الحلُّ عندَ الفادي أَنْ لا تَتَحجَّبَ المرأةُ، وَأَنْ لا تَسْتُرَ فتنَتَها وزينَتَها عن الرجلِ الشَّريرِ، وإنما الحلُّ في تربيةِ الرجلِ، وإزالةِ الشَّرِّ مِنْ قَلْبِهِ، وإِماتَةِ الشَّهَوَاتِ مِنْ نَفْسِهِ، وملءِ قَلْبِهِ بالبرِّ والحَقِّ، ولذلك نَقَلَ نَصًّا مِنَ الإنجيلِ يَدْعُو فيه إلى ميلادٍ جديدٍ للإنسانِ، وتغييرِ قَلْبِهِ وكَيانِهِ ليتحوَّلَ مِنَ الشَّهَوَاتِ إلى الحَقِّ!.

والإسلامُ الذي يَدْعُو المرأةَ المسلمةَ إلى السُّتْرِ والتَّحجُّبِ، يَعْلَمُ أهميةَ الحجابِ في المحافظةِ على المرأةِ، وفي نَشْرِ العِفافِ والفضيلةِ في المجتمعِ. وهو في نفسِ الوقتِ الذي يَدْعُوها للحجابِ يَلْتَفِتُ إلى الرجلِ، ويَدْعُوهُ إلى التَّعَفُّفِ والتَّطَهُّرِ، وعدمِ الاستعبادِ للشَّهَوَاتِ، وعدمِ ارتكابِ المحرِّماتِ. ولذلك أَمَرَ الرجالَ بَعْضُ البصِرِ وحفظِ الفرجِ قبلَ أَمْرِ النساءِ بذلكِ. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٨ - ١١٩.

وَإِذَا نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ نَظْرَةً خَلْسَةً فَعِيْنُهُ خَائِنَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ خِيَانَتَهَا.
 قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].
 إِنَّ التَّرْبِيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ مُتَكَامِلَةٌ مُتَنَاسِقَةٌ، فَالْقُرْآنُ يُرَبِّي كِلَا مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ،
 وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمَا، وَيَرْتَقِي بِهِمَا إِلَى عَالَمِ التَّسَامِيِّ وَالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ.



هل شعائر الحج من الوثنية؟

أَدْعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ بَعْضَ شَعَائِرِ الْحَجِّ أَخَذَتْ مِنَ الْوثنِيَّةِ، مِثْلُ
 السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

قَالَ: «جَاءَ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ
 الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا...﴾ [البقرة: ١٥٨]». قَالَ
 الْبِيضَاوِيُّ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾: هُمَا عَلَمَا جَبَلَيْنِ بِمَكَّةَ. ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: مِنْ
 أَعْلَامِ مَنَاسِكِهِ، جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ. ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾:
 الْحَجُّ لُغَةً: الْقَصْدُ، وَالْإِعْتِمَارُ: الزِّيَارَةُ، فَعَلَبَا شَرْعًا عَلَى قَصْدِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ
 وَزِيَارَتِهِ، عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْمَخْصُوصَيْنِ. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾:
 كَانَ إِسَافٌ عَلَى الصَّفَا، وَنَائِلَةٌ عَلَى الْمَرْوَةِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَعَوْا
 مَسْحُوهُمَا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ، تَحَرَّجَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَطُوفُوا
 بَيْنَهُمَا لِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ، وَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فِي الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ!

«وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يَجْعَلُ الْقُرْآنُ الشَعَائِرَ الْوثنِيَّةَ شَعَائِرَ اللَّهِ؟ وَهَلْ كَانَ
 الْوثنِيُّونَ مُلْهِمِينَ فِيهَا مِنَ اللَّهِ؟»^(١).

إِنَّ تَسْأُولَ الْفَادِي خَبِيثٌ، وَهُوَ يَهْدِفُ إِلَى التَّشْكِيكِ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ،
 وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهَا، وَنَفْيِ أَنَّ تَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(١) هل القرآن معصوم، ص ١١٩.

كَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَحْجُّونَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَيَسْعُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرَّةِ، وَيَقِفُونَ بَعْرَفَاتٍ، وَيُقِيمُونَ فِي مَنَى. وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَجِّ، وَاعْتَبَرَهُ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

وَمِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرَّةِ، بِنَصِّ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَبِفِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. صَحِيحٌ أَنَّ الْعَرَبَ الْجَاهِلِيِّينَ الْوَثْنِيِّينَ كَانُوا يَسْعُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرَّةِ، لَكِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَأْخُذْ تَشْرِيْعَهُ عَنْهُمْ، كَمَا يَزْعُمُ الْفَادِي الْمَفْتَرِي، فَلَيْسَ فِي مَنْاسِكِ الْحَجِّ شَيْءٌ مِنْ شَعَائِرِ الْجَاهِلِيَّةِ.

إِنَّ الْحَجَّ مَرْتَبُطٌ بِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﷺ، فَهُمَا اللَّذَانِ بَنَى الْبَيْتَ الْحَرَامَ، أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَلَمَّا فَرَّغَا مِنْ بِنَائِهِ أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَفَعَلَ، وَحَجَّهُ أَوَّلَ فَوْجٍ مِنَ الْحُجَّاجِ زَمَنَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧].

وَاسْتَمَرَ النَّاسُ يَحْجُّونَ، مِنْذُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، يَتَوَارَثُونَ الْحَجَّ مِنْذُ ذَلِكَ التَّارِيخِ، لَكِنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَ فِيهِ كَثِيرًا مِنْ مَظَاهِرِ الشَّرْكِ وَالْمُخَالَفَاتِ. فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ طَهَّرَ الْحَجَّ مِنْ مِمَارَسَاتِ الْجَاهِلِيِّينَ الْبَاطِلَةِ، وَأَعَادَ لَهُ صِلَتَهُ الْإِيمَانِيَّةَ بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَأَعْطَاهُ طَابِعَهُ الْإِيمَانِيَّ، وَجَعَلَهُ عِبَادَةً خَالِصَةً لِلَّهِ ﷻ. وَبِذَلِكَ صَارَتْ شَعَائِرُ الْحَجِّ إِسْلَامِيَّةً رَبَّانِيَّةً، وَلَيْسَتْ وَثْنِيَّةً جَاهِلِيَّةً!

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى الْحَوَارُ الَّذِي دَارَ بَيْنَ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ وَخَالَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ: أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾. فَمَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا! فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ لَكَانَتْ: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا». إِنَّمَا أُنزِلَتْ

هذه الآية في الأنصار، كانوا يُهلّون لمناة، وكانت مناةً حذو قُدَيْد، وكانوا يتحرّجون أن يطوّفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله الآية...

تُصَحِّحُ عائشة رضي الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير معنى الآية، فقد فهم عروة من الآية أنها تُبيح للحاج أو المعتمرِ عَدَمَ الطَّوْفِ بهما، فبيّنت له أن الآية توجب عليه الطواف بهما، وأنه لو كان معناها كما فهم عروة لقلت: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما».

ثم ذكرت عائشة رضي الله عنها مناسبة نزول الآية، وأشارت إلى بعض ممارسات العرب الجاهليين في الحج، فكان العرب من أهل المدينة لا يطوفون بين الصفا والمروة، فلما أسلموا ورأوا المسلمين من المهاجرين يفعلون ذلك سألوا الرسول ﷺ، فأنزل الله الآية يأمر المسلمين أن يسعوا بين الصفا والمروة، ويُزيل التحرج الذي كان عليه أهل المدينة قبل الإسلام: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾.

وبهذا نعرف افتراء الفادي المفتري عندما جعل السعي بين الصفا والمروة شعيرةً وثنيةً جاهلية! فهو تشريع قرآني، وأمر رباني، وعبادة خالصة لله!

١٤٠

حول إباحة التجارة في موسم الحج

اعترض الفادي على ورود آية قرآنية تُبيح التجارة في موسم الحج؛ لأن الأمر سهل لا يستدعي نص القرآن عليه!

قال: «جاء في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]. كان العرب في الجاهلية يتجرون في أسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز، وكان لهم مواسم، فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين

يوماً من ذي القعدة، ثم يَنْتَقِلُونَ إِلَى مَجَنَّةَ، وهي عند عَرَفَةَ، فيُقيمُونَ بها ثمانيةَ عَشَرَ يوماً، عشرةُ أيامٍ من آخِرِ ذي القعدة، وثمانيةُ أيامٍ من أولِ ذي الحجة، ثم يَخْرُجُونَ إِلَى عَرَفَةَ.

فلما كانَ الإسلام، فكأنهم تَأَثَّمُوا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي المَوسِمِ، فَأَجَازَ لَهُمُ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ.

وعن أبي ماجه [الصحيح: أبي أميمة] التيمي قال: كُنْتُ رَجُلًا أُكْرَى فِي هَذَا الوَجْهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ لِي: إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ حَجٌّ، فَلَقِيتُ ابْنَ عُمَرَ وَسَأَلْتُهُ عَنِ ذَلِكَ، قَالَ: إِنَّ لَكَ حَجًّا. وجاء رجلٌ إلى محمد، فسأله عن ذلك، فلم يُجِبْهُ، وأخيراً قال بالجواز... ونحنُ نَسْأَلُ: هل كَانَ فِي الأَمْرِ شَيْءٌ جَدِيدٌ يَحْتَاجُ إِلَى وَحْيٍ؟ أليسَ إِبَاحَةُ مُحَمَّدٍ لِلتَّجَارَةِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ شَيْئًا عَادِيًّا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَصَالِحِ العَرَبِ الدُّنْيَوِيَّةِ؟^(١)

الروايةُ الصَّحِيحَةُ فِي نزولِ الآيَةِ لَيْسَتْ هَكَذَا، فَالفَادي يَأْخُذُ الرِّوَايَةَ مِنْ مَصادرٍ غَيْرِ موثوقة، علاوةً على تَصَرُّفِهِ فِي كَلِمَاتِ النَّصِّ الَّذِي أَمَامَهُ.

روى البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَتْ عُكَاظُ وَمَجَنَّةُ وَدُو المِجَازِ أسواقاً فِي الجاهلية، فَتَأَثَّمُوا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي المَواسِمِ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾: فِي مَواسِمِ الحَجِّ.

والروايةُ فِي السَّبَبِ المِباشِرِ لِنزولِ الآيَةِ أَخْرَجَها أَبُو داودَ وَأحمدُ عَنِ أَبِي أَمَامَةَ التيمي قال: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا قَوْمٌ نُكْرَى، فَهلْ لَنَا حَجٌّ؟ قَالَ: أليسَ تَطَوَّفُونَ بِالبيتِ، وَتَأْتُونَ المَعْرَفَ، وَتَرْمُونَ الجِمارَ، وَتَحْلِقُونَ رُؤُوسَكُمْ؟ قُلْنَا: بلى.. قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فلمْ يَدِرْ ما يَقُولُ لَهُ، حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيلُ عليه السلام عَلَيْهِ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْتُمْ حُجَّاجٌ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١١٩ - ١٢٠.

واعترضُ الفادي على الآية دليلُ جهله، فقد ظنَّ لجهله أنَّ الأمر لا يستدعي نزلَ الآية بإباحة التجارة في موسم الحج؛ لأنَّ العربَ في الجاهلية كانوا يتاجرون، والأصلُ بقاء الأمر على ما كان عليه، فما الداعي لإنزال آية تُبيح شيئاً هو مُباح؟! .

لقد كان العربُ في الجاهلية يتاجرون في موسم الحج، فلما أسلموا تحرَّجوا من ذلك، وتأثموا منه، ولذلك توقَّفوا عنه، لأنهم ظنَّوه غيرَ جائز، ولا يتفق مع التَّجَرُّدِ لله أثناء أداء المناسك.

وجاء أحدهم إلى النبي ﷺ يسأله عن جواز ذلك، فتوقَّف النبي ﷺ عن الجواب؛ لأنه ليس عنده فيه شيءٌ جديد، فأنزلَ اللهُ الآيةَ جواباً على السؤال، مُبيحاً التجارة في الحج.

وهذا التحرُّج والتوقُّف من الصحابة بانتظار معرفة الحكم الشرعيِّ شهادةً لصالحهم؛ لأنه يدلُّ على التزامهم بحكم الله، وعدم مخالفتِه، بحيث يتوقَّفون عمَّا كانوا يعملونه، بانتظار حكم الله فيه.

فلما أنزل اللهُ الآيةَ وأباح فيها التجارة في موسم الحج، أزال تحرُّجهم وتأثُّمهم، وأعطى تصرفهم السابق بُعداً إسلامياً.

١٤١

من الذي حدد وقت الحج؟

ذَهَبَ الفادي المفتري إلى أنَّ الرسول ﷺ هو الذي حدَّدَ وقتَ الحج، وأنه في شهرِ ذي الحِجَّة! قال في افتراءه: «كان بعضُ أهلِ الجاهلية يَفْقُ بعرفة، وبعضهم بمزدلفة، وكان يحجُّ بعضهم في ذي القعدة، وبعضهم في ذي الحِجَّة! وكلُّ يقول: الصوابُ فيما فعلته! فقال محمد: لا شكَّ أنَّ الحجَّ في ذي الحِجَّة»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٠.

ولا يَعْنِينَا اِخْتِلَافُ الْقِبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي وَقْتِ الْحَجِّ وَمَكَانِهِ، فَقَدْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَخْتَلِفُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

إِنَّمَا يَعْنِينَا تَقْرِيرُ حَقِيقَةِ إِسْلَامِيَّةِ تَشْرِيْعِيَّةٍ، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ صَاحِبُ الْحُكْمِ وَالتَّشْرِيْعِ! فَالْأَمْرُ وَالتَّشْرِيْعَاتُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَمْرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ يَسْرَعَهَا وَيَتَدَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ!.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي حَدَدَ مَكَانَ الْحَجِّ وَزَمَانَهُ وَأَفْعَالَهُ.. وَكَانَ الْفَادِي كَاذِبًا مُفْتَرِيًّا عِنْدَمَا زَعَمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ! قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فُضِّ فِيهَا الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَزَّوْا فَاِتِّبَتْ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي شَرَعَ الْحَجَّ مِنْذُ أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧].

وَكَمْ كَانَ الْفَادِي مُفْتَرِيًّا وَمُجْرِمًا عِنْدَمَا قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: أَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ دِيَانَتَهُ هِيَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ؟».

وَهَذَا الَّذِي يُرِيدُ الْمُجْرِمُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ دِينَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَوْلَهُ!.

وَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ وَاضِحًا صَرِيحًا فِي تَقْرِيرِ حَقِيقَةِ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَاعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى الْأَمْرِ بِالتَّزَوُّدِ لِلْحَجِّ، فَقَالَ: «إِنَّ بَاقِيَ الْآيَةِ يَقُولُ: ﴿وَتَكَزَّوْا فَاِتِّبَتْ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾. وَسَبُّ هَذَا أَنَّ أَنْاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانُوا يَخْرُجُونَ لِلْحَجِّ مِنْ غَيْرِ زَادٍ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ. وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَحُجُّ

بَيْتَ رَبَّنَا أَفَلَا يُطْعِمُنَا؟! فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ تَسَوَّلُوا طَعَامَهُمْ، وَرَبَّمَا أَفْضَى بِهِم
الْحَالُ إِلَى السَّلْبِ وَالنَّهْبِ، فَقَالَ لَهُمْ مُحَمَّدٌ: «فَتَزُودُوا».. وهو أمرٌ بَدَهِيٌّ،
ليس فيه شيءٌ فوق مستوى العقل، حتى يَحْتَاجَ إِلَى وَحْيٍ»^(١).

إِنَّهُ يَرَى أَنَّ التَزُودَ بِالزَادِ لِلْحَجِّ أَمْرٌ بَدَهِيٌّ عَادِيٌّ، يَفْعَلُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ يُرِيدُ
السَّفَرَ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَدَخُّلِ الْوَحْيِ.

وهو يُخْطِئُ فِي النِّظَرِ إِلَى الْوَحْيِ، عِنْدَمَا يَظُنُّ أَنَّ الْوَحْيَ لَا يَتَدَخَّلُ إِلَّا
فِي الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ، الَّتِي هِيَ فَوْقَ مَسْتَوَى الْعَقْلِ!.

لَقَدْ عَرَفْنَا مِنْ تَنْزُلِ الْقُرْآنِ وَأَسْبَابِ نَزُولِ بَعْضِ آيَاتِهِ، أَنَّ كَثِيرًا مِنْ آيَاتِ
الْقُرْآنِ كَانَتْ تَنْزَلُ ابْتِدَاءً، بَدُونِ حَادِثَةٍ أَوْ سَبَبٍ، وَلَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أُمُورٍ فَوْقَ
مَسْتَوَى الْعَقْلِ، إِنَّمَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أُمُورٍ عَادِيَّةٍ حَيَاتِيَّةٍ خَبَرِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ.. وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْآيَاتِ عَلَى أَسْبَابٍ خَاصَّةٍ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ أَوْ الْحَوَادِثُ فَوْقَ مَسْتَوَى
الْعَقْلِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْبَابًا مَأْلُوفَةً عَادِيَّةً فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَتَكْزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ نَزَلَ لِيُصَوِّبَ وَيُصَحِّحَ
نَظْرَةَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ يَأْتُونَ لِلْحَجِّ،
وَلَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الزَّادِ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مَتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَنَحْنُ ضُيُوفُ اللَّهِ
وَحُجَّاجُ بَيْتِهِ، وَمَنْ غَيْرَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَتَخَلَّى اللَّهُ عَنَّا وَأَنْ لَا يَرْزُقَنَا!

فَكَانَ إِنْزَالُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْآيَةِ لِتُصَحِّحَ هَذِهِ النِّظْرَةَ، وَإِبْطَالِ مَا فِيهَا
مِنْ خَطَأٍ، وَهَدَفَتْ الْآيَةَ إِلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ لَا يَعْنِي عَدَمَ الْأَخْذِ
بِالْأَسْبَابِ، بَلْ إِنَّهُ يَوْجِبُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ.

فَقُدُومُ الْحُجَّاجِ إِلَى الْحَجِّ مَتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ يَوْجِبُ عَلَيْهِمُ التَزُودَ بِالزَّادِ
الْمَادِيِّ وَالزَّادِ الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي هُوَ التَّقْوَى!.

وَمَنْ حَقَّدَ الْفَادِي وَكُرَّهَهُ وَبُغِضَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَرَبَهُ لِلْقُرْآنِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٠.

والإسلام، أنه كان حريصاً على عدم الإخبارِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، والتأكيد على أنه كلامُ محمدٍ ﷺ، ويبدو هذا في قوله: فقال لهم محمد: ﴿وَكَزَّوْدُوا﴾! فهذه الكلمةُ في الآية، لكنَّ المفتري جعلها من كلام رسول الله ﷺ! .



هل الإفاضة من أعمال الجاهلية؟

اعتبر الفادي قولَ الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 199]، دليلاً على أنَّ أعمالَ الحجِّ التي يُؤدِّيها المسلمون من أعمالِ الوثنيين الجاهليين، وليسَ تشريعاً من الله ربِّ العالمين! .

الأمرُ في الآية لقريش، يأمرهم فيه بالتَّخَلِّي عن عاداتهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فقد كان القرشيون في الجاهلية يُسمِّون أنفسهم «الْحُمْس»، لأنَّهم سَدَنَةُ بَيْتِ اللَّهِ الحرام، وكانوا لا يَقِفون مع النَّاسِ في عَرَفات، ويتميِّزون عنهم بالوقوفِ في المزدلفة، ويعتبرون الوقوفَ مع عامةِ الناسِ لا يَتَّفِقُ مع منزلتهم الدينية.

فلما أوجبَ اللهُ على المسلمين الحجَّ دَعَا أَهْلَ قريشِ المسلمين إلى عَدَمِ التَّميِّزِ عن باقي الحجاج، وأوجبَ عليهم الوقوفَ بعَرَفةَ معهم، والإفاضةَ من عرفاتِ إلى مزدلفةَ ليلةَ العيدِ معهم، والسيرَ معهم، وعَدَمَ التَّميِّزِ عنهم.

قالَ الفادي: «.. قالَ أَهْلُ التفسير: كانت قريشٌ ومن دانَ بدينها - وهم الحُمْسُ - يَقِفون بالمزدلفة، ويقولون: نَحْنُ أَهْلُ اللَّهِ.. وكانوا يَتعاضمون أن يَقِفوا مع سائرِ الناسِ بعرفات، فإذا أفاضَ الناسُ من عرفاتِ أفاضَ الحُمْسُ من المزدلفة، فلما جاءَ محمدٌ أمرهم أن يَقِفوا مع سائرِ الناسِ، ثم يُفيضوا منها إلى جمع».

وخرَجَ من ذلك بالنتيجةِ الشيطانيةِ الخبيثة، التي اعتبرَ بها الإسلامَ

مأخوذاً من الجاهلية، قال: «ونحنُ نسأل: أليس الأمرُ بالوقوفِ على عرفات والإفاضةِ منها كسائرِ الناسِ في الجاهليةِ دليلاً على أن أركانَ الحجِّ من أصلٍ وثنيٍّ، وأنه ليس من التشريعِ السماويِّ في شيء؟»^(١).

طريقةُ الفادي في البحثِ والاستدلالِ والاستنباطِ عجيبةٌ غريبةٌ، مُثيرةٌ للسخريةِ. فالإسلامُ عنده مأخوذٌ من الممارساتِ الجاهليةِ، والعاداتِ الوثنيةِ، بدليلِ وجودِ آيةٍ في القرآنِ تُصحِّحُ أداءَ قريشٍ لمناسكِ الحجِّ، فقد كان القرشيّونَ في الجاهليةِ لا يحجّونَ مع باقي الناسِ، فلما أمرهم القرآنُ بالحجِّ مع الناسِ، والوقوفِ بعرفةَ مع الناسِ، والإفاضةِ معهم إلى مزدلفة، دلَّ هذا على أن محمداً ﷺ أخذَ أحكامه من الجاهليةِ! مع أنه يدعُوهم إلى التخلّي عن تلك الجاهليةِ!.



هل أركان الحج من الجاهلية؟

عادَ الفادي المفتري إلى التأكيدِ على أن كُلَّ أعمالِ الحجِّ ومناسكِهِ مأخوذةٌ من الجاهليةِ، وهي المسألةُ التي تحدّثَ عنها أكثرُ من مرةٍ فيما مضى. فبعدَ أن ذكّرَ أربعَ آياتٍ من سورةِ البقرةِ تتحدّثُ عن الحجِّ [١٩٧ - ٢٠٠] استخرجَ منها دلالاته العجيبةَ المعتادة: «كان اسمُ شهرِ ذي الحجّةِ المخصّصِ للحجِّ موجوداً قبلَ الإسلامِ، وكذلك كان الإحرامُ (وهو البُعْدُ عن الرّفثِ والصّيْدِ) موجوداً قبلَ الإسلامِ، كما كانت التجارةُ في الحجِّ موجودةً قبلَ الإسلامِ، وكذلك الإفاضةُ من عرفاتٍ وإلقاءُ الحُطْبِ وذكُرُ المناقبِ عندَ المشعَرِ الحرامِ... فاتّخذَ الإسلامُ عاداتِهِ وشعائِرَهُ من عاداتِ العربِ المشركينِ...»^(٢).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٠ - ١٢١. (٢) المصدر السابق، ص ١٢١.

الإسلام عند الفادي المفتري ليس من عند الله، وإنما هو من وَضَعِ واختيارِ محمدٍ ﷺ، أَخَذَهُ وانتَقَاهُ من عاداتِ العربِ المشركين في الجاهلية، حيثُ كان يَلْتَقِي بهم، وَيَخْتَارُ من حياتِهِم ما يريد، ثم يُسجَلُهُ ويقدمُهُ لأصحابِهِ، زاعماً أَنَّ اللهَ أوحى به إليه!.

والدليلُ عندَ المفتري على ذلك، أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ شعائرَ وعاداتِ الحج من العربِ الجاهليين، وزَعَمَ أَنَّ اللهَ هو الذي أوحى به إليه: أَبقى اسمَ شهرِ الحَجِّ «ذي الحجة» على اسمِهِ الجاهلي، وَأبقى الإِحرامَ على صورته الجاهلية، وَأبقى التجارةَ في موسمِ الحَجِّ كما كانت عليه في الجاهلية، وَأبقى الإِفاضةَ من عرفاتٍ على ما كان يَفْعَلُهُ أَهْلُ الجاهلية!!.

ولو كانَ الحَجُّ تشريعاً من عندِ الله لَألغى كُلَّ هذه الأعمالِ الجاهلية، وَأَمَرَ بأعمالٍ إسلاميةٍ جديدة!!.

وقد سبقَ أَن ناقشنا الفادي المفتري في هذا الأمر، وَبَيَّنَّا أَنَّ الحَجَّ ذو نَسَبٍ إيماني، وَأَنَّهُ سابقٌ على العَرَبِ الجاهليين، وَأَوَّلُ مَنْ حَجَّ هو إبراهيمُ الخليلُ ﷺ، والعَرَبُ المشركونَ في الجاهلية تَوَارَثُوا أعمالَ وشعائرَ الحَجِّ عن إبراهيمِ ﷺ، وَأضافوا لها الكثيرَ من ممارساتِهِم الخاطئة، التي تقومُ على الشركِ بالله، فلما جاءَ الإسلامُ أزالَ الممارساتِ الجاهليةَ الخاطئةَ عن مناسكِ الحج، وَأعادها إلى أَصلِها الإيمانيِّ العريق، وَأبقى الأعمالَ النظيفةَ والشعائرَ الصحيحةَ؛ لأنها إيمانيةُ الأَصل، كالوقوفِ بعرَفَةِ والإِفاضةَ والإِحرامَ، فهي ليستُ عاداتٍ وشعائرَ مأخوذةً من الجاهلية كما زَعَمَ الفادي الجاهل!.



حول توزيع الزكاة

حَدَّدَ اللهُ الأَصْنَافَ الذين تُدْفَعُ لهم الزكاة، وَبَيَّنَّ أَنَّها ثمانيةُ أَصْنَافٍ فقط! قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ فَلُوهُمُ

وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد اعترض الفادي المفتري على بعض مصارف الزكاة، واعتبر دفعها لبعض الأصناف المذكورين في الآية نوعاً من الرشوة، التي لا تتفق مع دين الله! قال: «ومعلوم أن الزكاة هي أحد أركان الدين الإسلامي الخمسة، التي هي: الصلاة والزكاة والصوم والحج والشهادتان. فهي من صميم الدين الإسلامي، وهي ليست مخصصة للفقراء والمساكين، ولكن يُصرف منها في أغراض إسلامية بحتة، وُصرف منها للمؤلفة قلوبهم، ولو كانوا أغنياء، لاستمالتهم لقبول الإسلام، وتُصرف في شراء الأسلحة وتجهيز الجند لقتال الكفار، والجهاد في سبيل الإسلام...»

وللمسيحيين كتابهم المقدس، الذي يُقضي بتقديم العُشور للصرْف على الفقراء، وتعمير الكنائس، وإعالة رجال الدين، ونشر الكتاب المقدس ومبادئ المسيحية... ويُحرّم الكتاب المقدس الدعوة للدين باستخدام المال للاستمالة، أو السيف للإرهاب، فأتباع الدين المسيحي قدّموا دعوته بالمحبة والشجاعة والتضحية على مثال المسيح...»^(١).

يرى المفتري أن إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة خطأ؛ لأنه لا يجوز استخدام المال لنشر الدعوة أو ترغيب الآخرين، ويذكر أن الكتاب المقدس يُحرّم ذلك على المسيحيين، ويأمرهم بالدعوة بالمحبة والشجاعة والتضحية!.

وإن الله العليم الحكيم يعلم أثر المال الإيجابي في بعض النفوس، ولذلك أجاز تأليف قلوب بعضهم بجزء من مال الزكاة، إمّا بترغيبهم في الإسلام واستمالتهم وتقريبهم إليه، وإمّا بتحبيدّهم أو تقليل عداوتهم للإسلام والمسلمين. وليس في هذا شيء، فما زال الناس قديماً وحديثاً يُعطون ويُهدون، ويوثقون روابطهم وعلاقاتهم بشيء من المال يدفعونه لهذه الغاية!.

ويُفترى الفادي عندما يزعم أن الكتاب المقدس حرّم على النصارى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٢.

استخدامَ المالِ للدعوة والاستمالة والتبشير، فالجمعياتُ التنصيريةُ النصرانيةُ هي أكثرُ الجمعياتِ استخداماً للمالِ للتَّنصيرِ، والرهبانُ أكثرُ الناسِ دُفْعاً للأموالِ تَرْغيباً في اعتناقِ النصرانية، وتَرصُدُ الكنائسُ الملايينَ من الدولاراتِ لهذه الغاية، وتنتشرُ مجموعاتُ التَّنصيرِ في كلِّ بلادِ العالمِ، وتُرَكِّزُ على ممارسةِ التَّنصيرِ بينَ المسلمين على وَجِهِ الخصوصِ، وتَقومُ على الدفعِ والإغراءِ بالمالِ.. ويقولُ لنا الفادي المفتري بعدَ ذلك: يَحرمُ على النصرارى استخدامَ المالِ للدعوة. وهم يَنْشرونَ دعوتَهُمَ بالمحبةِ والتضحية!!.

كما يرى الفادي المفتري أنَّ صرفَ جُزءٍ من الزكاةِ لجهادِ وقاتلِ الكفارِ خطأً، ويعتبرُهُ نوعاً من سوءِ استخدامِ المالِ، وإنفاقِهِ للإرهابِ!

وكلامُهُ باطلٌ، فاللهُ أَوْجَبَ على المسلمين جهادَ الأعداءِ الظَّامعينِ فيهمِ، والشَّدَّةَ والغلظةَ في قتالِهِم، وإيقافَ عُدوانِهِم، وإبطالَ مكائِدِهِم ومُخَطَّطَاتِهِم ضَدَّهُم، وَوَعَدَهُم على ذلكِ جزيلَ الأجرِ والثوابِ! ومعلومٌ أنَّ الجهادَ في سبيلِ اللهِ يَحْتَاجُ إلى كثيرٍ من الأموالِ للإنفاقِ عليه، ولذلك جعلَ اللهُ الإنفاقَ عليه سهماً من أسهمِ الزكاةِ الثمانية، واللهُ عليمٌ حكيمٌ في تَشريعِهِ سبحانه!

١٤٥

توجيه تفضيل الرجال على النساء

ذَكَرَ الفادي آيَتَيْنِ تَتَحَدَّثَانِ عن الصلةِ بينَ الرجالِ والنِّساءِ. هما قولُهُ تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقولُهُ تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. وَنَقَلَ كَلاماً للبيضاويِّ في تفسيرِ الآيَتَيْنِ، وبيانِ معنى القوامَةِ والدَّرَجَةِ، وأسبابِ ذلكِ.

ثم عَلَّقَ على ذلكِ مُخَطَّطاً القرآنِ والإسلامِ، فقال: «ونحنُ نَسألُ: لماذا يَهْضُمُ الإسلامُ حُقوقَ المرأةِ، فيعتبرُ من حَقِّ الرجلِ أن يَمْلِكَ نَفْسَهَا، بينما لا

تمتلك المرأة إلا نصيباً من ماله؟ الطبيعي أن يكون جسد الرجل ملك المرأة، وجسد المرأة ملك الرجل، ولماذا يستبد الرجل بالفراق، ولا يُسمح للمرأة بالفراق إذا رأت ذلك، في حالة خيانتها، وإن كان من العيب أن تضرب المرأة الرجل، فلماذا تسمح الشريعة الإسلامية للرجل أن يضرب المرأة؟^(١).

يجب أن نفرق أولاً بين القوامة والتفضيل، فالقوامة منزلة دنيوية، تقوم على المسؤولية لمواهب وقدرات، أما التفضيل فهو منزلة دينية إيمانية، يرتفع بها صاحبها عند الله.

لقد جعل الله القوامة في الدنيا للرجال على النساء، بمعنى أنه أعطى مسؤولية إدارة الأسرة والبيت للرجل، فهو صاحب القوامة والمسؤولية والقيادة والحكم في هذه المؤسسة. وذكرت الآية سببين لجعل القوامة للرجال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾:

السبب الأول: ما منحه الله للرجال من مواهب وطاقات خاصة، تميزوا بها عن النساء، توهلهم للقيام بواجب القوامة، وإدارة شؤون الأسرة، وفضلهم الله بهذه المواهب تفضيلاً دنيوياً.

السبب الثاني: ما أوجهه الله على الرجال من إنفاق الأموال على مؤسسه الأسرة، فالإنفاق واجب على الرجل، ولا يجب على امرأته أن تُنفق شيئاً ولو كانت تملك المال الكثير.

وكون القوامة الدنيوية بيد الرجال لا يعني أن جنس الرجال أفضل من جنس النساء عند الله، فأساس التفضيل عند الله ليس الجنس أو اللون، إنما هو الإيمان والتقوى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣] فإذا كانت المرأة صالحة تقيّة كانت أفضل عند الله من زوجها غير التقيّ، أو الأدنى منها في التقوى.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٣.

وقد جعلَ اللهُ للرجالِ على النساءِ درجةً، بعدما ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ﴾.

والدرجةُ التي للرجالِ على النساءِ مرتبطةٌ بالقوامة، فالذي له القِوامةُ له على الطرفِ الآخرِ درجة. فهذه الدرجةُ دنيوية، متعلِّقةٌ بدفعِ المهرِ والنفقةِ وغيرِ ذلك من الأمورِ الماليةِ الدنيوية، والدرجةُ الدنيويةُ لا تعني الدرجةَ الدنيويةَ عند الله، فقد تكونُ المرأةُ أعلى درجةً عند الله من زوجها لتقواها.

وقد أكرمَ الإسلامُ المرأةَ عندما نصَّ على أنَّ لها على زوجها حقوقاً، مثل ما عليها له من واجبات: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. وبعدَ هذه الآيةِ الصريحةِ يأتي شخصٌ جاهلٌ مثلُ هذا الفادي، ليقول: لماذا يهضمُ القرآنُ حقوقَ المرأةِ؟

وإنَّ الأسئلةَ التي يطرحها الفادي دالةٌ على جهله وغباؤه، فهو يقول: لماذا يملكُ الرجلُ المرأةَ بينما هي لا تملكه، إنما تملكُ جزءاً من ماله؟ وإذا كان قِصدهُ من سؤاله ملكَ الأمرِ والنهيِ والمسؤولية، فإنَّ هذا مرتبٌ بالقِوامة، ومؤسستهُ الأسرةُ لا بُدَّ لها من مسؤول، والمسؤوليةُ للرجل، والمرأةُ تابعةٌ له في المؤسسة، وهذا لا يُقتضُ منزلتها، إنما هو شرفٌ لها.

وإذا كان قِصدهُ ملكَ التلذُّذِ والاستمتاعِ وقضاءِ الشهوة، فكلُّ منهما يملكُ جسدهُ الآخر، الرجلُ يملكُ جسدهُ المرأةَ ويتلذَّذُ ويستمتعُ بها، وهي تملكُ جسدهُ وتتلذَّذُ وتستمتعُ به، مع أنَّ الرجلَ صاحبُ القِوامةِ والدرجةِ الدنيوية.

ويطالبُ الفادي الجاهلُ أن يكونَ الطلاقُ والفراقُ بيدِ المرأة، مثل ما هو بيدِ الرجل! وهذا خلافُ الفطرةِ وسُنَّةِ الحياة! فالذي يتزوجُ هو الذي يُطلِّقُ، والذي يدفعُ مهرَ الزواجِ هو الذي يدفعُ نفقةَ الطلاقِ، وصاحبُ القِوامةِ في مؤسسةِ الأسرةِ هو الذي يُطلِّقُ ويُفارقُ، ويدفعُ ثمنَ فراقِهِ وطلاقِهِ.

أما انتقادُ الفادي في آخرِ كلامه مبدأً ضربَ الرجلِ لامرأتهِ فقد سبقَ أن ناقشناه فيه، ووجَّهنا الأمر، وبيننا حكمته وصوابه!

هل صلاة المسلمين تقليد وثني؟

وَضَعَ الْفَادِي الْمَقْتَرِي عِنَوَاناً اسْتَفْزَازِيّاً مُثِيراً، اسْتَفْزَرَ بِهِ مَشَاعِرَ الْمُسْلِمِينَ: «الصَّلَاةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَقْلِيدٌ وَثْنِيٌّ!!».

ذَكَرَ فِي تَسَاؤُلِهِ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ثُمَّ زَعَمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخَذُوا صَلَوَاتِهِمُ الْخَمْسَ عَنِ الصَّابِئِينَ، فَقَالَ: «فَرَضَ الْإِسْلَامُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ يَوْمِيًّا، وَهِيَ: صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. وَهِيَ نَفْسُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالْمَسِيحِيِّينَ وَالصَّابِئِينَ... وَقَالَ أَبُو الْفِدَاءِ فِي تَارِيخِهِ: لِلصَّابِئِينَ عِبَادَاتٌ، مِنْهَا سَبْعُ صَلَوَاتٍ، مِنْهُنَّ خَمْسٌ تُوَافِقُ صَلَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَالسَّادِسَةُ صَلَاةُ الضُّحَى، وَالسَّابِعَةُ صَلَاةٌ يَكُونُ وَقْتُهَا فِي تَمَامِ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مِنَ اللَّيْلِ. وَصَلَاتُهُمْ كَصَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ النِّيَّةِ، وَأَلَّا يَخْلِطَهَا الْمَصْلِي بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِهَا، وَلَهُمُ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيْتِ، بِلَا رُكُوعٍ وَلَا سُجُودٍ... وَنَحْنُ نَسْأَلُ: لِمَاذَا اقْتَبَسَ الْمُسْلِمُونَ نِظَامَ صَلَوَاتِهِمْ مِنَ الصَّابِئِينَ؟»^(١).

بَدَأَ الْفَادِي كَلَامَهُ بِكَذْبَةٍ كُبْرَى، عِنْدَمَا زَعَمَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ يُصَلُّونَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ مِثْلَ الْمُسْلِمِينَ! وَسُؤَالُ أَيِّ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ أَوْ صَابِئِيٍّ كَفِيلٌ بَيَانِ كَذِبِ هَذَا الْمَقْتَرِي.

ثُمَّ نَقَلَ كَلَاماً أوردَهُ أَبُو الْفِدَاءِ، زَعَمَ فِيهِ أَنَّ الصَّابِئِينَ يُصَلُّونَ سَبْعَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ صَلَاتِهِمْ كَصَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتَّلَاوَةِ، وَأَنَّهُمْ يُصَلُّونَ عَلَى مَوْتَاهُمْ كَصَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَوْتَاهُمْ!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٤.

وأعجب الفادي بكلام أبي الفداء، ووظفه دليلاً على اتِّهام الإسلام، بأنَّه أرضي بشري، وليس تشريعاً من عند الله، وعلّق عليه بسؤاله المثير الخطير: «لماذا اقتبس المسلمون نظام صلواتهم من الصابئين؟».

كلام أبي الفداء غير صحيح. ولا أدري من أين أخذ كلامه، وعلى أيّ مصدرٍ اعتمد، المهمُّ أنه لم يأخذه من حديثٍ صحيحٍ مرفوعٍ عن رسول الله ﷺ، ولا من قولٍ صحيحٍ لصحابيٍّ أو تابعيٍّ.

فليس صحيحاً أنَّ الصابئين يُصلّون سبع صلوات، وأنَّ صلواتهم كصلاة المسلمين، وها هم الصابئون «الميدانيون» موجودون في العراق، أسألوهم عن عدِّ وكيفية صلواتهم، إنَّ كان في دينهم صلاةٌ أصلاً!

وهذا معناه أنَّ المسلمين لم يأخذوا صلواتهم عن الصابئين أو غيرهم، وأنَّ الصلاة الإسلامية ليست تقليداً وثنيّاً كما زعم هذا الكاذب المفترى.

الصلاة ركنٌ من أركان الإسلام، والله هو الذي أمر رسوله ﷺ بها، منذ أيام الدعوة الإسلامية الأولى في مكة، وفي ليلة المعراج أمر الله رسوله ﷺ بخمس صلواتٍ في اليوم واللييلة، وهنَّ خمس صلواتٍ في العَدَد، ولكنهنَّ خمسون صلاةً في الأجر، وثبتَّ هذا عن رسول الله ﷺ، في الصحيحين وغيرهما من كُتب السنن.

والله هو الذي حدّد مواقيت الصلوات، وأشار إلى هذا قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وبعث الله جبريلَ للنبيِّ ﷺ وحدّد له وقت كلِّ صلاةٍ من الصلوات الخمس، بدايةً ونهايةً. . والله هو الذي حدّد للرسول ﷺ كيفية كلِّ صلاة، أفعالها وأقوالها وأذكارها وحركاتها، وأركانها وسُننها وهيئاتها. . وأمر الرسول ﷺ المسلمين أن يُصلّوا مثل صلواته، فقال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

إنَّ كلَّ ما يتعلّق بالصلاة من قولٍ أو فعلٍ أو حركةٍ من الله، أوحى به

لِلرَّسُولِ ﷺ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ اخْتَصَّ وَتَمَيَّزَ وَتَفَرَّدَ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يُصَلِّي أَصْحَابُ أَيِّ دِينٍ كَمَا يُصَلِّي الْمُسْلِمُونَ، سِوَاءَ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى أَوْ صَابِئِينَ أَوْ غَيْرَهُمْ! .



حول التطهر بالتييم

أثار الفادي المفتري عدّة إشكالاتٍ حول التّطهّر بالتييم، وتلاعب في حديثه عن سبب نزول آية التّيمم، وحرّف كلام البيضاوي وغيره، كعادته في التّلاعب والتّحريف، والكذب والافتراء، والزّعم والادّعاء.

الآية التي شرّعت التيمم هي قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأرجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وكان نزول هذه الآية في حادثة عائشة رضي الله عنها، عندما أضعفت عنقدها.

ذكر الفادي رواية البخاري قائلاً: «روى البخاري عن عائشة قالت: سقطت قِلادة لي بالبَيْداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ محمدٌ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر، فلكرني لكرزة شديدة، وقال: حبست الناس في قِلادة.. ثم إن محمداً استيقظ.. وحضرت الصُّبح، فالتمس الماء، فلم يوجد، فاستعوضه بالتراب.. وعن عائشة قالت: لما كان من أمر عقيدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، خرجت مع محمدٍ في غزوة أخرى، فسقط أيضاً عقيدي، حتى حبس الناس عن التماسه، فقال لي أبو بكر: بُنية! في كل سفر تكونين عناءً وبلاءً على الناس.. ولكن لما كانت هي سبب التيمم رضي عنها أبو بكر..»

هل هذه رواية البخاري؟ وهل كان الفادي أميناً في النقل؟ لنقرأ الرواية من صحيح البخاري، ولنقارن بين الكلام الذي فيه، والكلام الذي نقله الفادي عنه.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التَّمَاسِيهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ. . فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسِ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضْعُ رَأْسِهِ عَلَى فَخْذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ! فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرُكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخْذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التِّيمَمِ، فَتِيمَمُوا. . فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ: مَا هِيَ بِأَوْلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ. . . فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا الْعَقْدَ تَحْتَهُ»^(١).

الفادي المفتري حريص على حذف كلمة «رسول الله ﷺ» من الرواية، ووضع الاسم المجرد «محمد» مكانها. ولو كان أميناً في النقل لنقل العبارة كما هي، مع أنه لا يؤمن أن محمداً هو رسول الله ﷺ!

وصرحت عائشة رضي الله عنها بأن الله أنزل آية التيمم في صباح تلك الليلة، فتيمم المسلمون بعد نزول الآية. والفادي المفتري لا يريد الإخبار عن إنزال الوحي من عند الله، حتى لو كان ينقل من نص أمامه! ولذلك زعم أن محمداً ﷺ هو الذي أمرهم بالتيمم من عند نفسه: «وحضرت الصبح فالتيمس الماء فلم يوجد، فاستعوضه بالتراب!» وهذه الجملة غير مذكورة في الأصل! لكنها من تلاعب الفادي وتحريفه.

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم، حديث رقم: (٣٣٤)؛ وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، حديث رقم: (٣٦٧).

وَمِنْ تَلَاغِبِ الْفَادِي وَتَحْرِيفِهِ زَعْمُهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ شَتَمَ ابْنَتَهُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَالَ لَهَا: «بَيْتَةٌ: فِي كُلِّ سَفَرٍ تَكُونِينَ بِلَاءً وَعِنَاءً عَلَى النَّاسِ!». وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْمَفْتَرِي بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ.

مَعَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مَوْضِعَ ثَنَاءٍ، وَانظُرْ مَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا هِيَ بِأَوْلَ بَرَكَاتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ.

وَاللَّهُ حَكِيمٌ، فَهُوَ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يُقَطَعَ عِقْدُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدَّرَ أَنْ يَبْرُكَ عَلَيْهِ الْبَعِيرُ، وَأَنْ يَتَأَخَّرَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِيَضْطَرُّوا إِلَى التَّيْمِمِ، وَيُنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ آيَةَ التَّيْمِمِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ! لَكِنْ هَذَا مَعْنَى لَا يَنْتَبَهُ لَهُ الْفَادِي؛ لِأَنَّهُ مُحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ!!.

وَقَدَّمَ الْفَادِي حَدِيثًا غَرِيبًا فِي التَّيْمِمِ، لَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهِ، قَالَ: «جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (الصَّعِيدُ الطَّيْبُ وَضَوْءُ الْمُسْلِمِ، وَلَوْ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ، حَتَّى يَجِدَ الْمَاءَ، وَإِذَا وَجَدَهُ فَلْيُمْسَسْهُ جِلْدَهُ)!!».

وَزَعَمَ الْمَفْتَرِي أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَرَجَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ أُخْرَى، وَأَنَّهَا أَضَاعَتْ فِيهَا عِقْدًا آخَرَ لَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ لِلْمُسْلِمِينَ التَّيْمِمَ: «وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عِقْدِي مَا كَانَ، وَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا خَرَجْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ فِي غَزْوَةٍ أُخْرَى، فَسَقَطَ أَيْضًا عِقْدِي، حَتَّى حَبَسَ النَّاسَ عَنِ التَّمَاسِهِ...». وَعَلَّقَ الْمَفْتَرِي عَلَى هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِكَلَامِ نَحِيْبٍ، فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَانَتْ عَائِشَةُ سَبَبَ مُشْكَلَةٍ لِمُحَمَّدٍ فِي الْغَزْوَةِ الَّتِي اتُّهِمَتْ فِيهَا مَعَ صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْظَلِّ، فَلِمَاذَا أَخَذَهَا مَعَهُ فِي غَزْوَةٍ أُخْرَى؟!».

وَزَعَمَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّهَا حَدِثَانِ مُخْتَلِفَتَانِ، أَضَاعَتْ عَائِشَةُ فِي كُلِّ حَدِثَةٍ عِقْدًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كُلِّ حَدِثَةٍ آيَةَ تَبِيْحِ التَّيْمِمِ، وَهَذَا جَهْلٌ مِنْهُ، فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا حَدِثَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ الَّتِي رَوَاهَا الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَادَّعَى الْمَفْتَرِي أَنَّ حَدِثَةَ فَقْدِ الْعِقْدِ وَإِنْزَالَ آيَةَ التَّيْمِمِ هِيَ نَفْسُ حَدِثَةِ حَدِيثِ الْإِفْكِ، عِنْدَمَا اتُّهِمَ الْمُنَافِقُونَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهُوَ ادِّعَاءٌ بَاطِلٌ، فَحَادِثَةُ فَقْدِ الْعِقْدِ غَيْرُ حَدِثَةِ الْإِفْكِ.

والعبارة التي ذَكَرَهَا المجرمُ في اتهامِ عائشةَ رضي الله عنها فاجرة، أرادَ بها تأكيدَ
اتِّهامِها في عَرَضِها. قال: «كانتْ عائشةُ سببَ مشكلَةِ لمحمدٍ في الغزوةِ التي
اتُّهِمَتْ فيها مع صفوانَ بنِ المعطلِّ».

وصفوانُ بنُ المعطلِّ صحابيٌّ جليلٌ رضي الله عنه، وهو الذي اتَّهِمَ المنافقونَ
المجرمونَ عائشةَ رضي الله عنها به، وقد أنزلَ اللهُ براءةَ عائشةَ في آياتِ سورةِ النور، ودَمَّ
الذين اتَّهَموها في عَرَضِها، وأقيمَ عليهم حدُّ القَدْفِ.

وقد تكلمَ الفادي على التيممِ بوقاحةٍ وسوءِ أدب. قال: «ما معنى
الاستعاضة عن الماءِ بالتراب؟ أليستْ هذه قذارةٌ ومَدعاةٌ للمرضِ لا للصحة؟
وأَيُّ عاقلٍ يَتَصَوَّرُ في الماءِ أو الترابِ تكفيراً عن الذنوب؟»^(١).

إنه يُخَطِّئُ القرآنَ في تشريعِهِ التيممَ عند فَقْدِ الماءِ، أو العجزِ عن
استعمالِهِ، ويتهمُ التيممَ بأنه قذارةٌ ومَدعاةٌ للمرضِ، وهذا اتِّهامٌ لله سبحانه،
وتَحُطُّةٌ له في أحكامِهِ وتَشريعَاتِهِ، وتكذيبٌ له في أوامِرِهِ وتوجيهَاتِهِ. فالله يقولُ
في بيانِ حكمةِ التيممِ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ
لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وهو يُكذِّبُ كَلامَ اللهِ
فيقول: «وما معنى الاستعاضة عن الماءِ بالتراب؟ أليستْ هذه قذارةٌ ومَدعاةٌ
للمرضِ لا للصحة؟».

والوضوءُ أو التيممُ تطهيرٌ للمؤمنِ وتكفيرٌ له عن سيئاتِهِ وذُنُوبِهِ، والفادي
المفتري يرفضُ ذلك قائلاً: «وأَيُّ عاقلٍ يَتَصَوَّرُ في الماءِ أو الترابِ تكفيراً عن
الذنوب؟» وما درى الجاهلُ أنَّ تَنفيذَ أوامِرِ اللهِ تطهيرٌ ومغفرةٌ للذنوب. وقد
أخبرنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنَّ الوضوءَ تكفيرٌ للذنوب.

روى مسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَوَضَّأَ
العبدُ المسلمُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، حَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ، مَعَ
الماءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، حَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٥.

بطشتها يدها، مع الماء، أو مع آخرِ قَطْرِ الماءِ، فإذا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الماءِ، أو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ، حتى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ!». .



تفسير سياسي لتحويل القبلة

وَقَفَ الْفَادِي أَمَامَ حَادِثَةِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، وَتَحَدَّثَ عَنْهَا بِسَفَاهَةٍ وَوَقَاحَةٍ.

لَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ كَانَتْ قِبْلَتُهُمْ فِي صَلَاتِهِمُ الْكَعْبَةَ. وَلَمَا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَ اللَّهُ قِبْلَتَهُمْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَبَعْدَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، حَوَّلَ اللَّهُ الْقِبْلَةَ، وَأَعَادَهَا إِلَى الْكَعْبَةِ، وَجَاءَ هَذَا التَّحْوِيلُ صَرِيحًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ زَيَّيْنَا قَلْبَكَ فِي وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾ [البقرة: 144].

وَاعْتَبَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ الَّذِينَ يَعْترِضُونَ عَلَى تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ سَفَاهَاءَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَكُنْتُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142].

وَتَوَقَّفَ الْفَادِي السَّفِيهُ مَعَ آيَاتِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَنَقَلَ بَعْضَ كَلَامِ الْبِيضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِهَا. ثُمَّ سَجَّلَ اعْتِرَاضَهُ عَلَى ذَلِكَ التَّحْوِيلِ بِسَفَاهَةٍ. قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: إِذَا كَانَتْ الْقِبْلَةُ شَرِيعَةً وَرُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، فَلِمَاذَا تَغَيَّرَ؟ هَلْ هِيَ لَعِبَةٌ سِيَاسِيَّةٌ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْعَرَبِ تَارَةً، وَاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْيَهُودِ أُخْرَى؟ فَاتَّجَهَ مَعَ الْعَرَبِ فِي مَكَّةَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَلَمَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ الْكَثِيرُ مِنَ الْيَهُودِ اتَّجَهَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَلَمَا هَاجَمَهُ الْيَهُودُ جَعَلَ قِبْلَتَهُ الْكَعْبَةَ مَرَّةً أُخْرَى! لَقَدْ كَانَ لِتَغْيِيرِ الْقِبْلَةِ طَنَّةٌ وَرَنَّةٌ، حَتَّى ارْتَدَّ كَثِيرُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَقَالُوا: رَجَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى دِينِ آبَائِهِ، وَتَرَكَ قِبْلَةَ الْيَهُودِ، الَّتِي هِيَ حَقٌّ!... وَعَيَّرَ الْيَهُودُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ حُبَيْبُ بْنُ أَحْطَبٍ وَأَصْحَابُهُ مِنْ

اليهود: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس: إن كانت على هدى، فقد تخلّيتُم عنه، وإن كانت على ضلالةٍ، فقد دِنْتُم الله بها، ومَن مات عليها فقد مات على ضلالة... فلماذا طَعَنَ محمدٌ في الذين اغْتَرَضُوا عليه بأنهم من السفهاء؟ لقد كان لهم كُلُّ الحَقِّ أَنْ يَسْأَلُوا...»^(١).

لم ينظر الفادي السّفيهُ لمسألة تحويل القبلة على أنها تشريعٌ رباني، وتوجيهٌ مباشرٌ من الله سبحانه، وحلّلها تحليلاً تافهاً سَفِيهاً، مرتبطاً مع نظريته للقرآن والوحي.. إنه لا يعترفُ بنبوّة محمدٍ ﷺ، ولا بأنَّ القرآنَ وَحْيٌ من الله، ولذلك اعتبرَ القبلةَ اختياراً خاصاً من الرسولِ ﷺ، فهو الذي يَخْتارُ ما يَشَاءُ، ويجعلُه قِبلةً، ويأمرُ أتباعه بالتوجُّه حيثُ يَشَاءُ! وهذا تأكيدٌ منه على بشريّة القرآن والإسلام!

ثم ينتقلُ المجرمُ إلى جريمةٍ أُخرى، حيثُ يجعلُ تحويلَ القبلةِ «لُعبةً سياسيةً» من الرسولِ ﷺ... فلما كان في مكة جَعَلَ قِبَلَتَهُ الكعبةَ لِيَسْتَمِيلَ العربَ الجاهليين، ولما هاجرَ إلى المدينة حَوَّلَ قِبَلَتَهُ إلى اليهودِ لِيَسْتَمِيلَهُمْ، ولما لم يَنجُحْ في ذلك وَعَظِبَ مِنْهُمْ أَعَادَ قِبَلَتَهُ إلى الكعبة! بهذه السفاهةِ حَلَّلَ الفادي السّفيهُ مسألةَ تحويلِ القبلة، ودافعَ عن السفهاءِ السابقين من أمثاله، الذين اغْتَرَضُوا على تحويلِ القبلة، واعتبروه تلاعِباً، ولما رَدَّ اللهُ عليهم اعتَبَرَهُمْ سَفَهَاءً. قال الفادي مُدافعاً عَنْهُمْ: «فلماذا طَعَنَ محمدٌ في الذين اغْتَرَضُوا عليه بأنهم من السفهاء؟ لقد كان لهم كُلُّ الحَقِّ أَنْ يَسْأَلُوا».

اعتبرهم اللهُ سَفَهَاءً لاعتراضِهِمْ على تحويلِ القبلة، والفادي المفتري رَدَّ كَلَامَ اللهِ، واعتَبَرَهُمْ حُكَمَاءً، وعلى حَقٍّ في اعتراضِهِمْ.

ليَقُلَّ الفادي السّفيهُ عن تحويلِ القبلةِ ما يَشَاءُ، فكلامُه وتحليلُه مَرْدُودٌ عليه، ونحنُ نوقِنُ أَنَّ استقبالَ القبلةِ في الصلاة كانَ بأمرٍ من الله، وَأَنَّ تَحْدِيدَ القبلةِ كانَ بأمرٍ من الله، وَأَنَّ تحويلَ القبلةِ كانَ بأمرٍ من الله، لتحقيقِ حكمةٍ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٦ - ١٢٧.

أَرَادَهَا اللهُ . . . إِنَّ اللهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْقِبْلَةَ فِي مَكَّةَ الْكَعْبَةَ، وَاللهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لِحِكْمَةٍ يُرِيدُهَا سُبْحَانَهُ، وَلَمَّا تَحَقَّقَتْ تِلْكَ الْحِكْمَةُ الرَّبَانِيَّةُ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِالْعُودَةِ إِلَى الْقِبْلَةِ الْأُولَى الْكَعْبَةَ . . . فَالْأَمْرُ وَالتَّحْوِيلُ وَالتَّوَجُّهُ مِنْ اللهُ سُبْحَانَهُ، الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ وَالتَّنْهِي، وَمَا الرَّسُولُ ﷺ إِلَّا مُنْفَذٌ لِأَمْرِ اللهِ .

وقد كان هذا المعنى واضحاً صريحاً في حديث القرآن عن تحويل القبلة .
 قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبْلَتِكُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٣﴾ فَذَرَى نَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً رَضْتَهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٢ - ١٢٥].

الدلالات التي يمكن أن تؤخذ من هذه الآيات الأربع عديدة، ليس هذا مكان الحديث عنها، ونشير هنا إشاراتٍ خاطفةً إلى بعض حقائق الآيات حول القبلة:

١ - تُنصُّ الآياتُ على أنَّ الذين يعترضون على تحويل القبلة سفهاء، وهذا يشمل كلَّ المعترضين في أيِّ زمانٍ ومكان، فالفادي المفترى سفيه من السفهاء: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبْلَتِكُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ .

٢ - كَانَ تَحْوِيلُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ امْتِحَانًا مِنْ اللهُ لَهُمْ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ .

٣ - كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتَمَنَّى أَنْ تَتَحَوَّلَ الْقِبْلَةُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، لَكِنَّهُ كَانَ مَتَأَدِّبًا مَعَ اللَّهِ، فَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ، مَتَمَنِّيًّا أَنْ يَنْزِلَ جَبْرِيْلُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْقِبْلَةِ الْجَدِيدَةِ: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾.

٤ - تُصْرِحُ الْآيَاتُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي وَلَّى رَسُولَهُ ﷺ إِلَى الْقِبْلَةِ الْجَدِيدَةِ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. إِنَّ هَذِهِ التَّعْبِيرَاتِ الصَّرِيحَةَ تُبَيِّنُ كَذِبَ وَسَفَهَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَى تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، وَتَحْلِيلِهِ الْمَتَهَافَتِ لِذَلِكَ التَّحْوِيلِ!.

١٤٩

اعتراض على الصلوات الخمس

أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصَلُّوا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ، لِأَنَّهَا وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَاعْتَرَضَ الْفَادِي الْجَاهِلُ عَلَى تَكْلِيفِ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: مَا فَائِدَةُ الصَّلَوَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ يَوْمِيًّا خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَأُسْبُوعِيًّا وَشَهْرِيًّا وَسَنَوِيًّا، وَإِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ، بِدُونِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ؟ إِنَّ الصَّلَاةَ تَعْبِيرٌ مُتَجَدِّدٌ لِمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ نَحْوَ اللَّهِ. قَالَ الْمَسِيحُ: وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لَا تُكْرِرُوا الْكَلَامَ بَاطِلًا كَالْأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلَامِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ، فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ»^(١).

إِنَّ هَذَا الْجَاهِلَ يَرَى أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنْ أَدَاءِ خَمْسِ صَلَوَاتٍ يَوْمِيًّا، حَتَّى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٧.

انتهاء العمر؛ لأنه لا تجديد فيها، ولا تفاعل معها، ولا بُدَّ أن تُجدد الصلاة
مشاعر الإنسان.

ولم يذكر لنا الجاهلُ المفتري كيف يُصلي هو وأهلُ ملته من النصارى،
وكيف يُجدد هو وأهلُ ملته مشاعرهم نحو الله، وهل يجتهدون ويُغيرون
ويبدلون في صلاتهم، بهدف تجديد مشاعرهم، أم أنهم يستمرون على الكيفية
التي تعلموها؟!.

إن الصلاة عند المؤمنين عبادةٌ وذكرٌ لله، وتوثيقٌ لصلاتهم بالله، وهي
ليست صلاةً جامدة، تُؤدى بطريقةٍ روتينيةٍ رتيبة، وإنما يتفاعل المؤمن بها وهو
يؤديها، وينشط لها، ويسعدُ وهو يُناجي الله فيها!... صحيحٌ أنه لا يجوزُ
التغييرُ والتبديلُ والزيادةُ والنقصانُ في أوقاتها وأعدادها وأركانها وأدائها، لكنَّ
التجديدَ في النظرة لها، والتفاعلَ في أدائها، وفي الحالة الإيمانية العالية أثناء
أدائها، وفي الثمراتِ والنتائج التي تُؤخذ منها.

ويكفينا قولُ الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجُوعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦]،
ولذلك كانَ رسولُ الله ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزَعَّ إلى الصَّلَاةِ.. وكانَ ﷺ يقولُ:
«أرْحنا بها يا بلال».

ولمعرفة فضل الصلوات الخمس نتذكر ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «أرأيتُمْ لو أنَّ نهرًا ببابِ أحدِكُمْ يَغْتَسَلُ
منه كلُّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ، هل يَبْقَى من دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى من دَرَنِهِ
شيءٌ.. قال: فَكذلكَ مَثَلُ الصلواتِ الخمسِ، يَمْحو اللهُ بهنَّ الخطايا».

وإنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ أوجبَ علينا الصلواتِ الخمسِ، وجعلَ الصلاةَ
ركنًا مهمًّا من أركانِ الإسلامِ؛ لأنه يَعْلَمُ آثارَ الصلاةِ الإيجابيةَ في الشخصيةِ
الإسلامية. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وبهذا نعرفُ سَفَهَ الفادي عندما اعترضَ على الصلواتِ الخمسِ، وجعلَ عنوانَ اعتراضِهِ استفزازيًّا: «تكرارُ الصَّلَاةِ باطلٌ»!!.



الصلوات وليلة المعراج

أثارَ الفادي المفتري اعتراضَهُ على فرضِ الصلواتِ الخمسِ ليلةَ المعراجِ، وعَرَضَ الحادثةَ بتحريفٍ وتغييرٍ وتبديلٍ!.

قال: «قالَ علماءُ المسلمين: لما أُسرى اللهُ بمحمد، ورأى حورَ العين، وسَلَّمَ عليهنَّ، وقابلَ موسى، سألهُ موسى: ما فَرَضَ رَبُّكَ عليك؟ وقيل: إِنَّهُ سألَهُ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قال: خمسينَ صلاةً، قال: ارجعْ إلى رَبِّكَ فاسألهُ التَّخْفِيفَ. وفي البخاري: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خمسينَ صلاةً كُلَّ يَوْمٍ، وإِنِّي واللهِ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالَجْتُ بني إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعالِجَةِ. أَي: إِنَّهُ فَرَضَ عليهم صلواتان، فما قاموا بهما، رَكْعَتانِ بِالْعَدَاةِ، ورَكْعَتانِ بِالْعِشْيِ! وفي تفسير البيضاوي أَنَّهُ فَرَضَ عليهم خمسونَ صلاةً، غيرَ أَنَّ السيوطي قال: إِنَّ هَذَا باطلٌ... ثم قالَ موسى: ارجعْ إلى رَبِّكَ فاسألهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قال: فرجعتُ إلى رَبِّي، فقلت: يا رَبِّ خَفِّفْ عن أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا. فرجعتُ إلى موسى، فقلتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قال: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فارجعْ إلى رَبِّكَ فاسألهُ التَّخْفِيفَ.. قال: فلم أزلُ أَرْجعُ بينَ رَبِّي وبينَ موسى، حتى قال اللهُ: يا محمد! إنهنَّ خمسُ صلواتٍ في كُلِّ يومٍ وليلة، لكلِّ صلاةٍ عَشْرٌ، فذلك خمسون. قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرتهُ، فقال: ارجعْ إلى رَبِّكَ فاسألهُ التَّخْفِيفَ. قلتُ: قد رجعتُ إلى رَبِّي حتى استحيتُ منه!».

ولنقرأ الحادثةَ من صحيحِ مسلم. فقد روى مسلمٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ حَدَّثَ عن ما جَرى في رحلةِ الإسراءِ والمعراجِ، ومن ذلك قوله: «... فأوحى اللهُ إليَّ ما أوحى، ففَرَضَ عليَّ خمسينَ صلاةً في كُلِّ يومٍ وليلة، فنزلتُ إلى موسى عليه الصلاة والسلام،

فقال: ما فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قال: ارجعْ إِلَى رَبِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّي! خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَلَيَّ خَمْسًا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَلَيَّ خَمْسًا. قال: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فاسأله التَّخْفِيفَ. فلم أزلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً. فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فقال: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ. . . فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»^(١).

وقد اعترض الفادي المفتري على حادثة الصلوات الخمس، وأثار شكوكه حول الوحي والنبوة والإسلام، قال: «ونحن نسأل: هل الأنبياء أكثر معرفة بأحوال الناس من الله سبحانه؟ وهل يتبع الله رأي الناس؟ أليس هذا كله ناشئاً عن عدم معرفة محمد بصفات الله، وأن الصلاة أنس بالله، وليست فرضاً ولا عبودية؟ والمسلم الذي يهتم بالوضوء ونظافة البدن أكثر من نظافة القلب لا يدرك معنى الصلاة؛ لأنه يهتم بالاتجاه للقبلة أكثر من اتجاه ضميره لله، ويتمسك بألفاظ محفوظة دون الاهتمام بالتعبير عن حاجاته الخاصة، ويعتبر أن الصلاة في ذاتها حسنة تذهب السيئة، ويهتم بالنحر مع الصلاة، كقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾، دونما إدراك لمعنى كفارة المسيح؟!».

إنه لجهل وغبائه لا يعرف الحكمة من تشريع الصلوات الخمس بهذه الطريقة، ولذلك أثار أسئلته التهكمية، وحلل الحادثة تحليلاً استفزازياً، شتم فيه الرسول ﷺ والإسلام والمسلمين!.

(١) مسلم، برقم: (١٦٢).

كلُّ الأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية كَلَّفَ اللهُ بها رسوله ﷺ بطريقة الوحي، إلا الصلوات الخمس، فإنه شاء سبحانه وتعالى أن يكلفه بها بهذه الطريقة الخاصة، حيث استدعاه وعَرَجَ به إلى السماء، وكلفه بها، وذلك لأهمية الصلوات الخمس وعَظُم منزلتها في هذا الدين، وعَظُم مهمتها وآثارها في حياة المسلمين.

و شاء الله العليم الحكيم أن يكون التكليف بالصلوات الخمس على هذه الصورة المتدرجة اللطيفة، ولو شاء أن يكلفه بخمس صلوات من أول الأمر لفعل، لكنه سبحانه وتعالى شاء أن يكلفه بخمسين صلاةً أولاً، وأن يسقط بعضاً من أعدادها كلما ذهب محمد ﷺ إلى موسى ﷺ ثم عاد إليه، حتى أنزل أعدادها من خمسين إلى خمس، مع إبقائهن في الأجر خمسين، أي أنهن خمس في العدد، وخمسون في الأجر.

فعلَّ اللهُ ذلك بالصلوات الخمس، ليمتنَّ على المسلمين بذلك، ويبيِّن لهم رحمته بهم، رحمته في تخفيضهن من خمسين إلى خمس، ورحمته في إبقائهن على خمسين في الأجر. ولا نتصور مقدار المشقة والحرَج لو أبقاهنَّ اللهُ خمسين صلاةً في اليوم! فإذا كان بعض المسلمين قد يتناقل عن الصلوات الخمس، فكيف لو كُنَّ خمسين صلاةً!؟.

إنَّ اللهُ الحكيم يتحبُّ إلى المسلمين، ويقدم لهم مظاهر من رحمته ورأفته بهم، وذلك ليعرفوا فضله وكرمه وإنعامه، ويتذوقوا مظاهر رحمته وبره ومحبته، وبذلك يزدادون محبةً له، وذكراً وشكراً له، ونشاطاً وحيويةً في عبادته وطاعته ومناجاته.

وإنَّ الجاهل السفية محجوب عن هذه المعاني الروحية، لكفره وضلاله، ولذلك لم يفهم الحكمة من فرض الصلوات الخمس بهذه الطريقة المحببة، ومن ثم كذَّب القرآن وكذَّب رسول الله ﷺ، وأثار أسئلته الاستفزازية.

إنَّ الجاهل الغبي يسأل: هل الأنبياء أكثر معرفةً بأحوال الناس من الله؟

أي: كيف يفرضُ اللهُ خمسينَ صلاة، وموسى ﷺ يقول: إِنَّ النَّاسَ لَا يَتَحَمَلُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ جَرَّبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟! . لم يَقُلْ مُسْلِمٌ عَاقِلٌ: إِنَّ مُوسَى ﷺ أَعْرَفُ بِأَحْوَالِ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْأَعْلَمُ، وَعِلْمُهُ شَامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ الْحَكِيمَ شَاءَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْقَاصُ فِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي حَلَّلْنَاهَا قَبْلَ قَلِيلٍ .

وكان الجاهلُ مجرماً عندما شتمَ نبيَّنا محمداً ﷺ في قوله: «أليس هذا كُلُّه ناشئاً عن عدمِ معرفةِ محمدٍ بصفاتِ الله؟!». وإذا كان نبيُّنا ﷺ لا يَعْرِفُ صِفَاتِ اللَّهِ فَمَنْ الَّذِي يَعْرِفُهَا؟! هل هو هذا الجاهلُ الغيبيُّ المتعالم؟! . لقد كان رسولُ اللهِ ﷺ أَعْرَفَ النَّاسِ بِاللَّهِ، وَأَكْثَرَهُمْ تَقْوَى لِلَّهِ، وَأَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ . وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أَتَقَاكُمُ اللَّهُ وَأَخْشَاكُمُ لَهُ»! .

وكان المجرمُ ضالاً بذيئاً عندما شتمَ المسلمين، واتهمهم في نياتهم وقلوبهم وضمائرهم وإخلاصهم، وكأنه مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِهِمْ!! .

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِنِظَافَةِ قُلُوبِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ إِهْتِمَامِهِمْ بِنِظَافَةِ أَبْدَانِهِمْ، وَإِنَّ الصَّلَاةَ تَزْكِيَةُ لِلنَّفْسِ، وَتَطْهِيرٌ لِلْقَلْبِ، وَسُمْوٌ بِالرُّوحِ، وَعِنْدَمَا يُطَهَّرُ الْمُؤْمِنُ بَدَنَهُ، يُقْبَلُ عَلَى رَبِّهِ فِي صَلَاتِهِ، وَيَسْعَدُ بِذِكْرِهِ وَمُنَاجَاتِهِ . . وَيَكُونُ حَاضِرَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَهُوَ يُصَلِّي وَيَدْعُو رَبَّهُ . . وَمَا إِنْ يَنْتَهِي مِنْ صَلَاتِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ تَزَوَّدَ بِالزَّادِ الْإِيمَانِيِّ الْعَظِيمِ .



حول فرض صيام رمضان

أَعَادَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي اعْتِرَاضَهُ عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ، وَنَفَى عَنْهُ صِفَةَ الْوَحْيِ، وَزَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَهُ عَنِ الصَّابِئِينَ .

ذَكَرَ خَمْسَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ تَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ أَحْكَامِ الصِّيَامِ، ثُمَّ نَقَلَ كَلَاماً مِنْ تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، ذَكَرَ فِيهِ أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ كَانَ وَاجِباً عَلَى

النَّصَارَى، وَأَنَّهُمْ نَقَلُوا الصَّوْمَ إِلَى الرَّبِيعِ لِيَكُونَ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ، وَزَادُوا عَلَيْهِ عَشْرِينَ يَوْمًا، فَصَارَ صِيَامُهُمْ خَمْسِينَ يَوْمًا!! ثُمَّ نَقَلَ كَلَامًا لِلْمُؤَرِّخِ أَبِي الْفِدَاءِ، ذَكَرَ فِيهِ أَنَّ الصَّابِئِينَ كَانُوا يَصُومُونَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَكَانَ صِيَامُهُمْ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْمَغْرَبِ! «وَقَالَ أَبُو الْفِدَاءِ فِي تَارِيخِهِ: وَلِلصَّابِئِينَ عِبَادَاتٌ، مِنْهَا سَبْعُ صَلَوَاتٍ، وَيَصُومُونَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَإِنْ نَقَصَ الشَّهْرُ الْهَلَالِيُّ صَامُوا تِسْعًا وَعَشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانُوا يُرَاعُونَ فِي صَوْمِهِمُ الْفِطْرَ وَالْهَلَالَ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْفِطْرُ وَقَدْ دَخَلَتِ الشَّمْسُ الْحَمَلَ، وَيَصُومُونَ مِنْ رِبْعِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ إِلَى غُرُوبِ قُرْصِ الشَّمْسِ».

ومعنى كلام أبي الفداء أَنَّ الصَّابِئِينَ كَانُوا يَصُومُونَ كَصِيَامِ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ صِيَامُهُمْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَوْ تِسْعَةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانَ صِيَامُهُمْ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْمَغْرَبِ! وَبِمَا أَنَّ الصَّابِئِينَ كَانُوا قَبْلَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخَذُوا أَحْكَامَ صِيَامِهِمْ عَنْ أَوْلَئِكَ الصَّابِئِينَ!!.

وهذه هي النتيجة التي خَرَجَ بِهَا الْفَادِي الْمَفْتَرِي! قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: إِنْ كَانَ صِيَامُ رَمَضَانَ لَيْسَ شَرْعًا جَدِيدًا، وَلَا هُوَ مِنَ الدِّينِ السَّمَاوِيِّ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ مَأْخُودٌ مِنَ الصَّابِئِينَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، فَكَيْفَ يَقُولُ: إِنَّ مَصْدَرَهُ وَحْيٌ سَمَاوِيٌّ؟ وَلَا يَوْجَدُ دَلِيلٌ وَاحِدٌ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ: إِنَّ رَمَضَانَ كُتِبَ أَوَّلًا عَلَى النَّصَارَى»^(١).

لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَنَا بِحَدِيثٍ صَحِيحٍ أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ كُتِبَ عَلَى النَّصَارَى، وَمَا ذَكَرَهُ الْبِيضَاوِيُّ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مَعْتَمَدٌ، وَلِذَلِكَ نَتَوَقَّفُ فِيهِ وَلَا نَقُولُ بِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْنَا الصِّيَامَ كَمَا كَتَبَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ قُرْآنِيَّةٌ مُجْمَلَةٌ، لَمْ يَرِدْ حَدِيثٌ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٢٩.

صَحِيحٌ بتفصيلها، فُبْتُيها على إجمالها، ولا نخوضُ في بيانها، لعدم وجود دليلٍ نَعْتَمُدُ عليه. فكلُّ ما نقولُه: أَوْجَبَ اللهُ علينا الصيام، كما أوجبه على الذين من قبلنا، فكان المسلمون السابقون يصومون، أمّا كيف كانوا يصومون؟ وكم كانوا يصومون؟ ومن أيِّ شهرٍ كانوا يصومون؟ فعَلِمُ ذلك عند الله.

أما ما ذَكَرَهُ أبو الفداء في تاريخه عن صومِ الصابئين فإنه لا دَلِيلَ عليه عندنا، حيث لم يَرِدْ فيه نقلٌ صحيحٌ عن رسولِ الله ﷺ أو الصحابة، ولذلك نتوقف فيه ولا نَعْتَمُدُهُ، ولا نَعْرِفُ كيف كان يصومُ الصابئون!.

بعد هذا البيانِ ننظُرُ في ما قاله الفادي الجاهل: «ونحنُ نسأل: إن كان صيامُ رمضانَ ليس شرعاً جديداً، ولا هو من الدين الإسلاميِّ في شيء، بل هو مأخوذٌ من الصابئين في بلادِ العرب، فكيف يقول: إن مصدره وحيُّ سماوي؟».

إنَّ هذا قولٌ متهافٌ سخيفٌ، مبنيٌّ على كلامٍ غيرِ صحيحٍ ولا مقبولٍ، والمهمُّ عند الفادي إدانَةُ القرآن، واتِّهامُهُ بالخطأ، ونفْيُ كونه من عند الله، والزعمُ بأنَّه من البشر، ولذلك يَعْتَمُدُ أيَّ كلامٍ يُحَقِّقُ له هذا الهدفَ الخبيثَ، حتى لو كان ذلك الكلامُ باطلاً مردوداً... وما بالكَ في مَنْ يزعمُ أنه باحثٌ، وهو يَعْتَمُدُ على كلامٍ غيرِ صحيحٍ؟!.

إنَّ صومَ شهرِ رمضانَ شرعٌ إسلاميٌّ جديدٌ، خاصٌّ بالمسلمين، والله هو الذي كَتَبَهُ عليهم وأمرهم به، كما وردَ في الآياتِ الصريحة، وخصَّهم بأحكامِهِ الشرعية... ولا يَنفِي هذه الحقيقةَ القاطعةَ تشبيهُ صيامنا بصيام مَنْ قبلنا: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، فوجهُ الشَّبَهِ هو في وجوبِ الصيام، وهو الامتناعُ عن الطعامِ والشرابِ. أما كيفيةُ الصيامِ وأحكامُهُ وَعَدَدُ أيامِهِ، فلكلِّ أُمَّةٍ تُسْرِعُهَا الربانيُّ الخاصُّ بها، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

حول حرمة الأشهر الحرم

أورد الفادي عدة آيات تتحدّث عن القتال في الأشهر الحُرْم، والأشهر الأربعة التي وادع عليها رسولُ الله ﷺ المشركين المعاهدين. والآيات التي ذكّرها سبعُ آياتٍ من سورة التوبة (١ - ٥) و(٣٦) و(٣٧)، وآية من سورة البقرة (١٩٤)، وآيتان من سورة المائدة (٢) و(٩٧).

وبعد ذلك أثارَ أسئلته الاعتراضية التشكيكية، قال: «ونحنُ نسأل: لماذا يُحرمُ القرآنُ القتالَ في الأربعة أشهرِ الحُرْم فقط، ويحلُّهُ في بقيةِ شهورِ السنّة؟ أليسَ الأجدرُ أن يُحرمَ القتالَ دائماً ليحيا الناسُ في سلام؟ ولماذا يُخالفُ القرآنُ ما اصطَلح عليه العربُ من منع القتالِ في الأشهرِ الحُرْم، بعد اعترافه أن ذلك من شعائرِ الله؟ ويُلطِّخُ الأشهرَ الحُرْم بسفكِ الدِّماءِ، مما جعلَ العربَ يُعيرونه بالعدوِّ والخيانة؟ وما بالُ القرآنِ بعد هذا يُدافعُ عن الأشهرِ الحُرْم، فيخلطُ بين السنّةِ القمريةِ والسنّةِ الشمسيةِ، ويزعمُ أن الاعترافَ بالسنّةِ الشمسيةِ كُفْرٌ؟ وإذا كانتِ الأشهرُ الحُرْم من شعائرِ الله، فلماذا بطلَ اعتبارها في جميعِ العالمِ الإسلاميِّ في الوقتِ الحاضر؟»^(١).

يَعترضُ الفادي على تحريمِ القتالِ في الأشهرِ الحُرْم فقط، ويقترحُ تعميمَ تحريمه على أشهرِ السنّةِ كُلِّها، ليعيشَ الناسُ في سلام! في الوقتِ الذي يُخطِّطُ فيه الأعداءُ لقتالِ المسلمين، ولا يتوقَّفُ تخطيطهم أو حشدُ جيوشهم في أيِّ شهرٍ من شهورِ السنّة! فما معنى ذلك؟ إنها دعوةٌ خبيثةٌ من هذا الفادي وأمثاله، ليقتلَ روحَ الجهادِ في نفوسِ المسلمين، لكي لا يُواجهوا الأعداءَ الحريصينَ على قتالهم! وتأمَّلْ معنا براءةَ دعوةِ الفادي: الأعداءُ لا يتوقَّفون عن صرَبنا ومواجهتنا، ويجبُ على قرآننا أن يُحرمَ علينا قتالهم!!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٠.

ثم يعترضُ الفادي على القرآنِ في حديثه عن الأشهرِ الحُرْمِ، ويتهمه بالتناقض! فبعدما اعترف القرآنُ أنَّ الأشهرَ الحُرْمَ من شعائرِ الله التي يحرمُ القتالُ فيها، ونهى المسلمينَ عن استحلالِ القتالِ فيها، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْآلِفَةَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢] عادَ وأباحَ للمسلمين القتالَ في الشهرِ الحرامِ، وذلك في قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤].

مع أنَّ الأمرَ ليس كما فهمه ذلك الجاهل، وإننا نوقنُ أنه لا تعارضَ بين آياتِ القرآنِ.

فالقرآنُ حرَّم على المسلمين بدءَ القتالِ في الأشهرِ الحُرْمِ؛ لأنها من شعائرِ الله التي لا يجوزُ استحلالُ القتالِ فيها، حتى العربُ في الجاهليةِ احترموها ولم يتقاتلوا فيها، ولذلك كان المسلمون أكثرَ احتراماً لها.

لكنَّ القرآنَ أجازَ للمسلمين الردَّ على قتالِ الأعداءِ لهم فيها، ولا يلامُ المسلمونَ على ردِّ العدوانِ في الأشهرِ الحُرْمِ، إنما يلامُ الأعداءَ المعتدون، الذين انتهكوا حرمةَ تلك الأشهرِ الحُرْمِ، وليس من المعقولِ أن يُهاجمَ الأعداءُ المسلمين، وأن يسكتَ عليهم المسلمونَ بحجةِ حرمةِ القتالِ في الأشهرِ الحُرْمِ! وعلى هذا قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وبهذا الجمع بين الآيات التي تُحرِّمُ بدءَ القتالِ في الأشهرِ الحُرْمِ، والآياتِ التي تُبيحُ ردَّ الاعتداءِ في الأشهرِ الحُرْمِ ندركُ حكمةَ التشريعِ الإسلاميِّ الجهادي. والأمرُ في هذه المسألةِ مثلُ حُكْمِ القتالِ عند المسجدِ الحرامِ، فاللهُ حرَّم على المسلمين البدءَ بقتالِ الكافرين عندَ المسجدِ الحرامِ، لكنه أجازَ لهم الردَّ على قتالهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُفْتَلِكُ فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

ولكنَّ الفادي الجاهل مطموسُ البصيرة، محجوبُ القلب، لا يُوقِّقُ لهذه المعاني لكفره وضلاله، ولذلك يُسارعُ بتخطئةِ القرآنِ واتهامه بالتناقض!!.

ولم يفهم الغيبي حديثَ القرآنِ عن شهورِ السنة، وما فيها من أشهرِ حُرْمٍ، وما كانَ يُفَعِّلهُ الجاهليُّونَ من نسيءٍ فيها. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴿٣٧﴾ [التوبة: ٣٦ - ٣٧].

المعتمدُ في الإسلام هو الحسابُ القمري، والسنةُ القمريةُ اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعةُ أشهرٍ حرم وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب. ودعا الله المسلمين إلى عدم ظلم أنفسهم بارتكاب المعاصي، ومنها انتهاكُ حرمةِ الأشهرِ الحُرْم، ببدءِ قتالِ الأعداءِ فيها، فإن قاتلهم الأعداءُ فيها جازَ لهم قتالُهم والرَّدُّ على عدوانهم، كما تُصرِّحُ آياتُ سورةِ البقرة وسورةِ التوبة: ﴿الشُّهُرُ الْحُرَامُ بِالشُّهُرِ الْحُرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ و ﴿وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

تدُمُّ الآياتُ بعدَ ذلك المشركينَ في الجاهلية، لما كانوا يُمارسونه من نسيء، وذلك بنقلِ حُرْمَةِ شهرٍ حرامٍ إلى شهرٍ آخر، إذا احتاجوا لقتالِ الآخرين فيه، وقد زادهم هذا النسيءُ والتلاعبُ كُفْرًا وضلالًا.

هذا ما تقرره الآيتان (٣٦ - ٣٧) من سورةِ التوبة، وكم كان الفادي الجاهلُ غيبياً عندما استخرجَ منهما قوله: «ما بالُ القرآنِ بعد هذا يُدافعُ عن الأشهرِ الحُرْم، فيخلطُ بين السنةِ القمريةِ والسنةِ الشمسية، ويزعمُ أنَّ الاعترافَ بالسنةِ الشمسية كُفْرٌ؟».

لا أدري كيف خلطَ القرآنُ في الآيتين السابقتين بين السنةِ القمريةِ والسنةِ

الشمسية! إنَّ كلامه هو عن السنَّة القمرية، ولم يتكلَّم عن السنَّة الشمسية كلمةً واحدة! ولا أدري من أين أخذ الغيبي أنَّ القرآن اعتبر الاعتراف بالسنَّة الشمسية كفراً، مع أنه لم يذكرها أصلاً.

إنه من السهل توزيع الاتهامات جزافاً، وقد يُخدَع بها بعض الناس أحياناً، لكن ماذا يكون موقفُ المفتري عندما تتلاشى اتهاماته، ويعرفُ المراقبون والمتابعون تفاهتها؟!.

١٥٣

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

ذَكَرَ المفتري قولَ الله ﷻ: ﴿قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يَسْلَمُونَ فإِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

ونقلَ كلاماً من تفسيرِ البيضاويِّ في تفسيرِ الآية، وَوَقَفَ أَمَامَ جَمَلَةٍ: ﴿تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يَسْلَمُونَ﴾، وَنَقَلَ تفسيرَ البيضاويِّ لها: «أي: يكونُ أحدُ الأمرين: إمَّا الإسلامُ أو المقاتلة، لا غير.. وَمَنْ عَدَاهُمْ يُقَاتِلُ حَتَّى يُسَلِّمَ أَوْ يُعْطِيَ الْجِزْيَةَ. ﴿فإِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ في الآخرة». أي أنَّ المشركين في بلادِ العرب يُقاتلون، ولا يتوقَّفون قتالهم إلا بإسلامهم.. أما أهلُ الكتابِ من اليهود والنصارى فأمامهم خياران: إمَّا الإسلامُ وإمَّا دَفْعُ الجِزْيَةِ، وهو ما دَلَّ عليه قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

واعترضَ الفادي المفتري على هذه الدعوة القرآنية، واعتبرها دليلاً على انتشارِ الإسلامِ بالسيف. قال: «ونحنُ نسألُ: هل يقومُ دينٌ صادقٌ إلا على

الحُجَّةِ والبُرْهانِ، لا على الإِرهَابِ والاستبداد؟ وإن كانت الآياتُ المكيَّةُ تُحَضُّ على السُّلْمِ، والآياتُ المدنيَّةُ تحضُّ على القتالِ، فأَيُّ آياتٍ منها أرسخُ وأثبتُ؟ وأيُّها أنسبُ من حيثُ الإِيمانُ والثوابُ؟.

إنَّ الإِرهَابَ يَدْفَعُ للنِّفاقِ. قالَ الشاعرُ:

أَسْلَمَ الكَافِرُونَ بِالسَّيْفِ قَهْرًا وَإِذَا مَا خَلَوْا فَهُمْ مُجْرِمُونَ
سَلِمُوا مِنْ رِوَاكِ مَالٍ وَرُوحِ فَلَا هُمْ سَالِمُونَ وَلَا مُسْلِمُونَ
يَزَعُمُ المِفْتَرِي وَجُودَ تَعَارُضٍ بَيْنَ الآيَاتِ المَدِينِيَّةِ والآيَاتِ المَكِّيَّةِ،
فَآيَاتِ المَكِّيَّةِ تحضُّ على السُّلْمِ، والآيَاتِ المَدِينِيَّةِ تحضُّ على القِتالِ؛ فأَيُّها
أَصْدَقُ؟ وأيُّها يَتَّبِعُ؟.

وهذا زَعْمٌ باطلٌ، فالآياتُ المكيَّةُ سَكَتَتْ عن قِتالِ الكفارِ، فكانَ قِتالُهُم
من الأمرِ المَوْجَلِ، الذي لم يَحِنُّ وَقْتُ الحَدِيثِ عنه، وليس معنى هذا أنَّ
الآياتِ المكيَّةِ كانتْ تَنْهَى عن القِتالِ، وتحضُّ على السُّلامِ.

وبعدما أَقامَ المسلمونَ مجتمَعَهُم الإِسلاميَّ بعد الهِجرةِ، واعتدى عليهم
الكافرونَ، أَذِنَ اللهُ لَهُم بِالقِتالِ، وأمرهم به، وَحَثَّهُم عليه. وَأشارتْ الآياتُ
المَدِينِيَّةُ إلى ما كانَ عليه المسلمونَ في مكة. قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ
لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ
النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧].

ويَقومُ سِوَالُ الفادي على المغالطةِ والاثِّهامِ: «هل يَقومُ دينٌ صادقٌ إلَّا
على الحُجَّةِ والبُرْهانِ، لا على الإِرهَابِ والاستبداد؟». ومن المتفقِ عليه أنَّ
أَيَّ دينٍ لا يَقومُ إلَّا على الحُجَّةِ والبُرْهانِ. والإِسلامُ دينٌ يَخاطبُ العِقلَ
والقَلْبَ والروحَ، ويقدمُ للناسِ حقائقَهُ بالحُجَّةِ والبُرْهانِ، والدليلِ المقنعِ الذي
يُخاطبُ العِقلَ.

وانتشرَ الإسلامُ في العالمِ بالدعوةِ وليسَ بالسيفِ، وقامَ على الحُجَّةِ

والبرهان، وخاطب الدعاء الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ودخلت بلاد واسعة في الإسلام. لم تحدث فيها معركة واحدة، مثل أندونيسيا وماليزيا. ولو انتشر الإسلام بالسيف، وأسلم الناس مُكرهين، لارتدوا عن الإسلام عندما ضُعف سلطان المسلمين السياسي، وتقلص نفوذ الإسلام من المجتمعات. وها هو الإسلام يكتسب عقولاً وقلوباً جديدة في العالم الغربي، ويُسلم أناس من قادة الفكر والرأي والعلم والمعرفة عندهم، مع أنه لا يوجد للإسلام دولة تبتأه بصدق، وتدعو إليه بإخلاص، ومع اشتداد الهجمة الشرسة عليه من قبل قوى البغي والعدوان، بقيادة اليهودية الخبيثة والصليبية الحاكمة، فلو لم يُقدّم حقائقه بالحجة والبرهان لما أثار في الناس!

والإسلام لا يقوم على الإرهاب والاستبداد، ولم ينتشر بالسيف والعنف والإكراه. وقد صرح القرآن بعدم الإكراه على اعتناق الإسلام. قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولم يكن القتال وسيلة للدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس، إنما القتال وسيلة لردّ عدوان الكافرين على الإسلام والمسلمين، وردّ عدوانهم على بلاد المسلمين، وردّ عدوانهم على الدعوة المسلمين المنتشرين بين الشعوب، يدعون إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة!

إنّ القتال في الإسلام قتال للقوة المادية الكافرة، التي تقف أمام دين الله. ولم يكن هدف القتال إدخال الناس بالإسلام مُكرهين، كما يزعم الفادي المفتري، إنما هدف القتال تحطيم قوة الكفار العسكرية، المتمثلة في الجيش والأسلحة والعتاد! هدفه إزالة النظام الكافر، الذي يُحارب بكل مؤسساته الإسلام، ويمنع شعبه من اعتناق الإسلام عن بصيرة! هدفه تحرير الشعوب الكافرة المستعبدة من قبيل الحكام الطواغيت.

وبعدما يُحقق القتال هدفه ويحطم القوة المادية العسكرية، ويُحرر الشعوب المستعبدة، يُقدّم الإسلام نفسه إلى هؤلاء المحررين، ويخاطبهم

بالحجة والبرهان ويدعوهم إلى الدخول فيه عن قناعة واختيار. . فمن اقتنع ودخل فيه فقد فاز في الدنيا والآخرة، ومن رَفَضَ ذلك وأصرَّ على كفره تركه المسلمون، وطالبوه بدفع مبلغ من المال، اسمه «الجزية»، مُقابل حمايتهم له.



حول القصاص في القتل

وَقَفَ الفادي أمام آية القصاص في القتل، وهي قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأِيبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 178].

وذكر تفسير البيضاوي للآية، واختلاف المذاهب في قتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى، مع أن الآية لا تدل على جواز ذلك ولا على منعه، كما قال البيضاوي: «ولا تدل الآية على أن لا يُقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، كما لا تدل على عكسه».

فمسألة قتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، والمؤمن بالكافر، لم يتكلم فيها القرآن كلاماً صريحاً، وإنما اختلف فيها العلماء والمذاهب اختلافاً كبيراً. . ومع ذلك اعترض الفادي المفتري على القرآن فيها، وخطأه وانتفده، مع أنه لم يتكلم فيها!! قال: «ونحن نسأل: لماذا سمح محمد وأبو بكر وعمر وعلي للأغنياء والسادة أن يقتلوا العبيد دون أن يقتصوا منهم، وجعلوا عدم قتل الحر بالعبد والمسلم بذي عهد سنة أقرها المذهب المالكي والمذهب الشافعي؟ ولماذا لم يعتبروا قول التوراة المحكي في القرآن ﴿النفس بالنفس﴾ قانوناً إلهياً واجب الاتباع، مدعين أن التوراة لا تنسخ القرآن، رغم أن عبارة القرآن تُنافي قواعد العدل والمساواة بين البشر؟ إن الله واحد، وقانونه واحد، فلماذا يُحابي الإسلام الأغنياء، فلا يُطالب بدماء العبيد من أعناق السادة؟ ومن الغريب أن الشرع الإسلامي يصرح أنه لا يُقتل مؤمن بدم كافر، ولا بدم

ذي عهد. ألا يُعتبرُ هذا رخصةً من الإسلامِ للعبثِ بأرواحِ جميعِ بني آدم، واعتبارِ العهودِ فُصاصةً على وَرَقٍ؟!»^(١).

اعتراضُ الفادي المفتري على القرآن لا يتناسبُ مع موضوعِ كتابه، وكان الأولى به أن لا يجعله في الكتاب، لأنه خَصَّصَ الكتابَ لاكتشافِ الأخطاءِ في القرآن، وهذا ليسَ موضوعاً قرآنيّاً، ولكنه يُريدُ أن يُسجَلَ كُلُّ ما يُثيرُ الشبهةَ والتشكيكَ في القرآن!.

إن مسألة الاختلافِ في قتلِ الحرِّ بالعبدِ والذكرِ بالأنثى والمؤمنِ بالكافرِ مسألةٌ فقهية، وليستَ مسألةً قرآنيةً أو حديثيةً، والأولى أن تُبحثَ ضمنَ المباحثِ الفقهية، وقد اختلفَ فيها الفقهاء. فالشافعيةُ يرونَ أنه لا بُدَّ من التكافؤِ في القصاصِ، بمعنى أن يكونَ القَتيلُ مُكافئاً للقاتلِ لِيَتَمَّ القصاصُ، وبما أنه لا تساويَ بين الحرِّ والعبدِ، والمؤمنِ والكافرِ، والذكرِ والأنثى، فلا قصاصَ بينهم، فإذا قَتَلَ الحرُّ عبداً، أو المؤمنَ كافراً، أو الرجلُ امرأةً، دفعَ القاتِلُ الدِّيَةَ ولم يُقتَصَّ منه.

أما الأحنافُ فإنهم لا يشترطونَ التكافؤَ في القصاصِ، ويجوزُ قتلُ الأعلى بالأدنى، أي أنه يُقتلُ عندهم الحرُّ إذا قَتَلَ عبداً، ويُقتلُ المؤمنُ إذا قَتَلَ كافراً ذمياً معاهداً، ويُقتلُ الرجلُ إذا قَتَلَ امرأةً.

ومع أن المسألةَ خلافيةً بين المذاهبِ، فيجوزُ أخذُ أيِّ قولٍ، وترجيحُه على الأقوالِ الأخرى، دونَ ذمِّ لأصحابِ الأقوالِ الأخرى، أو اتهامِ الإسلامِ والقرآنِ بالخطأ أو الظلمِ والمحاباة، كما فعلَ الفادي المفتري.

وإنني أميلُ منذُ مُدَّةٍ إلى ترجيحِ قولِ الأحنافِ في هذه المسألة، مع أنني شافعيُّ المذهبِ، لأنني أراه أكثرَ اتفاقاً مع المساواةِ وإنسانيةِ الإنسان، وتحقيقِ العدالةِ الإنسانية، مع احترامِمي للأقوالِ الأخرى فيها.

وإنَّ عَدَمَ قتلِ الحرِّ بالعبدِ كما يُقررُ المذهبُ الشافعي لا يعني مُحاباةً

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٢.

الأغنياء والسادة. ولا يعني ذهاب دماء العبيد هدرًا؛ لأنَّ الحكم ينتقل من القصاص إلى الدية، يدفعها أهل القاتل إلى أهل القتيل.

والفادي المفترى الذي شَنَّ على النَّسخ هُجوماً شديداً، يدَّعو الآن إلى اعتماده والقول به، لأنه يتفق مع هواه! فقد أَخْبَرَنَا اللهُ في القرآن عن حُكْمِهِ في التوراة بوجوب قتل أيِّ نفسٍ بأيِّ نفس. قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾ [المائدة: ٤٥]. وعلَّقَ الفادي على هذا بقوله: «ولماذا لم يُعْتَبِرُوا قول التوراة المحكي بالقرآن: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ قانوناً إلهياً واجب الاتباع، مُدَّعين أن التوراة لا تنسخ القرآن!».

وكيف يُريد للتوراة النازلة قبل القرآن بمئات السنين أن تنسخه، مع أنه من المتفق عليه عند العقلاء أن السابق المتقدم لا ينسخ اللاحق المتأخر.

وإذا كان اللهُ قد أوجب القصاص في التوراة، وأوجب قتل النفس بالنفس، فقد أوجب ذلك في القرآن، عندما أمر بالقصاص في القتلى، وفصل ذلك بقوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾. فهذه الحالات الثلاثة في الآية تفسير للنفس بالنفس.

أما الجملة التي ذكَّرها الفادي: «إنَّ عبارة القرآن تُنافي قواعد العدل والمساواة بين البشر» فهي جملةٌ فاجرة، شتم المجرم بها القرآن، مع أنَّ العبارة التي اعترض عليها لا تتنافى مع العدل والمساواة بين البشر، وإنما تعمل على إقرارها وسيادتها.

وإذا كان بعض المذاهب لا يُجيزون قتل المسلم بالذمي قصاصاً؛ فإنَّ مذاهب أخرى أجازت ذلك، وسبق أن ذكرنا أنَّ المذهب الحنفي يقول بذلك، وأنا رجَّحنا هذا القول.

وحتى عند الذين لا يقتلون المسلم بالذمي المعاهد قصاصاً، فإنَّ دمَّ الذمي القتيل لا يذهب هدرًا؛ لأنَّ الواجب ينتقل إلى الدية، يدفعها أهل القاتل لأهل القتيل!

وهذا لا يُؤدِّي إلى اعتبارِ العهدِ في الإسلامِ لا قيمةَ لها، فالإسلامُ دَعَا إلى الالتزامِ بالعهودِ والوفاءِ بها، والمسلمون من أكثرِ النَّاسِ التزاماً ووفاءً بالعهودِ. كما أنه يعتبرُ المحافظةَ على الأرواحِ والدِّماءِ من مقاصدهِ الأساسيةِ، ولا يُجيزُ سَفْكَ دَمِ أيِّ إنسانٍ أو إزهاقِ روحِهِ إلَّا بسببِ مشروعٍ، مثل الجهادِ للمُعتدِّين، أو تطبيقِ الحدِّ الشرعيِّ على المجرمين.



حكم قتل المرتد

أوردَ الفادي المفتري آياتٍ تتحدَّثُ عن المرتدِّ عن الإسلامِ؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَبِمَتِّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وأساءَ الفادي فهمَ قولَ الله ﷻ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَّحِذُوا مِنْهُمْ وَليْسَ وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

فهمَ منها أنها تحكُّمُ بالكُفرِ على المؤمنين الذين تناقلوا عن الهجرةِ إلى المدينة. قال: «والظاهرُ من سورة البقرة أنَّ مَنْ يرتدُّ عن الإسلامِ إلى أيِّ دينٍ آخرَ يُعتبرُ كافراً. والظاهرُ من سورة النساءِ أنَّ الذين أظهروا الإسلامَ ثم قعدوا عن الهجرةِ، أو جبَ القرآنُ على المسلمين أن يُقتلُوهم حيث وجدُوهم، كسائرِ الكُفَرَةِ، فأينَ حريةُ العقيدةِ والدين؟! إنها وصمةٌ عارٍ أن يُقتَلَ الذي يرى في الإسلامِ غيرَ الذي يرونه!»^(١).

إنَّ هذه الآيةَ من سورة النساءِ لا تحكُّمُ بالكُفرِ على مُسلمين لأنهم تناقلوا عن الهجرةِ، ولا تأمرهم بالقتلِ لمجردِ هذا السَّببِ، كما فهمَ الفادي

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٣.

منها هذا، وإنما تتحدث عن منافقين كافرين حقيقة، وكفرهم ليس بسبب عدم الهجرة، وإنما كفرهم بنفاقهم، والمنافقون كفار في الحقيقة، رغم إظهارهم الإسلام. قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَّخِذُوا مِنْهُمْ وَآلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٨ - ٨٩].

هم منافقون لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾. . وهم كفار حقيقة لقوله: ﴿وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾. . وتنهى الآيات المؤمنين عن اتخاذ أولئك المنافقين الكافرين أولياء، حتى يهاجروا في سبيل الله، ومعنى هجرتهم في سبيل الله أن يدخلوا في الإسلام أولاً، ثم يهاجروا بعد ذلك؛ لأن الهجرة مبنية على الإسلام.

فإن رفضوا الدخول في الإسلام، ورفضوا الهجرة في سبيل الله، فعلى المسلمين أن يأخذوهم ويقتلوهم حيث وجدوهم! والسبب هو كفرهم ونفاقهم وعداوتهم للمسلمين وحبهم لهم، وهذه جرائم استحقوا بها القتل!!.

وتباكى الفادي على المرتدّين الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واعتبرهم مظلومين معتدى عليهم، قال: «أين حرية العقيدة والدين؟ إنها وصمة عار أن يقتل الذي يرى في الإسلام غير الذي يرونه. . ألم يُلطخ أبو بكر الصديق يديه بدماء ألوف المرتدين؟!».

كما تباكى على جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، الذي دخل في الإسلام بعد فتح بلاد الشام، ولم يكن إسلامه عن قناعة، ولما حكم عمر رضي الله عنه أن يقتل منه ذلك الأعرابي الذي لطمه أثناء الطواف، اعتبرها جبلة إهانة له، وهرب من المدينة إلى بلاد الروم مرتدّاً عن الإسلام، عائداً إلى النصرانية!.

واعترض الفادي المفترى على قتل المرتد لا يتفق مع موضوع كتابه، الذي خصّصه لانتقاد وتخطئة القرآن، وهذه المسألة مسألة حديثة فقهية.

فالقرآن لم يتحدث عن قتل المرتد، والذي أمر بذلك هو رسول الله ﷺ. وذلك في قوله: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

من الذي أمر الإسلام بقتله؟ إنه ليس الكافر أضلاً، المصير على كُفره، ولكنه الكافر الذي دخل في الإسلام، ثم خرج منه وعاد إلى الكفر. إن الردة دليل على التلاعب بالعبقيدة والإيمان، والاستهزاء بالإسلام والقرآن، والكيد ضد المسلمين.

إن المرتد يُعلنُ برديته خطأً للإسلام وبُطلانه، وهو برديته يدعو المسلمين إلى الاقتداء به، والارتداد عن الإسلام مثله!

والإسلام حقٌ وِصواب، ودعوة للعالمين جميعاً، والمرتد عن الإسلام محاربٌ له برديته، وصادٌّ عنه، وهذه الجرائم استحقَّ بها القتل.

والمرتد لا يُقتل فوراً، إنما يُناقش أولاً، وتُزال الشبهات التي عنده، وتُقدَّم له الحجج والبراهين على الحق، ويُدعى للعودة إلى الإسلام، كلُّ ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن رَفَضَ هذا المنطق العقلاني الدعوي، وأصرَّ على ارتداده وكُفره، فيكون هذا من باب العناد والاستكبار، ولا يعتمد على دليل عقلي مُقنع، لأنَّ الإسلام حقٌ يتوافق مع الفطرة والمنطق والعقل السليم، وليس فيه ما يتصادم أو يتناقض مع المنطق.

عند ذلك يكون ارتداده تلاعباً وكيداً وحرباً للإسلام، ويكون جزاؤه القتل. إنَّ حرية العقيدة والدين التي يتباكى عليها الفادي المفترى ليست مع هذا المرتد عن الإسلام، إنما هي مع الكافر، الذي لم يدخُل في الإسلام أضلاً، فهذا يدعى للدخول في الإسلام بالمنطق والحجة والبرهان، فإن اقتنع واعتنق الإسلام يكون قد فاز في الدنيا والآخرة، وإن رَفَضَ الدعوة وأصرَّ على كفره تركه المسلمون وشأنه، من باب حرية العقيدة والدين التي يُنادي بها الفادي، ولا يُجبرونه على الدخول في الإسلام؛ لأنَّ الله يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي

الَّذِينَ قَدْ تَبَيَّنَ ارْتُدُّ مِنْ النَّارِ ﴿ [البقرة: ٢٥٦] . . مع اليقين بأن هذا الذي رفض
الدخول في الإسلام كافر ضال خاسر، فاسق ظالم مجرم، ليس على هدى أو
إيمان أو حق، وهو في الآخرة مخلد في نار جهنم.



حكم الزواج بالكتابات

أباح الله للمسلمين الزواج بالكتابات، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ
الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلاً لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلاً لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ
وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴿ [المائدة: ٥].

وعلق الفادي على هذا بقوله: «يُجِزُ الْقُرْآنُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا
الْمَسِيحِيَّاتِ . . بينما يُحَرِّمُ الْإِنْجِيلُ تَحْرِيماً بَاتاً زَوَاجَ الْمَسِيحِيَّاتِ بِغَيْرِ
الْمَسِيحِيِّينَ، ويقول: «فهي حُرَّةٌ لَكِي تَتَزَوَّجَ بِمَنْ تُرِيدُ، فِي الرَّبِّ فَقَطْ» . . وهذا
إعلان قرآني باحترام الإيمان المسيحي؛ لأن الزوجة المسيحية ستربي أولاد
الزوج المسلم»^(١).

زعم الفادي أن الإنجيل حرّم زواج النصرانية من غير النصراني، فكيف
توافق النصرانية على الزواج من المسلم؟ إنها بذلك تُخالف أحكام دينها، فما
رأي الفادي في هذه المخالفة؟ ولماذا يُجيز - وهو القسيس - للنصرانيات
الزواج من المسلمين؟ إنه يعتبر إباحة زواج المسلم بالكتابة إعلاناً قرآنياً
باحترام الإيمان المسيحي، وتفويض المرأة النصرانية بتربية أولاد زوجها
المسلم.

لقد أباح القرآن للمسلم الزواج بالكتابة؛ لأنها تؤمن بالتوراة أو

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٤.

الإنجيل، وهما كتابان من كتبِ الله، صحيحٌ أنّ اليهود والنصارى حرّفوهما بعد ذلك، لكنّ أصلهما من عندِ الله، فهو يتعاملُ معهما على هذا الأساس.

ولا يعني إباحة الزواج من الكتابية الاعتراف بأنها مؤمنةٌ موحّدة، بل هي كافرة؛ لأنّ مَنْ لم يكن مسلماً فهو كافرٌ بنصّ القرآن. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ونُقِرُّ أنّ القرآن لم يُبَحِّحِ الزواج بالنصرانية فقط، وإنما أباح الزواج باليهودية والنصرانية، لأنهما كتابيتان، والزواج بهما مُباحٌ، وليس واجباً أو مندوباً أو سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، والأولى والأفضل أن لا يكون، لكنه مُباحٌ لمن أَرَادَهُ.

وهو ليس مباحاً مُطلقاً، إنما هو مباحٌ بشرط أن تكون الكتابية مُحَصَّنَةً لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾. والمرادُ بالإحصان هنا العفة وإحصان الفرج، وعدم ارتكاب فاحشة الزنى، ولا بُدَّ للمسلمين الراغبين في الزواج من الكتابيات من أن يكونوا مُحَصِّنِينَ عَفِيفِينَ، غير زناةٍ مسافحين ولا متخذي أخذان.

والخلاصة أنّ الزواج بالكتابيات اليهوديات والنصرانيات مُباحٌ إباحة، مع أنّ الأولى أن لا يكون، وهو مباحٌ بشرط الإحصان في الطرفين، الإحصان في الرجل المسلم وعدم زناه، والإحصان في المرأة الكتابية وعدم زناها. . . وَفَتَّشْ عن امرأةٍ كتابيةٍ غريبةٍ مُحَصَّنَةٍ غَيْرَ زَانِيَةٍ في هذا الزمان!.





الفصل السابع

نقض المطاعن الاجتماعية

لماذا شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟

اعتراض الفادي الجاهل على تفريق القرآن بين الرجل والمرأة في الشهادة، حيث جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الموضوع الذي تأمر الآية بالإشهاد عليه هو الدين، وهو موضوع مالي تفصيلي إجرائي، يقوم على المعاملات بين الناس، ومعلوم أن هذه التفاصيل الدقيقة تعني الرجال غالباً وتستهويهم، أما النساء فإنهن لا ينتبهن لها غالباً، لأنها لا تتفق مع ميولهن. وإذا طُلب من المرأة أن تنتبه لهذه التفاصيل وتخفظها فإنها لا تضبط ذلك، وإن طُلب منها أن تذكر تلك التفاصيل بعد فترة فإنها لا تحسن أداء ذلك.

فإذا جعلت المرأة شاهدة على تلك التفاصيل المالية، وطلب منها أداء الشهادة، فإنها غالباً لا تستحضر تلك التفاصيل، وبذلك لا تؤدي الشهادة على أصولها، وبذلك قد يضع الحق على صاحبه!!

وإن الله العليم الحكيم الذي خلق المرأة على هذه الصورة، يعلم ذلك منها، ولذلك جعل شهادة المرأتين مقابل شهادة الرجل الواحد، وعلل ذلك بقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. أي: تأتي المرأتان لأداء شهادتهما على تفصيلات الدين، وتوقف الشاهدتان معاً، فإذا نسيت إحداهما بعض تلك التفاصيل ذكرتها صاحبتها، وبذلك تكامل شهادتهما على تقرير الحقيقة!.

ولكن الفادي لا يعرف هذا المعنى، لذلك اعترض على القرآن وخطأه،

واعتبره امتهاناً للمرأة. قال: «ونحنُ نسأل: كم هو مقدارُ الغبنِ والمهانة، التي تشعرُ بها السيداتُ من هذا المبدأ المُهين، البعيدُ كُلَّ البعدِ عن مبدأ المساواةِ في الشخصيةِ الإنسانية؟ كم من امرأةٍ واحدةٍ فاضلةٍ خيراً من عديدٍ من الرجالِ الجُهالِ؟!»^(١).

وكلامه دليلٌ جهلهُ وغبائهُ، فالأمرُ ليس كما تصوّره، وليس الكلامُ عن الغبنِ والظلم، والاحتقارِ والمهانة، وليس فيه تفضيلُ جنسِ الرجالِ على جنسِ النساءِ، بل هو موضوعٌ ماليٌّ إجرائيٌّ تفصيليٌّ خاصٌّ كما ذكرنا.

والمرأةُ مساويةٌ للرجلِ في الإنسانية، وفقَ التصورِ الإسلامي، ثم تفرقُ عنه بعدَ ذلك في فروقٍ خاصّةٍ بها، جعلها اللهُ في كيانها، لتُحققَ رسالتها الإنسانية، كما يفرقُ الرجلُ عنها في فروقٍ خاصّةٍ به، ليُحققَ رسالتهِ الإنسانية.

ولا ننكرُ أنّ بعضَ النساءِ المؤمناتِ الصالحاتِ الفاضلاتِ، أفضلُ من كثيرٍ من الرجالِ غيرِ الصالحين؛ لأنَّ التّقوى هي أساسُ التّكريمِ عندَ الله.



لماذا ميراث المرأة نصف ميراث الرجل؟

اعترضَ الفادي المفتري على قولِ الله ﷻ: ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذُلِّكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

تجعلُ الآيةُ ميراثَ الرجلِ ضعفَ ميراثِ الأنثى، فالرجلُ يأخذُ مثلَ نصيبِ المرأتينِ. وهذا أثارَ اعتراضَ الفادي، فقال: «ونحنُ نسأل: لماذا لا يتساوى الولدُ والبنْتُ في الميراثِ؟ أليس لكلِّ منهما جسدٌ يحتاجُ للكساءِ، ومعدّةٌ تحتاجُ للقوتِ؟ أليست مطالبُ المعيشةِ على كليهما واحدةً؟ بل قد تكونُ أقسى على البنتِ وهي قاصرٌ أو عانسٌ أو أرملة!»^(٢).

يقترحُ الفادي أن يتساوى الرجلُ والمرأةُ في الميراثِ، بحجةِ تساويهما في

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٧. (٢) المرجع السابق نفسه.

الحاجات من طعامٍ وشرابٍ وكساء، بل إنَّ المرأةَ أكثرُ حاجةً في ذلك من الرجلِ .
ويعتبرُ أخذَ الرجلِ ضِعْفَ نصيبِها من الميراثِ ظُلماً لها، وتفضيلاً للرجلِ عليها .

إنَّ إعطاءَ الرجلِ ضِعْفَ نصيبِ المرأةِ ليس مرتباً بالتفضيل، أي ليس الرجلُ أفضلَ من المرأةِ تفضيلاً جنسياً، فلا يُفَضَّلُ لِأَنَّهُ رَجُلٌ . . . ويقومُ التفضيلُ عندَ الله على أساسِ العملِ، بدونِ اعتبارٍ للجنسِ أو اللونِ أو اللغَةِ أو العمرِ أو التملكِ أو النسبِ، فالأكرمُ عندَ الله هو الأتقى، سواء كان رجلاً أو امرأةً، غنياً أو فقيراً، شريفاً أو ضيعاً، أبيضاً أو أسوداً . لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣] . وهذا معناه أنَّ المرأةَ الصالحةَ التقيةَ أفضلُ عندَ الله من آلافِ الرجالِ غيرِ الصالحينِ .

وتوزيعُ الميراثِ لا يُنظَرُ فيه إلى حاجاتِ الجسمِ من طعامٍ وشرابٍ وكساء، لأنَّ الرجلَ والمرأةَ يتساويان في ذلك .

لقد أُعْطِيَ الرجلُ ضِعْفَ نصيبِ المرأةِ بسببِ المسؤولياتِ الموكولةِ إليه، فالرجلُ هو المسؤولُ مَهْمَا كَانَ وَضَعَهُ العائليّ، سواء كان أباً أو زوجاً أو أخاً أو ابناً، هو المعيلُ لمن عنده من النساءِ، الزوجاتِ والأمهاتِ والأخواتِ والعَمَّاتِ، وهو المتكفلُ بحاجاتهنّ، والمُنْفِقُ عليهنّ . . . أما المرأةُ فإنه لا يجبُ عليها إنفاقُ أيِّ شيءٍ من مالها، مهما كان وَضَعُها العائليّ، ومهما كان مالها، إلا إذا أرادتُ أن تُنْفِقَ من مالها كَرَمًا منها!! أيُّ أَنَّ الرجلَ هو الذي يَدْفَعُ دائماً، والمرأةُ هي التي تأخذُ وتكسبُ دائماً . . .

ألا يتطلَّبُ ذلك إعطاءَ الرجلِ ضِعْفَ نصيبِ المرأةِ من الميراثِ؟ .

١٥٩

حول تعدد الزوجات

اعترضَ الفادي المفتري على الآيةِ التي تُبيحُ تعدُّدَ الزوجاتِ، وهي قولُ الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنَةِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْوًى وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣] .

وبعدما سَجَّلَ الفادي خُلاصَةَ تفسيرِ البيضاوي للآيةِ أَعْلَنَ رَفْضَهُ لها . قال : «ونحنُ نَسألُ : أليست الأُسرةُ هي خَلِيَّةٌ مصغَّرةٌ للمجتمعِ؟ إِنَّ وُجودَ رجلٍ واحدٍ بينَ أربعِ نساءٍ ، وعدَدِ كبيرٍ من السَّراريِ مصنعٍ للمظالمِ ، وميدانٍ للبغضاءِ والمشاحناتِ ، ومعملٍ لتخريجِ المطلَّقاتِ والمشرَّدينَ من الأَطفالِ الأبرياءِ ، وإذا تزوَّجَ الرجلُ بأربعٍ أو أكثرَ في آنٍ واحدٍ ، فلماذا لا تتطلَّعُ المرأةُ للتزوُّجِ بأربعةِ رجالٍ في آنٍ واحدٍ؟ أليسَ العدلُ أن تُراعِيَ القانونَ الأُصليَّ وهو : حواءُ واحدةٌ لأدَمَ واحدٍ؟»^(١) .

وقد سبقَ أن أثارَ المفتري الشبهاتِ حولَ تعدُّدِ الزوجاتِ ، وناقشناه في ذلك ، وذكرنا أنَّ التعدُّدَ رخصةٌ مشروطةٌ ، وليسَ واجباً عينياً على كُلِّ رجلٍ ، وهو مشروطٌ بعدلِ الرجلِ بينَ زوجاتهِ ، فإنَّ لم يعدلْ كان آثماً ، وعندما يعدلُ الرجلُ بينَ زوجاتهِ تزوُّلُ المخاطرُ التي أثارها المفتري حولَ التعددِ ، إذ يجعلُ البيتَ الذي فيه أكثرُ من زوجةٍ مصنعاً للمظالمِ ، وميداناً للبغضاءِ والمشاحناتِ ، ومعملاً لتخريجِ المطلَّقاتِ والمشرَّدينَ من الأَطفالِ الأبرياءِ!! فبالعدلِ بينَ الزوجاتِ يكونُ البيتُ واحَةً سَلامٍ وأمانٍ ، ومكانَ مودَّةٍ ومحبةٍ ، وينشأُ الأَطفالُ فيه نشأةً سويةً سعيدةً . هكذا كانت بيوتُ الصحابةِ ، الذين أخذوا برخصةِ التعدُّدِ ، وكانوا عادِلينَ بينَ زوجاتهمِ .

وإذا كان بعضُ المسلمينَ الآخذينَ برخصةِ التعدُّدِ يُسيئونَ استخدامَ هذه الرخصةِ ويَظلمونَ زوجاتهمِ ، فهم المؤاخذونَ أمامَ الله ، وهم الذين يتحمَّلونَ تبعَةَ ظلمهم وسوءَ تصرفهم ، ولا يتحمَّلُ ذلك القرآنُ الذي أباحَ التعددَ مشروطاً بالعدلِ . وافترى الفادي على الله عندما زَعَمَ أنَّ سنةَ الله هي تزوُّجُ الرجلِ بامرأةٍ واحدةٍ؛ لأنَّ آدمَ تزوَّجَ بحواءَ فقط . وهذا كذبٌ من المفتري ، فأدَمُ تزوَّجَ بحواءَ فقط ، لأنه لم يكنْ عنده أنثى غيرها من البَشَرِ . وقد تزوَّجَ كثيرٌ من الأنبياءِ بأكثرَ من امرأةٍ واحدةٍ ، مثلُ سيدنا محمد ﷺ ، ومثلُ داودَ وسليمانَ ﷺ ، اللذان تزوَّجا بأكثرَ من زوجةٍ واحدةٍ .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٨ .

وبما أن الله أذن بتعدد الزوجات في هذه الآية الصريحة، فهذا هو الحق والصواب، والحكمة دائماً تتحقق من كل ما أباحه الله أو أمر به. واعتراض الفادي على حكم الله دليل جهل، وكفر بالله، وعدم تقديره سبحانه حق قدره. وأيهما أفضل وأطهر وأكرم للمرأة، أهو تعدد الزوجات، بأن تعيش أكثر من امرأة تحت رعاية رجل واحد، أم تعدد «العشيقات»، الذي يقوم على امتهان المرأة، وتحويلها إلى مجرد جسد يُستهي، ويؤدي إلى شيوخ الفواحش؟. أما ما يطالب به من تعدد الأزواج للمرأة، مقابل تعدد الزوجات للرجل، فهذا من فحشه وبداءته، ودليل على جهله وغبائه، فالله خلق الرجل طلياً للمرأة، وجعل المرأة تابعة للرجل! فيكفي المرأة رجل واحد يقوم عليها ويتكفل بها. ثم إن تعدد الأزواج للمرأة يؤدي إلى اختلاط الأنساب، فلا يعرف الولد من أبوه، لاحتمال أن يكون كل واحد من أزواجها أباً له، وفي هذا من المفاسد الاجتماعية والنفسية والإنسانية ما فيه!!.



ضرب الزوجات: لماذا؟ ومتى؟ وكيف؟

اعتراض الفادي على إباحة ضرب الزوجات في بعض الحالات، وهي التي أشار لها قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤]. وعلق على الآية بقوله: «يُصرح القرآن أنه إذا خافت المرأة من إعراض زوجها عنها فلتلجأ إلى هيئة تحكيم، من أهلها وأهله، ليُصلح بينهما صلحاً: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. ولكنه يقول: إنه إذا خاف الرجل من إعراض زوجته عنه فعليه أن يعظها، ثم يهجرها، ثم يضربها، سواءً صفعاً باليد، أو لكمةً بجمع اليد، أو رفساً وركلاً بالرجل، أو نهشاً بالكرباج، أو لفحاً بالعصا...».

ثم أوردَ نصّاً من الإنجيلِ على محبة الرجل لامرأته، لأنها جزءٌ منه . .
ويهدف الخبيث من ذلك إلى المقارنة بين القرآن والإنجيل في النظر إلى
الزوجة، واتّهام القرآن بأنه دعا إلى ظلم المرأة وإهانتها، بينما دعا الإنجيل
إلى محبتها وتكريمها .

وقد دعا القرآن الرجل إلى السكون إلى امرأته، وجعل ذلك آية من
آيات الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].
ونهى الله الرجال عن ظلم نسايتهم وإيذائهن، وأوجبَ عليهم معاشرتهنَّ
بالمعروف؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا
وَلَا تَقْضُوا مِنْهُنَّ إِتْمَانًا وَرَحْمَةً إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ
شَيْئًا ءَاتَاخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى
بَعْضٍ وَءَاخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٩ - ٢١].

وفي حالاتٍ نادرةٍ قد تختلف المرأة مع زوجها، وتبدأ بالنشوز والتمرد
على زوجها، عند ذلك لا بُدَّ أن يُعالج زوجها الأمر، ويقضي على النشوز،
قبل أن يصلَ إلى الطلاق . . وقد أرشده الله في هذه الحالة إلى القيام بثلاث
خطواتٍ متدرّجة: يبدأ بوعظها وتذكيرها بالله، وتحذيرها من عواقب النشوز،
فإن لم تنفع معها هذه الوسيلة لجأ إلى هجرها في المضجع، فإن لم تتوقّف
عن نشوزها ضربها ضرباً خفيفاً غير مُبرّح!

وإن الله الحكيم الذي شرعَ هذه الوسائل لعلاج النشوز ليعلم أن بعض
حالات النشوز والتمرد لا يَنفَعُ معها إلا الضرب الخفيف، ولذلك شرعه وأذن به .
وقد كان الفادي مفترياً كاذباً عندما وصفَ الضربَ وصفاً همجياً
وحشياً. حيث قال: «ثم يضربها، سواءً صفعاً باليد، أو لكمةً بجمع اليد، أو
رفساً وركلاً بالرجل، أو نهشاً بالكرباج، أو لفحاً بالعصا».

ولم يأذن القرآن ولا رسول الله ﷺ بهذا الضرب، ولم يصفه أيُّ عالم أو مفسر أو فقيه بهذا الوصف، ولا يجوز استعمال الكبراج أو العصا أو الرجل في ضرب الزوجة؛ لأنَّ هذا ضرب انتقام، وليس وسيلة تربية وأسلوب علاج. إنَّ ضرب الزوجة الناشز كأسلوب علاج لا بُدَّ أن يكون ضرباً خفيفاً، بكف أو إصبع، على أن يتجنب الوجه لأنه مكرم عند الله، وعلى أن لا يترك أثراً، وأن لا يكون مبرحاً، ونكرر أن معظم الأزواج لا يضطرون إلى هذا الأسلوب مع زوجاتهم، وأنه لا يستعمل إلا في حالات نادرة جداً.



ماذا بعد الطلقة الثالثة؟

ورد في القرآن أنه إذا طلق الرجل زوجته الطلقة الثالثة، فإنها لا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره. قال تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكَحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والمعنى أنه إن طلقها زوجها الطلقة الثالثة فإنها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، وذلك بأن يتزوجها الثاني، ويدخل بها، ويجمعهما، فإن طلقها زوجها فلا جناح على زوجها الأول أن يتزوجها من جديد.

أما إذا عقد الزوج الثاني العقد عليها فقط، بهدف تحليل عودتها إلى زوجها الأول، ولم يجمعهما، فهذا لا يجوز، وقد لعن رسول الله ﷺ الرجلين، المحلل وهو الزوج الثاني، والمحلل له، وهو زوجها الأول، وقال ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له».

وهذا التشريع كله لم يُعجب الفادي المجرم، وأثار عليه اعتراضه وإنكاره، وخطأ القرآن، وشم رسول الله ﷺ ببداءة. قال: «ونحن نسال: ألا يستنكر العقلاء هذا النظام العريب؟ لماذا يصرح القرآن بصلح المطلقة

ورُجوعها إلى زوجها، بشرط أن تُجامع رجلاً غيره يُسمى مُحللاً؟ ولماذا لعن محمد المحلل والمحلل له؟ أليس الأحق باللعن هو المُشرع؟^(١).

وكلامُ المجرم يقوم على التلاعب والتحريف، والتدليس والتّمويه، إنه لإجرامه وشيظنته يُريد أن يُموّه على القارئ!

إنه يدعو العقلاء إلى استنكار هذا النظام الغريب، ويزعم أنه لا يتقبله العقل السليم. . . ولا أدري أين مصادمته للعقل. لقد شرع الله الطلاق، وحدد عدّة الطلقات بالثلاث، بعد أن كان مفتوحاً مطلقاً في الجاهلية، فقد يطلق الرجل منهم زوجته مئة طلقة، ويقيها زوجة له، فجاء الإسلام وحدد بثلاث طلقات. . . ويمكن للمرأة أن تزوج رجلاً آخر بعد انقضاء عدتها من زوجها الأول. وماذا في هذا من تصادم مع العقل؟ ويمكن لزوجها الثاني أن يطلقها إذا أراد، وماذا في هذا؟ وما المانع من أن تعود إلى زوجها الأول بعد انقضاء عدتها من زوجها الثاني؟ أين الذي يرفضه العقل السليم من هذا التشريع؟ ثم أليس هو شرع الله، جاء صريحاً في القرآن؟ وهل في شرع الله ما يتناقض مع العقل السليم؟.

وجملة المجرم ملغومة: «بشرط أن تُجامع رجلاً غيره يُسمى المحلل»، ويقصد المجرم بالجماع هنا الجماع المحرم الذي هو الزنى؛ لأنه يستنكر زواجها الثاني ويعتبره زنى، والجماع المباح في الإسلام هو الذي يكون بين الزوجين زواجاً شرعياً.

والزوج الثاني إن تزوج المرأة على الأصول الشرعية زوج كامل المواصفات الزوجية وحقوق الزوج، ولا يُسمى محللاً، إنما يُسمى مُحللاً إذا تزوجها بهدف تحليل إعادتها إلى زوجها الأول، واشترط عليه أن لا يُجامعها!. وكم كان الفادي مُجرماً بذيئاً ملغوناً عندما وجّه لعنة مباشرة لرسولنا ﷺ، وذلك في قوله: «ولماذا لعن محمد المحلل والمحلل له؟ أليس الأحق باللعنة هو المُشرع؟».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٩.

ولا نقولُ إلاَّ أنَّ هذا المجرمَ عليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ .



حول حجاب المرأة

اعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ لأنَّه أمرَ المرأةَ المسلمةَ بالاحتجاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. قال: «والخُمُرُ جمعُ خِمَارٍ، وهو ما تُعْطِي به المرأةُ رأسَها. و«جيوبهن» جمعُ جيب، وهو القَلْبُ أو الصَّدْرُ، والجيبُ أيضاً هو طَوْقُ القَمِيصِ، فيكونُ المعنى: يَسْتُرْنَ أعناقَهُنَّ بغطاءِ رؤوسهنَّ.

ونحنُ نسألُ: كيفَ توضعُ المرأةُ في حِجابٍ يُشبهُ السُّجُنَ؟ إنَّ الحِجابَ يقتلُ في المرأةِ روحَ العملِ والنشاطِ والحريةِ الشخصيةِ، ويرجعُ بالإنسانيةِ إلى عهدِ الرِّقِّ والعبودية»^(١).

لا أدري لماذا يُهاجمُ الفادي الحِجابَ، ويصفُه بهذه الصفاتِ المذمومةِ؟ وهو رجلُ الدينِ النَّصراني، الذي يزعمُ حرصَه على العفافِ والطُّهرِ، ومُحاربةِ الانحلالِ والعُهرِ، وإنَّ الحِجابَ صيانةٌ وحفظٌ للمرأةِ، ونَشْرٌ للطهارةِ والفضيلةِ في المجتمعِ.

ومن الذي قالَ: إنَّ الحِجابَ سجنٌ للمرأةِ؟ ولماذا يُرَدِّدُ الفادي دِعاياتِ الشَّياطينِ. إنَّ دُعاةَ الشهواتِ، الحريصين على نَشْرِ الفواحشِ، يُريدونَ فتنةَ الناسِ بالمرأةِ، فيُخْرِجونَها متبرجةً متزينةً مغريةً، ويُحاربونَ حِجابَها وسِتْرَها، وما الفادي إلاَّ واحدٌ من هؤلاءِ الشياطينِ المفسدينِ، ولذلك يُهاجمُ الحِجابَ ويجعلُه مُدمراً للمرأةِ، قاتلاً لروحِ العملِ والنشاطِ فيها، علماً أنَّ المحجَّباتِ من أنشطِ النساءِ في المجتمعِ!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٣٩.

حول قتال مانعي الزكاة

ذَكَرَ الفادي آياتٍ من سورة التوبة تتحدّثُ عن إخراج الزكاة، ثم ذَكَرَ قتالَ أبي بكرٍ الصّدِّيقِ رضي الله عنه مانعي الزكاة، حيثُ أرسلَ خالدَ بنَ الوليدِ رضي الله عنه فقاتلَهُم وأعادَهُم للإسلام.

ثم اعترض على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: إذا كانت الزكاة رُكناً من أركان الدين، والدينُ لله، فهل يُعْتَبَرُ الدينُ قِيماً إذا كُنّا نُمَارِسُهُ لا رغبةً وتَطَوُّعاً، بل جَبْراً وقَسْراً، وإنَّ زكاةً يجمعُها سيفُ خالدِ بنِ الوليدِ وأمثاله، يَرْفُضُهَا اللهُ! لأنها ليستُ إِحْسَاناً»^(١).

إنَّ اعتراضه هنا خارجٌ عن موضوع الكتاب، فالكتابُ مُخَصَّصٌ للحديث عن أخطاءِ القرآنِ في زَعْمِهِ، وهذا الاعتراضُ على ما فعَلَهُ أبو بكرٍ وخالدٌ رضي الله عنهما من قتالِ مانعي الزكاة من المرتدين العرب!.

ومع ذلك نقول: صحيحٌ أنَّ الزكاة رُكْنٌ من أركانِ الإسلام، وأنه لا بدَّ للمسلم من أن يَدْفَعَهَا وهو منشِرحٌ مُتَفَاعِلٌ، وأن يَتَفَاعَلَ كيانُهُ كُلُّهُ بإعطائها، كما قالَ اللهُ عز وجل: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُنَّ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُنَّ وَتُزَكِّيهِنَّ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِنَّ إِنَّ صَلَواتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والمسلمون يقومون بشعائر الإسلام رغبةً وتَطَوُّعاً؛ لأنهم يَتَقَرَّبُونَ بذلك إلى الله، ويفرحون لأنهم بذلك يَنالون جَنَّتَهُ وِرْضوانَهُ.

وقتالَ مانعي الزكاة زمنَ الصّدِّيقِ رضي الله عنه ليسَ من أجلِ إكراههم على دفع الزكاة جبراً وقَسْراً، كما ظنَّ الفادي الجاهل، بل من أجلِ أنهم مُرْتَدُّون كُفَّارٌ؛ لأنهم أنكروا وجوبَ الزكاة، وإنكارُ وجوبها خروجٌ من دينِ الله.. ومن المعلوم أن قتالَ المرتدين واجب.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٠.

فلما عادوا للإسلام دَفَعُوا الزكاةَ راضين مُتَقَرِّبينَ بذلك إلى الله!



حول توزيع الغنائم

اعترضَ الفادي المفتري على القرآن في توزيعه الغنائم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

والغنائم هي كُلُّ ما أَخَذَ من الكفارِ بعد هزيمتهم واستسلامهم. وهذه الغنائم أَحَلَّها اللهُ للمؤمنين المجاهدين، ولم يُبَحِّها للمسلمين السابقين، فلما كان السابقون يُجاهدون الكافرين ويهزمونهم، ويأخذون منهم الغنائم، كانوا يَجْمَعُونَ تلك الغنائم وَيَحْرِقُونَهَا بالنار، وعلى هذا قولُ رسولِ الله ﷺ: «وَأُحِلَّتْ لي الغنائم، ولم تُحَلَّ لِأَحَدٍ من قبلي...».

وأمرَ اللهُ بِتَخْمِيسِ الغنائم. أي: تَقْسِيمِها إلى خمسةِ أْخْماسٍ متساوية، تُعْطَى أربعةَ أْخْماسٍ منها للمجاهدين تكريماً ومكافأةً لهم. والخُمسُ الخامسُ يَفَسَّمُ على خمسةِ أصناف: ذَكَرْتَهُم الآية: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

وقد اعترضَ الفادي على هذا، فقال: «ونحنُ نَسألُ: كيف تُستباحُ أموالُ الناسِ بعد إراقةِ دمايهم باسمِ الله؟ وكيف يأخذُ القائدُ الدينيُّ غنيمةً؟!»^(١).

يُنكِرُ الفادي المفتري قِتالَ الكافرين، حتى لو بَدَّوْا هم بالعدوان على المسلمين وقتالهم، وَيَعْتَبِرُ قَتْلَهُمْ سَفْكَاً للدمِ بالباطل، وَيَعْتَبِرُ المسلمين معتدين!

وإذا كان الفادي الجاهلُ يَعْتَرِضُ على القرآن لِإِباحَتِهِ قِتالَ الكفار، فإنه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤١.

يعترضُ على القرآنِ أيضاً لأنه أباحَ أخذَ الغنائمِ من الكفارِ المعتدين، وقَسَمَ تلكَ الغنائمَ عليهم، وأعطى النبيَّ جُزءاً من تلكَ الغنائمِ! .
واعترضُ الفادي مردود؛ لأنه يعترضُ على أمرِ أباحه الله، وَوَرَدَ النَّصُّ عليه في كتابِ الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].



حول أخذ الجزية من أهل الكتاب

اعتراضُ الفادي المفتري على قول الله ﷻ: ﴿فَلِنَلُوكُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] لأنَّ الآيةَ تأمرُ المؤمنين بقتالِ الكفارِ من اليهودِ والنصارى من أهلِ الكتاب، وتبيينُ المبرراتِ التي تدعو إلى قتالهم، ولا يتوقفُ قتالهم إلا بخضوعهم للمسلمين، ودفْعهم الجزيةَ وهم صاغرون.

ونقلَ من تفسيرِ البيضاوي تفسيرَ الآية وبيانَ معناها، ومعنى الجزية، ومَن الذين تُؤخذُ منهم، وكيفيةَ أخذها منهم، واختلافَ المذاهبِ في ذلك. وقال بعدَ ذلك: «ونحنُ نسأل: كيف يُبيحُ قومٌ لأنفسهم أن يُقاتلوا الناسَ باسمِ الدين، ويُخَيِّرُوهم بينَ الإسلامِ أو الموتِ أو الجزية؟»^(١).
أي أنَّ الفادي المفتري لا يُجيزُ قتالَ الآخرين، ولا أخذَ الجزيةَ منهم؛ لأنَّ هذا ظلمٌ لهم واعتداءٌ عليهم.

إنَّ قتالَ الكفارِ من أهلِ الكتابِ وأخذَ الجزيةَ منهم، ليس اجتهاداً من المسلمين، حتَّى نقول: إنَّ هذا اجتهادٌ خاطئ، وفعلٌ باطل، ولكنَّ هذا أمرٌ صريحٌ من الله سبحانه وتعالى، أنزله في كتابه الكريم، والمسلمون مكلفون

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٢.

بتنفيذه.. وبما أنه أمر من الله فهو صواب، لا خطأ فيه، ولا اعتراض عليه؛ لأنَّ اليقين عند كلِّ مسلم وجوب الالتزام بأحكام الله، وتنفيذ أوامره. لماذا أمر الله بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى؟ لأنَّهم كفَّارٌ أوَّلاً: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾.

ثم لأنهم يتآمرون على المسلمين، ويعتدون عليهم، ويظمعون في بلدانهم، ولا يتوقفون عن قتالهم، وإنَّ ظهروا عليهم وعلبواهم ارتكبوا ضدَّهم الجرائم الفظيعة: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْجُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثُرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]. ولماذا أخذ الجزية منهم؟.

إنَّ دفع هؤلاء الكافرين المعتدين الجزية للمسلمين دليلٌ على خضوعهم لسلطان المسلمين، وتوقفهم عن العدوان عليهم، وهذا معناه أن يتكفل المسلمون بحمايتهم والدفاع عنهم، والمحافظة على دمايتهم وأموالهم، وهم يدفعون مبلغاً من المال للمسلمين، مقابل هذه الحماية، وسميت جزية من الجزاء، وهو دفعُ شيءٍ جزاءً لشيءٍ، فهم يكسبون من المسلمين الحماية والأمان، ويبدلون المال جزاءً ومكافأةً لذلك!.

١٦٦

حول إكراه الجوارى على الزنى

اعترض الفادي المفترى على قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِن أَرَدْنَ حَصْنًا لِّبَنِّغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

نقل الفادي عن تفسير البيضاوي سبب نزول هذه الآية وتفسيرها. وخلاصة ذلك أنه كان لعبد الله بن أبي سئ جوارٍ من الإماء، وكان يُكْرِهُهُنَّ

على الزنى، ويُطالبهنَّ بدفع ضريبةٍ ماليةٍ له مقابل ذلك، فشكا بعضهنَّ الأمرَ إلى رسولِ الله ﷺ . . فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ لِذَمِّ ابْنِ أَبِي وَمَنْعِهِ مِنْ فِعْلِهِ .

والمعنى: لا يجوزُ إكراهُ الجوّاري على الزنى أصلاً، ولا يجوزُ إرسالهنَّ إلى الزنى أصلاً، حتى لو لم تُكَنَّ مُكْرَهَاتٍ، فالموافقةُ على زناهنَّ حرامٌ، وإرسالهنَّ للزنى حرامٌ، وإكراههنَّ على الزنى حرامٌ. والشرطُ في قوله: «إن أردنَ تحصناً» ليس قَيْداً لِلنَّهْيِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ زَنَاهنَّ عَامٌّ، سِوَاءِ أَرَدْنَ تَحْصِناً أَمْ لَا، لَكِنَّ هَذَا الشَّرْطَ لِبَيَانِ الْوَاقِعِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي إِمَاءٍ تَعَفَّفْنَ وَأَرَدْنَ التَّحْصْنَ . . فإِذَا كُنَّ هَؤُلَاءِ الْإِمَاءُ يُرَدْنَ التَّحْصْنَ وَالتَّعَفَّفَ وَهُنَّ إِمَاءٌ، فَكَيْفَ بغيرهن من الحرائر، اللواتي يُنْفَرْنَ مِنَ الزنى أساساً؟! .

وقد اعترضَ الفادي على الآية وصياغتها. قال: «ونحنُ نسأل: أليس الأولى أن يأمرَ الفتيات أن يُشْهَرْنَ الطاعةَ لله، والعصيانَ على البشر، فلا يَقْبَلْنَ ارتكابَ المنكر؟ وكان الأولى بدَل أن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ أن يقول: إن الله شديد العقاب، إلا على من تاب»^(١).

واقترحَ الفادي دليلٌ على جهله وغبائه، فهو يرى أنه كان الأولى بالآية أن تأمرَ أولئك الفتياتِ الجوّاري بإعلانِ الطاعةِ لله، ورفضِ ارتكابِ المنكرِ. ومن قال: إِنَّهِنَّ لَمْ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ؟! لقد عَصَيْنَ سَيِّدَهُنَّ عَبْدَ اللهِ بْنِ أَبِي، ورفضنَ تنفيذَ طلبه، وشكَّونه إلى رسولِ الله ﷺ، وفعلنَ ذلك من بابِ طاعتهنَّ لله! فلماذا يقترحُ الغبيُّ على الآية طلبَ شيءٍ منهنَّ فعلته ونفذته؟! .

ويُنكرُ الجاهلُ على الآية ختمها بجملة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ ويقترحُ ختمها بجملة: (فإن الله شديد العقاب إلا على من تاب).

يتعالمُ الجاهلُ ويتفاحصُ على القرآن العظيم المعجز، ويرى عبارته أبلغ وأفصح من عبارة القرآن، فيرى أن ختم آية تنهى عن الحرام والمنكر بالترغيب بالمغفرة والرحمة غير مناسب، وكان الأولى أن تُختم الآية بالتهديد بالعقاب! .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٢.

إِنَّ الْأَنْسَبَ هُوَ خَتْمُ الْآيَةِ بِالترغيبِ بِالمغفرةِ والرَّحمةِ، وَهَذَا التَّرغِيبُ لَيْسَ لِلذِّي يُكْرِهُهُنَّ عَلَى الْبِغَاءِ، إِنَّمَا هُوَ تَرْغِيبٌ لَهُنَّ، فَقَدْ يَزْنِينَ مُكْرَهَاتٍ نَافِرَاتٍ، فَتَدْعُوهُنَّ الْآيَةُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَغْفِرُ لَهُنَّ وَيَرْحَمُهُنَّ!

أَمَّا الَّذِي يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَحَاسِبُهُ وَيُعَذِّبُهُ. وَالتَّقْدِيرُ: وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَسَوْفَ يُحَاسِبُهُ اللَّهُ، أَمَّا هُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَغْفِرُ لَهُنَّ؛ لِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.



حول الشهود على الزنى

اعترض الفادي المجرم على قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

تَحَدَّرُ الْآيَةُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالِاتِّهَامِ بِالزَّوْنِي، وَتُطَالِبُ الْمُسْلِمِينَ بِالِاحْتِيَاظِ وَالْحَذَرِ وَالتَّشَدُّدِ، وَذَلِكَ بِالِإِتْيَانِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، شَاهَدُوا الرَّجُلَ يَزْنِي بِالْمَرْأَةِ، فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْأَرْبَعَةُ عَلَى ذَلِكَ جُلِدُوا حَتَّى الْقَذْفِ. وَعَلَّقَ الْفَادِي عَلَى ذَلِكَ مُعْتَرِضاً فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يَتَسَنَّى لِأَرْبَعَةٍ أَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِحَادِثَةٍ فِيهَا دَائِمًا كِتْمَانٌ وَسِرِّيَّةٌ؟ وَكَيْفَ يُحْكَمُ بِالْجَلْدِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً عَلَى ثَلَاثَةِ شُهَدَاءَ، وَلَوْ رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ ارْتِكَابَ الْحَادِثِ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُمْ شَاهِدٌ رَابِعٌ؟ إِنَّ الْمَطَالِبَةَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ أَقْرَبُ إِلَى الْمُسْتَحِيلِ، وَتَعْجِيزٌ وَتَعْطِيلٌ، بِهَدَفِ تَبْرِئَةِ الْمَذْنَبِ»^(١).

يَعْتَرِضُ الْفَادِي عَلَى طَلَبِ إِحْضَارِ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، رَأَوْا الزَّوْنِي بِأَعْيُنِهِمْ؛ لِأَنَّ هَذَا شَبَّهُهُ مُسْتَحِيلٌ، وَلِأَنَّ الزَّوْنِي يَكُونُ غَالِباً فِي مَكَانٍ خَاصٍّ، فَالْهَدَفُ مِنْ اشْتِرَاطِ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ هُوَ تَبْرِئَةُ الزَّانِيَيْنِ، وَتَعْطِيلُ الْحَدِّ!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٣.

إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ الْآيَةُ مِنْ اشْتِرَاطِ أَرْبَعَةِ شُهُودٍ هُوَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ، وَحِكْمَةٌ ذَلِكَ الْمَحَافِظَةُ عَلَى الْأَعْرَاضِ وَصِيَانَتُهَا وَعَدَمُ جَعْلِهَا وَسِيلَةً لِلْإِشَاعَاتِ وَأَحَادِيثِ الْمَجَالِسِ. تَتَنَاقَلُهَا وَتُرَدِّدُهَا الْأَلْسِنَةُ، وَبِهَذَا تَنْتَشِرُ الرَّذِيلَةُ، وَتُوحَى بِسَهُولَةٍ ارْتِكَابُهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَتُعْرِي رُؤَادَ الْفَوَاحِشِ بَيْسَرَ الْحَصُولِ عَلَيْهَا.

لِذَلِكَ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الْحَدِيثَ فِي الْأَعْرَاضِ، وَقَدَفَ النَّاسَ بِالزَّانِي، وَاشْتَرَطَ عَلَى الْمُتَحَدِّثِ تَقْدِيمَ أَرْبَعَةِ شُهُودٍ شَاهَدُوا ارْتِكَابَ الْفَاحِشَةِ بَعِيُونِهِمْ، فَإِنْ لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ أُقِيمَ عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ حَدُّ الْقَدْفِ، وَجُلِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

صَحِيحٌ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَعَذِّرِ رُؤْيَةُ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ الزَّانِيَيْنِ وَهُمَا يَزْنِيَانِ؛ لِأَنَّ الزَّانِيَّ فِيهِ إِسْرَارٌ وَتَكْتُمٌ وَاخْتِفَاءٌ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ شُهُودٍ وَبَيِّنَةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ هَدَفِ الْقُرْآنِ إِقَامَةُ حَدِّ الزَّانِيِّ عَلَى الزَّانِيَيْنِ، بَلْ هَدَفُهُ تَطْهِيرُ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ فَاحِشَةِ الزَّانِيِّ، وَمَحَارَبَتُهَا وَمَطَارَدَتُهَا، وَإِبْعَادُهَا عَنْ تَفْكِيرِ وَمَشَاعِرِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا، بِحَيْثُ يَضْطَرُّ الْمَجْرِمَانِ الْمُتَّفِقَانِ عَلَى الزَّانِيِّ إِلَى الْإِخْتِفَاءِ عَنِ عِيُونِ النَّاسِ، وَارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ فِي غُرْفَةٍ مُحْكَمَةٍ إِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ وَالنَّوَافِذِ! وَهُمَا إِنْ نَجَّيَا مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ فِي الدُّنْيَا، فَلَنْ يَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ!.

وَعَجِيبٌ أَمْرٌ هَذَا الْفَادِي الْمَجْرِمِ: إِنَّ أَيَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ تُشِيرُ اعْتِرَاضَهُ وَإِنْكَارَهُ، فَاشْتِرَاطُ الْآيَةِ أَرْبَعَةَ شُهُودٍ جَعَلَهَا تَلَاعِبًا وَتَبْرَةً لِلزَّانِيَيْنِ، وَلَوْ تَسَاهَلَتْ الْآيَةُ فِي إِثْبَاتِ الزَّانِيِّ لَجَعَلَهَا قَاسِيَةً شَدِيدَةً! فَهَمَا قَالَ الْقُرْآنُ فَهُوَ عِنْدَهُ خَطَأٌ!!.



لماذا جلد الزاني أمام الناس؟

عندما أمر الله بإقامة حدِّ الجلد على الزانية والزاني، أوجب أن يكون ذلك أمام المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

واعترضَ الفادي المفتري على ذلك، فقال: «ونحنُ نَسألُ: أليسَ الأجدَرُ أنْ يُعالَجَ أمثالُ هؤلاءِ المذنبين بروحِ الوداعةِ والشفقة؟ والمسيحيةُ لا تأمرُ بطردِ المخطئ، بل بفرزه من الجماعةِ تَحْجِيلًا له، ثم قبوله والترحيبُ به إذا نَدِمَ وأَعْلَنَ توبته»^(١).

يرى الفادي أن جلدَ الزاني عقوبةً قاسيةً شديدة، فيها انتقامٌ ووحشيةٌ وعُنفٌ، لا سيمًا أن الجلدَ لا بُدَّ أن يكونَ علنيًا، وأن يشهده طائفةٌ من المؤمنين. ويُفضّلُ الفادي عقوبةَ الزاني في الإنجيلِ على عقوبته في القرآن، لأنَّ العقوبةَ في الإنجيلِ تتمُّ بروحِ الوداعةِ والشفقة، وتقومُ على فرزه وفضله عن الجماعةِ تَحْجِيلًا له، وإذا ندمَ وتابَ يُعادُ إلى الجماعةِ!!.

وإنَّ اعتراضَ الفادي مردودٌ باطلٌ، لأنه مُوجَّهٌ إلى حكمِ صادرٍ عن الله، وإنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ يعلمُ أنه بتطبيقِ هذا الحكمِ يرتدعُ الزناةُ ويتأدَّبون، لأنهم يخشونَ الفضيحةَ العلنيةَ، والعقوبةَ المرئيةَ، ويحسبون لها كُلَّ حسابٍ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وبعضُ الذين لا يخافون من حسابِ الله وعقابه، قد يخافون من الفضيحة، فيتوقَّفون عن ارتكابِ الحرامِ إذا نتج عنه فضيحة.

ودعا الله المؤمنين إلى عقابِ الزانيةِ والزاني بمئةِ جلدة، ونهاهما عن إيقافِ العقابِ بحجةِ الرأفةِ بهما: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وهذا ردٌّ على تعالِمِ المعتريين على حُكْمِ الله، من أمثالِ الفادي، الذين يُظنُّون أنهم أَرَأفُ وأرحمُ بالعصاةِ من الله ربِّهم، فيرفُضونَ حكمه، ويُقدِّمونَ بديلاً له، يُظنُّونه أفضلَ.. إنَّ الأفضلَ للناسِ هو تطبيقُ حُكْمِ الله، ولا يُرييهم ويُزييهم إلا حُكْمُ الله، ولا بديلَ لحُكْمِ الله.. ونقولُ للفادي وأمثاله ما علَّمنا القرآنُ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٣.

المنسوخ والناسخ في حد الزنى

اعترضَ الفادي على آيةٍ تتحدَّثُ عن عقوبةٍ منسوخةٍ للزنى، وهي قولُ الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥] النساء اللواتي يرتكبن فاحشةَ الزنى، يجبُ أن يشهدَ عليهنَّ أربعةُ شهود، فإنَّ شهدوا عوقبنَ بالحبسِ في البيوت، حتى يَحِينَ أَجَلُهُنَّ وتنتهي أعمارُهُنَّ، أو يَأْتِي حُكْمٌ جَدِيدٌ مِنْ اللَّهِ يَنْسَخُ هَذَا الْحُكْمَ: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

وهذا الحكمُ أثارَ اعتراضَ الفادي المفتري، فقال: «ونحنُ نسألُ: هلْ يُضْلِحُ الحَبْسُ المؤبَّدُ في مثلِ هذهِ الحالةِ المذنبِ؟ كيفَ يَحْسِبُونَ فَتَاءً في السادسةِ عشرةَ من عمرِها مثلاً، إذا قُدِّرَ لها أنْ تعيشَ ثمانينَ سنةً؟ الأصلحُ أنْ تُعْطَى الخاطئةُ فُرْصَةً للتوبةِ والحياةِ المقدسةِ الجديدةِ.

ويقولُ علماءُ المسلمين: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِحَدِّ الْجَلْدِ لِلزَّانِيَةِ غَيْرِ الْمُحَصَّنَةِ فِي سُورَةِ النُّورِ، وَبِحَدِّ الرَّجْمِ لِلزَّانِيَةِ الْمُحَصَّنَةِ، وَلَوْ أَنَّ آيَةَ الرَّجْمِ نُسِخَتْ تِلَاوَةً.. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: إِنَّ حَدَّ الْإِمَاءِ نِصْفُ حَدِّ الْحَرَائِرِ، وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُ مَا هُوَ نِصْفُ الرَّجْمِ»^(١)!

يرى الفادي أنَّ حبسَ المرأةِ الزانيةِ في البيتِ لا يُضْلِحُهَا، والأصلحُ لها أنْ تُعْطَى فُرْصَةً جَدِيدَةً للتوبةِ، والتخلِّي عن الفاحشةِ، ولا أدري كيفَ تُعْطَى لها هذهِ الفُرْصَةُ! ويتهكَّمُ على الحكمِ على الزانيةِ بالحبسِ حتى الموتِ بأنَّه حُكْمٌ بالسجنِ المؤبَّدِ، وسيكونُ هذا عشراتِ السنينِ!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٣.

وكلامه يدُّ على جهله، فهو لا يعلم بأنَّ الحُكْمَ بحبسِ الزانية إنما هو حُكْمٌ مُؤَقَّتٌ، وسينسخُه اللهُ فيما بعد. ولم يُطبَّقْ هذا الحُكْمُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فلم تُسجَلِ الرواياتُ الصحيحةُ حادثهً واحدةً حُكِمَ فيها على امرأةٍ زانيةٍ بالحبسِ في البيتِ حتى الموتِ، ولم تَمُتْ زانيةٌ واحدةٌ وهي محبوسةٌ في بيتها؛ لأنه لم تُثبِتْ حالهُ زنى واحدةً خلالَ هذه الفترة.

والدليلُ على أنَّ الحُكْمَ بالحبسِ مُؤَقَّتٌ قولُ اللهِ: ﴿أَوْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ أي: سيأتي اللهُ بحُكْمٍ آخَرَ، ينسخُ هذا الحُكْمَ.

وجاء الحُكْمُ الناسخُ في سورةِ النور؛ قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَّدَ عَلَيْكُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

نسخَ اللهُ حُكْمَ حَبْسِ الزانياتِ في البيوتِ بجلدِهِنَّ مئةَ جلدَةٍ، إذا كُنَّ غيرَ متزوِّجاتٍ وقد صرَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ بأنَّ آيةَ سورةِ النورِ ناسخةٌ لآيةِ سورةِ النساءِ، والسبيلَ الذي وعدتْ به آيةُ سورةِ النساءِ هو ما ذكرتهُ آيةُ سورةِ النورِ.

روى مسلمٌ عن عبادةِ بنِ الصامتِ رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قد جعلَ اللهُ لهنَّ سبيلاً، البِكرُ بالبِكرِ جلدٌ مئةٌ ونفيٌ سنَةٌ، والثيبُ بالثيبِ جلدٌ مئةٌ والرجمُ».

وإذا كان حَدُّ الزاني البكرِ الجلدُ مئةَ جلدَةٍ، قد ثبَّتْ في سورةِ النورِ، فإنَّ حَدَّ الزاني المتزوِّجِ الرجمُ حتى الموتِ، قد ثبَّتْ في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، حيثُ رجمَ زناةً متزوِّجين!

والراجحُ أنَّ الرجمَ لم يُذكرْ في القرآنِ، كما أنَّ الراجحُ أنه لا توجدُ آيةٌ منسوخةٌ التلاوةُ في القرآنِ، وأنَّ النسخَ الذي في القرآنِ هو نسخُ الحُكْمِ معَ بقاءِ التلاوةِ.

روى مسلمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه وهو جالسٌ على منبرِ رسولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ

عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها ووعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف».

ومعنى كلام عمر رضي الله عنه أن الله هو الذي أمر برجم الزاني المحصن، وأوحى بهذا الحكم لرسول الله ﷺ، وعدم وجوده في القرآن منصوصاً عليه، لا يعني أنه غير مشروع، فوجوده في السنة كاف لإثبات مشروعيته!

أما الجواري الإماء فإن عقوبتهن نصف عقوبة الحرائر، كما صرح بذلك القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلُوحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَجْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

ومعنى قوله: «إذا أحصن»: إذا تزوجن، فإذا زنت الأمة بعد الزواج أقيم عليها الحد، وهو على النصف من الحد الذي يُقام على الحرة، وبما أن حد الحرة المحصنة هو الرجم، فإنه لا يُقام على الأمة نصف الرجم؛ لأن الرجم لا يتنصف.

وقد كان الفادي خبيثاً عندما قال مُشككاً: «ويقول القرآن: إن حد الإماء نصف حد الحرائر، ولكننا لا نعلم ما هو نصف الرجم!».

بما أن الرجم لا يتنصف، فينتقل الحكم إلى الجلد مئة جلدة، وبما أن الحرة تُجلد مئة جلدة فإن الأمة تُجلد خمسين جلدة!!.



هل أخذ الرسول ﷺ بثأر حمزة؟

وقف الفادي أمام قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وكان نزول هذه الآية بعد غزوة أحد، في السنة الثانية من الهجرة، التي جرى فيها للمسلمين ما جرى، وقد استشهد حمزة رضي الله عنه، بعد أن بقر المشركون بطنه ومثّلوا به.

وقد نقل الفادي عن البيضاوي أنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة وقد مثّل به، قال: «والله لئن أظفرتني الله بهم، لأمثّلن بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله الآية، وكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه.

وعلق الفادي المغرض على ذلك بقوله: «ونحن نسأل: هل الأخذ بالثأر يهدّب النفس ويحفظ الأمان؟ إننا نعاني من عادة الأخذ بالثأر ويلات مرّة.. قال المسيح: إن الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون.. وما أبعد الفرق بين قول محمد: «والله لئن ظفرت بهم لأمثّلن بسبعين مكانك» وبين قول المسيح: إن أخطأ إليك أخوك سبعين مرّة سبع مرات فاغفر له»^(١).

تبيح الآية لمن اعتدي عليه وعوقب وطم من المسلمين أن ينتصف ويأخذ حقه ممن ظلمه واعتدى عليه، وترشده إلى ما هو أولى، وهو الصبر على الأذى، والعفو عن العقاب.

واعترض الفادي على الآية، لأنها تبيح الأخذ بالثأر، وهو ينشر الفساد ويخرّب الأمان، ولا يهدّب النفس.

والعقاب بالمثل، والإذن بردّ الاعتداء، ليس من باب الأخذ بالثأر؛ لأن الأخذ بالثأر عادة عشائرية، والعقاب بالمثل مبدأ إسلامي، وفرق بين الأمرين. ورغم أن القرآن أجاز الانتصاف من الظالم والمعتدي إلا أنه وجه المسلمين إلى الأفضل، وهو العفو والصفح. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَدَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿الشورى: ٣٩ - ٤٣﴾.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٤.

وقد انتقص الفادي المفتري رسول الله ﷺ لأنه قال: «والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلنَّ بسبعين مكانك» لأنه أخذ بالتأثر على الطريقة الجاهلية، حيث سيقتل سبعين شخصاً مقابل حمزة رضي الله عنه، وقارن بين هذا الموقف، وموقف عيسى عليه السلام الذي دعا فيه إلى العفو عن من أخطأ على الإنسان سبعين مرة.

وكلام الفادي مردود؛ لأنه مبني على باطل، فلم يقل رسول الله ﷺ؛ ما نسب إليه، وقد ردَّ المحذثون والمفسرون هذا الحديث لأنه لم يصح.

قال الإمام ابن كثير في حكمه على الحديث: «وقال محمد بن إسحاق: عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار قال: قُتِلَ حمزة رضي الله عنه، ومثل به يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: لئن أظفرتني الله عليهم لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن أظفرتنا الله عليهم لنمثلنَّ بهم مثله لم يمثله أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ...﴾ إلى آخر السورة. وهذا مُرْسَلٌ، وفيه رجلٌ مبهم لم يُسمَّ!!.

وقد روي هذا من وجه آخر مُتَّصِلٍ.. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد، فنظر إلى منظرٍ لم يُنظر إلى منظرٍ أوجع للقلب منه، وقد مثل به، فقال: «رحمة الله عليك، إن علمتُك إلا وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك، لسررتني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع، أما والله لأمثلنَّ بسبعين كمثلتك» فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾، فكفر رسول الله ﷺ عن يمينه، وأمسك عن ذلك». وهذا إسنادٌ فيه ضعف؛ لأنَّ صالحاً هو ابن بشير المرِّي، ضعيفٌ عند الأئمة. وقال البخاري: هو منكر الحديث^(١).

وبنى الفادي لجهله كلامه على حديثٍ ضعيفٍ مردودٍ عند المحذثين، وربَّت عليه نتائج، وانتقص فيها رسول الله ﷺ، وبما أن الأساس الذي اعتمد عليه مردود، فكلُّ النتائج التي خرج بها مردودة.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧٣/٢.

والذي صَحَّ في هذه الحادثة هو ما رواه الترمذي وأحمد وابن حبان والحاكم والطبراني عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: أُصِيبَ من الأنصارِ يومَ أُحُدٍ أربعةٌ وستون، وأُصِيبَ من المهاجرين ستّة، فيهم حمزة، فمَثَلُوا بِقَتْلَاهُمْ، فقالت الأنصار: لئن أَصَبْنَا منهم يوماً من الدهر لَنزَيِّنَ عليهم.. فلما كان يومَ فتحِ مَكَّة، نادى رجلٌ لا يُعْرَف: لا قُرَيْشٌ بعدَ اليوم! فأنزَلَ اللهُ ﷻ على نبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ..﴾ . فقال النبي ﷺ: «كفوا عن القوم...»^(١).

ثم ماذا فعلَ رسولُ الله ﷺ بعدَ أن أظفره اللهُ بِقُرَيْشٍ، وذلك يومَ فتحِ مكة؟ هل مَثَلَ بسبعين رجلاً منهم؟.. لم يَقْتُلْ منهم أحداً، ولقد عفا عنهم جميعاً، حتى وحشي بن حرب، الذي قَتَلَ حمزةَ مباشرة عفا عنه، وحتى هند بنت عتبة، التي لاكتُ كِبِدَ حمزةَ عفا عنها. ولما جَمَعَ رجالَ قريشٍ قال لهم: «ماذا ترونَ آتِي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء!».

وإنَّ الفاديَ المفترى يَعْلَمُ هذا قَطْعاً، لكنّه يتعمدُ أن لا يذكره، ويذكر الكلامَ الضعيفَ المردودَ بدَلَه، ليذمَّ النبيَّ ﷺ ويتنقصه!!.



حول الإعداد للأعداء

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(١) صحيح السيرة النبوية، للعلي، رقم: (٣٨٨).

وأخذ من تفسير البيضاوي بعض ما قاله في تفسير الآية، وهي تأمر المسلمين بإعداد كل ما استطاعوا إعداده من قوة وسلاح لمواجهة أعداء الله وأعدائهم، ومنع عدوانهم.

وعلق على ذلك بقوله: «ونحن نسأل: كيف يأمر القرآن بحمل السلاح، والاستعداد للغزو والفتح في سبيل الله، فتزهد أرواح البشر، وتنهب الأموال في سبيل الدين، وقهر الناس على قبوله؟ إنَّ السيف هو حجة الذي لا يحتمل المناظرة»^(١)!

لا يريد الفادي المفتري من القرآن أن يوجه المسلمين إلى حمل السلاح لقتال الأعداء المحاربين، الطامعين في بلاد المسلمين وأموالهم، لأنه يريد أن يواجه المسلمون العدوان بالاستسلام، والحرب بالسلام، وإذا ما قاتلهم أعداؤهم كقوا أيديهم عنهم! وعلى القرآن أن يكون كتاب محبة، يأمر المسلمين بفتح قلوبهم وأيديهم لأعدائهم!!

لن يكف الأعداء عن الطمع في المسلمين، والتأمر عليهم، وتحسين الظرف المناسب لقتالهم، والهجوم عليهم، واحتلال بلادهم. وقد سجل التاريخ الإسلامي الشواهد العملية الكثيرة على مصداقية هذه الحقيقة، ولم تخل فترة من حرب الأعداء ضد المسلمين، في صورة من صور الحرب العديدة.

وإن ما يقوله الفادي المفتري في اعتراضه على الآية لا يتفق مع المنطق! إنَّ آية أمة - مهما كان دينها - تقف أمام أعدائها الطامعين فيها، والمحاربين لها؛ لأنَّ الدفاع عن النفس والمال والأرض، وصدَّ عدوان المعتدين، فطرة إنسانية، فطر الله الناس عليها، ولا تبديل لهذه الفطرة.

من هم الذين أمر الله المسلمين بمواجهتهم؟ إنهم أعداؤهم: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٤ - ١٤٥.

إِنَّ إِعْدَادَ السِّلَاحِ وَالْقُوَّةَ لِلْأَعْدَاءِ وَاجِبٌ، وَالْأَعْدَاءُ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ يُعَادُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَأَمَّرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيُحْطِطُونَ لِقِتَالِهِمْ، وَيَقْفُونَ أَمَامَ دِينِهِمْ، وَالْهَدَفُ مِنْ هَذَا الْإِعْدَادِ هُوَ «إِرْهَابٌ» أَوْلَئِكَ الْأَعْدَاءُ، وَتَخْوِيفُهُمْ وَرَدُّعُهُمْ، لِيَتَوَقَّفُوا عَنْ مَخْطَطَاتِهِمْ.. و«إِرْهَابٌ» أَعْدَاءٌ آخَرِينَ، يَتَهَيَّؤُونَ لِلْهَجُومِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

لَمْ يَكُنْ هَدَفُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّسَلُّحِ وَالِاسْتِعْدَادِ غَزْوَ الْكُفَّارِ، وَاحْتِلَالَ بِلَادِهِمْ، وَإِزْهَاقَ أَرْوَاحِهِمْ، وَنَهَبَ أَمْوَالِهِمْ، وَإِكْرَاهَهُمْ عَلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي.

وَصَحِيحٌ أَنَّ السِّيفَ هُوَ حُجَّةٌ الَّتِي لَا يَحْتَمِلُ الْمُنَازَعَةَ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ، وَيَدْخُلُ إِلَى الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ. وَالْمُسْلِمُونَ مَأْمُورُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

فَإِذَا مَا وَقَفَ الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ أَمَامَ الدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ بِالْحُجَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَنْطِقِ، وَفَتَنُوهُمْ وَعَدَّبُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، فَلَنْ يَقِفَ الْمُسْلِمُونَ سَاكِتِينَ عَلَى هَذَا الْعُدْوَانِ، وَسَيَتَّصِرُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الدَّعَاةَ، وَسَيُوجِّهُونَ أَوْلَئِكَ الْأَعْدَاءَ.

فَالْإِعْدَادُ وَالِاسْتِعْدَادُ إِنَّمَا هُوَ لِلْأَعْدَاءِ الْمُقَاتِلِينَ الْمُعْتَدِينَ، وَلَيْسَ لِلشُّعُوبِ الْمَسَالِمَةِ الْوَادِعَةَ، الَّتِي تَكْفُفُ أَيْدِيهَا عَنِ الدَّعَاةِ، الْمُبَلِّغِينَ لِدِينِ اللَّهِ!.



حَوْلَ النَّهْيِ عَنِ مَوَالِدَةِ الْكُفَّارِ

اعْتَرَضَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي عَلَى الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ مَوَالِدَةِ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ذَكَرَ مَا قَالَه الإمامُ البيضاويُّ في تفسيرِها، ثم عَلَّقَ على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: ما هي نتيجةُ هذه النصيحةِ القرآنيةِ، إلا الانكفاءُ على الذاتِ؟ وكيف يُوقِّفُ المسلمُ بين الزواجِ من كتابيةِ، تُربِّي عياله وتتولَّى أمورَ بيتهِ، وبينَ هذه الآيةِ المنغلقةِ الفكرِ؟ وما أكثرَ الكفاءاتِ التي أُهدرتْ بسببِ التفرقةِ الدينيةِ! إنَّ المسيحيةَ تدعو للسلامِ والمحبةِ وخدمةِ الجميعِ، على مثالِ ما فعلَ المسيحُ ربُّ السلامِ، الذي عَلَّمنا في مثلِ السامريِّ الصالحِ كيف نُضَحِّي، ونخدمُ جميعَ الناسِ على السواءِ، من جميعِ الأجناسِ واللغاتِ والأديانِ. إنَّ نصيحةَ القرآنِ مناسبةٌ ما دامَ المسلمونَ غالبينَ، أمَّا اليومُ فهي تُقَوِّضُ روحَ التآخي بينِ شعوبِ الأرضِ، وتُعْطِلُ تَقَدُّمَ المسلمين»^(١).

يَعْتَبِرُ الفادي المفتري عَدَمَ مَوَالاةِ المسلمين للكافرين انكفاءً على الذاتِ، وتَقَوُّفُها على النفسِ، وَقَطْعاً لِلصِّلَةِ بالآخرينِ، وهَدْرًا للكفاءاتِ، وتَفْرِيقاً للناسِ، وهذا يُعْطِلُ تَقَدُّمَ المسلمين، ويُقَوِّضُ روحَ التآخي بينِ الشعوبِ.

ويَعْتَبِرُ الفادي القرآنَ مُنْغَلِقاً، وداعياً إلى العزلةِ، وهذا ليس في مصلحةِ المسلمين، ويُقارِنُ بين القرآنِ والنصرانيةِ، ففي الوقتِ الذي يدعو القرآنُ المسلمين إلى العزلةِ والتقوُّعِ والانكفاءِ على الذاتِ - حسب رأيِ الفادي - تدعو النصرانيةُ إلى المحبَّةِ والانفتاحِ على الآخرينِ، وخدمَتهم ومساعدتهم، على اختلافِ أجناسهم ولغاتهم وأديانهم.

ولا يدري الفادي المفتري كيف يوفق بين هذه الآيةِ المنغلقةِ الفكرِ وبين زواجِ المسلمِ من الكتابيةِ، التي تُربِّي عياله وتُدبِّرُ بيتهِ!

إنَّ الفادي لا يفرقُ - لجهله - بين الولاءِ المحرَّمِ وحسنِ المعاملةِ المباحِ، فالولاءُ يقومُ على التحالفِ والتناصرِ والتوادُدِ، وربطِ المصيرِ بالمصيرِ، ومحبةِ هؤلاءِ الكفارِ، والرِّضا بهم، والانحيازِ إليهم، والأنسِ بهم، وجعلهم أعواناً

(١) هل القرآنُ معصومٌ؟، ص ١٤٥.

وأنصاراً وأحباباً، وخبراء وناصحين ومستشارين، وإطلاعهم على أسرار المسلمين، مع أنهم كفارٌ أعداء للمسلمين، حريصون على إفسادهم وإضلالهم. والآيات القرآنية التي تحرّم هذا النوع من الصلة بين المسلمين وأعدائهم الكافرين كثيرة.

أما حسنُ المعاملة بين المسلمين والكفارِ المسالمين فهي مطلوبة، وتتمُّ بها خدمة الآخريين ومساعدتهم. وقد فرّق القرآن بين الولاء المُحرّم والمعاملة الحسنة، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرَهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].



هل يدعو القرآن إلى الكراهية؟

وَقَفَّ الفادي أمام آيتين، معترضاً عليهما، لأنهما تدعوان في نظره إلى كراهية كلِّ البَشَر، وهما قولُ الله ﷻ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فَمَا مَأْ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءُ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أوزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. وقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

وسجّل المفتري فريته الكبيرة قائلاً: «لَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ كَانَ يُسَالِمُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَيَحْتَرُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ، وَيَقُولُ: إِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [انظر: سورة المائدة: الآية ٦٩]، ولكن لما اشتدَّ ساعده في المدينة بالأنصار أمرَ بِقَتْلِ جَمِيعِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ يَدْفَعُوا الْجَزْيَةَ، أَوْ يَدْخُلُوا الْإِسْلَامَ، وَهَذَا يَعْنِي الْاِقْتِصَارَ عَلَى الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهَذِهِ أَرْكَانُ الْأُخُوَّةِ الْعَامَّةِ، وَقَطَعَ أَوَاصِرَ الْمَحَبَّةِ وَحُسْنِ الْمَعَامَلَةِ بَيْنَ طَبَقَاتِ الْبَشَرِ، وَهَكَذَا حَرَّمَ الْمُسْلِمُونَ الْاِسْتِيطَانَ

في كُلِّ بلادِ الحِجَازِ على كلِّ غيرِ المسلمين»^(١).

وفي هذا الكلامِ المفترى مجموعةٌ من المغالطات والأكاذيب:

١ - يزعمُ المفترى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان في مَكَّةَ يُسالمُ جميعَ الناسِ، ويحترمُ اليهودَ والنَّصارى والصابئين، ويقولُ: إنَّ لهم الجنةَ.

وهذا زعمٌ باطلٌ، فلم يكن في مَكَّةَ وجودٌ لليهودِ أو النَّصارى أو الصابئين؛ لأنَّ أهلَ مَكَّةَ كانوا من قريشٍ والعرب، وكان فيها ثلاثةٌ أو أربعةٌ من النَّصارى، فكيف يزعمُ الفادي المفترى أنه كان يحترمُ اليهودَ والنَّصارى والصابئين؟!.

ولم يكن محمدٌ ﷺ مُسالماً للنَّاسِ في مَكَّةَ، إنما كان داعيةً مُذَكِّراً مُبَلِّغاً للدين، يُنذِرهم من عذابِ اللهِ، وكان مأموراً هو وأتباعه المؤمنون بكفِّ أيديهم عن قتالِ المشركين لحكمٍ كثيرة.. لكنَّه كان يعلمُ أنه ستأتي مرحلةٌ جديدة، يكون فيها قتالٌ ومُواجهة.

٢ - يَكْذِبُ المفترى عندما يزعمُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخبرَ وهو في مَكَّةَ أنَّ اليهودَ والنَّصارى والصابئين في الجنة، وأحالَ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

إنَّ هذه الآيةَ مدنيَّة، لأنَّ سورة المائدةِ مدنية، وليست مكيَّة كما ادَّعى المفترى!. ثم إنَّ الآيةَ لا تُخبرُ أنَّ اليهودَ والنَّصارى والصابئين في الجنة، إنما تُخبرُ أنَّ المؤمنين المسلمين المتبعين لرسولِ اللهِ ﷺ هم المؤمنون حقاً، وهم أهلُ الجنة، أمَّا اليهودُ والنَّصارى والصابئون، فلا يُقبَلُ إيمانُ أحدٍ منهم، إلا إذا آمنَ باللهِ وعَمِلَ صالحاً وآمنَ باليومِ الآخر، ولَنْ يتحقَّقَ ذلكُ إلا إذا آمنَ بكلِّ كُتُبِ اللهِ، ومنها القرآنُ، وآمنَ بكلِّ رسلِ اللهِ، ومنهم محمدٌ ﷺ، فإذا لم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٦.

يؤمن اليهودي أو النصراني أو الصابئ بالقرآن وبالرسول ﷺ لم يكن مؤمناً، ولم يكن من أهل الجنة، لأنه فرق بين رسل الله، فآمن ببعضهم وكفر بالآخرين، وهذا هو الكفر الصريح. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

٣ - يزعم المفتري أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة واشتد ساعده، وتقوى بالأنصار، وزاد عدد أتباعه، غير أفكاره ونظرته إلى الآخرين، وتخلّى عن مسالمة الناس، وأعلن الحرب عليهم، وأمر بقتل كل من كان غير مسلم، إذا لم يدفع الجزية، وكان أمامه أحد خيارات ثلاثة: الإسلام أو الجزية أو القتال.

وهذا الزعم والافتراء يعني أن محمداً ﷺ يغير مبادئه وأفكاره من عنده، ويؤلف القرآن من عنده، ويضع أحكام الإسلام من عنده!

إن الله هو الذي أمر المسلمين في مكة بكف أيديهم عن قتال المشركين، والصبر على أذاهم، وهو سبحانه الذي فتح لهم باب الفرج في المدينة، ونصر دينه بالأنصار فيها، وهو الذي أنزل السور المدنية وأمر فيها بقتال المعتدين، وورد هذا في سور البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة ومحمد والصف وغيرها.

٤ - يزعم المفتري أن القرآن بدعوته إلى الأخوة الإسلامية بين المسلمين يدعو إلى هدم أركان الأخوة العامة، وقطع أواصر المحبة وحسن المعاملة بين الناس.

وهذا افتراء منه على القرآن، فدعوة القرآن إلى تعميق وتوثيق الأخوة الإسلامية بين المسلمين لا تعني قطع الأخوة بين الناس، فالله أمر المسلمين أن يؤثقوا صلتهم بغيرهم، ويحسنوا معاملتهم، ويقدموا لهم الخير، واعتبر هذا

من البرِّ والإحسان، يتقربون به إلى الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿لَا يَهْتَكِرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمُ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

أما تحريم إقامة غير المسلمين في بلاد الحجاز، فلأنَّ الحجازَ والجزيرة العربية كلها صارت دارَ إسلام، وقد أسلم أهلها جميعاً في حياة رسول الله ﷺ، وبما أنهم مسلمون فإنَّ مَنْ تَرَكَ الإسلامَ منهم يكون مرتدّاً، والمرتدُّ يُقتلُ إن لم يعدْ للإسلام، وغير المسلمين من البلدان الأخرى ليسوا من أهل الحجاز، فلماذا يُقيمون ويستوطنون فيها؟!.

لو طردَ المسلمون أحدَ أهل الحجازِ الأصليين يمكنُ أن يُلاموا، لكنهم لا يُلامون على عدم السماح للمسلم بالردة، ولا على عدم السماح لابن غير المنطقَةِ الكافرِ بالإقامة فيها.



حول تقبيل الحجر الأسود

زعمَ الفادي المفتري أنَّ شعائرَ الحجِّ التي يُؤدِّيها المسلمون، ليست من عند الله، وإنما هي من أعمالِ الجاهلية، بما في ذلك تقبيلُ الحجرِ الأسودِ عند الطَّواف. قال: «معلومٌ أنَّ الحجَّ إلى الكعبةِ وشعائره هي من شعائرِ الجاهلية، بما في ذلك تقبيلُ الحجرِ الأسود! قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ للحجَّيرِ الأسود: أما والله لقد علمتُ أنك حجَّراً لا تُضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله يقبِّلك ما قبَّلتك!». .

وقد سبقَ أن أثارَ المفتري فريةً أخذَ شعائرَ الحجِّ من الجاهلية، وسبقَ أن ردَّدنا عليه، وذكرنا أمرَ الله بالحجِّ من أيام إبراهيم ﷺ، وأنَّ الجاهليين

توارثوه من أيام إبراهيم عليه السلام، لكنهم أضافوا له كثيراً من ممارساتهم الجاهلية الباطلة، فأزال الله ذلك، وأعاد لشعائر الحج صفتها الإيمانية الخالصة، فعندما يؤدي المسلمون مناسك الحج فإنهم ينفذون بذلك أمر الله سبحانه . . قال تعالى في أمر إبراهيم عليه السلام بالحج: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَإِذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧].

أما تقبيل الحجر الأسود فقد تهكّم الفادي السفية عليه بسوء أدب؛ قال: «ونحن نسأل: هل في الحجر الأسود روح حتى يحسّ بحرارة القبلة التي يطبّعها المسلمون عليه، أو هل فيه عقلٌ يدركُ تقديرَ المسلمين له وإكرامهم إيّاه؟ ولماذا يُعطي المسلمون كرامةً لحجر، كان يؤديها عربُ الجاهلية لأوثانهم أو كيف أقدّم محمدٌ على هذا الإكرام الديني للحجر؟ وكيف أبقى محمدٌ هذا الحجر في الكعبة، ولم يعزله كما عزّل بقية الأصنام؟!»^(١).

إننا نترك الأسلوب البذيء الذي صاغ المجرمُ به أسئلته الوقحة، ونقرّر أنّ العربَ الجاهليين لم يكونوا يلمسون الحجرَ الأسودَ أو يقبلونه، عندما كانوا يطوفون بالكعبة.

وإنّ لمَس الطائفين له وتقبيله تشريعٌ إسلامي، وليس عادةً جاهلية. وهذا لا يعني إكرام المسلمين له لأنه مجردُ حَجَر، ولكنهم بذلك ينفذون أمرَ الله، وهم بذلك يعبدون الله، وتقبيلهم الحجرَ الأسودَ كالتطواف بالكعبة، وهم عابدون لله عندما يطوفون بالكعبة، وعابدون لله عندما يقبلون الحجرَ الأسود.

وما أجمل ما قاله عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقبل الحجرَ الأسودَ أثناء طوافه: «والله إنني لأعلمُ أنك حَجَرٌ لا تُضرُّ ولا تنفع، ولولا أنني رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقبلُك ما قبّلتُك».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٦ - ١٤٧.

إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ الرَّائِعَ لِعُمَرِ أَبْلَغُ رَدٍّ عَلَى مَزَاعِمِ الْمَفْتَرِي، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي نَظَرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ وَهُمْ يُقَبِّلُونَهُ، كَمَا أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى صَفَاءِ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي تَصَوُّرِ الْمُسْلِمِينَ.



حول عدم الاستعانة بالكافرين

نهى الله المسلمين عن اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ الْأَعْدَاءَ أَوْلِيَاءَ، وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَاِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

وَنَقَلَ الْفَادِي كَلَامَ الْبِيضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْآيَةِ: ﴿وَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَاِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يَعْنِي جَانِبُوهُمْ رَأْسًا، وَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ وَاِلِيَّةً وَلَا نَصْرَةً وَلَا نَصِيرًا تَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

وَعَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: هَلْ يَتَّفَقُ هَذَا مَعَ تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ اسْتَعَانُوا بِالْمَسِيحِيِّينَ فِي عَصُورٍ كَثِيرَةٍ؟ إِنَّ الضَّرُورَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ تُحْتَمُّ التَّعَاوُنَ مَعَ الْغَيْرِ، فَالْعِزْلَةُ السِّيَاسِيَّةُ تَتَعَارَضُ مَعَ الْقَوَانِينِ الْمَدْنِيَّةِ، وَقَدْ لَفَّظَهَا الْمَجْتَمَعُ لِعَدَمِ صِلَاتِهَا»^(١).

دَعَا الْإِسْلَامُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى عَدَمِ مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ، وَعَدَمِ اسْتِعَانَةِ بِهِمْ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانُوا مُحَارِبِينَ، وَهَذَا لَمْ يُعْجِبِ الْفَادِي، وَلِذَلِكَ رَفَضَهُ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْعِزْلَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَيَتَعَارَضُ مَعَ الْقَوَانِينِ الْمَدْنِيَّةِ. وَيَزْعَمُ الْفَادِي أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ الْقُرْآنِيَّةَ لَمْ يَلْتَزِمَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، بَلْ خَرَجُوا عَلَيْهَا فِي تَارِيخِهِمْ، وَاسْتَعَانُوا بِالْمَسِيحِيِّينَ فِي عَصُورٍ كَثِيرَةٍ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٧.

ونحنُ لا يُهْمُنَا ما فعله المسلمون في تاريخهم، ولا نقرُّهم على مخالفتهم توجيهات القرآن، ونعترفُ أنَّ كثيراً منهم لم يلتزموا بالقرآن، في تحديدِ صِلاتهم وارتباطاتهم بغيرهم، فمنهم من استعانَ بالنصارى المحاربين، ومنهم من تحالفوا مع الأعداءِ ضدَّ إخوانهم المسلمين، وقاتلوا إخوانهم المسلمين بهم!! وهذه التصرفاتُ كُلُّها مخالفةٌ للإسلام، نرفضها وننكرها، في الوقتِ الذي يعتزُّ بها الفادي المفتري؛ لأنها مظهرٌ من مظاهرِ مخالفةِ المسلمين لدينهم!.

إنَّ الآيةَ التي اعترض عليها الفادي المفتري تتحدَّثُ عن كُفارِ أعداءِ للمسلمين، محاربين لهم، حريصين على ردِّتهم عن إسلامهم، وبسببِ هذه المعاداةِ فإنَّ الآيةَ تدعو المسلمين إلى الحذرِ والانتباه، وعدمِ موالاةِ هؤلاء الأعداءِ، وعدمِ الاستنصارِ بهم، إذ كيف يُوالونَ من هذه صِفَتهم وكيف يطلبونَ النصرَ من الحريصين على إضعافهم وردِّتهم؟ ولماذا يعترضُ المفتري على هذه الدعوةِ القرآنية؟!.



حول انتشار الإسلام في العالم

وقفَ الفادي أمامَ سورةِ النصر، التي تُبَشِّرُ بنصرِ الإسلامِ وانتشاره؛ قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

واعترضَ الفادي على السورة، واعتبرَ انتشارَ الإسلامِ ليسَ فضلاً من الله، ولا دليلاً على أنه من عندِ الله، ولذلك علَّقَ على ذلك قائلاً: «ونحنُ نسأل: إذا كانَ من المعلومِ أنَّ الناسَ بطبيعتهم مُقلِّدون، وأنَّ تأثُرَ الجماعاتِ والقبائلِ بعضهم من بعض، قادَ العربَ وغيرهم للدُّخولِ في الإسلامِ... واعتبرَ المسلمونَ أنَّ هذا تيسيراً من الله لم يخطرُ على بالِ أحد، وأنَّ هذا شهادةٌ

للإسلام... فماذا يقول المسلمون في انتشار الدين الوثني، وعدد أتباعه أضعاف المتدينين بدين محمد، وله من الأديرة والمعابد ما لا يحصى عدداً. وكثير منها غاية في الجمال والغنى، وهو ممتد من غرب الهند إلى حدود سيبيريا، فهل تكون الوثنية من عند الله؟^(١).

للمفتري تفسير خبيث لسرعة انتشار الإسلام قبيل وفاة رسول الله ﷺ يُخالف التفسير الصحيح، الذي يتفق مع المنطق والمنهجية! إنه يزو ذلك إلى البعد القبلي والعشائري، فالناس في العرف القبلي يتبعون شيخ القبيلة، ولا يناقشونه ولا يعترضون عليه، ولهذا قلد رجال القبائل الأقوياء منهم، الذين دخلوا في الإسلام، وتابَعَ الناسُ شيوخَ قبائلهم!!.

ولو كان كلامه صحيحاً لأسلم الناس في الجزيرة العربية منذ السنوات الأولى.. لقد حاربت قريش الإسلام عشرين سنة بكل ما أوتيت من قوة، ولم تدخل في الإسلام إلا بعد هزيمتها أمامه.

وإن الله هو الذي جاء بالنصر والفتح، وهو الذي شرح له صدور الناس، فصاروا يدخلون فيه أفواجا، وهو الذي وعد المسلمين بذلك قبل تحقّقه ومجيئه في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْخَلَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

وقول الفادي: إن الوثنيين أضعاف عدد المسلمين، كذب وافتراء، فالمسلمون هم الملة الثانية في العدد بعد النصارى!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٧ - ١٤٨.

وما زال الدين الإسلامي قوياً، رغم تصعيد الأعداء حربهم له، وكل يوم يدخل فيه أفراد جدد في مختلف بقاع العالم، مع أنه لا توجد دولة تحمله وتطبقه بصدق في هذا الزمان، فهو دين زاحف، رغم أنف الأعداء وكثرة المعوقات! .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أَنَّ الإسلام سَيَتَشَرُّ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَيَدْخُلُ كُلَّ بَيْتٍ عَلَيْهَا، وَسَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَسَيَقْضِي عَلَى كُلِّ الْأديَانِ الْبَاطِلَةِ.. ونقول للفادي: حَلِّلْ كَمَا تَشَاءُ، وَمُتْ بِعَيْظِكَ!! .



حول تقاتل المسلمين

امتنَّ اللهُ على المسلمين بأنه أَلَّفَ بين قلوبهم، وجَعَلَهُمْ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ . قال تعالى: ﴿وَأَعِصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ولكنَّ الفادي المفتري اعترض على الآية وكذَّبَها، ودَكَرَ أمثلةً ونماذج لاختلاف المسلمين وتقاتلهم وتطاحنهم، وقال: إِنَّ الحروبَ التي وَقَعَتْ بين المسلمين في صدرِ الإسلامِ أَكْثَرُ وَأَعْنَفُ وَأَشَدُّ من الحروبِ التي وَقَعَتْ بين العربِ الجاهليين! .

قال: «يرى المسلمون أنه من فضائل الإسلام الدالة على أنه من عند الله، أنه أَلَّفَ بين قلوب العرب، بعد أن كانوا قبائل تُشْتَنُّ الحروبَ بعضها على بعض...»

ونحنُ نَرُدُّ: إِنَّ هذا القولَ باطل، فالحروبُ والغزواتُ كانت على أشدها بين العرب أيامَ محمد. ولما ماتَ قامَ أبو بكر بحروبِ الرِّدَّةِ، وبعدَ موتِ عُمَرَ أَعْمَلَ المسلمون السيفَ بعضهم برقابِ بعض، فماتَ عمرُ وعثمانُ مقتولين،

وَحَدَّثَتْ حَرْبُ الْجَمَلِ بَيْنَ عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ، ثُمَّ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَعَلِيٍّ وَابْنِهِ الْحُسَيْنِ... ثُمَّ كَانَتْ فِتْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَالْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَجَّاجِ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ... هَكَذَا كَانَ حَالُ الْعَرَبِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مُوَاجِهَةً وَخِدْعَةً وَعَدْرًا، فَأَيْنَ التَّأَلُّفُ وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ الَّذِي أَتَى بِهِ الْإِسْلَامُ؟!»^(١).

إِنَّ مِنَ الْمَتَفِقِ عَلَيْهِ أَنَّ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ كَانَتْ شَدِيدَةً بَيْنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَّ حَيَاتِهِمْ كَانَتْ تَقُومُ عَلَى الْغَزْوِ وَالْقَتْلِ، وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ، وَالظُّلْمِ وَالْعَدْوَانِ، وَكَانَتْ تَنْشُبُ بَيْنَهُمُ الْحُرُوبُ الطَّوِيلَةُ لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ... وَجَمَعَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا أَسْلَمُوا عَلَى الْقُرْآنِ، وَامْتَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِهِ، وَتَذَكَّرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَشَتَّانَ بَيْنَ مَاضِيهِمُ الْجَاهِلِيِّ وَحَاضِرِهِمُ الْإِيمَانِيِّ!

وَنَعْتَرَفُ بِأَنَّهُ حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ تَفَرُّقٌ وَاجْتِلَافٌ بَعْدَ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَدَّى هَذَا إِلَى تَقَاتُلٍ وَنِزَاعٍ، وَنَشَبَتْ الْمَعَارِكُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فِي الْبَصْرَةِ وَصَفِينِ، وَاسْتَشْهَدَ كَثِيرٌ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ.

لَكِنَّ هَذِهِ الْفِتْرَةَ كَانَتْ غَاشِيَةً غَشِيَتْ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَلَاشَتْ وَزَالَتْ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا اتِّفَاقُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ وَتَلَاقِيهِمْ. ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْاجْتِلَافَ وَالتَّقَاتُلَ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى خُرُوجِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمَعَ أَنَّ الْأَصْلَ أَنْ لَا يَكُونَ، لَكِنَّ وَقُوعَهُ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بَيْنَ مُخْتَلِفِ النَّاسِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

وَلَا يَزَالُ الْقُرْآنُ عَامِلٌ اجْتِمَاعٍ وَتَعَاوُنِ الْمُسْلِمِينَ، تَأْتِلُفُ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ، وَيُخَفِّفُ آثَارَ الْاجْتِلَافِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الْبَشَرِ!



(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٤٨ - ١٤٩.



الفصل الثامن

نقض المطاعن العلمية

هل لتمثال العجل خوار؟

أخبر الله أنه في غيبة موسى ﷺ عن بني إسرائيل، فتتَّهم وأصلَّهم السامريُّ الكافر، فأخذ جليهم وزينتهم، وصنَّع منها تمثالاً ذهبياً، على شكل عجل، ودعاهم إلى عبادته، على أنه إلههم، ومن بابِ فتنتهم كان لهذا التمثالِ خُوارٌ كخُوارِ العجل. قال تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورًا﴾ [طه: ٨٧ - ٨٨].

وقد اعترض الفادي على كلام القرآن، واعتبره متناقضاً مع حقائق العلم، إذ كيف يُمكن للبشر أن يصنعوا تمثالاً ناطقاً متكلماً؟ قال: «ونحن نَسأل: من أين استقى القرآن هذا الخبر، الذي ليس له أساسٌ تاريخي؟ وهل من المعقول أن العجل الذهبي يخور كالعجل الطبيعي؟ وهل يتمنى السامريُّ المزعوم ذلك، ويطلبه هارون من الله، فيوافقُ الله على تحسين الصنم فيخور، ليغري الناسَ ليعبُدوه من دون الله؟ وهل صارَ السامريُّ وهارونُ واللهُ شركةً واحدةً في صنْعِ العجل؟!»^(١).

يتساءلُ الفادي بحُبث: «من أين استقى القرآن هذا الخبر؟ الذي ليس له أساسٌ تاريخي؟» إنه بهذا التساؤل يُريدُ أن يُقرَّرَ بشرية القرآن، فلأنه من عند البشر فلا بُدَّ أن يكونَ لما يقوله مصدرٌ يأخذه منه، فمن أين أخذ القرآن فكرة العجلِ البشري؟.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٣.

ونحنُ نوقنُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلُّه صادق، لأنَّه لا أحدَ أَصَدَقُ حديثاً وَقَوْلًا من الله، ولا يَجُوزُ أنْ نبحثَ عن مصدرٍ بشريٍّ لما يذكُرُه القرآنُ، ويكفي ذِكْرُ الخبرِ في القرآنِ دليلاً على تصديقه.

ويُكذِّبُ الفادي المفتري القرآنَ عندما يَزعمُ أنَّ إخبارَه عن عجلِ السامريِّ ليس له أساسٌ تاريخي، ونقولُ له: مرجعيَّتُنا هي القرآنُ؛ لأنَّه كلامُ الله، وَيَجِبُ أنْ نُؤمنَ بكلِّ ما وردَ فيه، وَمَنْ كَذَّبَ شيئاً مما ذُكِرَ فيه، فهو مُكذِّبٌ لله، كافرٌ به.

وبعدَ ذلك نقولُ للفادي: لقد ذَكَرَ كِتَابُكَ المقدَّسُ الذي تُؤمنُ به قصةَ صنعِ العجلِ، لكنَّ الحاخامات الذين أَلْفُوا أسفارَ العهد القديم كَذَبوا على الله وعلى هارونَ النبيِّ ﷺ، حيثُ زَعَموا أَنَّهُ هو الذي صَنَعَهُ، ودعا قومه إلى عبادته!

وَرَدَ في سِفْرِ الخُرُوجِ ما يلي: «ورأى الشعبُ أنْ موسى قد تَأخَّرَ في النزولِ من الجبلِ، فاجتمعَ الشعبُ على هارونَ، وقالوا له: قُمْ فاصنعْ لنا آلهةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، فإنَّ موسى ذلك الرجل الذي أَصَعَدَنَا من أرضِ مصرِ لا نَعْلَمُ ماذا أَصَابَهُ!!»

فقال لهم هارون: انزعوا حَلَقَاتِ الذَّهَبِ التي في آذانِ نسايتكم وبناتكم وبنيتكم، وأتوني بها... فنزعَ كُلُّ الشَّعْبِ حَلَقَاتِ الذَّهَبِ التي في آذانهم، وأتوا بها هارون... فأخَذَهَا وَصَبَّهَا قَالِباً، وَصَنَعَهَا عِجْلاً مَسْبُوكاً... فقالوا: هذه آلهتُك يا إسرائيل، التي أَصَعَدْتُكَ من أرضِ مصرِ، فلما رأى هارونُ ذلك بنى مَذْبِحاً أمامَ العجلِ، ونادى قائلاً: غداً عيدٌ للرَّبِّ! فَبَكَّرُوا في العَدِ، وَأَصَعَدُوا مُحَرَّقات، وَقَرَّبُوا ذبائح، وجَلَسَ الشعبُ يأكلُ ويشربُ، ثم قامَ يَلْعَبُ...

ولما عادَ موسى ﷺ إلى قومه غَضِبَانَ أسِفاً، لامَ هارونَ لَوْمَةً شديداً على ما فَعَلَهُ، وقالَ له: ماذا صَنَعَ بك هذا الشعبُ، حتى جَلَبَّتْ عليهم خطيئةً

عظيمة؟ فقال هارون: أنت عارف أنه شعبٌ شرير، قال لي: اصنع لنا آلهةً تسيرُ أمامنا، فإنَّ موسى ذلك الرجل الذي أصعدنا من أرضِ مصر، لا نعلمُ ماذا أصابه.. فقلتُ لهم: مَنْ له ذهبٌ فلينزعه.. فأتوني به، فألقيته في النار، فخرجَ هذا العجل..» [سفر الخروج: ١/٣٢ - ٦ و: ٢١/٣٢ - ٢٤].

الفادي يقول: هل من المعقول أن العجل الذهبيَّ يَخورُ كالعجلِ الطبيعي؟ ونقول: نعم من المعقول، إذ ليس في هذا ما يتناقضُ مع العقل؛ لأنه لم يحدث بفعل السامريِّ، إنما حدث بإرادة الله، والسامريُّ لم يخلق عجلًا طبيعيًا حقيقيًا، لأنَّ الخالق هو الله، كلُّ ما فعله أنه صنع من الذهبِ والحليِّ عجلًا جسديًا، وتمثالًا مجسدًا، والله هو الذي جعل لهذا العجلِ التمثالِ خوارًا، وجعل له صوتًا كصوتِ العجلِ، مُبالغةً في ابتلاءِ وامتحانِ بني إسرائيل، ولقد رَسبوا في الامتحان، وخسروا في الابتلاء، وكانوا كلِّما سمعوا حُوارَ العجلِ التمثالِ ازدادوا إقبالاً عليه وفرحاً به! ومن المعلوم أن الله يتتلى عباده بالخيرِ والشرِّ، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ثم ما هو الذي يتعارضُ مع العقلِ في حُوارِ العجلِ الجسد؟ ألا يمكنُ تقريبُ ما جرى من خلالِ تذكُّرِ آلاتِ العزفِ الموسيقية، حيثُ يُخرجُ العازفُ ألحاناً موسيقيةً من ضربه على بعضِ الآلاتِ الجامدة، أو نَفْحِهِ في آتٍ أُخرى؟ فإذا كانَ الإنسانُ يستطيعُ إخراجَ ألحانٍ مختلفةٍ من الآلاتِ التي يتعاملُ معها، أيعجزُ الله سبحانه عن إخراجِ صوتِ حُوارِ العجلِ من تمثالِ عجلٍ مجسد؟!.

المشكلةُ ليستُ في إخبارِ القرآنِ عن حُوارِ تمثالِ العجلِ، إنما المشكلةُ في ما نسبهُ الأحبارُ الكُفارُ إلى النبيِّ هارونَ ﷺ من كفر! فهل يُعقلُ أن يستجيبَ النبيُّ هارونُ ﷺ إلى طلباتِ قومه الكافرة، ويصنعَ لهم من حليِّهم عجلًا، ويقولُ لهم: إنَّ هذا هو إلَهُكُمْ، فتعالوا واعبدوهُ؟.

وقد نصَّ القرآنُ على أنَّ هارونَ ﷺ أنكرَ عليهم عبادتهم العجل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقْوَمُوا لِي إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي

وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ [طه: ٩٠ - ٩١].



أسطورة خاتم سليمان

حَمَلَ الْفَادِي الْمُسْلِمِينَ أَكْذُوبَةَ خَاتَمِ سُلَيْمَانَ ﷺ، الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْخِرَافَاتِ وَالْأَسَاطِيرَ، وَذَلِكَ أَثْنَاءَ تَفْسِيرِهِمْ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٤ - ٣٥].

قَالَ: «قَالَ مَفْسِّرُو الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ سُلَيْمَانَ قَتَلَ مَلِكَ صَيْدُونَ، وَأَخَذَ ابْنَتَهُ جَرَادَةَ لِحَمَالِهَا، فَكَانَتْ تَبْكِي فِي بَيْتِ سُلَيْمَانَ عَلَىٰ أَبِيهَا. فَأَوْصَىٰ سُلَيْمَانَ الشَّيَاطِينُ، فَعَمِلُوا تِمَثَالاً لِأَبِيهَا، وَضَعْتَهُ أَمَامَهَا، وَكَانَتْ تَسْجُدُ لَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً... وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ خَاتَمٌ يَلْبَسُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ لِلطَّهَارَةِ يُعْطِيهِ لَزُوجَتِهِ أَمِينَةً! فَمَرَّةً دَخَلَ لِلطَّهَارَةِ، وَظَهَرَ الشَّيْطَانُ لِأَمِينَةٍ فِي شَكْلِ سُلَيْمَانَ، وَأَخَذَ الْخَاتَمَ، وَجَلَسَ عَلَىٰ سَرِيرِ الْمَلِكِ، وَتَزَوَّجَ بِنِسَاءِ سُلَيْمَانَ، وَاسْتَمَرَ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، وَسُلَيْمَانُ مَطْرُودٌ، يَسْتَنْكِرُهُ كُلُّ مَنْ رَأَاهُ... وَطَارَ الشَّيْطَانُ، وَسَقَطَ مِنْهُ الْخَاتَمُ فِي الْبَحْرِ، وَصَادَ الصَّيَّادُونَ سَمَكاً، وَأَعْطَوْا سُلَيْمَانَ سَمَكَتَيْنِ أُجْرَةً لَهُ، عَلَىٰ خِدْمَتِهِ فِي حَمْلِ السَّمَكِ، فَوَجَدَ الْخَاتَمَ فِي جَوْفِ السَّمَكَةِ، وَلَمَّا لَبَسَهُ عَادَ إِلَيْهِ الْمُلْكُ!». ..

وَعَلَّقَ الْفَادِي عَلَىٰ هَذِهِ الْأَسْطُورَةِ بِقَوْلِهِ: «فَمَا مَعْنَىٰ هَذَا الْخَاتَمِ السَّحْرِيِّ، الَّذِي مَنْ يَلْبَسُهُ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ الْجِنِّ يَصِيرُ مَلِكاً؟ وَكَيْفَ يَتَزَوَّجُ الشَّيْطَانُ النِّسَاءَ وَهُوَ مِنَ الْأَرْوَاحِ؟ وَمَتَىٰ كَانَ سُلَيْمَانُ الْمَلِكُ شَحَاذاً وَحَمَالَ سَمَكِ أَرْبَعِينَ يَوْماً؟!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٣.

إنَّ هذا الكلامَ مردودٌ مكذوبٌ، لم يَرِدْ في كتابِ الله، ولا في حديثِ رسولِ الله ﷺ، ولم يقله واحدٌ من الصحابةِ أو التابعين، وهو من الإسرائيلياتِ والخرافاتِ والأساطيرِ الباطلة، التي لا يجوزُ أنْ نُفسِّرَ بها كلامَ الله . . . وسامحَ اللهُ الإخباريينَ والرواةَ من المسلمين، الذين أجازوا لأنفسِهِم تفسيرَ كلامِ الله بهذا الهراءِ التافه، حتى يأتي إنسانٌ مُعرضٌ مثلُ الفادي يجعلُه مَطْعَنًا يوجِّهُه إلى كتابِ الله ﷻ.

ثم إنَّ هذا الكلامَ الباطلَ يطعنُ في نبوةِ سليمانَ ﷺ وعصمتهِ وإيمانه، ويصوِّره بصورةِ الذي يرضى بالشُّركِ بالله في بيته، بل يرضى أنْ يصنعَ الأصنامَ لامرأتهِ المشركة، ويدعوها لعبادتها، إنَّ هذا لا يفعله مسلمٌ عادي، فكيف يفعله النبيُّ الملكُ القويُّ سليمانُ ﷻ؟! .

وما هو هذا الخاتمُ السحريُّ الذي كان يحكمُ به سليمانُ الإنسَ والجنَّ؟ وكيف يرضى اللهُ أنْ يُسلَبَ سليمانُ الملكَ؟ وأنْ يحلَّ محلَّه شيطانٌ رجيماً؟ وكيف يَطَأُ ويُجامعُ هذا الشيطانُ الكافرُ أزواجَ سليمانَ واحدةً واحدةً؟ وكيف؟ وكيف؟ . . .

إننا نبرأُ إلى الله من هذه الأسطورةِ المكذوبة، ونُبرِّئُ سليمانَ ﷻ منها! .



لماذا إنكار عذاب القبر؟

يُنكرُ الفادي المفتري عذابَ القبر، ويعتبره مما لا يتفقُ مع العلم، ومما يتناقضُ مع العقل، ويخطئُ الرسولَ ﷺ في حديثه عنه .

وإنَّ إنكاره عذابَ القبرِ لا يتفقُ مع موضوعِ كتابه، الذي خصَّصه لانتقادِ القرآن، وهو في هذا الموضوعِ يتنقذُ حديثَ رسولِ الله ﷺ! .

ذَكَرَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةَ فَيُنْتَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وذكره للآية في معرض حديثه عن عذاب القبر دليل جهله، فالآية لا تتحدث عن عذاب القبر، وإنما تتحدث عن الموت، الذي لا بُدَّ أن يُصيب الإنسان مهما فرَّ منه. والآية شبه الصريحة في عذاب القبر هي قول الله ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

وذكر الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلِيٌّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجَائِزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، فَخَرَجَتَا. . . وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ مَا قُلْتُ لِهَٰمَا، وَإِنِّي لَمْ أَصُدِّقُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَا، إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا. فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

ثم ذكر حديثاً آخر في تعوذ رسول الله ﷺ من العجز والكسل والجبن والبخل وعذاب القبر، وحديثاً ثالثاً في سؤال الملكين لمن يوضع في قبره. وعلق على تلك الأحاديث الثلاثة قائلاً: «ونحن نسأل: إذا كان الميت يسمع ويتعذب في القبر، فلماذا لا يسمع عذاب أهل القبر إلا البهائم؟ وإذا كان أهل المقابر الذين يعترفون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم يُعْفَوْنَ من العذاب، فلماذا كان النبي نفسه دائماً يتعوذ من عذاب القبر؟ لعل خرافة العجوزين (اللتين كذبتهما عائشة) تعود إلى أنهما سمعتا عن شخص دُفِنَ بسرعة بعد أن ظنوه مات، ولما أفاق في القبر استغاث، وليس من يُغيث، فمات، فخرجت إشاعة أن أهل القبور يُعَذَّبُونَ!!»^(١).

بهذا التفسير الساذج، الذي يدلُّ على العباء، يُفسَّرُ الفادي الجاهل عذاب القبر: شابٌ أُغْمِيَ عليه، فظنَّ أنه مات، فدفن في قبره، وهناك استيقظ، فصاح وصرخ واستغاث، ومات الموت الحقيقي. . . ولما سمع الناس صراخه (ولا أدري كيف سمعوه) أشاعوا إشاعة عذاب القبر!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٤.

وكلامُ الفادي مردود، ونحن نؤمنُ بأنَّ عذابَ القبرِ حقٌّ، لأنَّ الرسولَ ﷺ أخبرَ بذلك، وإذا صحَّ الحديثُ عن رسولِ الله ﷺ وجبَ الأخذُ به، والإيمانُ بما وردَ فيه.

١٨١

حول ناقة صالح ﷺ

لما بعثَ اللهُ صالحاً ﷺ رسولاً إلى قومِ ثمودَ آتاهُ الناقةُ آيةً، وطلبَ منهم أن لا يمسُّوها بسوء، لكنَّهم لم يستجيبوا له، ولما عقروها وقعَ بهم العذابُ.. قال تعالى: ﴿وإلى ثمودَ آتاهم صليحاً قال ينقوموا أعبدوا الله ما لكم من إله غيري قد جاءكم بينة من ربكم هذِهِ ناقةُ الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ [الأعراف: ٧٣].

ولما أرادَ الفادي أن يتعرفَ على قصةِ الناقةِ ذهبَ إلى المفسرين المولعين بذكرِ التفاصيلِ المستمدة من الإسرائيليات، والتي لا دليلَ عليها من الكتابِ والسنة، وأخذَ منهم تلكَ التفاصيلِ، ثم ردَّها وأنكرها، بحجة مخالفتها للعلم والعقل، وحملها للقرآن، وخطأه بسببها، مع أن القرآنَ لم يقلُ بها!

زعمَ هؤلاء أن قومَ ثمودَ طلبوا من صالح ﷺ آيةً، فأخرجَ لهم ناقةً من الصخرة، وأخرجَ من الصخرةِ ابنها، فأمنَ به بعضهم وكفَّرَ به آخرون، وكانت الناقةُ تُخيفُ أنعامهم، وتشربُ ماءهم، وهم في المقابلِ يشربون لبنها، فاتفقوا على قتلها واقتسام لحمها، ولما قتلوها أخفت الأرضُ داخلها ابنها، وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ وقعَ بهم العذابُ، وأنجى اللهُ صالحاً ﷺ إلى فلسطين.

وعلقَ الفادي على ذلكَ بقوله: «هل من المعقول أن الصخرة تلد ناقة؟ وأن الناقة تشربُ كلَّ البئر، وتُطعمُ كلَّ المدينة؟ وهل من المعقول أنه عندما تتسببُ الناقةُ في أذيةِ المدينة بطردِ الأنعامِ شتاءً وضيافاً، فيذبَحُها الناسُ،

فُيْهِلِكُ اللهُ الْمَدِينَةَ كُلَّهَا مَقَابِلَ ذَبْحِ نَاقَةٍ؟ وَهَلْ مِنْ الْمَعْقُولِ أَنْ تَسْمَعَ الصَّخْرَةَ رُغَاءَ الْفَصِيلِ، فَتَنْشَقُّ وَيَدْخُلَ فِيهَا، وَيَعُودَ جُزْءًا مِنَ الصَّخْرَةِ كَمَا كَانَ؟ أَلَيْسَ هَذَا أَشْبَهَ بِحِكَايَاتِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ؟! (١).

الواجبُ علينا أن نبقى مع حديثِ القرآنِ عن ناقةِ صالحٍ ﷺ، لا سيما أنه لا يوجدُ حديثٌ صحيحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ يُفَصِّلُ ما أَجْمَلَهُ القرآنُ عنها، ولا يجوزُ لنا أن نذهبَ إلى الأساطيرِ والرواياتِ غيرِ الصحيحةِ، كما فَعَلَ الفادي الجاهلُ!.

لم يَقُلِ القرآنُ: إِنَّ الناقَةَ خَرَجَتْ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَنَّ ابْنَهَا خَرَجَ مِنْهَا بَعْدَهَا، وَلَمْ يَقُلِ القرآنُ: إِنَّ الناقَةَ كَانَتْ تُلَاحِقُ وَتُطَارِدُ أَنْعَامَ ثَمُودَ، وَلَمْ يَقُلِ القرآنُ: إِنَّ ابْنَهَا عَادَ إِلَى الصَّخْرَةِ بَعْدَ ذَبْحِ أُمِّهِ، وَلَمْ يُفَصِّلِ القرآنُ كَيْفِيَةَ ذَبْحِ الناقَةِ، وَلَمْ يَقُلِ القرآنُ: إِنَّ وَجوهَ قَوْمِ ثَمُودَ اصْفَرَّتْ فِي اليَوْمِ الأوَّلِ بَعْدَ ذَبْحِ الناقَةِ، وَاحْمَرَّتْ فِي اليَوْمِ الثَّانِي، وَاسْوَدَّتْ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ. وَبِهَذَا تُصْبِحُ كُلُّ الأَسْئَلَةِ الإنْكَارِيَةِ الَّتِي أَثَارَهَا الْفَادِي لَاغِيَةً، لِأَنَّهَا تُوجِّهُ إِلَى التَّفَاصِيلِ الأَسْطُورِيَةِ، وَلا تُوجِّهُ إِلَى القرآنِ!.

كُلُّ ما قَالَهُ القرآنُ: إِنَّ اللهَ جَعَلَ الناقَةَ آيَةً لِقَوْمِ ثَمُودَ، وَلا نَعْرِفُ كَيْفَ كَانَتْ آيَةً، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِتَحْذِيرِ صالِحٍ لَهُمْ مِنْ ذَبْحِهَا، وَأَنَّهُمْ عَذَّبُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيامٍ مِنْ ذَبْحِهَا!!.



حول إهلاك قوم مدين

أخبرَ اللهُ عن قصةِ قومِ مَدِينٍ مع نبيِّهم شَعِيبٍ ﷺ، وَوَرَدَتْ قِصَّتُهُمْ فِي أَكْثَرِ مِنْ سُوْرَةٍ فِي القرآنِ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٤ - ١٥٦.

وقد ذَكَرَ الفادي خمسَ عشرةَ آيةً تحدّثتُ عن قصّةِ قومِ مَدِينٍ في سورة الشعراء [الشعراء: ١٧٦ - ١٩٠]، ثم ذَكَرَ كَلاماً مَنسُوباً لابنِ عباسٍ في كيفيةِ إهلاكِ قومِ مدين، خُلاصَتُهُ أَنَّ اللهَ بَعَثَ عَلَيْهِمُ حَرّاً شَدِيداً مِنْ جَهَنَّمَ، بِحَيْثُ لَمْ يَنْفَعَهُمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ وَلَا سِرْدَابٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْبَرِيَّةِ، فَأَرْسَلَ اللهُ لَهُمْ سَحَابَةً أَظْلَمَتْهُمْ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَنَسِيمًا، وَلَمَّا تَنَادَوْا إِلَيْهَا وَصَارُوا تَحْتَهَا، جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ نَارًا فَأَحْرَقَتْهُمْ!.

وَعَلَّقَ الفادي على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: لا نجدُ في الكتابِ المقدَّسِ كلمةً عن رجلٍ اسْمُهُ شُعَيْبٌ، أُرسِلُ إلى مَدِينٍ، ولا أَنَّ مَدِينٍ هَلَكَتْ بِالنَّارِ، وهل من المعقولِ أَنَّ سَحَابَةً تَبَعَتْ نَسِيمًا عَلِيلاً وهَوَاءً طَيِّبًا، وهي نارٌ حاميةٌ تحرقُ المَدُنَ فَتُفْنِيها؟»^(١).

إِنَّ الفادي المفتري يُكذِّبُ كَلامَ القرآنِ عن نبوّةِ شُعَيْبٍ ﷺ، وعن إهلاكِ مَدِينٍ، لِأَنَّ الكتابَ المقدَّسَ الذي يؤمَّنُ به لم يذكُرْ ذلك، ونحنُ نؤمَّنُ بأنَّ شُعَيْبًا ﷺ هو رسولُ اللهِ إلى مَدِينٍ، وأنهم لما كَذَّبُوهُ أَهْلَكَهُمُ اللهُ، لِأَنَّ اللهُ ذَكَرَ ذلك في القرآنِ.

والخلافُ بَيْنَنَا وبين الفادي في المرجعية، إِنَّ مرجعيته هي ما يسمِّيهِ بالكتابِ المقدَّسِ، وهو يؤمَّنُ بكلِّ ما وَرَدَ فِيهِ، وَيُكذِّبُ كُلَّ ما لَمْ يَرِدْ فِيهِ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ كَلامُ اللهِ! ونحنُ لا نؤمَّنُ بذلك، لِأَنَّ اللهُ أَخْبَرَنَا أَنَّ الْيَهُودَ حَرَّفُوا التوراةَ، وَأَنَّ النَّصَارَى حَرَّفُوا الْإِنْجِيلَ، فَكَثِيرٌ مِمَّا ذُكِرَ فِي أَسْفَارِ الْكِتَابِ المقدَّسِ من كَلامِ الْأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ المشكوكِ فِيهَا!.

ومرجعيَّتُنَا نحنُ هي القرآنُ، لِأَنَّهُ كَلامُ اللهِ، وكلُّ ما وَرَدَ فِيهِ نؤمَّنُ به ونصدِّقُهُ، ولكِنَّهُ يُنكَرُ أَنَّ يكونَ القرآنُ من عندِ اللهِ، ولذلك يُكذِّبُ ما وَرَدَ فِيهِ!.

نحنُ نؤمَّنُ أَنَّ اللهُ بَعَثَ شُعَيْبًا ﷺ نبيًّا رسولاً إلى قومِ مَدِينٍ، وَأَنَّ معظمَهُمُ كَذَّبُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ، فَعَذَّبَهُمُ اللهُ بِالرَّجْفَةِ وَالظُّلَّةِ فَأَهْلَكَهُمُ وَقَضَى عَلَيْهِمُ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٦ - ١٥٧.

ولا دليلَ على ما ذَكَرَهُ الفادي من تَفْصِيلِ عَذَابِهِم بِالْحَرِّ، ولم يَصِحَّ هذا الكلامُ إلى ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، ولذلك نحنُ لا نقولُ به ونَرُدُّه، فلم يَبْعَثْ لِأَهْلِ مَدِينِ سَحَابَةً مَنَعَشَةً فَوْقَهُمْ، نَسِيمُهَا طَيِّبٌ وَظُلُّهَا لَطِيفٌ، فلما تَجَمَّعُوا تَحْتَهَا تَحَوَّلَ ذَلِكَ النَّسِيمُ إِلَى لَهَبٍ وَتَحَوَّلَتِ السَّحَابَةُ إِلَى نَارٍ حَارِقَةٍ! لا نقولُ بذلك لأنه لم يُذَكَّرْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ولا في حديثِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

ثم مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَذَّبَ قَوْمَ مَدِينِ بِالظُّلَّةِ (السَّحَابَةِ الْبَارِدَةِ)، فلما تَجَمَّعُوا تَحْتَهَا حَوَّلَهَا اللَّهُ إِلَى نَارٍ حَارِقَةٍ؟! .

لقد أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ أَهْلَكَ قَوْمَ مَدِينِ بِالرَّجْفَةِ وَالصَّيْحَةِ وَالظُّلَّةِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا﴾ [الأعراف:

[٩١].

وَالرَّجْفَةُ هِيَ حَرَكَةُ الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِهِمْ، حَيْثُ زُلْزِلَتْ وَرَجَفَتْ وَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينًا﴾ [هود: ٩٤].

والصَّيْحَةُ هِيَ الصَّوْتُ الْعَالِي الْمَدْوِيُّ، النَّاتِجُ عَنِ زَلْزَالٍ أَوْ انْفِجَارٍ هَائِلٍ.

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[الشعراء: ١٨٩].

وَالظُّلَّةُ هِيَ السَّحَابَةُ، وَكَانَتْ تِلْكَ السَّحَابَةُ سَحَابَةً بَرَكَانِيَّةً حَارِقَةً، وَليست باردةً أو مَنَعَشَةً.

وقد يَتَهَمُ بَعْضُهُم الْقُرْآنَ بِالتَّنَاقُضِ فِي حَدِيثِهِ عَنِ إِهْلَاكِ قَوْمِ مَدِينِ، فَسُورَةُ الشَّعْرَاءِ تُخْبِرُ أَنَّ إِهْلَاكَهُمْ كَانَ بِالظُّلَّةِ، وَسُورَةُ الْأَعْرَافِ تُخْبِرُ أَنَّ إِهْلَاكَهُمْ كَانَ بِالرَّجْفَةِ، وَسُورَةُ هُودٍ تُخْبِرُ أَنَّ إِهْلَاكَهُمْ كَانَ بِالصَّيْحَةِ! فِيمَاذَا كَانَ إِهْلَاكَهُمْ؟ وَلِمَاذَا تَنَاقَضَتِ السُّورَةُ الثَّلَاثُ فِي حَدِيثِهَا عَنِ إِهْلَاكِهِمْ؟ .

وعند تدبُّر الآياتِ في السورِ الثلاثِ، المتحدثةِ عن إهلاكِهِم، فإننا لا نجدُ فيها تعارضاً أو تناقضاً، إنما نجدُ فيها تكاملاً في الإخبارِ عن ما جرى .
لقد كان إهلاكُهُم على ثلاثِ مراحلٍ مُتدرِّجَةٍ مُتعاقبة، وتحدثتْ كُلُّ سورةٍ عن مرحلةٍ منها، ولا بُدَّ من جَمْعِ المراحلِ والخطواتِ الثلاثِ:

المرحلةُ الأولى: في سورةِ الأعرافِ . . حيثُ أخبرتْ أنهم أُهْلِكُوا بالرجفةِ، وهي الزلزلة، حيثُ زلزلَ اللهُ الأرضَ من تحتِهِم، فرجفتْ وتحركتْ واضطربتْ وانشقتْ .

المرحلةُ الثانية: في سورةِ هود . . حيثُ أخبرتْ أنهم أُهْلِكُوا بالصيحةِ، وهي الصوتُ المدويُّ العالِي، الذي يَصُمُّ الآذانَ من شدَّتِهِ وعُلُوِّهِ، وهذه الصيحةُ ناتجةٌ عن الرجفةِ والزلزلة، فلما انشقتْ الأرضُ، حدثَ انفجارٌ بركانيٌّ كبيرٌ مُدَوٍّ، وسمِعوا صوتَ ذلك الانفجارِ، فأصيبوا بالفرعِ والهلعِ!! .

المرحلةُ الثالثة: في سورةِ الشعراءِ . . حيثُ أخبرتْ أنهم أُهْلِكُوا بالظَّلَّةِ، وهي السحابةُ التي أَظَلَّتْهُمْ، وهي ليستْ سحابةً عاديةً كباقي السُّحُبِ، ولكنها سحابةٌ بركانيةٌ ناريةٌ حارقة، وهذه السحابةُ ناتجةٌ عن ذلك الانفجارِ البركانيِّ الضَّخْمِ، الذي قَضَى عليهم .

فالرجفةُ في الأرضِ، أحدثتْ صيحةً مدويَّةً، ونتجَ عنها ظُلَّةٌ ناريةٌ حارقة .

أين هذا من الأساطيرِ التي يذكرُها الفادي، ثم ينسبُها للقرآنِ، ويخطئُهُ بسببها؟! .



كيف مُسخ اليهود قردة؟

ذَكَرَ القرآنُ قصةَ أصحابِ القريةِ من اليهودِ، الذين اعتَدَوْا في السَّبْتِ، وخالفوا حُكْمَ اللهِ في تحريمِ صيدِ السَّمَكِ يومَ السَّبْتِ، ولم يَسْتَمِعُوا لِنُصْحِ

إخوانهم، الملتزمين بحكم الله، فأوقع الله بهم العقاب، وأنجى إخوانهم الملتزمين الناصحين!

وكان عقابهم آية من آيات الله، حيث مسخهم الله قردة خاسئين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٥ - ١٦٦].

ونقل الفادي الجاهل من تفسير البيضاوي كلاماً في تفسير مسخهم قردة، ثم علّق على ذلك منكرًا حصوله، لأنه يتعارض مع العقل والعلم الحديث. قال: «ونحن نسأل: هل من المعقول أن نقابل إنساناً مسخ قرداً أو خنزيراً؟ ألا تعلمنا الطبيعة أن كل شيء يبذر بذراً كجنسه؟ أليس من يقول: إن القمح صار شعيراً، وإن العنب صار تيناً، كمن يقول: إن الإنسان صار قرداً أو خنزيراً؟»^(١).

وللردّ على استغراب الفادي وإنكاره نقول: ذهب بعض المفسرين إلى أن مسخ اليهود قردة، لم يكن مسخاً حقيقياً، أي لم يتحولوا من بشر إلى قرد، وإنما مسخت أرواحهم وقلوبهم، بمعنى أنهم تحلوا عن فطرتهم الإنسانية، ومشاعرهم واهتماماتهم العالية، وصاروا كالقرد في الاكتفاء بالطعام والشراب. وممن قال بهذا القول المفسر التابعي مجاهد بن جبر.

ولسنا مع الإمام مجاهد في قوله بالمسخ المعنوي، ونحن مع جمهور المفسرين في أن المسخ كان مسخاً حقيقياً، بحيث حولهم الله من بشر آدميين إلى قرد، عقاباً لهم على عدوانهم في السبت. والراجح أن هؤلاء القرد لم يُعمروا طويلاً، وإنما توفوا بعد المسخ مباشرة، فالقرد الموجودة هي حيوانات حقيقية، وليست يهوداً متحولين إلى قرد.

واعترض الفادي على هذا المسخ دليل جهله وغبائه، وتساؤله في غير محلّه، والمثال الذي ذكره هنا لا ينطبق على المسخ، لأن القمح لا يصير

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٧.

شَعِيرًا، والعنَبَ لا يَصِيرُ تِينًا، في الوضع الطبيعي، لأنَّ القمَحَ قمَحٌ، والشَّعِيرَ شعيرٌ. . لكن لو أَرَادَ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ القمَحَ شعيرًا فَعَلَّ، فلا رَادَ لمشيئته .

والإنسانُ لا يَصِيرُ قُرودًا في الوضع الطبيعي، لأنَّ الإنسانَ إنسانًا، والقُرْدَ قُرْدًا، واليهودُ سكانُ تلك القرية لم يَكُونوا أَضْلًا قُرودًا، ولم يَصيروا قُرودًا برغبتهم واختيارهم وإرادتهم .

إنَّ الله هو الذي مَسَخَهُم قُرودًا، وَحَوَّلَهُم من بَشَرٍ إلى قُرود، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِم رَأَهُم قُرودًا، وكان هذا المَسْخُ والتحويلُ خارقةً من الخوارق، وآيةً من آياتِ الله، ولذلك لا يَدْعُو الأمرُ إلى الاستغرابِ والإنكارِ والاعتراضِ، ومرجعيتنا هي القرآنُ الكريم، وكلُّ ما وردَ فيه نَوْمُنٌ به، ونَصَدَّقُهُ، وبما أَنَّ اللهَ قالَ لأولئك القوم: كُونُوا قردةً خاسئين، فقد صاروا قردةً خاسئين، لأنَّ اللهَ يَقولُ: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].



حول عالم الجن

للفادي المفتري موقفٌ خاصٌّ من الجنِّ، فهو يَرفضُ وجودَ هذا العالمِ الخاصِّ، الذي أَخْبَرَ عنه القرآن، ولذلك هو يُحَطِّئُ القرآنَ في كلامه عنه . . وقد سَجَّلَ الفادي آياتٍ من سبعِ سورٍ تتحدَّثُ عن الجن: سورة الحجر: ٢٧، وسورة هود: ١١٩، وسورة الأحقاف: ٢٩ - ٣٠، وسورة الذاريات: ٥٦، وسورة الجن: ١ - ١٧، وسورة سبأ: ١٢ - ١٣، وسورة النمل: ١٧ - ٣٨ - ٣٩.

وقالَ بعدَ تلك الآيات: «يُخْبِرُ القرآنُ بوجودِ خليقةٍ غيرِ الشياطينِ اسْمُهَا الجنُّ والعَفاريت، مخلوقونَ من نارِ جهنم، وهم يأْكُلونَ وَيَشْرَبونَ، ويتزوَّجونَ، ويحيونَ ويموتونَ، ومنهم المسلمونَ الذينَ كانوا يزدحجونَ حولَ محمدٍ عندَ قراءته القرآن، وأنهم كانوا مُسَخَّرينَ من سليمانَ لبناءِ الهيكلِ والقصورِ والتماثيلِ وغير ذلك» .

وقد أخطأ الفادي عندما قال عن المادّة التي خَلَقَ اللهُ منها الجنّ، حيثُ قال: «وهم مخلوقون من نارِ جَهَنَّمَ!» وكأنّه لا نارَ إلا نارُ جهنّم!!.

خَلَقَ اللهُ الجنّ من نارِ السّموم، لقوله تعالى: ﴿وَالجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]. ولكنّ هذه النارُ الحارّة الحامية نارٌ في الدّنيا، وليست نارُ جهنّم.. وكانّ الفادي الجاهل لا يرى إلا نارَ جهنّم!! إنهما ناران: نارُ الدّنيا المعروفة.. ونارُ جهنّم التي أعدها اللهُ للكافرين. والنارُ التي خَلَقَ اللهُ منها الجنّ هي نارُ الدّنيا.

وعَلّقَ على ذلك بأسئلته التشكيكية التي أثارها: «ونحنُ نسأل: إن كانت العفاريثُ مخلوقةً من نار، وهي روحانيةٌ تَصْعَدُ وتَنْزِلُ، وتخرقُ جميعَ الأماكن، فكيف تتزوَّجُ؟ وكيف تموت؟»^(١).

إنه يريدُ أن يقيسَ عالمَ الجنّ على عالمِ الإنس، فعالمُ الإنسِ عالمٌ مادّيٌّ مشاهدٌ محسوس، يأكلُ ويشرب، ويتزوَّجُ ويعملُ ويتحرك.. لكنّ عالمَ الجنّ عالمٌ آخرٌ خاصٌّ، وهو عالمٌ غيبيّ، له مقياسُه الغيبيُّ الخاصّة، التي لا تُقاسُ على مقياسِ عالمِ الإنسِ المادّيّ.

وطريقنا إلى معرفةِ عالمِ الجنّ الغيبيّ هي النّصّ، القائمُ على آياتِ القرآن، وما صحّحَ من حديثِ رسولِ الله ﷺ، فما قاله اللهُ عن عالمِ الجنّ يجبُ قبوله وأخذُه والإيمانُ به.

وللإجابة على تساؤلاتِ الفادي الجاهلِ نقول: خَلَقَ اللهُ الجنّ من مارجٍ من نار، وهم ذُكورٌ وإناث، ولذلك يتزوَّجون ويتناسلون ويتكاثرون، وهم يأكلون ويشربون، ويصعدون وينزلون، ويعملون، ويتحركون، ويعيشون ويموتون.. ومنهم المؤمنون الصالحون، ومنهم الكافرون المجرمون، وهم مكلفون مثلنا بكلّ تكاليفِ الإسلام، فمنهم من يُطيعُ ويُنفذُ، ومنهم من يعصي ويُخالف.. وليس في الإيمانِ بالجنّ ما يُخالفُ العلمَ، أو يتناقضُ مع العقلِ!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٩.

حول التداوي بالعسل

أخبر الله أَنَّ فِي العسل شِفَاءً لِلنَّاسِ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّجَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨٥﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرَجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩].

واعترض الفادي المفتري على الآية، وعلى حديثٍ لرسولِ الله ﷺ بشأن العسل.

وارتكب المجرمُ أثناء اعتراضه جريمة التحريف والافتراء، فلما ذكَّر حديث رسولِ الله ﷺ لم يذكره كاملاً، وإنما اجتزأ منه ما وظَّفه ضدَّ القرآن، وحذَف منه ما لا يتفق مع ذلك، وأوهم القارئ أنه لم يحذف منه شيئاً.

قال: «عن قتادة: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ. فَقَالَ: اسْقِهِ العسل، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَمَا نَفَعَ، فَقَالَ: أَذْهَبَ وَاسْقِهِ عَسَلًا، فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ».

وعَلَّقَ على الحادثة مُكَذِّبًا القرآن، ومُكَذِّبًا رسولَ الله ﷺ فقال: «ونحنُ نسأل: إِذَا كَانَ المَرِيضُ لَمْ يَنْلِ الشِّفَاءَ، فَكَيْفَ يُصَدِّقُ اللَّهُ وَيُكَذِّبُ بَطْنَهُ؟ وَهَلْ هَذَا الرَّدُّ يَبِينُ صِدْقَ مُحَمَّدٍ؟ أَمْ صِدْقَ تَأْثِيرِ العسل؟»^(١).

يُريدُ المفتري أَنْ يُخْبِرَنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَتَمَّ شِفَاءَ بَطْنِهِ، رَغْمَ أَنَّهُ شَرِبَ العسلَ مَرَّتَيْنِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ العسلَ لَيْسَ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ كَمَا ذَكَرَ القرآن! وَلِذَلِكَ كَانَ تَعْلِيقُ المَفْتَرِي عَلَى الحَدِيثِ خَبِيثًا، فَبِمَا أَنَّ المَرِيضَ لَمْ يَنْلِ الشِّفَاءَ، فَكَيْفَ يُصَدِّقُ اللَّهُ وَتُكَذِّبُ بَطْنُ أَخِيهِ؟.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٥٩.

فهل بقي بطن المريض بدون شفاء؟ أم شفي بعد شرب العسل؟ لننظر:
 روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً أتى
 النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه. فقال: «اسقيه عسلاً! ثم أتاه الثانية، فقال:
 اسقيه عسلاً، ثم أتاه الثالثة، فقال: اسقيه عسلاً. ثم أتاه، فقال: قد فعلت!
 فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقيه عسلاً.. فسقاه فبراً».

أصيب ذلك الرجل بمرض في بطنه، حيث أصيب بالإسهال - (استطلق
 بطنه) في رواية ثانية للحديث - ومعلوم أن المصاب بالإسهال يمنع عنه الشراب
 الحلو، والعسل شراب حلو. فلما ذكر أخو الرجل الأمر للنبي ﷺ، طلب منه
 أن يسقيه عسلاً، على اعتبار أن في العسل شفاء، ولكن إسهال الرجل ازداد،
 فأمر النبي ﷺ أن يسقى عسلاً للمرة الثانية، ثم للمرة الثالثة، ولكن الإسهال لم
 يتوقف بل ازداد. فأمر النبي ﷺ أن يسقى عسلاً للمرة الرابعة، وقال للرجل:
 صدق الله وكذب بطن أخيك!.. فلما أسقى العسل للمرة الرابعة برأ!!.

وكان الرسول ﷺ يريد أن يقول للرجل: لقد أخبر الله أن في العسل
 شفاء للناس، وهو صادق في إخباره، وبطن أخيك كاذب، لأنه لم يشف بعد
 شرب العسل ثلاث مرات، ولا بُد أن يشفى! ولعل السبب في أنه لم يشف إلا
 في المرة الرابعة أن الميكروبات المسببة للإسهال كانت متمكنة من بطنه،
 فاحتيج إلى جرعات كثيرة من العسل للقضاء عليها.

وتعجبك الثقة المطلقة من الرسول ﷺ بالقرآن، بحيث أيقن يقيناً جازماً أن
 العسل لا بُد أن يشفي للرجل بطنه بإذن الله، وبما أن بطنه لم يتجاوب مع العسل
 فهو كاذب! وقد برأ الرجل بعد ذلك، لما قضى العسل على المسبب للإسهال.
 ونحن نفتدي برسول الله ﷺ في تصديقنا المطلق بالقرآن، فنقول:
 صدق الله وكذب الفادي المفترى! ففي العسل شفاء للناس.

وبقي أن نشير إلى أن القرآن لم يقل: إن العسل شفاء لكل الأمراض،
 إنما ذكر أنه شفاء لبعض الأمراض: «فيه شفاء للناس»، ولو كان العسل شفاءً
 لكل الأمراض لقال: «هو الشفاء للناس»!

أين شهود الإسراء والمعراج؟

وَقَفَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَمَامَ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، ونَقَلَ من تفسير البيضاوي خلاصةَ حادثة الإسراء برسولِ الله ﷺ من المسجدِ الحرامِ في مكةَ إلى المسجدِ الأقصى في بيت المقدس، ثم عروجه إلى السمواتِ العُلى، ثم عودته إلى مكة، واستغرابِ المشركين الحادثة، وتصديقِ المؤمنين بها. وَعَلَّقَ على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: مَنْ هم شهودُ معجزةِ الإسراءِ المحمدية؟ إِنَّ من شروطِ المعجزةِ أَنْ تكونَ أمامَ شهود، وَأَنْ تكونَ ذاتَ فائدة، وهذا ما لا يتوفَّرُ للإسراءِ والمعراج، كما أَنَّ المسجدَ الأقصى لم يكن موجوداً زمنَ محمد، بل بُنيَ بعدَ موته بنحوِ مئةِ سنةٍ، فكيفَ صَلَّى فيه وَوَصَفَ أبوابه ونوافذه؟!»^(١).

يُكذِّبُ الْمَفْتَرِي الحادثة، وَيُنْكَرُ وَقوعَهَا، وَيُخَطِّئُ الْقُرْآنَ فِي حَدِيثِهَا، لِأَنَّهَا تَتَعَارَضُ مع الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ فِي زَعْمِهِ، إِذْ كَيْفَ يَنْتَقِلُ إِنْسَانٌ قَبْلَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنًا من مكةَ إِلَى الْقُدْسِ، بَدُونِ وَسِيلَةٍ نَقْلِ، ثُمَّ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مكةَ، فِي جِزءٍ من اللَّيْلِ؟.

وَنَقُولُ لَهُ: نَعَمْ. الْأَمْرُ مُسْتَحِيلٌ! أَنْ يَنْتَقِلَ شَخْصٌ من مكةَ إِلَى الْقُدْسِ، ثُمَّ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثُمَّ يَهْبِطُ من السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْقُدْسِ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى مكةَ، بَدُونِ وَسِيلَةٍ نَقْلِ!! وَلَوْ زَعَمَ أَحَدٌ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ لِحُكْمِنَا عَلَيْهِ بِالْكَذْبِ!.

والرسولُ ﷺ لم يَدْعِ ذلك، والقرآنُ لم ينسبِ ذلك لرسولِ الله ﷺ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٠.

فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ تَمَّ بِأَمْرِ اللَّهِ، الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ فِيهِ مَا يَدْعُو إِلَى الْاسْتِغْرَابِ أَوْ الْإِعْتِرَاضِ أَوْ التَّكْذِيبِ، لِأَنَّ اللَّهَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

أَسْنَدَ الْقُرْآنِ الْحَادِثَةَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى مَكَّةَ، وَلَا يُسْتَبَعَدُ صَدُورُ ذَلِكَ الْحَدِيثِ عَنِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَإِنْكَارُ الْفَادِي الْمِفْتَرِي لِلْحَدِيثِ، تَكْذِيبٌ مِنْهُ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْقُرْآنِ، وَهَذَا كُفْرٌ مِنْهُ بِاللَّهِ ﷻ. أَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا نَوْمُنُ أَنَّ الْحَدِيثَ وَقَعَ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ أَدِلَّةِ الْفَادِي عَلَى عَدَمِ وَقُوعِ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ عَدَمُ وُجُودِ شُهُودٍ، شَاهَدُوا الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَ إِسْرَائِهِ وَمِعْرَاجِهِ، وَمِنْ شُرُوطِ الْمَعْجِزَةِ عِنْدَهُ حَتَّى يُؤْخَذَ بِهَا أَنْ يَشَاهِدَهَا النَّاسُ وَيَشْهَدُوا عَلَيْهَا!

وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْمِفْتَرِي بِهَذَا الشَّرْطِ! فَهَنَّاكَ مُعْجِزَاتُ شَاهِدَهَا أَنْسَاءٌ، وَهَنَّاكَ مُعْجِزَاتُ لَمْ يُشَاهِدَهَا أَحَدٌ. إِنَّ تَزْوَلَ جَبْرِيلَ بِالْوَحْيِ عَلَى أَيِّ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ مَعْجِزَةٌ شَخْصِيَّةٌ، لَمْ يُشَاهِدَهَا أَحَدٌ، وَمَعَ ذَلِكَ آمَنَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ!

وَيَكْفِي لثُبُوتِ الْمَعْجِزَةِ عِنْدَنَا ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ، أَوْ فِيمَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَصَحُّهُ النُّقْلُ عِنْدَنَا هِيَ شَرْطُ الْمَعْجِزَةِ، وَبِمَا أَنَّ مَعْجِزَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ فَتُثَبَّتُ وَقُوعُهَا وَنَجْزُمُ بِذَلِكَ.

وَخَطَأً الْمِفْتَرِي الْقُرْآنَ فِي ذِكْرِهِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾. فَكَيْفَ يَجْعَلُهُ مَسْجِدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَجُودٌ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَكَيْفَ يَكُونُ رَسُولُ ﷺ قَدْ صَلَّى فِيهِ، وَرَأَى أَبْوَابَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَبْنِيًّا، لِأَنَّهُ بُنِيَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ؟

وَتَخَطُّتُهُ دَلِيلٌ جَهْلُهُ فَلَمْ يَكُنْ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى زَمَنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَإِنَّمَا كَانَ بِنَاؤُهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِمِائَاتِ السَّنِينَ.

الراجحُ أَنَّ الذي بَنَى المسجدَ الأقصى هو إبراهيمُ ﷺ، وقد أَخْبَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ أَنَّ أوَّلَ مسجدٍ بُنيَ هو المسجدُ الحرام، وَأَنَّ الثاني هو المسجدُ الأقصى.. روى مسلم عن أبي ذرِّ الغفاريِّ ﷺ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ المساجِدِ بُنيَ أوَّلًا؟ قال: «المسجدُ الحرام». قلت: ثم أيُّ؟ قال: «المسجدُ الأقصى». قلت: كم بيْنَهُما؟ قال: «أربعونَ سَنَةً!».

وأوَّلُ مَنْ بَنَى المسجدَ الحرامَ هو إبراهيمُ وابنه إسماعيلُ ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. فإذا كان إبراهيمُ هو باني المسجدِ الحرامِ يكونُ هو الذي بَنَى المسجدَ الأقصى بعدَ ذلك بأربعينَ سَنَةً!

وقد عَدَّتِ العوادي على المسجدِ الأقصى بعدَ ذلك، وتأثَّرَ بالأحداث، فَهُدِمَ، ثم أُعيدَ بناؤُهُ، ثم هُدِمَ، ثم أُعيدَ بناؤُهُ...

ومن الذين أعادوا بناءه بعدَ ذلك النبيُّ الملكُ سليمانُ بنُ داودَ عليهما الصلاة والسلام، حيث جَدَّدَ بناءَ المسجدِ الأقصى، ولم يَبْنِ الهيكلَ المزعوم، الذي يزعمُه اليهود.

فلما أُسْرِيَ برسولِ اللهِ ﷺ كان المسجدُ الأقصى مُتَهَدِّمًا، ولكنْ كانتْ بعضُ معالمه وأطلاله موجودة، فالأرضُ هي أرضُ المسجد، وبعضُ حجارته مُتَنَاطِرَةٌ عليها، وبعضُ جدرانِه وأعمدته موجودة، وبعضُ أبوابِه موجودة، ولكنَّ البناءَ مُتَهَدِّمٌ.. ولما نَزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن «الْبُرَاقِ» - الدَابَّةِ التي ركبها في الإسراء - رَبَطَهُ في حلقةِ بابِ المسجدِ الأقصى، حيث كانَ الأنبياءُ يربطونَ دوابَّهُم، وصَلَّى في المسجدِ بالأنبياءِ، الذين جَمَعَهُم اللهُ له.

وعند الفتح الإسلاميِّ لبيت المقدس كانت أطلالُ المسجدِ قائمة، ولما دَخَلَ عمرُ بن الخطابِ ﷺ القدسَ وَقَفَ على أطلالِ المسجدِ وصارَ يُنظِّفُهُ.. ثم بنى الخليفةُ الأمويُّ الوليدُ بنُ عبد الملك المسجدَ الأقصى. أو قُلْ: جَدَّدَ بناءَ المسجدِ الأقصى الذي بناه إبراهيمُ ﷺ من قبل.

حول مهمة الهدد زمن سليمان ﷺ

تَحَدَّثُ آيَاتُ سُورَةِ النَّمْلِ عَنِ قِصَّةِ سُلَيْمَانَ ﷺ، وَأَخْبَرَتْ أَنَّهُ وَرِثَ أَبَاهُ دَاوُدَ ﷺ فِي النُّبُوَّةِ وَالْمَلِكِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ مَنْطِقَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَالْحَشْرَاتِ، وَكَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ، فَسَارَ بِهِمْ يَوْمًا حَتَّى أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ، وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ ﷺ نَمْلَةً تَنْصَحُ بِأَقْي النَّمْلِ، أَنَّ يَدْخُلُوا مَسَاكِنَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ، لِثَلَا يَحْطَمَهُمْ جُنُودُ سُلَيْمَانَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ! وَلَمَّا سَمِعَهَا سُلَيْمَانُ ﷺ تَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا. . ثُمَّ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فِي جَيْشِهِ، فَلَمْ يَجِدِ الْهَدَّادَ، فَهَدَّاهُ بِالْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُبْرِزْ غِيَابَهُ، وَلَمَّا عَادَ الْهَدَّادُ أَخْبَرَ سُلَيْمَانَ ﷺ عَنْ مَمْلُوكَةٍ سَبَّأَ وَمَلِكِيَّتِهَا وَعَرْشِهَا، وَإِشْرَاكِ أَهْلِهَا بِاللَّهِ، فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ مَعَهُ رِسَالَةً إِلَى مَلِكَةِ سَبَّأَ، يَطْلُبُ مِنْهَا الْإِيمَانَ بِهِ، وَالْإِسْلَامَ مَعَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَمَّا اسْتَشَارَتِ الْمَلِكَةُ قَوْمَهَا، وَوَكَلُوا الْأَمْرَ إِلَيْهَا، قَرَّرَتْ أَنَّ تُرْسَلَ هَدِيَّةً رَشْوَةً لِسُلَيْمَانَ، وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَدَّهَا وَهَدَّدَتْ الْقَوْمَ بِغَزْوِ بِلَادِهِمْ، وَطَلَبَتْ مِنْ رِجَالِ حَاشِيَّتِهِ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ عَرْشَ مَلِكَةِ سَبَّأَ، فَعَرَضَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَّ يَأْتِيَ بِالْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ سُلَيْمَانُ مِنْ مَقَامِهِ، وَعَرَضَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَّ يَأْتِيَ بِالْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ تَرْمِشَ عَيْنُهُ، وَمَا هِيَ إِلَّا لِحِظَةٍ حَتَّى رَأَى سُلَيْمَانُ ﷺ عَرْشَ مَلِكَةِ سَبَّأَ أَمَامَهُ، فَحَمَدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ. وَلَمَّا تَوَجَّهَتْ مَلِكَةُ سَبَّأَ إِلَى سُلَيْمَانَ طَلَبَ أَنْ يُنْكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا، وَلَمَّا رَأَتْهُ سُئِلَتْ: أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قَالَتْ: كَأَنَّهُ هُوَ. وَأَعَدَّ سُلَيْمَانُ ﷺ لَهَا مَفَاجَأَةً أُخْرَى، حَيْثُ جَعَلَ لَهَا بَرَكَةَ مَاءٍ مَغْطَاةً بِالزُّجَاجِ، وَلَمَّا طُلِبَ مِنْهَا اجْتِيَازُ الْبَرَكَةِ حَسِبَتْهَا لِحْجَةً مَاءً، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ صَرْحٌ مِنْ زُجَاجٍ!! عِنْدَ ذَلِكَ اعْتَرَفَتْ لِسُلَيْمَانَ بِالنَّصْرِ وَالْقُوَّةِ، وَقَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَتَحَدَّثَتْ عَنِ قِصَّةِ سُلَيْمَانَ ﷺ مَعَ النَّمْلَةِ وَالْهَدَّادِ وَمَلِكَةِ سَبَّأَ آيَاتُ سُورَةِ النَّمْلِ: (١٥ - ٤٤).

واعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ في إخباره عن ذلك، واعتبره يتعارضُ مع العقل. قال: «ونحنُ نسأل: كيف يتصورُ عاقلٌ أن تكونَ حاشيةُ سليمانَ الملك من الجنِّ والطُّيور؟ وكيف يكونُ الهدهدُ أكثرَ حكمةً وعلماً، ويتحدّى سليمانَ قائلاً: أحطُّ بما لم تُحطُ به، وجئتُك من سبأ بنبأ عظيم؟ وكيف يهجو الهدهدُ عبادةَ الأوثانِ ويمتدحُ الوحداية؟ وكيف يقوم الهدهدُ بدورِ المراسلة؟ وكيف يتصرفُ الهدهدُ في مملكةِ سليمانَ تصرفاً يفوقُ تصرفَ الملوكِ والوزراءِ والفلاسفة؟»^(١).

زعمَ الفادي أن القرآنَ جعلَ حاشيةَ سليمانَ ﷺ مكوّنةً من الجنِّ والطيور، واعتبرَ هذا كلاماً لا يُصدِّقه عاقل! وهو بهذا يكذبُ قولَ الله ﷻ: ﴿وَحِشْرَ لَيْلَيْمَنْ جُوْدُهُ مِنْ أَلْحِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

ولم يجعل القرآنُ حاشيةَ سليمانَ من الجنِّ والطيورِ فقط، والكلامُ في الآيةِ عن جيشِ سليمانَ، حيثُ كانَ مُكوّناً من «الجنِّ والإنسِ والطيور». ولا غرابةَ في هذا، فاللهُ أخضعَ له الجنَّ، وجعلهم يُنفذونَ أمره، واللهُ علّمه لغةَ الجنِّ والطيورِ! فالأمرُ أمرُ الله، وليس على الله شيءٌ غريب، فهو الفعّالُ لما يريدُ، سبحانه.

وحديثُ القرآنِ عن الهدهد لا يدعو للاستغراب، وليس فيه ما يتناقضُ مع العلم والعقل، وأسئلةُ المفتري حوله مردودةٌ عليه! فالهدهدُ طائرٌ من خلقِ الله، مؤمنٌ بالله، مُسَبِّحٌ بحمدِ الله، كباقي المخلوقاتِ الحية التي خلقها الله مُسَبِّحةً ساجدةً له. قال الله ﷻ: ﴿نُسِجُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

وهذا الهدهدُ المؤمنُ بالله جعلَ الله عنده بعضَ العلم والحكمة، وبعضَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦١ - ١٦٢.

الجهد والاهتمام، وبعض الفهم والإدراك، وبعض الحرص في الدعوة إلى الله، وكان هذا معجزةً من الله، جعلها في هذا الطائر، وميَّزَه بهذا عن باقي «الهداهد» الطيور، ليقوم بهذه المهمة الخاصة، ويكتشف مملكة سبأ، لتدخل بعد ذلك في الإسلام! لقد أراد الله الحكيم أن يعرف سليمان ﷺ مملكة سبأ عن طريق ذلك الهدهد، وليس عن طريق الوحي المباشر... وأخبرنا الله عن مهمة الهدهد ودوره في الدعوة إلى الله، ليكون هذا عبرةً لنا، وليوجد عندنا نوعاً من الباعث على الدعوة، والافتداء بذلك الهدهد الداعية!.

ولم يكن الهدهد أكثر علماً وحكمةً من سليمان ﷺ، فكلامُ الفادي عنه باطل، وذلك عندما تساءل: «كيف يكون الهدهد أكثر حكمةً وعلماً؟!». سليمان رسولٌ كريمٌ عليه الصلاة والسلام، وهو الأكثرُ علماً وحكمةً، وعلماً الهدهد خاصٌّ بمملكة سبأ! وعلَّمه الله ذلك ليتعلمه سليمان ﷺ، فهو وسيلةٌ ربانيةٌ لتعليم سليمان ﷺ!.

وقال المفترى الجاهل: «كيف يتحدَّى الهدهد سليمان قائلاً: أخطت بما لم تحط به...؟! ولا أدري كيف فهم الفادي تحدِّي الهدهد لسليمان ﷺ، عندما أخبره عن مملكة سبأ، وهو المهَّدُّ بالتعذيب لغيابه؟ قال تعالى: ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَفَّ عَذْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِثْلِكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِقْرَبِينَ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٢].

إنه يُخاطبُ سليمان ﷺ بافتخارٍ واعتزاز، وليس بتحدٍّ وتكبرٍ، ويُخبره أن الله علَّمه علماً لم يُعلِّمه سليمان ﷺ: «أخطت بما لم تحط به»، ولم يُنكر سليمان ﷺ عليه قوله، ولم يُعاقبه عليه، وهو القائدُ الحازم، لأنه فهم الإشارة من الهدهد، فعليه أن «يتواضع» بين يديه، وهو النبيُّ المعلم ﷺ، ويعترف بقصورِ علمه، فالله أعطى الهدهد علماً لم يُعْطِه منه وهو النبي!!.

ويستغربُ الفادي من دَمِّ الهدهد لشرك ملكة سبأ وقومها بالله، وعبادتهم

ولا تَدُلُّ مهمة الهددِ الدعوية على أنه أعلى منزلةً من كلِّ الوزراءِ عند سليمان ﷺ، وكان الفادي غيباً في تساؤله: «وكيف يتصرف الهدد في مملكة سليمان تَصَرُّفاً يَفوقُ تَصَرُّفَ الملوكِ والوزراءِ والفلاسفة؟!». فمن غيرِ المعقولِ أن يُعَيِّنَ سليمان ﷺ الهددَ الطائرَ وزيراً عنده، مَسْئولاً عن الوزراءِ البَشَرِ.. كلُّ ما في الأمرِ أن هذا الهددَ قامَ بمهمةٍ دعويَّة، أَعانَهُ اللهُ على القيامِ بها، ووفَّقَهُ إليها، ونتجَ عنها دخولُ ملكةٍ سبأ وشعبيها في الإسلام، ومتابعةِ النبيِّ الملكِ سليمانَ ﷺ.



ما هي الدابة التي تخرج في آخر الزمان؟

تحت عنوان: «دابة بين الأنبياء» اعترض الفادي على حديث القرآن عن الدابة التي تخرج في آخر الزمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. وقد نقلَ الفادي من تفسير البيضاوي كلاماً عن الدابة، يذكُر فيه كيفية ومكانَ خروجِها، ويُقدِّمُ لها بعضَ المواصفات، وينسبُ لها بعضَ الأعمالِ عند خُروجِها، وبعضُ ذلك الكلامِ مَسْنَدٌ إلى رسولِ الله ﷺ. ثم علَّقَ على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: هل من المعقولِ أن نتصوَّرَ دابةً لها أربعُ قوائمٍ مثلُ الحيوان، وريشٌ وزغبٌ وجناحان مثلُ الطيور، وتتكلمُ مثلَ الإنسان، وتعظُ مثلَ الأنبياء، بسلطانِ موسى، وحكمةِ سليمان، وأنها تحتفظُ بعضا موسى وخاتم سليمان؟!»^(١).

المشكلةُ عندَ الفادي المفتري هي جهلهُ وغباؤه، وعدمُ اعترافه بذلك، وادِّعائه العلمَ والمعرفة، وتعالُّمِ الجاهلِ جريمةً مزدوجة، جَمَعَ فيها بينَ الجهلِ والتعالُّمِ!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٢.

لم يقف الجاهل عند حديث القرآن عن الدابة، وذهب إلى بعض الكتب التي لا تتحرى الصحيح فيما تذكر، وتجمع كل ما وصل إليها من أخبار وروايات، ولو لم تصح، وأخذ منها تلك الخرافات التي نرفضها نحن أيضاً، وحملها للقرآن، وأدانته وخطأه بسببها!

لم يصح حديث عن رسول الله ﷺ حول الدابة وخروجها وصفاتها وأعمالها، ونتوقف في الروايات غير الصحيحة التي تتحدث عنها، والتي ذكرها بعض المفسرين سامحهم الله، ولا نعتمدها لعدم ثبوتها.

وهذا معناه أن نبقى مع القرآن في إشارته لها، ولا نزيد عليه شيئاً آخر. ونقول للفادي الجاهل: ليس في كلام القرآن عن الدابة ما يتعارض مع العقل والعلم، لأن الله هو الذي سيخلق هذه الدابة في آخر الزمان، فبيل قيام الساعة، وسيجعل لها مهمة خاصة، وبما أن الأمر أمره، والفعل فعله سبحانه، فلا غرابة فيه، ولا اعتراض عليه.

يُخبرُ اللهُ أنه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي اقترب وقت تحقق ما أخبر الله عنه، ووعد الناس به، وهو قرب انتهاء الحياة الدنيا، وقيام الساعة. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: الله هو الذي سيخرج للناس تلك الدابة، وهو الفعّال لما يريد سبحانه، ولا يعجزه أي شيء في الأرض ولا في السماء.

ولقد أبهم القرآن صفات الدابة، فلم يذكر عنها شيئاً، واكتفى بذكر كلمة «دابة» نكرة، وتكبيرها لإبهامها، وهذا التنكير دعوة لنا لعدم الخوض في الدابة، وعدم محاولة معرفة ذلك. لعدم وجود دليل عليه، ولعدم تحقق الفائدة منه.

وهذه الدابة سيخرجها الله من الأرض، بدون تحديد مكان خروجها أو كيفية خروجها.

وهذه الدابة ستكلم الناس الأحياء وقت خروجها: ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾، واكتفى

القرآن بذكر أن الدابة ستكلم الناس، وتبقى عند حديث القرآن عن كلامها، ولا نجاوزه إلى غيره، فهي ستكلمهم والسلام! ولا نعرف كيف تكلمهم، ولا بأي لغة ستكلمهم، ولا بأي جزء من جسمها ستكلمهم، ولا كيف سيسمعون كلامها، فعلم ذلك كله عند الله وحده!.

والله الذي خلق الدابة، وأخرجها من الأرض، هو الذي جعلها تتكلم، وبما أن الدابة لا تتكلم بقدرتها الذاتية، وإنما بأمر الله، فلا غرابة في ذلك. واللطيف أن القرآن الذي أبهم الكلام عن صفات وأعمال الدابة، أخبر عن ما ستكلم الدابة الناس به، وما ستقوله لهم: ﴿تَكَلِّمُهُمُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. أي: أن الناس يكفرون بآيات الله، ويُنكرون ما أخبرت عنه تلك الآيات، ومن ذلك بعث الناس بعد الموت، وإخبار الدابة بذلك قبيل قيام الساعة من باب ذم الكفار الموجودين عند خروجها، لأنهم ذاهبون إلى الموت، ثم البعث بعده!.

وبهذا نعرف غباء الفادي الجاهل في أسئلته التي اعترض بها على القرآن، في إخباره عن الدابة، ونعرف سفاهته في عنوانه: «دابة بين الأنبياء»، فمن قال: إن تلك الدابة ستكون بين الأنبياء؟ ومن الذي جمع بين الدابة الحيوان وبين الأنبياء الذين هم أفضل الناس عند الله؟!.



حول موت سليمان عليه السلام

اعترض الفادي المفتري على حديث القرآن عن موت سليمان عليه السلام، وجعل عنوان اعتراضه: «ميت يتوكل على عصا مدة سنة!». قال الله عن وفاة سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

أخبر الله أنه لما قضى على سليمان عليه السلام الموت وحان أجله، توفاه الله وقبض روحه، ولم يعلم الجنُّ بوفاته إلا بعد أن أكلت دابَّة الأرض منسأته، وهي عصاه التي كان يستعملها، فبعدما أكلت دابَّة الأرض عصاه، خرَّ سليمان عليه السلام على الأرض، وسَقَطَ جثَّة هامة، ففوجئ الجنُّ بذلك وثبت لهم أنهم لا يعلمون الغيب، فلو كانوا يعلمون الغيب لعرَفوا بموته.

وذهب الفادي إلى تفسير البيضاوي ليأخذ منه تفسير الآية، وأخذ منه كلاماً لم يثبت، وقدَّم تفصيلاً لموت سليمان عليه السلام ليس عليها دليلٌ صحيح. تقول تلك الروايات: «بدأ داود عليه السلام بناء الهيكل في بيت المقدس، لكنه مات قبل إتمام البناء، فتولَّى ابنه سليمان عليه السلام إتمام البناء، واستخدم الجنُّ في البناء، وكان شديداً عليهم، ودنا أجله، وخشي إن مات قبل إكمال البناء، أن يتوقفوا عن العمل، فأمرهم أن يبنوا له بيتاً من زجاج، ليس له باب، ودخل سليمان البيت الزجاجي، وقام يصلي وهو متكئ على عصاه، وهم يعملون في البناء.. ومات وهو متكئ على عصاه، وهم يرونه ينظر إليهم. وبقي متكئاً على العصا حتى أكلتها الأرضة، عند ذلك سقطت العصا، فخرَّ على الأرض، ولما حسب الجنُّ الزمن وجدوه قد مات قبل سنة، فتعجبوا!».

وعلق الفادي على هذه الأسطورة بقوله: «ونحن نسأل: كيف يموت سليمان الملك، ويستمر سنة دون أن يعلم به أحد؟ أين نساؤه؟ وأين أولاده؟ وأين حاشيته؟ وأين شعبه؟ ألا يوجد واحد من هؤلاء يسأل عنه؟ وهل يتصورونه قائماً يصلي على عصاه سنة كاملة، بدون نوم ولا أكل ولا شرب ولا استحمام؟ وكيف لما مات على عصاه سنة كاملة، لم يسقط؟ ألم يتحلل جسده ويصبه التَّنُّ والتَّعفن؟ ولما أكلت الأرضة جزءاً من العصا ألم يختل توازنه ويسقط؟ أليس تاكلُ العصا في يوم يكفي لسقوط الميت، كتأكلها إلى آخرها لمدة سنة؟ وإذا كان سليمان قد بنى على نفسه صرحاً من قوارير ليعمي عين الإنس والجن عن موته، فلماذا لم يعلم مقدماً الدور الذي ستلعبه الأرضة؟»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٣.

الأسئلة التي يُثيرها الفادي هنا وجيهة ومَعْقولة، نحنُ معه في إثارتها، ولكنّها لا تُوجّه إلى القرآن في حديثه عن موت سليمان ﷺ، وإنما تُوجّه إلى تلك الأسطورة، التي صوّرت موت سليمان ﷺ بهذه الصورة غير المعقولة، والتي يرفضها كلُّ عاقل.

إنّ هذه الأسطورة التي أخذها الفادي من تفسير البيضاوي، والتي أخذها البيضاوي من بعض التفاسير السابقة، التي لا تتحرى الصحة فيما تُورده، هذه الأسطورة مرفوضة عندنا لأنها لم تصحّ عن رسول الله ﷺ، ولا عن أصحابه الكرام. وقد سبق أن قرّرنا أن قصص السابقين لا تُؤخذ تفاصيلها إلا من آيات القرآن الصريحة، وأحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة.

والمشكلة عند الفادي المفترى هي جهله، فهو يعتمدُ كلاماً غير مقبول عند العلماء والمحققين، ثم يحمل القرآن تبعته، ويخطئ القرآن بسببه، مع أنّ القرآن لم يقله، وبذلك تنهاوى أسئلة الفادي الجاهل.

إنّ القرآن لا يتحمّل إلا ما يذكره هو في آياته، وما يذكره لا خطأ فيه ولا اعتراض عليه، أمّا الفهم البشري لآياته الذي صدر عن المفسرين فلا يتحمّله القرآن، لأنّ هذا الفهم البشري قد يكون خاطئاً!

لا بُدّ أن نفهم الآية التي تحدّثت عن موت سليمان ﷺ فهماً صحيحاً، لا سيما أنه لا يوجد عندنا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، يُضيفُ جديداً إلى ما ذكرته الآية.

أراد الله أن يجعل موت سليمان ﷺ آيةً وعبرةً للإنس والجنّ، ودليلاً على عدم علمهم بالغيب، لأنّ علم الغيب خاصٌّ بالله سبحانه.. فقد كان سليمان ﷺ يحكم الإنس والجنّ والطيور، وكان يُسخر الجنّ في الأعمال الكبيرة، وكان ملكاً حازماً يهابه الذين يعملون عنده من الإنس والجنّ.

ولما حان أجل سليمان ﷺ، كان الجنّ يعملون بين يديه، وكان هو واقفاً أمامهم، متكبّئاً على عصاه، يُراقبهم ويضبطهم، وهم ينشطون في العمل، ولا يرفعون رؤوسهم ناظرين إليه هيبَةً له.

وَشَاءَ اللَّهُ الْحَكِيمُ أَنْ يَقْبِضَ رُوحَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ عَلَى عَصَاهُ..
 وَبَقِيَ مُتَكَبِّراً عَلَى عَصَاهُ بَعْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ، وَالْجَنُّ مِنْهُمْ كُونُ فِي الْعَمَلِ، لَا
 يَعْلَمُونَ بِمَوْتِهِ.. وَوَجَّهَ اللَّهُ دُودَةَ الْأَرْضِ «الْأَرْضَةَ» إِلَى عَصَاهُ فَأَكَلَتْهَا وَنَخَرَتْهَا،
 وَكُسِرَتِ الْعَصَا وَسَقَطَتْ، وَخَرَّ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُثَّةً هَامِدَةً.. وَفُوجِيَ الْجَنُّ
 بِذَلِكَ، وَعَرَفُوا قُصُورَ عِلْمِهِمْ، فَهَمُّ لَا يَعْلَمُونَ الشَّهَادَةَ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَعْلَمُوا
 الْغَيْبَ، فَهَا هُوَ سَلِيمَانُ مَاتَ أَمَامَهُمْ وَهَمُّ لَا يَعْلَمُونَ بِمَوْتِهِ!!

وَالْفَتْرَةُ الزَّمْنِيَّةُ بَيْنَ مَوْتِهِ وَسُقُوطِهِ لَمْ تَكُنْ سَنَوَاتٍ وَلَا سَنَةً، وَلَمْ تَكُنْ
 شَهُوراً أَوْ أَيَّاماً، إِنَّمَا كَانَتْ فِتْرَةً قَصِيرَةً، وَنَحْنُ لَا نَحَاوُلُ تَحْدِيدَ تِلْكَ الْفِتْرَةِ،
 لِأَنَّهَا لَا نَجِدُ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ، فَتَكَلَّمْنَا الْعِلْمَ بِهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!!



رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل

اعترض الفادي المفتري على إخبار القرآن عن رَفْعِ جَبَلِ الطُّورِ فَوْقَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلَ عِنْوَانَ اعْتِرَاضِهِ: «جَبَلٌ يُحَلِّقُ فِي الْجَوِّ!» وَهُوَ عِنْوَانٌ لِلتَّهْكُمِ
 وَالاسْتِهْزَاءِ.

وَالْآيَةُ الَّتِي اعْتَرَضَ عَلَيْهَا، وَاعْتَبَرَهَا مُتَنَاقِضَةً مَعَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، هِيَ
 قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فُجُوعًا فَأَخْرَجْنَا لَهُمْ رُوحَنَا فِي تَبَارُكِ رَبِّكَ فَآخَرُوا فَأَنزَلْنَا فِي قُلُوبِهِمْ حُجُوبًا مِمَّا
 عَاتَيْنَاكُمْ بِقُورٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وَبَعْدَمَا نَقَلَ الْمُفْتَرِي بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ الْبِيضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، اسْتَبَعَدَ مَا
 ذَكَرْتُهُ فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: هَلْ مِنْ الْمَعْقُولِ أَنْ يَخْلَعَ اللَّهُ جَبَلًا مِنَ الْأَرْضِ،
 يَعْلُو فِي الْفُضَاءِ، وَيَطَّلُ مُعَلَّقًا عَلَى لَا شَيْءٍ، لِيُخَيِّفَ النَّاسَ، وَيُرْغِمَهُمْ لِيَقْبَلُوا
 شَرِيعَتَهُ؟ وَهَلْ يُوَافِقُ هَذَا عِلْمِيًّا نَامُوسَ الْجَاذِبِيَّةِ؟ وَأَدْبِيًّا نَامُوسَ الْمُحِبَّةِ
 الْإِلَهِيَّةِ؟»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٤.

لم يَسْتَوْعِبْ عَقْلُ الْفَادِي الصَّغِيرِ أَنْ يَخْلَعَ اللَّهُ جَبَلًا مِنَ الْأَرْضِ، وَأَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْأَعْلَى وَأَنْ يُوَقِّفَهُ فَوْقَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ! وَكَيْفَ يَحْصُلُ هَذَا؟ وَلِمَاذَا لَمْ يَقَعْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ؟ فَمَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ - فِي رَأْيِهِ - غَيْرُ صَاحِحٍ!! .
 لَوْ زَعَمَ إِنْسَانٌ قَوِيٌّ أَنَّهُ خَلَعَ جَبَلًا وَرَفَعَهُ فِي الْجَوِّ لَمَا صَدَّقْنَا، لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَشَرِيَّةَ مَحْدُودَةَ، وَلَا تَسْتَطِيعُ قُوَّةُ أَيِّ شَخْصٍ أَوْ دَوْلَةٍ فَعَلَ ذَلِكَ، مَهْمَا عَظُمَتْ .

أما قُوَّةُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مُطْلَقَةٌ، لَا حُدُودَ لَهَا، وَلَا قِيُودَ عَلَيْهَا، وَقُدْرَتُهُ نَافِذَةٌ فَاعِلَةٌ، لَا يُوَقِّفُهَا أَيُّ شَيْءٍ، فَاللَّهُ قَوِيٌّ قَادِرٌ عَلَى قَلْعِ الْجَبَلِ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِيقَافِهِ فِي الْجَوِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، بِدُونِ أَعْمَدَةٍ، وَإِعَادَتِهِ مَكَانَهُ، يَفْعَلُ هَذَا، وَيَفْعَلُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ! وَبِمَا أَنَّهُ أَخْبَرَنَا عَنْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّا نَجْزِمُ أَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ، لِأَنَّا نَصَدِّقُ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ! .

وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا يَسْتَبَعْدُ الْفَادِي ذُو الْعَقْلِ الصَّغِيرِ هَذِهِ الْحَادِثَةَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِهِ الْمَقْدَّسِ حَوَادِثٌ أَكْبَرُ مِنْهَا، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِهَا لِأَنَّهَا وَارِدَةٌ فِي كِتَابِهِ . مِنْ ذَلِكَ شَقُّ الْبَحْرِ لِمُوسَى ﷺ، وَنَجَاتُهُ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عِنْدَمَا لَحَقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ .

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰٓ الْجَمْعَانَ قَالِٓ ۖ أَصْحَابِٓ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٦] .

مُوسَىٰ ﷺ يَقِفُ أَمَامَ الْبَحْرِ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ، وَلَمَّا فَعَلَ فَلَقَّ اللَّهُ الْبَحْرَ فَلَاقَتَيْنِ، وَقَسَمَهُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ، بَيْنَهُمَا فَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ الصَّلْبَةِ الْيَابِسَةِ، وَوَقَفَ الْمَاءُ عَلَى الْجَانِبَيْنِ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، لَا يَمْسُكُهُ سَدٌّ أَوْ حَاجِزٌ! فَمَنْ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ؟ وَمَنْ الَّذِي أَوْجَدَ الطَّرِيقَ الْيَبَسَ لِيَمُرَّ عَلَيْهِ مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ؟ وَمَنْ الَّذِي أَمْسَكَ الْمَاءَ عَلَى الْجَانِبَيْنِ فَلَمْ يُغْلِقِ الطَّرِيقَ وَلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ بَعْضِهِ؟ إِنَّهُ اللَّهُ! .

أيهما أوضح وأكبر معجزة، وأعظم وأضخم آية؟ شقُّ البحر أم رفعُ الجبل، إنَّ شقَّ البحر أضخم وأعظم. فلماذا آمنَ الفادي به وكذَّبَ وأنكرَ ما دونَه؟ ألأنه وردَ في كتابه صدَّقه، ورفعُ الجبل لم يردَّ في كتابه فاعتبره مُستحيلاً عقلياً؟ أين المنهجية والموضوعية التي ادَّعاهما في بحثه؟ ولماذا لم يقس رُفع الجبل على شقِّ البحر؟.

أما نحنُ المسلمون فإننا نؤمنُ بشقِّ البحر ورفعِ الجبل، لأنَّ الله ذكَّرَ المعجزتين في القرآن، ولأنهما من فعلِ الله، والله فعَّالٌ لما يريدُ ﷻ.



هل تتكلم الجبال؟!

تحت عنوان: «جبلٌ يتكلم!» اعترضَ الفادي على إخبارِ القرآنِ عن تكلمِ الجبال، وقد ذكَّرَ القرآنُ ذلك مرتين.

المرَّة الأولى: في حديثه عن قصة داودَ ﷺ، فعندما كان يُسبِّحُ الله سبحانه كانت الجبالُ والطيورُ تُسبِّحُ معه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠]. ومعنى ﴿أُوتِي﴾: رَدَدِي وَرَجَّعِي مَعَهُ. أَي: سَبَّحِي مَعَهُ عِنْدَمَا يُسَبِّحُ. فكان داودُ ﷺ عندما يُسبِّحُ الله يسمعُ الجبالُ تُسبِّحُ الله معه، ويسمعُ الطيورُ تُسبِّحُ الله معه!!.

إنَّ الله هو الذي سَخَّرَ الجبالَ للتسيحِ معه، وأمرَ الطيرَ أن تُسبِّحَ معه. قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِنشِرَاقِ (٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿ [ص: ١٧ - ١٩].

ولم يُصدِّقِ الفادي المفتري القرآنَ في إخباره عن ذلك، واعتبره مما يتناقضُ مع العلمِ والعقلِ. قال: «وهل للجبالِ عقلٌ وتمييزٌ وعواطفٌ، لتردَّدِ صلواتٍ واعترافاتٍ وتسابيحِ داود؟!».

ونقولُ له: نَعَمْ. إنَّ الله خالقها هو الذي أرادَ أن تُسبِّحَ، وأمرها أن

تُسَبِّحُ، فنَقَدْتُ أَمْرَهُ سَبَّحَانَهُ وَسَبَّحَتْ، ولا نَدْرِي كَيْفَ سَبَّحَتْ، وَهِيَ الْجَمَادُ
الَّذِي لَا عَقْلَ عِنْدَهُ وَلَا إِدْرَاكَ. الْمَهْمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ عِنْدَهَا الْقُدْرَةَ
عَلَى التَّسْبِيحِ فَسَبَّحَتْ! وَالْأَمْرُ لَيْسَ غَرِيباً عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ مُسْتَبَعِداً عِنْدَ اللَّهِ،
فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!!.

وَالْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ: فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ الظُّلْمُ
الْجَهْلُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] عَرَضَ اللَّهُ
أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، لَكِنَّهِنَّ أَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَيُكَلِّفَنَّ بِهَا، لِأَنَّهُنَّ أَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَخَفْنَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا. وَلَمَّا عَرِضَتْ
الْأَمَانَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ اسْتَعَدَّ أَنْ يَحْمِلَهَا، رَغْمَ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالتَّبَعَةِ وَالْحِسَابِ،
وَهُوَ بِذَلِكَ ظَلُومٌ جَهْلٌ!!.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: هَلْ لِلْجِبَالِ فَهْمٌ،
يَجْعَلُهَا تُدْرِكُ مَا لَا يُدْرِكُهُ أَكْثَرُ الْبَشَرِ، فَتَرَفُضُ الْأَمَانَةَ الْمَعْرُوضَةَ عَلَيْهَا؟!».

وَنَقُولُ لَهُ: وَمَا الْمَانِعُ الْعَقْلِيُّ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ فِيهَا نَوْعاً
مِنَ الْإِدْرَاكِ، بِحَيْثُ تَسْمَعُ وَتَفْهَمُ وَتُجِيبُ، وَهُوَ لَيْسَ كَسَمَاعِنَا وَفَهْمِنَا وَإِدْرَاكِنَا
وَكَلَامِنَا وَجَوَابِنَا، وَإِنَّمَا نَوْعٌ خَاصٌّ عَلَى مُسْتَوَاهَا، وَهُوَ لَيْسَ أَمراً عَادِيّاً، وَإِنَّمَا
هُوَ خَارِقَةٌ مِنَ الْخَوَارِقِ، وَمَعْجَزَةٌ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ!! وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيُوجِدُ
فِيهِ مَا يَشَاءُ، وَلَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ.

وَلِمَاذَا يَسْتَبَعِدُ الْفَادِي ذُو الْعَقْلِ الصَّغِيرِ كَلَامَ الْجِبَالِ، وَيَجْعَلُهُ مُسْتَحِيلًا
عَقْلاً، وَلَمْ يَسْتَبَعِدْ تَحْوِيلَ الْعَصَا الْيَابِسَةِ إِلَى أَفْعَى فِيهَا رُوحٌ وَحَيَاةٌ!.. كَانَ
مُوسَى ﷺ يُمْسِكُ عَصَا يَابِسَةً بِيَدِهِ، وَلَمَّا أَلْقَاهَا بِأَمْرِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا حَيَاةً،
وَحوَّلَهَا إِلَى أَفْعَى تَسْعَى، وَحَمَلَهَا مُوسَى بِيَدِهِ وَهِيَ حَيَّةٌ، وَلَمَّا أَلْقَاهَا عَلَى
الْأَرْضِ ثَانِيَةً أَعَادَهَا اللَّهُ عَصَا يَابِسَةً!! وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَالَّذِي جَعَلَ
الْعَصَا الْخَشَبِيَّةَ حَيَّةً تَسْعَى هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي جَعَلَ الْجِبَالَ تَتَكَلَّمُ.

وليسَتْ هذه أَوَّلَ مَرَّةٍ يَجْعَلُ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ قُدْرَةً عَلَى الْفَهْمِ وَالْكَلامِ وَالْجَوَابِ عَلَى السُّؤَالِ - عَلَى مُسْتَوَاهَا الضَّعِيفِ الْمَحْدُودِ -، فَلَمَّا خَلَقَهَا اللهُ خَاطَبَهَا وَأَجَابَتْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أُنْتِ يَا طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أُنِينَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿فصلت: ١١ - ١٢﴾.

سَمِعَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خِطَابَ اللهِ لِهَما، وَفَهِمَتَاهُ عَلَى طَرِيقَتَيْهِما، وَأَجَابَتَا اللهُ قَائِلَتَيْنِ: أَتَيْنَا طَائِعِينَ! وَلَا نَدْرِي كَيْفَ حَصَلَ ذَلِكَ، لِأَنَّ هَذَا مَعْجِزَةٌ مِنَ اللهِ، أَوْجَدَ فِيهِمَا سُبْحَانَهُ إِذْرَاكًا خَاصًّا، وَسَمَاعًا خَاصًّا وَفَهْمًا خَاصًّا، وَأَجَابَتَا جَوَابًا خَاصًّا أَيْضًا! فَالْأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالْإِرَادَةُ إِرَادَتُهُ، ﷻ.



الله يَلِينُ الْحَدِيدَ لِدَاوُدَ ﷺ

تَحْتَ عِنْوَانٍ: «الْحَدِيدُ يَلِينُ كَالشَّمْعِ» اعْتَرَضَ الْفَادِي عَلَى كَلَامِ الْقُرْآنِ عَنِ الْإِنَاءَةِ الْحَدِيدِ لِدَاوُدَ ﷺ. وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

وَذَكَرَ كَلَامَ الْبَيْضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: «قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ جَعَلْنَاهُ فِي يَدِهِ كَالشَّمْعِ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، مِنْ غَيْرِ إِحْمَاءٍ وَطَرُقٍ بِأَلَاتِهِ أَوْ بَقُوْتِهِ».

وَعَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يُعَيِّرُ الْحَدِيدُ خَاصِيَّتَهُ بَيْنَ يَدَيْ دَاوُدَ، فَيَفْقَدُ صِلَابَتَهُ، وَيَتَحَوَّلُ إِلَى لُيُونَةٍ وَمُرُونَةٍ الشَّمْعِ، بِغَيْرِ إِحْمَاءٍ أَوْ طَرُقٍ؟ وَمَا هُوَ الْهَدَفُ مِنْ هَذِهِ الْمَعْجِزَةِ الَّتِي لَوْ كَانَتْ قَدْ جَرَتْ فِعْلًا لَذَكَرْتَهَا التَّوَارَةُ الْمَقْدَّسَةُ؟».

اِكْتَفَى الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾. وَلَمْ يَقُلِ الْقُرْآنُ: جَعَلْنَا الْحَدِيدَ فِي يَدِهِ كَالشَّمْعِ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، مِنْ غَيْرِ إِحْمَاءٍ وَطَرُقٍ بِأَلَاتِهِ. وَالَّذِي قَالَ

هذا هو البيضاوي فإذا اعترض الفادي على كلام البيضاوي، فليعرض عليه، والبيضاوي هو الذي يتحمل مسؤولية وتبعية كلامه، فلماذا يُحمل الفادي القرآن مسؤولية كلام لم يقله؟.

علينا أن نبقى مع القرآن، ولا نُضيف عليه شيئاً، إلا ما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ، وفي موضوع إنانة الحديد لداود عليه السلام، أجمل القرآن الكلام عنها، ولم يُفصله، والأولى أن نُبقية على إجماله، وأن لا نخوض في تفصيله، لعدم وجود دليل صحيح معتمد عليه في ذلك.

إنَّ الفعل ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ مُسْنَدٌ إِلَى اللَّهِ، فالله هو الذي أَلَانَ الحديد لداود عليه السلام، وَعَلَّمَهُ صِنْعَ الصَّنَاعَاتِ الْحَدِيدِيَّةِ مِنْهُ: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا...﴾ وهذه الجملة تفسيرٌ للإنانة، وبيانٌ لما نتج عنها من أعمالٍ وصناعات! وهي متعلِّقة بفعلٍ مُقَدَّر، تقديره: وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ، وَقُلْنَا لَهُ: اعملِ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ.

﴿سَبِغَتِ﴾: صفةٌ لموصوفٍ محذوف، تقديره: دُرُوعاً سَابِغَاتٍ، ومعنى «سَابِغَاتٍ» طويلة، بحيث تُغَطِّي الجسم كُلَّهُ، وذلك لِيَقِيَ أَجْسَامَ الْجُنُودِ فِي الْحَرْبِ مِنَ الْخَطَرِ.

﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾: بمعنى إِتْقَانِ صُنْعِ الدَّرُوعِ السَابِغَاتِ الْحَرْبِيَّةِ، وتوصيلها بالمسامير، وذلك بأن يكونَ هناك تَنَاسُبٌ بَيْنَ الْمَسَامِيرِ وَفَتْحَتِهِ، فلا تكونُ تلك الفتحة أكبرَ منه، بحيث لا تتماسك أجزاء الدرع، ولا تكون أصغرَ منه فلا يُحَكِّمُ الصُّنْعَ!!.

وبمعنى هذه الآية قولُ الله ﷻ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

ويُفهِمُ مِنَ الْآيَةِ: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾. أَنَّ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُهْداً فِي الدَّرُوعِ الْحَدِيدِيَّةِ الَّتِي صَنَعَهَا، فَهُوَ يَصْنَعُ الْمَسَامِيرَ، وَيَقْصُ الْحَدِيدَ، وَيَفْتَحُ فِيهِ فَتْحَاتٍ مُقَدَّرَةً، مُنَاسِبَةً لِلْمَسَامِيرِ.

أما إنكارُ الفادي المفتري لهذه الآية، لعدمِ ذِكْرِها في التوراة، فهو مردودٌ عليه، لأنَّ القرآنَ أضافَ كثيراً على المذكورِ في الكتابِ المقدَّسِ فيما يتعلَّقُ بقصصِ الأنبياءِ، وهذا معناه أنَّه لا يجوزُ إنكارُ الخبرِ الذي ذكَّره القرآنُ إذا لم يذكَّره الكتابُ المقدَّسُ، فذكَّره في القرآنِ كافٍ لقبوله!



حول نوم أصحاب الكهف

ذَكَرَ اللهُ قصةَ أصحابِ الكهفِ في ثماني عشرة آية من سورة الكهف، وقد سجَّلَ الفادي المفتري آياتِ القصة، ثم اعترضَ عليها بقوله: «ونحنُ نسأل: كيف يَتَسَنَّى لسبعةِ غلمانٍ وكلِّبهم أن يَعيشوا ثلاثمئةً وتسعَ سنين، بدونِ أَكْلٍ ولا شُرْبٍ ولا مَشْيٍ ولا تَبَوُّلٍ ولا تَبَرُّزٍ، تحسبُهم أيقاظاً وهم رُقود، يتقلَّبونَ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ، وكلِّبهم باسطِ ذراعيه بفناء المغارة؟ وما هو الدرُسُ المستفادُ من هذه القصةِ لنا اليوم؟»^(١).

يَنظُرُ المفتري للمعجزاتِ المذكورةِ في القرآنِ نظرةً ماديةً دائماً، ويقيسُها بالأُمورِ العاديةِ المألوفةِ للناسِ، وبما أنها لا تُقاسُ بها لأنها معجزات، لذلك يُنكرُ وُقوعَها ويكذبُ بها، وبما أنَّ القرآنَ ذكَّرها، لذلك يُخطئُ القرآنَ ويعترضُ عليه، ويتهمه بذكرِ أشياء لم تَحُدثْ، وعرضِ أمورٍ لا يُصدِّقها العقل! أما المعجزاتُ المذكورةُ في كتابه المقدَّسِ فإنه يؤمنُ بها، مع أنها لا تُقاسُ بالأُمورِ العاديةِ! فلماذا يَكِيلُ المفتري بمكيالين، وَيُصدِّقُ المذكورَ في كتابه المقدَّسِ، وَيَكذِّبُه إذا ذُكِرَ في القرآن؟ مع أن الموضوعَ فيها واحداً!! إنه التحاملُ على القرآن!

ذَكَرَ القرآنُ قصةَ أصحابِ الكهفِ الذين جعلهم اللهُ آيةً وعبرةً، وأكرمهم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٦.

ببعض الكرامات المعجزات، في مقدمتها أنه جعلهم ينامون ثلاثمئة وتسع سنوات، بدون موت أو تعفن أو فساد، ثم أيقظهم من نومهم لفترة قصيرة، ثم أماتهم الموت الحقيقي.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، ويُكرّر الفادي المفتري صحة ذلك، ويعتبره متناقضاً مع العلم والعقل، إذ كيف ينامون ثلاثمئة وتسع سنوات، بدون أكل ولا شرب ولا مشي ولا تبول ولا تبرؤ؟!.

ولو كان الأمر عادياً وفق مألوف الناس وعاداتهم لقُلنا: هذا مستحيل وغير معقول. ولكنه من أمر الله، والله فعّال لما يريد، وهو معجزة خارقة للعادة، ولو لم تكن خارقة لما كانت معجزة.

شاء الله أن يُيقظهم نائمين هذه المدة الطويلة، وهياً الأمور حولهم لئلا يبلوا ويتعفنوا، فضرب على آذانهم، وفتح عيونهم، وجعل الشمس تميل عنهم في الصباح ذات اليمين، وتبتعد عنهم عند المساء ذات الشمال، حتى لا تؤذيهم بأشعتها وحرارتها، وقلّبهم على الأرض ذات اليمين وذات الشمال، لئلا تقضي عليهم الرطوبة والعفن... ثم بعثهم بعد ذلك من نومهم وأيقظهم... وطالما أن الأمر معجزة خارقة، من فعل الله سبحانه، فلا استبعاد أو إنكار له.

والفادي المفتري دائم الافتراء والتلاعب والتحريف، فالله يقول عن أصحاب الكهف: ﴿وَحَسِبُّهُمْ أَيْكَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] وقد أسندت الآية ثقلبهم إلى الله، لأن الأمر معجزة وليس عادياً.. ولكنّ الفادي أسند الثقلب إليهم، فقال: تحسبهم أيقاظاً وهم رُقود، يتقلّبون ذات اليمين وذات الشمال!! وفرق بعيد بين قول الله تعالى: ﴿وَنَقَلْنَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، وبين قول المفترى المتلاعب: «يَتَقَلَّبُونَ ذَاتَ الْيَمِينِ..»!!

حول الريح المسخرة لسليمان ﷺ

ذَكَرَ الْقُرْآنُ الرِّيحَ الَّتِي سَخَّرَهَا اللَّهُ لِسُلَيْمَانَ ﷺ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

وَنَقَلَ الْفَادِي كَعَادَتِهِ مِنْ تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ بَعْضَ كَلَامِهِ عَنِ الرِّيحِ؛ قَالَ: ﴿الرِّيحُ عَاصِفَةٌ﴾: شَدِيدَةُ الْهُبُوبِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَبْعُدُ بِكَرْسِيِّهِ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ﴾. وَكَانَتْ ﴿رُخَاءً﴾ فِي نَفْسِهَا طَيِّبَةً. وَقِيلَ: كَانَتْ رُخَاءً تَارَةً وَعَاصِفَةً أُخْرَى، حَسَبَ إِرَادَتِهِ. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا﴾ إِلَى الشَّامِ.

وَعَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ مُشَكِّكاً فِيهِ، فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: مَا الْفَائِدَةُ مِنْ تَسْخِيرِ الرِّيحِ لِسُلَيْمَانَ، فَتَحْمَلُ عَرْشَهُ مَتَى شَاءَ إِلَى أَيْنَ شَاءَ، وَتَشْتَدُّ إِذَا رَغِبَ، وَتَلِينُ إِذَا رَغِبَ؟ وَمَا هُوَ الْهَدَفُ مِنْ كُلِّ هَذَا؟ مَاذَا عَادَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَمْلَكَةِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَذَا؟»^(١).

أَخَذَ الْخُرَافَةَ، وَحَمَلَهَا لِلْقُرْآنِ، وَكَذَّبَهُ وَخَطَّأَهُ بِسَبَبِهَا!

ذَهَبَ رُؤَاةُ الْخُرَافَاتِ وَالرُّوَايَاتِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ إِلَى أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ خَاصَّةً لِسُلَيْمَانَ ﷺ، فَقَدْ كَانَتْ تَحْمَلُ عَرْشَهُ وَكُرْسِيَّهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَتَطِيرُ بِهِ فِي الْجَوِّ، وَتَأْخُذُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى «بِساطِ الرِّيحِ»! وَهِيَ تُشَبَّهُ طَيْرَانَ الطَّائِرَاتِ وَسَفْنَ الْفِضَاءِ فِي زَمَانِنَا!

وَلِذَلِكَ اعْتَبَرَ الْفَادِي هَذِهِ الرِّيحَ بَدُونَ فَائِدَةٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَهِيَ كَأَنَّهَا طَائِرَةٌ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٧.

شخصيةً لسليمان ﷺ، يُسافرُ عليها إلى مختلفِ البلدان، ولذلك قال: «ما هو الهدفُ من كُلِّ هذا؟ وماذا عادَ على بني إسرائيل ومملكةِ الله من كُلِّ هذا؟».

ونقولُ للفادي: المستفيدُ من هذه الريح هم بنو إسرائيل، ولم تكن الريحُ تطيرُ بسليمانَ ﷺ وعرشه وكرسيه، إنما كانتُ تأتي بالغيثِ والمطر، وتحمِلُ معها الرِّخاءَ والخصبَ. . وكانت تبقى ومعها الغيثُ فوقَ الأرضِ المباركةِ مُدَّةً طويلة، متمثلةً في منخفضٍ جَوِّيٍّ عميق، وتستمرُّ شهرًا في غُدُوها، وشهرًا في رَواجِها، نعمةً من الله على سليمان ﷺ وقومه.



حول أصحاب الفيل والطيَر الأبابيل

اعتراضَ الفادي المفتري على سورة الفيل، التي تحدثتُ عن أصحابِ الفيل، وسَجَّلَ اعتراضه وتساؤله تحتَ عنوان: «الطيَرُ تُحاربُ بالحجارة»! .

وأخذَ من تفسيرِ البيضاويِّ خُلاصةَ حادثةِ أصحابِ الفيل، التي أشارتُ لها السورة، والمعروفةُ للباحثين والدارسين. . ثم عَلَّقَ على ذلك بِإثارةِ أسئلةٍ تافهة، فقال: «ونحنُ نسأل: كيفَ آثرَ الفيلُ أن يُعاوَنَ الوثنيين، ويَهْرُبَ من معاونةِ المسيحيين، فكلَّمَا وجَّهوه لكعبةِ الأوثانِ رَفَضَ السير، وكلَّمَا وجَّهوه إلى اليمنِ هَرَوَل؟ وكيفَ أدركتِ الطيَرُ ذلك، فاشتركتُ في الحربِ مع الوثنيين ضدَّ المسيحيين؟ وكيفَ تفاهمت جماعاتُ الطير، وعرفتُ مكانَ المعركة، وأحضرت الحجارة، وملأتُ أفواهها وأرجلها، ورمتُ بها جيشَ المسيحيين دون الوثنيين؟ وكيفَ انحازَ الرِّبُّ للفيلِ وللطيَر، ولأصحابِ الكعبةِ الوثنيين ضدَّ المسيحيين؟ وكيفَ ينزلُ الحجرُ الذي هو أصغرُ من الحمصةِ من فمِ الطائرِ إلى رأسِ الرجلِ، فيخرقُ رأسه وعنقه وصدْرَه وبطنَه، ويخرجُ من دُبْرِهِ؟!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٧ - ١٦٨.

التساؤلات التي أثارها المفتري على الحادثة تُفيد إنكاره لها، وتكذيبه لوقوعها، مع أن القرآن كان صريحاً في إثباتها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

لقد صَوَّرَ له عقله الصغير أن المعركة كانت بين الأحباش النَّصَارَى وبين العرب الوثنيين، والنَّصَارَى أقرب إلى الله من الوثنيين، فكيف انحاز الله إلى الوثنيين ضدَّ النَّصَارَى المؤمنين به؟! هذا غير معقول، وأخطأ القرآن في القول به!! والكعبة عنده «كعبة الأوثان» وبيَّت تُجمَعُ فيه الأصنام، فكيف يُدافع الله عنها؟! وكيف آثر الفيل أن يكون مع العرب الوثنيين ضدَّ النَّصَارَى؟ إن هذا غير معقول! وكيف تداعت جماعات الطير واشتركت في المعركة، وانحازت إلى الوثنيين، وحاربت النَّصَارَى المؤمنين بالحجارة؟ هذا كله لا يُصدِّقه العقل، ولذلك لم يحدث!!.

إن الأمر ليس على هذه الصورة التي فهمها الفادي خطأ، وإن الله لم ينحز للعرب الوثنيين ضدَّ المسيحيين، إنما دافع الله عن بيته المحرَّم المعظم. لقد توجه أبرهة بجيشه وفيله ليهدم الكعبة، لا ليقاتل قريشاً، فمعركته ليست ضدَّ قريش الوثنيين، وإنما هي ضدَّ البيت المحرَّم! ولذلك لما وصل إلى ضواحي مكة لم يشتبك في حرب مع قريش، ورجال قريش عرفوا هذا، حيث أخلوا له مكة، وصعدوا إلى الجبال، يُراقبون ما سيحدث، ولما راجع عبد المطلب زعيم مكة أبرهة بشأن إبله التي أخذوها منه، قال له: أنا ربُّ الإبل، ولليبت ربُّ يحميه!!.

وإن الله يعلم أن قريشاً ملأوا الكعبة بالأصنام، التي عبدوها وجعلوها آلهة، وهو سبحانه لم يدافع عنهم ولا عن أصنامهم.

إن حادثة الفيل كانت دفاعاً عن الكعبة المُشرَّفة، حمى الله فيها الكعبة من الهدم، هذه الكعبة ضمن بيت الله الحرام، أوَّل بيت بُني في الأرض

لعبادة الله، والذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لعبادة الله، وستكون هذه الكعبة المشرفة قبلة للأمة المسلمة القادمة، التي سيستخلفها الله على الأمم، وسيولد بالقرب من الكعبة محمد بن عبد الله، الذي سيكون النبي الخاتم عليه السلام.

ومن أجل هذه المعاني حمى الله الكعبة من جيش أبرهة، لا من أجل قريش الوثنيين، وأمر الله الفيل أن لا يستجيب لأمر أبرهة بالسير نحو الكعبة، ونفذ الفيل أمر ربه، وكان ذلك الفيل أعقل من هذا الفادي صاحب العقل الصغير الذي أنكر الحادثة!.

ولم تتوجه الطير الأبايل إلى أصحاب الفيل بنفسها، إنما الله هو الذي وجهها وأرسلها، والله هو الذي حملها الحجارة من سجيل، وأمرها أن تقصف بها أصحاب الفيل.

إن الأفعال في سورة الفيل مسندة إلى الله، فالله هو الذي فعل بأصحاب الفيل ما فعل، وهو الذي أرسل عليهم الطير الأبايل، وهو الذي أمرها أن ترميهم بالحجارة، وهو الذي أهلك أصحاب الفيل، وهو الذي جعلهم كعصف مأكول...

وكانت حادثة أصحاب الفيل «إرهاصاً» ومقدمة للإسلام، وتهيئة له، والرسول عليه السلام ولد عام الفيل، وبعثه الله نبياً بعد أربعين سنة من الحادثة. ولذلك ذكرها الله في القرآن، باعتبارها آية من آياته.



هل خاف يعقوب على أبنائه من العين؟

عندما توجه أبناء يعقوب الأحد عشر إلى عزيز مضر - الذي هو أخوهم يوسف وهم لا يعرفونه - طلب منهم أبوهم أن لا يدخلوا من باب واحد، وإنما يدخلون من أبواب متفرقة؛ قال الله عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 67].

وأكمل كلامه لهم بالإشارة إلى أن الحكم حُكِمَ اللهُ، نافذٌ على عباده، وهو متوكِّلٌ على الله، مُسَلِّمٌ أمره له: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وأشار القرآن إلى أن يعقوب عليه السلام قَضَى وَحَقَّقَ حَاجَةً فِي نَفْسِهِ، عِنْدَمَا نَفَّذَ أَبْنَاؤُهُ طَلْبَهُ، وَدَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾.

وإيهام القرآن لتلك الحاجة دعوة لنا لعدم البحث فيها، وعدم محاولة بيانها، ومعرفة لها لا دليل عليها ولا فائدة منها، ولا يضرنا الجهل بها، ولو علم الله في ذكرها خيراً لنا لذكرها. وليت الذين حدّدوا تلك الحاجة فهموا هذه الإشارة القرآنية، ولم يتعبوا أنفسهم في تحديد تلك الحاجة بأنها لدفع العين!

وبهذا نعرف أن يعقوب عليه السلام كان متوكِّلاً على الله عندما طلب من أبنائه أن يدخلوا من أبواب متفرقة، وأن هذا ليس خرافة تنافي العلم والإيمان، كما زعم المفترى.

وقد نفى الفادي هذه الحادثة، رَغَمَ وُرُودِهَا فِي الْقُرْآنِ لِأَنَّهَا لَمْ تُذَكَّرْ فِي التَّوْرَةِ وَهَذَا بَاطِلٌ، وَمَرَجَعِيَّتُنَا لَيْسَتْ التَّوْرَةُ، إِنَّمَا هِيَ الْقُرْآنُ، وَذَكَرَ الْحَادِثَةَ فِي الْقُرْآنِ يَكْفِي لِقَبُولِهَا وَالْإِيمَانَ بِهَا، سِوَاءَ ذَكَرَتْهَا التَّوْرَةُ أَمْ لَا.

١٩٧

حول بقرة بني إسرائيل

ذَكَرَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ قِصَّةَ بَقْرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْهَا [٦٧ - ٧٣]. وَخُلِّصَتْهَا أَنَّهُ قُتِلَ قَتِيلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، زَمَنَ مُوسَى عليه السلام، وَلَمْ يُعْرَفِ الْقَاتِلُ، وَلَمَّا رَفَعُوا الْقِضِيَّةَ إِلَى مُوسَى عليه السلام، أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا بَقْرَةَ، فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ، وَظَنُّوهُ يَهْزَأُ بِهِمْ، فَنفَى ذَلِكَ، وَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنْ عَمْرِهَا

ولونها وعملها أخبرهم، عند ذلك ذبحوها مُكْرَهِينَ. وضربَ القَتِيلُ بجزءٍ من تلك البقرة، فأحيأه اللهُ وأخبرَ عن القاتِلِ!! .

وقد رَفَضَ الفادي المفتري ما قاله القرآن عن قصة البقرة، واتَّهَمَ النَّبِيَّ ﷺ بأخذِ القِصَّةِ من التوراة، لأنَّ القرآنَ عنده ليس كلامَ الله، وإنما هو من تأليفِ النَّبِيِّ ﷺ أَخَذَهُ من مصادرَ بشرية؛ قال: «وتاريخُ بني إسرائيل من أوَّلِهِ إلى آخِرِهِ خالٍ من هذه القِصَّةِ. ولعلَّ صاحبَ القرآنِ أَخَذَ طَرَفًا من روايته من التوراة»^(١).

القِصَّةُ عنده غيرُ صَحيحة، لأنها لم تَرِدْ في التوراة، ومرجعِيَّتُهُ هي التوراة، فما ذُكِرَ فيها فهو الصواب، وما لم يُذْكَرْ فيها فهو الخَطَأُ. . . مع العلمِ بأنَّ التوراةَ مُحَرَّفَةٌ، أضافَ الأَحبارُ فيها كلامَ البشرِ إلى كلامِ الله. . . أما نحنُ المسلمِين فإنَّ القرآنَ هو مرجعِيَّتُنَا، ما ذُكِرَ فيه نجزمُ بأنه هو الصوابُ والصحيح، وما لم يُذْكَرْ فيه نتوقَّفُ في قَبُولِهِ! وما خالفَهُ نجزمُ بأنه خَطَأٌ.

وبما أنَّ قصةَ البقرةَ مذكورةٌ في سورةِ البقرة، فإننا نجزمُ بوقوعِ أحداثِها التي ذَكَرَها القرآن، وليُقَلِّ الفادي ما شاء!! .

ولاحِظْ عبارةَ الفادي القبيحة: «ولعلَّ صاحبَ القرآنِ أَخَذَ طَرَفًا من روايته من التوراة»، فقد صرَّحَ فيها بأنَّ القرآنَ من كلامِ البشرِ، وليس كلامَ الله. وبعدما استعرضَ بعضَ كلامِ التوراة حولَ القتلِ وأحكامِهِ أجرى مقارنَةً بين كلامِ التوراة وما وَرَدَ في القرآن. قال: «فهذه هي شريعةُ التوراة، التي تُبَيِّنُ بِشاعةَ القَتْلِ، وتُعلنُ اعترافَ شيوخِ الشعبِ أَنَّهُم لا يَعرفون القاتِلِ، بغسلِ أيديهم على الذبيحةِ رمزَ البراءةِ، ثم يَطْلُبونَ العُفْرانَ لتلك الخِطِيَةِ المجهولةِ الفاعِلِ! وهذا كُلُّهُ مَعقول. ولكن هل من المعقولِ أَنَّ قِطْعَةَ لَحْمٍ من العجلةِ يُضْرَبُ بها القَتِيلِ، فيحيا وَيَتَكَلَّمُ؟!»^(٢).

يُنكِرُ الفادي المعجزةَ في قصةِ البقرة، وهي التي أشارَ لها قوله تعالى:

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٩. (٢) المصدر السابق نفسه.

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
[البقرة: ٧٣].

بعدما ذبحوا البقرة، أخذوا قطعة لحمٍ منها، وضربوا القتل بها، فأحيأه الله، وعرف على قاتله ثم مات.
وهذا غير معقول عند الفادي الجاهل، لأنه يظنه فعلاً عادياً، كباقي أفعال البشر.. لأنه لا يفرق بين الفعل البشري العادي، وبين المعجزة الربانية، التي يجريها الله، ويجعلها آيةً لعباده، وهذه المعجزة لا بد أن تكون خارقة لعادات البشر!.



هل الرعد ملاك؟

وقف الفادي المفتري أمام قول الله ﷻ: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

ونقل كلام البيضاوي في تفسير الآية، الذي ذكر فيه بعض الروايات عن الرعد، بأنه ملكٌ من الملائكة، ومعه مخاريقٌ من نارٍ يسوق بها السحاب، والبرق بأنه ملكٌ آخر من الملائكة!.

وعلق الفادي على ما نقله عن البيضاوي بقوله: «ونحن نسال: إذا كان الرعد والبرق من الظواهر الطبيعية الناتجة عن احتكاك السحاب ببعضها، فكيف يقولون إنها ملائكة؟!»^(١).

إن البرق والرعد من الظواهر الطبيعية الجوية، وليسا ملكين من الملائكة يسوقان السحاب، وما نقله البيضاوي في تفسيره إنما هو أقوالٌ ذكرها بعض السابقين، الذين لا يقدمون الدليل على ما يقولون، ولا يتحررون الدقة فيما ينقلون.. وما نقله من أحاديث عن رسول الله ﷺ لم تصح.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٦٩ - ١٧٠.

وبما أنه لم يثبت شيء عن رسول الله ﷺ في أن الرعد والبرق ملكان من الملائكة، فإننا لا نقول بذلك!

واعترض الفادي على الآية مردود، واتهامه للقرآن بأنه يجعل الرعد ملكاً مردوداً أيضاً، لأن القرآن لم يقل بذلك.

الذي قاله القرآن أن الرعد يسبح بحمد الله؛ لأن الرعد مخلوق من مخلوقات الله، وكل المخلوقات تسبح الله، قال تعالى: ﴿سُبْحٌ لَّهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وليس معنى إسناده التسبيح للرعد أن يكون الرعد ملكاً يسبح، بل هذا من حيوية التعبير القرآني، الذي يستخدم طريقة التصوير، حيث قدّم الرعد في صورة حية شاخصة، في صورة رجل خاشع عابد يسبح الله ﷻ.



حول سحر الرسول ﷺ

وقف الفادي أمام سورة الفلق، وما قيل في سبب نزولها، من أنها نزلت في سحر رسول الله ﷺ. . . ونقل كلام البيضاوي في تفسير السورة. . . «روي أن يهودياً سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة، في وتر دسه في بئر، فمرض النبي، ونزلت المعوذتان. . . وأخبره جبريل بموضع السحر، فأرسل علياً، فجاء به، فقرأها عليه، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد بعض الخفة. . . ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور، لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر».

ثم ذكر الفادي الآية التي تتحدث عن قصة هاروت وماروت، وفيها قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وتدلل الآية على أن السحر قد يضرب المسحور بإذن الله، وأن السحرة قد يؤذون الإنسان، ويفرقون بين المرء وزوجه.

وَذَكَرَ الْفَادِي أَقْوَالَ مِنْ الْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ، تَنْهَى عَنْ تَعَلُّمِ السَّحْرِ، مِنْهَا أَقْوَالٌ لِبُولُسَ وَبَطْرُسَ .

وخرَجَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ لَمَا أَثَّرَ فِيهِ السَّحْرُ، وَلنَهَى عَنِ السَّحْرِ كَمَا نَهَى عَنْهُ بُولُسُ وَبَطْرُسُ! قَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يُصِيبُ السَّحْرُ الْمُؤْمِنَ الْمَحْفُوظَ بِعِنَايَةِ اللَّهِ؟.. وَلَقَدْ نَهَتْ شَرِيعَةُ اللَّهِ عَنِ السَّحْرِ...» . . . وَبَعْدَمَا ذَكَرَ أَقْوَالَ بُولُسَ وَبَطْرُسَ فِي النِّهْيِ عَنِ السَّحْرِ قَالَ: «هَذِهِ هِيَ شَرِيعَةُ اللَّهِ حَقًّا، وَهَؤُلَاءِ هُمْ رُسُلُ اللَّهِ فِعْلًا، يَنْتَهَرُونَ السَّحْرَةَ، وَيُعْطِلُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَقُوَّةُ اللَّهِ فَوْقَ قُوَى السَّاحِرِينَ»^(١) .

حَادِثَةُ سِحْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَابِتَةٌ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ . رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَيْبِدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ . . . حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتَهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَا أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي . فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ . قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَيْبِدُ بْنُ الْأَعْصَمِ . قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مِشْطٍ وَمُشَاظَةٍ . قَالَ: أَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بَيْتِ ذُرْوَانَ» .

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ الْبَيْرُ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ . . . ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! هَذِهِ الْبَيْرُ الَّتِي أُرِيْتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْجِنِّ، وَكَأَنَّ نَحْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ . . .» . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ! قَالَ: «لَا؛ أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا . . . فَأَمَرْتُ بِهَا فِدْفِنْتُ»^(٢) .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٢) البخاري، برقم (٥٧٦٦)؛ ومسلم، برقم (٢٧٨٩) .

خُلاصَةُ حَادِثَةِ سِحْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْيَهُودِيَّ لَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ كَانَ سَاحِرًا، وَأَرَادَ أَنْ يَسْحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ مِشْطًا كَانَ يَمْتَشِطُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَخَذَ «مُشَاطَةَ» - وَهِيَ بَقَايَا الشَّعْرِ الَّذِي كَانَ يَسْقُطُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَبْقَى فِي الْمِشْطِ - وَنَفَتْ فِي ذَلِكَ الْمِشْطِ وَالْمُشَاطَةَ، وَلَفَّهُمَا عَلَى سِحْرِهِ، وَوَضَعَهُمَا فِي «جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ»، وَهُوَ الْغِشَاءُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى طَلْعِ النَّخْلِ، ثُمَّ وَضَعَ الْوَعَاءَ تَحْتَ رَاعِوْفَةٍ فِي بَثْرِ ذَرْوَانَ، وَالرَّاعِوْفَةُ هِيَ الْحَجَرُ الْكَبِيرُ تَكُونُ فِي قَعْرِ الْبَثْرِ، يَنْزِلُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا، وَيَقِفُ عَلَيْهَا، إِذَا احتَاجَ إِلَى النُّزُولِ لِلْبَثْرِ... وَبَثْرُ «ذَرْوَانَ» وَاقِعَةٌ فِي بَسْتَانٍ فِي الْمَدِينَةِ.

وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يُؤَثِّرَ هَذَا السِّحْرُ فِي الْجَانِبِ الْبَشَرِيِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَفَّظُ الْحَدِيثِ دَقِيقٌ: «حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ».. أَي: كَانَ أَثْرُ السِّحْرِ عَلَى بَصَرِهِ فَقَطْ ﷺ، بِحَيْثُ يَدْفَعُهُ إِلَى مَجْرَدِ التَّخْيِيلِ بِالْبَصَرِ!.

وَلَمْ يَسْتَمِرَّ هَذَا طَوِيلًا، فَلَمَّا أَحَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّخْيِيلِ عَلَى بَصَرِهِ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ بِالْإِدْعَاءِ، فَدَعَاهُ، ثُمَّ دَعَاهُ، ثُمَّ دَعَاهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ.. وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ رَسُولِهِ ﷺ وَأَزَالَ عَنْهُ أَثْرَ السِّحْرِ بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَمْ يَعُدْ يَتَخَيَّلُ بِبَصَرِهِ غَيْرَ الْمَوْجُودِ.. وَأَحْسَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَحَمَدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَقَدْ أَفْتَانِي اللَّهُ فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ»، أَي: عَافَانِي مِمَّا أَجِدُهُ، وَاسْتَجَابَ دَعَائِي!.

وَأَرْسَلَ اللَّهُ اثْنَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَعَدَ الْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَتَحَاوَرَا فِيمَا بَيْنَهُمَا لِيَسْمَعَ كَلَامَهُمَا، فَعَرَفَ مِنْهُمَا أَنَّهُ مَسْحُورٌ، وَأَنَّ الَّذِي سَحَرَهُ هُوَ الْيَهُودِيُّ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، وَعَرَفَ مَكَانَ السِّحْرِ.. فَذَهَبَ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَاسْتَخْرَجَهُ.

وَقَدْ اقْتَرَحَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَيْهِ أَنْ يَحْرِقَهُ، وَلَكِنَّهُ أَبِي ذَلِكَ، حَتَّى لَا يُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا. وَأَمَرَ بِهِ فِدْفُونٌ فِي الْأَرْضِ.

وإنَّ حَادِثَةَ سِحْرِ الرَّسُولِ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى بَشَرِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ تَوَثَّرَ فِيهِ الْأَحْدَاثُ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ قَدْرُ اللَّهِ، كَمَا أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ السِّحْرَ يَضُرُّ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَلَا إِشْكَالَ فِي سِحْرِ الرَّسُولِ ﷺ، لِأَنَّ جَانِبَ النُّبُوَّةِ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِالسِّحْرِ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ بِحَفِظِ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ تَأْثِيرُهُ عَلَى حَاسَّةِ بَصَرِهِ فَقَطْ، بِحَيْثُ كَانَ يَتَخَيَّلُ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، أَمَا عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ وَرُوحُهُ وَأَعْصَابُهُ فَقَدْ بَقِيَتْ سَلِيمَةً... وَسُرْعَانَ مَا أزالَ اللَّهُ عَن بَصَرِهِ أَثَرَ السِّحْرِ، بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ الْفَادِي جَاهِلًا عِنْدَمَا وَظَّفَ حَادِثَةَ سِحْرِهِ ﷺ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ نُبُوَّتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَسَاءَلَ بِحُبِّثٍ: «كَيْفَ يُصِيبُ السِّحْرُ الْمُؤْمِنَ الْمَحْفُوظَ بِعِنَايَةِ اللَّهِ؟!».

إِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ يَبْتَلِيهِمُ بِالضَّرِّ، وَيَأْذُنُ أَنْ يُصَابُوا بِالْأَذَى، وَلَيْسَ وَقُوعُ هَذَا بِهِمْ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ، أَوْ تَخْلِيهِ عَنْهُمْ... وَهَمَّ عِنْدَمَا يُصَابُونَ بِالضَّرِّ وَالْأَذَى يَلْجِئُونَ إِلَيْهِ، لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ... وَبِذَلِكَ يَزِدَادُونَ قُرْبًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ. وَهَذَا مَا حَصَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّ الْفَادِي مَطْمُوسٌ عَلَى قَلْبِهِ، لِذَلِكَ يَجْهَلُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ وَالْمَعَانِي وَالدَّرُوسَ وَالِدَّلَالَاتِ!





الفصل التاسع

نقض المطاعن الفنية

ما المراد بالحروف المقطعة؟

اعترضَ الفادي المفتري على القرآن، لإيراده الحروفَ المَقْطَعَةَ في بداية بعضِ سورهِ، وذَكَرَ اعتراضه تحتَ عنوانٍ قبيح، هو «الكلامُ العاطِل» أيَّ أنَّ في القرآنِ كَلاماً عاطِلاً، وهذه صفةٌ مردولةٌ، يوصَفُ بها الشيءُ التافهُ الساقط، ولقد أرادَ المجرُمُ بهذا العنوانِ شتمَ القرآنِ شتْماً سوقياً بذيئاً!!.

ومعلومٌ أنَّ السورَ المفتحة بالحروفِ المقطعةِ تسعٌ وعشرون سورة، على عددِ حروفِ الهجاءِ في اللغةِ العربية. والحروفُ المذكورة فيها هي:

- ﴿آلَم﴾: في سور: البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

- ﴿الرَّ﴾: في سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

- ﴿حَمَّ﴾: في سور: غافر وفصلت والزخرف والدخان والجناثية والأحقاف.

- ﴿طَسَّ﴾: في سورتي: الشعراء والقصاص.

- وسورةٌ واحدةٌ لكلِّ مما يلي: ﴿الْمَصَّ﴾: سورة الأعراف. و﴿الْمَرَّ﴾:

سورة الرعد. و﴿كَهَيْعَصَّ﴾: سورة مريم. و﴿طه﴾: سورة طه. و﴿طسَّ﴾:

سورة النمل. و﴿يسَّ﴾: سورة يس. و﴿حَمَّ﴾ ﴿١﴾ عَسَّ ﴿سورة الشورى.

و﴿صَّ﴾: سورة ص. و﴿قَفَّ﴾ سورة ق. و﴿تَّ﴾ سورة القلم.

وقالَ الفادي المفتري في بدايةِ اعتراضه: «جاءَ في فواتحِ تسعِ وعشرين سورةً بالقرآنِ حروفٌ عاطِلَّةٌ، لا يُفهمُ معناها!». .

وبعدما ذَكَرَ أسماءَ تلكِ السور قال: «ونحنُ نسأل: إنَّ كانتِ هذه

الحروفُ لا يعلمُها إلا اللهُ كما يقولون، فما فائدتها لنا؟ إنَّ الله لا يوحى إلا

بما يُفيد، فكلامُ الله بلاغٌ وبيانٌ وهدى للناس»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٧٥.

وللردّ عليه، نقررُ أنه لا يوجدُ في القرآنِ حروفٌ أو كلماتٌ أو جُمَلٌ عاطلة، لا معنى لها، أو لا يمكنُ أن يُفهمَ معناها، كما أنه لا توجدُ في القرآنِ حروفٌ أو كلماتٌ زائدة. . وكلُّ حرفٍ في القرآن له معنى ووظيفة، ويؤدّي معناه ضمنَ السياقِ الذي وردَ فيه، وإذا حُذِفَ اختلَّ المعنى، وضعُفَ التركيبُ، ونقصتِ الدلالة!!.

وهذا معناه أنّ الحروفَ المقطّعةَ في افتتاحياتِ بعضِ السور ليستُ عاطلةً أو مهملةً، أو ليس لها معنى ودلالة، أو ليس لورودها على هذه الصورةِ حكمةٌ أو فائدة.

ونعترفُ أنّ العلماءَ والمفسرينَ اختلفوا في نظرهم إلى الحروفِ المقطّعة، وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

- الفريق الأول: لم يخوضوا فيها، ولم يحاولوا تفسيرها، أو بيانَ معناها والحكمةِ منها، وقالوا: هي مما استأثر الله بعلمه، فلا يعلمها إلا هو، ونحن لا نخوضُ فيها.

- الفريق الثاني: وقّفوا أمامها، وتأملوا فيها، وحاولوا بيانَ معناها، والحكمةِ من ورودها!.

والراجعُ هو ما ذهبَ إليه الفريقُ الثاني، لأنَّ الله أوجبَ علينا تدبّرَ القرآن، وفهمَ معانيه، ولم يجعلْ فيه ما ليس له معنى، أو ما لا يمكنُ أن نفهمه، فكلُّ ما في القرآن له معنى، وكلُّ ما فيه يمكنُ أن نفهمه.

والراجعُ أنّ افتتاحِ بعضِ السورِ القرآنيةِ بالحروفِ المقطّعةِ للتّحدي والإعجاز، وإثباتِ أنّ القرآنَ كلامُ الله.

وبيانُ هذا، أنه لما سمعَ المشركونَ القرآنَ من رسولِ الله ﷺ رَفَضُوا الاعترافَ بأنه من عندِ الله، وأنهموا النبيَّ ﷺ بتأليفه، ثم ادّعوا بأنَّ عندهم القدرةُ على الإتيانِ بمثله لو أرادوا. . فتحدّاهم الله، وطلبَ منهم الإتيانَ بمثله، أو بعشرِ سورٍ مثله، أو بسورةٍ مثله. . .

ومن بابِ المبالغةِ في التحدي افتتحَ بعضُ السورِ بالحروفِ المقطَّعةِ، باعتبارِ الحروفِ هي المادَّةُ الأولى للكلامِ العربيِّ، لأنَّ الكلمةَ مكوَّنةٌ من تلكِ الحروفِ البنائيةِ.. وكأنَّه يقولُ لهم: القرآنُ بلسانِ عربيٍّ مُبينٍ، مكوَّنٌ من هذهِ الحروفِ، ولغتكمِ العربيةُ مكوَّنةٌ من هذهِ الحروفِ، وأنتم تُحسنونَ الكلامَ بهذهِ اللغةِ وتزعمونَ أنَّ محمداً ﷺ أَلَفَ القرآنَ من هذهِ الأحرفِ.. فخذوا هذهِ الأحرفَ مفكوكةً مفروَّدةً، ووضَّعوا منها سورةً أو عشرَ سورٍ مثلَ هذا القرآنِ! فإنِ استطعتمُ ذلكَ ثَبَتَ أنَّ القرآنَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ... وإنِ لم تستطيعوا وعجزتمُ عن الإتيانِ بالمطلوبِ ثبتَ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ، ووجبَ عليكمِ تصديقُه والدخولُ في دينه!.

والدليلُ على أنَّ هذا هو الرأيُ الراجحُ، أنَّ الحروفِ المقطَّعةِ الواردةً في بدايةِ بعضِ السورِ أربعةَ عشرَ حرفاً. بعدَ إسقاطِ المكررِ منها، وأنَّ بعضهم جمعها في جملةٍ مفيدةٍ ذاتِ دلالةٍ، وهي: نَصَّ حَكِيمٍ قاطِعٌ لَهُ سِرٌّ.

ومما يُشيرُ إلى هذهِ الدلالةِ والحكمةِ والنتيجةِ من ورودِ الحروفِ المقطَّعةِ في افتتاحياتِ بعضِ السورِ، ورودُ آيةِ التحدي في سورةِ هود؛ وهي مفتتحةٌ بقوله تعالى: ﴿الرَّءِ﴾. وقال اللهُ فيها يتحدَّى المشركين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا قُلُوبَهُمْ فَأَنزَلْنَا سُرَّاتٍ مِّثْلَهُ مَقْرَنَاتٍ وَأَدْعُوا مِنَ اسْتَعْظَمُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣ - ١٤].



هل في القرآن كلام أعجمي؟

وَقَفَّ الفادي أمامَ بعضِ الكلماتِ القرآنيةِ التي ظنَّها أعجميةً، واعتبرَ وجودَها في القرآنِ يتعارضُ مع الآياتِ التي تتحدَّثُ عن عربيةِ القرآنِ، كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَي قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٣٨].

وتساءلَ بخبثٍ قائلاً: «ونحنُ نسألُ: كيفَ يكونُ القرآنُ عربياً مُبيناً، وبه كلماتٌ أعجميةٌ كثيرة، من فارسيةٍ وأشوريةٍ وسريانيةٍ ويونانيةٍ ومصريةٍ وحبشية، وغيرها؟!».

والكلماتُ غيرُ العربية التي ذكرها تسعٌ وعشرون كلمة، ما بين عبريةٍ وفارسيةٍ وأشوريةٍ، ومصريةٍ ويونانيةٍ وأراميةٍ، وسريانيةٍ وحبشيةٍ ولاتينيةٍ.

وقد اختلف العلماءُ في القولِ بوجودِ كلماتٍ أعجميةٍ في القرآن:

- فمنهم مَنْ ذهبَ إلى أنَّ في القرآنِ كلماتٍ كثيرةً بلغاتٍ غيرِ عربيةٍ؛ ففيه كلماتٌ فارسيةٌ وحبشيةٌ وسريانيةٌ وأراميةٌ ويونانيةٌ.

- ومنهم مَنْ نفى وجودَ أيِّ كلمةٍ غيرِ عربيةٍ في القرآن، فكلُّ كلماتِهِ عربيةٌ الأصلُ، حتى أسماءُ الأعلامِ للأشخاصِ والأماكنِ والمواقعِ.

- ومنهم مَنْ تَوَسَّطَ، فقال: كلُّ كلماتِ القرآنِ عربيةٍ، إلاَّ أسماءُ بعضِ الأشخاصِ والأماكنِ والمواقعِ، مثلُ: آدمَ وإبليسَ وإبراهيمَ وإسماعيلَ وفرعونَ ومصرَ.

والراجعُ هو ما ذهبَ إليه الفريقُ الثالثُ، فما في القرآنِ من الكلماتِ الأعجميةِ أسماءُ الأعلامِ فقط، أما غيرُ الأعلامِ فكلُّها كلماتٌ عربيةٌ مشتقةٌ، يمكنُ إعادتها إلى جذورها وأصولها العربيةِ، ويمكنُ تحديدها معناها العربيِ.

ووجودُ بعضِ الأعلامِ الأعجميةِ في القرآنِ لا يتعارضُ معِ عربيةِ القرآنِ، وأنه نَزَلَ بلسانِ عربيٍّ مبین، لأنها كلماتٌ مترجمةٌ إلى العربيةِ، ومسجلةٌ في القرآنِ بحروفٍ عربيةٍ. ومعلومٌ أنَّ أسماءَ الأعلامِ تُنقلُ وتُترجمُ من لغتها الأصليةِ إلى اللغاتِ الأخرى، بحروفِ تلكِ اللغاتِ، وهذا أمرٌ متفقٌ عليه بينَ اللغاتِ.

فالأعلامُ الأعجميةُ هكذا هي في لغاتها الأصليةِ، وهي مترجمةٌ إلى اللغةِ العربيةِ، ومذكورةٌ في القرآنِ بالحروفِ العربيةِ.

ومن أسماءِ الأعلامِ الأعجميةِ في القرآنِ، أسماءُ بعضِ الأنبياءِ: آدمَ،

نوح، لوط، إبراهيم، إسماعيل، زكريا، يحيى... وغيرهم عليهم الصلاة والسلام. وأسماء بعض المواقع، مثل: مصر، والجودي، وأسماء بعض الأشخاص، مثل: إبليس، وفرعون، وودد، وسواع، ويعوث، ويعوق، ونسر. ومن الأسماء الأعجمية التي ذكرها الفادي، والتي نوافقه على أنها أعجمية، لكنها معربة في القرآن بحروف عربية: آدم، وإبراهيم، وتورا، وإنجيل، وفرعون، وهاروت، وماروت.

وأكثر من عشرين كلمة من الكلمات القرآنية التي زعمها الفادي أعجمية هي كلمات عربية، لها جذور وأصول عربية:

أباريق: مشتقة من: بَرُق.. و: أرائك: مشتقة من: أَرَك.. و: إستبرق: مشتقة من: بَرُق.. و: تابوت: مشتقة من: تَبَّت.. و: جهنم: مشتقة من: جَهْم.. و: خَبْر: مشتقة من: خَبِر.. و: حُور: مشتقة من: حَوْر.. و: زكاة: مشتقة من: زَكُو.. و: زنجيل: مشتق من: زَنَج.. و: السَّبْتُ: مشتقة من: سَبْتُ.. و: سَجِيل: مشتقة من: سَجَل.. و: سُرَادِق: مشتقة من: سَرْد.. و: سَكِينَة: مشتقة من: سَكُن.. و: سورة: مشتقة من: سَوْر.. و: صِرَاط: مشتقة من: صَرَط.. و: طاغوت: مشتقة من: طَعُو.. و: عدن: مشتقة من: عَدْن.. و: فِرْدَوْس: مشتقة من: فَرْد.. و: ماعون: مشتقة من: مَعْن.. و: مشكاة: مشتقة من: شَكُو.. و: مقاليد: مشتقة من: قَلْد.. ولفظ الجلالة: الله: مشتق من: أَلَه.



دعوى التناقض في القرآن

ذَكَرَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وتدعو الآية الناس جميعاً إلى تدبر القرآن، وإمعان النظر فيه، وتجزم بأنهم لن يجدوا فيه خطأً أو نقصاً، أو

اختلافاً أو اضطراباً.. . وعدم وجود ذلك فيه دليل على أنه من عند الله، ولو كان من عند غير الله لما سلم من هذه العيوب.

وقد تحدى القرآن الكفار أن يجدوا اختلافاً وتناقضاً فيه، ودعاهم إلى إمعان النظر، وإطالة التدبر.. . واستمر التحدي منذ نزول القرآن على رسول الله ﷺ، وما زال التحدي مستمراً خمسة عشر قرناً، وسيبقى مستمراً حتى قيام الساعة.

ونظر الكفار في القرآن، وتدبروه، وادّعوا أنهم وجدوا فيه اختلافاً وتناقضاً.. . وقدموا ما زعموه.. . وعندما نظر العلماء في ما قدموه وجدوه تافهاً، يمكن الرد عليه بمتهى السهولة.

ومن هؤلاء الكفار الفادي المفتري، الذي ادّعى أنه وجد اختلافاً وتناقضاً كثيراً في القرآن. ولذلك قال بعد أن ذكر الآية السابقة: «ولكننا نجد فيه التناقض الكثير».

ثم سجّل المفتري خمسة عشر موضوعاً في القرآن، ادّعى أن القرآن متناقض في حديثه عن كل واحد منها، وكان يضع عمودين ليبيّن التناقض في القرآن، يجعل في العمود الأول الآيات التي تتحدث عن الموضوع، ويجعل في العمود المقابل الآيات التي تتناقض مع الآيات المقابلة.

والموضوعات التي ادّعى تناقض القرآن في حديثه عنها هي: تبديل وتغيير كلام الله في القرآن. ومقدار اليوم عند الله. ووقوع الشفاعة في الآخرة.. . وعدد أهل الجنة.. . وأي دين هو المقبول عند الله.. . والصفح عن المخالفين.. . والنهي عن الفحشاء.. . والقسم بمكة.. . والنهي عن النفاق.. . والنهي عن الهوى.. . والموقف من الخمر.. . والموقف من الكفار.. . وكيف كانت نهاية فرعون.. . وخلق الأرض والسماء.. . والإحكام والتشابه في القرآن.. . وسوف ننظر في الآيات التي زعمها متناقضة، ونرد زعم التناقض فيها بعون الله.. .

أَوَّلًا: هل يتبدّل كلامُ الله؟:

ذَكَرَ الفادي ثلاثَ آياتٍ تدلُّ على أَنَّ كلامَ الله لا يَتَبَدَّلُ. قال تعالى: ﴿لَا نَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٤٦].. وقال تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ما هو موضوعُ الآية التي أخبرتُ أَنَّهُ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله؟.

آيةُ سورةِ يونس في سياقِ الحديثِ عن حفظِ الله لأوليائه؛ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

المرادُ بكلماتِ الله هنا قَدْرُ الله وإِرَادَتُهُ ومشيئَتُهُ سبحانه، وليس كلامه القرآن الكريم، فالله قَدَّرَ سعادةَ وفوزَ أوليائه المتقين في الدنيا والآخرة، وهذا لا بُدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ، لأنَّ الله هو الذي قَدَّرَهُ وأَرَادَهُ، ولا رادَّ لأمرِهِ، ولا تَبْدِيلَ لِقَدْرِ الله وإِرَادَتِهِ.

وآيةُ سورةِ الكهف تأمُرُ بتلاوةِ القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِلًا﴾ [الكهف: ٢٧].

«مُبَدِّلٌ»: اسمُ فاعلٍ. وهو اسمُ «لا» النافية للجنس. والمرادُ بكلماتِهِ هنا آياتُ القرآنِ وجُمَلُهُ وألفاظُهُ. والتقدير: لا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ المخلوقين على أَنْ يُبَدِّلَ كلماتِ الله، التي أنزلها على رسوله ﷺ.

ومصدقُ هذه الآية ما صرَّحتْ به آيةُ سورةِ الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فيما أَنَّ الله تعهَّدَ بحفظِ كتابه، فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ على أَنْ يُعَيِّرَ أَوْ يُبَدِّلَ فِيهِ».

لِننظر الآن في الآياتِ التي زعمَ الفادي الجاهلُ تعارضها مع هذه

الآياتِ!.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالَوْا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأَنْتَ بَخِيرٌ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا لَمْ نَقْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

هل هذه الآيات متعارضة مع الآيات السابقة؟ وما وجه معارضتها لها؟
الآيات السابقة تقرر أنه لا يقدر أحد من المخلوقين على تبديل كلمات الله،
فهل تقرر هذه الآيات أنه يمكن لأحد من المخلوقين تبديل كلمات الله؟.

آية سورة الرعد لا تتحدث عن آيات القرآن، وإنما تتحدث عن المحو
والإثبات والتغيير والتبديل في قدر الله، وتجعل هذا بيد الله وحده. فالله يمحو
ويغير ما يشاء من قدره، ويثبت ويبقي ما يشاء من قدره، وله الحكمة في ما
يمحو وما يثبت، وعنده أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، الذي جعل فيه كل
ما يريد فعله في هذا الكون، قبل خلق السموات والأرض.

وظن الفادي الجاهل أن المراد بأم الكتاب هنا القرآن كله، أو سورة
الفاتحة، وهذا ظن باطل، فالمراد بأم الكتاب هنا اللوح المحفوظ.

وتحدثت آية سورة البقرة عن النسخ، وتجعله بيد الله وحده سبحانه، فإذا
نسخ الله آية من آيات القرآن، وألغى حكمها، فإنه يأتي بآية أخرى، فيها حكم
خير من حكم الآية المنسوخة، أو هو مثله.

فالله هو الذي ينسخ ما يشاء من أحكام القرآن، أما المخلوق فإنه
يستحيل عليه نسخ أو تبديل القرآن، وكل مسلم يعتقد هذا عن يقين.

وترد آية سورة النحل على اتهامات وإشاعات الكفار، فإذا نسخ الله آية
بآية، وبدل آية مكان آية، اتهم الكفار النبي ﷺ بالتلاعب والتحريف، وقالوا
له: إنما أنت مفتر. . . فترد عليهم الآية بأن النسخ والتبديل لم يصدر عن

رسولِ الله ﷺ. وإنما هو من فعل الله وحده، فالكلامُ كلامُهُ، والأمرُ أمرُهُ، وهو أعلمُ بما يُنزلُ من الآياتِ، وأعلمُ بما يَنسخُ ويبدلُ ويُبقي من الأحكامِ.

ولذلك لما طلبَ الكفارُ من النبي ﷺ تغييرَ القرآنِ أو تبديله، كان يردُّ عليهم بأنه لا يكونُ له ذلك، لأنه متَّبِعٌ لشرعِ الله؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُنذِرَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَأْتِنَا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

فلا تعارضٌ بين الآياتِ التي تنفي إمكانيةَ التبديلِ لكلماتِ الله، وتلك التي تُثبتُ ذلك، لأنَّ كُلَّ مجموعةٍ متوجهةٍ إلى حالةٍ، بتناسقٍ وتوازنٍ وتكاملٍ. الآياتُ التي تنفي التبديلَ متوجهةٌ إلى المخلوقين، فلا يُمكنُ لأيِّ مخلوقٍ - مهما علَّتْ منزلتهُ وعظمتُ قوتهُ - أن يُغيِّرَ أو يُبدلَ كلماتِ الله، سواء كانتْ أقدارَ الله، أو كانت بعضَ آياتِ كتابِهِ.

والآياتُ التي تُخبرُ عن إمكانيةِ تبديلِ آياتِ القرآن، تجعلُ ذلك بيدِ الله وحده، فهو صاحبُ الحقِّ في نسخِ وتبديلِ ما يشاءُ من آياتِهِ، وفقَ ما يعلمُهُ من الحكمةِ، وما يحققُهُ لعبادِهِ من المصلحةِ.

فأينَ التعارضُ والتناقضُ بين الآياتِ؟ المشكلَةُ في جهلِ الفادي المفتري، الذي يصدقُ فيه قولُ الشاعر:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا وَأَقْتُهُ هِيَ الْفَهْمُ السَّقِيمُ

ثانياً: التفاوتُ في مقاديرِ أيامِ الله:

زعمَ الفادي الجاهلُ أنَّ القرآنَ متناقضٌ في حديثهِ عن مقاديرِ الأيامِ عندِ الله، فما مقدارُ اليومِ، هل هو أَلْفُ سنةٍ، أم هو خمسونَ أَلْفَ سنةٍ؟!.

هناك آيةٌ تُخبرُ أنه أَلْفُ سنةٍ؛ قال تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ أَلَمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

وهناك آيةٌ أخرى تُخبرُ أنه خمسونَ أَلْفَ سنةٍ؛ قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿المعارج: ٤﴾.

لا تتحدث الآيتان عن يوم واحد، حتى يُظنَّ التناقض بينهما وإنما تتحدثان عن يومين مختلفين في المقدار: اليوم الأول مقداره ألف سنة مما نَعُدُّه نحن البشر. واليوم الثاني مقداره خمسون ألف سنة.

وحتى نفهم التفاوت بين ذينك اليومين، نتذكّر تفاوت أيامنا في الدنيا، فمن المعلوم أنّ النهار في الشتاء يكون قصيراً، ما بين شروق الشمس وغروبها، لكنّ هذا النهار في الصيف يكون طويلاً قد يزيد سبع ساعات على نهار الشتاء. فإذا كانت أيامنا القصيرة متفاوتة في الطول والمقدار، أفلا تكون الأيام عند الله متفاوتة في ذلك؟.

الذي يَعْرُجُ إلى الله هو الأمر الذي يُدبِّره الله، ويُنزله على الأرض، ويكون عروجه إليه في يوم مقداره ألف سنة، مما يَعُدُّه البشر من السنوات. أما عروج الملائكة والروح إلى الله، فإنه يكون في يوم مقداره خمسون ألف سنة، ليست مما نَعُدُّ من السنوات. ولذلك لم تَقُلْ آية سورة المعارج: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تَعُدُّون. كما قالت آية سورة السجدة!.

إنهما يومان مختلفان، مُتفاوتان في المقدار، وفي كل منهما عروج يختلف عن العروج في اليوم الآخر، فعروج الأمر إلى الله يومه أَقْصَرُ من يوم عروج الملائكة، ولذلك ذُكِرَ عَدُّ سَنَاتِ البشري في اليوم الأَقْصَر، ولم يُذْكَر في اليوم الأطول.

ثالثاً: بين نفي الشفاعة وإثباتها في الآخرة:

نفي القرآن في بعض آياته وجود شفاعة في الآخرة، وأثبتت في آيات أخرى وجودها، فوقع الفادي الجاهل في حيرة، ومن ثم اتهم القرآن بالتناقض. والذي أوصله إلى هذا جهله وحقده، وتحامله على القرآن.

من الآيات التي نَفَت الشفاعة عن غير الله، وقصرتها عليه وحده

سبحانه، قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]. فالشفاعةُ لله وحده، وهي بيد الله وحده، هو المالكُ لها وللشَّيْرِ، وللسمواتِ والأرضِ، وللدنيا والآخرة.

ومنها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وبعدما سجَّلَ الفادي الجاهلُ الآيتين، سجَّلَ آيةً كريمةً اعتَبَرَهَا مُصرحةً بالشفاعة؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [يونس: ٣].

هل تتناقضُ الآيةُ الثالثةُ مع الآيتين السابقتين؟ لا أدري كيف يفهمُ الفادي الجاهلُ القرآن؟ وما علَّمه باللغة العربية لغة القرآن؟.

آيةُ سورة الزمرِ تجعلُ الشفاعةَ لله وحده: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾. ومن معاني قَصْرِهَا على الله، أنه لا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ سبحانه، لأنَّ الأمرَ أمرُه سبحانه، ولا سلطانَ لأحدٍ مع سُلْطَانِهِ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهذا ما تُقَرِّرُهُ الآيةُ الثانيةُ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾، فإذا أذِنَ اللهُ للشَّيْفِيعِ فإنه يَشْفَعُ، وإذا لم يَأْذُنْ له فإنه لا يُمكنُ أن يَشْفَعُ، سواءً كان في الدنيا أو في الآخرة.

وجاءت الآيةُ الثالثةُ مُؤَكِّدَةً لما قَرَّرَتْهُ الآيةُ الثانيةُ: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، فلا يَشْفَعُ أَيُّ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذُنَ اللهُ له.

أينَ التناقضُ بين قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]؟ ألا تَلْتَقِي الآيتانِ على تقريرِ الحقيقةِ المتعلقةِ بالشفاعة؛ وهي أنه لا يَشْفَعُ أَحَدٌ لأحدٍ في الدنيا وفي الآخرةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ؟!.

وقررت آية الكرسي نفس الحقيقة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهكذا نفهم نفي الشفاعة عن الكافرين، الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٥) وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿ [الشعراء: ١٠٠ - ١٠١]. وقوله تعالى الذي يقرر أنه لا يشفع الشافع إلا بأمر الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

رابعاً: هل أهل الجنة قليلون أم كثيرون؟:

زَعَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ أَنَّ حَدِيثَ الْقُرْآنِ عَنْ عَدَدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَنَاقِضٌ، تَنَاقُضٌ - فِي نَظَرِهِ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿ [الواقعة: ١٣ - ١٤]، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿ [الواقعة: ٣٩ - ٤٠].

لننظر: هل تتناقض الآيات مع بعضها؟.

مَنْ هُمْ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾؟ وَمَنْ هُمْ ﴿وَتُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾؟ وَهَلْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ كُلُّهُمْ صِنْفٌ وَاحِدٌ؟.

أخبرت آيات سورة الواقعة أن الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال؛ قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مِمَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ [الواقعة: ٧ - ١٠].

أصحاب المشامة هم أصحاب الشمال، وهم الكفار في جهنم؛ قال الله عنهم: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (١١) فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿ [الواقعة: ٤١ - ٤٢].

أما السابقون وأصحاب اليمين فهم المؤمنون في الجنة، وهما صنفان متفاوتان في منازل الجنة: السابقون المقربون في أعلى منازل الجنة، وأصحاب اليمين في أوسط منازل الجنة.

قال الله عن الصنف الأول: السابقين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿ [الواقعة: ١٠ - ١٤].

وقال الله عن الصنف الثاني: أصحاب اليمين: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مِمَّا أَصْحَابُ

الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
 وَفَكَهَتْ كَثِيرَةً ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴿٣٣﴾ وَفُرشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾
 فَعَلَّمْنَهُنَّ أَكْبَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَثْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ
 الْآخِرِينَ ﴿[الواقعة: ٢٧ - ٤٠].﴾

معنى «ثلاثة»: مجموعة. والمراد بالأولين: أصحاب رسول الله ﷺ على أنهم أفضل جيل من أجيال المسلمين. والمراد بالآخرين الأجيال المتأخرة من المسلمين.

السابقون المقربون أكثرهم من الأولين، وقليل منهم من الآخرين: ﴿ثلاثة﴾ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾.

أما الصنف الثاني أصحاب اليمين، فكثير منهم من الأولين السابقين، وكثير من الآخرين المتأخرين: ﴿ثلاثة﴾ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾. إن الفادي الجاهل غيبي، لا يحسن فهم القرآن، ولذلك قال بالتناقض، وزال هذا التناقض المزعوم، بمعرفة من تتحدث عنهم كل مجموعة من الآيات.

خامساً: هل اليهود والنصارى مؤمنون؟:

زعم الفادي أن القرآن متناقض في حديثه عن اليهود والنصارى، فاعتبرهم مرة مؤمنين، واعتبرهم مرة كافرين.

اعتبرهم مؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

واعتبرهم كافرين، عندما اعتبر الإسلام وحده هو الدين المقبول عند الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهل تناقض القرآن في حديثه عن اليهود والنصارى؟ الجواب بالنفي..

صَرَخَ الْقُرْآنُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ وَحْدَهُ
الِدِينُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا معناه أن أي دين آخر غير الإسلام لا يُقبل من صاحبه، أي أنه
كافرٌ مخلدٌ في نار جهنم؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولم يُصرح القرآن بأن اليهود والنصارى مؤمنون حتى نتهمه بالتعارض.
والآية التي أوردتها الفادي أخطأ - كعادته - في فهمها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾؛ ﴿الَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾: المراد بهم أمة محمد ﷺ. و﴿الَّذِينَ﴾: في محل نصب اسم «إن». و
خبر «إن» محذوف. والتقدير: إن المؤمنين فائزون مخلدون في الجنة.

والواو في ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: حرف استئناف. وبعدها جملة استئنافية
جديدة. ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾: في محل رفع مبتدأ. ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: معطوف على
المبتدأ مرفوع. ﴿وَالنَّصَارَى﴾: معطوف عليه مرفوع أيضاً. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾:
في محل رفع خبر. والتقدير: واليهود والصابئون والنصارى المؤمن بالله واليوم
الآخر منهم هو المقبول عند الله.

إنهما جملتان مستقلتان إذن: الجملة الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي:
إن المؤمنين مقبولون. والجملة الثانية: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ...﴾ أي: إن المقبول من هذه الأصناف الثلاثة هو المؤمن بالله
واليوم الآخر، فإن لم يكن مؤمناً بالله واليوم الآخر لم يُقبل منه شيء.

ومتى يكون اليهودي والنصراني والصابئي مؤمناً بالله واليوم الآخر؟ لا
يكون كذلك إلا إذا آمن بأركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته،
وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره... لأن الإيمان لا يُقبل
التجزئة، وتحقيق بعضه وإنكار بعضه.

وهذا معناه أنه يجب على كل واحدٍ من الطوائف الثلاثة الإيمان بكل الرسل، وعلى رأسهم محمد ﷺ، كما أنه يجب عليه الإيمان بكل الكتب، وفي مقدمتها القرآن؛ فإن آمنَ بذلك يجبُ عليه الدخولُ في الإسلام، وإن لم يدخل في الإسلام لم يكن مؤمناً بالله واليوم الآخر حقاً!! فلا تعارض بين الآيتين.

سادساً: بين الأمر بالصفح والأمر بالغلظة:

يرى الفادي الجاهل أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصَّحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] يتناقض مع قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَمَنْ أَلْمَصِرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

ووجهُ التناقضِ بينهما عنده أن آية سورة الحجر تأمر النبي ﷺ بالصفح الجميل عن الكفار، وآية سورة التوبة تأمره بالغلظة على الكفار والمنافقين وجهادهم، وهذا إلغاء لآية الحجر.

إنَّ الأمرَ بالصفح لا يتناقض مع الأمر بالجهاد، لأنَّ الصَّفْحَ عن صنفٍ من الكفار، والجهادَ لصنفٍ آخر من الكفار.

الصفحُ عن كفارٍ مُسلمين، لا يتأمرُونَ على المسلمين، ولا يُحاربُونَ دينهم، فهؤلاء تجب دعوتهم للإسلام، فإن لم يلبّوا الدعوة، وأصرّوا على كفرهم، وانصرفوا إلى أنفسهم، يصفح عنهم المسلمون ويتركونهم. هذا ما تقرره آية سورة الحجر: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصَّحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وما تقرره آية سورة الزخرف: ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصَّحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨ - ٨٩].

ثم إنَّ الصَّفْحَ عن الكفار كان في العهد المكي، حيثُ كان المؤمنون مأمورين بكف أيديهم، وعدم قتال الكفار، لكن بعد الهجرة أذن الله لهم بالقتال، وأمرهم بجهادهم والغلظة عليهم. فالأمر بالصفح موقوفٌ بوقت، وعندما ينتهي ذلك الوقت، يأتي الأمر بالجهاد. وهذا صريح في قوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُتِنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالعفو والصفح مستمران إلى أن يأتي الله بأمره، فيأمر المسلمين بأمرٍ جديد، وهو الجهاد والقتال! .

أما الأمرُ بجهادِ الكفارِ والمنافقين، والغلظةِ عليهم فيه، فهذا موجهٌ ضدَّ صنفٍ آخَرَ من المنافقين والكافرين، وهم أولئك الحاقدون المتآمرون على المسلمين، الذين يُحاربونهم ويهاجمون دينهم.

وبذلك نجمعُ بين الأمرِ بالصفح والأمرِ بالغلظةِ في الجهاد، بأنَّ يوجَّهَ كُلُّ أَمْرٍ إلى صنف، ذي صفاتٍ خاصة، تختلفُ عن صفاتِ الصنفِ الآخر، وتقييدِ أَحَدِ الأمرين بزمانٍ وعهدٍ خاصٍّ، فإذا اختلفَ الزمانُ أو المكانُ أو الأشخاصُ فلا تناقضٌ بين الأمرِ بالصلح والأمرِ بالجهاد!! .

سابعاً: هل يأمر الله بالفحشاء؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ تناقضَ في حديثه عن الفحشاء، فهو يُخبرُ أَنَّ الله لا يأمرُ بالفحشاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وهو يُثبتُ الأمرَ بالفحشاءِ لله؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِّنْ أُمَّةٍ فَوَضَعْنَا لَهُمْ آيَاتٍ فَتَوَلَّوْا بِهَا بِغَيْرِ حَسَابٍ﴾ [الإسراء: ١٦].

وليس الأمرُ كما فهمه الجاهل، فمن المعلوم أن الله لا يأمرُ بالفحشاء. وهذا ما صرَّحت به آيةُ سورة الأعراف، حيث رَدَّتْ على أكاذيبِ الكافرين، فعندما كانوا يفعلون الفاحشة كانوا يقولون: الله أمرنا بها، ويرضاها منا، ولو لم يرضاها منا ولم يأمرنا بها لأهلكنا عندما فعلناها! فكذبهم الله بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأعراف: ٢٨].

لقد حَرَّمَ اللهُ الفحشاء، فكيف يُأْمَرُ بها، والله لا يُأْمَرُ إِلَّا بِالْقِسْطِ
والخَيْرِ، ولذلك قَالَ في الآية التالية: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ
كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

أما آية سورة الإسراء فلا تَدُلُّ على أَنَّ الله يُأْمَرُ بالفحشاء، ولا تَتَنَاقَضُ
مع آية سورة الأعراف، وإنما تَلْتَقِي معها في تقريرِ أمرِ الله بالخير والقسط،
ونهيهِ عن الشرِّ والفحشاء.

بماذا يُأْمَرُ اللهُ المترفين؟ هل يُأْمَرُهُم بالفسق والفحشاء؟: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ
نُهْلِكَ قَوْمًا فَرَيْنَا مُرْفِهِا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

يَسْتَحِيلُ أَنْ يُأْمَرَ اللهُ المترفين بالفسق والفحشاء، لأنه سبحانه لا يُأْمَرُ
بالفحشاء! وفي قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ كلامٌ مُقَدَّرٌ، يَفْتَضِيهِ السِّياقُ
والمعنى. والتقديرُ: أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا بالطاعة، فَعَصَوْا أَمْرَنَا وَفَسَقُوا فِيهَا، وبذلك
حَقَّ عليهم القولُ والحكمُ والعذاب، فأهلكناهم ودمرناهم.

ومن المعلوم أَنَّ القرآنَ المعجزَ قد يَحذفُ بعضَ الكلماتِ من تعبيره قَصْداً،
حتى يُفَكِّرَ فيه المتدبرون، ويُقدِّروا الكلامَ الذي يَفْتَضِيهِ السِّياقُ، ولا يأخذوا الأمرَ
على ظاهره.. وهذا معنى لا يدركه الفادي الجاهلُ، المحجوبُ عن القرآن.

ثامناً: حول القسم بالبلد الأمين:

التَّبَسُّ على الفادي الجاهلِ قَسَمُ القرآنِ بِالْبَلَدِ الأَمِينِ مكة المكرمة، فَظَنَّ
القرآنَ متناقضاً، لأنه لا يَقْسُمُ به في موضع، ويُقسَمُ به في موضع آخر!

فهم قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ نفيًا للقَسَمِ به، واعتبره مُناقِضاً
للقَسَمِ الصَّرِيحِ به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ١ - ٤].

في سورة التينِ قَسَمٌ صَرِيحٌ بِالْبَلَدِ الأَمِينِ، حيثُ أَقْسَمَ اللهُ بأربعة أشياء:
التين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين. والمقسَمُ عليه الإنسانُ، الذي
خَلَقَهُ اللهُ في أَحْسَنِ تَقْوِيمِ، ثم رَدَّهُ أَسْفَلَ سافلين.

وفي سورة البلدِ قَسَمٌ أَيْضاً، لَكِنَّهُ قَسَمٌ بِأَسْلُوبٍ آخَرَ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾. إِنَّ هَذَا لَيْسَ نَفِيًّا لِلْقَسَمِ كَمَا فَهَمَهُ الْفَادِي الْجَاهِلُ، إِنَّمَا هُوَ تَوْكِيدٌ لِلْقَسَمِ. و«لا» هنا لَيْسَتْ حَرْفَ نَفْيٍ فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا هِيَ لِلتَّوَكِيدِ، مِنْ بَابِ التَّلْوِيحِ بِالْقَسَمِ. وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَجْعَلْنِي أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، فَالْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى قَسَمٍ. وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْقَسَمِ مِمَّا لَوْ قَالَ: أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ.

تاسعاً: حول المنافقين:

لم يُوضَّحِ الْفَادِي الْجَاهِلُ: «التناقض التاسع» الذي سَجَّلَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَذَكَرَ عَمُودَيْنِ: الْأَوَّلَ سَمَّاهُ «النهي عن النفاق»، والثاني سَمَّاهُ «الإكراه على النفاق».

وَسَجَّلَ فِي الْعَمُودِ الْأَوَّلِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُوتُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].

كَمَا سَجَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْأَسْفِسُونَ﴾ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧ - ٦٨].

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي سَجَّلَهَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُنَافِقِينَ، وَوَعِيدٌ لَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَعَرَضُ بَعْضِ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ الْقَبِيحَةِ.

وَسَجَّلَ فِي الْعَمُودِ الثَّانِي الَّذِي سَمَّاهُ «الإكراه على النفاق» قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْنَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وَلَا حَدِيثٌ فِي الْآيَةِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، إِنَّمَا تَحَدَّثَتْ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَكُفَّرَهُمْ بِاللَّهِ، وَنَسَبْتَهُمْ إِلَى اللَّهِ الْوَالِدِ، مِضَاهَاةً وَتَقْلِيداً لِأَقْوَالِ الْكَافِرِينَ مِنْ

قبلهم . فكيف اعتبر الفادي الجاهل الآية من باب «الإكراه على النفاق»؟! وما مقصوده بهذا العنوان؟ هل يقصد أن الله يُكره اليهود والنصارى على النفاق إكراهاً، ويأمرهم به أمراً؟ وهل الآية تتحدث عن ذلك؟ لا أدري كيف يفكر هذا الجاهل، وكيف يتقد القرآن!! .

ثم سجل قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] . والآية لا تتحدث عن المنافقين، وإنما تتحدث عن إهلاك وتدمير السابقين من الكافرين.. فأين الإكراه على النفاق في كلمات الآية؟! .

كلام الفادي الجاهل حول التناقض التاسع غير واضح، فضلاً عن أنه باطل، لأنه لا تناقض في القرآن، ولا تناقض بين الآيات التي زعم هو تناقضها .

عاشراً: بين النهي عن الهوى وإباحته:

افتري الفادي المفترى على القرآن، وعلى رسول الله ﷺ، وعلى المسلمين، فزعم أن القرآن تناقض بين تحريم الهوى وإباحته، وزعم أن محمداً ﷺ كان يتبع هواه وشهوته .

أثنى الله على الصالح الملتزم الذي نهى نفسه عن هواها؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] .

وبعد أن أورد المفترى الآية زعم أن النبي ﷺ كان أول من خالفها، لأنه اتبع هواه، وأباح ذلك لأصحابه!! .

أ - قال المفترى: «أباح محمد لأتباعه القيام بالغارات الدينية، والدخول على الأسيرات دون تطليقهن من أزواجهن، فقال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].. قال البيضاوي: إلا ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين، ولهن أزواج كفار، فهن حلال للساين، والزواج مرتفع بالسبي،

لقول أبي سعيد رضي الله عنه: أَصَبْنَا سَبَايَا يَوْمَ أَوْطَاسٍ، وَلَهَنَّا أَرْوَاجَ كُفَّارٍ، فَكَّرْهُنَا أَنْ نَقَعَ عَلَيْهِنَ، فَسَأَلْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَنَزَلَتِ الْآيَةُ فَاسْتَحَلَلْنَاهُنَّ. وَإِيَّاهُ عَنِ الْفِرْزَدِقِ بقوله:

وَذَاتُ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلَالٌ لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ^(١)
الفادي خبيثٌ مُغْرَضٌ فِي قَوْلِهِ: «أَبَاحَ مُحَمَّدٌ لِأَتْبَاعِهِ الْقِيَامَ بِالْغَارَاتِ
الِدِينِيَّةِ» لِأَنَّهُ يَجْعَلُ الصَّحَابَةَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْعَصَابَاتِ وَقُطَاعِ الطَّرِيقِ، يُغَيِّرُونَ
عَلَى الْآمِنِينَ الْمَسَالِمِينَ، وَيَجْعَلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَلْبًا وَنَهْبًا وَقَطْعًا
لِلطَّرِيقِ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ كَانُوا يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُقَاتِلُونَ
الْمُحَارِبِينَ لَهُمْ، وَالظَّالِمِينَ فِيهِمْ.

والفادي كاذبٌ مُفْتَرٍ فِي قَوْلِهِ: «وَالدُّخُولَ عَلَى الْأَسِيرَاتِ دُونَ تَطْلِيقِهِنَّ
مِنْ أَرْوَاجِهِنَّ»، فَقَالَ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾!! وَلَمْ يَقُلْ
ذَلِكَ أَيُّ مَذْهَبٍ إِسْلَامِيٍّ، وَلَا أَيُّ عَالَمٍ مُسْلِمٍ مُعْتَبَرٍ.

الْأَسِيرَاتُ هُنَّ النِّسَاءُ الْكَافِرَاتُ الْمَحَارِبَاتُ، اللَّوَاتِي يَخْرُجْنَ مَعَ الرِّجَالِ
الْكُفَّارِ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَعِنْدَمَا تَنْتَهِي الْمَعْرَكَةُ بِهَزِيمَةِ الْكُفَّارِ، تَقْعُ بَعْضُ
أَوْلِيئِكَ النِّسَاءِ الْمَحَارِبَاتِ فِي السَّبْيِ، فَهِنَّ سَبَايَا، وَلَسْنَ «أَسِيرَاتٍ» كَمَا ادَّعَى
الْمُفْتَرِي الْفَادِي؛ لِأَنَّ لِلْأَسِيرِ الْكَافِرِ الْمَحَارِبِ أَحْكَامًا خَاصَةً، غَيْرَ أَحْكَامِ
السَّبَايَا.

عِنْدَمَا يَأْخُذُ الْمُسْلِمُونَ هَذِهِ النِّسَاءَ الْمَقَاتِلَاتِ سَبَايَا، مَاذَا يَرِيدُ الْفَادِي
الْمُفْتَرِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَصَرَّفُوا مَعَهُنَّ؟ هَلْ يَعِيدُونَهُنَّ إِلَى الْجَيْشِ الْكَافِرِ
مَجَنَّدَاتٍ فِيهِ، لِيُعَدَّنَ إِلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَدِيدٍ؟.

الْإِسْلَامُ اعْتَبَرَهُنَّ سَبَايَا، وَبِمَا أَنَّهُنَّ لَيْسَ لَهُنَّ أَهْلٌ، فَلَنْ يُتْرَكْنَ «عَلَى
رُؤُوسِهِنَّ» فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، يَنْشُرْنَ الْفَاحِشَةَ وَالْفُسَادَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤَزَّعَنَّ عَلَى
الْمُجَاهِدِينَ، بِحَيْثُ يُؤْوِي الْمُجَاهِدُ السَّيِّئَةَ، وَيَتَكْفَلُ بِأُمُورِهَا وَحَاجَاتِهَا.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٠.

وهذه السبيّة تكون ملكاً له، لأنه سيدها والمسؤول عنها، ولذلك أطلق عليها القرآن ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وهو يُلبّي لها حاجاتها الجنسية بالإضافة إلى باقي حاجاتها.

لكن متى يُعاشر المسلم سبيته؟ ليس بمجرد حصوله عليها، ولكن بعد أن «تحيض» حيضةً عنده، وذلك «لاستبراء» رحمها، لأنّ مجيء الدورة الشهرية لها معناها أنها ليست حاملاً من زوجها الكافر، فإن كانت «حاملًا» لا يُعاشرها سيدها إلا بعد ولادتها.

وبهذا نعرف كذب الفادي المفتري عندما قال: «أباح محمد لأتباعه الدخول على الأسيرات دون تطليقهن من أزواجهن». فالمسلم لا يُعاشر أُمَّته إلا بعد حيضتها. ومعلوم أنّ وقوعها في السبي - وهي المحاربة للمسلمين - يُنهي علاقتها بزوجها الكافر، ولا تحتاج إلى تطليق منه!

وهذا معنى كلام البيضاوي: «ما ملكت أيمانكم، من اللاتي سبين ولهنّ أزواج كُفار، فهنّ حلالٌ للسّابين، والزواج مرتفعٌ بالسبي».

ونزول الآية في سبايا «أوطاس» كما ذكر البيضاوي صحيح. روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أصابوا سباياً يوم أوطاس، لهنّ أزواج من أهل الشرك، فكان أناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كفّوا وتأثّموا من غشيانهنّ، فنزلت هذه الآية.

وروى الترمذي الحادثة بلفظ آخر، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أصبنا سباياً من سبي أوطاس، ولهنّ أزواج، فكربنا أن نقع عليهنّ ولهنّ أزواج، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله، فنزلت هذه الآية...

وكانت غزوة أوطاس في السنة الثامنة من الهجرة بعد غزوة حنين، وقد هُزم فيها جيش المشركين، ووقعت بعض المشركات المحاربات في الأسر، فأخذهنّ المسلمون سبايا، ووزعهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على المجاهدين، وكان بعضهنّ متزوجات من المشركين، فتحرّج بعض المسلمين عن معاشرتهن، ولما

سألوا رسولَ الله ﷺ أباَحَ لهم معاشرتهن، وأنزلَ اللهُ الآيةَ في إباحة ذلك، وهذا بعدَ استبرائهن، بأنَّ تحيضَ الأمةُ عندَ سيدها حيضةً، ويثبتَ له عدمُ حملها.

ومعنى هذا أنَّ وقوعَ الكافرةِ المقاتلةِ في السَّبِي يُنهي زواجها من زوجها الكافر، لكنها لا تحلُّ لسَيِّدها إلا بعدَ استبرائها وحيضها عنده. ولذلك قال ابنُ كثيرٍ في تفسير الآية: «إلا ما ملكتُ أئمانكم: إلا ما ملكتموهن بالسَّبِي، فإنه يحلُّ لكم وطؤهنَّ، إذا استبرأتموهن»^(١).

وبهذا نعرفُ أنَّ ما فعله الصحابةُ بالسبايا يومَ أوطاس اتِّباعٌ لشرعِ الله، وليس اتِّباعاً للهوى، كما زعمَ المفتري! وكان الصحابةُ مُحارِبِينَ لأهوائهم، نهوا نفوسهم عن الهوى، كما أمرهم اللهُ سبحانه.

ب - افترى الفادي على رسولِ الله ﷺ، عندما قال: إنه كان متَّبِعاً للهواه وشهوته؛ وذلك في قوله الفاجر: «أباحَ محمدُ الزواجَ بأيِّ مَنْ تهوَّاهُ ويهواها، بلا قيدٍ أو شرطٍ، فوقَ زوجاته العديداً، وفوقَ ما ملكتُ يمينه، فقال: ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]».

زعمَ الفادي أنَّ القرآنَ من تأليفِ وكلامِ محمدٍ ﷺ، وليس وحياً من عندِ الله، ولذلك نَسَبَ الآيةَ من سورةِ الأحزابِ إليه، وليسَ إلى الله، وأسندَ الحكمَ الذي فيها إليه، وليسَ إلى الله، فقال: أباحَ محمدٌ لنفسه الزواجَ...

وانظرُ إلى وقاحتِهِ وسوءِ أدبه وفجوره، وهو يتكلَّمُ عن رسولِ الله ﷺ: «أباحَ محمدُ الزواجَ بأيِّ مَنْ تهوَّاهُ ويهواها بلا قيدٍ أو شرطٍ...». ونزعه حبيبتنا محمداً ﷺ عن هذا الكلامِ السوقيِّ الساقطِ، فكيف يُتَّهَمُ بأنه يهوى ويَعشَقُ امرأةً ليستَ زوجاً له؟ وكيف تهوَّاهُ وتعشقه امرأةٌ أجنبيةٌ عنه؟!.

وما أباَحته الآيةُ له ليس اتِّباعاً للهوى والشهوة، إنما هي حالةٌ خاصة،

(١) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/١.

في امرأة خاصة واحدة، لم تتكرر له ولا لغيره: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: إني لفي القوم عند رسول الله ﷺ إذ قامت امرأة، فقالت: يا رسول الله! إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فلم يجبها شيئاً. ثم قامت فقالت: يا رسول الله! إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فلم يجبها شيئاً. ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فقام رجل فقال: يا رسول الله: أنكحنيها. فقال: هل عندك من شيء؟ قال: لا. قال: اذهب فاطلب ولو خاتماً من حديد. فذهب وطلب، ثم جاء فقال: ما وجدت شيئاً، ولا خاتماً من حديد! قال: هل معك من القرآن شيء؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا. قال: أنكحتكها بما معك من القرآن!.

هذه المرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ، بمعنى أنها فوّضت أمرها إليه، لأنه إمام المسلمين، وهو أولى بهم من أنفسهم، وصرّح القرآن بذلك، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

عندما فوّضت أمرها إليه قالت له: فر فيها رأيك! وليس معنى هذا أنها رمت نفسها عليه، وأنها هويته وعشقتة، وطلبت منه أن يتزوجها، إنما فوّضته في التصرف المناسب، وأعادت عليه الكلام ثلاث مرات، فطلب رجل من المسلمين أن يزوجه إياها، لأنه ولي أمرها، فطلبها منه كما يطلب أي خاطب البنت من أبيها، فزوجها له بما معه من القرآن!.

أين هذا من اتهام الفادي المفترى الرسول ﷺ بالهوى والشهوة، وهو لم يتزوج تلك المرأة، إنما تزوجها لأحد أصحابه؟.

ج - استدلل الفادي المفترى على أن المسلمين متبعون لأهوائهم وشهواتهم: بأن النبي ﷺ وعدهم بالاستمتاع الجنسي بالحوار العين في الجنة! قال: «كما أن محمداً جعل نكاح النساء أملاً المستقبل في الجنة، فقال: ﴿حُرٌّ

مَفْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٧٦﴾ . . لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْنُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٦﴾ . . مُتَكِينٍ عَلَى رَفْرَفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ [الرحمن: ٧٢، ٧٤، ٧٦].

الفادي وأهل ملته يؤمنون بأنَّ نعيم الجنة معنوي وليس مادياً، فليس في الجنة طعامٌ ولا شرابٌ ولا استمتاعٌ بالنساء! ولذلك اعتبر حديث القرآن عن نساء الجنة من باب إغراء المسلمين بذلك، لأنهم مُتَّبِعُونَ للهوى.

أما نحن المسلمين فإننا نؤمنُ أنَّ نعيم الجنة مادي ومعنوي، فيها طعامٌ وشرابٌ واستمتاعٌ بالنساء، وفيها قُصُورٌ وأثاث، وأرائكٌ ولباس، وفيها بساتينٌ وجنات، وفيها فوقَ هذا كُلُّه رضوانٌ من الله عليهم، وسعادةٌ غامرةٌ تملأ حياتهم؛ قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وهم لم يدخلوا الجنة إلا بعدما صدقوا مع الله في الدنيا، وأحسنوا عبادته، ونهوا نفوسهم عن الهوى والشهوة في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

أحد عشر: التناقض في الخمر بين الحل والحرمة:

كيف حَرَّمَ اللهُ الخمرَ في الدنيا، وأباحها للمؤمنين في الجنة؟ اعتبر الفادي هذا تناقضاً في القرآن.

ذَكَرَ الآيَةَ التي حَرَّمَ الخمرَ في الدنيا؛ وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وَذَكَرَ مُقَابِلَهَا الآيَةَ التي أَباحت الخمرَ في الآخرة، وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى . . .﴾ [محمد: ١٥]. وذكر بجانبها قوله تعالى عن شرب المؤمنين الخمر في الجنة، وهي قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُمٍ ﴿٢٥﴾ حِثْمُهُمْ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥ - ٢٦].

ولا تناقض بين حديث القرآن عن حرمة الخمر في الدنيا وإباحتها في الآخرة، لأنَّ خمر الدنيا ليست كخمر الجنة. خمر الدنيا من أسلحة الشيطان في إغواء وإفساد الناس، وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وخمر الدنيا تذهب بعقول شاربيها، فعندما يسكرون يفقدون السيطرة على أقوالهم وأفعالهم، ولذلك حرّمها الله على الناس.

وخمر الجنة منزّهة عن هذه العيوب والمفاسد، فلا سلطان للشيطان عليها في الجنة، وهي لا تغتال عقول شاربيها المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِيِّنَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ - ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَحَوْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِنَّ﴾ [الطور: ٢٢ - ٢٣].

فالخمر السيئة التي حرّمها الله في الدنيا أمّ الخبائث، وهي غير الخمر الطيبة التي أباحها الله للمؤمنين في الجنة. فلا تناقض بين حرمة هذه وإباحة تلك!!.

ثاني عشر: بين النهي عن إيذاء الكفار والأمر بقتالهم:

زعم الفادي الجاهل أنّ القرآن متناقض في حديثه عن الكافرين، وفي توجيه المسلمين إلى كيفية التعامل معهم، فأورد خمس آيات تنهى عن إيذاء الكفار، وتأمّر المسلمين بحسن معاملتهم، وأورد في مقابلها خمس آيات تتناقض معها، وتأمّر المسلمين بقتال الكفار وقتلهم:

أ - نهى الله النبي ﷺ عن إيذاء الكفار؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

الآية محكمة، وهي تنهى عن إيذاء الكافرين والمنافقين، صحيح، لكن من هم الذين تنهى الآية عن إيذائهم، إنهم الكافرون والمنافقون الذين لا

يُؤذونَ المسلمين، ولا يتآمرونَ عليهم، ولا يُحاربونهم، وإنما هم مُؤادِعونَ مُسالمونَ ساكتون، ومن المعلومُ أنَّ إيذاءَ المسالمِ الساكنِ عدوانٌ عليه، وهذا محرمٌ في الإسلام.

ولا ننسى أنَّ الآيةَ التي نهتُ عن إيذاءِ الكافرينَ والمنافقين، نهتُ أيضاً عن طاعتهم ومتابعتهم وموافقتهم على باطلهم، ولا بُدَّ أنْ نجمعَ بينَ جملتي الآية، ولا يجوزُ أنْ نُلغيَ الجملةَ الأولى ونُبقيَ الجملةَ الثانيةَ: ﴿وَلَا تُطِيعُوا الْكٰفِرِينَ وَالمُنٰفِقِينَ وَدَعُوا اٰذَنَهُمْ﴾.

ب - أوردَ الآيةَ التي تنهى عن الإكراه في الدين؛ قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

تنهى الآيةُ إكراهَ أي كافرٍ على الدخولِ في الدينِ الإسلامي، لأنَّ الدخولَ في الإسلام لا بُدَّ أنْ يكونَ عن اقتناع. لكن لا يعني هذا أن لا ندعوه للإسلام، فلا بُدَّ أنْ نُفَرِّقَ بين الدعوة والإكراه... يجبُ علينا أنْ ندعوَ كُلَّ كافرٍ للدخولِ في الإسلام، مهما كان دينه، لأنَّ الإسلامَ دعوةٌ للعالمين جميعاً. وعندما نوجِّهُ له الدعوةَ نكون قد أدَّينا الواجبَ الذي علينا، فإن استجابَ للدعوة واعتنقَ الإسلامَ، فازَ وأفلحَ، وإن رفضَ الدعوةَ وأصرَّ على كفره كان من الخاسرين، ونحن لا نُكرهُه على الإسلام، ولا نُؤذيه ليُكفره طالما هو متوقِّفٌ عن إيذائنا، فإن آذانا دَفَعْنَا الإيذاء.

ج - أوردَ الآيةَ التي تُرشِدنا إلى مساعدةِ الكفارِ مالياً؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَنفُسِكُمْ وَجِهَ اللَّهُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ليس علينا هدى الكفار، لكن بعدَ أنْ نُوجِّهَ لهم الدعوةَ، ونُقدِّمَ لهم المساعدةَ الماليةَ إذا كانوا محتاجين، ولهذا بعدَ أنْ يُعْلِنوا خُضوعَهم لسلطانِ

المسلمين، بدفع الجزية، ويكفوا أيديهم عن إيذاء المسلمين.

ومن روائع ما يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى نصرانياً عجوزاً هَرِمًا محتاجاً، فأمر بإعطائه مساعدةً من بيت مال المسلمين، وقال: ما رحمنا الرجل إذا أخذنا منه المال - الجزية - شاباً، وتخلينا عنه وهو هَرِم!.

د - زعم الفادي أن الله أمر المسلمين بترك الكفار وشأنهم، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَاسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَسَلَّمُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وهذا استدلالٌ باطلٌ، فإن الآية صريحةٌ في دعوتهم للدخول في الإسلام؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَاسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَسَلَّمُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾.

إنه لا يتركهم وشأنهم، وإنما يُحاجُّهم ويُحاجُّونه، ويكلِّمهم ويكلِّمونه، فإن لم يستجيبوا له صارحهم بإسلامه، وهو يدعوهم دعوةً صريحةً للدخول في الإسلام: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَاسَلَّمْتُمْ﴾.

فإن رَفَضُوا الدعوةَ وأَصْرُوا على الكفر، أَيْقَنَّا أنهم كافرون خاسرون هالكون، وإن كَفُّوا أيديهم عن إيذائنا تركناهم وشأنهم.

واستدل أيضاً على ترك الكافرين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وهذا استدلالٌ باطلٌ أيضاً، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورٌ بتبليغ الكفار الدعوة، وإقامة الحجة عليهم، فإن رَفَضُوا الدعوةَ تركهم وشأنهم، ويكون قد قام بواجبه، ولم يجعله الله حفيظاً ولا وكيلاً عليهم، ولم يأمره بقذف الإيمان في قلوبهم، لأن هذا بيد الله.

واستدل الفادي الجاهلُ أيضاً على وجوب ترك الكافرين وشأنهم بقوله

تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٩٩ - ١٠٠].

لا تنفي الآية وجوب دعوة الكفار للإسلام، فإن هذا واجب على الدعوة، إنما تنفي إكراه الكفار على الإيمان، لأنه لا إكراه في الدين، وبعد تبليغ الدعوة وإقامة الحجة يترك الكفار وشأنهم.

هـ - أمر الله المسلمين بدعوة الكفار إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأورد الفادي قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والآية محكمة، وتوضح لنا أسلوب الدعوة، وكيفية التعامل مع الآخرين، وتقديم الدعوة لهم، وإقامة الحجة عليهم.

وأورد الفادي المفترى خمس مجموعات من الآيات، اعتبرها متناقضة مع المجموعات السابقة، ولذلك اتهم القرآن بالتناقض.

١ - أمر الله النبي ﷺ بتحريض المؤمنين على قتال الكافرين، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥].. واعتبر الفادي الآية متناقضة مع الآية التي تنهى عن إيذاء الكافرين، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٨].

ولا تناقض في الحقيقة بين النهي عن إيذاء الكافرين، والأمر بالتحريض على قتالهم، لأن الكفار نوعان: النهي عن الإيذاء ينطبق على نوع من الكفار، وهم الكفار المسالمون المحايدون، الذين لا يتآمرون على المسلمين ولا يحاربونهم. أمّا الأمر بقتال الكفار فإنه ينطبق على نوع آخر من الكفار، وهم الذين يتآمرون على المسلمين ويحاربونهم، ويظعنون في دينهم، ويمنعون دعوتهم، ويفتنون الناس عن الإسلام.

٢ - لا تَنَافُضَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]. تَمْنَعُ الْآيَةُ الْأُولَى إِجْبَارَ الْكُفَّارِ عَلَى اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَقْبَلُ الْإِكْرَاهَ وَالْإِجْبَارَ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقْتَنَعَ الْإِنْسَانُ بِالْإِسْلَامِ قِنَاعَةً خَاصَّةً، يَنْتُجُ عَنْهَا اعْتِنَاقُهُ الْإِسْلَامَ، وَلَكِنَّ عَدَمَ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ لَا يُلْغِي وَجُوبَ دَعْوَتِهِمْ لِلدَّخُولِ فِيهِ، فَعَلَى الدَّعَاةِ أَنْ يَدْعُوهُمْ لِهَذَا الدِّينِ، لِأَنَّهُ رِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ، وَدِينُ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا، فَإِنْ رَفَضُوا الدَّعَاةَ وَأَصْرَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ تَرَكْنَاهُمْ وَشَأْنَهُمْ، وَحَسَابُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، عَلَى أَنْ يَخْضَعُوا لِسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ.

فَإِذَا وَقَفَ الْكُفَّارُ أَمَامَ الدَّعَاةِ، وَمَنَعُوهُمْ مِنْ أَدَاءِ وَاجِبِ الدَّعَاةِ، وَفْتَنُوهُمْ وَأَذَوْهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ وَاضْطَهَدُوهُمْ، كَانُوا هُمُ الْمَعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ أَبَاحَ لَنَا اللَّهُ مَوَاجَهَتَهُمْ، وَأَمَرَنَا بِقَاتِلِهِمْ، وَالدَّفَاعَ عَنِ النَّاسِ الْمَعْتَدِينَ الْمُفْتُونِينَ الَّذِينَ تَحْتَ سُلْطَانِهِمْ! وَإِذَا تَرَكُوا الدَّعَاةَ يَدْعُونَ وَيَتَحَرَّكُونَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لَهُمْ بِفِتْنَةٍ وَلَا إِيْذَاءٍ - وَهَذَا نَادِرًا مَا يَحْصُلُ مِنَ الْكُفَّارِ - فَإِنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ.

٣ - لا تَنَافُضَ بَيْنَ تَقْدِيمِ الْأَمْوَالِ وَالْمَسَاعِدَاتِ لِلْكَفَّارِ، الَّذِي أَشَارَ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وَبَيْنَ الْأَمْرِ بِقَاتِلِهِمْ حَتَّى يَدْفَعُوا الْجِزْيَةَ، الَّذِي وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. فَإِنَّ الْقِتَالَ مُوجِبٌ لِلْكَفَّارِ الْمُقَاتِلِينَ الْمُحَارِبِينَ الْمَعْتَدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، الْمَتَأَمِّرِينَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْبَادِثُونَ بِالْعُدْوَانِ وَالْقِتَالِ، وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ.. فَإِذَا هُرِّمَ الْكُفَّارُ الْمُقَاتِلُونَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَخْضَعُوا لِسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعْتَرَفُوا بِقَوَّتِهِمْ، وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ دَفْعُ الْجِزْيَةِ لَهُمْ، وَهَذِهِ الْجِزْيَةُ عَلَى الْقَادِرِينَ مِنْهُمْ، يَدْفَعُونَهَا لِلْمُسْلِمِينَ مُقَابِلَ حِمَايَتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَدَفَاعِهِمْ عَنْهُمْ.

وإذا كان هؤلاء الكفارُ المسلمونَ مُحتاجين إلى المال، وَجَبَ على المسلمين تقديمُ المساعدةِ لهم، وهم مأجورونَ على ذلك: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

٤ - لا تناقضَ بين تركِ الكفارِ وشأنهم الذي قد يُؤخَذُ من قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٩٩ - ١٠٠]، ولا بين ملاحقتهم والأمرِ بقتالهم، الذي وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَحِّذُوا مِنْهُمْ وَرِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

إِنَّ تَرْكَهُمْ وشأنهم يكونُ بعد تقديمِ الدعوةِ الإسلاميةِ لهم، وإقامةِ الحجّةِ عليهم، فَإِنْ أَصْرُوا على كُفْرِهِمْ، تَرْكَهُمُ المسلمونَ وشأنهم، بشرطِ أَنْ لَا يَتَأَمَّرُوا على المسلمين، وَلَا يَقِفُوا أَمَامَ دينهم، وَلَا يَظْمَعُوا فيهم، وهذا ما تُقرُّه آيةُ سورةِ يونس.

أما إذا تَأَمَّرَ الكفارُ على المسلمين، وحارَبوهم، أو فَتَنوهم عن دينهم، ونَشَرُوا بينهم الكفرَ والفساد، فإنهم يكونونَ مُعتدين على المسلمين، وعند ذلك يُقاتِلُ المسلمونَ هؤلاء الكفارَ المُعتدين الظالمين، وهذا ما تصرَّحُ به آيةُ سورةِ النساء، فهي تتحدَّثُ عن صنفٍ خاصٍّ من الكفار، وهم الذين قالَتْ عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾. إنهم يحرصون على كفرِ المسلمين، وينشرونَ بينهم الكفرَ والانحرافَ، ليستوتوا معهم، فإن لم يَتَوَقَّفُوا عن هذا العدوانِ وَجَبَ على المسلمين قتالهم وأخذهم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

٥ - لا تناقضَ بين وجوبِ دعوةِ الكفارِ بالحسنى، الذي وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وبين الأمرِ بقتالهم، الذي وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿فَقَنِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ

إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿النساء: ٨٤﴾.

إنَّ الدعوةَ هي أولُ ما يُوجَّهُ إلى الكفار، وهي لا تكونُ إلا بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، فإن رَفَضُوا الدعوةَ، وقاموا بِقِتالِ المسلمين وَجَبَ على المسلمين قِتالُهُم لأنهم معتدون ظالمون.

وكم كان الفادي مُفْتَرِيًّا عندما اعتبرَ قِتالَ الكفارِ المقاتلين دعوةً بالسيف، علماً أنَّ السيفَ لم يكن يوماً أسلوباً من أساليبِ الدعوةِ إلى الإسلام، لأنه يَهْدَفُ إلى تحطيمِ قوةِ الكفارِ العسكرية، التي يُحارِبُونَ بها الإسلامَ والمسلمين، ويَحْرَمُونَ شعوبَهُم من نورِ الإسلام، وعندما يَتَحَقَّقُ هذا الهدفُ بالقتالِ وتَتَحَطَّمُ قوةُ الكفارِ العسكرية، وَيَخْضَعُونَ لسلطانِ المسلمين، يتوقَّفُ المسلمونُ عن قتالِهِم وقَتْلِهِم، ويتوجَّهون إلى شعوبِهِم بالدعوة، التي لن تكونَ إلا بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة.

وكان الفادي كاذباً على رسولِ الله ﷺ، عندما قالَ عنه: «لهذا فَتَكَ مُحَمَّدٌ بمعارضيه في الدين، مثلُ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، وأبي عَفْكَ، وأبي رافعِ بنِ أَبِي عَقِيْقٍ»^(١).

إنه لا يُحَسِّنُ قراءةَ الأسماءِ، فالثاني ليس «أبا عَفْكَ الشيخ»، وإنما هو «ابنُ أَبِي عَفْكَ»، والثالث ليس: «أبا رافعِ بنِ أَبِي عَقِيْقٍ»، وإنما هو: «أبو رافعِ بنِ أَبِي الحَقِيْقِ».

ولقد أمرَ رسولُ الله ﷺ بِقَتْلِ هؤلاءِ الثلاثةِ - وآخرينَ غيرهم مَعْرُوفين في كتبِ السيرة - ليس لأنَّهُم كُفَرًا مُعَارِضُونَ له في الدين، فقد كان كُفَرًا كَثِيرُونَ يُعَارِضُونَهُ في الدين، وَيَسْتَحِبُّونَ الكُفْرَ على الإيمان، ومع ذلك لم يَقْتُلْهُم، وكان منهم منافقون مثلُ عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ، وكان منهم يهودٌ مثلُ كَعْبِ بنِ أَسَدٍ، زعيمِ يهودِ بني قريظة، الذي عَقَدَ معه رسولُ الله ﷺ عَهْدًا، ومثلُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبِ زعيمِ يهودِ بني النضير، الذي عَقَدَ معه رسولُ الله ﷺ عهداً آخر.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٢.

قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الثَّلَاثَةَ: ابْنَ الْأَشْرَفِ، وَابْنَ أَبِي عَفْكَ، وَابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ، لِأَنَّهُمْ تَأَمَّرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَجَيَّشُوا الْجِيُوشَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَحَرَّضُوا الْأَخْرِينَ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَشَتَّوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَرْبًا إِعْلَامِيَّةً شَعْوَاءَ، وَبِذَلِكَ كَانُوا مُعْتَدِينَ، فَقَتَلَهُمْ لِعَدْوَانِهِمْ وَلَيْسَ لِمَجْرَدِ كُفْرِهِمْ، كَذَلِكَ قَتَلَ ابْنَ أَخْطَبِ وَابْنَ أَسَدٍ لِأَنَّهُمَا نَقَضَا عَهْدَهُمَا مَعَهُ، وَحَارَبَاهُ مَعَ جُنُودِ الْأَحْزَابِ^(١).

ثالث عشر: هل نجا فرعون أم غرق؟:

زَعَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ أَنَّ الْقُرْآنَ تَنَاقَضَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ نَهَايَةِ فِرْعَوْنَ، فَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْقَصَصِ أَنَّهُ غَرِقَ مَعَ جُنُودِهِ فِي الْيَمِّ، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ يُونُسَ أَنَّ اللَّهَ نَجَّاهُ بِبَدْنِهِ. . . فَهَلْ نَجَا أَمْ غَرِقَ؟! .

كَانَ الْقُرْآنُ صَرِيحًا فِي إِخْبَارِهِ عَنِ غَرَقِ فِرْعَوْنَ مَعَ جُنُودِهِ، وَأُورِدَ الْفَادِي آيَتَيْنِ صَرِيحَتَيْنِ بِذَلِكَ، هُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

وَالْآيَةُ الَّتِي لَمْ يَفْهَمِ الْفَادِي مَعْنَاهَا لِحُجْهِهِ، فَاعْتَبَرَهَا إِخْبَارًا عَنِ نَجَاةِ فِرْعَوْنَ مِنَ الْغُرُقِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْفُرْقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِنُكْوِتَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

دَلِيلُ عَدَمِ مَوْتِ فِرْعَوْنَ وَنَجَاتِهِ مِنَ الْغُرُقِ فِي نَظْرِ الْفَادِي الْجَاهِلِ جَمَلَةٌ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ﴾، أَي: أَنَّ اللَّهَ أَنْقَذَهُ مِنَ الْغُرُقِ، وَنَجَّاهُ بِبَدْنِهِ وَرُوحِهِ،

(١) انظر قصة قتل اليهوديين: كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، في كتابنا: «صور من جهاد الصحابة»، دار القلم - دمشق.

وعادَ إلى شعبه مَلِكاً عليهم! وهذا فهمٌ خاطئٌ يَدُلُّ على جهلِ الفادي بلغةِ القرآن.

تتحدَّثُ آياتُ سورةِ يونس عن اللحظاتِ الأخيرة من حياةِ فرعون.. .
لما لحقَ فرعونُ وجنوده موسى ﷺ وأتباعه، وأنجى اللهُ موسى ومَنْ معه، ودخَلَ فرعونُ وجنوده الطريقَ اليَّس في البحر، أطبقَ اللهُ عليهم البحر، وصاروا تحتَ الماء، فأهلكهم اللهُ.

أمَّا فرعونُ فلم يكتفِ القرآنُ بذكْرِ وفاته، وإنما ذكَّرَ اللحظاتِ الأخيرة من حياته، قبلَ خروجِ روحه، وذكَّرَ ماذا قالَ وماذا قيلَ له.. . أطبقَ اللهُ عليه الماء، وصارَ هو تحتَ الماء، ولما أدركه الغرقُ وأحاط به من كُلِّ جانب، وأيقنَ بالموت، أعلنَ إيمانه بالله، الذي حاربه وهو في قمةِ مُلكه: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بِنُوٓأَسْرَٰئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وكان بجانيه الملائكةُ الموكِّلون بقبضِ روحه، وسمعوه وهو يعلنُ إيمانه، وأحبُّوا أن يُشعروهُ بخسارته، ليزدادَ ندماً وخزياً قبلَ موته، فأمرهم اللهُ أن يقولوا له: ﴿ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ فَأَلَيْمٌ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً... ﴿٩٢﴾.

والمعنى: الآنَ أعلنتَ إيمانَكَ يا فرعون؟! لقد جاءَ إيمانك متأخراً، ولو جاءَ في وقتِه المناسبِ لقبيلِ منكَ، أما الآنَ فإنه لَنْ يُقبلَ منك، وستموتُ تحتَ الماء، وستُنَجِّيك ببَدَنِكَ بعدَ خروجِ روحك، ولن يسقطَ بدَنكَ في قاعِ البحر، ولن يكونَ طعاماً للسمك، وستأمُرُ موجَ البحرِ أن يقذفَكَ على شاطئِ البحر، وسيرى الناسُ بدَنكَ الهامدَ على الشاطئ، فتكونُ لمن خَلَقَكَ آيةً وعبرة، ودلالةً على أنكَ مخلوقٌ ضعيف، ولستَ إلهاً ورباً للناس.

ونجَّى اللهُ بَدَنَ فرعونَ بعدَ خروجِ روحه وموته، ولم يسقطَ بدنه في قعرِ البحر، ولم تبتلعهُ الأسماك، وأمرَ الموجَ أن يقذفه على الشاطئ، ومَرَّ به رجالٌ دولته، وشاهدوه جثَّةً هامدة، وأيقنوا أنه ماتَ تحتَ الماء، وأنَّ بَدَنَهُ

على الشاطئ، أخذوه وحنطوه، ووضعوه في تابوته، ودفنوه في مدافن الملوك في وادي طيبة عاصمتهم. واكتشف علماء الآثار جثته، واستخرجوها من المدافن، وعرضت في متحف الآثار، وأبقى الله جثة فرعون آية على مدار القرون، وما زالت آية تنشر دروسها وعبرها بعد مرور آلاف السنين على موت صاحبها!

وبهذا نعرف التوافق بين قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

رابع عشر: السماء والأرض أيهما خلقت أولاً؟:

زعم الفادي الجاهل أن القرآن متناقض في حديثه عن خلق السماء والأرض، ففيه آيات تُخبر أن الأرض خلقت أولاً، وفيه آيات تُخبر أن السماء خلقت أولاً. فأيهما خلقت أولاً؟.

سجل الفادي آيات من سورة فصلت، على أن الله خلق الأرض أولاً. قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لِكُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿فصلت: ٩ - ١٢﴾.

وسجل مقابلها آيات من سورة النازعات، على أن الله خلق السماء أولاً. قال تعالى: ﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿١١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿١٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْيُنِكُمْ ﴿النازعات: ٢٧ - ٣٣﴾.

وانطلاقاً من القاعدة اليقينية من أنه لا تناقض في القرآن، فمن الواجب إمعان النظر في هذه الآيات، والجمع بينها، وإزالة التناقض الظاهري عنها.

توحي لنا آيات القرآن على أن خلق السموات والأرض كان على

مرحلتين:

المرحلة الأولى: خَلَقَهُمَا خَلْقًا أَوَّلِيًّا، بدون تفصيلٍ أو تقدير. خُلِقَتِ السماءُ أَوَّلًا، ثم الأرضُ بعد ذلك، وهذا ما أخبرت عنه آياتُ سورة النازعات، فهي صريحةٌ في أَنَّ اللهَ خَلَقَ السماءَ أَوَّلًا: ﴿إِنَّكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَسْمَاءً﴾؟.. ثم خَلَقَ الأرضَ بعد ذلك: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

المرحلة الثانية: تقديرٌ وتفصيلٌ وترتيبُ السمواتِ والأرض. وكانَ هذا في الأرضِ أَوَّلًا، ثم صارَ في السماءِ بعد ذلك، وهذا ما أخبرت عنه آياتُ سورة فصلت. فاللهُ خَلَقَ الأرضَ في يومين: ﴿أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وفَصَّلَهَا وَقَدَّرَهَا، وجعلَ فيها جبالها وأنهارها، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، في يومين آخرين، فكانَ مجموعُ خَلْقِ الأرضِ أربعةَ أيام: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾.

وبعدما تَمَّ تَفْصِيلُ وَتَرْتِيبُ خَلْقِ الأرضِ، استوى اللهُ إلى السماءِ، فسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وذلك في يومين: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾.

ويمكننا أن نقولَ في ترتيبِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرض: السماء، ثم الأرض. وأن نقولَ في تفصيلِ خَلْقِهما: الأرض، ثم السماء... أي: سماء، أرض.. ثم: أرض، سماء..

خامس عشر: هل القرآن محكم أو متشابه؟:

رَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ متناقضٌ في إخباره عن طبيعته، فأخبر أنه مُحَكَّمٌ مُبِينٌ واضح، وأخبرَ في موضعٍ آخرَ أنه متشابه!

سَجَّلَ آيَةً تُخْبِرُ أَنَّ القرآنَ مُبِينٌ، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وَسَجَّلَ مَقَابِلَهَا آيَةً تُخْبِرُ أَنَّ القرآنَ متشابه، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧].

إن الذي يُقابل التشابه هو الإحكام وليس الإبانة، فنقول: هو مُحَكَّم، في مقابل قولنا: هو مُتَشَابِه. فَوَضِعُ الْفَادِي «الْمَبِين» مقابل «المتشابه» دليلُ جهله باللغة العربية ومصطلحات القرآن.

فالقرآن كُله مُبِين، أي: كُله واضح ظاهر مفهوم بَيِّن للناس.

أما الإحكام فهو الإتقان والإجادة والدقة، وحُسْنُ الترتيب والتفصيل، والقرآن كُله مُحَكَّم مُتَقَنَّ مَفْصَّلٌ بهذا الاعتبار؛ قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ [هود: ١ - ٢].

وأما التشابه فهو التماثل والتساوي؛ يقال: فلانٌ يُشْبِهُ فلاناً؛ أي: هو يُماثلُه ويُساويه، فهما مُتَمَاثِلان مُتَشَابِهان. والقرآن كُله متشابه بهذا المعنى، لأنَّ سُوْرَه وآياته متماثلة، متساوية في الوضوح والبيان، والفصاحة والبلاغة، وفي الدلالة على أنها من عند الله. وصرَّح القرآن بأنه كُله متشابه بهذا المعنى للتشابه؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وللتشابه معنى آخر هو: الاشتباه، بمعنى أنَّ القارئ يَقَعُ في اشتباهٍ وشُبُهَةٍ، ويختلطُ عليه الأمر، ويلتبسُ عليه المعنى، بسبب لبسٍ في الكلام الذي أمامه، وغموضٍ في معناه.

وفي القرآن بعضُ الآياتِ المتشابهات بهذا المعنى، كما وَصَّحَتْ سورة آل عمران: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُتَحَكِّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

وتُشِيرُ الآيةُ إلى أنَّ مُعْظَمَ آياتِ القرآنِ مُحْكَمَاتٌ، أي واضحة الدلالة على المعنى، لا تحتاجُ إلى آياتٍ أُخْرَى لِحُسْنِ فهمِ المعنى، وهذه الآياتُ المُحْكَمَاتُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وأضله الذي لا بُدَّ أن يُعادَ كُلُّ شيءٍ إليه. كما

تسِيرُ الآيَةُ إِلَى أَنْ بَعْضَ آيَاتِ الْقُرْآنِ مُتَشَابِهَاتٌ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَاتُ قَلِيلَةٌ بِجَانِبِ الْمُحْكَمَاتِ .

وَسَبَبُ التَّشَابُهِ فِي الْآيَاتِ الْقَلِيلَةِ الْمُتَشَابِهَةِ هُوَ «الْغَمُوضُ الْمَقْصُودُ» فِي مَعْنَاهَا، وَاللَّبْسُ الَّذِي قَدْ يَقَعُ فِيهِ بَعْضُهُمْ عِنْدَمَا يَنْظُرُ فِيهَا، كَمَا فَعَلَ هَذَا الْفَادِي الْجَاهِلُ فِي تَنَاقُضَاتِهِ الْخَمْسَةِ عَشَرَ الَّتِي رَعَمَ وَجُودَهَا فِي الْقُرْآنِ، وَالتِّي نَقَضْنَاهَا فِي هَذَا الْمَبْحَثِ .

وَأَخْبَرَتِ الْآيَةُ عَنِ اخْتِلَافِ نَظَرَةِ النَّاسِ لِلآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ، فَقَالَتْ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ .

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: هُمُ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ الشَّبَهَاتِ وَالْإِشْكَالَاتِ، وَيُرِيدُونَ اتِّبَاعَ الْبَاطِلِ، وَيَهْدِفُونَ إِلَى فِتْنَةِ النَّاسِ، مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْفَادِي الْجَاهِلِ مَرِيضِ الْقَلْبِ، هُوَ لَا يَتَّبِعُونَ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمُ الْمَرِيضَةَ .

﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: هُمُ الْمُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْعِلْمِ، الَّذِينَ يُحْسِنُونَ فَهْمَهُمُ الْقُرْآنَ، وَلِذَلِكَ يَحْمِلُونَ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ الْقَلِيلَةَ عَلَى الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ الْكَثِيرَةِ، الَّتِي هِيَ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَصْلُ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ ذَلِكَ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَيُعْلِنُونَ ذَلِكَ قَائِلِينَ: ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ . أَي: أَمَّنَّا بِالْقُرْآنِ، وَأَيُّقِنَّا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكُلُّ مِنْ آيَاتِهِ الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُتَشَابِهَاتِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا .

وَبِالْمِثَالِ يَتَّضِحُ الْمَقَالُ:

قَالَ اللَّهُ عَنْ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] .

فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ لَبْسٌ وَغَمُوضٌ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ لَهُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؟ قَدْ يَحْتَجُّ بِهَا الْيَهُودُ عَلَى أَنَّهُمْ صَلَبُوا عَيْسَى ﷺ وَقَتَلُوهُ، وَقَدْ يَحْتَجُّ بِهَا النَّصَارَى عَلَى أَنَّ عَيْسَى ﷺ قُتِلَ وَصَلِبَ، وَدِينُهُمْ يَقُومُ عَلَى

الصَّلب، وشعاره الصليب.. وقد يقول لنا قسيسٌ جاهلٌ مثلُ هذا الفادي: لماذا لا تُصدِّقونَ قرآنكم أيها المسلمون، وهو يُصرِّحُ بأنَّ عيسى توفَّاهُ اللهُ، ومعناه أنه مات، وخرجتْ روحه على الصليب!!.

نقولُ لهؤلاء: حتى نفهمَ هذه الآيةَ التي فيها تشابُهٌ ولَبْسٌ وغموضٌ، لا بُدَّ أنْ نحملها على آيةٍ محكمة، هي لها أمُّ وأصلٌ، لإزالةِ لَبْسِها وغموضِها؛ وهي قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

إننا نوقنُ بما صرَّحتْ به هذه الآيةُ المحكمةُ، من أنَّ اليهودَ لم يفتلوا عيسى ﷺ ولم يصلبوه، والذي قتلوه وصلبوه شخصٌ آخرُ شَبَّهَ لهم، ورفعَ اللهُ عيسى حياً إلى السماء، بروحه وجسمه، وهو الآنَ حيٌّ عندَ اللهُ، بروحه وجسمه. وعندما نحملُ قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ على قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ نقول: المرادُ بالتَّوَفِّي هو القبضُ والتَّغْيِيبُ، وذلك عن طريقِ النوم، أي: ألقى اللهُ على عيسى ﷺ في تلك الليلةِ النَّوْمَ، وتوفَّاهُ وهو نائمٌ، أي غيَّبه وقبضه وهو نائمٌ، ورفعَهُ إليه وهو مُتَوَفِّي نائمٌ.



حول التكرار في القرآن

أثارَ الفادي الجاهلُ إشكالاً حولَ التكرارِ في القرآن، تحتَ عنوانِ «الكلامُ المتكرر»، واعتبرَ هذا الكلامَ غيباً وخللاً، وداعياً إلى المَلَل، وقال في آخرِ اعتراضه: «ونحنُ نسأل: أليس في هذا التكرارِ عيبُ الخَلَلِ والمَلَل، والبُعْدُ عن ضروبِ البلاغة؟»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٥.

اعترضَ على تكرارِ قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآيَةَ رَيِّبًا تَكَذِّبًا﴾ في سورة الرحمن، حيث ذُكرت الآيةُ إحدى وثلاثين مرةً.

وهذا ليس تكراراً في الحقيقة، وإنما هو «تنويع» في العرض، وفرق بين التكرار والتنويع، فالتكرارُ هو إعادةُ الآية أو القصة أو الموضوع مرةً أخرى، بدونِ إضافةٍ معلومةٍ أو جملةٍ أو كلمة، وبدونِ هدفٍ وغرضٍ جديد. وهذا التكرارُ عيبٌ في التأليف، وضعفٌ في الأسلوب، ودليلٌ على الخلل، والتدني في البلاغة والفصاحة، يُنزههُ الكاتبُ البليغُ كلامه عنه.

ولذلك نقول: لا تكرارَ في القرآن.

إنّ الذي في القرآن هو التنويع، وذلك بأن يُضيف القرآن الجديد في كُلِّ مرّةٍ يُعيدُ فيها ذُكرَ القصة أو الآية أو الجملة أو الكلمة، إما معلومةً جديدة، وإما كلمةً جديدة، وإما لهدفٍ جديد، وإما للتناسبِ مع سياقٍ جديد. . وهذا ليس تكراراً كما زعمَ الفادي الجاهل، وإنما هو تنويع.

إنّ قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآيَةَ رَيِّبًا تَكَذِّبًا﴾ قد ذُكرَ في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرةً، ولكن هذه الآية كانت تُذكرُ في كُلِّ مرّةٍ لهدفٍ جديد، وكانت متناسبةً مع الآيات التي سبقتها، وخاتمةً مناسبةً لها؛ لأنّ سورة الرحمن كُلُّها معرضٌ لآلاءِ الله ونعمه، وكانت كُلُّما تُذكرُ بعضُ نعمِ الله أو أفعاله أو الأدلة على وحدانيته وعظمته تختمُ ذلك بالآية: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآيَةَ رَيِّبًا تَكَذِّبًا﴾ على اعتبار أنّ الموضوع الذي تتحدّثُ عنه هو بعضُ آلاءِ الله. . فهي أشبهُ ما تكونُ بلازمةً شعرية، كتلك اللوازم الشعرية التي كانت تُختمُ بها رباعياتُ بعضِ القصائد الشعرية الموزونة.

ولنأخذُ على ذلك مثلاً من السورة: ذُكرت: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآيَةَ رَيِّبًا تَكَذِّبًا﴾ في آية (١٨) لغيرِ الهدفِ الذي ذُكرتُ لأجله في آية (١٦). إنها في الآية السادسة عشرة مرتبطةً مع الآيات التي قبلها، والتي تتحدّثُ عن خلقِ الإنس والجن؛ قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَنَ مِن صَلصَلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٦﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَنَّ

مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَإِنِّي ءَأَلِّئُكُمْ رَبِّكُمْ تَكْدِبَانِ ﴿١٦﴾؛ فهي تذكيرٌ بنعمةِ خلقِ الإنسانِ والجنِّ. أما في الآيةِ الثامنة عشرة فإنها مسبوقَةٌ بقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، فهي بهدفِ التذكيرِ بملكِ الله لكلِّ ما في الكون، ومنه مُلْكُهُ للمشرقَيْنِ وللمغربَيْنِ. وهي في الآية (٢١) خاتمةٌ لموضوعِ جديد، وردَ في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَإِنِّي ءَأَلِّئُكُمْ رَبِّكُمْ تَكْدِبَانِ ﴿٢١﴾ وهو التذكيرُ بِنعمِ الله وقدرته وعظمتِهِ، في خلقِ الماءِ العذبِ والماءِ المالحِ.

وهكذا في باقي مرّاتِ وُرودِها، فليس الأمرُ تِكْراراً مُخِلاً، كما زعمَ الفادي الجاهل، وإنما هو تنويعٌ وإضافة.

وانتقدَ الجاهلُ وُرودَ بعضِ قصصِ القرآنِ في أكثرَ من سورة، واعتبرَ ذلك من التكرارِ المعنوي؛ قال: «وفي القرآنِ الكثيرُ من التكرارِ اللفظي، كما في سورةِ الرحمن، والتكرارِ المعنويِّ كما في قصصِ الأنبياء، فضلاً عما فيها من سجعٍ مُتَكَلِّفٍ».

وذكرَ بعضَ القصصِ التي اعتبَرَهَا مُكْرَرَةً، والسورِ المذكورةِ فيها كُلُّ قِصَّةٍ، وهي: «قصة آدم، وقصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة لوط، وقصة موسى، وقصة سليمان، وقصة يونس - الذي سماه يونان -، وقصة عيسى عليه السلام»^(١).

وكلامُ الجاهلِ باطل، وانتقادهُ مردودٌ عليه، فهو يعيبُ ما لا عيبَ فيه، وهو يُحْطِئُ الصَّوابَ، وينتقدُ الصحيحَ، وإنَّ ذِكْرَ القِصَّةِ القرآنيَّةِ في أكثرَ من سورةٍ ليسَ من بابِ التكرارِ المُملِّ والمُخِلِّ، وإنما هو من بابِ التنويعِ الهادفِ، والإضافةِ الحكيمَةِ، والتناسقِ المعجزِ.

وعندما نتدبَّرُ المواضعَ المختلفةَ التي وَرَدَتْ فيها القِصَّةُ القرآنيَّةُ، فسنعجِدُ أنَّ اللقطاتِ المعروضةَ من القِصَّةِ متناسبةٌ ومتناسقةٌ ومترابطةٌ مع موضوعِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٤ - ١٨٥.

السورة، ومع السياق الذي وردت فيه، ومتصلة بما قبلها وما بعدها، وتلتقي مع السياق في تحقيق أهدافه العلمية والإخبارية والتربوية... وفي كل مرة جديدة تُعرض فيها بعض لقطات القصة تكون فيها معلومة جديدة، أو فيها جزئية جديدة، تضاف للمعلومة المذكورة سابقاً. ولا يتسع المجال لتفصيل القول في هذا الموضوع، ولا لعرض الأمثلة التطبيقية من القصص القرآني، فإنَّ الكلام في هذا يطول!

إنَّ من الخطأ الكبير أن نقول: تَكَرَّرَ ذِكْرُ قِصَّةِ آدَمَ - مَثَلًا - في سور: البقرة، والأعراف، والحجر، وطه، وص. والواجب أن نقول: ما هو الجزء من القصة المعروض في سورة البقرة، وما الذي أضافته سورة الأعراف على سورة البقرة، وما الذي ذكرته سورة طه أو الحجر أو ص، وما وجه الاتصال والارتباط بين المعروض في سورة الأعراف - أو آية سورة أخرى - وبين موضوع السورة، والسياق الذي ورد فيه. إنَّ هذا التنويع الهادف الحكيم وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ومزية من مزايا القرآن العظيمة، وليس مأخذاً على القرآن.



هل في القرآن من كلام الآخرين؟

خَصَّصَ الفادي المفتري الجاهلُ هذا المبحث من كتابه لاتِّهامِ القرآنِ بأنَّه من تأليفِ محمد ﷺ، وأنه نقله عن كلام الآخرين، من العرب واليهود والنصارى والفرس وغيرهم، فهو أساطيرُ الأوَّلِينِ اُكْتَتَبَهَا.

ولننظر في اتِّهاماته التي أوردتها تحت عنوان «الكلام المنقول»، لنرى سخافتها وتفاهتها، وجهل مَنْ أطلقوها.

سَجَّلَ في بداية اتِّهاماته قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اسْطِيزُ الْأَوْلِينَ اُكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٥ - ٦].

ثم علق على الآيتين تعليقا فاجرا قبيحا؛ قال: «تدلُّ هذه الآية على أنَّ محمداً قال: إِنَّ القرآنَ نَزَلَ عليه وَحياً من الله... ولكنَّ مُعاصريه لم يجدوا في ما جاء به شيئاً جديداً، فقالوا: إِنَّه جاءَ بأساطيرِ الأولين، التي كانَ يَسْمَعُها، وكتبَها قرآناً. فهي ليست وَحياً! لقد اقتبسَ محمدٌ أشعارَ امرئ القيس، وأقوالَ عمرَ بن الخطاب، وكتبَ جُهالَ اليهودِ والمسيحيين، وكتبَ الفرسِ، وكتبَ الحنفاءِ، وغيرهم...»^(١).

هكذا بجملةٍ فاجرةٍ يُلغى هذا الفاجرُ الوحيَ والنبوةَ والرسالةَ، ويعتمدُ اتهاماتِ الكفرةِ الفجرةِ السابقين، التي ذكَّرها القرآنُ، ثم نقضَها وردَّها، لكنه لكُفْرِهِ وفُجورِهِ لا يَقْبَلُ رَدَّ القرآنِ عليها.

قالَ الكفارُ عن آياتِ القرآنِ: هي أساطيرُ الأولين، وقصصُ السابقين وأخبارُهم، طلبَ محمدٌ من الكُتَّابِ أَنْ يَكْتُبُوها له، ففَعَلُوا وَقَدَّمُوها له، وصارتْ تُملَى عليه في الصُّباحِ والمساءِ، فأخذَها منهم، وزعمَ أنها جاءتهُ وحياً من عندِ الله، وليس في المسألةِ وَحْيٌ ولا نبوةٌ!!

وردَّ اللهُ على هذا الاتهامِ بتقريرِ حقيقةِ الوحي، وتأكيدِ أَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. واللهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَيَعْلَمُ الجهر، لكنه ذكَّرَ هنا السِّرَّ دونَ الجهر، لأنَّ إنزالَ القرآنِ عن طريقِ جبريلَ ﷺ، كانَ بطريقةٍ غيبيةٍ خفيةٍ سرِّيَّة.

والفادي الحاقداً أغفلَ عامداً كلامَ اللهِ الذي ردَّ على اتِّهامِ الكفارِ، وأبقى كلامَهم مُعتمداً له.

ومن أكاذيبهِ الصارخةِ المتهافئةِ قوله عن الكفارِ: «ولكنَّ مُعاصريه لم يجدوا في ما جاء به شيئاً جديداً». أي أنَّ القرآنَ تكررًا لما قاله السابقون، وترديدٌ لكلامهم، وليس فيه أيُّ شيءٍ جديد! علماً أنَّ القرآنَ لم يتأثرْ بما كانَ حوله من معارفٍ وثقافاتٍ وخرافاتٍ، وكلُّ ما أتى به فهو جَدِيد، لم يُسبَقْ إليه.

(١) هل القرآنُ معصومٌ؟، ص ١٨٥.

أولاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من امرئ القيس؟:

رَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ بَعْضَ كَلَامِ الشَّاعِرِ الجَاهِلِيِّ المشهورِ «امرئِ القَيْسِ»، وَسَجَّلَهُ فِي القرآنِ، وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ، وَادَّعَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ! وَقَدَّمَ الغَبِيَّ دَلِيلًا عَلَى دَعْوَاهُ وَزَعَمَهُ آيَاتِ رَكِيكَةٍ، ادَّعَى أَنَّهَا لَامرئِ القَيْسِ، مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالرَّكَاكَةِ، وَشَعْرُ امرئِ القَيْسِ فِي غَايَةِ الفِصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ.

وَلنَقْرَأُ هَذَا الشَّعْرَ الرَكِيكَ، الَّذِي صَاغَهُ شَاعِرٌ مُتَأَخِّرٌ، وَنَسَبَهُ الفَادِي

الجَاهِلُ إِلَى امرئِ القَيْسِ:

دَنَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ	عَنْ غَزَالٍ صَادَ قَلْبِي وَنَفَرُ
أَحْوَرُّ قَدْ حِرْتُ فِي أَوْصَافِهِ	نَاعِسُ الطَّرْفِ بِعَيْنَيْهِ حَوْرُ
مَرَّ يَوْمَ العِيدِ بِي فِي زِينَةٍ	فَرَمَانِي فَتَعَاطَى فَعَقْرُ
بِسِيَّاهِمْ مِنْ لِحَاظِ فَاتِكِ	فَرَّعَتِي كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرُ
وَإِذَا مَا غَابَ عَنِّي سَاعَةٌ	كَانَتِ السَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرُ
كَتَبَ الحُسْنَ عَلَى وَجْنَتِهِ	بِرَحِيقِ المِسْكِ سَطْرًا مُخْتَصِرُ
عَادَةُ الأَقْمَارِ تَسْرِي فِي الدُّجَى	فَرَأَيْتُ اللَّيْلَ يَسْرِي بِالقَمَرُ
بِالضُّحَى وَاللَّيْلِ مِنْ طُرَّتِهِ	فَرُقُهُ ذَا النُّورِ كَمْ شَيْءٌ زَهْرُ
قُلْتُ إِذْ شَقَّ العِذَارُ خَدَّهُ	دَنَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ

لَيْسَ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الَّذِي أَخَذَ بَعْضَ جُمَلِ هَذِهِ القَصِيدَةِ، وَوَضَعَهَا فِي القرآنِ، كَمَا ادَّعَى الفَادِي الجَاهِلُ، وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ الضَّعِيفُ الرَكِيكَ المُتَأَخِّرُ - الَّذِي لَمْ أَعْرِفْ اسْمَهُ - هُوَ الَّذِي حَاكَى القرآنَ كَلَامَ اللَّهِ، وَاقْتَبَسَ مِنَ القرآنِ بَعْضَ جُمَلِهِ، زَيْنَ بِهَا قَصِيدَتَهُ.

وَدِيوَانُ الشَّاعِرِ الجَاهِلِيِّ البَلِيعِ امرئِ القَيْسِ مَطْبُوعٌ مُتَدَاوِلٌ، وَتَنَحَّدِي الفَادِي الجَاهِلَ أَوْ أَيَّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ أَنْ يُرِينَا هَذِهِ القَصِيدَةَ الرَكِيكَةَ فِي دِيوَانِ امرئِ القَيْسِ! فَافْتَرَأَ الفَادِي المُفْتَرِي لَا يَثْبُتُ أَمَامَ البَحْثِ العِلْمِيِّ.

أَخَذَ الشَّاعِرُ الْمَتَأَخَّرُ مِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فَافْتَتَحَ بِهَا قَصِيدَتَهُ، كَمَا خَتَمَهَا بِهَا فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنْ بَيْتِهِ الْأَخِيرِ، مَعَ بَعْضِ التَّحْوِيرِ. حَيْثُ قَالَ: دَنَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرِ.

كَمَا أَخَذَ مِنَ السُّورَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَادَاؤُا صَاجِحُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] وَوَضَعَهُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ: فَرْمَانِي فَتَعَاطَى فَعَقَرَ.

وَأَخَذَ مِنَ السُّورَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ [القمر: ٣١] وَوَضَعَهُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الرَّابِعِ: فَرَّ عَنِّي كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ.

وَأَخَذَ مِنَ السُّورَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] وَوَضَعَهُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْخَامِسِ: كَانَتِ السَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.

وَأَخَذَ مِنَ سُورَةِ الضُّحَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ١-٢] وَوَضَعَهُ فِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّامِنِ: بِالضُّحَى وَاللَّيْلِ مِنْ طُرَّتِهِ..

وَذَكَرَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي بَيِّنَتَيْنِ آخَرَيْنِ، لَا يَخْتَلِفَانِ عَنِ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ فِي الرِّكَاعَةِ وَالضَّعْفِ، وَالغَزَلِ السَّاقِطِ، نَسَبَهُمَا لِامْرِئِ الْقَيْسِ أَيْضًا، وَزَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ مِنْهُمَا كَلَامًا فِي الْقُرْآنِ. وَهُمَا:

أَقْبَلَ وَالْعُشَّاقُ مِنْ حَوْلِهِ كَأَنَّهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ
وَجَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ فِي زِينَتِهِ لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ
وَمَا قَلْنَا عَنْ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ نَقَوْلُهُ هُنَا، وَيَبْدُو أَنَّهَا لِنَفْسِ نَاظِمِ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، حَاكِي الْقُرْآنِ، وَأَخَذَ مِنْهُ بَعْضَ كَلَامِهِ، وَوَضَعَهُ بَوَاقِحِهِ لِلغَزَلِ بِعَشِيْقِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

أَخَذَ مِنَ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. وَوَضَعَهُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ: كَأَنَّهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ.

وَأَخَذَ مِنَ سُورَةِ الصَّافَاتِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِيْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].. وَوَضَعَهُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنْ بَيْتِهِ الثَّانِي.

ثانياً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كلام عمر بن الخطاب؟:

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ كَلَامًا لِعُمَرَ وَوَضَعَهُ فِي الْقُرْآنِ، وهو المسمّى بموافقاتِ عُمَرَ.

والموافقاتُ التي ذَكَرَهَا صَاعَهَا بِأَسْلُوبِهِ، وَوَضَّعَهَا دَلِيلًا لِاتِّهَامَاتِهِ.

أ - موافقة عمر في عداوة الله عدو جبريل:

قال عن هذه الموافقة: كان لعمر بن الخطاب أرضٌ بأعلى المدينة، وكان ممرُّه على مدراس اليهود، فكان يجلس إليهم، ويسمع كلامهم. فقالوا يوماً: ما في أصحاب محمدٍ أحبُّ إلينا منك، وإنا لنطمعُ فيك! فقال عمر: والله ما آتيكم لحبِّكم، ولا أسألكم لأنني شاكٌ في ديني، وإنما أدخلُ إليكم لأزادَ بصيرةً في أمرِ محمدٍ. فقالوا: مَنْ صاحبُ محمدٍ الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل. قالوا: ذلك عدُّونا. فقال عمر: مَنْ كانَ عدوًّا لله وملائكته ورسوله وجبريلَ وميكَالَ فإنَّ اللهَ عدُّوه. فلما سمعَ محمدٌ بذلك قال: هكذا أنزلتُ، وأوردَها في قرآنه في سورة البقرة. وقال محمد لعمر: لقد وافقَكَ ربُّكَ يا عمر.

وعَلَّقَ على ما أوردَه بقوله: «ونحنُ نسأل: أليسَ الأصحُّ أن يقولَ محمد: إنَّ عُمَرَ وافقَ رَبَّهُ، لا العكس؟ والأغربُ من هذا أنَّ مُحَمَّدًا يَنْتَحِلُ أقوالَ عمر، ويقولُ: إنها هكذا نزلتُ! وفي هذه الحالة: هل يُعْتَبَرُ عمرُ نبياً يوحى إليه؟ أم أنَّ مُحَمَّدًا انتحلَ أقوالَ غيره، وقال: إنها وَحْيٌ؟»^(١).

وهذه الروايةُ في سببِ نزولِ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] التي اعتمدها الفادي المفتري لأنها توافقُ هواه، روايةٌ ضعيفة، مذكورةٌ في بعضِ التفاسيرِ عن الشعبيِّ عن عمر بن الخطاب، ومذكورةٌ بأسانيدٍ أخرى عن قتادة عن عمر، وحكمَ عليها بالضعفِ الإمامُ الحافظُ ابنُ كثير.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٦.

قال ابن كثير عن رواية الشعبي بعد أن أوردَها بإسنادين: «وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حَدَّثَ به عن عمر، ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر، فإنه لم يُدرِك زمانه، والله أعلم».

وقال عن إسنادِ رواية قتادة: «وهو أيضاً منقطع»^(١).

وإذا كانت هذه الرواية منقطعة الإسناد، فهي ضعيفة مردودة لم تَصَح، وبما أنها مردودة، فإنَّ تساؤلاتِ الفادي المفتري عليها داحضة زائفة، وهو مُجرمٌ مفترٍ، متحاملٌ خبيثٌ، عندما قال: «والأغربُ من هذا أنَّ محمداً يَتَّحِلُّ أقوالَ عَمْرٍ ويقول: هكذا أنزلت!!».

والرواية الصحيحة في سببِ نزولِ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِحَبِيبِي فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَحَبِيبِي وَمِائِدَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ - ٩٨]، تُصَرِّحُ بأنَّ الحادثة جَرَتْ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وبين اليهود.

روى أحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَضَرَتْ عَصَابَةُ من اليهودِ نبيَّ اللهِ ﷺ يوماً، فقالوا: يا أبا القاسم! حَدَّثْنَا عن خِلالٍ نَسَأَلُكَ عنهنَّ، لا يعلمهنَّ إلا نبيٌّ.

قال: سَلُونِي عما شئتم. ولكن اجْعَلُوا لي ذِمَّةَ اللهِ، وما أَخَذَ يَعْقُوبُ رضي الله عنه على بنيهِ، لئن حَدَّثْتُكُمْ شيئاً فَعَرَفْتُمُوهُ، لَتَتَابِعُنِّي على الإسلام! قالوا: فذلِكَ لك. قال: فَسَلُونِي عما شئتم.

فسألوه أربعة أسئلة، وأجابهم عليها، ووافقوه على الجواب، وشهدوا أنه جوابٌ صحيح.

ولكنهم تهرَّبوا من تنفيذ ما وَعَدُوهُ به - كعادتهم - وأثاروا مشكلةً جديدة،

(١) تفسير ابن كثير: ١٢٥/١ - ١٢٦.

فقالوا له: حَدَّثْنَا مَنْ وَلِيَّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ! .

قال: فَإِنَّ وَلِيَّيَّ جَبْرِيْلُ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطَّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ.

قالوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيَّكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ.

قال: فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟. قالوا: إِنَّهُ عَدُوْنَا!! .

فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا﴾^(١).

ب - ثلاث موافقات لعمر:

ذَكَرَ الْفَادِي الْمَجْرُمُ حَدِيثَ الْبُخَارِيِّ فِي مُوَافَقَاتِ ثَلَاثِ لَعْمَرَ ﷺ، لَكِنَّهُ عَلَّقَ عَلَيْهَا تَعْلِيْقًا حَبِيْثًا، حَيْثُ وَظَّفَهَا دَلِيْلًا عَلَيَّ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ.

قال: «روى البخاري وغيره عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى. فَأَخَذَهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَأَوْرَدَهَا فِي قُرْآنِهِ، بَأَنَّ قَالَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلْنَ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ. فَأَخَذَهَا مُحَمَّدٌ مِنْ لِسَانِ عُمَرَ، وَأَوْرَدَهَا فِي آيَةِ (٥٣) مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ. وَاجْتَمَعَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ نِسَاءُ فِي الْغِيْرَةِ، فَقَالَ عُمَرُ لَهِنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ. فَأَخَذَهَا مُحَمَّدٌ بِنَصِّهَا، وَأَوْرَدَهَا فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ (٥). فَهَلْ يُؤَخِّدُ كَلَامُ اللهِ مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ؟»^(٢).

إِنَّ الْفَادِي الْخَبِيْثَ غَيْرُ أَمِيْنٍ عَلَيَّ الْكَلَامِ الَّذِي يَنْقُلُهُ، وَهُوَ يُعَيِّرُ وَيُبَدِّلُ فِيهِ عَلَيَّ هَوَاهُ، وَيَتَلَاعَبُ بِالْفَاطِظَةِ، وَيَزِيدُ وَيُنْقِصُ مِنْهَا، وَيُضَيِّفُ لَهَا مَا يُرِيدُ.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك ﷺ قال: قَالَ عُمَرُ بِنُ الْخَطَابِ ﷺ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ

(١) صحيح أسباب النزول، لإبراهيم العلي، ص ٢٢ - ٢٤.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٧.

مقام إبراهيم مُصَلَّى. فنزلت الآية: ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى﴾ [البقرة: ۱۲۵]. وقلت: يا رسول الله! لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ۵۳]. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن. فنزلت الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ . . .﴾ [التحريم: ۵] (۱).

موافقات عمر رضي الله عنه ليست كما نظر إليها هذا الفادي المجرم الخبيث، وإنما هي من «أسباب النزول»، وأسباب النزول علمٌ ضروريٌّ من علوم القرآن، لا بُدَّ لكل ناظرٍ في القرآن من أن يتعلمه ويفهمه، فهناك بعض آيات القرآن نزلت بعد حادثة أو مشكلة وقعت بين الصحابة. وهذا من حيوية القرآن وأثره في المسلمين، وحلّه لمشكلاتهم، وهذه مزية له، وليست مطعناً يوجه له. وأشار إليها قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقَهُ لِقِرَامٍ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: ۱۰۶].

وموافقات عمر رضي الله عنه دليلٌ على فطنته وذكائه، وعلى حُسن تفكيره ونظره، وعلى حضور ذهنه واهتمامه بأحوال المسلمين، فهو يفكر وينظر ويجتهد، ويقترح وينصح ويشير، وشاء الله الحكيم أن ينزل الآيات الثلاث - الصلاة في مقام إبراهيم، وأمر نساء النبي بالحجاب، وتهديدهن إن لم يتوقفن عن الغيرة - بعد ثلاثة اقتراحات لعمر، وبذلك ويكون التفاعل والتأثر بالآيات أكثر، ويكون ثناءً على عمر العبقري رضي الله عنه. . . والله حكيم في ما كان ينزله من آيات القرآن يختار بحكمته سبحانه الوقت المناسب لإنزال الآية أو الآيات، ويجعل ذلك الإنزال متوافقاً مع حالة المسلمين، أو حلاً لمشكلة، أو علاجاً لحادثة.

ولكن الجاهل المفتري يجعل مزية القرآن مطعناً فيه، ويعتبر منقبتة دليلاً على اتهامه، والسبب هو تحامله وحقدّه وسفّهه وعدوانيته!!.

(۱) صحيح أسباب النزول، لإبراهيم العلي، ص ۲۵.

ثالثاً: ماذا أخذ رسول الله ﷺ من كتب اليهود؟:

وَضَعَ الفادي المفتري عنواناً مثيراً: «ما أَخَذَهُ من كُتُبِ جُهَالِ اليهود»، وقال تحتَ هذا العنوان: «هاكُم جَدُولاً بالموضوعاتِ التي انتحلها محمد، ومكانها في المؤلَّفاتِ اليهوديةِ التي أَخَذَ عنها».

والموضوعاتُ التي ذكرها أَحَدَ عَشَرَ موضوعاً، وكان يذُكُرُ موضعَ كُلِّ موضوعٍ في القرآن، وموضعه في كتبِ اليهود.

والموضوعاتُ التي ذَكَرَها هي:

١ - تَعَلُّمُ «قايين» من الغرابِ كيفيةَ دَفْنِ أخيه. وهو ابنُ آدمَ الكافر، الذي سَمَّاهُ اليهودُ والنصارى «قايين»، وسَمَّاهُ بعضُ المسلمين «قاييل». علماً أَنَّ اسمَه لم يذُكُرْ في القرآن. وقد ذُكِرَتْ قصةُ ابْنِي آدمَ في سورة المائدة: [٣٠ - ٣٥].

وادعى الفادي أن محمداً ﷺ أخذ هذا الموضوع من الكتاب اليهودي «فرقى ربي أليعزر، فصل: ٢١».

٢ - طرُحَ نمروذَ لإبراهيمَ في النار، وعدمُ مقدرةِ النارِ على إحراقه. وقد ذكر هذا في السور التالية: الأنبياء [٥٧ - ٧٠]. والصفات: [٩١ - ٩٨].

وادَّعى الفادي الجاهلُ أَنَّ قصةَ إلقاءِ إبراهيمَ في النارِ وَرَدَتْ في تسعِ سُورٍ، هي: البقرة: ٢٦٠. والأنعام: ٧٤ - ٨٤. والأنبياء: ٥٢ - ٧٢. والشعراء: ٦٩ - ٧٩. والعنكبوت: ١٥ - ١٦. والصفات: ٨١ - ٨٥. والزخرف: ٢٥ - ٢٧. والممتحنة: ٤. وهذا دليلُ جهلهُ بالعلمِ والبحثِ وبالقرآن، لأنَّ الكلامَ ليس عن قصةِ إبراهيمَ ﷺ، ومواجهته لقومه، وإنما الكلامُ عن محاكمته بعد تحطيمه الأصنامَ، وحُكْمِهِم عليه بالإحراقِ بالنَّارِ، وهذا لم يَرِدْ إِلَّا في سورةِ الأنبياءِ وسورةِ الصفاتِ.

ولسنا مع الإخباريين الذين جَعَلُوا اسمَ المَلِكِ زمنَ إبراهيمَ ﷺ: «نمرود». وهو الذي أشارَ له قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي

رَبِّيَ أَنْ ءَاتَنَّهُ اللَّهُ الْمَلِكُ إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ... ﴿ [البقرة: ٢٥٨]، ويلاحظُ أَنَّ الآيةَ لم تذكرِ اسْمَهُ، وبما أَنَّ اسْمَهُ لم يردْ في حديثٍ صحيحٍ عن رسولِ الله ﷺ، فإننا نتوقفُ في ذكرِ اسْمِهِ، ونجعل ذلك من مبهمات القرآن، ونقول: الله أعلم باسمه.

وَدَّعَى الفادي أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهودي: «مدراس ربا» فصل: ١٤. في تفسير تك: ١٥ - ١٧. ولا أدري من أين أَخَذَ رسولُ الله ﷺ هذا الكتابَ اليهودي، وهو الأُمِّي، والكتابُ المذكورُ مجهولٌ عند حاخاماتِ اليهود؟!.

٣ - اجتماعُ سليمانَ ﷺ مع رجالِ جيشه من الجنِّ والإنسِ والطير، وقصةُ الهدهدِ مع ملكةِ سبأ، وإحضاره عرشَ ملكةِ سبأ. وقد وردَ هذا الموضوعُ في سورةِ النمل: [١٧ - ٤٤].

وَدَّعَى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ قصةَ سليمانَ ﷺ مع ملكةِ سبأ من الكتابِ اليهودي: «الترجوم الثاني عن كتاب أُستير». ولا أدري كيف قرأ الرسولُ الأُمِّيُّ محمدٌ ﷺ هذا الكتابَ اليهوديَّ المفقودَ، الذي لم يكن موجوداً عند اليهودِ في الحجاز؟!.

٤ - لم يُحسنِ الفادي الجاهلُ فَهَمَ إشارةَ القرآنِ إلى قصةِ الملكين اللذنين أنزلهما اللهُ في مدينةِ بابل، والتي وردتْ في الآية: (٩٦) من سورة البقرة. وأخذَ تفاصيلِ إسرائيليةِ باطلة، واتهمَ الملكين هاروت وماروت بالباطل. قالَ عنهما: «تركيبُ الشهوةِ في الملاكين هاروت وماروت، وارتكابُهما شربِ الخمرِ والزنى والقتلَ وتعليمَ الناسِ السحر».

وَدَّعَى الجاهلُ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ قصةَ هاروت وماروت من الكتابِ اليهودي: «مدراس بلكوت»: الفصل: ٤٤.

وَكذَّبَ اليهودُ في اتهامِهم الملكين هاروت وماروت بارتكابِ جرائمِ شربِ الخمرِ والزنى والقتل، بعدَ أَنْ رَكَّبَ اللهُ فيهما الشهوةَ. وَيَجِبُ علينا أَنْ

نَبِيٌّ مَعَ الْإِشَارَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَجْمَلَةِ إِلَى قِصَّتِهِمَا، فَهَمَا مَلَكَانِ كَرِيمَانِ، أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى أَهْلِ بَابِلَ، لِيُحَذِّرَهُمْ مِنَ السَّحْرِ، وَيُنْهِيَاهُمْ عَنِ مِمَارَسَتِهِ، ثُمَّ صَعَدَا إِلَى السَّمَاءِ مَلَكَيْنِ كَرِيمَيْنِ، لَمْ يَفْعَلَا ذَنْبًا، وَلَمْ يَرْتَكِبَا فَاحِشَةً.

٥ - وَرَدَ رَفْعُ جَبَلِ الطُّورِ فَوْقَ رُؤُوسِ الْيَهُودِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: (٦٣) وَ(٩٣). وَفِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: (١٥٥) وَ(١٧١).

وَادَّعَى الْفَادِي الْمِفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ الْيَهُودِيِّ: «عِبَادَةُ زَارَاه»: الْفَصْلُ الثَّانِي.

٦ - ذَكَرَ الْقُرْآنُ عِبَادَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَجَلِ الذَّهَبِيِّ الَّذِي لَهُ خُورَارٌ، أثنَاءَ غَيْبَةِ مُوسَى ﷺ عَنْهُمْ، ذَاهِبًا إِلَى جَبَلِ الطُّورِ. وَوَرَدَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: (١٤٨ - ١٥٣). وَوَرَدَ فِي سُورَةِ طه: (٨٦ - ٩٨).

وَادَّعَى الْفَادِي الْمِفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ الْيَهُودِيِّ: «فَرَقَى رَبِّي أَلِعَازِرَ. فَصَل: ٤٥».

٧ - ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِنَ السَّمَاءِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ، مِنْهَا آيَةُ (٢٩) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. كَمَا ذَكَرَ أَنَّ لَجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، كَمَا وَرَدَ فِي آيَةِ (٤٤) مِنْ سُورَةِ الْحَجَرِ.

وَزَعَمَ الْفَادِي الْمِفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ الْيَهُودِيِّ «حَكِيكَاه» بَاب: ٩. فَصَل: ٢. وَكِتَاب: «زَوْهَر» فَصَل: ٢.

٨ - أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. وَوَرَدَ هَذَا فِي الْآيَةِ (٧) مِنْ سُورَةِ هُودٍ. وَادَّعَى الْفَادِي الْمِفْتَرِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنْ كِتَابِ الْيَهُودِ: «تَفْسِيرُ رَاشِي فِي تَك» ١: ٢.

٩ - تَكَلَّمَ الْقُرْآنُ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، وَمَا يَقُولُونَهُ لِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ. وَوَرَدَ هَذَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: آيَاتُ [٤٦ - ٤٩]. وَادَّعَى الْفَادِي الْمِفْتَرِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ الْيَهُودِيِّ: «مَدْرَاسُ تَفْسِيرِ جَامِعَةِ ٧: ١٤».

١٠ - أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ عِلَامَةَ بَدْءِ الطوفَانِ زَمَنَ نُوحٍ ﷺ هُوَ فُورَانُ المَاءِ مِنْ وَسْطِ التَّنُّورِ. وَوَرَدَ هَذَا فِي سُورَةِ هُودٍ، آيَةِ (٤٠). وَادَّعَى الفَادِي الجَاهِلُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ هَذَا المَوْضُوعَ مِنَ الكِتَابِ اليَهُودِيِّ: «رُوشِ هِشَانَاه» فَصَلَّ ٢: ١٦.

١١ - أَشَارَ القُرْآنُ إِلَى أَنَّ اللهَ حَفِظَ القُرْآنَ المَجِيدَ فِي اللُّوحِ المَحْفُوظِ عِنْدَهُ، وَوَرَدَ هَذَا فِي آيَتِي (٢١ - ٢٢) مِنْ سُورَةِ البُرُوجِ. وَادَّعَى الفَادِي المِفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا المَوْضُوعَ مِنَ الكِتَابِ اليَهُودِيِّ: «فِرْقِي أَبُوت» بَاب: ٥، فَصَل: ٦^(١).

وَالكِتَابُ اليَهُودِيُّ الَّتِي ذَكَرَهَا الفَادِي المِفْتَرِي لَا يَعْرِفُهَا مَعْظَمُ الأَخْبَارِ وَالحَاخَامَاتِ اليَهُودِ، وَلَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً عِنْدَ اليَهُودِ فِي بِلَادِ الحِجَازِ، فَمَنْ أَيْنَ اطَّلَعَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ؟ وَمِنْ مَنْ أَخَذَهَا، وَهُوَ لَمْ يُجَالِسِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي مَكَّةَ؟ وَكَيْفَ يَقْرَأُ فِيهَا بِاللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ وَهُوَ الأُمِّيُّ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ؟!.

رَابِعاً: مَاذَا أَخَذَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ كِتَابِ النَّصَارَى؟:

ادَّعَى الفَادِي المِفْتَرِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بَعْضَ مَوْضُوعَاتِ القُرْآنِ مِنْ «كِتَابِ جَهْلَةِ المَسِيحِيِّينَ» عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ. وَذَكَرَ خَمْسَةَ مَوْضُوعَاتٍ فِي القُرْآنِ، وَذَكَرَ فِي مَقَابِلِهَا الكِتَابَ النَّصْرَانِيَّةَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا.

١ - ادَّعَى أَنَّ قِصَّةَ أَصْحَابِ الكَهْفِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي سُورَةِ الكَهْفِ [٩] - [٢٦] أَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الكِتَابِ النَّصْرَانِيِّ: «مَجْدُ الشَّهَدَاءِ» فَصَل: ٩٥. تَأَلَّفَ غَرِيغُورِيُوسُ.

٢ - ذَكَرَ القُرْآنُ قِصَّةَ مَرْيَمَ، مِنْذُ أَنْ كَانَتْ جَنِيناً فِي رَحِمِ أُمِّهَا، إِلَى أَنْ كَفَّلَهَا اللهُ زَكَرِيَا ﷺ، وَوَرَدَ هَذَا فِي الآيَاتِ: [٣٥ - ٤٨] مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

(١) انظر مزاعم الفادي المفتري في كتابه، ص ١٨٧ - ١٨٨.

وَزَعَمَ الْفَادِي الْجَاهِلُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ النَّصْرَانِيِّ:
«بروت يو أنجيليون»: إصحاح: ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٩، ١١، ١٥.

٣ - ذَكَرَ الْقُرْآنُ حَمْلَ مَرْيَمَ بَعِيسَى ﷺ، وَكَيْفَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
قَصِيًّا، وَكَيْفَ أَنْجَبَتْ عَيْسَى، وَبِمَاذَا أَرْشَدَهَا وَلَيْدُهَا. وَوَرَدَ هَذَا فِي آيَاتِ (١٦ -
٢٦) مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ.

وَادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ
النَّصْرَانِيِّ: «حكاية مولد مريم وطفولة المخلص» الفصل: ٢٠.

٤ - ذَكَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ عَيْسَى ﷺ كَانَ يَصْنَعُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ
يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ
الْيُونَانِيِّ: «بشارة هوما الإسرائيلي». فصل: ٢.

٥ - صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِأَنَّ الْيَهُودَ وَالرُّومَانَ لَمْ يَقْتُلُوا عَيْسَى ﷺ وَلَمْ يَضْلُبُوهُ،
وَإِنَّمَا شُبِّهَ لَهُمْ، فَقَتَلُوا وَضَلَبُوا الشَّبِيهَ. وَوَرَدَ هَذَا فِي آيَةِ (١٥٧) مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ.

وَادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَخَذَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنْ رَجُلٍ
نَصْرَانِيٍّ اسْمُهُ «بَاسِيلْيُوس». قَالَ عَنْهُ: «حَسَبَ بَدْعَةِ بَاسِيلْيُوسِ، الَّذِي قَالَ: إِنَّ
الْمَسِيحَ أَلْفِي شَبَّهُهُ عَلَى «سَمْعَانَ الْقَيْرَوَانِي»، فَضَلِبَ بَدْنَهُ، لِأَنَّ الْمَسِيحَ لَيْسَ لَهُ
جَسَدٌ حَقِيقِي، بَلْ أَخَذَ شَبَهَ جَسَدٍ»^(١).

وَكَيْفَ يَدَّعِي هَذَا الْمَفْتَرِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَرَأَ كُتُبًا نَصْرَانِيَّةً مَتَخَصَّصَةً بَعْدَةَ
لُغَاتٍ، فِي أَمَاكِنَ خَاصَّةٍ، فِي كِنَائِسَ عَدِيدَةٍ، فِي بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ، بَلْ وَفِي
الْيُونَانَ! وَكَأَنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﷺ كَانَ عَالِمًا بَعْدَةَ لُغَاتٍ؛ مِنْهَا: الْأَرَامِيَّةُ وَالْيُونَانِيَّةُ،
الَّتَيْنِ كُتِبَتْ بِهِمَا الْأَنْجِيلُ! وَكَأَنَّهُ ﷺ سَافَرَ إِلَى كِنَائِسِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْيُونَانَ،
وَتَعَلَّمَ مِنْ رُهْبَانِهَا تِلْكَ الْكُتُبَ، وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ كِتَابٍ أَسْطُرًا أَوْ صَفْحَاتٍ!! لَا

(١) انظر كتاب المفتري، ص ١٨٨ - ١٨٩.

أدري أين ذهب عقل هذا الفادي المفتري وهو يكتب هذا الكلام؟! .

خامساً: ماذا أخذ رسول الله ﷺ من كتب الفرس؟:

ادّعى الفادي المجرم أنّ رسول الله ﷺ أخذ كثيراً من القرآن من كتب الفرس، وأنه سمع قصص ملوك الفرس وعقائدهم من الناس حوله، ثم ألف منها قرآنه. قال المجرم: «ومن المعلوم أنّ الفرس كانوا مُتسلطين على كثير من قبائل العرب، قبل مولد محمد وفي عصره، فانتشرت قصص ملوكهم وعقائدهم وخرافاتهم بين العرب، فتركت تأثيرها على محمد، ودون منها الشيء الكثير في قرآنه».

ومن الذي اكتشف محمداً ﷺ وهو يسطو على قصص الفرس ويضعها في قرآنه، كما يدعي الفادي المجرم؟ إنه الزعيم القرشي «النضر بن الحارث»! قال المجرم: «يشهد القرآن أنّ النضر بن الحارث كان يُعيرُ محمداً بأنه ناقل أقوال الفرس، ولم يأخذ من الوحي شيئاً... وكان النضر بن الحارث يُحدث الناس عن أخبار ملوك الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتتبها كما اكتتبتها. . فردّ عليه محمد في قرآنه بقوله: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [القلم: ١٥]. وجعل يسب النضر قائلاً: ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧ - ٨].»

يُصرِّح المجرم في الفقرة السابقة أنّ القرآن ليس وحياً من عند الله، وإنما هو من صياغة محمد ﷺ ولذلك قال: «فردّ عليه محمد في قرآنه بقوله: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾». أي أنّ هذه الآية من سورة القلم من تأليف محمد ﷺ، هو الذي صاغها ووضعها في سورة القلم.

وسجّل المجرم آيتين من سورة الجاثية اعتبرهما «سباً» صاغه محمد ﷺ وشتم به النضر بن الحارث، ووضعها في السورة.

وصدّق المفتري افتراءه، وجعله حقيقة يقينية، ورتّب عليه نتائج اعتبرها

قاطعة، ولذلك قال: «ونحنُ نسأل: كيفَ يَسمحُ محمدٌ لنفسِهِ أن يَشتمَ النَّضْرَ، وقد اقتبسَ في قرآنِهِ من أساطيرِ الفرس، ما كان من معراجِ أرتيوراف، ووَصَفَ الفردوسَ بحورهِ ووِلدانه؟ وقد جَعَلَ محمدٌ فعلاً مُعلِّمه «سلمانَ الفارسيَّ» واحداً من الصحابة؟»^(١).

وللردِّ على المفتري المجرم نقول: لم يَشتمَ الرسولُ ﷺ النَّضْرَ بنَ الحارث، لأنَّهُ لم يكن سَباباً ولا لَعاناً ولا شاتِماً، ولم يكن فاحِشاً بذِيءِ اللسان، وكان كَلامُهُ كُلُّهُ رِقَّةً وأدباً وذوقاً، ولم تَصُدُرْ عنه كلمةٌ واحدةٌ جارحةٌ.. وأخطأ الفادي المجرمُ الجاهلُ في زعمِهِ أن آيةَ سورةِ القلمِ وآيتي سورةِ الجاثيةِ السابقةِ نزلتْ في النَّضْرِ بنِ الحارثِ.

وقد وَرَدَتْ بعضُ الرواياتِ في أنَّ الذي نزلَ في النَّضْرِ بنِ الحارثِ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْتَمَسْ مِنْ يَشْتَرِي لَهُوَ أَلْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

ولكنَّ الراجحُ أنه لم يَنزلْ فيه، كما أنه لم يَنزلْ فيه آياتُ سورةِ القلمِ والجاثيةِ.. ولم تصحَّ قصةُ النَّضْرِ بنِ الحارثِ، وأنه كان «يُشَوِّشُ» على رسولِ الله ﷺ، بما كان يَحكي للناسِ من قِصصِ مُلوكِ الفرس، ولم يصحَّ إنزالُ آياتٍ في قصتهِ.

ولكنَّ الفادي جاهل، وهو لجهله يَعمدُ على رواياتٍ موضوعة، وأخبارٍ باطلة، ويَبني عليها اتهاماتِهِ ضدَّ القرآنِ والرسولِ ﷺ، وهو يَجمعُ بينَ الجهلِ والحِقْدِ والافتراءِ والادِّعاء!!.

أ - هل أخذ رسول الله ﷺ حادثة المعراج من الفرس؟

ادَّعى الفادي المفتري أنَّ محمداً ﷺ لم تَحْدُثْ له حادثةُ الإسراءِ والمعراج، وإنما قرأَ هذه القصةَ في كتابِ فارسي، بلغةِ فارسية، ونَسَبَها لنفسه، وادَّعى أنه هو الذي عرَّجَ به!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٨٩.

لنقرأ هذه الفقرة الفاجرة من كلام الفادي الفاجر: «جاءت قصة فارسية قديمة في كتاب باللغة الفارسية، اسمه: «أرتيوراف نامك»، كتبت سنة أربعمئة قبل الهجرة، وموضوع القصة أن المجوس أرسلوا روح «أرتيوراف» إلى السماء، ووقع على جسده سبات، وكان الغرض من رحلته هو الاطلاع على كل شيء في السماء، والإتيان بأنبائها. . . فعرج إلى السماء، وأرشده أحد رؤساء الملائكة، فجال من طبقة إلى طبقة، وترقى بالتدرج إلى أعلى فأعلى... ولما اطلع على كل شيء أمره «أورمزد» الإله الصالح أن يرجع إلى الأرض، ويخبر الزرادشتية بما شاهد.

فأخذ محمد قصة معراج «أرتيوراف»، وجعل نفسه بطلها! وقال: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ اِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

وقال محمد في الحديث عن ليلة الإسراء: «أتيت بداية دون البغل وفوق الحمار، أبيض يقال له: البراق، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فجلست عليه، فانطلق بي جبريل، حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح ورأى آدم، ثم صعد بي إلى السماء الثانية، فرأيت عيسى ويحيى، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت يوسف، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت إدريس، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت هارون، ثم صعد بي إلى السماء السادسة فرأيت موسى، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فرأيت إبراهيم، ثم رجعت إلى سدره المنتهى، فرأيت فيها أربعة أنهار، منها النيل والفرات، ثم أتيت بإناء من حمر وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك...».

إذن: لم يحدث الإسراء برسول الله ﷺ، ولا العروج به إلى السموات العلوى، والذي اكتشف هذه الحقيقة هو هذا القسيس الفادي، حيث اطلع هذا الفادي على المرجع الذي أخذ منه رسول الله ﷺ ادعاءه. إنه كتاب فارسي قديم، مؤلف بلغة فارسية قديمة، يتحدث عن أسطورة معراج «أرتيوراف»، وقد

اَظْلَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ الْفَارْسِيِّ، وَهُوَ مَتَمَكِّنٌ مِنَ اللُّغَةِ الْفَارْسِيَةِ فِي نَظَرِ الْفَادِي الْمَكْتَشِفِ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِاللُّغَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ، قِرَاءَةً وَكِتَابَةً وَمَحَادَثَةً، وَمِنْهَا الْعَرَبِيَّةُ وَالْأَرَامِيَّةُ وَالْحَبَشِيَّةُ وَالْفَارْسِيَّةُ وَالْيُونَانِيَّةُ وَالرُّومَانِيَّةُ وَالْعَبْرِيَّةُ وَ... .

وَأَعْجَبَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِقِصَّةِ أَرْتِيوراف، وَادَّعَاهَا لِنَفْسِهِ، وَكَذَّبَ عَلَى النَّاسِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَلَيْسَ أَرْتِيوراف!! وَأَثَبَتْ ذَلِكَ فِي قِرَائِهِ الَّذِي أَلْفَهُ، وَادَّعَى أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ!! .

هَكَذَا يُسَجَلُ الْفَادِي الْمَجْرُمُ كَلَامَهُ، وَيُدَوَّنُ اتِّهَامَاتِهِ لِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَلْبَسُ ثَوْبَ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْحِيَادِ، وَيَقُولُ كَلَامًا حَاقِدًا لَا يَصُدِّرُ عَنْ مَنْصَفٍ مُحَايِدٍ!! .

ب - هل أخذ رسول الله ﷺ وصف الحور العين من الفرس؟

ادَّعى الفادي المجرم أنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ وَصَفَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ عَنْ كُتُبِ الْفَرَسِ، وَوَضَعَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ، قَالَ: «أَخَذَ الْقُرْآنُ الْإِعْتِقَادَ بِوُجُودِ الْحَوْرِ الْعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مِمَّا قَالَهُ الزَّرَادُشْتِيَّةُ الْقَدَمَاءُ، عَنْ وُجُودِ أَرْوَاحِ الْغَادِيَّاتِ الْغَانِيَّاتِ الْمَضِيئَاتِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ مَكَافَأَةَ أَبْطَالِ الْحُرُوبِ هِيَ الْوُجُودُ مَعَ الْحَوْرِ وَوِلْدَانِ الْحَوْرِ، وَكَانَ الْإِعْتِقَادُ بِوُجُودِ الْحَوْرِ سَارِيًّا عِنْدَ الْهِنُودِ أَيْضًا، وَكَلِمَةُ «حُورِي» فِي لُغَةِ «أُوسْتَا» (وهي من لُغَاتِ الْفَرَسِ الْقَدِيمَةِ) تَعْنِي الشَّمْسَ وَضَوْءَهَا، وَفِي اللُّغَةِ الْبَهْلُويَّةِ «هُور»، وَفِي لُغَةِ الْفَرَسِ الْحَدِيثَةِ «حَنُور»، وَلَقَطَهَا الْعَرَبُ «حُورًا» [كتاب «شرائع منوا» فصل: ٥، البيت: ٨٩] فَجَرِيًّا عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْفَارْسِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِ الْفَارْسِيِّ قَالَ الْقُرْآنُ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وَقَالَ: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ ﴿٣٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ الْمَكُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣] (١) .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَطَّلَعٌ عَلَى كُتُبِ الْفَرَسِ الْقَدِيمَةِ، وَخَبِيرٌ بِاللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ، يَذْهَبُ إِلَى بِلَادِ الْفَرَسِ، وَيَقْرَأُ تِلْكَ الْكُتُبَ، وَيَأْخُذُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ، وَيَصَوِّغُهُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٠ - ١٩١.

باللغة العربية، ويجعله قرآناً، واكتشف الفادي الباحث ذلك، ودَكَرَ لنا الكتاب الذي كان محمدٌ ﷺ يأخذُ منه!! .

من ما أخذَه من ذلك الكتابِ القولُ بأنَّ في الجنةِ نساءً من الحورِ العينِ، فهذه عَقيدةٌ فارسيةٌ زرادشتيةٌ، وكلمةُ «حور» هنديةٌ فارسيةٌ، معناها الشمسُ، حَوْرَها الفرسُ إلى «هور»، وأخذَها منهم محمدٌ ﷺ وحرَّفَها إلى كلمةِ «حور».. هذا ما يقرُّه الباحثُ المتمكِّنُ من فقه اللغات، الفادي أفندي!! .

إن كلمةَ «حور» كلمةٌ عربيةٌ أصيلةٌ، وكانَ يستعملُها العربُ في الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ، ويجعلونها وصفاً للنساءِ الحسانِ الجميلاتِ .

قالَ العالمُ اللغويُّ الإمامُ ابنُ فارس: «الحورُ: شِدَّةُ بياضِ العينِ في شِدَّةِ سوادِها. قالَ أبو عمرو: الحورُ: أن تَسوَّدَ العينُ.. وإنما قيلَ للنساءِ: «حورُ العين» لأنهنَّ شُبَّهنَّ بالطَّباء»^(١) .

وجاءَ في لسانِ العرب: «الحورُ: الرُّجوعُ عن الشيءِ، وإلى الشيءِ. حارَ إلى الشيءِ: رَجَعَ إليه. وأحارَ عليه جوابه: رَدَّهُ. و: المحاورَةُ: المجاورةُ. و: الحورُ: أن يشتدَّ بياضُ العينِ وسوادُ سوادِها، وتستديرُ حدَّقَتُها، وترقَّ جفونُها، ويبيضُ ما حوَّالِها. وقيل: الحورُ شِدَّةُ سوادِ المقلَّةِ في شِدَّةِ بياضِها، في شِدَّةِ بياضِ الجسدِ. قالَ الأزهري: لا تُسمَّى حوراءَ حتى تكونَ مع حورٍ عَيْنِها بياضاً لونِ الجسدِ... والأعرابُ تُسمِّي نساءَ الأمصارِ حوارياتٍ لبياضِهنَّ، وتباعدهنَّ عن قَشْفِ الأعرابِ بنظافتهنَّ... فالحوارياتُ من النساءِ: النقياتُ الألوانِ والجلودِ لبياضِهنَّ»^(٢) .

وبهذا نعرفُ أنَّ مادَّةَ «حور» عربيةٌ أصيلةٌ، في جذريها واشتقاقاتها وتصريفاتها واستعمالاتها، وليستَ فارسيةً أو مُعَرَّبَةً عن الفارسيةِ، كما زعمَ هذا الفادي المفتري .

وقد وَرَدَتْ مادَّةُ «حور» في القرآنِ ثلاثَ عَشْرَةَ مرَّةً، وَوَرَدَ منها الكلماتُ

(٢) لسان العرب: ٢١٧/٤ - ٢١٩ .

(١) مقاييس اللغة، ص ٢٨٧ .

التالية: يَحُورُ بمعنى: يَرْجِعُ: مرةً واحدة. و: يُحاورُ بمعنى: يُراجِعُ ويُناقِشُ ويُجادِلُ في الكلام. وَرَدَ مرتين. و: تَحاورُ: بمعنى المراجعة والمناقشة. وَرَدَ مرةً واحدة. و: حورٌ عَيْنٌ: صفةٌ نساءِ الجَنَّةِ. وَرَدَ أربعَ مرات. و: الحوارِيُّونَ: أصحابُ عيسى ﷺ. وَرَدَ خمسَ مرات.

قالَ اللهُ عن الحورِ العِينِ: ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] وقالَ تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] وقالَ تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٠ - ٧٢]. وقالَ تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٧٧﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ الْمَكُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣].

ج - هل سلمان الفارسي هو مؤلف القرآن؟:

من مفترياتِ الفادي المفتري الكبيرة الفاجرة زَعْمُهُ أَنَّ مُعَلِّمَ النَّبِيِّ ﷺ هو سلمانُ الفارسيُّ ﷺ، كانَ يُلقَنُ النَّبِيَّ ﷺ القرآنَ، فيصوغُهُ بدوَرِهِ بالعربية، وَيَنسِبُهُ إلى اللهِ!!.

قالَ تحتَ عنوان: «مُلَقَّنُ مُحَمَّدٍ: سلمانُ الفارسي»: «شهدَ القرآنُ أَنَّ المقصودَ بِإملائِهِ القصصَ الفارسيةَ على مُحَمَّدٍ هو سلمانُ الفارسي، فقالَ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وسلمانُ هذا فارسيٌّ أسلم، وكانَ من الصحابة، وهو الذي أشارَ على مُحَمَّدٍ وَقَتَ حصارِ المدينة بحفرِ الخندق، فنَفَّذَ مُحَمَّدٌ نصيحَتَهُ، وهو الذي أشارَ على مُحَمَّدٍ باستعمالِ المنجنيقِ في غزوةِ ثقيفِ في الطائف. وقد اتهمَ العربُ مُحَمَّدًا أَنَّ سلمانَ هذا هو الذي ساعَدَهُ على تأليفِ قرآنِهِ، ومنه استقى الكثيرَ من قَصَصِهِ وعباراتِهِ، ومع أَنَّ مُحَمَّدًا قالَ: إنَّ سلمانَ أَعْجَمِيٌّ والقرآنُ عربيٌّ، ولكن هذا لا يمنعُ أَنَّ تكونَ المعاني لسلمان، وصياغَتُها في أسلوبِها العربيِّ لمحمد»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩١.

يَكْذِبُ الْمُفْتَرِي عِنْدَمَا يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ شَهَدٌ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِإِمْلَاءِ الْقَصَصِ
الْفَارْسِيَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ ﷺ، وَأَنَّهُ هُوَ الْأَعْجَمِيُّ
الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْآيَةَ نَازِلَةٌ فِي سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ،
لَأَنَّ سُورَةَ النَّحْلِ مَكِّيَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ سَلْمَانُ مُسْلِمًا وَقَتَ نَزُولِهَا، إِنَّمَا أَسْلَمَ فِي
الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ. وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْآيَةِ بَعْضُ الْعَبِيدِ الْأَعْجَمِ فِي
مَكَّةَ.

رَوَى الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ»، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مُسْلِمِ الْحَضْرَمِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ عَبْدَانٌ مِنْ أَهْلِ غَيْرِ الْيَمَنِ، وَكَانَا طِفْلَيْنِ،
وَكَانَ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: يَسَارٌ، وَلِلْآخَرِ: جَبْرٌ. فَكَانَا يَقْرَأَنِ التَّوْرَةَ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُبَّمَا جَلَسَ إِلَيْهِمَا. فَقَالَ كِفَارٌ قَرِيشِي: إِنَّمَا يَجْلِسُ إِلَيْهِمَا يَتَعَلَّمُ
مِنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا
لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيْرَةِ: كَانَ الْغَلَامُ النَّصْرَانِيُّ وَاسْمُهُ «جَبْرٌ»
عَبْدًا لِبَعْضِ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ وَقَتَادَةَ: كَانَ اسْمُهُ يَعِيشُ. وَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ: كَانَ اسْمُهُ بَلْعَامٌ.

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنَ كَثِيرٍ الْاِخْتِلَافَ فِي اسْمِ ذَلِكَ الْغَلَامِ
الْأَعْجَمِيِّ، قَالَ: «وَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَاحِمٍ: هُوَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ. وَهَذَا الْقَوْلُ
ضَعِيفٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَسَلْمَانٌ إِنَّمَا أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: «يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ، مَا
كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْاِفْتِرَاءِ وَالْبُهْتِ، أَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ هَذَا الَّذِي
يَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ بَشَرًا. وَيُشِيرُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ،

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٧/٢.

غُلامٌ لبعضِ بَطونِ قريشٍ، كانَ يَبِيعُ عِندَ الصَّفَا، وربما كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَجلسُ إليه ويُكلِّمُه بعضَ الشَّيءِ، وذاكَ كانَ أعجميَّ اللسانِ لا يَعرفُ العربيةَ، أو أَنه كانَ يَعرفُ الشَّيءَ اليسيرَ، بقَدْرِ ما يَرُدُّ جِوابَ الخُطابِ فيما لا بُدَّ منه، فلهذا قالَ اللهُ تعالى رَدًّا عليهم في افتراءِهم ذلكَ: ﴿لَسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. أَي: القرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبينٌ، فكيفَ يتعلَّمُ مَنْ جاءَ بهذا القرآنِ - في فصاحتِهِ وبلاغتِهِ ومعانيهِ التامةِ الشاملةِ، التي هي أكملُ من كُلِّ كتابٍ نَزَلَ على بني إسرائيلِ - من رجلٍ أعجميٍّ؟ لا يَقولُ هذا مَنْ له أدنى مِسْكَةٍ من عَقْلٍ..»^(١).

لقد كَذَبَ الفادي المفتري كذبتين كبيرتين: كَذَبَ عندما زَعَمَ أَنَّ الرَسولَ ﷺ أَخَذَ هذا القرآنَ عن رجلٍ أعجميٍّ، ولا نجدُ في الرَدِّ عليه أبلغَ من قولهِ تعالى: ﴿لَسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

والكِذبةُ الثانيةُ عندما زَعَمَ أَنَّ هذا الأَجميَّ المَعلمَ هو سلمانُ الفارسيُّ ﷺ، وهو يَقولُ هذا الكلامَ لأنَّه جاهلٌ بالقرآنِ، وبالسيرَةِ، وبالتاريخِ، وبأَسسِ البَحْثِ العِلْمِيِّ المَحايِدِ النزيه.

إنَّه جاهلٌ لا يَعرفُ أَنَّ سورةَ النحلِ مكيَّةٌ، وجاهلٌ لأنَّه لا يَعرفُ أَنَّ إِسلامَ سلمانَ الفارسيِّ كانَ في المدينة. وهو حاقِدٌ متحامِلٌ، يُغالِطُ عندما يَدَّعي أَنَّ سلمانَ الفارسيَّ كانَ يُعلِّمُ الرَسولَ ﷺ العلومَ والقِصصَ والأخبارَ والمعاني، باللُغةِ الفارسيَّةِ، فيتلقَّفُها منه، ويصوغُها بلُغتهِ العربيَّةِ: «ولكنَّ هذا لا يَمنعُ أَنَّ تكونَ المعاني لسلمان، وصياغتها في أُسلوبها العربيِّ لمحمد».

وقد كانَ سلمانُ الفارسيُّ ﷺ خبيراً بشؤونِ الحربِ، ولذلك هو الذي أشارَ على رَسولِ اللهِ ﷺ بحفْرِ الخندقِ، في السَنَةِ الخامسةِ من الهِجرةِ، لما

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٧/٢.

هاجمت أحزاب الكفار المدينة، ففوجئوا بذلك الخندق، الذي لم يألفوه من قبل. كما أشار على رسول الله ﷺ بضرب الطائف بالمنجنيق، في السنة الثامنة من الهجرة.

سادساً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من كتب الحنفاء؟:

تكلم الفادي الجاهل عن «الحنفاء» كلاماً باطلاً، دلّ على جهله وافتراءه، وزعم فيه أنّ هؤلاء الحنفاء كانوا من الذين علّموا رسول الله ﷺ.

أ - من هو الحنيف؟:

من جهل الفادي أنه لم يعرف معنى كلمة «حنيف» في اللغة العربية، فبعده أن ذكر بعض الآيات التي وصفت إبراهيم عليه السلام بأنه حنيف، كقوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥] ادّعى الجاهل الغبي أنّ كلمة «حنيف» عبرية وسريانية وليست عربية. قال في افتراءه: «وكلمة (حنيف) في اللغة العبرية والسريانية تعني «نجساً» أو «مُرْتَدًّا»، ووصم بها العرب الذين هجروا عبادة الأصنام، وارتدوا عن دين أسلافهم»^(١).

«حنيف» عند الجاهل ليست صفة مدح، بل صفة ذم، بمعنى: نجس، وهي عبرية وليست عربية! هكذا يدّعي هذا الباحث الموضوعي المحايد!!
علماء أنّ الكلمة عربية أصيلة، ذات جذر لغوي صحيح، ومعنى عربي: واضح مفهوم.

هل الحنيف هو النجس؟ لننظر:

قال ابن فارس: «الْحَنْفُ هو المَيْلُ. ورجلٌ أَحْنَفُ: مائلُ الرَّجْلَيْنِ. والْحَنِيفُ: المائلُ إلى الدينِ المستقيم. ويُقال: الحَنِيفُ هو النَّاسِكُ، والْحَنِيفُ هو المستقيمُ الطريقة، وهو يَتَحَنَّفُ. أي: يَتَحَرَّى أقومَ الطَّرِيقِ»^(٢).
وجاء في لسان العرب: «الْحَنِيفُ: المسلم، الذي يَتَحَنَّفُ عن الأديان،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩١. (٢) مقاييس اللغة، ص ٢٨٥.

أَيُّ: يَمِيلُ إِلَى الْحَقِّ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَسْتَقْبِلُ قِبْلَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقِيلَ: هُوَ الْمُخْلِصُ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ أَسْلَمَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَلَمْ يَلْتَوِ فِي شَيْءٍ. وَقِيلَ: كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَلَمْ يَلْتَوِ فَهُوَ حَنِيفٌ. فَالْحَنِيفُ: الْمُسْتَقِيمُ، وَالْحَنْفُ: الْإِسْتِقَامَةُ. وَالذِّينُ الْحَنِيفُ: الْإِسْلَامُ. وَالْحَنِيفِيَّةُ: مِلَّةُ الْإِسْلَامِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ». قَالَ الزَّجَاجُ: الْحَنِيفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: مَنْ كَانَ يَحُجُّ الْبَيْتَ، وَيَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَيَخْتَنُ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ كَانَ الْحَنِيفُ الْمُسْلِمَ. وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءً». أَيُّ: طَاهِرِي الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَعَاصِي...»^(١).

الْحَنِيفُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ الطَّاهِرُ وَلَيْسَ النَّجَسُ، وَهُوَ الْمُسْلِمُ وَلَيْسَ الْمُرْتَدُّ، وَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ عَلَى الْحَقِّ، وَلَيْسَ الْمُنْحَرَفُ عَنْهُ، فَهُوَ صِفَةٌ مَدْحٍ وَثَنَاءٍ، وَلَيْسَ صِفَةٌ ذَمٍّ، كَمَا ادَّعَى هَذَا الْجَاهِلُ الْغَبِيُّ.

وَلِذَلِكَ جَاءَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ لِلْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، وَوُصِفَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]. وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَأَنْ يَكُونَ حَنِيفًا مِثْلَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

(١) لسان العرب: ٥٦/٩ - ٥٨.

وَأَمَرَ اللَّهُ كُلَّ عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا حُنَفَاءَ، عَلَى اخْتِلَافِ زَمَانِهِمْ أَوْ مَكَانِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَنِيفٌ، وَرَسُولُنَا ﷺ حَنِيفٌ.. وَالنَّجِسُ الْمُرْتَدُّ الْخَبِيثُ الْمَفْتَرِي هُوَ هَذَا الْفَادِي الْمَجْرُمُ، الَّذِي يَتْلَعَبُ حَتَّى بِمَعَانِي الْكَلِمَاتِ!.

ب - حول نشأة الحنفاء ونهايتهم:

يُوَاصِلُ الْفَادِي الْجَاهِلُ الْجَهْلَةَ، فَيَتَحَدَّثُ عَنْ نَشْأَةِ الْحُنَفَاءِ، وَيَذْكُرُ أَمْرًا سَازِجًا مُضْحِكًا، يَدَّعِي أَنَّهُ نَقَلَهُ عَنِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ.

زَعَمَ أَنَّ قُرَيْشًا اجْتَمَعَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ لَهُمْ، حَوْلَ صِنْمٍ مِنْ أَصْنَامِهِمْ، يَعْبُدُونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ... فَاعْتَزَلَهُمْ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ، وَجَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُمْ: وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَعِثْمَانُ بْنُ الْحَوِيرِثِ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعْلَمُونَ أَنَّ قَوْمَكُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَأَنَّهُمْ تَرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبَدُوا أَحْجَارًا لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ... .

وَتَوَاصَى هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ، لِلْبَحْثِ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ.

وَزَعَمَ الْفَادِي أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ تَنَصَّرَ، وَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بَقِيَ حَائِرًا، إِلَى أَنْ أَسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ، وَأَنَّ عِثْمَانَ بْنَ الْحَوِيرِثِ تَنَصَّرَ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو اعْتَزَلَ قَوْمَهُ، وَطَرَدُوهُ مِنْ مَكَّةَ، وَأَقَامَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ... (١).

وَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، يَدُّ عَلَى أَنَّ «الحنفاء» لَمْ يَوْجَدُوا إِلَّا فِي قُرَيْشٍ، قَبِيلَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ رِجَالٍ فَقَطْ، انْتَهَى ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَصَارُوا نَصَارَى، وَالرَّابِعُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ الْقُرْآنَ!! .

«الحنفاء» هم: الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَلَمْ يَعْبُدُوا الْأَصْنَامَ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَقُوا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٢.

إبراهيم ﷺ كان «حنيفاً»، ولهذا أعلن كل واحد منهم أنه حنيف، يفتدي إبراهيم ﷺ، وسُموا بالحنفاء. أي أن دينهم كان «الحنيفية»، القائمة على توحيد الله، وعدم الشرك به.

وكان هؤلاء قبل بعثة محمد ﷺ بمئات السنين، ولم يتوقف وجود الحنفاء في بلاد العرب منذ إسماعيل ﷺ، ولم يكونوا في مكة وحدها، إنما كانوا موجودين في مختلف بلاد العرب، كمكة والمدينة والطائف ونجد واليمن وعمان وغيرها. فلم يكونوا مجرد أربعة رجال كما زعم الفادي.

وكذب الفادي المفتري عندما ادعى أن ورقة بن نوفل اعتنق النصرانية، وذلك في قوله: «فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية، واتبع الكتب من أهلها، حتى علم علماً من علم أهل الكتاب».

لقد بقي ورقة على الحنيفية، ولم يدخل في اليهودية ولا في النصرانية، لقد كان قارئاً كاتباً، مُطّلعاً على التوراة، يقرأ فيها، ويعرف النبوة والأنبياء، لكنه لم يعتنق أيّاً من الديانتين اليهودية والنصرانية.

وبقي ورقة بن نوفل حياً حتى بعثة محمد ﷺ، وكان قريباً لزوجته خديجة ﷺ، وقد قابل الرسول ﷺ ورقة بعد نزول الوحي عليه، وثبته على الحق. روى البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ حديث «بدء الوحي» الطويل، ونسجل هنا الجزء المتعلق بورقة، قالت: «... فقالت خديجة لورقة: أي عم! اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعاً، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟». قال ورقة: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي»^(١).

(١) مسلم، برقم: (١٦٠).

وَرَقَّةٌ حَنِيفٌ مُوَحَّدٌ، يَعْرِفُ النُّبُوَّةَ وَالْأَنْبِيَاءَ، لِذَلِكَ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا رَسُولًا نَبِيًّا ﷺ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، وَأَنَّ جَبْرِيلَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ قَبْلَهُ. . وَأَخْبَرَ وَرَقَّةٌ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا سَيُخْرِجُونَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَسَيُعَادُونَهُ وَيُحَارِبُونَهُ، لِأَنَّ الْأَقْوَامَ السَّابِقِينَ عَادُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَحَارَبُوهُمْ، وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ فِي شَبَابِهِ وَقُوتَهُ لِيَنْصُرَهُ وَيؤَيِّدَهُ وَيَكُونَ مَعَهُ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي دِينِهِ إِنْ أَدْرَكَهُ وَبَقِيَ حَيًّا، لَكِنَّهُ سَرَعَانَ مَا تُوْفِيَ! .

أَيُّ أَنْ وَرَقَّةٌ أَيْقَنَ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَمَنَّى لَوْ دَخَلَ هُوَ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ يَنْوِي ذَلِكَ، لَكِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالدَّعْوَةِ.

ج - زيد بن عمرو ورسول الله ﷺ:

أَدَّعَى الْفَادِي الْمَجْرُمُ أَنَّ قُرَيْشًا نَفَقُوا زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو، فَأَقَامَ فِي غَارِ حِرَاءَ، وَهَنَّاكَ كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَعَلَّمَهُ زَيْدُ الْقُرْآنَ!! قَالَ الْفَاجِرُ فَضَّ اللَّهُ فَاهَ: «وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو فَلَمْ يَدْخُلْ فِي يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ، وَفَارَقَ دِينَ قَوْمِهِ، فَاعْتَزَلَ الْأَوْثَانَ، وَنَهَى عَنِ قَتْلِ الْمَوْءُودَةِ، وَقَالَ: أَعْبُدُ رَبَّ إِبْرَاهِيمَ، وَنَادَى قَوْمَهُ بَعِيْبٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَجْهَرُ فِي الْكَعْبَةِ بِمَبَادِيئِهِ، فَطَرَدَهُ عَمَّهُ خَطَّابٌ مِنْ مَكَّةَ، وَأَلْزَمَهُ أَنْ يُقِيمَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءَ أَمَامَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ بِالْدُخُولِ إِلَى مَكَّةَ. . وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ حِرَاءَ، وَيَصْرِفُ هُنَاكَ شَهْرًا كُلَّ سَنَةٍ، حَيْثُ طَبَعَ زَيْدٌ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي ذَلِكَ الْغَارِ أَكْبَرَ أَثَرٍ فِي أَفْكَارِهِ وَتَوْجِيهِهِ»^(١).

مَا ادَّعَاهُ الْمَجْرُمُ غَيْرُ صَحِيحٍ، فَلَمْ تَنْفِ قُرَيْشٌ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو مِنْ مَكَّةَ، وَمَنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ مُقِيمًا فِي غَارِ حِرَاءَ، فَقَدْ كَانَ مُقِيمًا فِي مَكَّةَ، وَبِتَجَوُّلِ فِيهَا، وَيَجْلِسُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَيَنْشُدُ الْأَشْعَارَ، وَيَنْطُقُ بِالْأَقْوَالِ فِي عَيْبِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، وَالْجَهْرِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَكَانُوا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَهْتَمُّونَ بِهِ.

وَلَمْ يَلْتَقِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو فِي غَارِ حِرَاءَ، كَمَا ادَّعَى الْمَجْرُمُ، وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو قَبْلَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي أَدْرَكَ النُّبُوَّةَ هُوَ ابْنُهُ سَعِيدُ بْنُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٢ - ١٩٣.

زيد، الذي كان من خيار الصحابة، ومن العشرة المبشرين بالجنة.
وانظر إلى فُجورِ الفادي عندما يُوظَّف الرواية الصحيحة توظيفاً سيئاً،
يوافقُ هواه، ويستدلُّ بها على ادِّعاءاته واتهاماته. فالرسول ﷺ كان يذهب إلى
غارِ حراءَ شهراً في السنة، هو شهرُ رمضان، هذا صحيح، حيثُ كان يخلو
إلى نفسه، يُفكِّرُ ويتأمَّلُ... لكنَّه لم يكن هناك مع زيد بن عمرو، ولم يُعلِّمه
زيدُ القرآنَ، ولم يُلقِّنه التوحيدَ.

وعندما كان رسولُ الله ﷺ وحيداً في غارِ حراءَ فاجأه الوحيُّ، وأنزلَ الله
عليه جبريلَ ﷺ.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضيها الله عنهما قالت: «أولُّ ما بُدئَ
به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرويا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا
جاءت مثلَ فلقِ الصُّبح... ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغارِ حراءَ،
فيتحنُّتُ فيه - وهو التعبُّدُ - الليالي ذواتِ العدد، قبلَ أن ينزعَ إلى أهله، ويتزوَّدَ
لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجة، فيتزوَّدَ لمثلها... حتى جاءه الحق وهو في غارِ
حراء... فجاءه الملكُ، فقال: اقرأ...».

د - هل أثارَ زيدُ بنُ عمرو في القرآن؟

ما زالَ الفادي المفتريُّ مُصرّاً على فُجوره ومزاعمه بأنَّ محمداً ﷺ تلقى
القرآنَ عن زيدِ بن عمرو. وأوردَ بعضَ الأبياتِ الشعرية التي نسبتُ لزيدِ بن
عمرو، ولخصَّ هو بعضَ أفكارها، الراضية للشرك، والداعية إلى التوحيد، ثم
زعمَ أنَّ هذه الأبياتِ أثرتُ في القرآن.

قال المجرم: «أقوالُ زيدِ بن عمرو وأثرها في القرآن:

قال زيدُ بنُ عمرو في فراقِ قومه:

أَرَبُّ وَاحِدٌ أَمْ أَلْفُ رَبِّ	أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعاً	كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلِيدُ الصَّبُورُ
فَلَا عُزَّى أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْهَا	وَلَا صَنَمِي بَنِي عَمْرٍو أَزُورُ
وَلَا هُبَلًا أَدِينُ وَكَانَ رَبًّا	لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حُلِمِي يَسِيرُ

عَجِبْتُ وَفِي اللَّيَالِي مُعْجِبَاتٌ وَفِي الْأَيَّامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالاً كَثِيراً كَانَ شَأْنُهُمُ الْفُجُورُ
وَأَبْقَى آخِرِينَ بِبِرِّ قَوْمٍ فَيَكْبُرُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَبَيْنَا الْمَرْءُ يَفْتُرُ ثَابَ يَوْمًا كَمَا يَتَرَوَّحُ الْغُضْنُ الْمَطِيرُ
وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَعْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْعَفُورُ
فَتَقْوَى اللَّهُ رَبُّكُمْ أَحْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُ
تَرَى الْأَبْرَارَ دَارَهُمْ جَنَّاتٍ وَلِلْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَخِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُبْلِقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ»

وعَلَّقَ الْمُفْتَرِي عَلَى شِعْرِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بِقَوْلِهِ: «فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْعَامِرَةُ تَبِينُ مَبَادِيءَ الْحُنْفَاءِ الَّتِي تَأَثَّرَ بِهَا مُحَمَّدٌ، وَجَعَلَهَا مِنْ مَقُومَاتِ دِينِهِ، فَقَصِيدَةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو قَبْلَ الْإِسْلَامِ تُعَلِّنُ الْمَبَادِيءَ التَّالِيَةَ:

رَفُضَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ. وَالْإِقْرَارُ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ. وَالْوَعْدُ بِالْجَنَّةِ. وَالْوَعْدُ بِالْعَذَابِ فِي سَعِيرِ جَهَنَّمَ. وَأَسْمَاءُ اللَّهِ الرَّبِّ الرَّحْمَنِ الْغَفُورِ. وَالْمَنَادَاةُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ.

وَقَدْ أَخَذَ الْإِسْلَامُ أَهَمَّ مَبَادِيئِهِ عَنِ الْحُنْفَاءِ، كَمَا عَلَّمَهَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو لِمُحَمَّدٍ!!»^(١).

صَحِيحٌ أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو قَالَ بَعْضَ آيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي نُسِبَتْ لَهُ، وَبَعْضَ أَفْكَارِهَا الَّتِي وَرَدَتْ كَانَ زَيْدٌ مُؤْمِنًا بِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ مُوَحِّدًا حَنِيفًا، عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. وَلَكِنَّ زَيْدًا مَاتَ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِزَيْدٍ آيَاتٌ وَعِبَارَاتٌ تَوْحِيدِيَّةٌ أُخْرَى، لِأَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا مُوَحِّدًا لِلَّهِ.

وَلَا يُسْتَعْرَبُ اتِّفَاقُ بَعْضِ الْمَبَادِيءِ وَالْأَفْكَارِ الَّتِي كَانَ يُؤْمِنُ بِهَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو - أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْعَرَبِ الْحُنْفَاءِ - مَعَ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّ تِلْكَ الْمَبَادِيءَ أَخَذُوهَا عَنِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٣ - ١٩٤.

لقد جاء إبراهيم عليه السلام بالتوحيد، وجاء محمد عليه السلام بالتوحيد، وجاء كل نبي بالتوحيد، ولا خلاف في العقيدة بين رسول ورسول، فكلمهم جاؤوا بعقيدة واحدة، ولا غرابة في اتفاق القرآن مع ما كان يؤمن به المؤمن الحنيف زيد بن عمرو.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

سابعاً: ما الذي أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتب السماوية؟

ادعى الفادي المفتري أن محمداً صلى الله عليه وسلم أخذ القرآن من الكتب السماوية السابقة، المتمثلة في أسفار العهد القديم وأناجيل العهد الجديد، وادعى أن القرآن اعترف بذلك، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

ومعنى الآية عنده أن آيات القرآن موجودة في الصحف الأولى، كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام. أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم أخذ آيات القرآن من الصحف الأولى، التي أنزلت على إبراهيم وموسى، وزعم أن الله أنزلها عليه.

وهذا الفهم الخاطئ للآية سببه جهل الفادي وغباؤه، اسم الإشارة «هذا» في الآية: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ يعود في زعمه على القرآن. وهذا باطل. إن اسم الإشارة يعود على المعنى الذي قررته الآيات السابقة من السورة، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٧]. أي: هذا المعنى في الآيات موجود في الصحف الأولى، كصحف إبراهيم وموسى.

وهذه الآيات تُقرر حقائق إيمانية عقيدية، وهذه الحقائق موجودة في

الصحف الأولى، فالله أخبر في صحف إبراهيم وموسى أن من تزكى وذكر اسم ربه فصلى، فهو مفلح فائز ناجح. ولكن معظم الناس لا يأخذون بذلك، وإنما يؤثرون ويفضلون الحياة الدنيا، وهم خاسرون مخطئون في إيثارهم واختيارهم، لأن الآخرة خير وأبقى.

فهذه الآيات شاهدة بوحدة الصحف والكتب التي أنزلها الله على رسوله، ووحدة الرسالات في الأصول، وهي مسائل الإيمان والعقيدة، وكلهم جاؤوا بعقيدة واحدة، تقوم على توحيد الله، وإفراجه بالعبادة والاستعانة، وطالبوا بتحقيق أركان الإيمان، والخلاف بينهم إنما كان في الشرائع، لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وذكر الفادي المفترى بعض الموضوعات التي أخذها محمد ﷺ من الكتب السابقة فقال: «.. وفي هذا اعتراف صريح أن القرآن (عدا قصص نساء محمد وغاراته) مأخوذ عن الكتاب المقدس. فمن سفر التكوين اقتبس قصة الخليقة وآدم وحواء وقاين وهابيل وأخنوخ ونوح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ويوسف... وعن سفر الخروج أخذ قصة موسى وفرعون وعمود السحاب والمن والسلوى والصخرة والوصايا العشر والعجل الذهبي واللوحين والتابوت... وعن سفر اللاويين أخذ شريعة العين بالعين والسن بالسن والذبائح الدموية... وعن سفر العدد أخذ قصة الجواسيس وقورح والبقرة الحمراء وبلعام... وعن سفر التثنية أخذ أن موسى كتب التوراة، وأن الكهنة حفظوها... ومن سفر يشوع اقتبس قصة دخول بني إسرائيل أرض الموعد... وأخذ قصة جدعون عن سفر القضاة... وقصة شاول وداود وجوليات وتوبة داود عن سفر صموئيل... وقصة سليمان من سفر المزامير وأشعيا وحزقيال. وقصة يونان عن سفر يونان... وقصة زكريا ويحيى ومريم العذراء وميلاد المسيح ومعجزاته وموته وصعوده عن الأناجيل. وانتشار المسيحية ومجمع أورشليم ورسامة القساوسة عن أعمال الرسل... وبعض الآيات اقتباساً من رسائل بولس الرسول إلى أهل رومية وكورنثوس وغلاطية وفيلبي

وتسالونيكى والعبرانيين، ومن رسائل يعقوب وبطرس ورؤيا يوحنا اللاهوتى^(١).

إذا توافق القرآن في أي قصة أو خبر مع أسفار التوراة والأنجيل، فهو دليل على أن محمداً ﷺ أخذ ذلك من تلك الكتب، أي أنه رجع إليها وقرأ فيها وحفظها، ثم أخذ واقتبس وصاغ منها ما يشاء، وادعى أن الله أنزلها عليه!!.

لا أدري كيف يلبس هذا الفادي الجاهل ثوب البحث العلمي الموضوعي المنصف المحايد، ولا كيف يفهم الأمور، ولا كيف يقرأ في الأديان والرسالات!!.

إننا نؤمن أن الله أنزل التوراة على موسى ﷺ، قبل أن يحرفها اليهود، كما نؤمن أن الله أنزل الإنجيل على عيسى ﷺ، قبل أن يحرفه النصارى، وبما أن الكتب الثلاثة من عند الله فلا بد أن تكون متوافقة متساندة، ولا يجوز أن تكون متعارضة متناقضة. ويجب أن يكون الكتاب اللاحق المتأخر مُصدّقاً للكتاب السابق، وإذا جاء مُناقضاً له، أو مُحطّطاً أو مُكذّباً لما فيه، فأحد الكتابين ليس من عند الله!!.

وإن من المتفق مع التفكير العقلي المنطقي أن كلام الله صادق صحيح صائب، وأنه لا يجوز لبعض كلام الله أن يخطئ أو يكذب أو ينقض أو يرد بعض كلام الله. ولهذا نقول: يستحيل عقلاً وشرعاً أن يخطئ الإنجيل التوراة، أو أن يناقض القرآن ما في الإنجيل والتوراة!! كل ما ورد في الإنجيل النازل على عيسى ﷺ مُوافق ومُصدّق للتوراة النازلة على موسى ﷺ. وكل ما ورد في القرآن النازل على محمد ﷺ مُوافق ومُصدّق لما ورد في التوراة النازلة على موسى، والإنجيل النازل على عيسى ﷺ. هذا أمرٌ بدهي عقلي مُقرر!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٤.

وقد أخبر الله أَنَّ عيسى جاء مُصَدِّقاً لموسى ﷺ، وَأَنَّ الْإِنْجِيلَ جَاءَ مُصَدِّقاً للتوراة. قال تعالى عن ما قاله عيسى ﷺ لبني إسرائيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلْحَادًا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦].

وقال تعالى عن موافقة وتصديق الإنجيل للتوراة: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ويلاحظ أَنَّ الحال «مُصَدِّقًا» وَرَدَ فِي الْآيَةِ مَرَّتَيْنِ؛ كَانَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى حَالًا لِعِيسَى ﷺ: ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾. . . وَكَانَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ حَالًا لِلْإِنْجِيلِ: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

ومن المعلوم أَنَّ الْإِنْجِيلَ مُكْمَلٌ للتوراة، حتى الأناجيل المحرّفة التي كَتَبَهَا النصارى، متوافقة في كثيرٍ من أفكارها مع أسفارِ العهدِ القديمِ المحرّفةِ التي كتبها الأخبار.

فلماذا لم يَتَّهَمِ الفادي المجرمُ عيسى ﷺ بأنه أَلَفَ الْإِنْجِيلَ من عنده، لأنه متوافقٌ مع التوراة في كثيرٍ من الأخبارِ والقَصَصِ والحكايات؟ بينما اتَّهَمَ محمداً ﷺ بأنه أَلَفَ الْقُرْآنَ من عنده، لأنه متوافقٌ مع التوراة والْإِنْجِيلِ؟! ولماذا حَرَّمَ عَلَى الْقُرْآنِ ما أَبَاحَهُ لِلْإِنْجِيلِ؟ وأينَ هذا من الموضوعية والمنهجية؟!

لو خَالَفَ الْقُرْآنُ التوراةَ وَالْإِنْجِيلَ، ولو كَذَّبَ ما فِيهِمَا من حقائقٍ صادقةٍ فسوف يُشَكُّ فِي أَنَّهُ من عندِ اللَّهِ، لِأَنَّ مَنْ نَاقَضَ وَكَذَّبَ كَلَامَ اللَّهِ فليس من عندِ اللَّهِ. ولذلك نَعْتَبِرُ موافقةَ الْقُرْآنِ للتوراةِ وَالْإِنْجِيلِ، وتصديقه لما فِيهِمَا،

شهادة له تُقرُّ أنه من عند الله، أوحى به إلى محمد ﷺ، وليس شبهة تُوجِّهُ ضده، كما فعَلَ ذلك الفادي المفتري.

وأخبرنا الله في القرآن أنه جعل القرآن مُصدِّقاً لما قبله من التوراة والإنجيل؛ قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

والقرآن ليس مجرد مُصدِّقٍ للتوراة والإنجيل، وإنما هو مهيمٌ عليهما، فهو الحاكم عليهما، وهو المرجع لما وردَ فيهما، لأنَّ الله أنزله بعدهما؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ونُذَكِّرُ بحقيقة قاطعة هي أنَّ القرآن مُصدِّقٌ للتوراة الربانية، التي أنزلها الله على موسى ﷺ، وللإنجيل الرباني الذي أنزله الله على عيسى ﷺ. . . أما التوراة التي بين أيدي اليهود الآن فإنَّ القرآن مُكذِّبٌ لما فيها من أخطاء وأكاذيب، لأنها من تأليف الأحرار الكافرين. والأنجيل التي بين أيدي النصارى الآن يُكذِّبُ القرآن ما فيها من أكاذيب، لأنها من تأليف الرهبان!!.

٢٠٥

حول إنزال القرآن مفزقاً

شاء الله الحكيم إنزال الكتب السابقة جملةً واحدة، وشاء الحكيم سبحانه أن لا يكون إنزال القرآن كذلك، ولذلك أنزله مفزقاً مُنجمًا، واستمرَّ إنزاله مدة البعثة، التي كانت ثلاثة وعشرين عاماً.

وقد أثار الكفار السابقون اعتراضاً وإشكالاً على ذلك، واقترحوا أن ينزل القرآن جملةً واحدة، كالكتب السابقة، ودكَّرَ الله قولهم وردَّ عليه في أكثر من آية.

وأعاد الفادي المفتري اعتراض السابقين، واعتبره مطعناً يوجه ضده القرآن، ودليلاً على أنه ليس من عند الله.

وجعل اعتراضه تحت عنوان: «الكلامُ المفكك».

أي أن القرآن كلامٌ مفككٌ مُتقطعٌ متفرق، لا يجمعه نظامٌ أو تناسق، فهو مُتعارضٌ مُتناقضٌ مع نفسه، فما قاله قبلَ عشرِ سنواتٍ يُخالفه الآن، وما أخبر عنه في الماضي يتراجع عنه في الحاضر، وما أباحه سابقاً يتراجع عنه لاحقاً. وهذا التعارضُ والاختلافُ دليلٌ على أنه ليس من عند الله!!

أوردَ المفتري قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَةً لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. تُشيرُ الآيةُ إلى حقيقةِ إنزالِ القرآنِ مُفَرَّقاً منجماً، على حسبِ الحوادثِ والأسبابِ، وتُبينُ الحكمةَ من هذا الإنزالِ، وهي أن يقرأه الرسولُ ﷺ على الناسِ على مُكْثٍ وتمهّل.

ثم ذكّرَ المفتري تفسيرَ البيضاوي للآية، وتلاعبَ في كلامه كعادته، وقَدّمَ وأخّرَ وحذَفَ^(١).

وأوردَ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. تذكّرُ الآيةُ اعتراضَ الكفارِ على إنزالِ القرآنِ مُنَجِّماً، وتردُّ عليهم بالإشارةِ إلى حكمةِ ذلك التنزيلِ.

ثم ذكّرَ المفتري تفسيرَ البيضاوي للآية، الذي سجّلَ فيه ستَّ حِكمٍ تبدو من ذلك، وقَدّمَ وأخّرَ في ما يتقله كعادته^(٢).

ثم سجّلَ اعتراضه الفاجرَ بقوله: «ونحنُ نسأل: كيف يكون القرآنُ حياً، وهو مُتقطعٌ مُفَرَّقٌ، يأتي بعضُه في وقتٍ، ويتأخّرُ بعضُه إلى وقتٍ آخر؟ لقد كانَ محمدٌ يَرتبِكُ عندما كانَ العربُ أو اليهودُ أو النَّصارى يسألونه،

(١) قارن بين كلام البيضاوي: ٢٦٩/٣، وما نقله المفتري عنه في كتابه، ص ١٩٤.

(٢) قارن بين البيضاوي: ١٢٣/٤، وما نقله عنه في: ص ١٩٤ - ١٩٥.

وأحياناً كان يَحْتَجُّ بِأَنَّ جبريلَ تَأَخَّرَ بِسَبَبِ وُجُودِ الكلاب! (١).

إنَّ هذا الفادي المفتري، مثله مثل باقي الكفار، لا يعجبه شيءٌ في ما يتعلَّقُ بالقرآن، لأنَّ القرآنَ عنده مُتَّهَمٌ دائماً، ومُخْطِئٌ دائماً. فلو أنَّ الله أنزله دفعةً واحدةً لاعترضَ عليه هذا الفادي، وقال: إنَّ محمداً أَخَذَهُ مِنَ التوراة، وادَّعى أَنَّ الله أنزله عليه دفعةً واحدةً مثل التوراة! . وبما أَنَّ الله أنزله عليه منجماً مفرقاً، فقد اعتراضَ الفادي على ذلك، وقال - كما قال كفارُ قريش - : لماذا لم يُنزلْه عليه دفعةً واحدةً مثل التوراة والإنجيل؟! وهذا الاعتراضُ المستمرُّ منه على القرآنِ دليلٌ انحرافِ فكره، وسوادِ قلبه، واتباعه لهواه، ورفضه الاستجابة لمنطقِ الحق.

ونصَّ القرآنُ على حكمةِ إنزاله منجماً مفرقاً، وذكرَ المفسِّرون ومؤلِّفو الكتبِ في علوم القرآنِ الحكَمَ العديدةَ من هذا التفريقِ في إنزاله. فالله يقول: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] الحكمةُ هي أَنَّ يقرأهُ الرسولُ ﷺ على الناس، وَأَنَّ يُعَلِّمَهُمْ إِيَّاهُ، وَيُرَبِّبُهُمْ بِهِ، وَهَمُّ أُمَّيُونَ لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ إِنْزَالُهُ مَفْرَقًا، لِيُحْسِنُوا التَّعَامُلَ وَالتَّفَاعُلَ مَعَهُ، وَتَنْفِيذَ أَحْكَامِهِ، وَتَرْبِيَةَ نَفُوسِهِمْ بِهِ.. ومعلومٌ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي التَّربِيَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ مِنَ الْمَكْثِ وَالتَّأَنِّي وَالتَّمَهُّلِ وَالتَّدْرُجِ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ التَّفْرِيقَ وَالتَّنْجِيمَ.

والله ﷻ يقولُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. الحكمةُ التي ذَكَرْتَهَا الْآيَةُ هِيَ تَثْبِيْتُ فُؤَادِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ بِمَوَاسَاتِهِ عَلَى مَا يَجِدُ مِنْ حَرْبٍ وَتَكْذِيبٍ وَعِدَاءٍ، فَفِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ مَوَاجَهَتِهِ لِلْكَفَّارِ، يُنْزَلُ اللهُ عَلَيْهِ آيَاتٍ جَدِيدَةً، يُحَدِّثُهُ فِيهَا عَنِ مَا جَرَى لِنَبِيِّ قَبْلَهُ، أَوْ يُفَرِّحُهُ بِأَنَّهُ مَعَهُ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٥.

وقد ذَكَرَ العلماءُ حِكْماً عديداً من إنزالِ القرآنِ مُنْجِماً مُفَرَّقاً، نكتفي بالإشارةِ إلى الحِكمِ التي ذَكَرَها البيضاوي، ونقلها عنه المفتري رافضاً لها:

١ - المساعدةُ على حِفْظِ الرسولِ ﷺ للآياتِ، لأنَّه أُمِّيٌّ، فلو أنزلَ عليه جملةً واحدةً لَحُشِيَ أَنْ لا يَحْفَظَها.

٢ - نُزولُه مُنْجِماً بحسبِ الحوادثِ يساعِدُ على حُسْنِ فَهْمِ المؤمنِ للآياتِ وتدبُّرها.

٣ - استمرارُ تَحَدِّي الكفارِ، ومطالبتهم بالإتيانِ بمثله، واستمرارُ إظهارِ عَجْزِهِم، وهذا يُؤَكِّدُ حقيقةَ كونِ القرآنِ من عندِ الله.

٤ - تَثْبِيتُ فؤادِ الرسولِ ﷺ وقلوبِ المؤمنِ على الحقِّ، في كُلِّ دفعةٍ جديدةٍ من الآياتِ.

٥ - تربيةُ المسلمين، فعندما تقعُ الحادثةُ تنزلُ آياتٌ جديدةٌ تُعالجُها، وهذا ما ثَبَّتَ في عِلْمِ «أسبابِ النزولِ»، الذي هو من أهمِّ علومِ القرآنِ.

٦ - معرفةُ الحِكمِ المتأخِّرِ الناسخِ للحِكمِ المنسوخِ المتقدِّمِ^(١).
والفادي غيبي جاهلٌ، لا يَعْرِفُ هذه الحِكمَ من إنزالِ القرآنِ مُنْجِماً، ولذلك اعتبره كلاماً مُفَكِّكاً.

علماً أنَّ القرآنَ كُلَّهُ وحدةٌ موضوعيةٌ واحدةٌ، تقومُ على التناسقِ والتناسبِ والترابطِ، فرغمَ أنَّ نُزولَه استمرَّ ثلاثةً وعشرين عاماً، إلاَّ أنَّه مُتكامِلٌ مُترابطٌ، لا ترى فيه تَفَكُّكاً أو انفصلاً أو اختِلافاً أو اضطراباً، وأكَّدَ هذه الحقيقةَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويبدو التناسقُ والترابطُ في الوحداتِ التالية: كلماتُ الجملةِ القرآنيةِ،

(١) انظر الحِكمِ في: تفسير البيضاوي: ١٣٣/٤. وانظر مبحث «نزول القرآن» في أي كتاب من كتب علوم القرآن: كالبرهان؛ والإنتقان؛ لمعرفة حكم إنزال القرآن مُنْجِماً.

وَجُمِلُ الآيَةُ الطويلة، وآياتُ السورة، وسُورُ القرآنِ مجتمعة . . وهذا لا يوجدُ في الكتبِ السابقة، التي حَرَفَتْهَا أيدي البشر.

وقد اعتنى علماء ومفسِّرونَ بيانِ وإظهارِ التناسقِ بينَ آياتِ السورة، وفي مقدمة هؤلاء الإمامُ المفسِّرُ البقاعيُّ في تفسيره «نظمُ الدررِ في تناسبِ الآيِ والسور». وسيد قطب في تفسيره: «في ظلال القرآن».

ويأتي بعد هذا المفتري المجرمُ ليزعمَ أنَّ القرآنَ كلامٌ مُفكِّكٌ مُجزَّأٌ، ويَطْرَحُ تساؤله الفاجرَ الدالَّ على خُبثه وجَهله: «كيف يكونُ القرآنُ وحيًّا وهو منقطعٌ مُفَرَّقٌ، يأتي بعضُه في وقت، ويتأخَّرُ بعضُه إلى وقتٍ آخر؟».

وهو لا يتوقَّفُ عن الافتراءِ والكذبِ عندما يقولُ: «لقد كانَ مُحَمَّدٌ يَرتبِكُ عندما يسأله العَرَبُ أو اليهودُ أو النصارى، وأحياناً كان يحتجُّ بأنَّ جبريلَ تأخَّرَ بسببِ وجودِ الكلاب».

لم يَرتبِكُ رسولُ الله ﷺ مرةً واحدة، عندما وُجِّهَ له أيُّ سؤال، ولم يَضطربُ ويتلعثمَ لأنَّه لم يَعرفِ الجواب . . إذا كانَ يَعرفُ جوابَ السؤالِ ذَكَرَه، وإذا لم يَعرفِ الجوابَ يَنتظرُ الجوابَ من الله، والانتظارُ ليسَ ارتباكاً أو اضطراباً كما ادَّعى الجاهل، إنما هو تأكيدٌ على حقيقةِ نبوِّته وتلقِّيهِ الوحيِّ من الله. وهذا موجودٌ في مبحثِ «نزولِ القرآن»، واسمُه: «ما نزلَ بعد طولِ انتظار»، مثلُ إنزالِ الآياتِ بشأنِ خولة بنتِ ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، وإنزالِ الآياتِ ببراءةِ عائشة ؓ بعدَ حديثِ الإفك، وإنزالِ الآياتِ بشأنِ قصةِ أصحابِ الكهفِ وذوي القرنين والروح، وهي موجودةٌ في كتبِ التفسيرِ والحديثِ لا يتسعُ المجالُ لذكرِها.

وأما أنَّ جبريلَ لم يَنزلَ على رسولِ الله ﷺ لوجودِ كلبٍ عنده فهذه أكذوبةٌ مضحكةٌ وروايةٌ باطلة، وَرَدَّتْ في بعضِ الكتبِ التي لا تتحرى الدقَّةَ والصحة، فتلقَّفها الفادي المجرمُ المفتري وَرَدَّدها . . وتزعمُ الروايةُ الأكذوبةُ أنَّ جبريلَ توقَّفَ لعدةِ أسابيعٍ عن النزولِ على رسولِ الله ﷺ، فأراه في الطريقِ وسأله عن سببِ توقُّفه، وقال له: لماذا لم تنزلِ عَلَيَّ فأنا مشتاقٌ إليك؟ فقال

له: كيف أنزل عليك وفي بيتك كلبٌ ميتٌ منذ أسابيع! فأخرج الرسولُ كلباً ميتاً تحت سريره، فنزل عليه جبريلُ فوراً بسورة الضحى، التي قال الله له فيها: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: ١ - ٣].

إنَّ أيَّ إنسانٍ عاقلٍ يرفضُ هذا الهراء، والممثلُ يقولُ: إذا كان المتكلمُ مجنوناً فليكن المستمعُ عاقلاً!! فهل يُعقلُ أن يدخلَ كلبٌ بيتَ النبيِّ ﷺ ولا يراه هو أو أحدٌ من أهلِ بيته؟ ويبقى مختفياً تحت سريره؟ وهل يُعقلُ أن يموت الكلبُ تحت سريره، وتبقى جثته عدةً أسابيع، لم يلاحظها أحدٌ من أهلِ بيته؟ ألم تخرج منها الرائحةُ الكريهة؟ ألم تتحلل؟ ألم يشمَّ الرسولُ ﷺ رائحتها وهو نائمٌ على السرير، وهي متحللةٌ تحت السرير؟ يُريدُ المفتري منا أن نلغي عقولنا، وأن نُصدِّقَ هذا الهراء السخيف الذي قاله، والذي يصدِّقُ فيه كلامُ الشاعر:

هذا كلامٌ له خبيءٌ مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ



حول الكلمات الغريبة في القرآن

وجَّهَ الفادي المفتري انتقاده لوجودِ كلماتٍ غريبةٍ في القرآن، وقال: «في القرآن كثيرٌ من الكلمات الغريبة، وهاكمُ جدولاً ببعضها». وبعد أن سجلَ عشرين كلمةً منها، ذكَّرَ موقفَ عمرَ بنِ الخطابِ وعبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما من هذه الكلمات، قال: «قرأَ عمرُ بنُ الخطابِ على المنبر: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبَابًا﴾، فقال: هذه الفاكهةُ قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجعَ إلى نفسه فقال: إنَّ هذا لهو التكلفُ يا عمر.. وقال ابنُ عباس: لا أعرفُ غسليينَ وحناناً وأواه والرقيم». وختَمَ كلامه بسؤاله الخبيث: «ونحن نسأل: أليست هذه الألفاظُ الغريبةُ مخالفةً للذوقِ السليمِ في فنِّ الإنشاء؟!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٦.

ولنقض شبهاته ودحض افتراءاته نُقررُ أَنَّ الكلماتِ الغريبةَ في القرآنِ كلماتٌ عربيةٌ أصيلةٌ، لها أصولٌ وجذورٌ عربيةٌ فصيحةٌ، وليستُ كلماتٌ أعجميةٌ أو معرّبةٌ، ووجهُ غرابتها هو نُدرَةُ استعمالها في الأساليبِ العربيةِ، ونُدرةُ دورانها على ألسنةِ وأقلامِ العربِ، مما جعلها شبهَ مهجورةِ الاستعمالِ، فغابَ عن الذهنِ العربيِّ المعنى المباشرُ لها، مما تطلّبَ العودةَ إلى القواميسِ والمعاجمِ لمعرفةِ معناها.. فهي ليستُ غريبةً على اللغةِ العربيةِ في جذورها واشتقاقاتها، ولكنها غريبةٌ على الثقافةِ العربيةِ عند المتكلمينِ العربِ، وإذا جازَ توجيهُ اللومِ فإنه لا يُوجّهُ إلى القرآنِ الذي استعملها، وإنما يُوجّهُ إلى القراءِ والكتّابِ والمثقفينِ العربِ، لأنهم لم يرتقوا إلى مستوى البلاغةِ القرآنيةِ.. وأنت لا تلوّم السامي في ارتقائه، وإنما تلوّم الذي لا يرتقي إلى مستواه.

ثم إنَّ غرابةَ معاني تلك الكلماتِ، تزولُ بالعودةِ إلى كتبِ التفسيرِ المختصرةِ، ومن أرادَ التوسّعَ والاستزادةَ فيمكنه ذلك، بالعودةِ إلى كتبِ القواميسِ والمعاجمِ. ويكفي لمعرفةِ المعاني السريعةِ لهذه الكلماتِ وغيرها اصطحابُ كتابِ «كلمات القرآن: تفسير وبيان» لحسينِ مخلوف رَحِمَهُ اللهُ.. وقد طُبِعَ هذا الكتابُ عدةَ طبّعاتٍ على هامشِ المصحفِ، ويمكنُ لقارئِ القرآنِ أن ينظرَ إلى هامشِ الصفحةِ من القرآنِ، ليَعرفَ معنى الكلمةِ الغريبةِ في الآيةِ. وبهذا لم تُعدْ تلك الكلماتُ الغريبةُ غريبةً، لا على القارئِ العادي للقرآنِ، ولا على الباحثِ في معاني وتفسيرِ القرآنِ!!

إننا نعتبرُ وجودَ هذه الكلماتِ الغريبةِ في القرآنِ شهادةً للقرآنِ في بلاغتهِ وسُمُوهِ وإِعجازِهِ، وجَمالاً جَدِيداً يُضَافُ إلى مظاهرِ جَمالِهِ في أساليبِ بيانِهِ، وهي ليستُ مخالفةً للذوقِ السليمِ في فنِّ الإنشاءِ كما زَعَمَ الفادي الجاهلِ.

والروايةُ عن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في موقفِهِ من «الأبِّ» في القرآنِ صحيحةٌ، لكنَّ الفادي الجاهلَ لم يَعْرِفْ مَعْنَاهَا، فأساءَ توظيفَها ضدَّ القرآنِ.

إِنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ، وَهُوَ يَعْرِفُ مَعْنَى «الْأَبِّ» فِي اللُّغَةِ، وَيَعْرِفُ مَعْنَاهَا فِي الْآيَةِ: ﴿وَفَكَهْمَةٌ وَأَبٌ﴾، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا مَذْكُورَةٌ فِي مَقَابِلِ الْفَاكِهَةِ الْمَخْصَصَةِ لِلْإِنْسَانِ، فَهِيَ طَعَامٌ لِلْأَنْعَامِ. وَوَجْهُ تَرَدُّدِهِ وَلَوْ مِمَّا لِنَفْسِهِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُحَدِّدَ أَصْنَافَ الْأَبِّ، مِنْ أَيِّ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ هُوَ؟ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: عَرَفْنَا الْفَاكِهَةَ، الَّتِي مِنْهَا الزَّيْتُونُ وَالْأَعْنَابُ وَالرَّمَانُ وَالتَّمْرُ، فَمَا هُوَ الْأَبُّ الَّذِي تَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ؟ هَلْ هُوَ «الْبَرْسِيمُ وَالْفَصَّةُ»؟ وَهَلْ هُنَاكَ أَسْمَاءٌ غَيْرُهَا؟ ثُمَّ تَرَاوَعَ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُو التَّكْلُفُ يَا عَمْرُ.

فَالْتَّكْلُفُ لَيْسَ فِي مَحَاوَلَةِ مَعْرِفَةِ مَعْنَى الْأَبِّ، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنَّهُ فِي مَحَاوَلَةِ تَحْدِيدِ أَنْوَاعِهِ وَأَصْنَافِهِ وَأَسْمَائِهِ.

أَمَّا الرِّوَايَةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا أَعْرِفُ مَعْنَى غَسَلِينَ وَحَنَانًا وَأَوَاهِ وَالرَّقِيمِ» فَهِيَ لَيْسَتْ صَحِيحَةً، وَهِيَ مَطْعُونٌ فِيهَا، وَتَتَعَارَضُ مَعَ عِلْمِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَعَانِي الْقُرْآنِ، الَّذِي كَانَ أَعْلَمَ الصَّحَابَةَ بِالْقُرْآنِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ». وَهُوَ الصَّحَابِيُّ الَّذِي حَازَ لَقَبَ: (حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ).

وَمَا مِنْ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ إِلَّا وَكَانَ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا الدَّقِيقَ، وَكَانَ يَحْفَظُ الشَّوَاهِدَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْجَاهِلِيِّ. وَقَدْ امْتَحَنَهُ زَعِيمُ الْخَوَارِجِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى حَوَالِي مِئَةِ كَلِمَةٍ غَرِيبَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَعِنْدَمَا كَانَ يُجِيبُهُ كَانَ يَطَالِبُهُ بِالشَّاهِدِ الشَّعْرِيِّ، فَيَقُولُ لَهُ: «وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهَا؟»، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُقَدِّمُ لَهُ الْمَطْلُوبَ. وَقَدْ جَمَعَتْ تِلْكَ الْأَسْئَلَةَ وَالْأَجُوبَةَ وَالشَّوَاهِدَ الشَّعْرِيَّةَ الدَّكْتُورَةُ عَائِشَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - بِنْتُ الشَّاطِئِ - فِي كِتَابِهَا: «إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْبَيَانِيِّ وَمَسَائِلُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ»... وَالَّذِي عِنْدَهُ هَذَا الْعِلْمُ لَا يَقُولُ: لَا أَعْرِفُ مَعْنَى كَذَا فِي الْقُرْآنِ!

حول الناسخ والمنسوخ في القرآن

خَصَّصَ الفادي المفتري حَيِّزاً كبيراً من كتابه للاعتراضِ على النسخِ في القرآن، وإثارةِ الشبهاتِ والإشكالاتِ عليه. وجَعَلَ تلكَ الاعتراضاتِ في المباحثِ التالية: عُيوبُ الناسخِ والمنسوخِ.. وأمثلةٌ للناسخِ والمنسوخِ.. والأسبابُ الحقيقيةُ للناسخِ والمنسوخِ. وبدأ كلامه بذكرِ أربعةِ آياتٍ أخبرت عن النسخِ في القرآن، هي: سورة البقرة: ١٠٦. وسورة النحل: ١٠١. وسورة الرعد: ٣٩. وسورة الحج: ٥٢.

وتحتَ عنوان: «عُيوبُ الناسخِ والمنسوخِ» سجَّلَ ستةَ عيوبٍ لوجودِ النسخِ في القرآن! وادَّعى أنَّ القرآنَ وحده الذي فيه ناسخٌ ومنسوخٌ، من بينِ سائرِ الكتبِ الدينية، ووجودُ النسخِ في القرآن دليلٌ على أنه ليس كلامَ الله، لأنَّ «كلامَ الله الحقيقيَّ لا يجوزُ فيه الناسخُ والمنسوخُ»^(١).

ولا يهْمُنَا البحثُ عن الناسخِ والمنسوخِ في التوراةِ والإنجيلِ، وإنما يهْمُنَا تقريرُ الأساسِ المنطقيِّ المنهجيِّ للنظرِ إلى النسخِ في القرآن، فالنسخُ في القرآن ليس مشكلةً، ولا يتناقضُ مع العقلِ والمنطقِ، فاللهُ هو الحاكمُ المشرعُ سبحانه، يُشرعُ ما شاء من الأحكامِ وفقَ حكمتهِ سبحانه، ويجعلُ بعضَ تلكَ الأحكامِ موقوتةً بزمنٍ محدَّد، وفقَ حكمتهِ سبحانه، وعندما ينتهي ذلكَ الزمنُ ويُحقِّقُ ذلكَ الحكمُ هدفه ينسخه اللهُ ويُلغيه، وفقَ حكمتهِ سبحانه.. فالحكمُ السابقُ شرعه اللهُ، والحكمُ الناسخُ له فيما بعد شرعه اللهُ، وبما أنَّ الناسخَ والمنسوخَ من عندِ الله، فاللهُ الحكيمُ العليمُ يفعلُ ما يشاء، لا رادَّ لأمره، ولا مُعقَّبَ لحكمه.. وهذا معناه أنَّ الفادي المفتري كاذبٌ في زعمه أنَّ كلامَ الله الحقيقيَّ لا يجوزُ فيه النسخِ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٧.

وبعد هذه المقدمة العقلية المنهجية نَبَحْتُ عن النسخ في القرآن، هل تَحَدَّثَ القرآن عن النسخ؟ فإذا وردت آية واحدة في القرآن، فإنها كافية لإثبات النسخ وإيماننا به، لأنَّ القرآن يُعَلِّمُنَا المنهجية العلمية، وَيَجْعَلُ عُقُولَنَا تَابِعَةً لكلامِ الله، فاهمة متدبِّرة له، تدورُ معه حيثُ دار، وتَقُولُ بما قالَ به، وتُؤْمِنُ بما وردَ فيه، ولا يَجُوزُ لأَيِّ عقلٍ أن يكونَ فوقَ كلامِ الله، وأن يكونَ هو الحَكَمَ والمهيمنَ على كلامِ الله.

أكثرُ من آيةٍ فَرَرَتِ النسخ، وجعلته بيدِ الله، منها قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] فالله هو الذي يَنسَخُ الآيةَ أو يُنسِئُهَا، والله هو الذي يأتي بخيرٍ منها أو مثلها، والله على كل شيءٍ قديرٌ، وهو الحكيمُ الخبير.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكِّي قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتِرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].. إنا نعتمدُ على هاتين الآيتين في إيماننا بالنسخ في القرآن، وفي فهمنا للناسخِ والمنسوخِ فيه.

أولاً: لا عيوب في النسخ في القرآن:

سَجَلُ الفادي الجاهلُ ستةَ عيوبٍ للنسخ في القرآن.. وهي لا تصمدُ أمامَ النظرِ والبحث، ولا تثبتُ أمامَ المنهجيةِ والعلمية:

١ - اعتبرَ الجاهلُ النسخَ مُتَنَاقِضاً مع الحكمةِ والصدقِ والعلم، فقال: «لأنَّ الناسخَ والمنسوخَ في كلامِ الله ضدَّ حكمتهِ وصدقهِ وعلمهِ، فالإنسانُ القصيرُ النظرِ هو الذي يَضَعُ قوانين، وَيُعَيِّرُهَا وَيُبَدِّلُهَا بحسبِ ما يبدو له من أحوالٍ وظروف.. لكنَّ الله يَعْلَمُ بكلِّ شيءٍ قبلَ حدوثهِ، فكيفَ يُقالُ: إنَّ الله يُعَيِّرُ كلامه ويبدله وينسخه ويزيله؟ أليس من الأوفقِ أن نُنزِةَ الله فنقول: ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابنَ إنسانٍ فيندم؟!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٧.

اعتبر الجاهل النسخَ ثمرةً للبداء، وهو ظهورُ الشيء بعدَ خفائه، والله منزّهٌ عن البداء، لأنه سبحانه أحاط بكلِّ شيءٍ علماً، وهو يعلمُ الشيءَ قبل حدوثه... ومن جهلِ الفادي قياسه فعلَ الله على فعلِ الإنسان، وعدمُ ملاحظته الفرقَ بينَ مقامِ الله وضعفِ الإنسان. فالإنسانُ جاهلٌ قصيرُ النظر، ولذلك يُعَيَّرُ ويُبَدَّلُ في قوائمه، بحسبِ ما يبدو له من علمِ جديد.

ونسخُ الله لبعضِ أحكامه ليس من هذا الباب، فلا بداءَ في علمِ الله، وهو سبحانه يجعلُ بعضَ أحكامه موقوتةً بزمنٍ مُحدّد، لتحقيقِ مصلحةِ المسلمين، فإذا انتهى زمنُها نسَخها وأتى بأحكامٍ أخرى بدلها. وهو العليمُ الخبيرُ الحكيم. ويُشيرُ إلى هذه الحقيقةِ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فالآيةُ صريحةٌ في تقريرِ حقيقةِ علمِ الله بما يُنزل، وجاءَ هذا التقريرُ في جملةٍ معترضةٍ للاستدراكِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.. فالنسخُ والتبديلُ في الآياتِ مبنيٌّ على علمِ الله بما يُنزلُ قبلَ أن يُنزلَه، فلا بداءَ فيه.

٢ - ادّعى الجاهلُ المفتري أنه لا يوجدُ نسخٌ في اليهوديةِ والنصرانيةِ، ونقلَ كلاماً منسوباً لعيسى عليه السلام في نفيه. قال: «لأنَّ الناسخَ والمنسوخَ ليس له وجودٌ في اليهوديةِ ولا في المسيحية. قالَ المسيح: لا تظنوا أنّي جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياءَ، ما جئتُ لأنقضَ بل لأُكملَ، فإنّي الحقُّ أقولُ لكم: إلى أن تزولَ السمواتُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموسِ، حتى يكونَ الكلُّ»^(١).

وإدعاءُ الجاهلِ باطلٌ مردودٌ عليه، وهو مُفتَرٍ في نفيه النسخَ بينَ اليهوديةِ والنصرانيةِ، وقد نسَخَ اللهُ برسالةِ عيسى عليه السلام بعضَ الأحكامِ التي جعلها على اليهود، وجاءَ هذا المعنى صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلَّا لَكُم بِبَعْضِ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: ٥٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٧.

لقد جمعت هذه الآية الحكيمه بين «الإحكام والنسخ» في رسالة عيسى عليه السلام .

- الإحكام في قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ . لقد كان عيسى عليه السلام مُصَدِّقًا للتوراة ومؤيِّداً لها في الجانب المحكم منها الذي لا نسخ فيه، وهو الجانب الإيماني والأخلاقي والإخباري. ومعلوم أنه لا نسخ في العقائد أو الأخلاق أو الأخبار، فالإنجيل موافق تماماً للتوراة النازلة على موسى عليه السلام في ذلك وهو لا يعترف بأسفار العهد القديم التي كتبها الأحرار ونسبها إلى الله زوراً.

على هذا الجانب المحكم من التوراة نحمل الكلام الذي نسبته الفادي إلى عيسى عليه السلام - إن صحَّ نسبته له -! فهو لا ينقض الناموس أو الأنبياء، وما جاء لينقض ما ورد في التوراة بل ليؤكد ويصدق، أي: مسائل الإيمان المذكورة في التوراة ثابتة محكمة، لا نسخ لها، لا في الإنجيل ولا في القرآن.

- والنسخ في رسالة عيسى عليه السلام الموجهة إلى بني إسرائيل في قوله في الآية: ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ .

إن هذه الجملة صريحة في نسخ الإنجيل لبعض أحكام التوراة، فقد كانت بعض الأشياء محرمة على اليهود، وجاء عيسى عليه السلام ليحلَّ لهم تلك الأشياء المحرمة، وإذا كان هذا لا يُسمى نسخاً فماذا يُسمى؟! .

ومن الدليل على وقوع النسخ في الشريعة اليهودية نفسها أن بعض الأشياء كانت مُباحة لليهود، وشرع الله إباحتها في التوراة النازلة على موسى عليه السلام، ثم حرَّم الله عليهم تلك المباحات، عقاباً لهم على ظلمهم وعدوانهم. قال تعالى: ﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]. كانت بعض الطيبات مُباحة لليهود، وبعدها ظلّموا وبغوا عاقبهم الله، فسخَّ إباحتها، وحرَّمها عليهم! .

لقد مرّت بعض الأحكام التي شرّعها الله لليهود بالمراحل التالية: الإباحة، ثم الحرمة عقاباً لهم، ثم الحِلُّ والإباحة على لسان عيسى عليه السلام. فكيف يتجرأ الفادي المدّعي بعد ذلك ليقول: لا نسخ في اليهودية ولا في النصرانية؟!.

٣ - من عيوب النسخ في نظر الفادي أنه يفتح باب الكذب والادّعاء، ولذلك لا بُدّ من منعه! قال: «لأنّ الناسخ والمنسوخ يفتح باب الكذب والادّعاء، فإذا قال مدّعي النبوة قولاً وظهّر خطؤه، أو إذا اعترض عليه سامعوه، قال: إنه منسوخ، ويأتي بقول آخر.. فينسخ الله ما يلقي الشيطان، كما ينسخ إله محمد ما يلقيه عليه من قرآن»^(١).

وهذه الشبهة مردودة على الجاهل، ولا تُوجّه إلى النسخ في القرآن، فالأمر ليس من باب الادّعاء والتقوّل والافتراء، وليس كما يفعله ويقوله الكذّابون المدّعون، وإنما هو من فعل الله سبحانه، ولذلك أسند إلى الله وليس إلى الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأْتَ بِنَفْسِنَا . . .﴾ وإذا بدلنا آيةً مكان آيةٍ . . . وكلام مدّعي النبوة باطل مردود عليه، سواء ادّعى النسخ أم لا!!.

٤ - تساءل الفادي بخبث عن مصير الآيات المنسوخة؛ قال: «لأنّ محمداً اعتبر الناسخ والمنسوخ من نفس كلام الله، فهل كان المنسوخ كلاماً إلهياً مكتوباً في اللوح المحفوظ؟ وهل يترتب على نسخه في القرآن نسخه أيضاً في اللوح المحفوظ؟ وكيف يسمع الله لكلامه العزيز بالزوال والإهمال؟ وإلا فلماذا كتبت؟»^(٢).

وهذه الأسئلة مردودة ومتهافة ولا وزن لها، لأنّ الراجح هو أنّ النسخ في أحكام القرآن وليس في آياته وكلماته، ولم يثبت عندنا آيات منسوخة بكلماتها، حتى تُوجّه لها أسئلة الفادي التشكيكية! فلم تُنسخ كلمة أو آية من

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٨.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٧.

القرآن، والآيات التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ بقيت كما هي، لم تُنسخ أو تُغيّر أو تُبدّل، هذا ما نقولُ به، وكلُّ كلام غير هذا مرجوح مردودٌ عندنا.

٥ - ادّعى الفادي المفتري أنه يتعذّر حصر المنسوخ في القرآن، مما يجعل القرآن مُبهماً مُلتبساً مشكوكاً فيه، وإذا جرد القرآن من الناسخ والمنسوخ لم يبقَ منه شيء!! قال: «لأنّ الناسخ والمنسوخ متغلغل في جميع أجزاء القرآن، بحيث يتعذّر على الراسخين في العلم معرفة الناسخ والمنسوخ بطريقة لا تقبل الشك، مما يجعل أقوال القرآن مبهماً ملتبسة».

وادّعى أنّ السور التي فيها منسوخ وليس فيها ناسخ أربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ ستُّ سور، والسور التي فيها ناسخ ومنسوخ خمسٌ وعشرون سورة، والسور التي ليس فيها ناسخ ولا منسوخ ثلاثٌ وأربعون سورة. وختَمَ كلامه بعبارة فاجرةٍ خبيثة، قال فيها: «فإذا جرد القرآن من الناسخ والمنسوخ كان كراساً صغيرة! ومع ذلك ادّعوا أنه المعجزة الكبرى!».

إنّ المنسوخ غير متغلغل في جميع أجزاء القرآن وسوره المكيّة والمدنيّة، والأرقام التي ذكرها المفتري لأعداد السور التي فيها ناسخ أو منسوخ مردودة، لأنه مُبالغٌ فيها. والآيات التي فيها نسخ حصرها العلماء، والراجع أن هذه الآيات لا تتجاوز عدد أصابع اليدين!

ويُصِرُّ المفتري على القول بالنسخ بالتلاوة، أي إلغاء كثير من آيات القرآن، وهذا رأيٌ مرجوحٌ ومردودٌ عندنا، رغم أنه قال به بعض علماء المسلمين، والراجع عندنا أنّ النسخ إنما هو في الأحكام فقط، والأحكام المنسوخة في القرآن لا تتجاوز عشرة أحكام!!.

ومن غباءٍ وسخفٍ الفادي دعوته إلى تجريد القرآن من الناسخ والمنسوخ، وادّعاؤه أنه لو حصل ذلك لما بقي من القرآن إلا «كراسة»

صغيرة!! . فإذا كان «نسخ التلاوة» غير موجود في القرآن، وإذا كانت الآيات التي نُسخَتْ أحكامها لا تزيد على عشر آيات، ولا تكادُ تملأُ صفحةً واحدة، فكيف يقول هذا الغبيُّ المفتري ما قال؟! إننا نوقنُ أنه لم تنسخ آيةً واحدةً من القرآن بكلماتها وصياغتها، وأنه لا يمكنُ إلغاء آيةٍ واحدةٍ من القرآن، كما أننا نوقنُ أنَّ القرآن هو المعجزة الكبرى حقاً، وأنه كلامُ الله المحفوظ، لم يُعَيَّرْ منه كلمةٌ واحدة.

٦ - العيبُ السادسُ الذي سجَّله الفادي على النسخِ قَسَمَ فيه النسخ إلى ثلاثة أقسام، وكُلُّها في نظره مردودة. قال: «لأنَّ النسخَ في القرآن عند علماء المسلمين ثلاثة أنواع: فالنوعُ الأولُ ما نُسخَ تلاوته وحُكْمُه، أي: بعد كتابته وقراءته لم يكتبوه ولم يقرؤوه. . والنوعُ الثاني: ما نُسخَ حُكْمُه وبقيت تلاوته، وهو مقدار كبيرٌ من آيات القرآن، يقرؤونها ويعتقدون أنَّ أحكامها ملغية، فلا يعملون بها. . والنوعُ الثالث: ما نُسخَتْ تلاوته وبقي حُكْمُه. . وأمام هذا النوع نساءل: لماذا يُكلفنا الله أن نعملَ بآيةٍ غيرِ موجودة؟ ألم يكن الأولى أن تبقى في كتابه حتى يُحاسبنا بمقتضاها؟!»^(١).

صحيحٌ أنه لم يأت بأقسام النسخ الثلاثة من عنده، وأنه نقلها من بعض المراجع الإسلامية، وأنه قال بها كثيرٌ من العلماء المسلمين، لكنَّ تعليقاتِ المفتري واستنتاجاته مردولةٌ باطلة.

النوعُ الأول: ما نُسخَتْ تلاوته وحُكْمُه. وفسَّره المفتري بأنَّ المسلمين لم يكتبوه ولم يقرؤوه، بعد كتابته وقراءته. وهذا يعني أنهم هم الذين تصرَّفوا بالنسخ في القرآن على هواهم، وأنهم أهملوا الاهتمامَ بالقرآن، وأنهم أسقطوا منه كثيراً من آياته، وأضاعوا كثيراً من أحكامه.

ورغم أن كثيراً من السابقين قالوا بهذا النوع من النسخ، إلا أننا لا نقولُ به، ونعتبره مردوداً، لأنه لم يثبت عندنا نسخُ شيءٍ من ألفاظِ وكلماتِ القرآن!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ١٩٨ - ١٩٩.

النوع الثاني: ما نُسخَ حُكْمُه وبقيت تلاوته. وَعَلَّقَ عليه المفتري بقوله: «وهو مقدارٌ كبيرٌ من آياتِ القرآن، يَقْرؤونَهَا وَيَعْتقدونَ أَنَّ أَحكامها ملغيةٌ فلا يَعْمَلونَ بها».

وهذا النوعُ هو الوحيدُ في القرآن، فالمنسوخُ في القرآنِ هو بعضُ الأحكامِ فقط، مع أنَّ الآياتِ التي عرَضَتْ تلكَ الأحكامِ المنسوخةَ بقيتْ في القرآن.

لكن هذه الآياتُ المنسوخةُ ليستُ كثيرةً كما زعمَ المفتري، وإنما هي آياتٌ قليلة، لا تتجاوزُ عَشْرَ آيات.

النوع الثالث: ما نُسخَتْ تلاوتهُ وبقيَ حُكْمُه. وَعَلَّقَ عليه المفتري بأنه كانَ الأوَّلَى أَنْ تَبقى تلكَ الآياتُ المنسوخةُ في القرآن، وَأَنْ لا تُرْفَعَ منه.

ومَثَّلَ العلماءُ لهذا النوعِ من النسخِ برجمِ الزاني والزانية إذا كانا محصنين متزوجين، ويَزعمونَ أنه كانتْ آيةٌ في القرآن، نَصُّها: «الشَيْخُ وَالشَيْخَةُ إِذَا زَنيا فارْجُمُوهما البتة»، فَنَسَخَهَا اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَبقى حُكْمَها!.

ونحنُ لا نقولُ بهذا النوعِ من النسخِ، ونرى أنَّ رجمَ الزاني المحصنِ ثبتَ بالسُّنةِ وليسَ بالقرآن، وثبوتهُ بالسنةِ يكفي لاعتِمادهِ حُكْمًا شرعيًّا. والخلاصةُ أنَّ النسخَ الوحيدَ في القرآنِ هو نسخُ الحكمِ مع بقاءِ التلاوة، والآياتُ التي نُسخَ حُكْمُها في القرآنِ قليلةٌ لا تتجاوزُ عَشْرَ آيات.

ثانيًا: أمثلةُ الناسخِ والمنسوخِ في القرآن:

عرضَ الفادي الجاهلُ خمسةَ أمثلةٍ اعتبرها من «الناسخِ والمنسوخِ» في القرآن، كانَ يذكُرُ الآيةَ المنسوخةَ، ويجانبها الآيةَ الناسخةَ، والحكمَ المنسوخَ والحكمَ الناسخَ، ومعظمُ هذه الأمثلةِ لا نسخَ فيها. ولننظرُ في الأمثلةِ التي ذكرها:

١ - الحكمُ المنسوخُ هو: السُّلْمُ في سبيلِ الدعوة، الذي قرَّره قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وَادَّعَى الْمَفْتَرِي أَنَّ الْحَكَمَ النَّاسِخَ هُوَ: الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ. وَأَنَّ النَّصَّ النَّاسِخَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وَكَلَامُ الْمَفْتَرِي دَلِيلُ جَهْلِهِ، فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ أَمْرٌ مُحْكَمٌ وَلَيْسَ مَنْسُوخًا، وَهُوَ بَاقٍ حَتَّىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَدَلِيلُهُ الْآيَةُ الْمَحْكَمَةُ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَأَيَّةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْفَادِي مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ مَنْسُوخَةً: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾. إِنَّهَا تَنْهَى عَنِ إِكْرَاهِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِجْبَارِهِمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الدِّينَ لَا يَقْبَلُ الْإِجْبَارَ وَالْإِكْرَاهَ، وَإِنَّمَا يَقُومُ عَلَى الرِّضَا وَالِاخْتِيَارِ وَالِاقْتِنَاعِ. . . وَلَكِنَّ عَدَمَ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ لَا يَعْنِي عَدَمَ دَعْوَتِهِمْ إِلَيْهِ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيُقِيمُوا عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَأَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَإِنْ اسْتَجَابُوا لِلدَّعْوَةِ أَفْلَحُوا، وَإِلَّا كَانُوا خَاسِرِينَ. . . فَلَا نَسْخَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَلَا نَسْخَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وَالْآيَاتُ الَّتِي تَأْمُرُ بِقِتَالِ وَجْهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لَيْسَتْ نَاسِخَةً لِآيَاتِ وَجُوبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا

بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾. لأنه لا تعارض بين الآيات الآمرة بالجهاد والقتال والآيات الآمرة بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن القتال موجّه إلى الأعداء المحاربين، الطامعين في بلاد المسلمين، أو الذين يَمْنَعُونَ الدعاة من تبليغ الدعوة، والهدف من قتالهم هو إيقاف عدوانهم، وتحطيم قوتهم، وليس إكراههم على الدخول في الإسلام. فإذا توقّف الأعداء عن العدوان، قام الدعاة بدعوتهم إلى هذا الدين، فإن رَفَضُوا الدعوة وَأَصْرَوْا على كفرهم، تُرِكُوا وشأنهم، وعذابهم عند الله!!.

٢ - الحكم المنسوخ: هو حبس الزانيات، الذي قرّره تعالى: ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكَ فَأَشْتَهَدُوا عَلَيْنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَنكِحِيهِنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

إذا ارتكبت امرأة فاحشة الزنى، وثبتت زناها بشهادة أربعة شهود، وجب حبسها في بيت أهلها حتى تموت، أو يأتي الله بحكم جديد.

والحكم الناسخ هو جلد الزانية والزاني المحصنين مئة جلدة، الذي قرّره قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢].

وهذا المثال للنسخ في القرآن صحيح، فأية سورة النساء أمرت بحبس النساء الزانيات، ولكن الله نسخ هذا الحكم بأية سورة النور، حيث أمر بضرب الزانيتين مئة جلدة.

وأكّد هذا النسخ رسول الله ﷺ؛ روى مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قد جعل الله لهن سبيلاً. البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم».

٣ - الحكم المنسوخ: ثبت الواحد لعشرة من الكفار في القتال، الذي قرّره قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

أمر الله المؤمنين بقتال الكفار، والثبات في قتالهم، وعدم الفرار منهم، وأوجب على المسلم أن يثبت أمام عشرة كفار. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

والحكم الناسخ هو ثبات الواحد لاثنين من الكفار في القتال، والذي قرره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وهذا المثال صحيح للنسخ في القرآن، ويبدو أن وجوب ثبات المؤمن أمام عشرة من الكفار كان في بداية الدعوة الإسلامية، حيث كان عدد المسلمين قليلاً، وكان إيمانهم كبيراً، وكانت حماستهم للقتال عالية، ويمكن للمؤمن أن يقاتل عشرة، وأن يصمد أمامهم.

وفيما بعد انتشر الإسلام، وازداد عدد المسلمين، ولعله تدنى مستوى حماسهم، ودب فيهم الضعف، فخفف الله عنهم، ونسخ الحكم السابق بحكم جديد، هو أن يثبت المؤمن أمام اثنين من الكفار.

٤ - الحكم المنسوخ هو: اعتداد المتوفى عنها زوجها سنة كاملة، والذي قرره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

والحكم الناسخ هو اعتداد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، الذي قرره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

والراجح أنه لا نسخ في عدة المتوفى عنها زوجها، وأن الآية (٢٣٤)

من سورة البقرة التي تأمر المرأة المتوفى عنها زوجها بالعدة أربعة أشهر وعشرة أيام ليست ناسخة للآية (٢٤٠)، التي تتحدث عن الإقامة حولاً كاملاً، ولا تعارض بين الآيتين حتى نلجأ إلى النسخ.

عدة المرأة المتوفى عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام: ﴿يَرْبِصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. ويحرم عليها أثناء العدة أن تُخطب أو تتزوج، ويجب عليها أن تقضي هذه المدة في بيت زوجها المتوفى.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ يجعل للمرأة المتوفى عنها زوجها الحق في أن تُقيم في بيت زوجها المتوفى حولاً كاملاً، وذلك بأن تزيد على مدة العدة الواجبة عليها، وعلى أهل زوجها المتوفى أن لا يمنعوها من ذلك، ولكن هذا الحق ليس واجباً عليها، فإن خرجت قبل انقضاء الحول جاز لها ذلك: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾.

الآية (٢٣٤) تتحدث عن العدة الواجبة على المتوفى عنها زوجها، والآية (٢٤٠) تتحدث عن المدة الزائدة التي يمكن لها أن تُقيمها المعتدة في بيت زوجها المتوفى، ويجوز لها أن تُقلل مدة الإقامة عن الحول، لكنه لا يجوز لها أن تُنقص أيام العدة يوماً واحداً.

٥ - الحكم المنسوخ: في الخمر والميسر إثمٌ ومنافع للناس، الذي قرره قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

والحكم الناسخ هو تحريم الخمر والميسر لأنهما رجسٌ من عمل الشيطان، والذي قرره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

والراجح أنه لا نسخ في الأمر، ولا تعارض بين آية سورة البقرة وآية

سورة المائدة. فأية سورة المائدة نَصَّتْ على تحريمِ الخمرِ والميسر، وأمرت المسلمين باجتنابهما، ووصفتُهما بأنهما رجسٌ من عملِ الشيطان، وهي الدليلُ القرآنيُّ على حرمةِ الخمرِ والميسر، حيثُ استقرَّتْ حرمتُهما حتى قيام الساعة.

وأية سورة البقرة لا تتعارضُ معها، حتى نقول: إنها منسوخة، لأنها نزلتْ جواباً على سؤالِ للنبيِّ ﷺ، وأخبرتْ أن في الخمرِ والميسرِ إثماً كبيراً ومنافعَ للناس: ﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾.

فيهما إثمٌ كبيرٌ لأنهما رجسٌ من عملِ الشيطان، ولذلك حرَّمهما الله في سورة المائدة. لكن فيهما منافعٌ للناس، وتلك موجودةٌ فيهما حتى بعدَ تحريمِهما، وتتمثلُ هذه المنافعُ في المتاجرةِ فيهما صناعةً وبيعاً واكتساباً، حيثُ تُشادُ مصانعٌ للخمر، وتُفتحُ محلاتٌ لبيعِ الخمر، وهذه المصانعُ والمتاجرُ تدرُّ ربحاً ومالاً لأصحابِها، وهي منافعٌ ماديةٌ لهم. لكن هذه المنافعُ لبعضِ الناسِ مفسدٌ لمعظمِ الناس، ولذلك حرَّم الله الخمرَ رغم هذه المنافعِ للبعض، وجعلها أمَّ الخبائث، للمضارِّ والمفاسدِ التي تُوقَعُها بالناس!

ثالثاً: الأسبابُ الحقيقيةُ للناسخِ والمنسوخِ:

حَسَرَ الفادي المفتري نفسه في الناسخِ والمنسوخِ في القرآن، وتعاملَ معه بجهلِهِ وغبائِهِ، وفَسَّرَهُ على أساسِ تحامُلِهِ على القرآن، وسوءِ ظَنِّهِ به، واتَّهَمَهُ له، وجزَمَهُ بأنه من كلامِ البَشَرِ وليس من كلامِ الله. وحاوَلَ الوقوفَ على الأسبابِ الحقيقيةِ للنسخِ، وهو بهذه النفسيةِ الحاقدةِ العدائيةِ، وزَعَمَ أنه عَرَفَ الأسبابَ الحقيقيةَ لسبعةِ أمثلةٍ من النسخِ في القرآن. وننظُرُ في الأسبابِ التي دَكَرَها لنقفَ على جهلِهِ وتحامُلِهِ وحِقْدِهِ:

١ - لماذا نسخَ تحريمِ القتالِ في الشهرِ الحرامِ؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أنَّ القرآنَ حرَّمَ القتالَ في الشهرِ الحرامِ. ولم يذُكرِ الآيةَ التي حرَّمتْ ذلك. ثم زَعَمَ أن هذه الحرمةَ نُسخَتْ بالإباحة، وذلك بآية:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

والسبب الحقيقي للنسخ في نظره هو رغبة الرسول ﷺ في السلب والنهب والقتل، وتبريره لذلك، قال فُضَّ اللهُ فاه: «جاءت هذه الآية الناسخة بعد القتال الذي قام به عبدُ الله بنُ جحش الأَسديُّ في الشهرِ الحرامِ، وإعطائه حُمْسَ السَّلْبِ لمحمد، وتعيير قريشٍ لمحمدٍ بسببِ ارتكابِ المسلمين القتالَ في الشهرِ الحرامِ. فلكنِّي يُسكتهم ويُرضي أصحابه ويُبرِّرَ سَلْبَهُ قال بهذه الآية الناسخة!»^(١).

محمدٌ ﷺ - في نظره - هو الذي يُؤلِّفُ آياتِ القرآن، وينسبُها إلى الله، وذلك ليُبرِّرَ بها أعماله ويُرضي أصحابه!! هذا هو السببُ الحقيقي عند المجرمِ لنسخِ حرمةِ القتالِ في الشهرِ الحرامِ. فقد أرسلَ عبدُ الله بنُ جحش، ومعه مجموعةٌ من أصحابه، فأغاروا على تجارةٍ لقريشٍ في الشهرِ الحرامِ، وقتلوا مَنْ فيها، وصادروها، وأعطوا ما فيها للرسولِ ﷺ فألَّفَ آيةً نَسَخَ فيها حرمةَ القتالِ في الشهرِ الحرامِ، ليُبرِّرَ فِعْلَهُ، ويُرضي أصحابه!!
وكلامُ الفادي المجرمِ خطأً وباطلًا، وهو دليلٌ جهلُه وعَبَائِهِ.

لقد كانت حادثةُ سريةِ عبدِ الله بنِ جحشٍ ﷺ في منتصفِ السنةِ الثانيةِ للهجرة، قبلَ غزوةِ بدر، وهي لم تَنسَخِ حرمةَ القتالِ في الشهرِ الحرامِ، ولم تجعلْ ذلك القتالَ مباحًا، بل اعتبرته مُحَرَّمًا، لكنَّ جرائمَ قريشٍ كانت أكبرَ.

وخلاصةُ حادثةِ تلك السريةِ أنَّ الرسولَ ﷺ «شكَّل» سريةً مجاهدةً بقيادة عبدِ الله بنِ جحشٍ ﷺ، وأمرهم أن يتوجَّهوا إلى منطقةِ «نَحْلَةَ»، على طريقِ مكة، وأن يرصدوا فيها قافلةً تجاريةً لقريشٍ. ولما كمنوا في المنطقة مرَّت بهم القافلةُ المرصودة، واختلف أصحابُ السريةِ في التاريخ: هل هذا اليوم هو آخرُ أيامِ شهرِ جمادى الثانية، الذي يجوزُ القتالُ فيه، أم هو أوَّلُ أيامِ شهرِ رجبِ المحرَّم الذي يحرمُ القتالُ فيه؟ ورجَّحوا أنه آخرُ أيامِ شهرِ جمادى،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٠.

وهاجموا القافلة، فقتلوا أحدَ المشركين، وأسروا اثنين، وهربَ الرابعُ إلى مكة، ليُخبرَ قُرَيْشاً بما جرى، وأتوا بالقافلةِ والأموالِ والأسيرينِ إلى رسولِ الله ﷺ في المدينة.

وأثارت قريشُ حرباً إعلاميةً ضخمةً ضدَّ المسلمين، وقالتْ لقبائلِ العرب: انظروا إلى محمد الذي يزعمُ أنه رسولُ الله، وأنه يحترمُ الحُرُمات، ها هو ينتهكُ حرمةَ الشهرِ الحرام، الذي أجمعَ العربُ على تحريمِ القتالِ فيه، ويقتلُ أحدَ رجالنا في رجبِ الحرام!.

فأنزلَ اللهُ آيةً محكمةً تردُّ على إشاعاتِ قريش، وتدينُ قتلَ الرجلِ في الشهرِ الحرام، وتذكرُ جرائمَ قريشِ الكبيرةَ الفظيعةَ بجانبِ قتلِ ذلكَ الرجلِ! وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ فِيهِ قُلْ فِيهِ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْبِلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

والمعنى: يسألُ الكفارُ عن حكمِ القتالِ في الشهرِ الحرام، وعن حكمِ القتلِ في الشهرِ الحرام، والجوابُ على سؤالهم أنَّ القتالَ والقتلَ فيه كبيرٌ. وهذا معناه: أنَّ الصحابةَ الذين قتلوا الرجلَ في الشهرِ الحرام كانوا مُخطئين في اجتهادهم، لأنه لا يجوزُ القتالُ والقتلُ في الشهرِ الحرام.

لكنَّ خطأَ الصحابةِ في قتلِ الرجلِ في الشهرِ الحرام لا يكادُ يُذكرُ أمامَ سلسلةِ الجرائمِ التي ارتكبتها قريشُ ضدَّ المسلمين، وذكرت الآيةُ تلكَ الجرائمَ بقولها: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

والمعنى: إذا أخطأَ المسلمون بقتلِ رجلٍ كافرٍ في الشهرِ الحرام، فإنَّ كُفْرَ قريشٍ قد ارتكبوا سلسلةً فاحشةً من الجرائم، منها: صدُّهم عن سبيلِ الله، والكُفْرُ بالله، والكُفْرُ والشركُ وعبادةُ غيرِ الله في المسجدِ الحرام، وإخراجُ أهلِ

المسجد الحرام المؤمنين الصالحين من المسجد، وفتنتهم المسلمين وتعذيبهم ليرتدوا عن دينهم. . هذه الجرائم أكبر عند الله من قتل ذلك الرجل، فلماذا تتباكى قريش على الحرمات، وهي التي تنتهك حرماتها؟! .

وبهذا نعرف أن الآية لم تنسخ حرمة القتال في الشهر الحرام، كما فهم منها الفادي الجاهل، وإنما أكدت حرمة ذلك القتال، ولامت الصحابة على قتلهم الرجل المشرك، واعتبرت ذلك الحادث كبيراً: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كِبِيرٌ﴾، لكن جرائم قريش أكبر من القتل.

٢ - لماذا نسخت القبلة إلى بيت المقدس؟

كانت قبلة المسلمين بيت المقدس، وصلوا إليها سبعة عشر شهراً بعد الهجرة، ثم نسخ الله تلك القبلة، وحولهم إلى الكعبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ زَيَّيْنَا قَلْبَكَ فِي سَمَاءِ فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَةٌ تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وادعى الفادي المفتري أنه اكتشف الأسباب الحقيقية لهذا النسخ. قال: «جاءت هذه الآية الناسخة، بعد أن كان المسلمون يصلون مستقبلين بيت المقدس، وأراد محمد أن يستميل العرب إليه، ولكي لا يتحولوا إلى اليهودية التي كان يُقدّس قبلتها، قال: إن الله غيّر له القبلة إلى القبلة التي يرضاها، فحكم النسخ ليس حسب المشيئة الإلهية الثابتة، بل حسب هوى محمد ورضاه!!»^(١).

يُفسر المجرم المفترى الأحكام الشرعية تفسيراً سياسياً ومصلياً، ويُنحى التفسير الإيماني، لأنه ينفي أساساً كون القرآن من عند الله، ويجعله من تأليف محمد ﷺ.

كان محمد ﷺ يُقدّس قبلة اليهود، وكان يُصلي إليها، لكنه خشي أن يتأثر قومه العرب باليهود، وأن يتحولوا إلى الديانة اليهودية، وبذلك يغلبه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٠.

اليهود. وأراد أن يستميل العرب إليه، فحوّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، التي كان قومه العرب يقدسونها، ويعتبرونها قبلة لهم. . . وادّعى أن الله أنزل عليه القرآن بنسخ القبلة السابقة والتحوّل إلى القبلة الجديدة! فالنسخ في القرآن ليس من عند الله، ولا بأمر الله، وإنما هو وفق هوى ورغبة ورضا محمد ﷺ، ينسخه متى يشاء، ويثبتُه متى يشاء!! .

بهذا التحليل الخبيث يتعاملُ المفتري الحاقِدُ مع مسألة تحويل القبلة، ويُلغي الجانبَ الربانيَّ الإلهي، ويجعلُ الإسلامَ والقرآنَ والشريعةَ والأحكامَ نتاجَ اللهو واللعبِ والعبثِ والهوى والمزاجِ.

وقد كانت آياتُ القرآنِ صريحةً في إسنادِ تحويلِ القبلةِ إلى الله، وفي الردِّ على السفهاءِ من الناس، الذين اغترَضُوا على تحويلِ القبلة. وعند قراءة كلامِ الفادي المفتري عن سببِ تحويلِ القبلة نجدُ أنه أحدُ هؤلاء ﴿السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ .

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ فَذَرَى تَقَلُّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَايَتِكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٢ - ١٤٧].

الآياتُ صريحةٌ في أن نسخَ القبلةِ إلى بيتِ المقدس، وتحويلها إلى

الكعبة، إنما هو من الله، وله الحُكْمُ العديدة من القبلَةِ الأولى، ومن التحويلِ إلى القبلَةِ الجديدة، حُكْمُ تربيويَّةٍ وتشريعية، وردَّت الآياتُ على شبهاتٍ واعتراضاتٍ السفهاءِ من اليهود. وهذه الآياتُ أبلغُ ردِّ على تحليلاتِ الفادي المفتري، ونقضٍ لاتهماتِهِ ضد رسولنا الحبيب ﷺ.

٣ - هل نسخ تمسك الرجل بزوجته؟

نظَرَ الفادي المجرمُ نظرةً خبيثةً لحادثةِ زواجِ الرسولِ ﷺ من زينب بنتِ جحشٍ رضي الله عنها، بعدَ أن طَلَّقَهَا مُتَبَنَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه، لخلافاتٍ زوجيةٍ بينهما، وفسَّرَ المجرمُ الحادثةَ تفسيراً فاجراً حاقداً لثيماً، اتهمَ فيه رسولنا ﷺ بأنه متبعٌ للهوى والشهوة.

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ادَّعى المجرمُ المفتري أن في الآيةِ نسخاً، وأنه وفق هوى الرسولِ ﷺ. قال: «جاءت هذه الآيةُ الناسخةُ لزَيْدٍ أَنْ يَتَقِيَ اللهُ وَيَتَمَسَّكَ بِزَوْجَتِهِ زَيْنَبَ، بعدَ أَنْ خَافَ مُحَمَّدٌ من تعبيرِ العربِ له أنه يتزوجُ بزوجةِ ابنه بالتبني، مع ما سبقَ وأضمره محمدٌ في نفسه ساعةَ رأى زينبَ واشتهاها، فقال: سبحانَ مُقَلَّبِ القلوب. ثم قال: إنَّ اللهَ أمرَه بالزواجِ من زينب!»^(١).

ادَّعى المجرمُ أن جملة: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ المذكورة في الآيةِ منسوخةٌ، وأنَّ التي نسختها هي الجملةُ التي بعدها في الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

وادَّعى الفاجرُ المفتري أن الرسولَ ﷺ رأى زينبَ زوجةَ ابنه بالتبني زيد بن حارثة، فأحبَّها واشتهاها، وأضمرَ في نفسه الزواجَ منها، ولكنه خشي

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

من تعبير العرب له، بأنه تزوج امرأة ابنه، وكان قد أوصى زيداً بها قائلاً له: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ. فَنَسَخَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي زَوَّجَهُ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ، الَّتِي فِيهَا جُمِلَ: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

مع أنه لا يوجد في الآية منسوخ ولا ناسخ، وإنما هذا ثمرة جهل الفادي المفتري وإجرامه وفجوره، والأسباب التي ذكرها لزعم النسخ نتاج حقه وخياله المريض.

وخلاصة حادثة زواج الرسول ﷺ بإيجاز هي:

كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها ابنة عمّة النبي ﷺ، وهو يعرفها منذ صغرها، وكان قبل البعثة قد تبنت زيد بن حارثة، واشتهر بين قريش باسم: زيد بن محمد، وكان زيد من السابقين إلى الإسلام ﷺ. وقد أبطل الله التبني، وأمر بنسبة الأبناء بالتبني إلى آبائهم الحقيقيين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاهُمْ ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤ - ٥].

وبذلك أعيدت نسبة زيد إلى أبيه حارثة، فلم يقولوا: زيد بن محمد، وإنما يقولون: زيد بن حارثة.

وأراد الله الحكيم الخبير أن يبطل كل آثار التبني، بتجربة عملية على يد رسوله محمد ﷺ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يزوج ابنة عمته زينب لزيد بن حارثة، فنقد أمر الله وزوجه بها.. وكان في زينب حدة وشدة، وكانت ترى نفسها أفضل من زيد، لأنها قرشية هاشمية، وهو عبدٌ محرر.. ولذلك كانت تنشأ بينهما خلافات عديدة، وكان زيد يشكو زينب إلى رسول الله ﷺ، وكان الرسول ﷺ يوصيه بها، ويدعوه إلى الصبر عليها، ولما أخبره أنه يريد أن

يُطَلِّقُهَا نَهَاةً عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ فِيهَا.

وَأَخْبَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنَّ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ لَنْ تَسْتَمِرَّ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ زَيْدًا سَيُطَلِّقُ زَيْنَبَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَيَتَزَوَّجُ زَيْنَبَ بَعْدَ تَطْلِيْقِ زَيْدٍ لَهَا، وَذَلِكَ لِإِبْطَالِ كُلِّ آثَارِ التَّبْنِي... وَكَانَ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ قَدَرَ اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ، وَصَارَ يَفْكَرُ فِي مَا سَيَقُولُهُ عَنْهُ النَّاسُ بَعْدَ زَوَاجِهِ بِزَيْنَبَ.

وَطَلَّقَ زَيْدٌ زَيْنَبَ، وَلَمَّا انْتَهَتْ عِدَّتُهَا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَأَثَارَ الْمَنَافِقُونَ الْخَبِيثَاءِ الشَّبَهَاتِ ضَدَّ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَالُوا: لَقَدْ تَزَوَّجَ مُطْلَقَةً ابْنَهُ زَيْدًا!

فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ، لِإِبْطَالِ تِلْكَ الشَّبَهَاتِ، وَبَيَّنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ الزَّوْاجِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رَسَلَتِ اللَّهُ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٧ - ٤٠].

ذَكَرْتَ الْآيَةَ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ لَزَيْدٍ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهِ، مِنْ أَنَّ زَيْدًا سَيُطَلِّقُ زَيْنَبَ، وَسَتَتَزَوَّجُهَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ. وَاللَّهُ سَيُبْدِي هَذَا الْأَمْرَ وَيُظْهِرُهُ لِلنَّاسِ، وَسَيَتِمُّ الطَّلَاقُ، وَسَتَتَزَوَّجُهَا أَنْتَ فِعْلًا.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾: تُفَكِّرُ فِي كَلَامِ النَّاسِ وَشَبَهَاتِهِمْ وَاتِّهَامَاتِهِمْ لَكَ، وَتَحْسَبُ لَهُمْ حِسَابًا، مَعَ أَنَّ الْأَوْلَى أَنْ لَا تَخْشَى النَّاسَ، وَأَنْ لَا تَهْتَمَّ بِمَا سَيَقُولُونَهُ عَنْكَ، لِأَنَّكَ عَلَى صَوَابٍ، وَاللَّهُ هُوَ الْأَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ.

وَنَصَّتِ الْآيَةُ عَلَى حِكْمَةِ هَذَا الزَّوْجِ: ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، وأدعيائهم هم أبناءهم بالتبني، ويجوز للرجل أن يتزوج مُطَلَّقةً ابْنِهِ بالتبني، لأنه ليس ابْنَهُ حَقِيقَةً.

وأخبرت الآياتُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ليس أَبًا لِأَحَدٍ مِنْ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبًا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. وشاءَ اللهُ الْحَكِيمُ أَنْ يَمُوتَ أَبْنَاؤُهُ وَهُمْ صِغَارٌ.

وبهذا نعرفُ أَنَّهُ لَا مَنْسُوخَ وَلَا نَاسِخَ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ ذَلِكَ الزَّوْجِ، وَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ هَوَى أَوْ شَهْوَةٌ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْمَجْرُمُ الْمَفْتَرِي.

٤ - حَوْلَ النَّسْخِ فِي مَعَاشِرَةِ الزَّوْجَاتِ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ:

أَنَارَ الْفَادِي الْمَجْرُمُ سُؤَالَ حَبِيبًا حَوْلَ النَّسْخِ فِي بَعْضِ أَحْكَامِ الصِّيَامِ: «لِمَاذَا نَسَخَ الْإِمْتِنَاعُ عَنِ النَّسَاءِ وَقَتَ الصِّيَامِ؟». وَاَعْتَرَضَ فِيهِ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ نَذَرْتُ الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وَعَلَّقَ الْمَجْرُمُ عَلَى الْآيَةِ زَاعِمًا اِكْتِشَافَهُ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ لِلنَّسْخِ، فَقَالَ: «جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ النَّاسِخَةُ بَعْدَ اعْتِرَافِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْهُمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَنَّهُمْ خَانُوا نِظَامَ الصِّيَامِ الْمَتَّبِعِ، بِإِتْيَانِهِمْ نِسَاءَهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، فَجَعَلَتِ الْآيَةُ النَّاسِخَةُ الْمَمْنُوعَ مَمْكِنًا، وَالْمَحْرَمَ مُحَلَّلًا»^(١).

إِنَّ الْمَجْرَمَ يَأْبَى إِلَّا الْعَمَزَ وَاللَّمَزَ وَالْإِيذَاءَ، وَلِذَلِكَ عَلَّقَ عَلَى الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةَ بِاعْتِرَافِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِمُخَالَفَتِهِمْ بِقَوْلِهِ: «فَجَعَلَتِ الْآيَةُ النَّاسِخَةُ الْمَمْنُوعَ مَمْكِنًا، وَالْمَحْرَمَ مُحَلَّلًا». مَعَ أَنَّ النَّسْخَ هُنَا لَيْسَ تَحْلِيلًا لِلْحَرَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْغَاءُ وَإِبْطَالُ الْحَرَامِ، وَوَضْعُ الْحَلَالِ مَكَانَهُ. وَلِذَلِكَ عَرَّفَ الْعُلَمَاءُ النَّسْخَ قَائِلِينَ: هُوَ رَفْعُ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠١.

وسؤال المجرم خبيث: لماذا نُسَخَّ الامتناع عن النساءِ وقتَ الصيام؟ هدُفُه منه التشكيكُ بالحكمِ الشرعي، علماً أنَّ الآيةَ لم تَنْسَخِ الامتناعَ عن النساءِ وقتَ الصيام، فالامتناعُ عن النساءِ وقتَ الصيامِ في نهارِ رمضان ما زال قائماً، ومنْ جامعَ امرأته في نهارِ رمضان وجبَ عليه القضاءُ والكفارة، وذلك بعثقِ رقبة، أو صيامِ شهرين متتابعين، أو إطعامِ ستين مسكيناً.

وحتى نعرف النسخَ في الآية لا بُدَّ أن نتعرفَ على مناسبة نزولها.

كانَ الإمساكُ عن الطعامِ والشرابِ والجماعِ بمجردِ النومِ في ليلِ رمضان، فإذا نامَ المسلمُ بعدَ الإفطارِ وجبَ عليه الإمساكُ حتى مغربِ اليومِ التالي، ولو كان نومه بعدَ صلاةِ العشاءِ مباشرة، وهذا الحكمُ ثابتٌ في السُنَّةِ وليس في القرآن.

وكانَ أَحَدُ الأنصارِ - وهو قَيْسُ بْنُ صِرْمَةَ - يعملُ في أرضه طولَ النهار، وعادَ إلى بيته في المساء، وقامت امرأته لتعدَّ له الإفطار، ولكنه غلبته عينه فنام، وجاءته امرأته بالطعام فوجدته نائماً، فأمسكَ ولم يأكل، وذهبَ في الصباحِ إلى أرضه، ولكنه سقطَ في الأرضِ معشياً عليه من التعبِ والجوعِ والإرهاقِ.

وجاءَ عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسولَ الله! لقد هلكْتُ! لقد عدتُ إلى بيتي ليلةَ أمس، فوجدتُ امرأتِي نائمةً، فوقعْتُ عليها.

فأنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْقَنَ بِشُرُوهِنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

لقد رحمَ اللهُ المسلمينَ وخَفَّفَ عنهم، فأباحَ لهم ما كانَ منعهم في ليلِ رمضان، وأباحَ لهم الطعامَ والشرابَ ومعاشرةَ الزوجاتِ طيلةَ ليلِ رمضان: ﴿فَالْقَنَ بِشُرُوهِنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

الله هو الذي شرعَ لهم الحكمَ السابقَ بالإمساكِ بمجردِ النَّوْمِ، واللهُ هو الذي نَسَخَ ذلكَ الحكمَ، وأبَاحَ لهم كُلَّ المفطراتِ في ليلِ رمضانَ، وأوجبَ الإمساكَ بطلوعِ الفجرِ.

٥ - حول نسخ ما حرّمه الرسول ﷺ على نفسه:

طرحَ الفادي المجرمُ سُؤالاً قالَ فيه: «لماذا نَسَخَ ما حرّمه على نفسه، وحنثَ بالقسمِ؟».

وقالَ في توضيحِ الأمرِ: جاءَ في سورةِ التحريمِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلُغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَوَضَّ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١ - ٢].

وعَلَّقَ المجرمُ على الآيةِ وما زَعَمَه فيها من نَسَخِ بقوله: «روى محمدٌ هذه الآيةَ بعد أن أتى بماريةَ القبطيةَ في بيتِ زوجتهِ حفصةَ بنتِ عمر بن الخطابِ، وفي غيبَتِها، فَشَقَّ ذلكَ على حَفْصَةَ، فأرضاهَا، وقالَ لها: اكنمي عَلَيَّ، وقد حرّمتُ ماريةَ القبطيةَ على نفسي، ولكنَّ حفصةَ أَخْبَرَتْ عائشةَ، فغضِبَ محمدٌ، وطلَّقَ حفصةَ.

فكيفَ السبيلُ لتحليلِ ماريةَ بعدَ أن حرّمَهَا على نفسه؟ وكيفَ السبيلُ لمراجعةِ حفصةَ التي طَلَّقَهَا؟ أتى الناسخُ يُحِلُّ ذلكَ، ويُعْفِي من القَسَمِ! فقد أقرَّ اللهُ بمعاشرَةِ ماريةَ المحرّمةِ، وبرجوعِ حفصةَ المطلقَةِ»^(١).

القصةُ التي أوردَهَا المفتري مرجوحةٌ وليست راجحةً، فلا نقولُ بها. والراجحُ أَنَّ اللهَ أنزَلَ الآياتِ في عتابِ الرسولِ ﷺ، لأنَّهُ حَلَفَ يَمِيناً حَرَّمَ فِيهِ شَيْئاً أَبَاحَهُ اللهُ لَهُ.

وخلاصةُ الحادثةِ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذَهَبَ يوماً إلى امرأتهِ زينبَ بنتِ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها، وشَرِبَ عندهَا عَسَلًا، وكانَ يُحِبُّ العَسَلَ. ثم غادرَ حجرةَ زينبَ، وتوجّهَ إلى حفصةَ رضيَ اللهُ عنها، فقالتَ له حفصةُ: يا رسولَ اللهِ! لقد أكلتَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠١.

مغافير! والمغافيرُ اسمٌ لنباتٍ حُلُوِ الطعمِ كَرِيهِ الرائحةِ. وكانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ تُشَمَّ مِنْهُ دَائِماً رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ شَرَبْتُ عِنْدَ زَيْنَبَ عَسَلًا، وَلَا أَشْرَبُ عِنْدَهَا الْعَسَلَ بَعْدَ ذَلِكَ.. وَأَقَسَمَ عَلَى ذَلِكَ الْيَمِينِ.. فَفَرَحَتْ حَفْصَةُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَتْ بِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ يُعَاتِبُ رَسُولَهُ ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾. أَي: لِمَ تَمْتَنِعُ مِنْ شَرِبِ الْعَسَلِ عِنْدَ زَيْنَبَ، وَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ التَّحَلُّلَ مِنْ أَيْمَانِكُمْ الَّتِي تَحْلِفُونَهَا، وَذَلِكَ بِدَفْعِ الْكُفَّارَةِ. وَقَدْ حَنَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَمِينِهِ بَعْدَمَا عَاتَبَهُ اللَّهُ، فَدَفَعَ الْكُفَّارَةَ بِأَنْ أَعْتَقَ رِقَبَةً، وَعَادَ إِلَى شَرِبِ الْعَسَلِ. وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ لَا مَنْسُوخَ وَلَا نَاسِخَ فِي الْآيَاتِ، فَمَنْ أَيْنَ أَتَى الْفَادِي الْمَجْرِمُ الْجَاهِلُ بِدَعْوَى النَّسْخِ؟! كُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَلَفَ يَمِينًا بِالْإِتْمَانِ عَنْ بَعْضِ الْمَبَاحِ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ، وَدَعَاهُ إِلَى دَفْعِ الْكُفَّارَةِ. وَالْمُفْتَرِي كَاذِبٌ فِي دَعْوَى تَطْلِيقِ حَفْصَةَ، فَلَمْ يُطَلِّقْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٦ - هل نُسَخَ تَحْرِيمُ إِتْلَافِ أَشْجَارِ الْأَعْدَاءِ؟

ادَّعَى الْفَادِي الْمَجْرِمُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ حَرَّمَ إِتْلَافَ أَشْجَارِ الْأَعْدَاءِ وَقَتَ حَرِيمِهِمْ، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ وَأَبَاحَ إِتْلَافَ أَشْجَارِهِمْ وَالْعَبَثَ بِمَزَارِعِهِمْ. أوردَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

وَعَلَّقَ عَلَى الْآيَةِ قَائِلًا: «لَمَّا حَاصَرَ مُحَمَّدٌ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ بِجَوَارِ يَثْرِبَ، قَطَعَ نَخِيلَهُمْ، فَنَادَوْهُ مِنَ الْحِصُونِ: يَا مُحَمَّدُ! قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ، وَتُعَيِّبُهُ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بِالْقَطْعِ النَّخِيلِ وَتَحْرِيقِهَا؟ فَارْتَابَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِجَوَازِ هَذَا الْفِعْلِ، وَتَأَثَّرُوا مِنْ اعْتِرَاضِ بَنِي النَّضِيرِ، فَأَتَى النَّاسِخَ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الْفَاسِدَةَ بِإِذْنِ اللَّهِ!»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

لا نَسَخَ في هذه الحادثة، ودعوى النسخ في ذهن الفادي المجرم، لِيَتَهَكَّم على القرآن، وَيُؤَيِّدَ رسولَ الله ﷺ.

لما حاصر رسولُ الله ﷺ يهودَ بني النَّضِيرِ في السنة الرابعة للهجرة، سَنَّ عليهم حرباً اقتصادية، فأَمَرَ الصحابةَ بِقَطْعِ وَحَرْقِ بعضِ نخيلهم في بساتينهم، ليوقع الحسرةَ في نفوسهم، فأَنكروا عليه ذلك، ونَادَوْهُ من الحصونِ قائلين: يَا أَبَا القاسمِ: قد كنتَ تَتَهَى عن الفسادِ، فلماذا تَقَطِّعُ النخيلَ وَتَحْرِقُهُ؟! .

وكانَ بعضُ الصحابةِ تَحَرَّجوا من ذلك، فأَرَادَ اللهُ أَنْ يُزِيلَ ذلكَ التحرجَ من قلوبهم، فَأَنزَلَ آيَةً حكيمةً تُبَيِّنُ مشروعِيتهُ، وهي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

آيَةُ نخلةٍ قَطَعُوهَا كانَ ذلكَ بِإِذْنِ اللهِ، وآيَةُ نخلةٍ تَرَكوها قائمةً علىٰ أُصُولِها كانَ ذلكَ بِإِذْنِ اللهِ، والمرادُ بِإِذْنِهِ سبحانه رِضاؤه عن ذلك وإِباحتهُ، ومنحُ الثوابِ للصحابةِ الذين فَعَلُوهُ، ومن حِكْمِ ذلكَ أَنه أَرَادَ سبحانه أَنْ يَنْصَرَ المؤمنين، وَيُخْزِيَ اليهودَ الفاسقين الكافرين. واللهُ هو الذي أوحى إلى نبيِّه ﷺ بذلك، وهو أَمَرَ الصحابةَ به فنَفَّذُوهُ.

فأين الناسخُ والمنسوخُ في الآية؟ وما الذي نَسَخْتَهُ الآيةُ؟ ولماذا زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنها ناسخة؟ وكيف يَصِفُ قَطْعَ النخيلِ الذي أَذِنَ اللهُ به ورضيَهُ وأَباحَهُ أفعالاً فاسدةً؟ وهل اللهُ يَأْذُنُ وَيُجِزُّ أفعالاً فاسدةً؟! .

إنَّ الآيةَ أَباحَتْ قَطْعَ نخيلِ اليهودِ، ودلَّتْ علىٰ مشروعِيَةِ الحربِ الاقتصاديةِ ضدَّ الأعداءِ المحاربين، وتدميرِ اقتصادِهِم وممتلكاتِهِم، وهذا التشريعُ الذي قرَّرْتَهُ لا يُسمى نَسْخاً، لأنَّهُ لم يَنْسَخْ حكماً تشريعياً قَبْلَهُ! ولكنَّ الفادي المفتري جاهلٌ، ولذلك جَعَلَهَا ناسخةً لِحرمَةِ قَطْعِ النخيلِ، مع أَنه لم يَسْبِقْ أَنْ جاءَ حكمٌ شرعيٌّ بحرمَةِ قَطْعِ النخيلِ! .

٧ - لا نَسَخَ في الصلاة على غير المسلم:

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الصلاةَ على غيرِ المسلم كانت جائزةً، ولما

صَلَّى الرَّسُولَ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي اعْتَرَضَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَنَسَخَ إِبَاحَةَ الصَّلَاةِ، وَحَرَّمَهَا لِعُمَرَ.

قَالَ الْمَجْرُمُ: «جَاءَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ (٨٤): ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيهِمْ عَلَيْهِ وَلَا تُمْسِكْ بِعَمَصَافِهِمْ يَوْمَ يُقْبَلُونَ﴾».

جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ فِرَاقِ مُحَمَّدٍ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَى جِثَّةِ الْمُنَافِقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنِي سَلُولٍ، وَإِقَامَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى نَهَايَةِ دَفْنِهِ، وَكَانَ عُمَرُ يُمَانِعُ مُحَمَّدًا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ نِفَاقِهِ، فَلَمْ يَمْتَنِعْ، وَلَكِنْ إِرْضَاءً لِعُمَرَ نَزَلَ النَّاسُ لِيُوقِفَ تَأْثِيرَ الصَّلَاةِ^(١).

وَالْحَادِثَةُ لَيْسَتْ كَمَا قَالَ هَذَا الْمَفْتَرِي، وَلَمْ تَكُنِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُنَافِقِ أَوْ الْكَافِرِ إِذَا مَاتَ مُحَرَّمَةً، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا فَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّهُ كَانَ مُلْتَمِزًا بِأَحْكَامِ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

كَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِ مَسْكُوتًا عَنْهَا، لَا مُبَاحَةً وَلَا مُحَرَّمَةً، لَمْ يَرِدْ نَصٌّ بِإِبَاحَتِهَا، وَلَا بِحَرَمَتِهَا.

وَتُوفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سَلُولٍ زَعِيمِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ مُسْلِمًا فِي الظَّاهِرِ، وَمَحْسُوبًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَدَعَا الرَّسُولَ ﷺ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ. فَتَدَخَّلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، وَقَالَ: كَيْفَ تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ الْمُنَافِقُ؟ فَلَمْ يَلْتَفِتْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّى عَلَى ابْنِ أَبِي.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ يَنْهَى الرَّسُولَ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْكَافِرِينَ أَوْ الْمُنَافِقِينَ، كَمَا يَنْهَاهُ عَنْ تَشْيِيعِ جَنَازَتِهِ، أَوْ الْإِقَامَةِ عَلَى قَبْرِهِ. وَلَمْ تَنْزَلِ الْآيَةُ إِرْضَاءً لِعُمَرَ، كَمَا ادَّعَى ذَلِكَ الْمَفْتَرِي.

وَهَذِهِ الْآيَةُ لَيْسَتْ نَاسِخَةً كَمَا ادَّعَى الْمَفْتَرِي الْجَاهِلُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ بِإِبَاحَةِ الصَّلَاةِ عَلَى الْكَافِرِ أَوْ الْمُنَافِقِ، حَتَّى تَنْسَخَهُ وَتُحَرِّمَ ذَلِكَ. وَالنَّسْخُ هُوَ رَفْعُ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٢.

وبهذا نعرفُ جهلَ الفادي المفتري بأحكامِ الناسخِ والمنسوخِ، ومع ذلك يدَّعي وقوفه على الأسبابِ الحقيقيةِ للناسخِ والمنسوخِ، والأسبابُ التي عرَضَها هي في مخيلتهِ المريضةِ، وهدفه منها التهكُّمُ على الإسلامِ، واتهامُ القرآنِ، وإدانةُ الرسولِ ﷺ. ومعظمُ الأمثلةِ التي ذكرها وحلَّلها لا نسخَ فيها!.



حول الكلام المتشابه في القرآن

اعترضَ الفادي المفتري على وجودِ الكلام المتشابهِ في القرآنِ، واعتَبَره نقصاً في إحكامِ القرآنِ وبلاغتهِ، وأنَّ المسلمَ يُلغِي عَقْلَهُ أَمَامَهُ وَيُسَلِّمُ بِهِ تَسْلِيماً أَعْمَى.

قالَ: «جاءَ في سورةِ آلِ عمرانِ (٧): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. اعترفَ القرآنُ أنَّ به آياتٍ مُحكَّماتٍ، لا تقبلُ الصرفَ عن ظاهرها، ولا الذهابَ في احتمالاتها مذهبَ شتى.. كما قالَ: إنَّ به آياتٍ متشابهاتٍ، لا يتضحُ معناها، لأنَّها مجملة، أو غيرُ موافقةٍ للظاهرِ إلا بتدقيقِ الفِكرِ، وما يَعْلَمُ تأويلها إلا اللهُ. وإنَّ على أشدِّ الناسِ رسوخاً في العلمِ أن يُسَلِّموا بها تَسْلِيماً أَعْمَى.

ونحنُ نسألُ: أليسَ وجودُ هذه المتشابهاتِ نقصاً في البلاغةِ والإحكامِ؟ فكيفَ نتأكدُ ممَّا لا يَعْلَمُ تأويله إلا اللهُ؟. قالَ الإنجيلُ: «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ، تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ». فهلَ يحتملُ القرآنُ الامتحانَ؟^(١).

آياتُ القرآنِ نوعان: آياتٌ مُحكَّماتٍ، وآياتٌ متشابهاتٍ. قالَ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٢.

[آل عمران: ٤٧]. ومعظم آيات القرآن محكمات، والآيات المتشابهات آيات قليلة جداً. والمحكمات هنَّ أمُّ الكتاب، والأصلُّ الواضح الذي يجب حملُ الآيات المتشابهاتِ عليها، لإحسانِ فهمِها ومعرفةِ معناها.

والمحكماتُ واضحاتُ الدلالة، لا لبسَ ولا غموضَ فيها، ولا إشكالَ عليها. أمَّا المتشابهاتُ فإنَّ فيها لبساً وإشكالاً، ومعناها غيرُ واضحٍ ووضوحٍ معنى المحكمات، ويقفُ العلماءُ أمامها باحثينَ متفكرين، ويجبُ عليهم أنْ يَحْمِلوها على الآياتِ المحكماتِ، ليُزيلوا اللبسَ عنها، ويُحَسِّنوا معرفةَ معناها.

ولا يستحيلُ معرفةُ معنى الآياتِ المتشابهاتِ كما ادَّعى الفادي المُفتري، فإنَّ معرفةَ معناها ممكنةٌ، بل هي واجبةٌ، لأنَّه يجبُ علينا معرفةَ كُلِّ معاني القرآن، ولم يُخاطبنا اللهُ في القرآنِ بشيءٍ لا نَعْرِفُ معناه، فقد أنزله علينا بلسانِ عربيٍّ مُبينٍ، وأوجبَ علينا فهمَه، وتدبُّرَه، فكلُّ ما في القرآنِ مَفهُومٌ المعنى، ومنه الآياتُ المتشابهاتِ.

لكن معرفةُ معنى الآياتِ المتشابهاتِ يحتاج إلى مزيدٍ من النظر والتفكير والبحث، لأنها ليستُ بوضوحِ الآياتِ المحكماتِ، ولأنَّ يُعْرِفَ معناها بدقَّةٍ وإتقانٍ إلاَّ بحَمْلها على أصولها من الآياتِ المحكماتِ، وهذا ممكنٌ يتمُّ على أيدي الراسخين في العلم.

وهناكُ أشخاصٌ في قلوبهم مَرَضٌ، من أمثالِ هذا الفادي المُفتري المجرم، يتركون الآياتِ المحكماتِ الواضحاتِ الكثيرة، ويبحثونَ عن الآياتِ المتشابهاتِ القليلة، بهدفِ فتنةِ المؤمنين، وتشكيكهم في القرآن، ويثيرونَ الشبهاتِ والإشكالاتِ على معاني الآياتِ المتشابهاتِ، ولو حَمَلوا الآياتِ المتشابهاتِ على أصولها المحكماتِ لأحَسَّنوا فهمَ تلكِ المتشابهاتِ.

إذن معرفةُ معنى الآياتِ المتشابهاتِ ممكنةٌ بل واجبةٌ، والمؤمنُ يتعاملُ معها بوغيِّ عقلي، ولا يُسلمُ بها تسليماً أعمى، كما ادَّعى هذا الفادي الأعمى.

والذي لا يَعْرِفُهُ الراسخون في العلم من المتشابهات هو كَيْفِيَّتُهَا الواقِعِيَّةُ
العَمَلِيَّةُ المَادِيَّةُ، لِأَنَّهَا غَيْبِيَّةٌ غَيْرُ مُدْرَكَةٍ بالعقل، والعقلُ عاجِزٌ عن تَكْيِيفِهَا،
فلذلك يَكِلُونَ كَيْفِيَّتَهَا إِلَى الله، وَيَقُولُونَ: آمَنَّا بِالْقُرْآنِ، كُلُّ قَسْمِيَّهِ مِنَ المَحْكَمِ
والمَتشابه من عِنْدِ رَبِّنَا.

والفادي لجهله وغبائه وصغر عقله لم يُفَرِّقْ بين معرفة معاني الآيات
المتشابهات الممكنة، التي تتم على أيدي الراسخين في العلم، وبين تَكْيِيفِهَا
الواقِعِيَّ العَمَلِيَّ الذي لا يُمكنُ أَنْ تَقومَ به عقولُ الراسخين في العلم، فيَكِلُونَ
هذا التَكْيِيفَ إِلَى الله!!.

ووجودُ الآياتِ المتشابهاتِ القليلةِ في القرآن، تأكيدٌ على بلاغةِ القرآنِ
وَسُمُوهُ وإِحْكامِهِ وإِعْجازه، وليس نَقْصاً في بلاغته وإِحْكامِهِ، كما ادَّعى
الجاهلُ، والقرآنُ يَدْعُو الراسخينَ في العلمِ من أُولي الألبابِ إِلَى إِمعانِ النظرِ
في الآياتِ المتشابهاتِ، وإِطالةِ الوقفةِ أَمامِها، وِحْمَلِها على أُصولِها
المَحْكَماتِ، لِإِزالةِ اللَّبسِ الخارِجِيِّ عنها، وإِحسانِ فَهْمِها، وتَقْدِيمِها
لِلآخرين.

وكان الفادي الجاهلُ غيبياً عندما طَرَحَ سؤالَهُ في آخِرِ كِلامِهِ: «فهل
يَحْتَمِلُ القرآنُ الامْتِحانَ؟».

نقولُ: نعم. القرآنُ يَحْتَمِلُ الامْتِحانَ. وهو يَتَحَدَّى الكافرينَ، وَيَدْعُوهم
إِلَى امْتِحانِهِ، وَيَحْتُمُّهم على امْتِحانِهِ، وَيُقرِّرُ لَهُم أَنهم لَنْ يَجِدُوا فِيهِ خَطأً أو
اِختِلافاً أو تَفاوُتاً أو تَناقُضاً أو اضْطراباً، وَيَتَحَدَّاهم باستِخراجِ ذلكِ مِنْهُ.
وَأَوْضَحَ دَعْوَةَ قرآنيَّةٍ لَهُم في قولِهِ تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ
عَبْرِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ اِخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وامْتِحَنَ الكفارُ القرآنَ، ونَظَرُوا فِيهِ بِهَدَفِ الوقوفِ على الخِطأِ والاختِلافِ
والتعارُضِ والتناقُضِ، واستمرَّ امْتِحانُهُم ونَظَرُهُم خَمسةَ عَشَرَ قرناً، وَقَدَّمُوا في
ذلكِ كِلاماً تافِهاً لا وَزْنَ ولا قِيميَّةَ لَهُ، مِثْلَ هذا الكلامِ الذي قَدَّمَهُ هذا الفادي

المفتري الجاهل، ويُمكنُ الرَّدُّ على شبهاتهم بسهولةٍ ويُسرٍ، ولم يتأثر القرآنُ بما قالوه عنه، وبقي صخرةً قويةً ثابتةً، يصدِّقُ عليهم وعليه قولُ الشاعر:

كناطحِ صخرةً يوماً ليوهِنها فما وهاها وأوهى قرنه الوعلُ



هل القرآن مثل كلام الناس؟

وضَعَ الفادي المفتري عنواناً استفزازياً مُثيراً: «الكلامُ المماثلُ لغيره من كلامِ الناس» ادَّعى فيه أنَّ القرآنَ مثلُ كلامِ الناسِ.

وجاء في عرضه لفكرته الخبيثة قوله: «جاء في سورة الإسراء (٨٨): ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾».

ونحنُ نسألُ: أليست المعلقاتُ السبعُ ومقاماتُ الحريريِّ أفصحَ من القرآن؟ أو ليس امرؤُ القيسِ أفصحَ من محمد؟ أليست قصائدُ المتنبي وابن الفارضِ وخطبُ قسِّ بن ساعدةٍ وغيرهم تُحاكي فصاحةَ القرآن، وتُخرجه عن كونه معجزة؟ فليس القرآنُ من المعجزة في شيء، لأنَّ المعجزةَ حَدَثٌ يحدثُ خِلافَ مَجْرَى الطَبِيعَةِ وناموسها، فإماتةٌ حَيٌّ بِطَرِيقَةٍ ما لا يُعَدُّ مُعْجِزَةً، لحدوثه وفق ناموسِ الطَبِيعَةِ، ولكنَّ إحياءَ الميتِ بواسطةِ دُعاءٍ وأمرٍ يُحَسَّبُ مُعْجِزَةً.. وعليه فتأليفُ كتابٍ في نهايةِ البلاغةِ والفصاحةِ لا يُعَدُّ مُعْجِزَةً، بل يُعَدُّ من نوادرِ أعمالِ الإنسانِ.

وإنَّ حَسَبنا القرآنَ بناءً على سموِّ بلاغتهِ وفصاحتهِ معجزةً، سيلزُمنا أنْ نَحَسِبَ كثيراً من أشعارِ العربِ وخطبِهِم مُعْجِزاتٍ! وإنَّ كانَ القرآنُ يتحدَّى الناسَ جميعاً في فصاحتهِ، فأَيُّ مسلمٍ يقرأُ للعربِ قصائدَهم العامرةِ وخطبِهِم الرنانةِ، ويتذرَّعُ بالشجاعةِ في الرأيِ ويُعلنُ الحقيقةَ السافرةَ أنَّ محمداً كأحدِ هؤلاءِ العربِ، أو يقلُّ عنهم!.

وكم هم الذين يزيدون فصاحةً من أدباء اليهود في اللغة العبرية، ومن أدباء اليونان في اللغة اليونانية، ومن أدباء الرومان في اللغة الرومانية، كما هو معروف أن لكل لغة أدباءها.

أما معلومات القرآن فلم تزد عن أقوال العرب والمجوس واليهود والنصارى، الذين أخذ عنهم! (١).

إنَّ المجرمَ الفاجرَ يرى أنَّ القرآنَ من كلامِ محمد ﷺ وليس من كلامِ الله، وأنَّ بعضَ كلامِ العربِ أفصحُ من القرآنِ، كشعرِ امرئِ القيسِ والمنتبِّي، وحتى مقاماتِ الحريريِ الركيكةُ أفصحُ عنده من القرآنِ.

وهو يرى أنَّ القرآنَ ليس معجزةً للنبي ﷺ، لأنَّ المعجزةَ في نظره حَدَثٌ يحدثُ على خلافِ الطبيعةِ، كإحياءِ الميتِ، والقرآنُ في نظره ليس على خلافِ الطبيعةِ البشريةِ، إنه كتابٌ ألَّفه محمدٌ ﷺ على مستوى من الفصاحةِ والبلاغةِ، فالقرآنُ صناعةٌ بشريةٌ من نوادرِ أعمالِ الإنسانِ! ولو كانَ القرآنُ معجزةً لكانتُ كُلُّ خُطْبِ العربِ وأشعارِهِم معجزاتٍ!!.

ويرى المجرمُ أنَّ تحدِّي القرآنِ الناسَ في فصاحتهِ لا معنى له، لأنَّ مؤلِّفه محمداً ﷺ أقلُّ من مستوى العربِ في الفصاحةِ والبلاغةِ!!.

إنَّ المجرمَ يَهْذِي في هذا الكلامِ، ويُقدِّمُ كلاماً تافهاً ساقطاً، يوحى به إليه حِقْدُه ولوؤمه وخبثه وكيدُه، ولذلك يُغالطُ الحقائقَ، ويطلبُ من القارئِ تصديقه!!.

هَبْ أَنْ القرآنَ أَقلُّ فصاحةً وبلاغةً من خُطْبِ وأشعارِ العربِ، فلماذا لم يأتوا بالمطلوبِ لما تحدَّاهم القرآنُ؟ ولماذا لم يُؤلِّفوا سورةً أو عَشْرَ سورٍ؟ وما الذي مَنَعَهُم من ذلك وهم الأَفصحُ والأبْلغُ؟ وهم الحَرِيصونَ على أَنْ لا يَنْهَزِموا في ميدانِ البيانِ والفصاحةِ والبلاغةِ!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

وَمَنْ الَّذِي قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مُعْجَزَةً؟ إِنَّ الْمُعْجَزَةَ هِيَ الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، يُجْرِيهِ اللَّهُ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ، وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ مُعْجَزَةً، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ خَاصَّةً بِهِ. إِنَّ الْمُعْجَزَاتِ نَوْعَانِ:

النوع الأول: معجزات مادية، سالمة من المعارضة، بحيث لا يستطيع الخضم نقضها ومعارضتها وإبطالها، مثل عصا موسى عليه السلام، التي جعلها الله حية تسعى، والتقت كل ما قدّم السحرة من جبال وعصي، ومثل النار التي جعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، ومثل إحياء الميت الذي تمّ على يد عيسى عليه السلام.

النوع الثاني: معجزات معنوية غير محسوسة ولا ملموسة، مثل القرآن الذي جعله الله آيةً بيانيةً عقليةً للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو معجزة عقلية يخاطب الله بها العقل الإنساني، ويُقدّم الأدلة العقلية العديدة على أنه من عند الله، وشاء الله الحكيم أن تكون معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى عقليةً بيانيةً، لأنّ رسالته مستمرة حتى قيام الساعة، فلا نبي بعده.

فحصّر الفادي المجرم المعجزات بالنوع الأوّل دليل جهله وغبائه. ولقد كان لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزات مادية ثانوية، مثل تكثير الطعام والماء بين يديه، وتسبيح الحصى بين يديه، ومعجزة الإسراء والمعراج.

وعندما طلب المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم تقديم معجزات مادية، كتلك التي أتى بها الأنبياء السابقون، ردّ الله عليهم بلقّت نظرهم إلى معجزته الأهمّ التي هي القرآن. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

ويُغالط الفادي المجرم، ويُخالف المنطق والموضوعية، عندما يدّعي أنّ أشعار العرب أفصح من القرآن، وحتى مقامات الحريري أفصح من القرآن،

وإنَّ الباحثينَ المنصفينَ المُحايدينَ، الذينَ يَحترمونَ عُقولَهُم وعقولَ القراءِ، ويحترمونَ الحقيقةَ والموضوعيةَ، قرَّروا أنه لا مجالَ للمقارنةِ بينَ القرآنِ وبينَ الشعرِ العربيِّ، لأنَّ فصاحةَ القرآنِ وبلاغتهِ بَلَغَتْ حَدَّ الإعجازِ، ولذلك عَجَزَ العربُ المشركونَ عن معارضةِ القرآنِ، والإتيانِ بمثلهِ، أو بعشرِ سورِ مثلهِ، أو بسورةٍ مثلهِ.

ولقد أَخبرَ القرآنُ استحالةَ قدرةِ الناسِ على معارضةِ القرآنِ والإتيانِ بمثلهِ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذه الآيةُ الجازمةُ، يُصدِّقُها الواقعُ التاريخيُّ، على مدارِ خمسةَ عَشَرَ قرناً، فكم حارَبَ القرآنَ من أصنافِ الكفارِ، وكم حاولوا معارضتهِ ونقضه، ولكنَّ جَمِيعَ محاولاتهم باءتْ بالفشلِ، ولم يتمكَّنوا من معارضتهِ والإتيانِ بمثلهِ، ويبقى خَبِرُ الآيةِ قائماً: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. ويبقى هذا دليلاً قاطعاً على أنَّ القرآنَ من عندِ الله! وأنه لا يُماثلُ ولا يُشابهُ كلامَ الناسِ.



حول الاختلاف والتناقض في القرآن

أخبرَ الله أنَّ القرآنَ ليسَ مُختلفاً ولا مُتناقضاً، ولو كانَ من عندِ غيرِ الله لكانَ فيه الكثيرُ من الاختلافِ والتناقضِ. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولكنَّ الفادي المجرمَ لم يُصدِّقِ الآيةَ، وإنما كَذَّبها، وادَّعى أنَّ القرآنَ مُختلفٌ مُضطربٌ مُتناقضٌ. وقالَ تحتَ عنوان: «الكلامُ المُختلف»: «جاءتْ في القرآنِ اختلافاتٌ كثيرةٌ لاختلافِ قراءاته، وصارتْ سُنَّةً أنَّ عباراتِ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ أو سبعةِ أوجهٍ، حتى ليصعبُ على الإنسانِ أنْ يُصدرَ حكماً

صحيحاً، لعدم تأكيده إلى أيِّ قراءةٍ يَسْتند...»^(١).

يَزْعُمُ المِفْتَرِي أَنَّ القراءاتِ تُؤدِّي إلى الاختلافاتِ الكثيرةِ في القرآن. وكأنَّ هذه القراءات من وَضَعِ واختيارِ البشر، وهذا زعمٌ باطل.

وإنَّ القراءاتِ الصحيحةَ عَشْرُ قراءات، هي: قراءةُ ابنِ كثيرِ المكي، ونافعِ المدني، وابنِ عامرِ الشامي، وأبي عمرو البصري، وعاصمِ الكوفي، وحمزة الكوفي، والكسائي الكوفي، وأبي جعفرِ المدني، ويعقوبَ البصري، وخَلْفِ البغدادي.

وكلُّ هذه القراءاتِ العشرِ أنزلها اللهُ على نبيِّه محمدٍ ﷺ، فكلُّها كلامُ اللهِ قَطْعاً. وشروطُ القراءةِ الصحيحةِ ثلاثة: أن تكونَ صحيحةَ السَّنَدِ، وأن تُوافِقَ رَسْمَ المصحفِ العثماني، وأن تُوافِقَ اللغَةَ العربيَّةَ. فإذا اختلفَ واحدٌ من هذه الشروطِ الثلاثة كانت القراءةُ شاذَّةً غيرَ صحيحة، وحكَّمتنا بأنَّها ليستَ قرآناً.

ولا اختلافٌ بين القراءاتِ العشرِ كما زَعَمَ هذا الجاهل، لأنَّها كُلُّها متوافقةٌ مع رسمِ المصحفِ، والخلافُ بينها يسيِّرٌ في بعضِ الحركاتِ أو الحروفِ، وضمنَ المصحفِ، واللهُ أنزلَ الآيةَ بأكثرَ من قراءةٍ لحِكمٍ عديدة.

وعَلِمُ «القراءات» عِلْمٌ أصيل، وقد حَصَرَ علماءُ القراءاتِ تلكَ القراءاتِ حَصراً دَقِيقاً مضبوطاً، وحددوا كيفيةَ النطقِ بكلِّ قراءة، وألَّفوا في ذلكَ العديدَ من الكتبِ، وصارَ بإمكانِ أيِّ قارئٍ للقرآنِ أن يُتقِنَ قراءةَ أيِّ إمامٍ من القُرَّاءِ العشرة. ولكنَّ الفادي الجاهلَ محجوبٌ عن هذا العلمِ، لكُفْرِهِ وحِقْهِدِهِ وجَهْلِهِ وغبائه.

وكما اعترضَ الفادي الجاهلُ على القراءاتِ اعترضَ على الأحرفِ السبعة، التي أنزلَ اللهُ القرآنَ عليها، واعتبرها سبباً في وجودِ الاختلافِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٣.

والاضطراب في القرآن. وقال في اعتراضه: «قال محمد: «هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه». . قال محمد هذا الكلام لعمر بن الخطاب، لما جاءه عمرُ بهشام بن حكيم وقد لَبَّيه بردائه، لما سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها محمد لعمر. فقال عمر: يا رسول الله! إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروفٍ لم تُقرئنيها. . فقال له محمد: «اقرأ يا هشام». فقرأ عليه القراءة التي سمعه عمرُ يقرأها. فقال محمد: «هكذا أنزلت!» ثم قال محمد: «اقرأ يا عمر». فقرأ بقراءته التي أقرأه بها محمد، فقال محمد: «هكذا أنزلت!» ثم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه!».

قال المفسرون: سبعة أحرف. أي: سبعة أوجهٍ مختلفة، أو سبع قراءاتٍ مختلفة^(١).

القصة التي ذكرها الفادي صحيحة، وقد أجاز الرسول ﷺ قراءة هشام بن حكيم، وأجاز قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لأنه أقرأ كل واحدٍ بما قرأه، وكان الخلاف بين قراءة هشام وقراءة عمر قليلاً، وعَلَّل الرسول ﷺ الاختلاف بينهما بأن الله أنزل القرآن على سبعة أحرف، وأنه يجوزُ قراءة القرآن بأي حرفٍ منها، وكلٌّ من عمر وهشام قرشيٌّ، ومع ذلك قرأ كل واحدٍ بقراءة تعلَّمها من رسول الله ﷺ.

والأحرف السبعة توقيفية، وليست اجتهاديةً باجتهادٍ واختيار الصحابة، الله هو الذي أنزلها للتيسير على الناس، وأجاز القراءة بأي حرفٍ منها. والراجع أن الأحرف السبعة هي «وَجْوهُ التَّغَايِرِ السَّبْعَةُ» في قراءة الكلمة القرآنية، بمعنى أن أقصى وجوه التغيير في قراءة الكلمة القرآنية هو سبعة وجوه. ومُعظمُ كلمات القرآن تُقرأ على حرفٍ واحد، وبوجهٍ واحدٍ فقط، لكن بعضها قد يُقرأ على حرفين أو ثلاثة، ولا تزيد أوجه قراءته عن سبعة وجوه.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٤.

والراجعُ أَنَّ الأحرفَ السبعةَ موجودةٌ في القرآن، لم يُنسخْ ولم يُرفعْ منها شيءٌ، وأنَّ رسمَ المصحفِ زمنَ عثمانَ رضي الله عنه احتواها وضمَّها، وهذه الأحرفُ السبعةُ آلتْ إلى القراءاتِ العشرِ الصحيحةِ، التي رصَّدها وسجَّلها العلماءُ، وقرؤوا بها القرآنَ.

وبهذا نَعرِفُ أَنَّ الأحرفَ السبعةَ والقراءاتِ العشرَ أنزلها اللهُ على رسوله صلَّى الله عليه وآله، وأذنَّ للمسلمين القراءَةَ بها، فهي كلامُ الله وليس تأليفَ المسلمين، وأنَّ رسمَ المصحفِ العثمانيِّ حوى وشملَ الأحرفَ السبعةَ والقراءاتِ العشرَ، وأنه يجوزُ القراءَةُ بأيِّ حرفٍ منها أو آيةٍ قراءَةٍ منها، وأنَّ معظمَ كلماتِ القرآنِ لا تُقرأُ إلا على حرفٍ واحدٍ بقراءةٍ واحدةٍ، وأنها لا اختلافَ ولا تعارضَ بينها، وأنها تتكاملُ للدلالةِ على المعنى القرآنيِّ.

ونوردُ مثالا على هذه القراءاتِ والأحرفِ من سورةِ الفرقان لتتضحَ المسألةُ.

قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

في كُلِّ من «تَشَقَّقُ» و«نُزِّلَ» قراءتان:

في «تَشَقَّقُ» قراءتان:

الأولى: قراءَةُ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبي عمرو: «تَشَقَّقُ» بتخفيفِ التاءِ والشينِ. على أنه فعلٌ مضارعٌ، حُدِفَتْ منه التاءُ الأولى، لأنَّ أصلَه: تَشَقَّقُ، وماضيه: تَشَقَّقَ. والمعنى: تَشَقَّقُ السماءُ بالغممِ.

الثانية: قراءَةُ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب: «تَشَقَّقُ» بتشديدِ الشينِ، على إدغامِ التاءِ الثانيةِ في الشينِ، لأنَّ أصلَه: تَشَقَّقُ.

والقراءتانِ متقاربتانِ متكاملتانِ وليستا مختلفتينِ أو متناقضتينِ، فهما تتفقانِ على أَنَّ الفعلَ مضارعٌ: «تَشَقَّقُ»، على وزنِ «تَتَفَعَّلُ». لكنَّ القراءَةَ الأولى حُدِفَتْ التاءُ الأولى للتخفيفِ، والقراءةُ الثانيةُ أدغمتِ التاءَ الثانيةَ في الشينِ للتخفيفِ أيضاً.

وفي «ونزّل الملائكة» قراءتان:

الأولى: قراءة ابن كثير المكي: «وُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ» على أَنَّ الفعل المضارع مُسْنَدٌ إِلَى الله، و«الملائكة»: مفعولٌ به. والمعنى: ونزل نحن الملائكة تنزيلاً.

الثانية: قراءة التسعة - نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب وخلف -: ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ﴾. على أَنَّهُ فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، و«الملائكة»: نائبُ فاعلٍ مرفوع. والمعنى: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تنزيلاً في ذلك اليوم.

والقراءتان متكاملتان، وليستا مختلفتين، فإذا كَانَ اللهُ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تنزيلاً على قراءة ابن كثير، فإنَّ الْمَلَائِكَةَ يُنَزَّلُونَ تنزيلاً في ذلك اليوم، على قراءة القراء التسعة.

مع أمثلة الفادي للاختلاف في القرآن:

قدّم الفادي الجاهلُ أمثلةً على دَعَوَاهُ الغبية على وجود الاختلاف في القرآن، وليته لم يُقدِّم تلك الأمثلة، فقد فضح نفسه، وأبان عن جهله وغبائه. ذكّر أَنَّ الاختلاف اللفظي في القرآن له ثلاثة مظاهر: تبديل اللفظ، وتبديل التركيب، والتبديل بالزيادة والنقصان.

لننظر في الأمثلة الدالة على الاختلاف بتبديل الألفاظ والتراكيب، والزيادة والنقصان.

- قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]. ادّعى الفادي أَنَّ الآية: «وتكون الجبال كالصوف المنفوش». فتمّ تبديل «الصوف» إلى «العهن» ولا أدري مَنْ أدراه أَنَّ أَصْلَ الآية بالصوف وليس بالعهن.

- قال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. ادّعى الفادي أَنَّ الآية: «فامضوا إلى ذكر الله». فتمّ تبديل «فامضوا» إلى ﴿فَاسْعَوْا﴾.

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. ادّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ: «فكانت كالحجارة»، فتمَّ تبديلُ الفعلِ «فكانت» إلى الضمير: ﴿فَهِيَ﴾.

- قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾. ادّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ: «ضربت عليهم المسكنة والذلة»، فَقَدَّمُوا الذِّلَّةَ على المسكنة، وجعلوها: ﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾.

- قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]. ادّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، فتمَّ تبديلُ الآيَةِ إلى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾.

- قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. ادّعى الفادي أَنَّ أَضْلَ الآيَةِ: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم». فَحَذَفُوا جُمْلَةَ: «وهو أب لهم».

أما الاختلافُ في المعنى فقد أوردَ عليه الفادي الجاهلُ مثالين:

- قال تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]. ادّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ بالجملةِ الخبرية، على أَنَّ «رَبُّنَا» مبتدأٌ مرفوع، و«بَاعَدَ» فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والجملةُ الفعلية: «بَاعَدَ بَيْنَ أَصْفَارِنَا» في محلِّ رُفْعٍ خبر.

واعتبارُ الجملةِ خبريةً قراءةً قرآنيةً صحيحة، حيث قرأَ يَعْقُوبُ البصري: «قَالُوا رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَصْفَارِنَا». وبما أنها قراءةٌ صحيحةٌ فليس فيها اختلافٌ في المعنى كما ادّعى الفادي الجاهلُ^(١).

- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتطيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]. ادّعى الفادي أَنَّ الجملةَ خطابٌ ليعيسى عليه السلام: «يا عيسى ابن مريم هل تستطيع ربك». على أَنَّ «رَبُّكَ» مفعولٌ

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

به... وهذه قراءةٌ عشريةٌ صحيحة. حيثُ قرأَ الكسائي الكوفي: «هل تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ». والمعنى على قراءة الكسائي: هل تَسْتَطِيعُ يا عيسى أَنْ تَدْعُو رَبَّكَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟ وَإِنْ دَعَوْتَهُ فَهَلْ يَسْتَجِيبُ لَكَ؟.

إِنَّ ادِّعَاءَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي وَجُودَ اخْتِلَافٍ فِي الْقُرْآنِ بَاطِلٌ مَتَهَافَتٌ، وَالْأَمْثَلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا دَلِيلٌ جَهْلُهُ وَعَبَائِهِ، فَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ وَالغَبِيُّ يُكْذِبُ ذَلِكَ وَيَقُولُ: الْآيَةُ هَكَذَا: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ».. وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وَالغَبِيُّ يُكْذِبُ ذَلِكَ وَيَقُولُ: الْآيَةُ هَكَذَا: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»، وَيُسَمَّى هَذَا الْهَرَاءَ بَحْثًا عِلْمِيًّا مَوْضُوعِيًّا مَحَايِدًا!!.



الفصل العاشر

نقض المطاعن

الموجهة إلى حياة الرسول ﷺ

تمهيد:

خَصَّصَ الفادي المفتري الجزء العاشر من كتابه المتهافت للاعتراض على الآيات التي تتحدّث عن رسول الله ﷺ، والادّعاء أنّ فيها أخطاءً، وأنها تدلّ على أنّ القرآن ليس كلام الله، وأنه من تأليف النبي ﷺ. ولننظر في هذه الاعتراضات التي ذكرها، والأسئلة التشكيكية التي طرحها.



حول أزواج الرسول ﷺ

أورد الفادي المفتري مقاطع من ثلاث آيات من سورة الأحزاب، تتحدّث عن أزواج رسول الله ﷺ؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ؕ آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ وَمِنْ أَبْنَعَيْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْفَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاءَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠ - ٥١].

واعترض الفادي المجرم على هذه الآيات، واعتبرها من تأليف النبي ﷺ، وأنه اتبع فيها هواه، وأباح لنفسه ما حرّمه على أصحابه، وسمح لنفسه أن يتزوج بما شاء. قال: «ونحن نسأل: لماذا حلّل محمد لنفسه ما حرّمه على غيره؟ ألم يُحدّد للمسلم أربع زوجات، فقال: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنْقِيًّا وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَمْلِكُوا فُوجِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]. فلماذا

أطلق العنانَ لنفسه دون المسلمين، وتزوجَ بأكثر مما يَسمحُ به القانون، من أيِّ امرأةٍ تَهَبُه نفسها، لو أنه وَقَعَ في هواها، فكانَ له عند وفاته تسعُ نساءٍ أحياء، وسريّتين هما ماريةَ وريحانة؟... وقال البيضاوي: إِنَّ النساءَ اللاتي وَهَبَنَ أنفسهنَّ للنبيِّ هن: ميمونةُ بنتُ الحارث، وزينبُ بنتُ خزيمة، وأمُّ شريك بنتُ جابر، وخولةُ بنتُ حكيم! أليسَ غريباً أنَّ محمداً أوصى المسلمينَ بالعدلِ بينَ النساءِ، وأباحَ لنفسه حريةَ عدمِ العدلِ بينَ أزواجه، فقال: ﴿رُجِي مَن نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَقُوَى إِلَيْكَ مَن نَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ...﴾^(١).

الفادي المجرمُ يُصرُّ على استبعادِ البُعدِ الربانيِّ للأحكامِ الشرعيةِ والآياتِ القرآنيةِ، ويُصرُّ على نسبةِ الآياتِ وما فيها من أحكامٍ إلى محمدٍ ﷺ، ويظهرُ هذا في قوله: «حلَّلَ محمدٌ لنفسه ما حرَّمه على غيره» و«ألم يُحدِّدْ للمسلمِ أربعَ زوجاتٍ، فقال: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾؟». ونلاحظُ أنَّ المجرمَ ينسبُ الآيةَ إلى النبيِّ ﷺ، وأنه هو الذي ألَّفها وصاغها، ثم نسبها إلى الله! إنه لا يعترفُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ، وأنَّ الإسلامَ هو دينُ الله؟ وإذا كانَ هذا منطلقه في النظرةِ إلى الإسلامِ والقرآنِ ومحمدٍ ﷺ، فكلُّ تفصيلاته وتحليلاته مرتبطةٌ بهذه النظرة، وهي ثمرةٌ طبيعية لها.

وفي كلامِ الفادي المجرمِ السابقِ مجموعةٌ من المغالطات، منها:

١ - زَعَمَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو الذي حَدَّدَ للمسلمِ التَّزْوِجَ بِأَرْبَعِ نِسَاءٍ، وهذا كَذِبٌ، فالذي حَدَّدَ ذلكَ هو اللهُ ﷻ في القرآنِ الكريمِ، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾ [النساء: ٣].

٢ - زَعَمَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَباحَ لنفسه ما حرَّمه على غيره، وأطلقَ العنانَ لنفسه، وتزوجَ بأكثر مما يَسمحُ به القانون. وهذا كذبٌ مفصوحٌ منه، فالذي أَباحَ له ذلكَ هو اللهُ في كتابه الكريمِ. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٧.

أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ . . ﴿٥٠﴾ [الأحزاب: ٥٠]، لقد كان رسول الله ﷺ ملتزماً بشرع الله، وقافاً عند حدود الله، مُتَّقِداً لأوامر الله .

٣ - زَعَمَهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ مُتَّبِعاً لِهَوَاهُ، وَأَنَّهُ أَبَاحَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَيْةَ امْرَأَةٍ عَشَقْتَهُ وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، وَهَوِيَهَا هُوَ! . . وَهَذَا كَذِبٌ مِنْهُ . فالرسول ﷺ لم يتبع هواه، وإنما كان إمام الزاهدين، والله هو الذي أباح له الزواج من المرأة التي وهبت نفسها له: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وَكَذَبَ الْمَجْرُمُ عِنْدَمَا ادَّعَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ أَرْبَعًا مِنْ أَزْوَاجِهِ عَنْ طَرِيقِ الْهَبَةِ، بَعْدَ أَنْ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لَهُ . فلم يتزوج الرسول ﷺ من أي امرأة وهبت نفسها له . . والذي حصل أن امرأة وهبت نفسها له، بأن فوضته أمرها، وجعلته ولي أمرها، وزوجها لأحد أصحابه . . .

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: إني لفي القوم عند رسول الله ﷺ، إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله، إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فلم يجبها شيئاً. ثم قامت فقالت: يا رسول الله! إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فلم يجبها شيئاً. ثم قامت الثالثة، فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. . . فقام رجل فقال: يا رسول الله! أنكحنيها. قال: «هل عندك من شيء؟» قال: لا. قال: «اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد. . .» فذهب وطلب، ثم جاء فقال: ما وجدت شيئاً، ولا خاتماً من حديد. قال: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا. قال: «اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن. . .» .

٤ - زَعَمَهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَوْصَى الْمُسْلِمِينَ بِالْعَدْلِ بَيْنَ نَسَائِهِمْ، وَأَبَاحَ لِنَفْسِهِ عَدَمَ الْعَدْلِ، فَقَالَ: ﴿تُرْجَى مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ . .﴾ . إن الفادي المجرم يُصِرُّ على أن محمداً ﷺ هو الذي قال: ﴿تُرْجَى مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ . .﴾ مع أن الله هو الذي أنزل هذه الآية على رسوله ﷺ .

ولم يُبِح الرسول ﷺ لنفسه عدم العدل بين الزوجات، وإنما أعفاه الله من ذلك، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَرْجِي مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُعْوِي إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمَن أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].

ومع أن الله أعفاه من وجوب العدل، إلا أنه أخذ بالأفضل والأكمل، فكان يعدل بين نسائه.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة متاً، بعد أن أنزلت عليه هذه الآية: ﴿تَرْجِي مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُعْوِي إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ﴾. فقالت لها معاذة: ماذا كنت تقولين؟ قالت عائشة: «كنت أقول له: إن كان ذلك إليّ، فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحداً».

حول حرمة نكاح أزواج النبي ﷺ:

حَرَّمَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِكَاحَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وهذا لم يُعْجِبِ الْفَادِي الْمَفْتَرِي، وَأَنَارَ اعْتِرَاضَهُ وَاسْتِنكَارَهُ، قَالَ: «ولماذا يُعْطَى الْحَقَّ لِجَمِيعِ الْأَرَامِلِ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ، وَيُحَرِّمُ هَذَا الْحَقَّ عَلَى نِسَائِهِ، فَيُوصِي أَنْ لَا يَتَزَوَّجْنَ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا؟»^(١).

لَمْ يُحَرِّمِ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَالَّذِي حَرَّمَ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ ﷻ، وَوَرَدَ ذَلِكَ التَّحْرِيمُ فِي الْآيَةِ الْقُرْآنِيَةِ الْحَكِيمَةِ، الَّتِي أوردناها قَبْلَ قَلِيلٍ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فِي مَا يُشْرَعُ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَالْإِنْسَانُ يَتَلَقَّى حُكْمَ اللَّهِ بِالْقَبُولِ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالْيَقِينِ.

وَحِكْمَةُ تَحْرِيمِ نِكَاحِ أَزْوَاجِهِ أَنَّهُنَّ أُمَّهَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، أُمُومَةٌ اعْتِبَارِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، تَقُومُ عَلَى الْإِحْتِرَامِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّوْقِيرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٧.

مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ ﴿ [الأحزاب: ٦]. وَإِذَا كُنَّ أُمَّهَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَهِنَّ مُحَرَّمَاتٌ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهُ.
وَإِذَا كَانَ لَا يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ، وَلَا يُمْكِنُ عَقْلاً أَنْ يَخْلَفَ أَبَاهُ عَلَيْهَا، فَمَنْ الَّذِي يَرْضَى أَنْ يَخْلَفَ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى أَزْوَاجِهِ؟! .



حول جهاد الرسول ﷺ وغزواته

اعترض الفادي المفتري على جهاد الرسول ﷺ، وأساء تفسير غزواته وقتاله للأعداء.

وأورد في بداية اعتراضه قول الله ﷻ: ﴿وَقَدْ لُولُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلُمَهُ اللَّهُ فَإِنِ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وسجّل كلامه الخبيث قائلاً: «ونحنُ نسأل: وهل يحتاج الله للعنفِ والسيفِ لينشر فكره؟ لقد حلل محمدٌ لنفسه ما سبق تحريمه، فحرّض أتباعه على القتال، وأوصى بالغزو والجهاد في سبيل الدين.. مع أنه لما كان في مكة كان يعلم أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وكان يقول: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: ﴿فَاتَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

ولكن لما اشتدّ ساعده في المدينة بعد الهجرة، ووَجَدَ نَفْسَهُ مُحَاطاً بِذَوِي السُّيُوفِ الْبَتَّارَةِ مِنْ أَتْبَاعِهِ، هَجَمَ عَلَى الْيَهُودِ بِقَرْبِ الْمَدِينَةِ، وَسَفَكَ دِمَاءَ الْأَكْثَرِينَ، وَأَوْصَى بِمُجَاهِدَةِ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ عَنْهُ، لِيَكُونَ الْكُلُّ مِنْ أَتْبَاعِهِ.. وقد فاته أن الله لا يسود العالم بالقسوة، بل بالمحبة، فالله محبة^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٨.

وفي هذا الكلام الخبيث بعض المغالطات والأكاذيب والجهالات،
منها:

١ - إضراره على أن الرسول ﷺ يُحَلَّلَ ما يَشَاء، وَيُبِيحُ لِنَفْسِهِ ما حَرَّمَه على غيره، والتلاعب في التحليل والتحريم.. علماً أن التحليل والتحريم لله وَحْدَهُ، فالله سبحانه هو الذي يُنَزِّلُ عليه الآيات، مُحَلِّلاً ما يَشَاء، ومُحَرِّماً ما يَشَاء.. والآيات التي أوردتها ليست من تأليفه، وإنما هي كلام الله أوحى به إليه.

٢ - من جهالات المفتري الجاهل عدم تفريقه بين السور المكية النازلة في مكة قبل الهجرة، والسور المدنية النازلة في المدينة بعد الهجرة. وسَجَّلَ جهله في قوله: «مع أنه لما كان في مكة كان يعلم أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]». لقد جعل سورة البقرة مكية، وكلُّ مُبتدئ في العلم مسلماً كان أو كافراً فإنه يعلم أن سورة البقرة مدنية، وفيها النهي عن الإكراه في الدين، وإجبار الآخرين على الدخول في الإسلام، وأورد آية سورة النحل الآمرة بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واعتبرها لجهله مكية، مع أن الراجح أن سورة النحل مدنية، وأنها أنزلت بعد غزوة أحد، في السنة الثالثة من الهجرة.

٣ - ادّعى المجرم أن الجهاد طارئ على النبي ﷺ، وأنه لما كان في مكة كان يحث على عدم الجهاد والقتال، ويركز على الدعوة والبلاغ. ولما هاجر للمدينة صار قوياً، واشتد ساعده، ووجد نفسه مُحاطاً بذوي السيوف البتارة من أتباعه، عند ذلك غيّر فكره وأسلوبه ودعا إلى الجهاد والغزو.

علماً أن الله هو الذي أمر المسلمين في مكة بكف أيديهم عن القتال، والصبر على أذى المشركين، والله هو الذي أمرهم بالجهاد والقتال في المدينة، فالأمر أمر الله، وورد في آيات القرآن الحكيمة. والرسول ﷺ يتلقى أمر الله، ويلتزم به ويبلغه لأتباعه ليلتزموا به.

٤ - يُغَالِطُ الْفَادِي الْمَجْرُمُ وَيَكْذِبُ، عِنْدَمَا يَدَّعِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ الَّذِي هَجَمَ عَلَى الْيَهُودِ بِالْقَرَبِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَتَلَهُمْ، أَيْ أَنَّهُ صَوَّرَ الْيَهُودَ فِي صُورَةِ الْمَظْلُومِينَ، الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِعُدْوَانِ النَّبِيِّ ﷺ.

مع أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْقَاطِعَةَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَقَدَ مَعَاهِدَاتٍ مَعَ قِبَائِلِ الْيَهُودِ، وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَعْتَدُوا عَلَيْهِ، وَأَنْ لَا يُعَاوِنُوا أَعْدَاءَهُ عَلَيْهِ. وَهُوَ لَمْ يَنْقُضْ عَهْدَهُ مَعَهُمْ، وَلَمْ يَبْدَأْهُمْ بِالْهَجُومِ وَالْعُدْوَانِ لَمَّا شَعَرَ بِالْقُوَّةِ، وَالْيَهُودُ الْمَجْرُمُونَ هُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَهُ، وَاعْتَدُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، وَتَأَمَّرُوا مَعَ قَرِيشٍ ضَدَّهُ.

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ نَقَضَ يَهُودُ بَنِي قَيْنِقَاعِ عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وَاعْتَدُوا عَلَى مُسْلِمَةٍ، وَقَتَلُوا مُسْلِمًا، فَأَدَّبَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ. . . وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ نَقَضَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ عَهْدَهُمْ مَعَهُ، عِنْدَمَا تَأَمَّرُوا عَلَيْهِ وَحَاوَلُوا اغْتِيَالَهُ، فَأَدَّبَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ. . . وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ نَقَضَ يَهُودُ بَنِي قَرِيظَةَ عَهْدَهُمْ مَعَهُ، عِنْدَمَا تَحَالَفُوا مَعَ جِيُوشِ الْأَحْزَابِ الْمَحَاصِرَةِ لِلْمَدِينَةِ، فَعَاقَبَهُمْ لَخِيَانَتِهِمْ الْعَظْمَى وَقَتَلَهُمْ! .

٥ - يَكْذِبُ الْمَفْتَرِي عِنْدَمَا يَدَّعِي أَنَّ هَدَفَ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْجِهَادِ هُوَ سَفْكَ دِمَاءِ الْآخَرِينَ، وَلِذَلِكَ أَوْصَى بِمُجَاهَدَةِ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ لِيَكُونُوا مِنْ أَتْبَاعِهِ.

عَلِمَا أَنَّ الْقِتَالَ لَيْسَ بِهَدَفٍ إِذْخَالَ الْكُفَّارِ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، وَلَيْسَ بِهَدَفٍ جَعَلَهُمْ أَتْبَاعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، إِنَّمَا هُوَ بِهَدَفٍ رَدِّ عُدْوَانِ الْكُفَّارِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَحْطِيمِ قُوَّتِهِمْ الَّتِي يُؤْذُونَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا تَحَقَّقَ ذَلِكَ أَوْقَفَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالَهُمْ، وَهَذَا صَرِيحُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٦ - يَكْذِبُ الْمَفْتَرِي عِنْدَمَا يَتَّهَمُ الْإِسْلَامَ بِالْقَسْوَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ فَقَطْ، وَأَنَّهُ لَا يَسُودُ الْعَالَمَ إِلَّا بِالْمَحَبَّةِ، فَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَكِنَّهُ أَيْضًا شَدِيدٌ

العقاب، قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

والصليبيون الذين يزعمون أن الله محبة، وأنهم رسل محبة، هم الذين سفكوا دماء المسلمين، واحتلوا أوطانهم، وسلبوهم أموالهم، في القديم وفي الحديث!!.



ما الذي حرّمه الرسول ﷺ على نفسه؟

اعترض الفادي المفتري على ما حرّمه الرسول ﷺ على نفسه، والذي عاتبه الله عليه في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَاحَتِهِمْ مَا أَمَلَ اللَّهُ لَكَ تَبَلِّغِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُم مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحریم: ١ - ٢].

ونقل كلاماً غير صحيح بأسلوبه الخبيث البذيء، قال فيه: «كان محمد يوماً في بيت حفصة بنت عمر، وهي إحدى أزواجه، فاستأذنت منه في زيارة أبيها، فأذن لها، فأرسل إلى مارية، وهي إحدى سراريه، وأدخلها بيت حفصة وواقعها، فرجعت حفصة وأبصرت مارية معه في بيتها، فلم تدخل حتى خرجت مارية، ثم دخلت، وقالت له: إنني رأيت من كانت معك في البيت.. وغضبت وبكت وقالت له: لقد جئت إليّ بشيء ما جئت به إلى أحد من نسائك، في يومي، وفي بيتي، وعلى فراشي!.. فقال لها: اسكتي، أما ترضين أن أحرّمها على نفسي، ولا أقربها أبداً؟ قالت: نعم. وحلف أن لا يقربها.

ولكن لما عاودته الرغبة في مارية حنت بالقسم، وأففل باب اعتراض حفصة على رجوعه في قسمه، بقوله: إن الله أوحى إليه..»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

وقد سبق أن ناقشنا الفادي الجاهل في القصة التي أوردَها، وذكرنا أنها لم تصح، رغم ورودها في بعض الكتب الإسلامية، كالسيرة الحلبية. والراجح أن الله عاتبَ رسوله ﷺ لأنه حلف اليمين على أن لا يشرب العسل. وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ شرب عند امرأته زينب بنت جحش عسلاً. ولما ذهب إلى حفصة رضيها أخبرته أن رائحة العسل الذي شربه عند زينب كريهة، فحلف على أن لا يشرب ذلك العسل عند زينب، فأنزل الله الآية في عتابه على يمينه، ويدعوه إلى التكفير عن يمينه. ومعنى قوله تعالى: ﴿لَرِئُوسُ الْعِجَابِ مَا أَمَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: لِمَ تَمْتَنِعُ عن أكل ما أباح الله لك؟ فالتحريم هنا امتناع عن فعل بعض المباح، وليس تحريماً شرعياً للحلال. وكلام الفادي سيئ مردول، وذلك عندما وصف النبي ﷺ وصفاً قبيحاً بقوله: «ولكن لما عاودته الرغبة في مارية حنت بالقسم، وأقفل باب اعتراض حفصة على رجوعه في قسمه بقوله: إن الله أوحى إليه..» وهذا الكلام لا يقوله نبي رسول، إنما يقوله رجل كاذب مفتر، بلا دين ولا أدب!

٢١٤

حول أبوي رسول الله ﷺ

تدخل الفادي المفتر في أبوي رسول الله ﷺ، وعلق على آية تنهى المؤمنين عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا من أقاربهم؛ وهي قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهم أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقال تحت عنوان استغزاي مثير هو: «أهله من أصحاب الجحيم».. «قال البيضاوي: روي أن النبي قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة: قل كلمة أحاج لك بها عند الله، فأبى. فقال: لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه. فنزلت. وقيل: لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء، فزار قبر أمه، ثم قام

مُسْتَعْبِرًا، فقال: إني استأذنتُ ربِّي في زيارةِ قبرِ أُمِّي فأذنَ لي، واستأذنته في الاستغفارِ فلم يأذنْ لي، وأنزلَ عَلَيَّ الآيَتَيْنِ..» (١).

صحيحٌ أنَّ هذا الكلامَ في تفسيرِ البيضاوي، لكن ليس مُسَلِّمًا، وليس كُلُّه صحيحًا. فهذه الآيةُ من سورةِ التوبة، وهي متأخرةٌ في النزول، حيثُ كان نزولُها في السنةِ التاسعةِ من الهجرة، وكانت وفاةُ أبي طالبٍ في السنةِ الثامنةِ من البعثة، قبلَ الهجرةِ بخمسِ سنواتٍ؛ أيُّ أنَّ أبا طالبٍ تُوفِّيَ قبلَ نزولِ الآيةِ بأكثرَ من أربعِ عشرةِ سنةٍ! فكيف يكونُ نزولُها في وفاته؟!.

إنَّ الذي صَحَّ في أبي طالبٍ هو نزولُ آيةِ مكيةٍ فيه؛ روى البخاري ومسلم، عن سعيدِ بنِ المسيبِ عن أبيه قال: لما حَضَرَتْ أبا طالبٍ الوفاة، جاءه رسولُ اللهِ ﷺ، فوجدَ عنده أبا جهل، وعبدُ الله بنُ أبي أمية بن المغيرة. فقالَ له: أَيُّ عَمٍّ! قُلْ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، كلمةٌ أُحاجُّ لك بها عندَ اللهِ!. فقالَ له أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أمية: أترغبُ عن مِلَّةِ عبدِ المطلبِ؟! فلم يزل رسولُ اللهِ ﷺ يعرضُها عليه، ويُعيدانه بتلكِ المقالة، حتى قالَ أبو طالبٍ آخرَ ما كَلَّمهم: على مِلَّةِ عبدِ المطلب. وأبى أن يقول: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥].

أما سببُ نزولِ آيتي سورةِ التوبة (١١٣ - ١١٤) فقد رواه النسائي والترمذي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ؓ، قال: سمعتُ رجلاً يستغفرُ لأبويه وهما مشركان، فقلتُ: تستغفرُ لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أليس قد استغفرَ إبراهيمُ لأبيه وهو مشرك؟ قال عليٌّ: فذكرتُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣ - ١١٤].

أما أبوا رسولِ اللهِ ﷺ فقد ماتا على غيرِ الإسلام، وصحَّ أنَّ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٩.

رسول الله ﷺ قال: استأذنتُ ربي أن أزورَ أُمِّي فأذنَ لي، واستأذنتُهُ في أن أستغفرَ لأُمِّي فلم يأذنَ لي». ولكنَّ الآيتين (١١٣ - ١١٤) من سورة التوبة لم تنزلا في أمه ولا في أبيه. ولم يصحَّ قولُ نُسبٍ للرسول ﷺ: لأستغفرنَّ لأبي، كما استغفرَ إبراهيمُ لأبيه، فأنزلَ اللهُ عليه الآيتين ينهاهُ عن ذلك!!.

ومن أكاذيبِ المفتري وافتراءاته قوله: «واتفقَ المفسِّرونَ على أنَّ محمداً كان يطلبُ المغفرةَ لأبيه عبدِ اللهِ، وأمُّه آمنة، وعمُّه أبي طالب، وأنَّ اللهُ نهاهُ وزجره عن ذلك زجراً أبكاه، لأنَّهم مُشركون، وقد صاروا من أصحابِ النار.. وما أبعدَ الفرقَ بينهم وبين العذراءِ مريمَ وابنها!!»^(١).

إنَّ هذا كذبٌ مفضوح، فلم يستغفرَ رسولُ اللهِ ﷺ لأبيه، ولا لأُمِّه، ولا لعمِّه أبي طالب، لأنَّهم ماتوا على غيرِ الإسلام، ورسولُ اللهِ ﷺ يعلمُ أنه لا يجوزُ له أن يستغفرَ لكافر، ولو كان أقربَ الناسِ إليه.

وادَّعى الكاذبُ المفتري أنَّ اللهُ نهاهُ عن الاستغفارِ لأبيه وأمِّه وعمِّه، وزجره عن ذلك زجراً أبكاه، وهذا ادِّعاءٌ كاذب، فلم ينهه اللهُ عن ذلك ولم يزجره؛ لأنه ﷺ لم يفعل ذلك أصلاً.

والآيةُ نَفَتْ وَقَوَعَ هذا الاستغفار: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ...﴾.

٢١٥

الزعم بأن القرآن وحي من الشيطان

ذَكَرَ الفادي المجرمُ تحتَ عنوان: «وَحْيِي مِنَ الشَّيْطَانِ» قولَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٩.

وَعَلَّقَ عَلَى الْآيَةِ تَعْلِيْقًا خَبِيثًا، فَقَالَ: «قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَا كَانَ فِي مَجْلِسِ قَرِيشٍ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّجْمِ، فَقَرَأَهَا، حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ فَأَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ مَا كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتَمَنَّاهُ، وَهُوَ: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتُرْتَجَى»، فَلَمَّا سَمِعَتْ قَرِيشٌ فَرِحُوا بِهِ، وَمَضَى مُحَمَّدٌ فِي قِرَاءَتِهِ، فَقَرَأَ السُّورَةَ كُلَّهَا، وَسَجَدَ فِي آخِرِهَا، وَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِهِ، كَمَا سَجَدَ جَمِيعُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالُوا: لَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَكِنَّ آلِهَتَنَا تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ».

وبعدما أوردَ هذه الروايةَ طَرَحَ سؤَالَهُ وَهُجُومَهُ وِبِذَاءَتِهِ، فَقَالَ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يَتَنَكَّرُ مُحَمَّدٌ لُوْحِدَانِيَةِ اللَّهِ، وَيَمْدُحُ آلِهَةَ قَرِيشٍ، لِيَتَقَرَّبَ إِلَيْهِمْ، وَيَفُوزَ بِالرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمُ بِالْأَقْوَالِ الشَّيْطَانِيَةِ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ الْكَاذِبِ وَالنَّبِيِّ الصَّادِقِ، إِذَا كَانَ الشَّيْطَانُ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ كِلَيْهِمَا؟!»^(١).

الْخُرَافَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْفَادِي الْجَاهِلُ مَعْرُوفَةٌ بِاسْمِ «قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ». وَالْغَرَانِيقُ جَمْعُ «غُرْنُوقٍ»، وَهُوَ طَيْرٌ الْمَاءِ. وَقَدْ ذَكَرَ تِلْكَ الْخُرَافَةَ بَعْضُ كُتُبِ التَّارِيخِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَرَدَّهَا عَنْهُمْ الَّذِينَ لَا يَتَحَرُونَ الدِّقَّةَ وَالصَّحَّةَ فِيمَا يُنْقَلُونَ، وَتَلَقَّفَهَا الْفَادِي الْجَاهِلُ.

وَخُلَاصَةُ تِلْكَ الْخُرَافَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَحَوْلَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَالكَافِرِينَ، فَتَلَا سُورَةَ النِّجْمِ، وَهُمْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النِّجْمِ: ١٩ - ٢٠] فَأَدْخَلَ الشَّيْطَانُ فِي قِرَاءَتِهِ، وَصَارَ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتِهِ، وَأَدْرَجَ فِيهِ جَمَلَتَيْنِ، سَمِعُوهُمَا بِصَوْتِ هُوَ صَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ، مَعَ أَنَّهُ صَوْتُ الشَّيْطَانِ، وَالجَمَلَتَانِ هُمَا: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتُرْتَجَى» وَوَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ قِرَاءَتَهُ، وَسَطَ ذُهُولِ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرِحَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ قَالُوا: التَّقَى مُحَمَّدٌ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

مَعَنَا، وَمَدَحَ آلِهَتَنَا . . ومعلومٌ أَنَّ فِي آخِرِ سُورَةِ النُّجْمِ سَجْدَةً، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من قراءَةِ سَجَدٍ، وسَجَدَ معه المسلمونَ والمشركون . . ولما علمَ الرسولُ ﷺ بما أجرى الشيطانُ على لسانِهِ حَزَنَ وتَأَلَّمَ، فأمره اللهُ بحذفِ جملتي الشيطانِ من سورةِ النجم: «تلك الغرائقُ العلى، وإن شفاعتهن لترتجى». وأنزلَ آيةً من سورة الحج تتحدّثُ عن ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

وهذه الخرافةُ مكذوبة، لم تردْ في روايةٍ صحيحة. وإنما هي من وضع الزنادقة، والكذابين والوضاعين، وقد ردّها المفسّرون والمحدّثون والمؤرّخون، وألّف بعضهم كُتُباً في ردّها، منهم الشيخُ محمد ناصر الدين الألباني، في كتابه: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق».

هذه الخرافةُ مردودةٌ عقلاً أيضاً، إذ لا يُعقلُ أنْ يَأْذَنَ اللهُ للشيطانِ أنْ يتقمّصَ صوتَ رسولِ الله ﷺ، وأنْ يُؤلّفَ كلاماً من عنده يُدخِلُهُ على القرآن، وهو يتعارضُ مع القرآن، فالقرآنُ يذمُّ اللاتَ والعزى، والشيطانُ يمدحُهما، ويجعلُ لهما شفاعَةً عند الله! وأينَ حِفْظُ القرآن؟ وأينَ عصمةُ اللهِ لِنبيِّهِ ﷺ؟! .

أما الفادي المفتري الخبيثُ فقد طارَ فَرَحاً بالخرافة، وصدّقها، واعتمدها في التشكيكِ بالقرآنِ وإدانةِ الرسولِ ﷺ، وقال كلاماً فاجراً: «كيف يتنكّرُ محمّدٌ لوحدانيةِ اللهِ، ويمدحُ آلهةَ قُريش، ليتقربَ إليهم، ويفوزَ بالرياسةِ عليهم بالأقوالِ الشيطانية؟ وما الفرقُ بين النبيِّ الصادقِ والنبيِّ الكاذبِ إذا كان الشيطانُ ينطقُ على لسانِ كليهما؟».

أما آيةُ سورة الحج التي زعمَ الفادي أنها جاءتْ لمسحِ ما ألقاهُ الشيطانُ على القرآن، فإنها تتحدّثُ عن أُمْنِيَّاتِ الأنبياءِ إيماناً أقوامِهِم، ومحاولاتِ الشيطانِ تَيْئِيسِهِم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ...﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ رَسُوْلَهُ ﷺ أَنَّ كُلَّ رَسُوْلٍ وَنَبِيٍّ قَبْلَهُ كَانَ يَتَمَنَّى وَيَرْجُو وَيَأْمَلُ أَنْ يُؤْمَنَ بِهِ قَوْمُهُ وَيُصَدِّقُوهُ، وَكَانَ يَبْذُلُ جِهْدَهُ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ يُحَاوِلُ تَيْبِيسَهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ يُلْقِي فِي أُمْنِيَّتِهِ، وَيُؤْرِيه أَنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ، وَأَنَّ قَوْمَهُ لَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَلَا يُتَعَبُ نَفْسَهُ مَعَهُمْ.. وَكَانَ اللهُ يَتَدَارَكُ رَسُوْلَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِالْأَمَلِ، وَبِذَلِكَ كَانَ يَنْسُخُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ وَسَاوِسٍ، وَيُحْكَمُ آيَاتِهِ، وَيُبْقِي الرِّسُوْلَ عَلَى ثِقَتِهِ وَأَمَلِهِ وَجَهْدِهِ فِي الدَّعْوَةِ.. هَذَا هُوَ الرَّاجِعُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٢١٦

هل مال الرسول ﷺ إلى المشركين؟

ادَّعَى الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَالَ إِلَى مَهَادِنَةِ الْمُشْرِكِيْنَ وَمَوَالِيَتِهِمْ وَمَدَحِ آلِهِتِهِمْ، وَذَكَرَ آيَاتٍ أَسَاءَ فَهَمَّهَا وَتَفْسِيرَهَا. وَوَضَعَ عِنَاوَانًا مُثْبِرًا: «كَادُوا يَفْتِنُونَهُ»؛ قَالَ فِيهِ: «جَاءَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ (٧٣): ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا﴾، وَجَاءَ فِي السُّورَةِ نَفْسِهَا (٣٩): ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾. وَجَاءَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ (١ - ٢): ﴿يَتَأَيَّمُوا لِنَبِيِّ أُنْتِىَ اللَّهُ وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِيْنَ وَالْمُنٰفِقِيْنَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ...﴾. وَجَاءَ فِي سُورَةِ الزَّمْرِ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وَجَاءَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَأَيَّمُوا الرَّسُوْلُ بَلِيْغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وَنَحْنُ نَسْأَلُ: أَلَا تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى مِيلِ مُحَمَّدٍ لِلْمُشْرِكِيْنَ، وَمَوَالِيَتِهِ لِمَدْحِ آلِهِتِهِمْ، ثُمَّ اعْتِدَارِهِ عَنْ هَذَا بِأَنَّ اللَّهَ نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَرَجَرَهُ؟!..^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٠.

لقد كان المشركون حريصين على فتنة رسول الله ﷺ، ليتنازل عن الحق ويسير معهم. وعرضوا عليه عروضاً مغرية. ومن أعجب وأطرف ما عرضوه أنهم قالوا له: يا محمد أنت على حق، ونحن على حق، فنعبد نحن ربك يوماً، على أن تعبد أنت آلهتنا يوماً!.. فأنزل الله عليه سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الْكُفْرَانَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

واجه الرسول ﷺ مساومات وإغراءات المشركين بالرفض، والثبات على الحق، وقال قوله المشهورة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه».

وقد فوضت قريش أحد زعمائها «الوليد بن المغيرة» ليفاوض رسول الله ﷺ، ويعطيه ما شاء من الدنيا، على أن يتخلى عن رسالته ودعوته، فعرض عليه الوليد ما شاء من المال أو الجاه والمركز، بأن يكون زعيماً عليهم، أو الزواج أو العلاج، وهم مستعدون أن يعطوه ما أراد، مقابل أن يسكت ويتوقف عن دم آلهتهم.. فرد الرسول ﷺ على عروضه بأن تلا عليه آيات من سورة فصلت.. فقام الوليد يائساً..

وقد امتن الله على رسوله ﷺ بأنه هو الذي ثبتته على الحق، وأعانه على رفض مساومات المشركين. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٦].

وأمر الله رسوله ﷺ بالتقوى والثبات وتبليغ الدعوة لا يدل على أنه قصر في ذلك، إنما هو لمزيد توكيد، ولا استمرار التذكير بالحقيقة، والذكرى تنفع المؤمنين، والتأكيد على الحقيقة لرسوخها واستقرارها.

كما أَنَّ نَهْيَ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ عن الشرك لا يَعْنِي أَنَّهُ فَكَّرَ فِي أَنْ يُشْرِكَ،
 ونهيه له عن جعله إلهاً آخرَ مع الله لا يَعْنِي أَنَّهُ فَكَّرَ فِي ذَلِكَ. وكان ﷺ قبل
 البعثة يكفرُ بالأصنام ولا يَعْتَبِرُهَا آلِهَةً، فهل يَعْتَبِرُهَا آلِهَةً بعد النبوة؟! .
 إن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
 عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] يدلُّ على أَنَّ اللَّهَ لا يَتَسَامَحُ فِي الشَّرْكِ،
 ويُحِبُّطُ عَمَلَ الْمُشْرِكِ بِهِ، ويجعلُه خاسِراً هالِكاً، حتى لو كانَ هذا أَقْرَبَ النَّاسِ
 إِلَيْهِ، وأفضلهم عنده، وهو رسوله محمدٌ ﷺ. . فإذا كانَ اللَّهُ يُعَذِّبُ رَسُولَهُ
 وَحَبِيبَهُ إِذَا أَشْرَكَ - وهو لَنْ يُشْرِكَ - فكيف بالآخرين الذين أشركوا فعلاً، إنهم
 عَرْضَةٌ لِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَتَرَجَّعُوا عن ذلك، فالإيمانُ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ وَعِبَادَتُهُ
 وحده لا تَرَجَّعُ عنه، ولا مفاوضة عليه!! .

ولكنَّ الفادي الجاهل الكافر بالله لا يَعْرِفُ هذه الحقيقة القرآنية
 الإيمانية، ولذلك قالَ ما قالَ، واتهمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ بما اتَّهَمَهُ بِهِ.



اتهام الرسول ﷺ بتزوج زوجة ابنه

كلامُ الفادي الفاجرِ المجرمِ في هذا المبحثِ من أَرذَلِ وَأَفْجَرِ وَأَقْبَحِ ما
 سَجَّلَهُ فِي كتابِهِ القبيحِ، وقد جَعَلَ كَلامَهُ تحتَ عنوان: «يتزوجُ زوجةَ ابنه!!» .
 وَعَلَّقَ على آيَتَيْنِ من سورةِ الأَحْزابِ، تتحدَّثانِ عن زواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، من
 زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشِ بْنِ أَبِي حَبِشَةَ، وفيهما قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ
 النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

وقد سَبَقَ أَنْ ناقشنا المجرمَ البذيءَ في هذا الأمرِ، وبيناَ مُلابسةَ زواجِ
 رسولِ اللَّهِ ﷺ من زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشِ بْنِ أَبِي حَبِشَةَ، وَقَدَّمْنَا المعنى الصحيحَ لآياتِ
 سورةِ الأَحْزابِ التي تحدَّثتُ عن ذلك.

لكننا نسجلُ هنا كلامَ المجرمِ البذيءِ، ليعرفَ الإخوةُ القراءُ إجرامَ المجرمِ وقلةَ أدبه، وهو الذي يظهرُ بمظهرِ الموضوعيِّ المحايدِ، والباحثِ المنصفِ.

قال - فَضَّ اللهُ فاه، وشَلَّ يَدَهُ -: «اتفقَ جميعُ المفسِّرينَ على أنَّ محمداً قال هذه العبارةَ في زينبِ بنتِ جحش. وكان قد زَوَّجَهَا لزيدِ بنِ حارثة، وهو ابنُه بالتَّبَنِّيِّ. . وفي ذاتِ يومٍ أتى محمداً زيداَ لحاجة، وأبصرَ زينبَ في دِرْعٍ وخمار، وكانت بيضاءَ وجميلةً وذاتَ خُلُقٍ، من أتمَّ نساءِ قريش، ولم يكنْ زيدٌ في البيت، فوَقَعَتْ في نفسِ محمد، وأعجبه حُسْنُهَا، فقال: سبحانَ اللهُ مُقَلَّبِ القُلُوبِ. . فلما جاءَ زيدٌ، ذَكَرَتْ له ذلك، ففَطِنَ للأمرِ، واحتاطَ لنفسِه من عواقبِه، وذهبَ لمحمد، وقال له: إني أريدُ أنْ أُطَلِّقَ صاحِبَتِي! فقال محمد: ما لك؟ أَرَأَبِكَ منها شيءٌ؟ قال: لا. ولكنْ لَشَرَفِهَا تتعاضَمُ عَلَيَّ. . فقال محمد: أُمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، واتَّقِ اللهُ في أمرِها. قالَ محمداً هذا خشيةً من الناس، لئلا يُعَيِّرُوهُ بِأَخْذِ زَوْجَةِ ابْنِهِ، وأخْفَى في نفسِه شهوتَه إليها!!.. ولكن الفضلَ لجبريلَ، الذي أنزَلَ عليه أَلَّا يخشى الناسَ، وليجاهرَ برغبته في أخذِها من ابنه، وألا يكونَ لجميعِ المسلمين حَرَجٌ إذا أخذوا نساءَ أَدْعِيائِهِمْ، بعدَ أنْ يَقْضُوا مِنْهُنَّ مُرَادَهُمْ.

فكيفَ ساعَ لمحمدٍ أنْ يَمُدَّ عَيْنَيْهِ، وَيُسْتَهْيِي امرأةَ زيدِ، أقربِ الناسِ إليه؟ وكيفَ يَدَّعِي في مجلسِ العربِ بغيرِ ما في نفسِه، وَيَسْتَعْدِي جبريلَ على زيدِ ليحرّمهُ من زوجته، ليأخذَها لنفسِه، وَبَدَلَ أنْ يندَمَ وَيَسْتَغْفَرَ، يُسَبِّحُ اللهُ ويقولُ: سبحانَ اللهُ، مُقَلَّبِ القُلُوبِ؟ وهل يَلِيقُ بجبريلَ الطاهرِ أنْ يُوافِقَ هوى محمد، ويجعلَ هذا الاغتصابَ سُنَّةً، وَيَرْفَعَ الحَرَجَ عن جميعِ المؤمنين، إذا ما أتوا مثلَ هذه الفضائحِ؟!.. ولهذا المنطقِ الأخلاقيِّ كانت زينبُ تَبَاهَى على سائرِ نساءِ النبيِّ قائلة: إِنَّ اللهُ تَوَلَّى إِنْكَاحِي، وَأَتَنَّ زَوْجَكُنَّ أَوْلِيَاوَكُنَّ. .»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٠ - ٢١١.

ولا نعلقُ على هذا الكلامِ الفاجرِ البذيءِ، ونُحيلُ على ما قُلناهُ سابقاً في هذا الأمر! وقد بيَّن كثيرٌ من العلماءِ حادثةَ زواجِ الرسولِ ﷺ من زينب بنتِ جحشٍ رضي الله عنها، وتحدَّثنا عنها بالتفصيلِ في كتابنا «عتاب الرسول ﷺ في القرآن: تحليل وتوجيه».



حول سحر رسول الله ﷺ

عَلَّقَ الفادي المجرمُ على حادثةِ سِحْرِ رسولِ الله ﷺ تحتَ عنوان: «النبِيُّ المسحور» وأخذَ الحادثةَ من مصادرٍ صحيحةٍ ومصادرٍ باطلة، وخلطَ فيها الحقَّ بالباطل، ثم وظَّفها دليلاً على جُنونِ الرسولِ ﷺ، وقارنَ بينه وبين موسى وعيسى عليهما السلام، اللذينِ غلبا السحرةَ والشياطينَ. أوردَ سورةَ الفلقِ وسورةَ الناسِ ثم نقلَ كلاماً للبيضاوي في تفسيرِ النفائاتِ في العُقَد.

وقال بعد ذلك: «جاءَ في كتابِ «السيرة النبوية الملكية»: «رُويَ أنَّ لبيداً بنَ الأعصمِ اليهوديِّ سَحَرَ النبيِّ. فكان يُحيلُ للنبيِّ أنه يفعلُ الشيءَ، وهو لا يفعلُه، مما لا تَعَلُّقُ له بالوحي، كالأكلِ والشربِ وإتيانِ النساءِ، ومكثَ في ذلكِ سنَّةً، أو ستةَ أشهرٍ، على ما قيل، حتى جاءه جبريلُ، وأخبره بذلكِ السِّحرِ ومكانه، فأرسلَ النبيُّ واستحضره وفكَّ عُقْدَه، ففكَّ عنه السحر».

وجاءَ في كتابِ العُقَدِ الفريدِ: «في مسندِ ابنِ أبي شيبة: أنَّ رجلاً من اليهودِ سَحَرَ النبيِّ، فاشتكى لذلكِ أياماً، فأتاه جبريلُ فقال له: إنَّ رجلاً من اليهودِ سَحَرَكَ، عُقَدَ لك عُقْداً، وجعلها في مكانِ كذا وكذا، فأرسلَ علياً فاستخرجها وجاءَ بها، وجعلَ يحلُّها، فكلما حلَّ عُقْدَه، وجدَ رسولُ الله خِفَّةً، ثم قامَ رسولُ الله، وكأنما نشطَ من عقال».

قال البخاري: رَوَتْ عائشةُ قالت: كان رسولُ الله سُجِرَ، حتَّى كان يَرى أنه يأتي النساءَ وهو لا يأتيهنَّ. . فقالَ محمد: يا عائشةُ! أَعْلِمْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي

فيما أنا استفتيته فيه، أتاني رجُلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، رجل من بني زريق، حليف اليهود، كان منافقاً، قال: وفيم؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطة. قال: وأين؟ قال: في جف بئر ذروان... قالت: فأتى النبي البئر فاستخرجها...»^(١).

ما زعمه الفادي المفتري من أن سحر رسول الله ﷺ استمر ستة أشهر أو سنة غير صحيح، فلم يستمر ذلك إلا فترة قصيرة لم تتجاوز أياماً قليلة.

والراجح أن رسول الله ﷺ لم يرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى البئر التي فيها السحر، ولم يستخرجه منها، وما نقله الفادي عن العقد الفريد مرجوح مردود.

والصحيح في هذه الحادثة ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر النبي ﷺ، حتى إنه ليحيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله... حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه... ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجُلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق. قال: في ماذا؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان.

قالت: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل... ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله لكأن ماءها نُقاعه الجناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين... قلت: يا رسول الله، أفأخرجته؟ قال: لا... أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً. وأمر بها فدفنت»^(٢).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، حديث رقم (٥٧٦٦).

لقد شاء الله أَنْ يُسْحَرَ رَسُولُهُ ﷺ، وذلك تَأْكِيدٌ لِبَشَرِيَّتِهِ وَضَعْفِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ بَشَرٍ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ، تَوَثَّرُ فِيهِ الْأَسْبَابُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَالَّذِي سَحَرَهُ هُوَ الْيَهُودِيُّ «لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ»، حَيْثُ أَخَذَ مِشْطًا كَانَ يُمَشِّطُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَعْرَهُ، وَفِيهِ «مِشَاطَةٌ»، وَهِيَ بَقِيَّةُ الشَّعْرِ الَّذِي عَلِقَ مِنْ رَأْسِهِ بِالْمِشْطِ، وَرَبَطَ الْمِشْطَ وَالْمِشَاطَةَ فِي «جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ»، وَهُوَ الْغِشَاءُ الَّذِي عَلَى طَلْعِ الْبَلَحِ عِنْدَ بَدَايَةِ خُرُوجِهِ مِنْ كُمَّهُ عَلَى النَخْلَةِ. وَوَضَعَ الْمِشْطَ وَالْمِشَاطَةَ وَالْجُفِّ الْغِشَاءَ فِي قَعْرِ بئرِ ذِي أُرْوَانَ، وَالْمَاءُ الَّذِي فِيهَا قَلِيلٌ.

وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يُؤَثَّرَ هَذَا السَّحْرُ فِي الْجَانِبِ الْمَادِّيِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَيْ أَنَّهُ أَثَّرَ فِي جِسْمِهِ فَقَطْ، وَلَمْ يُؤَثَّرْ فِي عَقْلِهِ وَإِدْرَاكِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُؤَثَّرْ فِي رِسَالَتِهِ أَوْ الْوَحْيِ الَّذِي يَتَلَقَّاهُ مِنَ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَثَّرْ فِي عِبَادَتِهِ وَدَعْوَتِهِ وَذِكْرِهِ لِلَّهِ. . . أَقْصَى مَا أَثَّرَ فِيهِ السَّحْرُ كَمَا أَخْبَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ كَانَ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ هَذَا فِيهِ طَوِيلًا، حَيْثُ كَانَ ﷺ يَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ، يَدْعُوهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، كَيْ يَذْهَبَ عَنْهُ مَا أَثَّرَ فِيهِ. . . وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ ﷺ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَدَعَا اللَّهَ طَوِيلًا، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَأَخْبَرَهُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا بِهِ، وَأَخْبَرَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ مَا حَصَلَ لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَاهُ فِيمَا اسْتَفْتَاهُ فِيهِ، حَيْثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ. فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَجَلَسَ الْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا حِوَارٌ عَلَى مَسْمَعٍ مِنْهُ ﷺ، وَعَرَفَ مِنْهُمَا أَنَّ لَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيَّ سَحَرَهُ، وَأَنَّهُ وَضَعَ السَّحْرَ فِي قَعْرِ بئرِ ذِي أُرْوَانَ. وَعَافَاهُ اللَّهُ، وَأَذْهَبَ عَنْهُ مَا أَثَّرَ فِيهِ.

وَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبئرِ، وَعَادَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَخْبَرَهَا عَنْهَا: مَاؤُهَا قَلِيلٌ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ حِنَاءٌ، وَعَلَيْهَا نَخْلٌ مِثْمَرَةٌ، ثَمَرُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ. وَأَمَرَ ﷺ بِدَفْنِ الْمَادَّةِ الَّتِي سُحِرَ فِيهَا، وَلَمَّا اقْتَرَحَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ يُخْرِجَهَا، وَأَنْ يَتَشَرَّرَ، أَيْ أَنْ يُعَالَجَ نَفْسَهُ بِالرُّقِيَّةِ، رَفُضَ ذَلِكَ، وَقَالَ: لَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَشَفَانِي فَلَنْ أَتَشَرَّرَ، حَتَّى لَا أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ السَّحْرِ شَرًّا. وَبِهَذَا انْتَهَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ الْعَابِرَةُ، الَّتِي مَرَّتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرُورًا

عابراً، ولم يتأثر بها عقله أو وعيه أو حفظه وعبادته، ولم تؤثر على نبوته ورسالته.

أما الفادي المجرم فقد وظف الحادثة ليحقق هدفه بالإساءة إلى رسول الله ﷺ، ونفي نبوته. وعلق على الحادثة بقوله: «ونحن نسأل: كيف يكون محمد نبياً وقد خضع لسطوة الشيطان، فتارة يُذهب عقله بالسحر، وتارة يُلقي على لسانه آيات شيطانية، كالتي قالها في سورة النجم؟ لهذا اتهمه أعداؤه بأنه مجنون، فدفع عن نفسه هذه التهمة، في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿تَ وَالْقَالِ وَمَا يَسْطُورُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٌ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ١ - ٢]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١ - ٥٢].

فأين هو من موسى الذي غلب السحر؟ وأين هو من المسيح الذي أخرج الشياطين وأقام الموتى؟ وإن كان في إمكان جبريل فك سحره، وشفأؤه، فلماذا تركه، ولم يأت به إلا بعد ستة أشهر أو سنة؟ وكيف يُؤتمن مثله على أقوال الوحي؟ لذلك قال له إلهه: ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَسِحْ﴾ [الأعلى: ٦] (١).

اتهم الفادي المجرم الرسول ﷺ بالجنون، وردد التهمة التي أطلقها الكفار زمن رسول الله ﷺ، وقد نفت آيات القرآن الصريحة هذه التهمة عن رسول الله ﷺ، ولو كان ﷺ مجنوناً لما نجح في دعوته هذا النجاح، ولما تكلم بما تكلم به، ولما تعامل مع أصحابه بأعلى درجات العلم والحلم والحكمة وسعة الصدر. ونكرر أن السحر لم يؤثر في عقله ﷺ ووعيه!

ومقارنة الفادي المجرم بين رسول الله ﷺ وبين أخويه موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لا داعي لها، لأن كلاً منهم رسول كريم أيده الله بالمعجزات، وقد شاء الله أن يؤثر السحر قليلاً في الجانب البشري من رسول الله ﷺ، تأكيداً على بشريته.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٢ - ٢١٣.

والسؤال الذي طرَّحَه المجرمُ خبيثٌ مثلُ صاحبه: «وكيف يُؤتمنُ مثله على أقوالِ الوحي؟» لأنَّ الله ائتمنه على الوحي، ووَعَدَهُ أَنْ لا يَنْسَى من القرآن حرفاً واحداً، وقال له: ﴿سَفُرْتُكَ فَلا تَنْسَ﴾ (١) إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿ [الأعلى: ٦ - ٧].

٢١٩

حول تقبيل الرسول للحجر الأسود

تَوَقَّفَ الفادي المجرمُ أمامَ تقبيلِ الرسولِ ﷺ للحجرِ الأسود، وأساءَ فهمَ الحادثةِ وتفسيرِها، كعادته، وجعلَ حديثه عنها فرصةً لاتِّهامِ الرسولِ ﷺ في عقيدته وإيمانه وإخلاصه وتوحيده.

قَالَ فَضَّ اللهُ فاه: «جاء في سورة الأحزاب (٢١): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقال عمرُ بنُ الخطابِ عن الحجرِ الأسود: أما والله لقد علمتُ أنك حجرٌ، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله قبَّلَكَ ما قبَّلْتُكَ.

ونحنُ نسأل: لماذا جعلَ محمدٌ تقبيلَ الحجرِ الأسود من شعائرِ الحجِّ كالوثنيين؟ وهل هذه هي الأسوةُ الحسنة؟ ولماذا يُجاري ويُداري عربَ الجاهلية، فيشركُ في إكرامِ الله إكرامِ الأحجار؟» (١).

يرفضُ المجرمُ اعتبارَ رسولِ الله ﷺ قدوةً حسنةً للمسلمين من بعده، لماذا؟ لأنه قبَّلَ الحجرَ الأسود، وجعلَ تقبيله من شعائرِ الحجِّ!! وماذا في تقبيله له؟ إنه بهذا يُداري ويُجاري الوثنيين، ويفعلُ مثلَ فعلِهِم. وهذا إكرامٌ منه للحجر، وهذا إشراكٌ منه بالله ﷻ!! فالرسولُ ﷺ مشركٌ بالله بمجردِ تقبيله الحجرِ الأسود!! هكذا يكونُ البحث، وهكذا يكونُ التحليلُ والتعليلُ والاستنباطُ والاستدلالُ!!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٣.

ومن المعلوم عندنا أنّ رسول الله ﷺ لم يُشرع من عنده، وإنما كان يُبلغ المسلمين حكم الله وشرعه، فالله سبحانه هو الذي شرع مناسك الحج، من إحرام وطواف وسعي ورمي للجِمار وغير ذلك، والله هو الذي شرع للرسول ﷺ والمسلمين استلام الحجر الأسود عند الطواف وتقبيله، كما أمرهم باستقبال الكعبة في الصلاة، وعندما كان ﷺ يُقبل الحجر الأسود كان يُطبق أمر الله، ويُفقد شرع الله، وهو بهذا عابد لله وليس مشركاً به!

وكم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واعياً حكيماً فطناً، عندما قرّر أنه يُقبل الحجر الأسود؛ لأنه يقتدي في ذلك برسول الله ﷺ، وهو يوقن أنه مجرد حجر، لا يضر ولا ينفع.



التشكيك في عفة عائشة رضي الله عنها

شكَّ الفادي المجرم في عفة عائشة رضي الله عنها، وكرّر ما قاله المنافقون الكافرون في اتّهامها. وكانت وقفته الفاجرة الخبيثة أمام قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

ذَكَرَ خُلَاصَةَ الْحَادِثَةِ كَمَا وَرَدَتْ فِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: مَنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلَمَّا عَادَ مِنَ الْغَزْوَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، نَزَلَ بِالْجَيْشِ لَيْلاً لِيَسْتَرِيحُوا، ثُمَّ نَادَى بِالرَّحِيلِ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ قَدْ مَشَتْ قَلِيلاً لِنَقْضِ حَاجَتِهَا، وَلَمَّا عَادَتْ إِلَى الرَّحْلِ عَرَفَتْ أَنَّهَا أَضَاعَتْ عُقْدَهَا الَّذِي فِي عُنُقِهَا، فَعَادَتْ لِتَبْحَثَ عَنْهُ، وَظَنَّ الْمَكَلَّفُ بِتَرْحِيلِهَا أَنَّهَا دَاخِلَ الْهُودَجِ، فَأَقَامَ النَّاقَةَ وَسَارَ بِهَا مَعَ الْجَيْشِ، وَهُوَ يَوقِنُ أَنَّ عَائِشَةَ فِي الْهُودَجِ، وَلَمَّا عَادَتْ إِلَى الْمَكَانِ فِي اللَّيْلِ وَجَدَتْ الْجَيْشَ قَدْ تَحَرَّكَ فَجَلَسَتْ عَلَى الْأَرْضِ مَكَانَهَا. . . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَلَّفَ صَفْوَانَ بْنَ

المعطلِ السلميّ ﷺ أَنْ يَسِيرَ خَلْفَ الْجَيْشِ، لِيَلْتَقِطَ مَا يَسْقُطُ مِنْهُ. . ولما وصلَ صفوانُ إلى المكانِ رأى عائشةَ، فأناخَ راحلتهُ، فركبَها وساقَها حتى وصلَ الجيشَ. . ولما رآه المنافقونَ أشاعوا حادثةَ الإفكِ، واتَّهَموها في عِفَّتِها وطهارتِها. . واستمرَّ الحديثُ حولَ الشائعةِ حوالي خمسينَ يوماً، وأنزلَ اللهُ بعدَ ذلكَ شهادةً ببراءةِ عائشةَ ﷺ، وأقامَ الرسولُ ﷺ حَدَّ القَذْفِ على الذينَ رَدَدُوا الإِشَاعَةَ، واتَّهَموها في عِرْضِها. . .

وأطلقَ الفادي المجرمُ سِهَامَهُ الخبيثةَ المسمومةَ، وقَذَفَ عائشةَ ﷺ في عِفَّتِها. قال: «ونحنُ نسألُ: هل كانَ زواجُ محمدٍ بعائشةَ بركةً له أم لعنةً عليه؟. . قالَ ابنُ هشامٍ: إنَّ محمداً تزوجَ ثلاثَ عشرةَ امرأةً، منهنَّ عائشةُ، التي كانتَ بنتَ سِتٍّ لَمَّا عَقَدَ عليها، وبنتَ تِسْعٍ لَمَّا بنى بها. . فلماذا يتزوجُ محمدٌ وهو شيخٌ بطفلةٍ في التاسعة؟ وإنَّ كانتَ هذهَ عادةٌ عربٍ زمانِه، فلماذا لم يُصلِحْ نَبِيُّ العَرَبِ عادةَ أهلِ زمانِه، بَدَلَ أَنْ يُمارِسَها معهم؟ ولماذا كانَ محمدٌ يسطحُها معه في عَدَواتِه ورُوحاتِه، حتى في الحروبِ، فتصبحَ سيرتُه وسيرتُها مضغَّةً في الأفواه، كما حَدَّثَ مع صفوانَ بن المعطلِ في غزوةِ بني المصطلقِ؟. ولقد كانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ حكيماً، وهو يُقدِّمُ النصحَ لابنِ عمِّه وَحَمِيَّه، ويقولُ له: لم يُضَيِّقِ اللهُ عليكِ، والنساءُ سواها كثيرٌ. . ولكنَّ علياً لم يكنِ يعلمُ مكانةَ عائشةَ في قلبِ محمدٍ، وقد كانَ يقولُ عنها: إنها بينَ نساءِه كالثريدِ بينَ الطعامِ.

فذهبَ محمدٌ إليها، وقالَ لها: «بَلِّغْني عنكَ ما بَلِّغْني، فإنَّ كنتِ بريئةً فيبرئُكَ اللهُ، وإنَّ كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري اللهُ وتوبيي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبِه ثم تابَ تابَ اللهُ عليه». وسرعانَ ما جاءَ جبريلُ بوحيٍ يُبرئُ عائشةَ، ويلعنُ الذينَ اتَّهَموها، وشَعَلَتْ شهادةُ جبريلَ ولعناتُه ثمانِي عشرةَ آيةً من سورةِ النورِ. قالَ ابنُ عباسٍ - كما ذَكَرَ البيضاوي -: «لو فَتَّشْتَ وِعياداتِ القرآنِ لم تَجِدْ أَعْلَظَ مما نَزَلَ في إِفْكِ عائشةَ ﷺ».

ألا يرى العاقلُ أنَّ محمداً شَحَنَ قرآنَه بشؤونِه الخاصةِ وشؤونِ نساءِه؟ وإذا كانتَ عائشةُ بريئةً، فلماذا لم يُبرئِها في الحالِ؟. . ولماذا لَبِثَ الوحيُ مدةً

طويلة، تاركاً إياها في بيت أبيها، ومحمدُ مرتابٌ في عفتها؟..» (١).

كلامُ الفادي المجرم وقحٌ قبيح، وكلُّه اتهامٌ للرسول ﷺ ولعائشة رضي الله عنها.

إنه يعتبرُ زواجه بعائشة لعنةً عليه، وأنه خسر كثيراً بسببه، علماً أنَّ حياة الرسول ﷺ مع عائشة كانت سعيدةً هانئةً، وكانت عائشة مباركةً رضي الله عنها.

وأثارَ المجرمُ إشكالاً حولَ عمرِ عائشة عندما تزوجها ﷺ، صحيحٌ أنه خطبها وهي بنتُ ستِّ سنوات، ودخلَ بها وهي بنتُ تسعِ سنوات، ولا غرابةَ في هذا الزواج، فقد كانتَ كاملةً الأنوثة وهي في هذا السنِّ، ومعلومٌ أنَّ البناتِ في المناطقِ الحارَّةِ تكبرُ أجسامهنَّ بسُرعة.

أما اصطحابُ الرسول ﷺ لعائشة في غزواته وسفرايه فقد كانَ يخرجُ بها عندما يأتي دورها، حيثُ كانَ يعدلُ بين زوجاته، ويخرجُ بمن هي على الدَّور!

والفادي مجرمٌ وقحٌ عندما قال عن الحادثة: «فتصبحُ سيرتهُ وسيرتها مضغَّةً في الأفواه». ولقد كانتَ سيرةُ رسولِ الله ﷺ وسيرةُ عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، عنوانَ العِفَّةِ والطهرِ والفضيلة، ولم يكنْ في حياته أو حياتها ما يُريب، والذينَ تحدَّثوا عن عائشة واتهموها في عفتها هم المنافقون، ومن تأثرَ بهم من مرضى القلوب، أما المسلمون الصادقون فقد كذبوا حديثَ الإفك وقالوا: سبحانك اللهم هذا بهتانٌ عظيم.

واستغربَ الفادي الجاهلُ حديثَ سورةِ النورِ عن حديثِ الإفك، في ثماني عشرة آية، وهذا دليلٌ جهله، فالقرآنُ كانَ يُرَبِّي المسلمينَ بالأحداث، ويجعلها مناسبةً لعرضِ وتقديرِ حقائقه، وقد كانتِ الدروسُ والعبرُ والتوجيهاتُ من حادثةِ الإفك كثيرةً، ولذلك تحدَّثَ عنها القرآنُ في ثماني عشرة آية.

وكانَ الفادي وقحاً مجرماً عندما قال: «ألا يرى العاقلُ أنَّ محمداً شحَنَ قرآنَه بشؤونه الخاصةِ وشؤونِ نسائه؟».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٣ - ٢١٤.

إنه يؤكِّد أنَّ القرآنَ كلامُ النبي ﷺ وليس كلامَ الله، وأنه كان يَضَعُ فيه ما شاء من الآياتِ التي أَلْفَها... وهو يرى أنَّ القرآنَ مليءٌ بأخبارِ الرسولِ ﷺ الشخصية! وهذا دليلٌ جُهلهُ وغبائه.

إنَّ اللافتَ للنظرِ أنَّ حديثَ القرآنِ عن أخبارِ الرسولِ ﷺ الشخصية قليل، وهذا دليلٌ على أنَّ القرآنَ كلامُ الله، ولو كانَ القرآنُ من تأليفِ رسولِ الله ﷺ لمألهُ بالحديثِ عن شؤونِهِ وسيرتِهِ وحياتِهِ، وعن رحلاتِهِ وأسفارِهِ، وعن مشاعرِهِ وهمومِهِ، وأحزانهِ وأفراحِهِ.. كما يفعلُ المؤلِّفون عندما يكتبُ أحدهم سيرتَهُ الذاتية.

لم يعرض القرآنُ من أخبارِ الرسولِ ﷺ إلا ما جعله فرصةً لتقرير الدروس.

ويتساءلُ الفادي بخبث: لماذا لم يُبرئِ الوحيَ عائشةَ في الحال؟.. إنَّ تَأخَّرَ الوحي في إعلانِ براءةِ وعِفَّةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا دليلٌ آخَرُ على أنه كلامُ الله، فقد كانَ الموضوعُ خطيراً جداً، ويتعلَّقُ ببيتِ رسولِ الله ﷺ وشرفِهِ وعِفَّةِ وعرضِ امرأتِهِ، ولو كانَ القرآنُ من تأليفِ النبي ﷺ لسارعَ بإعلانِ براءتِها، وادَّعى إنزالَ الآياتِ عليه!! لكنَّ الرسولَ ﷺ بقيَ ينتظرُ الوحيَ أياماً عديدةً، وهو لا يعلمُ الغيبَ، والقضيةُ حساسةٌ تتفاعلُ وتتحركُ وتنتشرُ بين الناسِ، والمسلمونَ ينتظرونَ البيانَ من الله، ويتأخَّرُ إنزالُ الآياتِ لحِكْمَةٍ، ليوظَّفَ هذا دليلاً على أنَّ القرآنَ من عندِ الله!!.

٢٢١

حول قتلِ الرسولِ ﷺ خصوصاً

أثارَ الفادي المجرمُ الاعتراضاتِ والإشكالاتِ على موقفِ رسولِ الله ﷺ من خصومه الكافرينَ المعادين، حيثُ أمرَ بقتلِ بعضهم.

وبدأ هذا المبحثُ بالحديثِ عن سَرِيَّةِ عبدِ الله بنِ جحشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، التي

كانت قبيل غزوة بدر، والتي أدت إلى قتل رجلٍ مشركٍ خطأً، في أول يومٍ من أيام شهرٍ رجبٍ الحرام. وقد سبق أن اعترض الفادي المفتري على هذه الحادثة، ورددنا على مغالطاته، وبيّنا حقيقة أحداث تلك السريّة، ومعنى الآية (٢١٧) من سورة البقرة التي أنزلت بشأن تلك الأحداث، وللدرد على شبهات الكافرين. فلا داعي لإعادة كلامه عن الحادثة، وإعادة توضيحنا لمجريات الحادثة.

والذي نُشيرُ إليه هنا هو عبارات المجرم الاستفزازيّة، التي يُهاجمُ فيها رسولَ الله ﷺ، ويصفه بأقبح الصفات. من ذلك قوله في بداية حديثه عن أحداث السريّة: «حرّمت الجاهليّة القتال في الأشهر الحُرْم كما حرّمه القرآن في سورة محمد، الآية (٤). ولكنّ محمداً خالف كلّ هذا في سبيل العُدْرِ بأعدائه»^(١).

المجرمُ يتهمُ الرسولَ ﷺ بالعُدْرِ، مع أنّ العُدْرَ خُلِقَ دَمِيمٌ وفعلٌ قبيحٌ، يُنزّهُ عنه المسلمُ العادي، فكيف برسولِ الله ﷺ؟!.

وقد شهدَ للرسولِ ﷺ بعدم العُدْرِ عَدُوهُ اللُدُوذُ أبو سفيان، ففي السنة السابعة من الهجرة التقى أبو سفيان بملك الروم هرقل، فسأله عن الرسولِ ﷺ: هل يَعدِر؟ فقال أبو سفيان: لا. فقال هرقل: وكذلك الرسلُ لا يَعدِرُونَ.. ويأتي هذا المجرمُ ليتهم رسولَ الله ﷺ بالعُدْرِ!.

ويجمعُ الفادي بين الإجماع والجهل، ومن جهله زعمه أنّ الآية الرابعة من سورة محمد تُحرّم القتال في الشهر الحرام. فلنقرأ الآية وننظر مدى صحّة كلامه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا ائْتَمَتُوهُمْ فَنُدُّوا الْوَتَاكَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَرْزَأَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

أين الكلامُ عن حرمة القتال في الأشهر الحُرْم في الآية؟ وكيف اعتبرها

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٥.

الفادي الجاهل دالّة على تحريم القتال في الأشهر الحُرْم. إِنَّ الآيَةَ الَّتِي حَرَمَتِ الْقِتَالَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ فَقَالَ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

وحرمة القتال في الأشهر الحُرْم مشروطة بالتزام الأعداء بذلك، فإن لم يلتزموا بهذه الحرمة، وقاتلوا المسلمين في شهر حرام، ردّ المسلمون عليهم، وقاتلوهما مأجورين، حتى في ذلك الشهر الحرام. قال تعالى: ﴿الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ بِالْأَشْهُرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقد ختم المجرم كلامه على سرية عبد الله بن جحش المذكورة بسؤالٍ وقح فاجرٍ طرحه، حيث قال: «ونحن نسأل: كيف حلل الله القتال، مع أنّ الوثنيين كانوا يمنعونه؟ كأنّ الله أشدّ عنفاً من الوثنيين؟»^(١).

أبوصف الله بهذه الصفة؟ وهل يتكلم مؤمن بالله عن الله بهذا الكلام؟ ونؤكد ما قلناه قبل قليل، من أنّ الله الذي حرّم على المسلمين بدء القتال في الشهر الحرام، أجاز لهم الردّ على عدوان المشركين عليهم وقتالهم.

ثم من الذي زعم أنّ عرب الجاهلية الوثنيين كانوا ملتزمين بحرمة القتال في الأشهر الحُرْم؟ لقد كانوا يتوقّفون عن القتال فيها إذا كانت لهم مصلحة في التوقّف، فإن كانت لهم مصلحة في القتال قاتلوا خصومهم في الشهر الحرام، وتعاملوا معه على أساس «النسي».

والنسي بمعنى التأخير، وذلك بأن يتقلوا حرمة هذا الشهر الحرام إلى شهر آخر بدله، ويقاتلوا أعداءهم فيه. فقد تكون لهم مصلحة في القتال في شهر رجب الحرام مثلاً، فيقول شيخ القبيلة: ننقل هذه السنة حرمة رجب إلى شعبان، فيكون رجب حلالاً نقاتل فيه، ويكون شعبان حراماً لا نقاتل فيه.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٦.

وقد ذمهم الله على هذا التلاعب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٧].

وبعدما اتهم الفادي المجرم الرسول ﷺ بالعدر بخصوصه المخالفين له في الرأي، وقتلهم عن طريق العدر والاعتيال - وهو كاذب في ما قال - ذكر بعض الأمثلة على ذلك، وهي:

- ١ - مقتل عصماء بنت مروان.
- ٢ - مقتل أبي عفاك اليهودي.
- ٣ - مقتل كعب بن الأشرف اليهودي.
- ٤ - مقتل أبي رافع بن عبد الله.
- ٥ - مقتل سلام بن أبي الحقيق اليهودي: والراجح أن سلاماً هذا هو أبو رافع نفسه.

٦ - مقتل أم قرفة.

٧ - مقتل ابن شيبنة اليهودي.

٨ - مقتل يهود بني قريظة.

وعرض هذه الأمثلة بطريقته القائمة على الافتراء والكذب والتلاعب بالأحداث، مع أنه جاهل لا يعرف حقيقة ما حدث، ففي كلامه أخطاء علمية وتاريخية، بالإضافة إلى سوء أدبه وقبح عبارته في كلامه عن رسول الله ﷺ^(١). ولا نتوقف مع تفاصيل مقتل هؤلاء، ولا أسباب قتلهم؛ لأنه لا صلة لذلك بموضوع الكتاب الذي خصصه الفادي لانتقاد القرآن وبيان أخطائه، والكلام على مقتل هؤلاء من مباحث السيرة النبوية. نسجل فقط عبارته الفاجرة القبيحة، التي حتم بها كلامه على تلك

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٦ - ٢١٩.

الأمثلة، لمعرفة وقاحته وإجرامه. قَالَ فَصَّ اللهُ فَاهُ: «وما أكثر القتال وحوادث العذر والقتل المروعة، التي جرت في التاريخ الإسلامي، أسوء بمؤسسي دينهم، ويكفينا أن نذكر قول علي بن أبي طالب:

السيف والخنجر ریحاننا أف على النرجس والآس
شربنا دم أعدائنا كأسنا جُمَّة الرأس
والفادي مجرم كاذب في ما قال، وعلي بن أبي طالب لم يقل ذلك الكلام، وسيرة الصليبيين الإجرامية هي المظهر العملي لهذا الكلام الحاقد، فهم الذي سفكوا دماء المسلمين، وشربوها في جماجم رؤوسهم. ويكفينا تذكُّر ما قاله شاعر مسلم يتقدُّ ما فعله الكفار الصليبيون ضدَّ المسلمين:

ملكنا فكان العذل منا سجيةً فلما ملكتم سال بالدم أبطح
ويكفيكم هذا التفاوت بيننا فكل إناء بالذي فيه ينضح



موقف الرسول ﷺ من ابن أم مكتوم

عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه رجل من السابقين إلى الإسلام، وكان أعمى، ووقعت له حادثة مع رسول الله ﷺ، وعاتبه الله عليها في القرآن. ووقف الفادي المفتري أمام الحادثة، وجعل هجومه على النبي ﷺ تحت عنوان: «يحتقر الأعمى»!

ذَكَرَ الآيَاتِ الأُولَى مِنْ سُورَةِ عَبَسَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّمْ يَتَّبِعُ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَعْتَبَ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْفَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ لُلَّهْنَ ﴿١٠﴾

[عبس: ١ - ١٠].

ثم بثَّ سُمومَه قائلاً: «روى أن ابن أم مكتوم أتى محمداً، وهو يتكلم مع عظماء قريش، فقال له: أفررتني وعلمني مما علمك الله، فلم يلتفت محمد إليه،

وأعرض عنه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتبعه الصبيان والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأشاح عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم.

ونحن نسأل: كيف يُراعي محمدٌ أصحاب الجاه، ويرفض الفقير والمسكين، ويُقَطَّبُ وجهه للأعمى؟ أين هو من المسيح، الذي لما جاءه الأعمى أحاطه بعطفه ورعايته وأعاد له البصر؟!^(١).

كذب المفتري في عرضه للحادثة، وذلك في زعمه أن محمداً ﷺ لما أعرض عن ابن أم مكتوم قال في نفسه: «يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتبعه الصبيان والعبيد والسفلة!». ولم يذكر أحد من العلماء المسلمين هذا، وإنما هو من وضع واختلاق الفادي المفتري. إنه يزعم أن محمداً ﷺ قال هذا القول في نفسه، ولم يُخبر به أحداً، فإذا كان قاله في نفسه فكيف عرف الفادي به؟ وكيف وصل إليه، وبينه وبين الرسول ﷺ خمسة عشر قرناً؟ وهو لم ينطق به؟ سبحانك ربي هذا بهتانٌ عظيم.

وخلاصة الحادثة: أن رسول الله ﷺ كان مجتمعاً مع مجموعة من زعماء قريش، يعرض عليهم الإسلام، ويطمع في إسلامهم، وفي هذه اللحظة دخل عليه عبد الله بن أم مكتوم ﷺ، وبما أنه أعمى، فإنه لم ير الحالة التي عليها رسول الله ﷺ مع القوم، وخاطب الرسول ﷺ قائلاً: يا رسول الله، علّمني مما علّمك الله! فكره الرسول ﷺ قُدومه وطلبه، ولكنه لم يكلمه ولم ينهره ولم يحقره، وعبس في وجهه كارهاً ذلك. . . وفهم ابن أم مكتوم أنه قدِم في وقتٍ غير مناسب، فخرج من المكان، وتابع الرسول ﷺ كلامه مع القوم الذين لم يُسلموا. وأنزل الله مطلع سورة عبس، يُعاتب فيها رسوله ﷺ، على عبوسه في وجه الأعمى، ويُرشده إلى أنه كان الأولى به أن يُقبل عليه ويُعلّمه. . . ولم يحتقر رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم الأعمى كما ادّعى الفادي المجرم، ولم يُخطئ في حقّه، فهو لم يزيد على أن عبس في وجهه، والرجل أعمى لم يُشاهد عبوسه، وفهم الحقيقة، وخرج غير غاضبٍ ولا حزين.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢١٩.

ولكنَّ الله عاتبَ رسوله ﷺ بشأنه، وحلَّدَ هذا العتابَ في القرآن، من بابِ توجيهِ رسولِ الله ﷺ لما هو أولى، فهو لم يُخطئْ مع ابنِ أمِّ مكتوم، ولم يَنْهَرْهُ ولم يَشْتُمهُ، وكان مشغولاً بأمرٍ هامٍّ لمصلحةِ الإسلام، وكان طامعاً في إسلامِ المجموعة لِيُنقِذَهُم من النار، ولو كانَ أَحَدُنَا مكانه لفعلَ مثلَ فِعْله، وما كانَ مخطئاً.. ولكنَّ الله يريد لرسوله ﷺ الأَكْمَلَ والأَفْضَلَ والأوْلَى، ولذلك عاتبَه هذا العتابَ، مُرْشِداً له إلى ما هو أولى.

وكانَ الرسولُ ﷺ يُكْرِمُ عبدَ الله بنَ أمِّ مكتوم ﷺ، ويُرْحَبُ به كَلِّمًا لِقِيَّه، ويُدَاعِبُهُ قَائِلاً: «أَهْلًا بَمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي!» وعندما كانَ يَخْرُجُ من المَدِينَةِ لسَفَرٍ أو عَزْوٍ، كانَ يُعَيِّنُ هذا الصَّحَابِيَّ واليًّا مكانه على المَدِينَةِ، وأميراً عليها، وتحتَ إِمْرَتِهِ كِبَارُ الصَّحَابَةِ!.

وبهذا نَعْرِفُ أَنَّ كَلَامَ الفادي المجرمِ قَبِيحٌ مُرْدُوذٌ مثلُ صاحبه، وهو مُرْدُوذٌ عليه، فليس في الأَمْرِ احْتِقَارٌ لابنِ أمِّ مكتوم، وليس فيه مِرَاعَاةٌ لأَصْحَابِ الجاهِ والمالِ من الكفار، وليس فيه تَخَلُّفٌ عن الفقراءِ والمساكينِ من المسلمين.. ورسولُنا محمدٌ ﷺ لم يُخَالَفَ طريقَ أخيه عيسى ابنِ مريمِ عليه الصلاة والسلامِ في التواضعِ والاهتمامِ بالضعفاءِ والمساكينِ، وكانَ خَيْرَ مُنْفِذٍ لِقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٢٣

لم يطرد الرسول ﷺ الفقراء والعبيد

اتَّهَمَ الفادي المجرمُ رسولَ الله ﷺ بأنه طَرَدَ الفقراءَ من أَتْبَاعِهِ من أَجْلِ كَسْبِ رِضا الأَغْنِيَاءِ من الكفار!.

ذَكَرَ تحتَ عنوانِ: «يَطْرُدُ الفقراءَ» قولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُم بِالْعَدْوَةِ وَالْمَشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢].

وَعَلَّقَ عَلَى الآيَةِ قَائِلًا: «جاءَ الأقرعُ بنُ حابسِ التميمي وعيينةُ بنُ حصنِ الفزاري، فوجدوا محمداً قاعداً مع ضُهيْبِ وبلالِ وعمارِ وخبَّابِ، في نَفَرٍ من ضعفاءِ المسلمين، فلما رأوهم حوله حَقَّروهم، فقالوا لمحمد: لو جلستَ في صدرِ المجلس، ونفيتَ عَنَّا هؤلاءِ وأرواحَ جبابِهم - وكانتَ عليهمِ جِبابٌ صوف، لها رائحةٌ كريهة - وأخذنا عنك، ونحبُّ أن تجعلَ لنا منك مجلساً، تعرفُ به العربُ فضلنا، فإنَّ وفودَ العربِ تأتيك، فنستحيي أن ترانا مع هؤلاءِ العبيد، فإذا نحنُ جئناك فأقمهم عَنَّا، وإذا نحنُ فرغنا فأفعدهم حيثُ شئتَ.

فقالَ لهم: نَعَم أفعل. قالوا: فاكتبْ لنا عليكِ بذلكِ كتاباً. فأتى بالصحيفة، ودعا علياً ليكتبَ. . ولما راجعَ نفسه، ورأى أنها أحبولة، قال: إنَّ جبريلَ نهاه.

وقالَ ابنُ عباس: إنَّ ناساً من الفقراءِ كانوا مع النبيِّ، فقال ناسٌ من أشرافِ الناس: نؤمنُ بك، وإذا صلَّينا فأخَّرْ هؤلاءِ الناسَ الذين معك، فليصلُّوا خلفنا، فكادَ أن يُجيبَ الطلب، ولما رأى ما فيه من الظلم قال: إنَّ اللهَ نهاه عن ذلك»^(١).

الرواية التي نقلها الفادي عن بعضِ الكتبِ الإسلامية غيرُ صحيحة؛ لأنَّ الآيةَ (٥٢) هي من سورة الأنعام، وسورة الأنعام مكية، وكان نزولُها قبلَ الهجرة بحوالي خمس سنوات، وكان إسلامُ الأقرع بنِ حابس وعيينة بنِ حصن في عام الوفود، في السنة التاسعة للهجرة. أي أنَّ نزولَ الآية كان قبلَ وقوعِ الحادثة بحوالي أربع عشرة سنة، فكيف تنزلُ الآية قبلَ وقوعِ السببِ بهذه السنوات الطويلة؟! .

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٠.

إِنَّ الْفَادِي جَاهِلٌ غَبِيٌّ، لَا يَعْرِفُ مَعْنَى سَبَبِ النُّزُولِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ فِي هَذَا الْخَطَأَ! إِنَّ التَّعْرِيفَ الْمَعْتَمَدَ لِسَبَبِ النُّزُولِ هُوَ: مَا نَزَلَتْ الْآيَةُ تُبَيِّنُ حُكْمَهُ عِنْدَ نَزْلِهَا.

أَمَّا آيَةُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ الْمَذْكُورَةِ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ لِتَثْبِيْتِ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَقِّ، وَلِلرَّدِّ عَلَى طَلَبِ الْمُشْرِكِيْنَ الْغَرِيبِ. وَخَيْرٌ مَنْ يُخْبِرُ عَنْ سَبَبِ نَزْلِهَا أَحَدُ الَّذِينَ أُنزِلَتْ فِيهِمْ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ﷺ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ، لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا! قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾.

تَدُلُّ الرَّوَايَةُ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِيْنَ أَرَادُوا إِبْعَادَ الْفُقَرَاءِ وَالْعَبِيدِ عَنِ مَجْلِسِ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ، وَطَلَبُوا ذَلِكَ مِنْهُ، لَكِنَّ الرُّسُوْلَ ﷺ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ، وَلَمْ يَطْرُدْ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ، كَمَا ادَّعَى الْفَادِي الْكَاذِبُ الْمَفْتَرِي. . وَإِنْزَالُ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ عَلَيْهِ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ طَرَدَهُمْ، أَوْ اتَّفَقَ مَعَ الْمُشْرِكِيْنَ عَلَى طَرْدِهِمْ، أَوْ فَكَّرَ فِي طَرْدِهِمْ، وَالْآيَةُ تُوْجِيهُ وَتَذَكِيرٌ لِلرُّسُوْلِ ﷺ. وَتَلْتَقِي عِدَّةُ آيَاتٍ عَلَى تَقْرِيرٍ وَتَأْكِيدٍ وَتَرْسِيخٍ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢]. . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ مِنْ أَعْفَانِ قَلْبِهِمْ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

استعاذة الرسول ﷺ من الشيطان

جَعَلَ الْفَادِي الْمَجْرُمُ عَلاَقَةً لِلشَّيْطَانِ بِالْقُرْآنِ، وَسَجَّلَ تَحْتَ عِنْوَانٍ: «عَلاَقَةُ الشَّيْطَانِ بِالْوَحْيِ» قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠٢].

وَنَقَلَ خِلاصَةً تَفْسِيرَ الْبِيضَاوِيِّ لِلآيَاتِ، الَّتِي بَيَّنَّ فِيهِ مَعْنَى النَّزْعِ. وَمِنْ جَهْلِ الْمَجْرِمِ وَغِبَائِهِ أَنَّهُ لَا يُحَسِّنُ النِّقْلَ عَنِ الْبِيضَاوِيِّ، فَالنَّزْعُ فِي تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ هُوَ الْغَرَزُ، بِالْعَيْنِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْغَيْرِ عِنْدَ الْجَاهِلِ صَارَتْ فَاءً، وَصَارَ الْغَرَزُ فَرَزًا، وَبِذَلِكَ تَغَيَّرَ الْمَعْنَى.

وَالنَّزْعُ هُوَ الْوَسْوَسَةُ، وَكَأَنَّ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ الَّتِي يُغْرِي النَّاسَ بِهَا عَلَى الْمَعَاصِي غَرَزٌ وَسَوْقٌ، كَالرَّجْلِ يَسُوقُ دَابَّتَهُ وَيَغْرِزُ عَصَاهُ فِيهَا لِتَسِيرِ.

وَمِنْ جَهْلِ الْفَادِي الْمَجْرِمِ وَغِبَائِهِ وَلَوْمِهِ أَنَّهُ وَظَّفَ الْآيَةَ لِإِدَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُهُ وَيَنخُسُهُ، وَيَغْرِزُ فِيهِ مَغَارِزَهُ، وَيَسَوْقُهُ أَمَامَهُ، وَهُوَ مُسْتَسَلِّمٌ لِنَزْعِ وَغَرَزِ وَسَوْقِ الشَّيْطَانِ!!

قَالَ فَضَّلَ اللَّهُ فَاهُ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: إِذَا كَانَ إِبْلِيسُ يَسُوقُ مُحَمَّدًا وَيَنخُسُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا؟! مَا أَعْظَمَ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَمَّا جَاءَهُ إِبْلِيسُ - عَلَى قَوْلِهِمْ - يَنخُسُهُ، فَنَخَسَ فِي الْحِجَابِ، وَالَّذِي قَالَ عَنِ نَفْسِهِ: رَيْسُ هَذَا الْعَالِمِ يَأْتِي، وَليْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ»^(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢١.

إِنَّ النَّزْعَ هُوَ الدَّخُولُ لِلْإِفْسَادِ. يُقَالُ: نَزَعُ بَيْنَهُمْ. أَي: دَخَلَ بَيْنَهُمْ لِيُفْسِدَ صِلَاتِهِمْ وَعِلَاقَاتِهِمْ.

والشيطان حريصٌ على أَنْ يَنْزِعَ وَيُفْسِدَ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقد صَوَّرَ الْفَادِي الْمَلْعُونُ الشَّيْطَانَ مُسَيِّطِراً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِعُهُ وَيَدْفَعُهُ أَمَامَهُ، وَهُوَ مُسْتَسَلِّمٌ لَهُ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا! وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَنَزْغَاتِهِ وَوَسَاوِسِهِ!!.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ بَدَاهَةٌ أَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَاللَّهُ عَصَمَهُمْ وَحَفِظَهُمْ، وَحَمَاهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزْغَاتِهِ وَوَسَاوِسِهِ.

الْخَطَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي ظَاهِرِهِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَمَاهُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ كُلُّ مُسْلِمٍ مِنْ بَعْدِهِ، يُعَلِّمُهُ اللَّهُ كَيْفِيَّةَ التَّخْلِصِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَنَزْغَاتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْتَعِيزَ بِاللَّهِ وَيَلْجَأَ إِلَيْهِ. وَكَثِيراً مَا كَانَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ يُخَاطَبُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خِلَالِ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أُمَّتُهُ، يُوَجِّهُهُمْ أَوْ يَأْمُرُهُمْ أَوْ يَنْهَاهُمْ.

وَمِنْ خُصُوصِيَّاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا، أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ شَيْطَانَهُ يُسْلِمَ. فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ إِنْسَانٍ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ شَيْطَانًا. قَالَتْ: حَتَّى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: حَتَّى أَنَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَاسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»!.

شَيْطَانُ الرَّسُولِ ﷺ أَسْلَمَ، وَبِذَلِكَ صَارَ لَا يَأْمُرُهُ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَذَهَبَتْ نَزْغَاتُهُ وَوَسَاوِسُهُ الشَّرِيرَةُ.

وَهَذَا كَخُصُوصِيَّةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ حَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ يَنْحَسُهُ الشَّيْطَانُ حِينَ وِلَادَتِهِ،

لذلك يستهله صارخاً، إلا عيسى ابن مريم، فإنه حين ذهب ينحسه نحس في الحجاب». أي: لما نحسه لم يصب بدنه، وإنما وقعت النحسة في ملابسه. .
وقد استجاب الله دعاء أم مريم عليها السلام، عندما عوذتها بالله. قال تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمِئْتُهَا مَرِيماً وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ولا علاقة للشيطان بالقرآن، وقد كان القرآن صريحاً في نفي هذه العلاقة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].
وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٥﴾ وَمَا يَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٦﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].



هل الرسول صلى الله عليه وسلم مذنب؟

عنوان الفادي الخبيث هو: «وَرُزُّ يَنْقُضَ الظَّهْرَ». أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له من الأوزار والذنوب ما أتعبه وأنقض ظهره.

وَقَفَّ أَمَامَ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرْكَ ﴿٢﴾﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح: ١ - ٣]. ونقل عن تفسير البيضاوي كلاماً غير دقيق وغير مسلم في تفسير الآية، وخرَجَ منه بأن للرسول وزراً وذنباً ومعصية، ووضعه عنه الله.

وهذا كلام باطل، فالرسول صلى الله عليه وسلم معصوم عن الذنوب والمعاصي. والورز في الآية ليس هو الذنب، وإنما هو حمل مهمة الدعوة وواجب الرسالة، والاهتمام بالناس ودعوتهم وإرشادهم، وهذه مهمة ثقيلة شاقة، وقد أعان الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حملها، وحقف عليه أداؤها، ولولا فضل الله عليه لما تمكن من ذلك. فالورز هنا حمل معنوي نفسي، وليس حملاً مادياً على الظهر، وهو ورز إيجابي فيه تليغ الدعوة، وليس ورزاً سلبياً فيه ذنب ومخالفة ومعصية.

ووقف أمام قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢]، وقول الله ﷻ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقول الله ﷻ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

وقد أخذ الفادي المجرم هذه الآيات على ظاهرها، وجعلها إِدَانَةً للنبي ﷺ، وشاهدةً على أنه يُذنبُ ويُخطئُ ويعصي.

وقال مُعلِّقاً عليها: «ونحنُ نسألُ: هل يصحُّ الادِّعاءُ أنه شَفِيعٌ وهو نفسه مُذنبٌ؟!»^(١).

من المتفقِ عليه عند المسلمين أنَّ الله عَصَمَ رُسُلَهُ وأنبياؤه من الوقوعِ في الذنوبِ والمعاصي، ولم يجعلْ سُلْطَانًا للشيطانِ على أَحَدٍ منهم، فلم يَصُدُرْ من أَحَدٍ منهم معصيةٌ أو ذَنْبٌ. وعلى أساسِ هذه الحقيقةِ نفهمُ الآياتِ السابقة، التي يَدْعُو اللهُ فيها رسوله ﷺ إلى الاستغفارِ لذنبه.

ذَنْبُ الرسولِ ﷺ ليس ذَنْبًا حَقِيقِيًّا، قائمًا على فعلِ المعصية، وإنما هو ذَنْبٌ معنويٌّ يقومُ على نوعٍ من تَرْكِ الأُولى، والسهوِ والغفلةِ والنسيانِ، الذي لا يُؤدِّي إلى تَرْكِ واجبٍ أو فعلٍ مُحَرَّمٍ.

قد يفعلُ الرسولُ ﷺ خِلافَ الأُولى، فيعاتبه اللهُ، وقد يَمُرُّ بحالةٍ من السهوِ اليسيرِ أو الغفلةِ البسيطة، فيتداركُه اللهُ، وهذا نوعٌ من التقصيرِ، يَسْتَدْعِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهُ منه، ليبقى ﷺ في كاملِ تَأَلُّقِهِ وارتقائه. وقديماً قيل: حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرَبِينَ.

إنَّ استغْفَارَ الرسولِ ﷺ وتوبته نوعٌ من أنواعِ ذِكْرِهِ اللهُ، وعلى هذا قوله ﷺ: «إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ». استغْفَارُهُ اللهُ صورةٌ من صُورِ ذِكْرِهِ وشُكْرِهِ له.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٢.

وهذا معناه وجوب التفريق بين استغفارنا واستغفار رسول الله ﷺ،
فاستغفارنا بسبب ذنوبنا ومعاصينا الكثيرة المستمرة، وكلنا رجاء في الله أن
يعفّرنا لنا. . . أمّا استغفار رسولنا ﷺ فإنه ذكّر منه الله، وقربى يتقرب به إليه.

وقد خصّ الله حبيبه محمداً ﷺ بمقام الشفاعة المحمود، حيث يأذن له
أن يشفع للناس يوم القيامة الشفاعة العامة بفتح باب الحساب لهم، ثم يأذن له
أن يشفع لأمتيه شفاعاً خاصة بأن يدخلهم الجنة، وشفاعته ﷺ ثابتة في
الأحاديث الصحيحة المتفق عليها، وكلّ مسلم يطمع في أن يسعد بتلك
الشفاعة.

أمّا الفادي الكافر المجرم فإنه محروم من الشفاعة، ولذلك ينكرها،
ويشتّم النبي ﷺ.



حول موقف عبد الله بن سعد بن أبي السرح

اتهم الفادي المجرم رسول الله ﷺ بأنه أخذ القرآن من الناس من حوله،
حيث كان يسجل أقوالهم، ومنهم كاتب الوحي عبد الله بن أبي السرح.

ذكر تحت عنوان: «يُدُونُ أقوالَ كَتَبَتِهِ» قول الله ﷻ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ» [الأنعام: ٩٣].

ونقل عن تفسير البيضاوي أنّ الآية نازلة في عبد الله بن سعد بن أبي
السرح، وأنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ.

وأورد رواية عن تفسير البيضاوي أنّ عبد الله بن سعد بن أبي السرح كان
يكتب الوحي لرسول الله ﷺ وأنه استدعاه ليكتب الآيات الأولى من سورة
المؤمنون، وكان يملئ عليه ويكتب، فأملئ عليه قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿المؤمنون: ١٢ - ١٤﴾.

فقال ابنُ أبي السَّرْحِ مُتَعَجِّبًا مِنْ تَفَاصِيلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ: «تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اُكْتُبْهَا فَهَكَذَا أَنْزَلْتُ. فَشَكََّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّرْحِ، وَقَالَ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ كَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ كَانَ كَاذِبًا لَقَدْ قُلْتُ كَمَا قَالَ.

ونقلَ الفادي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ كَانَ يَقُولُ بَعْدَمَا ارْتَدَّ: كُنْتُ أَصْرِفُ مُحَمَّدًا حَيْثُ أُرِيدُ. كَانَ يُمْلِي عَلَيَّ: «عَلِيٌّ حَكِيمٌ» فَأَكْتُبُ «عَزِيزٌ حَكِيمٌ». فيقولُ لي: اُكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ، فَكُلُّ سِوَاءٍ. قَالَ الْفَادِي الْمَجْرَمُ: وَلَمَّا فَضَّحَ هَذَا الْكَاتِبُ مُحَمَّدًا، أوردَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾^(١).

صحيحٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَجَأَ إِلَى قَرِيشٍ فِي مَكَّةَ، لَكِنَّ الْحَادِثَةَ الَّتِي أوردَهَا الْفَادِي غَيْرُ صَحِيحَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ بَاطِلَةٌ مَرْدُودَةٌ، فَلَمْ يَقُلْ: (تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ). وَلَمْ يَأْمُرْهُ الرَّسُولُ ﷺ بِكُتَابَتِهَا بَعْدَ أَنْ نَطَقَ بِهَا.

ولقد كانَ الْفَادِي الْعِغْبِيُّ جَاهِلًا عِنْدَمَا اعْتَمَدَ عَلَى رِوَايَةِ بَاطِلَةٍ مَرْدُودَةٍ، وَبَنَى عَلَيْهَا عِنْوَانَهُ: «يُدَوِّنُ أَقْوَالَ كُتَيْبَةَ».

ولم يَنْزِلْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ بِشَأْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّعِ النَّبُوَّةَ وَلَا الْإِتْيَانَ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ، وَكُلُّ مَا فَعَلَ أَنَّهُ فُتِنَ فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَعَادَ إِلَى الْكُفْرِ، وَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ.

ولما فَتَحَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَّةَ أَهْدَرَ دَمَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ شَدِيدِي

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٢.

العداوة، الذين ارتكبوا جرائم يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الْقَتْلَ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، ومنهم
عبدُ الله بنُ سعد.

وَنَقَلَ الفادي هذه الحادثة بقوله: «ولما كان يومُ الفتح أمرَ محمدٌ بِقَتْلِ
كاتبه، ففرَّ إلى عثمان بنِ عفان؛ لأنه كانَ أخاه من الرِّضَاعَةِ، فغِيَّبَهُ عثمانُ
عنه، ثم جاءَ به عثمانُ بعدما اطمأنَّ الناس، واستأذَنَ له محمداً.. فصمَّتْ
محمدٌ طويلاً.. ثم قال: نَعَمْ.. فلما انصرفَ عثمانُ قالَ محمدٌ لمن حوله:
ماصمَّتْ عنه إِلَّا لَتَقْتُلُوهُ..».

وعَلَّقَ الفادي المجرمُ الخبيثُ على ما رَوَاهُ بقوله: «ونحنُ نَسألُ: كيف
يكونُ محمدٌ نبياً وهو يستحسنُ أقوالَ كَتَبَتْه، ويأمرُ بتدوينها على أَنَّها وحي؟!
وكيف يكونُ محمدٌ نبياً وهو يُؤمِّنُ عبدَ الله بنَ سعدٍ على حياته ثم يُحرِّضُ
الناسَ على قَتْلِهِ؟!»^(١).

والفادي مجرمٌ مُحَرَّفٌ، غيرُ أمينٍ على ما يُنْقَلُهُ، يوردُ ما يتفقُ مع هواه،
ويحذفُ ما لا يتفقُ مع هواه.

وقد روى سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه الحادثة، فقال: «لما كانَ يومُ فتح
مكة آمنَ رسولُ الله ﷺ الناسَ إِلَّا أربعةَ نَفَرٍ وامرأتين، وقال: اقتلوهم، وإن
وجدتموهم متعلِّقينَ بأستارِ الكعبة: عكرمةُ بنُ أبي جهل، وعبدُ الله بنُ خطل،
ومقيسُ بنُ صبابة، وعبدُ الله بن سعد بن أبي السرح.

... وأما عبدُ الله بنُ سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن
عفان، فلما دَعَا رسولُ الله ﷺ أهلَ مكة إلى البيعة، جاءَ به حتى أوقفه على
النبي ﷺ، فقال: بايعَ عبدُ الله.. فرفعَ إليه رأسه، فنظرَ إليه ثلاثاً، كلُّ ذلك
يأبى.. فبايعه بعد ثلاثٍ... ثم أقبلَ على أصحابه، فقال: أما كانَ فيكم
رجلٌ رشيدٌ، يَقومُ إلى هذا، حيثُ رآني كَفَفْتُ يدي عن بيعته، فيقتله!..
فقالوا: وما يُدْرينا يا رسولَ الله ما في نفسك، هَلَّا أوَمأتَ إلينا برأسك. قال:

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

إنه لا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعِين!!» . . [أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي والحاكم والبخاري وأبو يعلى].

عفا الرسول ﷺ عن أهل مكة الذين حاربوه، ولم يأْمُرْ إِلَّا بِقَتْلِ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ وامرأتين، لارتكابهم جرائم توجب قتلهم. ومنهم عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي السرح، والذي أوجب قتله هو ارتداده، فقد كان مسلماً ثم كفر، وحُكْمُ المرتدِّ في الإسلام هو القتل، لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ». فالسببُ في إهدارِ دمه والأمرِ بقتله ليس مجرد مخالفتِهِ للنبيِّ ﷺ، كما زعمَ الفادي المفتري؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ عفا عن آلاف الكفار الذين خالفوه وحاربوه.

وبسبب الأُخُوَّةِ في الرِّضَاعِ بينَ عبدِ الله بنِ سعدٍ وبينَ عثمانَ ﷺ، فقد رَقَّ له عثمانُ ولم يَقْتُلْهُ، وأخفاهُ عن المسلمين. ثم أتى به النبيُّ ﷺ، وطلبَ منه أنْ يُبايِعَهُ، وكَلَّمَهُ في ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ، والرسولُ ﷺ ساكتٌ؛ لأنَّه كارهٌ مبايعتَهُ لارتداده. وكان ﷺ في سكوتِهِ يَنْتَظِرُ قِيَامَ أَحَدِ الصَّحَابَةِ بِقَتْلِهِ، ولكنَّ ذلك لم يحصل، فبايَعَهُ ﷺ على الإسلام! ثم لامَ الرسولُ ﷺ أصحابه على عَدَمِ قَتْلِهِ، وأخبرهم أنه بسكوتِهِ كان يُريدُ أنْ يُعْطِيَهُمُ الفِرْصَةَ لِقَتْلِهِ، لكن لم يفهموا ذلك. . . ولما أخبروه أنه كان يمكن أنْ يَوْمِيَ لَهُمْ بِرَأْسِهِ، بحركةٍ تدلُّ على رغبته في قتلِهِ، أخبرهم أنه لا يمكن أنْ يفعلَ ذلك؛ لأنَّه لا يكونُ للنبيِّ خائنةً أَعِين!!.

وقد حَسَنَ إسلامُ عبدِ الله بنِ سعدٍ بنِ أبي السرحِ ﷺ بعد ذلك، وكان والياً على مِصْرَ في خلافةِ عُثْمَانَ ﷺ، وهو فاتحُ إفريقية، وخاضَ معاركَ عديدةً ظافرةً ضدَّ الكفارِ، في البرِّ والبحرِ.

وهذا الموقفُ الأخلاقيُّ العظيمُ لرسولِ الله ﷺ، حيثُ لم يَرْضَ بالإشارة بحركةٍ غير مناسبة، واعتبرها من خيانةِ الأَعِينِ، كانتْ مثارَ انتقادٍ واعتراضٍ الفادي المجرم، واعتبرها تحريضاً منه على قتلِهِ: «وكيف يكونُ محمدٌ نبياً وهو يُؤمِّنُ عبدَ الله بنِ سعدٍ على حياته، ثم يُحرِّضُ الناسَ على قتلِهِ؟!».

ولو حَرَّضَ النَّاسَ عَلَى قَتْلِهِ لَقَتَلُوهُ.. . ولم يَفْعَلْ شَيْئاً بَعْدَ تَأْمِينِهِ وَمَبَايَعَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا كَانَ تَوَقُّفُهُ وَسَكَوْتُهُ قَبْلَ مَبَايَعَتِهِ لَهُ.

فالفادي في كلامه يَكْذِبُ وَيُغَالِطُ وَيُفْتَرِي وَيُحَرِّفُ، وهذه طريقتُهُ فِي بَحْثِهِ . . .



هل الرسول ﷺ بدون معجزات؟

زَعَمَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي أَنَّ رَسُولَ ﷺ كَانَ بَدُونَ مَعْجَزَاتٍ، أَيَّ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْ لِلنَّاسِ آيَةً آيَةً أَوْ مَعْجِزَةً دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ. وَهَذَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ مِنْهُ.

وَزَعَمَ أَنَّهُ لَمَّا طَلَبَ خِصْمُهُ مِنْهُ مَعْجِزَةً، اعْتَرَفَ بِعَجْزِهِ التَّامِّ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ: «حَاوَلَ الْيَهُودُ وَالْعَرَبُ مَرَاراً أَنْ يَحْمِلُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِتْيَانِ بِمَعْجِزَةٍ، لِتَأْيِيدِ دَعْوَاهُ بِالنُّبُوَّةِ. فَاعْتَرَفَ بِعَجْزِهِ التَّامِّ، وَانْتَحَلَ لِذَلِكَ أَعْدَارًا»^(١).

وَهَذَا كَذِبٌ مَفْضُوحٌ مِنَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي، فَلَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ بَدُونَ آيَاتٍ أَوْ مَعْجَزَاتٍ. وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الْمَادِيَةِ، وَفِي مَقْدَمَةِ آيَاتِهِ وَمَعْجَزَاتِهِ كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَلَمَّا كَانَ الْكَافِرُونَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ مَعْجَزَاتٍ مَادِيَّةً، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ الْآيَاتِ وَالْمَعْجَزَاتِ مِنْ نَفْسِهِ، كَانَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ لِلْمَعْجَزَاتِ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ، وَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٣.

اللَّهِ ﴿[الأنعام: ١٠٩].. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وليس هذا الموقف خاصاً برسولِ الله ﷺ، فكلُّ إخوانه الأنبياء هكذا، ومنهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام. فلما كان أقوامهم يطلبون منهم الآيات، كانوا يُخبرونهم أن الله هو الذي يأتيهم بها. قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الْفَارُوقِ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُقَفِّرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٠ - ١١].

أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يقول للكفار الذين طلبوا منه معجزات: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. وأمر الله الرسل أن يقولوا لأقوامهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وبذلك يتكامل القولان، ويكون محمداً ﷺ كإخوانه الأنبياء السابقين.

وعرض الفادي المجرم بعض آيات القرآن التي تقرر أن الآيات عند الله، وأن الله ينزل منها ما يشاء وفق حكمته، ولا اختياراً لرسولِ الله ﷺ لها. وعلق المجرم عليها تعليقا فاجراً، هاجم فيه رسول الله ﷺ.

وفيما يلي بعض تعليقاته على بعض الآيات التي أوردتها:

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾

[الإسراء: ٥٩].

نقل عن تفسير البيضاوي قوله: «﴿وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ أي: ما صرفنا عن إرسال المعجزات التي اقترحتها قريش: ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾: إلا تكذيب الأولين، الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود، وإنما لو أرسلت لكدبوا بها كتكذيب أولئك».

ثم علقَ على ذلك بوقاحةٍ وبذاءةٍ فقال: «ونحنُ نَسأل: إن كانت الآياتُ بلا فائدةٍ مُطلقاً، عندَ الذين عُمِلَتْ معهم قديماً وحديثاً، فلماذا عَمَلَهَا اللهُ؟ وما الذي يَمْنَعُ اللهُ عن عَمَلِهَا على يَدِ محمدٍ، كما عَمَلَهَا على يَدِ جميعِ الأنبياءِ الصادقين، كموسى وإيليا واليسع والمسيح؟ هذا عُذْرٌ أبداً محمدٌ للتملُّصِ فقط، وإذا كانت الآياتُ ممتنعةٌ لتكذيبِ الناسِ إياها، فلماذا لا يكونُ التبليغُ ممتنعاً لتكذيبِ الناسِ إياه أيضاً؟»^(١).

لم يَقُلْ أَحَدٌ: إنَّ الآياتِ بلا فائدة، وإنَّ اللهُ يَعْلَمُ أهميةَ الآياتِ للأنبياءِ، ولذلك كان يُعْطِي كُلَّ نَبِيِّ آيَاتٍ لِقَوْمِهِ، دَالَّةً على صِدْقِ نَبَوْتِهِ، وهذا ما صَرَّحَ به رسولُ اللهِ ﷺ بقوله: «ما من الأنبياءِ من نبي إلا أُوتِيَ من الآياتِ ما مثله آمن عليه البشر...».

وآيةُ سورةِ الإسراءِ لا تُلْغِي الآياتِ، ولا تَنْفِي فائدتها مطلقاً، كما فهمَ الفادي الجاهلُ منها ذلك لجهله وغبائه، إنما تَنْفِي استجابةَ اللهُ لطلبِ المشركين إنزالَ الآياتِ، فلم يَسْتَجِبِ اللهُ لهم، ولم يُنْزَلِ الآياتِ التي طَلَبُوهَا؛ لأنه يَعْلَمُ أنه لو أنزلها كما طلبوا فإنهم لن يُؤْمِنُوا بها، وبعد ذلك سيعذَّبُهم ويُهْلِكُهم، ولذلك لم يَسْتَجِبِ اللهُ لهم رحمةً بهم، لئلا يُعَذَّبَهُمْ.. وليس معنى هذا أنَّ اللهُ لم يُنْزَلِ الآياتِ على النبيِّ ﷺ، ولا على غيره من الأنبياءِ السابقين.

وهذا ما ذَكَرَهُ البيضاويُّ صريحاً في تفسيرِ الآية: «وما صَرَّفْنَا عن إرسالِ المعجزاتِ التي اقترحتُها قريش...» فهذا موضوعُ الآية، وهي لا تَنْفِي إنزالَ المعجزاتِ مطلقاً.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٣.

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

ولما نقلَ الفادي المفتري المجرمُ من تفسير البيضاوي، أخذَ بعضَه الذي يتفقُ مع هَوَاهُ، وتركَ بعضَه الضروريَّ لفهم الآية. قالَ في النقلِ عن البيضاوي: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: مثلُ ناقةِ صالح، وعصا موسى، ومائدةِ عيسى. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يُنزلُها كما يشاء، لستُ أملكُها، فاتيكم بما تفتَرِحونَه. . ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ليس من شأني إلا الإِنذار.

وحَذَفَ الفادي المجرمُ من تفسير البيضاويّ الجملةَ الأخيرة، فكلامُ البيضاويّ هكذا: «ليس من شأني إلا الإِنذار، وإِباتُهُ بما أُعطيَتْ من الآيات» فَحَذَفَ الجملةَ الأخيرةَ قاصداً، لأنها صريحةٌ في أَنَّ الرسولَ ﷺ أُوتِيَ ما أُوتِيَ من الآيات، وهي لا تَخدمُ الفادي المجرمُ في اتِّهامِهِ النبيَّ ﷺ، ولذلك حَذَفَهَا! وعلى البحثِ والأمانةِ العلميةِ السَّلَام!!

وسَجَّلَ الفادي المجرمُ تساؤلهُ الخبيث: «ونحنُ نسأل: إذا كانت الآياتُ عندَ الله، وكان لمحمد صلَّةُ بالله كالأنبياءِ والرسل، فلماذا لم يَسْمَحَ اللهُ بتأييده بها؟»^(١).

وجوابُ تساؤله موجودٌ في تفسيرِ البيضاوي، الذي نَجِزُمُ أَنَّ المجرمَ قرأه، ولكنَّه تجاهله ولم ينقله، لأنه يُصرِّحُ بأنَّ الله أتى نبيّه ﷺ أعظمَ آية، هي القرآنُ الكريم.

قالَ البيضاويُّ في تفسير الآية الثانية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾؟: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آيةٌ مغنيةٌ عما اقترحوه، أنا أنزلنا عليك الكتاب، تدومُ عليهم تلاوته، ويدومُ تحديدهم به، فلا يزالُ معهم آيةٌ ثابتةٌ لا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٤.

تَضْمَحَلٌّ، بخلافِ سائرِ الآياتِ، فهذا الكتابُ آيةٌ مستمرة، وْحُجَّةٌ مُبَيَّنَةٌ...»^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨].

اعتبرَ الفادي المفتري الآيةَ خطاباً من الله لليهودِ في المدينة، وأنها رَدٌّ على ما طلبه اليهودُ من رسولِ الله ﷺ. قال المفترى: «قال اليهودُ لمحمد: اتتنا بكتابٍ من السماءِ جُمْلَةً، كما أتى موسى بالتوراة، أو فَجَّرَ لنا أنهاراً، نتبعك ونصدقك، كما فعلَ موسى، فإنه ضَرَبَ الصخرةَ فانجرت المياه. فقال لهم: أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟ وسألوه هذا السؤالَ مراراً، وعَجَزَ عن إجابتهم بإتيانِ معجزة.

ونحنُ نسأل: أليس لليهودِ حقٌّ في سؤالهم؟ فكيف يعتبرُ محمدٌ نفسه نبياً، وهو لا يماثلُ الأنبياءَ في شيء؟!»^(٢).

ادعى الفادي الجاهلُ أنَّ الآيةَ خطابٌ من الله لليهودِ للإنكارِ عليهم؛ لأنهم سألوا الرسولَ ﷺ ما نَسَبَهُ الفادي إليهم، وهذا ادِّعاءٌ باطل، يدلُّ على جهله.

الخطابُ في الآية من الله للمسلمين وليس لليهود، بدلالةِ إضافةِ الرسولِ إليهم: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾. وهو رسولُ الله محمدٌ ﷺ. والمسلمون لم يسألوا رسولهم ﷺ، بدلالةِ قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا﴾. والهدفُ منه تحذيرهم من السؤال.

وإذا كان معنى الآية هكذا، يكونُ كلامُ الفادي باطلاً مردوداً عليه، عندما اعتبرها دالَّةً على عدم نبوةِ الرسولِ ﷺ!

وهناك آيةٌ أخرى صرَّحتُ بأنَّ اليهودَ سألوا رسولَ الله ﷺ إنزالَ كتاب

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٤.

(١) تفسير البيضاوي: ١٩٧/٤.

عليهم من السماء، وَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

يَذُمُّ اللَّهُ الْيَهُودَ فِي طَلِبِهِمْ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَاضِيهِمْ الْأَسْوَدِ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ ﷺ أَنْ يُرِيهِمُ اللَّهُ بَعْيُونَهُمْ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي أَخَذَتْهُمْ.

ولماذا يطلب اليهود من رسول الله ﷺ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ؟ أَلَا يَكْفِيهِمُ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ؟ وَجَعَلَهُ آيَةً الْبَيِّنَةَ لَهُ! قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

٤ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

زَعَمَ الْمَفْتَرِي أَنَّ الْيَهُودَ لَمْ يَطْلُبُوا مِنْ مُوسَىٰ ﷺ أَنْ يَرَوْا اللَّهُ جَهْرَةً. قال في تعليقه على هذه الآية: «قال رافع بن خزيمة لمحمد: إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه، أو اصنع آية حتى نؤمن بك.. فأجابته: إن اليهود سألو موسى أن يريهم الله جهرة.

وهذا الجواب خطأ، لأن اليهود سألو عكس ذلك، وقالوا لموسى: تكلم أنت معنا فنتسمع، ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت!.

ونحن نسأل: أليس من حق الناس أن يفحصوا كل رسالة يقول صاحبها: إنها من عند الله»^(١).

أخبر الله أن الذين لا يعلمون طلبوا أن يكلمهم الله مباشرة، أو يأتهم الرسول ﷺ بآية. والمراد بهم اليهود في المدينة، وهذا الطلب الذي طلبوه من الرسول ﷺ يشابه الطلب الذي طلبه أبائهم من موسى ﷺ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٤.

وقد أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْ مُوسَى ﷺ أَنْ يَرُوا اللهُ جَهْرَةً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦].

ولما طَلَبَ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ذَكَرَهُمُ اللهُ بِمَا طَلَبَهُ آبَاؤُهُمْ مِنْ مُوسَى ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

ورغم هذه الآيات الصريحة التي أَخْبَرَتْ عَنْ قَوْلِهِمْ وَطَلْبِهِمْ إِلَّا أَنَّ الْفَادِي الْمَفْتَرِيَّ الْمَجْرَمَ خَطَّأَهَا وَكَذَّبَهَا، وَقَالَ فِي تَكْذِيبِهِ: «أَجَابَهُ أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا مُوسَى أَنْ يُرِيَهُمْ اللهُ جَهْرَةً، وَهَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا عَكْسَ ذَلِكَ...!!».

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

نَقَلَ الْفَادِي فِي سَبَبِ نَزْوِلِ الْآيَةِ أَنَّهَا أَنْزَلَتْ لِلرَّدِّ عَلَى طَلْبِ قَرِيشٍ، عِنْدَمَا طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ، مِثْلَ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ، كَمُوسَى وَعِيسَى وَصَالِحٍ ﷺ، وَزَعَمَ أَنَّهُ وَافَقَهُمْ وَدَعَا اللهُ. قَالَ: «قَالَتْ قَرِيشٌ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ تَخْبِرُنَا أَنَّ مُوسَى كَانَتْ لَهُ عَصَا يَضْرِبُ بِهَا الْحَجَرَ، فَتَنْفَجِرُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، وَتَخْبِرُنَا أَنَّ عِيسَى كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنَّ ثَمُودَ لَهُمْ نَاقَةٌ، فَأْتِنَا بِآيَةٍ حَتَّى نُصَدِّقَكَ وَنُؤْمِنَ بِكَ...» فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَيُّ شَيْءٍ تُحِبُّونَ؟ قَالَ: تَجْعَلْ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا، وَابْعَثْ لَنَا بَعْضَ مَوْتَانَا نَسْأَلُكَ عَنْكَ: أَحَقُّ مَا تَقُولُ أَمْ بَاطِلٌ؟ وَأَرْنَا الْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ لَكَ... فَقَالَ مُحَمَّدٌ: إِنْ فَعَلْتُ بَعْضَ مَا تَقُولُونَ أَتَصَدَّقُونَنِي؟ قَالُوا: نَعَمْ وَاللَّهِ، لَنْ فَعَلْتَ لَتَتَّبِعَنَّكَ أَجْمَعِينَ... وَسَأَلَ الْمُسْلِمُونَ مُحَمَّدًا أَنْ يُنْزِلَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يُؤْمِنُوا، فَقَامَ مُحَمَّدٌ وَجَعَلَ يَدْعُو اللهُ أَنْ يَجْعَلَ الصِّفَا ذَهَبًا، فَجَاءَهُ جَبْرِيْلُ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ

الصِّفَا ذَهَبًا، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا لِنَعَذِبْنَهُمْ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ.. فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَتُرَكُّهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ.. وَهَكَذَا تَخَلَّصَ مُحَمَّدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمُعْجِزَةٍ!..»^(١).

صَحِيحٌ أَنْ قَرِيشًا طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأَيَاتٍ لِيُؤْمِنُوا بِهِ، كَتَحْوِيلِ الصِّفَا ذَهَبًا، أَوْ إِنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ إِحْيَاءِ آبَائِهِمُ الْأَمْوَاتِ، وَهَذَا مَا أَشَارَتْ لَهُ الْآيَةُ.. لَكِنَّهُ لَيْسَ صَحِيحًا اسْتِجَابَةُ الرَّسُولِ ﷺ لَطَلْبِهِمْ، وَأَنَّهُ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، وَأَنَّ جَبْرِيلَ حَدَّثَهُ بِالْأَمْرِ، فَتَوَقَّفَ عَنِ الدُّعَاءِ حَتَّى لَا يَهْلِكُوا.. كَمَا ادَّعَى الْفَادِي الْمِفْطَرِي، وَخَرَجَ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ الْمَرْدُودَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ تَخَلَّصَ وَتَهَرَّبَ مِنَ الْإِتْيَانِ بِمُعْجِزَةٍ.

لَمْ يَطْلُبِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَنْفِذَ لَهُمْ مَا طَلَبُوا مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ بِيَدِ اللَّهِ، وَهَذَا مَا صَرَّحَتْ بِهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقِلَبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۗ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيكَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِفَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١١].

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَكِيكَ فَيَلَا ﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِنَانًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

تُسَجَّلُ هَذِهِ الْآيَاتُ بَعْضُ الطَّلِبَاتِ الَّتِي طَلَبَهَا كِفَارُ قَرِيشٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُفَجَّرَ لَهُمُ الْيَنْبَاعِ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٥.

من نخيلٍ وعنبٍ تتفجرُ الأنهارُ خلالها، أو يُسقطُ السماءُ عليهم، أو يصعدُ هو في السماء، وَيُنزِلُ عليهم منها بكتابٍ خاص، موجّه من الله لهم، . . وردّ على هذه الطلباتِ التعجيزية بقوله لهم: سبحانَ رَبِّي، هل كنتُ إلا بشراً رسولاً .

أي ما أنا إلا بشرٌ رسول، لا دَخَلَ لي في المعجزات، فأنا لا أختارُها ولا أفعلُها؛ لأنّها عند الله، يُنزِلُ عليّ ما شاء منها، وأنا أقدمُ لكم ما آتاني منها.

وقد فهمَ الفادي الجاهلُ الآياتِ فهماً خاطئاً، وجعلها دالّةً على عدمِ نبوّته. قال المجرم: «ونحن نسال: ألم يكن موسى وإيليا وأليشع ودانيال من البشر الرُّسل؟ ومع ذلك كانوا أصحابَ معجزات، فإن كان محمدٌ صاحبَ رسالةٍ سماويةٍ فلماذا لا تساندُ السماءُ رسالته؟!»^(١).

إنّ الجاهلَ يظنُّ أنّ رسولَ الله ﷺ بدونِ معجزات، ولو كان اللهُ أرسله لسانده وأيده بها، وهذا ظنٌّ باطلٌ وَقَعَ فيه المفتري الجاهل! لقد أتى اللهُ رسوله ﷺ أعظمَ آيةٍ عقليةٍ بيانية، مستمرة حتى قيام الساعة، وهي القرآن العظيم. . . كما آتاه كثيراً من الآياتِ المادية المحسوسة، مثل: شقُّ صدره، والإسراء والمعراج، وانشقاقِ القمر. . .

والجاهلُ مصمّمٌ على جهله وافترائه، وسوء فهمه للحقائق، ولذلك ذكرَ سبعَ آياتٍ متفرقة، واعتبرها دليلاً من القرآن على أنّ الرسولَ ﷺ لم يُؤتِه اللهُ آيةً معجزةً!

الآياتُ التي أساءَ فهمها والاستدلالَ بها هي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٥.

لا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُؤْتِ رَسُولَهُ آيَةً مُعْجِزَةً، إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَهْمَا قَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ فَلَنْ يُصَدِّقُوهُ، وَلَنْ يَتَّبِعُوا قِبَلَتَهُ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

لا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنَزِّلْ عَلَى رَسُولِهِ آيَةً مُعْجِزَةً، إِنَّمَا تَرُدُّ عَلَى الْكُفَّارِ، الَّذِينَ عَلَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِالْحَقِّ عَلَى إِنْزَالِ الْآيَةِ الَّتِي طَلَبُوهَا، وَتُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ مُعَلَّقًا عَلَى إِنْزَالِ الْآيَاتِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

لا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ آيَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَوْ خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ الْأَرْضَ أَوْ الْجِبَالَ أَوْ الْمَوْتِ لِأَثَرٍ فِيهِمْ، وَلَوْ أَرَادَ ذَلِكَ لَفَعَلَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ، وَإِنَّمَا خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ الْإِنْسَانَ.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعَلَمْ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

لا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُؤْتِ رَسُولَهُ مُعْجِزَةً، وَإِنَّمَا تُصْرِحُ بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ يُؤْتِيهِ كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِ، وَلَكِنَّ الْكُفَّارَ مُعَانِدُونَ، يَرْفُضُونَ قَبُولَ الْحَقِّ، فَعِنْدَمَا كَانَتْ تَأْتِيهِمْ الْآيَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَيَقُولُونَ: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ!!.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

لا تدلُّ الآيةُ على أنَّ اللهَ لم يُؤتِ رسولهَ معجزةً، إنما تُردُّ على طلبِ الكفارِ آياتٍ مخصوصةً، وتُخبرهم أنَّ إنزالَ الآياتِ ليس خاضِعاً لطلبَاتِهِمْ وأهوائِهِمْ، وإنما يُنزِلُ اللهُ منها ما يَشاءُ وفقَ حِكمَتِهِ سبحانَهُ.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّيكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

لا تدلُّ الآيةُ على أنَّ اللهَ لم يُؤتِ رسولهَ معجزةً، إنما تُقدِّمُ ردّاً آخرَ على ما طلبَهُ منه المشركون، حيثُ كانوا يطلبونَ منه أنْ يجتبي ويصطفي ويختار الآياتِ التي يطلبونها، أيُّ أنه هو الذي يأتي بها، فردَّ عليهم بأنه لا دَخَلَ له في اختيارِ المعجزاتِ، لأنه يتَّبَعُ وَحْيِ اللهِ، ويتلقَى الآياتِ التي يُؤتِيهِ اللهُ إياها، ويُقدِّمُها لهم، وكلُّ ما أتاهُ اللهُ من الآياتِ قدَّمَهُ لهم...

٧ - قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

لا تدلُّ الآيةُ على أنَّ اللهَ لم يُؤتِ رسولهَ معجزةً، إنما تُردُّ على طلبِ الكفارِ إنزالَ الآياتِ التي يطلبونها منه، وتُخبرهم أنَّ إنزالَ الآياتِ خاضِعٌ لحِكمةِ اللهِ، وليس لطلبَاتِهِمْ، ولا لاختيارِ النبيِّ ﷺ، والرسولِ ﷺ مُنذرٌ يبلغُهُم وَحْيِ اللهِ.

وهكذا رأينا أنه لم تَنفِ آيةٌ واحدةٌ من الآياتِ السبعِ وُجودَ معجزةٍ مع رسولِ اللهِ ﷺ، إنَّ كُلَّ آيةٍ رَدَّتْ على طلبِ للمشركين، أو قدَّمتُ حقيقةً متعلقةً بالآياتِ والمعجزاتِ.

ولننظر الآن كيفَ فهمَ الفادي المجرمُ هذه الآياتِ السبعِ، وكيفَ استنطقَها، وما هي النتيجةُ التي خَرَجَ بها منها في نفي نبوةِ محمدٍ ﷺ؛ قال فضَّ اللهُ فاه: «ففي جميعِ هذه الآياتِ يعترفُ القرآنُ أنَّ محمداً لم يَأْتِ بمعجزةٍ واحدةٍ. وأما الأسبابُ التي انتحلها واعتذرَ بها فمردودةٌ... فالمعجزاتُ التي عملها الأنبياءُ أمامَ الشعوبِ الأولين، آمَنَ بها البعضُ، بينما رفضها البعضُ الآخرُ. وعليه فالقولُ: ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾. عُذْرٌ

مرفوض . ولو كان القرآن معجزةً لكان قال: هاكم القرآن معجزة!! وما كان ليقول: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾! لم يأت محمدٌ بآيةٍ مطلقاً تثبت أنه رسولٌ مُشَرَّع، ولا حتى القرآن...»^(١).

إنَّ هذا القولُ الفاجرَ مردودٌ على الفادي المفتري، ولقد أتى الله نبيَّه محمدًا ﷺ كثيراً من المعجزاتِ المادية، التي أشرنا لها فيما مضى . وهذا يُكذِّبُ قولَ المجرم: «لم يأت محمدٌ بآيةٍ مطلقاً تثبت أنه رسولٌ مُشَرَّع»!.

أما قوله الفاجر: «لو كان القرآن معجزةً لكان قال: هاكم القرآن معجزة». فإنه يدلُّ على جهله وغبائه! إنَّ هذا هو الذي حصل، فلما طلب الكفار معجزةً من رسولِ الله ﷺ، قال لهم: هاكم القرآن معجزة! وهذا ما ورد في صريحِ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآزَابِ الْمُظْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتُ يَنْتُ فِي صُورِ اللَّيْلِ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧ - ٥١].



اتهامات الكفار للرسول ﷺ

رَدَدَ الفادي المفتري الاتهاماتِ التي وجَّهها الكفار من المشركين والمنافقين واليهود لرسولِ الله ﷺ، والتي ذكَّرها القرآن، ثم نقضها وأبطلها، لكنَّ الفادي المجرمَ اعتمدها وقال بها، واتَّهمَ النبيَّ ﷺ بها، واعتبرها وثيقةً

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

إدانة له.. قال في مقدمة تلك الاتهامات: «انتقد العربُ محمداً، ولاموهُ على الكثير. وقد أوردَ ذلك في قرآنه، مع الردودِ عليه..»^(١).

ما زال يؤكدُ على أن القرآنَ منسوبٌ إلى رسولِ الله ﷺ، وأنه هو الذي أَلْفَهُ، وأوردَ فيه ما يُريد، وحذَفَ منه ما لا يُريد!!
والاتهاماتُ الموجهةُ ضدَّ رسولِ الله ﷺ هي:

١ - مَجْنُون: ووردت في قوله تعالى إخباراً عن قولِ المشركين: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ ۚ إِنَّهُمْ سَائِرَةٌ ۚ وَتِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الَّتِي نُنزِّلُ بِهَا عَلَيْكَ ۚ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: ٦ - ٧].

وقد اعتمدَ المجرمُ هذه التهمةَ في قوله: «فقد اتهموهُ بالجنون، الذي هيأ له أوهامَ الوحي والملائكة»^(١). أي أنه لا وحيَ في الحقيقة، وإنما هو أوهامٌ وتخيُّلاتٌ كان يُمُرُّ بها الرسولُ ﷺ، فيصدِّقُ أنه رأى جبريلَ، وأنه تلقى منه الوحي، مع أنه لا جبريلَ ولا وحيَ؛ لأنه مجنون!!.

وقد ردَّ القرآنُ على هذه التهمةَ بعدة آيات، نكتفي منها بتذكُّرِ قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْتَرْتُم بِهِ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا

طغى﴾ [النجم: ١ - ١٧].

وقد كانَ رسولُ الله ﷺ حريصاً على تأكيدِ وعيهِ وحضورهِ وانتباههِ، عندما يأتيه الوحي. فقد سأله الحارثُ بنُ هشامٍ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: «أحياناً مثلُ صلصلةِ الجرس، فيفصمُ عني وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثلُ لي الملكُ رجلاً فيكلِّمُني، فأعي ما يقول».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٧.

ولا يُمكنُ أن يكونَ رسولُ الله ﷺ مجنوناً، وشخصيتهُ معروفةٌ، وأقواله في حياته معلومة، وجهوده في الدعوة والحركة معلومة، ونجاحه في دعوته وانتشار دينه في حياته معروف، ولو كان مجنوناً لما كانت نتائج رسالته في حياته على ما هي عليه!

٢ - مُفْتَرٍ: والمفتري هو الكاذب المدعي، الذي يقلبُ الحقائق، وينسبُ القولَ إلى غيرِ قائله كذباً وزوراً.

وقد اتهمَ الكفارُ الرسولَ ﷺ بأنه مُفْتَرٍ كاذب، وأخبرَ الله عن اتِّهامهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

وقد صدَّقَ الفادي المجرم هذه التهمة، وألصقها برسولِ الله ﷺ. قال: «لقد رأوا محمداً يأمرُ أصحابه بأمر، ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه، ويقولُ اليومَ قولاً، ويرجعُ عنه غداً. فقالوا: إنَّ ما تقوله إنما هو من تلقاء نفسك؛ لأنه لو كان كلامَ الله لكان ثابتاً، لا يُنسخُ ولا يتغيَّرُ...»^(١).

ونزَّهَ اللهُ رسوله ﷺ عن تهمة الافتراء، في آياتٍ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وبيَّنَ اللهُ أنه لا يسمَحُ لأحدٍ في أن يتقولَ ويفتري ويكذبَ عليه، حتى لو كان رسوله ﷺ، وحاشاهُ أن يفعلَ ذلك. قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۗ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۗ إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۗ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۗ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ۗ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۗ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ۗ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۗ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۗ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٧].

أي: لو تقوَّلَ وكذَّبَ وافترى علينا لذبحناه! بأن نأخذَه من يمينه، ثم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٧.

نَقَطَ وَتَيْنَهُ وَعُنُقُهُ، وَلَنْ يَجِدَ أَحَدًا يَنْصُرُهُ أَوْ يَحْجُزُهُ وَيُوقِفُ عَنْهُ الذَّبْحَ!! .

وَبَيَّنَ أَنَّ الْمَفْتَرِيَّ عَلَى اللَّهِ هُوَ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ لَنْ يُؤَفِّقَ مَفْتَرِيًّا أَبَدًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وهذه شهادة من الله لرسوله ﷺ بالصدق، فلو كان مفترياً لأهلكه الله وقضى عليه، ولما وقَّفه وأيدته ونصره ونشر دعوته. إِنَّ هَذَا النِّجَاحَ الْكَبِيرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَسِّرَ لَهُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِعْلًا، ﷺ.

وَالنَّسْخُ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يَمَلُّ الْفَادِي الْمَفْتَرِيَّ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَانْتِقَادِهِ، سَبَقَ أَنْ نَاقَشْنَاهُ فِيهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ، وَهُوَ لَا يَدُلُّ عَلَى افْتِرَائِهِ وَكَذِبِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّعِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْسَخُ وَيُعَيِّرُ وَيُدِلُّ فِي الْأَحْكَامِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْسَخُ مَا يَشَاءُ، وَبِمَا أَنَّ الْفِعْلَ فَعَلَ اللَّهُ، فَهُوَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﷺ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

٣ - مسحور: اتهم الكفار رسول الله ﷺ بأنه مسحور، سيطر عليه الجن والشياطين، وحرَّكوه كما يريدون.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ هَذِهِ التَّهْمَةَ الَّتِي وَجَّهَهَا لَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧ - ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَخُنُّ أَعْمَلُ بِمَا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

وَقَدْ رَدَّدَ الْفَادِي الْمَفْتَرِيَّ هَذِهِ التَّهْمَةَ، وَأَلْصَقَهَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَكَّمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَسْحُورٌ قَالَ: «لَقَدْ شَاهَدُوهُ مَرِيضًا نَاسِيًا، يَشْكُو مِنَ السَّاحِرَاتِ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَيَسْتَعِيدُ مِنْ فَعْلِهِنَّ، فَقَالُوا: لَا شَكَّ أَنَّهُ مَسْحُورٌ مَغْلُوبٌ

على عقله..»^(١).

وقد سبق أن ناقشنا الفادي المفتري في مسألة سحر رسول الله ﷺ، وأنَّ السحر لم يُؤثِّرْ إلا في جانبٍ من بدنه، وأنَّ ذلك لم يستمرَّ إلا ساعات، ثم عافاه الله منه!

وهذا معناه أن رسول الله ﷺ لم يكن مريضاً، ولم تُؤثِّرْ فيه الساحرات، ولم يكن مغلوباً على عقله، وما كلامُ الفادي السابق إلا افتراءً كبيراً.

٤ - أذن: اتهم المنافقون الرسول ﷺ بأنه أذن، أي أنه ساذجٌ مُعقل، يُصدِّقُ كُلَّ ما يسمع، ويُمكنُ خداعه بسهولة، وقد ذكَّر القرآن هذه التهمة ثم ردَّ عليها. قال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

ونقلَ الفادي كلامَ البيضاوي في معنى الآية. ونقلَ ما قاله المنافقون في اتهامهم له: «روي أنهم قالوا: محمدٌ أذنٌ سامعة، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فيصدِّقنا بما نقول».

وذكره لقول المنافقين، وسكوته عنه، إقراراً منه له. أي أن الفادي المفتري مع المنافقين في اتهام الرسول ﷺ بأنه أذنٌ ساذج، يسهلُ خداعه!

وما أجملَ ما ردَّ به القرآنُ هذه التهمة: إنه ﷺ أذنٌ، يُحسنُ الاستماعَ بأذنه، ويعي ما يسمعه.. وقد استمعتُ أذنه الشريفَةَ القرآنَ من جبريل عليه السلام، ثم قدَّمه للمسلمين، وبهذا كان أذنٌ خيرٌ للمؤمنين.

وقد كان رسولُ الله ﷺ أذكى الناس، وأكثرهم فطنة، وأرجحهم عقلاً، مُنزهاً عن السذاجة والبلاهة والعفلة.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٨.

هل مات الرسول ﷺ مسموماً؟

ذَكَرَ الفادي الجاهلُ عنواناً مُثيراً هو: «موته بتأثيرِ السِّمِّ». وسَجَّلَ تحت هذا العنوانِ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثم نَقَلَ الفادي عن البيضاوي معنى هذه الآية، ومناسبة نزولها، وحادثة اعتداء المشركين على رسول الله ﷺ في غزوة أُحُد، وما أشاعوه من أنه قد قُتِلَ، وتأثر بعض الصحابة بما سمعوه، حتى حَزَنَ بعضهم وألقى السلاح.

ثم ذَكَرَ قصة الشاةِ المسمومة التي حَشَتْهَا اليهودية في غزوة حَيْبَرَ، وقَدَّمَتَهَا للرسول ﷺ، محاولةً قَتْلَهُ. وخرَجَ الجاهلُ منها بأنَّ الرسولَ ﷺ مات مسموماً^(١)!!

صَحِيحٌ أَنَّ المرأةَ اليهوديةَ سَمَّمَتْ شاةً ثم شَوْنَهَا وقَدَّمَتَهَا للرسولِ ﷺ، وكَثُرَتْ من السِّمِّ في الكَتِفِ؛ لِأَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يُحِبُّ الكَتِفَ. ولما قُدِّمَ الكَتِفُ للرسولِ ﷺ وَضَعَ فِي فَمِهِ لِقْمَةً مِنْهَا وَمَضَعَهَا، ثم لَفَظَهَا وَأَخْرَجَهَا ولم يَبْلَعْهَا، وقال: إِنَّ هَذَا الذَّرَاعَ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ. وقد تناول بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ﷺ لِقْمَةً مِنْهُ وابتلعها، ومات فوراً من شدةِ وقوةِ السِّمِّ.

واستدعى الرسولُ ﷺ اليهوديةَ، وقالَ لها: ما حَمَلَكَ عَلَى ما صَنَعْتَ؟ قالت: يا أبا القاسم، إني كنتُ أعلمُ أنكِ إِنْ كنتِ رسولاً فسيخميكَ اللهُ، وإِنْ كنتِ كاذباً متَّ واسترحنا منك!.

وأمرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ فقَتَلَتْ قِصاصاً؛ لِأَنَّهَا قَتَلَتْ بِشْرَ بْنَ الْبَرَاءِ بنِ معرورٍ ﷺ بالسِّمِّ.

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

ولم يُؤثِّر السَّمُّ في رسولِ الله ﷺ؛ لأنه اكتفى بمضغ اللقمة من اللحم المسَّم، ثم لفظها وأخرجها، وقال: يُخبرني هذا الذراعُ بأنه مسمومٌ.

وهذا معناه أن رسولَ الله ﷺ لم يمت بتأثيرِ السَّمِّ، كما زعمَ الفادي المفتري، ولو مات بتأثيرِ السَّمِّ لمات فوراً، أو بعدَ ساعاتٍ أو أيامٍ أو أشهرٍ، مثلُ بشرِ بنِ البراء الذي مات فوراً. وقد عاشَ رسولُ الله ﷺ بعدَ حادثَةِ السَّمِّ أكثرَ من ثلاثِ سنواتٍ! حيثُ كانَ فَتَحُ خيبرَ في محرمٍ من السنةِ السابعةِ للهجرة، وتُوِّفِيَ ﷺ في ربيعِ الأولِ من السنةِ الحاديةِ عشرة.

صحيحٌ أنه بلعَ أثرَ السَّمِّ، لكنَّ هذا الأثرَ لم يُؤدِّ إلى وفاته؛ لأنَّ الله تكفَّلَ بحمايته وعصمته من الأعداء، فكم حاولَ الأعداءُ اغتياله وقتله، ولكنَّ الله عصَّمه وحماه، وأخبره عن ذلك في قوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

وصحيحٌ أن رسولَ الله ﷺ قالَ لعائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «ما زلتُ أجدُ أثرَ السَّمِّ الذي قُدِّمَ لي في خيبر». وأنه قالَ لها أيضاً: «هذا أوَانُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي».

وهذا معناه أنه كان يمرضُ من أثرِ ذلك السمِّ، وكانَ أكبرَ الأثرِ على أبهَره، وهو وريده، لكنَّ فرقاً بين أن نقول: كان يمرضُ من أثرِ السمِّ، وبين أن نقول: مات متأثراً بالسمِّ.



حول أحوال الرسول ﷺ مع الوحي

أثارَ الفادي المفتري الشبهاتِ حولَ أحوالِ الرسول ﷺ عندما كانَ يأتيه الوحي، ووجَّهَ الاتهاماتِ له في عقله ونفسه وأعصابه، مما يدلُّ على أنه ليس رسولاً، وأنَّ الذي يتخيَّله ليس وحيّاً.

١ - الرسول المزمّل المدثر:

قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلْتَلَّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمّل: ١ - ٢].
والمُرْمَلُ هو المتعطي بشيابه. ونقل عن تفسير البيضاوي معاني الآيات الأولى من السورة.

وقال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٢]. والمدثر هو المتعطي بشيابه أيضاً، ونقل عن تفسير البيضاوي معاني آيات السورة^(١).
ومع تحفظنا على بعض ما ورد في تفسير البيضاوي، من روايات وأخبار غير دقيقة، أو مرجوحة، إلا أننا لن نتوقف معها، ونتنقل مع الفادي المفتري لنرصد شبهاته واتهاماته وافتراءاته.

٢ - هل صورة الرسول ﷺ صورة السكران؟:

قال الفادي المفتري: «جاء في الأحاديث الصحيحة أنه إذا نزل عليه الوحي يُعشى عليه، لتغيره تغيراً شديداً، حتى يصير صورته كصورة السكران. وقال علماء المسلمين: إنه كان يُؤخذ من الدنيا»^(١).
وفي هذا الكلام مغالطات وافتراءات، أطلقها الفادي المجرم ضد رسول الله ﷺ، ونسبها لعلماء المسلمين.

أما أن الرسول ﷺ كان يتأثر بالوحي، وأنه كان يُعشى عليه من ثقل الوحي، فهو صحيح. وهذا ما ورد في الأحاديث الصحيحة.

ونكتفي من هذه الأحاديث بالحديث الثاني من صحيح البخاري، حيث روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٠.

يعترف رسول الله ﷺ أنه كان يعاني شدة من نزول الوحي عليه، وتشهد عائشة رضي الله عنها لذلك بأنها رأته ينزل العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد.

لكن هذه الشدة التي كانت تقع به عندما يعشاه الوحي، لم تؤد إلى تغييره هو في بدنه وجسمه، وفي نفسيته وأعصابه، ولم تتغير صورته تغيراً سلبياً.

وقد كان الفادي بديئاً فاجراً عندما شبّه صورته بصورة السكران، وصورة السكران صورة كريهة مقرّزة، وكيف تُشبه بها صورة أشرف الخلق وأكرمهم وأطيبهم ﷺ، وهو في أشرف أحواله، حيث يتلقى كلام الله وهو في غاية السعادة والسرور، والوعي والانتباه.. لكن الفادي مجرّم مفتر، قال كلاماً لم يقله أحد من المسلمين.

وافترى المفترى افتراءً آخر عندما نسب لعلماء المسلمين قولهم: إن رسول الله ﷺ كان يؤخذ من الدنيا! أي أنه كان يغيب عن الدنيا بفكره وعقله، ويسرّح في تخيلاته.. ونأخذ من كلام رسول الله ﷺ أبلغ ردّ على هذا، حيث كان يركّز على وعيه وحضوره وانتباهه، للدلالة على أنه يعيش الحدّث بكيانه كلّهُ: «فیفصم عني وقد وعيت ما قال».

٣ - غطيظ الرسول ﷺ عند الوحي :

نسب الفادي إلى أبي هريرة رضي الله عنه قوله: «كان محمدٌ إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة. وفي رواية: كَرَبَ لذلك، وتزبّد له وجهه، وعمّص عينيه، وربما غَطَّ كغطيظ الإبل»^(١).

صحيح أنّ رسول الله ﷺ كان يغطّ عندما يعشاه جبريل عليه السلام، وذلك من ثقل الوحي، والغطيط قريب من الشخير، وهو إخراج الصوت من الأنف، وهذا أمرٌ عاديٌّ يمرُّ به أيُّ شخصٍ عندما يبذلُ جهداً كبيراً، أو يصعدُ مرتقى، وقد يصدرُ عن كثيرٍ من النائمين، وهو ليس حالة مرضية.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٠.

أَمَّا أَنْ يَرْتَعِدَ جِسْمُهُ وَيَرْتَعِشَ وَيَنْتَفِضَ، كَمَا ادَّعَى الْمُفْتَرِي، فَهُوَ غَيْرُ صَاحِحٍ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ غَطِيطُهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مُزْعِجٍ كَغَطِيطِ الْإِبْلِ، فَهُوَ غَيْرُ صَاحِحٍ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنَّهُ كَانَ يَسْوَدُ وَجْهَهُ، وَيَخْرُجُ الرَّبْدُ مِنْ فَمِهِ كَمَا ادَّعَى هَذَا الْمَجْرُمُ، فَهُوَ غَيْرُ صَاحِحٍ أَيْضًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ حَالَةٌ مَرَضِيَّةٌ، تَدُلُّ عَلَى أَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ عَصَبِيَّةٍ حَادَّةٍ! وَهَذِهِ تَنْزَّهَ عَنْهَا أَشْرَفُ وَأَعْقَلُ الْخَلْقِ ﷺ.

٤ - صوت كدوي النحل :

نَقَلَ الْفَادِي قَوْلَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ: «كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدْوِي النَّحْلِ!». وَهَذَا كَلَامٌ صَاحِحٌ؛ لِأَنَّ هَذَا الصَّوْتَ الَّذِي يُدْوِي هُوَ صَوْتُ نَزُولِ جِبْرِيلَ ﷺ عَلَيْهِ، وَوَصُولِهِ إِلَيْهِ.

٥ - صوت كصلصلة الجرس :

نَقَلَ الْفَادِي قَوْلَ عَائِشَةَ ﷺ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ: «أَحْيَانًا مِثْلُ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، وَأَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا يُكَلِّمُنِي، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ». وَهَذَا جِزْءٌ مِنْ حَدِيثِ صَاحِحٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، أَوْرَدْنَاهُ قَبْلَ قَلِيلٍ. وَصَلْصَلَةُ الْجَرَسِ: صَوْتُ ضَرْبِ الْجَرَسِ عِنْدَمَا يُقْرَعُ، وَصَلْصَلَةُ الْجَرَسِ هُوَ مَا كَانَ يُسْمَعُ أَمَامَهُ كَدْوِي النَّحْلِ، كَمَا قَالَ عَمْرٌ ﷺ.

٦ - تصيب الرسول ﷺ عرقاً :

نَقَلَ الْفَادِي قَوْلَ عَائِشَةَ ﷺ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا». وَهَذِهِ تَكْمِلَةٌ لِحَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ السَّابِقِ ﷺ، فِي كَيْفِيَّةِ نَزُولِ الْوَحْيِ، حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّ مَجِيئَهُ كَصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ هُوَ الْأَشَدَّ عَلَيْهِ، وَشَهِدَتْ عَائِشَةُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، بِأَنَّهَا رَأَتْ جَبِينَهُ يَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ.

وهذا أمرٌ عاديٌّ، قد يمرُّ به أيُّ شخصٍ منّا، وليسَ به مرضٌ نفسيٌّ أو عضويٌّ، فقد يلبسُ أحدنا ملابسَ صوفيةً، ثم يسيرُ في طريقٍ صاعداً في مُرتفعٍ، ويكونُ العرقُ يتصبَّبُ من وجهه وجسمه، مع أن الثلجَ يتساقطُ بغزارةٍ!.

٧ - هل كان الرسول ﷺ يسمع أصواتاً خفية؟:

ادّعى الفادي أن رسولَ الله ﷺ كانت تُسمعُ حوله أصواتٌ خفية، لا يُعرفُ أصحابُها، وادّعى الفادي أن رسولَ الله ﷺ قالَ لخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِذَا خَلَوْتُ سَمَعْتُ نِدَاءً: يَا مُحَمَّد، يَا مُحَمَّد. وَقَالَ لَهَا فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: أَرَى نُورًا يَقْظَةً، وَأَسْمَعُ صَوْتًا، وَقَدْ خَشِيتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِي. وَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَاهِنًا، وَأَنْ يَكُونَ الَّذِي يُنَادِينِي تَابِعًا مِنَ الْجِنِّ.. وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جُنُونٌ...».

وإدعاءُ الفادي باطلٌ مردود، وهذه الأقوالُ لم تُصدُرْ عن رسولِ الله ﷺ، وقد ردّها علماءُ المسلمين؛ لأنَّ فيها اتِّهاماً لرسولِ الله ﷺ في عَقْلِهِ، فهو يَسْمَعُ أصواتاً لا يدري مَصْدَرَهَا، وكأنها تتشكَّلُ في مخيلَتِهِ، وهو يَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْجِنُّ مَسِيطِرًا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ الْجُنُونُ!!.

ومن المعلوم أن رسولَ الله ﷺ لم يَكُنْ يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَقْلِهِ، وكان يوقنُ أنه رسولُ الله، وأن ما يَأْتِيهِ هو الوحيُّ من الله، وأنه كان على بَيِّنَةٍ قاطعة، وَيَقِينٍ كبير. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ...﴾ [الأنعام: ٥٧].

٨ - هل كانت تصيبه الرعدة؟:

ادّعى الفادي أن الرعدة كانت تُصيبُ رسولَ الله ﷺ عندما كان يَأْتِيهِ الوحيُّ، ونَسَبَ هذا الادِّعاءَ إلى أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهذا ادِّعاءٌ غيرُ صحيح، فلم يكن رسولُ الله ﷺ يَرْتَعِدُ أَوْ يَضْطَرِبُ، أَوْ يَنْتَفِضُ جِسْمُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ مَتَحَكِّمًا فِي جِسْمِهِ، ضَابِطًا لِأَعْصَابِهِ، فَرِحًا سَعِيدًا مسرورًا.

٩ - هل كان رأسه يؤلمه؟:

ادّعى الفادي المفتري أنّ رسولَ الله ﷺ كان يشكو من آلامٍ شديدةٍ في رأسه، ونسبَ إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يَضَعُونَ الحِنَاءَ على رأسه، لتخفَّ عنه تلك الآلام!.

وهذا ادّعاءٌ باطل، فلم يكن ﷺ يشكو من آلامٍ في رأسه طيلة حياته، بل لم يكن يشكو من أية أمراض، إنما أصابته الحمى في آخر أيامه ﷺ.

وبعدما ناقشنا الفادي المفتري فيما أورده من مظاهر التغيير والتأثير التسعة التي ادّعى أنها كانت تطرأ على رسولِ الله ﷺ عندما يأتيه الوحي.. ننظرُ في ما خرَجَ من ذلك من اتِّهام. قال المفتري: «ونحنُ نسأل: أيُّ وحي هذا الذي يُخرجُ الإنسانَ عن وعيه، فيُعشى عليه، ويُسبهُ السكران، ويَغُطُّ كغطيط الإبل، وتَحْمَرُّ عِيناه، وتأخذه الرعدة، ويتصبَّب عرقاً، ويصَابُ بالم الرأس، ويُحسُّ بطنين في أذنيه ورنين في دماغه؟ ولقد كان مُصاباً بهذه الأعراضِ عينها قبل أن يدَّعي الوحي»^(١).

لقد صَوَّرَ الفادي المجرمُ رسولَ الله ﷺ مع الوحي بصورة الإنسان المريض بالأمراض النفسية، والمضطرب في أعصابه، الذي لا يُسيطرُ على كيانه.. وهو كاذبٌ في ادعاءاته، مجرمٌ في استنتاجاته!



هل شرع الرسول ﷺ في الانتحار؟

ادّعى الفادي المجرمُ أنّ رسولَ الله ﷺ شرَعَ في الانتحار، ونسبَ هذا الادّعاء إلى علماء المسلمين. قال: «قال علماء المسلمين: إنه لما فترَ الوحي عنه حزنَ حُزناً شديداً، حتى كان يَعدو إلى يثرب مرة، وإلى جِراء مرةً أخرى،

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣١.

يُرِيدُ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ، فَكَلَّمَا وَافَى ذُرْوَةَ جَبَلٍ مِنْهُمَا كَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيْلُ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لَدُنْكَ جَأْشُهُ، وَتَقْرَأُ عَيْنُهُ، وَيَرْجِعُ، وَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ عَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ.. وَاخْتَلَفُوا فِي مَدَّةِ هَذِهِ الْفِتْرَةِ، فَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهَا ثَلَاثُ سِنَوَاتٍ. وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ: جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْنَدَةِ أَنَّ مَدَّةَ هَذِهِ الْفِتْرَةِ كَانَتْ سِتِّينَ وَنِصْفًا، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ: إِنَّهَا كَانَتْ سِتِّينَ...».

وَعَلَّقَ الْفَادِي الْمَجْرُمُ عَلَى هَذَا الْادِّعَاءِ بِقَوْلِهِ: «وَنَحْنُ نَسْأَلُ: كَيْفَ يُحَاوِلُ نَبِيُّ الْإِنْتِحَارِ؟ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَعَاتِبًا مُحَمَّدًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ...﴾ أَيُّ: قَاتِلَهَا غَمًّا»^(١).

وَمَا نَقَلَهُ الْفَادِي عَنْ كِتَابِ إِسْلَامِيَّةٍ مُرَدُّودٍ وَبَاطِلٍ، وَلَمْ يُنْقَلْ هَذَا بِرَوَايَاتٍ صَحِيحَةٍ. فَالرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَشْرَعْ فِي الْإِنْتِحَارِ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ رَوْسِ جِبَالِ مَكَّةَ، لِيَتَرَدَّى مِنْهَا، فَيَلْحَقَهُ جَبْرِيْلُ وَيُنَادِيهِ، وَيُظَمِّنُهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْقِنُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، مِنْذُ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، وَكَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِتِلْكَ الْبَيْنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هُود: ١٧].

وَمَنْ جَهَلَ الْفَادِي وَعِبَائِهِ أَنَّهُ لَمْ يُحَسِّنْ فَهَمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فِيهَا تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ عَائِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الْكَهْف: ٦].

لَا تَتَحَدَّثُ الْآيَةُ عَنْ رَغْبَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْإِنْتِحَارِ وَالتَّخْلِصِ مِنَ الْحَيَاةِ، كَمَا ادَّعَى الْفَادِي الْمَجْرُمُ، وَإِنَّمَا تَشِيرُ الْآيَةُ إِلَىٰ اهْتِمَامِ الرَّسُولِ ﷺ بِقَوْمِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ، وَتَأْلَمِهِ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَتَدْعُوهُ الْآيَةُ إِلَىٰ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٢.

أَنْ لَا يُهْلِكَ نَفْسَهُ هَمًّا وَعَمًّا وَحُزْنًا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ إِذَا زَادَ الْهَمُّ
وَالْعَمُّ عِنْدَ إِنْسَانٍ، فَإِنَّهُ قَدْ يَقْضِي عَلَيْهِ.



خرافة امتحان خديجة لجبريل

انتقل الفادي الجاهل من ادعاء محاولات الرسول ﷺ الانتحار إلى
ادعاء آخر، أشد منه بظلالنا، وأكثر غرابة. وهو أن الرسول ﷺ لم يكن متأكدًا
أن الذي يأتيه هو جبريل، وظن أنه يمكن أن يكون جنياً شيطاناً، فكلفت امرأته
خديجة أن تمتحنه، فتأكدت أنه جبريل وليس شيطاناً.

قال المفتري في افترائه وادعائه: «من نظر في الأحاديث التي هي عند
المسلمين بمنزلة القرآن، في الاعتقادات والمعاملات، رأى أن محمداً كان
غير متأكد من وحيه».

كذب المفتري عندما ادعى أن الأحاديث عند المسلمين بمنزلة القرآن..
ولم يدع أحد من المسلمين هذا الادعاء، فمن البدهيات عند كل مسلم أن
الأحاديث ليست بمنزلة القرآن؛ لأن القرآن كلام الله، والأحاديث كلام
رسول الله ﷺ، وهما ليسا بمنزلة واحدة.

وادعى المجرم أن الأحاديث تدل على أن محمداً كان غير متأكد من
الوحي، مع أننا ناقشناه في هذا الادعاء قبل قليل، وبيّنا أنه كان على يقين
كامل أنه رسول الله.

وزعم الفادي المفتري أن خديجة رضي الله عنها طلبت من الرسول ﷺ أن يخبرها
بقدم جبريل؛ لأنها نوت أن تمتحنه.. فلما قدم جبريل أخبرها.. فطلبت منه
أن يجلس على فخذه، فجلس وما زال يرى جبريل. فألقت خمارها عن
رأسها وكشفت شعرها، ولما رأى جبريل شعرها خرج من البيت. فقالت
خديجة: يا بن عمي! اثبت وأبشر.. فوالله إنه لملك وليس بشيطان.

وَعَلَّقَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ بِقَوْلِهِ: «وَمِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ هَذِهِ نَرَى أَنَّ خَدِيجَةَ هِيَ الَّتِي اسْتَتَجَتْ بِأَنَّ الَّذِي كَانَ يُعْرَضُ لَهُ هُوَ حَامِلُ الْوَحْيِ، الَّذِي كَانَ يَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ.

وَنَحْنُ نَسْأَلُ: وَهَلْ تَرَبَّتْ خَدِيجَةُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ؟ أَوْ هَلْ كَانَ فِي عَشِيرَتِهَا نَبِيٌّ، كَانَ يُعْتَرِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ، فَتَقِسُ عَلَيْهِ حَالَةَ مُحَمَّدٍ؟ وَكَيْفَ عَرَفَتْ تِلْكَ الْقَاعِدَةَ الْغَرِيبَةَ أَنَّ الْمَلَكَ لَا يَرَى الرَّأْسَ الْمَكْشُوفَةَ، وَالْجَنُّ يَرَاهَا؟ وَأَيُّ نَبِيٍّ قَبْلَ مُحَمَّدٍ جَلَسَ فِي حَجْرٍ زَوْجَتِهِ، فَأَكَّدَتْ لَهُ أَنَّ جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيهِ؟»^(١).

هَذِهِ الرَّوَايَةُ الَّتِي نُسِبَتْ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي امْتِحَانِ جَبْرِيلَ رَوَايَةً مَرْدُودَةً وَبَاطِلَةً، وَلَمْ تَرُدْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَدَّهَا وَأَنْكَرَهَا عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ، وَلَكِنَّ الْفَادِي لَجْهَلِهِ الْمَطْبِقِ لَا يُحَسِّنُ انْتِقَاءَ الرَّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا التَّمْيِيزَ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْمَرْدُودِ.

وَإِذَا كَانَتِ الرَّوَايَةُ مَرْدُودَةً، فَإِنَّ تَعْلِيقَ الْفَادِي عَلَيْهَا مَرْدُودٌ، وَالنَّتِيجَةُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا مِنْهَا مَرْدُودَةٌ!.



سُخْرِيَةُ الْمَجْرَمِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَضَعَّ الْفَادِي عِنْوَانًا مِثْرًا هُوَ: «عَلَامٌ يَحْسُدُونَهُ؟». وَاعْتَرَضَ فِيهِ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

تَتَحَدَّثُ الْآيَةُ عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَهِيَ النَّبُوءَةُ الَّتِي خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْبَسْتِ وَالطَّعْنُونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَّهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٣.

فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٤﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٥﴾ [النساء: ٥١ - ٥٤].

كَانَ الْيَهُودُ يَطْمَعُونَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ الْخَاتِمُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ، وَجَعَلُوا الْمَشْرِكِينَ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ، وَفَعَلُوا ذَلِكَ حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ، لَقَدْ حَسَدُوهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّبُوَّةِ، وَحَسَدُوا الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ عَلَى مَا آتَاهَا اللَّهُ مِنَ الْهُدَى، وَلِذَلِكَ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ وَأُمَّتِهِ.

وَقَدْ تَجَاوَزَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي الْمَجْرُمُ هَذَا الْمَعْنَى الصَّحِيحَ لِلآيَةِ، وَاعْتَمَدَ مَعْنَى بَاطِلًا، وَتَكَلَّمَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَفَاهَةٍ وَسُخْرِيَةٍ وَقَلَّةِ أَدَبٍ. زَعَمَ الْمَجْرُمُ أَنَّ الْآيَةَ تَتَحَدَّثُ عَنِ «فُحُولَةِ» الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّ اللَّهَ آتَاهُ الْقُدْرَةَ عَلَى مَعَاشِرَةِ وَجْمَاعِ نَسَائِهِ كُلِّهِنَّ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ!.

قَالَ فَضُّ اللَّهِ فَاهُ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ أُوتِيَ مَا أُوتِيَ فِي تَوَاضُعٍ، وَلَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ، وَلَيْسَ هَمُّهُ إِلَّا النِّكَاحُ. . فَأَيُّ مُلْكٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. . وَيَفْتَخِرُ الْمُسْلِمُونَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ (أَيُّ يُجَامِعُهُنَّ) فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ النَّهَارِ أَوْ اللَّيْلِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً. . قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: أَوْ كَانَ يُطِيقُ الدُّورَانَ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ؟ فَقَالَ أَنْسٌ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا - وَفِي رِوَايَةٍ: قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا - مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ! وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ مُحَمَّدٌ: أُعْطِيَتْ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْبَطْشِ وَفِي الْجَمَاعِ!! وَرَوَوْا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِيُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ. . وَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَنَانِي جَبْرِيلُ بِقُدْرٍ، فَأَكَلْتُ مِنْهَا، فَأُعْطِيَتْ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ رِجَالِ الْجَنَّةِ. . وَشَكَا مُحَمَّدٌ إِلَى جَبْرِيلَ قَلَّةَ الْجَمَاعِ، فَتَبَسَّمَ جَبْرِيلُ حَتَّى تَلَأَّ مَجْلِسُ مُحَمَّدٍ مِنْ بَرِيقِ ثَنَائِيَا جَبْرِيلَ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَكْلِ الْهَرِيْسَةِ؟!» (١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

وكلُّ الروايات التي أوردَها الخبيثُ باطلَةٌ مردودة، لم تصحَّ روايةٌ واحدةٌ منها، فهو يَضَعُ في كتابه المتهافتِ الكلامَ الباطلَ الساقطَ، ثم يتحدثُ عن رسولِ الله ﷺ ببذاءةٍ وانعدامِ حياءٍ، وبتهكُّمٍ وسخريةٍ واستهزاءٍ، ويجعلُ ذلك دليلاً على عدمِ نبوته ﷺ!



حول المرأة التي وهبت نفسها للرسول ﷺ

سَبَقَ أَنْ اعترضَ الفادي المجرمُ على القرآنِ في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وَسَبَقَ أَنْ رَدَدْنَا عَلَى اعْتِرَاضِهِ المتهافت. وَأَعَادَ الكَلَامَ عَلَى هذِهِ المسألةِ فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَى سيرةِ رسولِ الله ﷺ، وَرَدَدْنَا عَلَى اعْتِرَاضِهِ.. وَهَا هُوَ يُعِيدُ وَيُكْرِرُ القَوْلَ عَن هذِهِ المرأةِ هُنَا، وَنُدَكِّرُ بِمَا رَدَدْنَا عَلَيْهِ فِيما مَضَى وَنَحِيلُ عَلَيْهِ.



حول إرجاء وإيواء الرسول ﷺ من يشاء من نسائه

وَسَبَقَ أَنْ اعترضَ الفادي المجرمُ على القرآنِ وعلى الرسولِ ﷺ فِي تخطيطته لقوله تعالى: ﴿تُرْجَى مِنْ نَسَاءِ مَنْهَنَ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَسَاءِ وَمِنْ ابْنَعَيْتَ مَمَّنَ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقْرَ أَعْيَمَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْتَ بِمَا آئَلَتْهُنَّ كُلَّهُنَّ...﴾ [الأحزاب: ٥١]. وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ فِي حينه، فلا داعيَ لإعادةِ ذِكرِ اعْتِرَاضِهِ، وَإِعَادَةَ رَدِّنا عَلَيْهِ.

واعترضَ الفادي المجرمُ على تحريمِ أزواجهِ على المسلمين، الذي وَرَدَ فِي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ

مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴿ [الأحزاب: ٥٣]. وادَّعى أَنَّهُ هو الذي حَرَّمَ ذلك على أصحابه .
وَأَلَّفَ الآيَةَ زَاعِمًا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ . وقد سبقَ أَنْ رَدَدْنَا عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
أَيْضًا .



هل أثبت الرسول ﷺ أقوال أهل الكتاب في القرآن؟

اخْتَارَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي عِنَوَانًا مُثِيرًا هُوَ: «اقتبسَ أقوالَ أهلِ الكتابِ» زَعَمَ
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْخُذُ أَقْوَالَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَيَضَعُهَا فِي الْقُرْآنِ،
وَيَزَعُمُ أَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْهِ بِهَا .

وَاعْتَرَضَ عَلَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ
بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾
[النحل: ١٠٣] .

نَقَلَ الْمَجْرُمُ عَنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ مَا قِيلَ عَنْ سَبَبِ نَزُولِ الآيَةِ، وَتَعَيَّنَ
الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ اتَّهَمَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِتَأْلِيفِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَ
الْقُرْآنَ مِنْهُمْ . . . وَالَّذِينَ نَقَلَ عَنْهُمْ هُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ
صَاحِبَ السِّيَرَةِ، وَالْبِيضَاوِيُّ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ .

وَالْأَعَاجِمُ فِي مَكَّةَ الَّذِينَ اتَّهَمُوا بِتَأْلِيفِ الْقُرْآنِ بِالْأَعْجَمِيَّةِ، وَعَلَّمُوهُ
لِلرَّسُولِ ﷺ فَصَاغَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ هُمُ: الْحَدَّادُ النَّصْرَانِي «بَلْعَام»، وَ«يَعِيش» غَلَامُ بَنِي
الْمَغِيرَةِ، وَ«جَبْر» الْغَلَامُ الرَّومِيُّ لِبَعْضِ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ، وَ«يَسَار» الْغَلَامُ
الْفَارَسِيُّ مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ، وَكَانَ جَبْرٌ وَيَسَارٌ حَدَّادَيْنِ يَصْنَعَانِ السِّیُوفَ فِي مَكَّةَ،
وَالْغُلَامُ «عَائِش» النَّصْرَانِي، عَبْدٌ لِحَوِيطِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى، وَ«عَدَّاس» غَلَامُ
عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ .

وَبَعْدَمَا ذَكَرَ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ عَلَّقَ الْمَفْتَرِي عَلَى الْقِصَّةِ بِقَوْلِهِ: «ونحن نسأل:

اتهم العرب محمداً أنه يتعلم الأخبار من غيره ثم ينسبها لنفسه، ويزعم أنها وحي إليه من الله، فلماذا لم يقدم لهم البرهان أنه يتلقى أقواله من الله رأساً؟ إن رده أن الذي يسمع أقواله أعجمي اعترافاً بالاقتباس؛ لأنه صاغ ما سمع من معانٍ بأسلوبه العربي الفصيح»^(١).

زعم الكفار أن القرآن ليس كلام الله، وإنما هو من تأليف بشرٍ كان يُعلم محمداً ﷺ، واختلف الرواة في تحديد اسم ذلك الشخص الأعجمي، ومن الأسماء التي رددتها الرواة: بلعام ويعيش وجبر ويسار وعداس.

وردت الآية على هذا الزعم المتهافت بأن لسان ذلك الشخص أعجمي، والقرآن لسان عربي مبین، فكيف للأعجمي الذي لا يعرف إلا بضغ كلمات مكسرة عربية أن يؤلف كلاماً عربياً بلغ الذروة في البلاغة والفصاحة؟!.

وهذا الرد لم يُعجب الفادي المفتري، وقد ردد اتهامات المشركين، وادعى أن الرسول ﷺ لم يقدم للكفار البرهان على أنه يتلقى القرآن من الله! وهذا ادعاء باطل، فكل القرآن دليل على أنه كلام الله، وكل حياة الرسول ﷺ دليل على أن القرآن وحي من الله إليه، وأنه رسول الله ﷺ.

وتكفي الإشارة إلى آيات التحدي، التي طالب الله فيها الكفار بالإتيان بعشر سورٍ أو بسورةٍ مثل القرآن، فإن عجزوا عن ذلك فليعلموا أنه من عند الله. قال الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَن اسْتَفَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٣﴾ فَاَلَمْ يَسْتَجِيبُوْا لَكُمْ فَاَعْلَمُوْا اَنَّمَا اُنزِلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَاَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

ومن جهل الفادي أنه لم يعرف معنى قوله تعالى: ﴿لَسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ حيث ادعى أنه اعتراف بالأخذ عن الأعجمي: «إن رده

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٦.

بأنَّ الذي يَسْمَعُ أقوالَه أَعْجَمِيّ اعترافٌ بالاقتباس، وأنه صاغَ ما سمعَ من معانٍ بأسلوبه العربيّ الفصيح!

لم يَعترف الرسول ﷺ بأنه يَسْمَعُ كلامَ الأَعْجَمِيّ جبر أو يسار أو غيرهما، باللغة الأَعْجَمِيّة، ويأخذُ المعنى منه، ويقتبسُ الفكرةَ منه، ثم يصوغُ ذلك المعنى الأَعْجَمِيّ بلسانه العربي!

إنَّ معنى قوله تعالى: ﴿لَسَاتُ أَلَّذِي يُجِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ﴾: لسانُ الشخصِ الذي يَميلونَ إليه، وَيَنسبونَ إليه تَأليفَ القرآن، وَيَدَّعونَ أنه من عنده، أَعْجَمِيّ، فكيفَ للأَعْجَمِيّ أَنْ يَأْتِيَ بهذا البيانِ العربيّ المبين؟.

وقدَّمَ الفادي المفتري دليلاً على أَنَّ محمداً ﷺ اقتبسَ الأفكارَ القرآنيّةَ من الأَعْجَمِيّ في مكة، ثم صاغها بالعربية، هو انتشارُ قصص التوراة والإنجيلِ في بلادِ العرب، وورودها في أشعارِ بعضِ الشعراء، وذكرَ أبياتاً لأُميّة بن أبي الصلت زَعَمَ أنه أَخَذَها من سِفْرِ التكوين، وأبياتاً للسموعل زعمَ أنه أَخَذَها من سفر الخروج.

كما ادَّعى أَنَّ النصرانيةَ كانتَ منتشرةً في بلادِ العَرَب، وكان لها كنائسُ في نجران، وأنَّ «قسَّ بن ساعدة» كان نصرانياً، ولذلك انتشر الفكرُ النصراني في بلاد العرب.

وفَرَّقَ بين انتشارِ بعضِ الأفكارِ اليهوديةِ والنصرانيةِ في بعضِ بلادِ العرب، وبينَ إنزالِ القرآنِ على رسولِ الله ﷺ.



هل شتم الرسول ﷺ الذين شتموه؟

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ كانَ يُقابلُ شتمَ أعدائه بِشتمِهِم ولعْنِهِم وسَبِّهِم، ونسبَ له تسجيلَ هذه الشتائم في القرآن.

لما ماتَ ابنُ الرسولِ ﷺ من خديجةَ عَيَّرَه بذلك العاصُ بنُ وائل، أَحَدُ

زعماء المشركين، وقال: محمدٌ أبتُرُ لا عَقَبَ له. قال الفادي المفتري: «فقال محمد: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فَإِنْ عَيَّرُوهُ بِأَنَّهُ أَبْتَرُ فَإِنَّ شَانِئَهُ وَمِبْغِضَهُ هُوَ الْأَبْتَرُ!».!

فهو يُصرِّحُ بأنَّ محمداً ﷺ أَلَفَ سورةَ الكوثر، للردِّ على شتمِ العاصِ له بشتمه، ولا يَعترفُ بأنَّ الله هو الذي أنزلَ سورةَ الكوثرِ عليه، وأنَّ الله هو الذي دافعَ عن رسوله ﷺ، وهو سبحانه الذي وَصَفَ عدوَّه بأنه أبتَرُ مقطوعُ الذرِّ.

وادَّعى الفادي المفتري بأنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي رَدَّ على شتمِ عمِّه أبي لهب له بشتيمه مقابلة. فعندما جمعَ أقاربه، ودعاهم إلى الإيمان، شتمه أبو لهب قائلاً: تَبًّا لَكَ، ألهذا جمعتنا؟. قال الفادي المفتري: «فَسَبَّهُ مُحَمَّدٌ قَائِلاً: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. أَي: هَلَكْتَ نَفْسُ أَبِي لَهَبٍ، وسيدخلُ ناراً، وسبَّ امرأةَ عمِّه قائلاً: إنها حَمَالَةٌ الحَطْبِ، الذي يحرقُها في جهنم، وإنَّ في عنقها حَبْلاً يَقْتُلُهَا وَيَخْنُقُهَا. . فكان يُكِيلُ اللعناتِ لكلِّ مَنْ قاومَه!». وأينَ محمدٌ من السيد المسيح الذي «إذا شتمَ لم يكن يَشْتُمُ عِوضاً» والذي قال: باركوا لاعينكم؟»^(١).

ما زال المفتري مُصرّاً على أنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي أَلَفَ القرآن، فلما شتمه عمُّه أبو لهب أَلَفَ سورةَ المسدِّ شاتِماً عمِّه وامرأةَ عمِّه! فهو لا يعترفُ بأنَّ الله هو الذي أنزلَ سورةَ المسدِّ، وأنَّه هو الذي حكمَ على أبي لهبٍ بالتابِ والخسارة لكفره، وأنَّ الله هو الذي لَعَنَه.

ويكذبُ المفتري عندما يدَّعي أنَّ الرسولَ ﷺ كان «يُكِيلُ اللعناتِ لكلِّ مَنْ قاومَه». فالرسولُ ﷺ على حُطَا أخيه المسيحِ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام، ولم يكن يَلْعَنُ إِلَّا مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وكان ﷺ عفيفَ اللسان، فلم يكن سبَّاباً، ولا لَعاناً، ولا شتّاماً، ولا فاحشاً بذيء اللسان، وكان ينهى أصحابه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

عن هذه التصرفات والألفاظ، وكان يعفو ويصفح، ولا يُقابل السيئة بالسيئة، ولا الشتيمة بشتيمة!!.

٢٣٨

حول غزوات الرسول ﷺ

وَقَفَ الفادي أَمَامَ جهادِ رسولِ الله ﷺ، ونَقَلَ أسماءَ غزواتِهِ، التي بَلَغَتْ تِسْعًا وعشرينَ غَزْوَةً، وهي المَعَارِكُ التي خاضَهَا بنفسِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ سرايَاهُ زَادَتْ على سبعينَ، فيكونُ مجموعُ الغزواتِ والسرايا مئةً.

وَذَكَرَ خُلَاصَةً بعضِ الغزواتِ والسرايا، مثلُ سَريَةِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ، وغزوةِ أُحُدٍ، وغزوةِ حُنينٍ، وغزوةِ بدرٍ، وغزوةِ بني النضير^(١).

وهو يتكلمُ عنها بأَسْلُوبِهِ القائمِ على اتِّهامِ النبيِّ ﷺ، ورفضِ نبوته، والزعمِ بأنه هو الذي أَلْفَ القرآن.

من ذلك قولُهُ: «وقد سجلَ محمدٌ في قرآنيه الكثيرَ من غزواتِهِ وسرايَاهُ».. وقولُهُ عن سَريَةِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ: «... وَغَضِبَ مُحَمَّدٌ لاسْتِباحَةِ أصحابِهِ القتالَ في الشهرِ الحرامِ، ثم استحلَّ ذلك، وَقَسَمَ الغنائمَ لِنَفْسِهِ وَأَصحابِهِ..». وقد سبقَ أَنْ ذَكَرْنَا تفاصيلَ قصةِ سَريَةِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ، التي هي في الحَقِيقَةِ سَريَةُ عبدِ الله بنِ جحشٍ رضي الله عنه.

ومن ذلك قولُهُ عن غزوةِ أُحُدٍ: «... فَأَخَذَ مُحَمَّدٌ في لعنِ الذينَ هَزَمُوهُ، وحاوَلَ إنعاشَ أفئدةِ الذينَ انهزموا، فقالَ لهم: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]».

وَأَدَّعَى الفادي المَفتري أَنَّ رسولَ الله ﷺ أَخَذَ عبارةً من إحدى النساءِ، وَسَجَّلَهَا في قرآنيه. وهي عبارة: «يَتَّخِذُ اللَّهُ من عبادِهِ الشهداءِ»، قال: «فَقالتِ

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص ٢٣٩ - ٢٤٣.

المرأة: يتخذ الله من عباده شهداء. فاقبَسَ محمدٌ عبارتها، وجعلها وحياً!! .
 وادّعى المفتري أنّ الرسول ﷺ أعجبَ بكثرة أصحابه في غزوة حُنين،
 فقال: «لن نُغَلَبَ اليومَ من قلة» فهزّمهم الله!. والصحيح أنّ الذين قالوا هذا
 القول هم «الطُّلقاء»، الذين أسلموا يومَ فتح مكة، والذين لم يتعمق الإيمانُ في
 قلوبهم، فأعجبوا بكثرتهم، فأدّبهم الله، أما الرسول ﷺ فإنه لا يُمكنُ أن يقولَ
 ذلك، لقوةِ توكلِهِ على الله.

ومع أنّ حديثه عن أهم غزواتِ رسولِ الله ﷺ كانَ مُختَصِراً، إلا أنه لم
 يكنُ في مجمله صحيحاً؛ لأنه لم يأخذه من المصادرِ الإسلاميةِ الصحيحة،
 ولذلك أخطأ في عرضِ بعضِ الأحداث، إضافةً إلى تأكيده المتواصلِ على أنه
 هو الذي كان يُؤلّفُ القرآنَ من عنده، وأنه ليس رسولاً من عند الله!! .



إشاعة إبادة الكلاب في المدينة

ذَكَرَ الفادي المفتري أسطورةَ إبادةِ الكلابِ في المدينة. قال: «عن أبي
 رافع قال: جاء جبريلُ إلى محمدٍ يستأذنه، فأذِنَ له، فلم يدخُل. فقال: إنا قد
 أدنّا لك فلمَ لمَ تدخُل؟ فقال: إنا لا ندخلُ بيتاً فيه كلب! قال أبو رافع:
 فأمرني أن أقتلَ كُلَّ كلبٍ في المدينة! ففعلتُ، حتى انتهيتُ إلى امرأةٍ عندها
 كلبٌ ينبُحُ عليها، فتركتُه رحمةً لها، ثم جئتُ إلى محمد، فأمرني بقتله. . فأتى
 عديُّ بنُ حاتمٍ وزيدُ بنُ المهلهل الطائيين، فقالا: يا رسولَ الله، إنا قومٌ نصيّدُ
 بالكلاب، فماذا يحلُّ لنا؟ فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَطْبِئُوا وَمَا
 عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤].» .

وعَلَّقَ على هذه الإشاعةِ بقوله: «ونحنُ نسأل: إن كان جبريلُ لم يدخُلْ
 بيتَ محمدٍ لسببِ الكلابِ التي فيه، فلماذا لم يكتفِ محمدٌ بقتلِ كلابِ بيته
 فقط؟ ولماذا أمرَ بقتلِ كلبِ المرأةِ المسكينة، التي رَقَّ لها أبو رافع ولم يشأ

أَنْ يَقْتَلَ كَلْبَهَا، وفي الوقتِ نفسه استَحيا كلابَ الأَغْنِيَاءِ لِلصَّيْدِ؟ ثم إنَّ الكلابَ كانت في بيتِ محمدٍ وفي المدينة، قَبْلَ قَتْلِ الكلابِ، فكيفَ كان جبريلُ يأتي محمداً قَبْلَ قَتْلِهَا؟ إنَّ كانَ جبريلُ يكرهُ الكلابَ، أَلَا نَقُولُ: إنَّ الذي كانَ يأتي محمداً أَوَّلًا هو غيرُ جبريلِ؟»^(١).

إنَّ ما ذَكَرَهُ الفادي المفتري أُسطورةٌ مَكذوبةٌ، فلم يكنْ في بيتِ رسولِ الله ﷺ كَلْبٌ، ومن ثم لم يحدثْ أن امتنعَ جبريلُ من الدخولِ بسببِ الكلبِ، ولم يأمرِ الرسولُ ﷺ أبا رافعٍ بِقَتْلِ جميعِ الكلابِ في المدينة. وإذا كانت القِصَّةُ مَكذوبةً باطلةً، فكلُّ ما بناه الفادي المفتري عليها من نتائج فهو باطلٌ مردودٌ.



حول تبشير عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَدْعِي إِسْرَائِيلَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ مَصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

تُخْبِرُ الآيَةُ أَنَّ عِيسَى ﷺ بَشَّرَ بِالنَّبِيِّ الخاتمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ولكنَّ الفادي المفتري لم يأخذ بما قَرَّرْتَهُ الآيَةُ، وَسَجَّلَهَا تحتَ عنوان: «لم تَنبَأِ التوراةُ به». وَزَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ يَشْهَدُ بِحِفْظِ وسلامةِ التوراةِ، وَأوردَ آياتٍ لم يَفْهَمُ معناها الصحيح. قال: «يَشْهَدُ القُرْآنُ أَنَّ التوراةَ حُفِظَتْ صحيحةً سليمةً من كُلِّ تحريفٍ إلى أيامِ المسيح، قالَ في سورةِ آلِ عمرانِ (٤٨): ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. . . وشهدَ القُرْآنُ في مواضعٍ كثيرةٍ أَنَّ التوراةَ بقيتْ بغيرِ تحريفٍ، من وقتِ المسيحِ إلى وقتِ محمدٍ، قالَ في سورةِ آلِ عمرانِ: ﴿قُلْ فَأَتُوا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤٤.

بِالتَّورَةِ فَاتَّلَوْهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣]. وكذلك شهد القرآن بسلامة الإنجيل، قال في سورة المائدة: ﴿وَلِيُخَبِّرَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فالكتاب المقدس إِذْنٌ صَحِيحٌ، لم يَعْتَرِه تحريفٌ أو تَبْدِيلٌ أو زيادةٌ أو نقصانٌ. . . وها هو الكتاب المقدس كُلُّه، ليس فيه أية إشارة إلى إتيان محمدٍ كنبِيِّ، فمن أين جاءَ محمدٌ بأنَّ عيسى بَشَرٌ به؟^(١).

لم يُخبر القرآن أَنَّ التوراةَ محفوظةٌ وصحيحةٌ وسالمةٌ من التحريفِ، كما ادَّعى الفادي المفتري، إنما جَزَمَ بتحريفِ اليهود للتوراة، وجاءَ هذا صريحاً في آياتٍ كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومنها قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

نَقَضَ اليهودُ ميثاقَهُم مع الله، وحرَّفوا كلامه الذي أنزله إليهم في التوراة، وكتبوا التوراة بأيديهم، وألَّفوا أسفارها من عندهم، ثم نسبوا إلى الله زوراً وبهتاناً.

من اليقين عند العلماء أنه لا تناقض بين آيات القرآن، فالآيتان السابقتان صريحتان في تحريف اليهود للتوراة، وعلينا أن نفهم الآيات التي أوردها الفادي على أساس الآيتين السابقتين، لنحسن فهم تلك الآيات.

أخبر الله أنه سيعلم عيسى ابن مريم ﷺ التوراة. قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُهَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّورَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]. فأَيُّ توراةٍ سيعلمها الله؟ هل هي التوراة التي بأيدي الحاخامات، التي حرَّفوها وألَّفوها من عندهم؟ كلا.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

سِعِلْمُهُ التَّوْرَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى ﷺ، وَالَّتِي جَعَلَ الْإِنْجِيلَ مُصَدِّقًا لَهَا؛ لِأَنَّ الْكِتَابَيْنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ! لَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ عِيسَى ﷺ التَّوْرَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى ﷺ، وَذَلِكَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْإِنْجِيلِ، وَجَعَلَهُ مُصَدِّقًا لِلتَّوْرَةِ، وَنَاسِخًا لِبَعْضِ أَحْكَامِهَا، وَمُحَلَّلًا لِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ الْمَحْرَمَةِ فِيهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحَدِّثَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وَلَنْ يُعَلِّمَ اللَّهُ عِيسَى ﷺ التَّوْرَةَ الْمَحْرَفَةَ، الَّتِي شَهِدَ أَنَّهَا مُحْرَفَةٌ، وَأَخْبَرَ الْقُرْآنَ أَنَّهَا مُحْرَفَةٌ... فَهَمَا «تَوْرَاتَانِ»، التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى ﷺ، ثُمَّ عَلَّمَهَا لِعِيسَى ﷺ، وَالتَّوْرَةُ الَّتِي حَرَّفَهَا الْيَهُودُ، وَالَّتِي تَبَرَّأَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْهَا.

وَإِذَا نَبَتْ أَنَّ الْأَحْبَارَ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ قَبْلَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ التَّوْرَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ أَيْدِي الْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ مُحْرَفَةً أَيْضًا. وَصَرَّحَ الْقُرْآنُ بِأَنَّ الْيَهُودَ فِي الْمَدِينَةِ كَانُوا يَمَارِسُونَ جَرِيمَةَ التَّحْرِيفِ الْمُتَوَاصِلِ لِلتَّوْرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

وَبِمَا أَنَّ الْيَهُودَ فِي الْمَدِينَةِ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ، وَأَضَاعُوا التَّوْرَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى ﷺ، فَقَدْ تَحَدَّاهُمْ اللَّهُ بِالْإِتْيَانِ بِالتَّوْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَوُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

لَا تُعْتَبَرُ الْآيَةُ شَاهِدَةً عَلَى اعْتِمَادِ التَّوْرَةِ، وَأَنَّهَا صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَأَنَّ الْيَهُودَ فِي الْمَدِينَةِ كَانُوا يَلْتَزِمُونَ بِالتَّوْرَةِ الصَّحِيحَةِ، كَمَا زَعَمَ الْفَادِي الْمَفْتَرِي.

إِنَّ الآيَةَ إِدَانَةٌ لِلْيَهُودِ، بِأَنَّهُمْ تَلَاعَبُوا بِالتَّوْرَةِ وَحَرَّفُوهَا، وَغَيَّرُوا أَحْكَامَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ مُلتَزِمُونَ بِهَا، فَتَحَدَّثَتْهُمُ الآيَةُ بِإِحْضَارِ التَّوْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ أَضَاعُوهَا.

أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ كُلَّ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ كَانَتْ مَبَاحَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي حَرَّمَهُ أَبُوهُمْ إِسْرَائِيلَ - يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا الطَّعَامُ هُوَ لَحْمُ الْإِبِلِ، وَهَذَا كَانَ قَبْلَ إِنْزَالِ التَّوْرَةِ؛ لِأَنَّ إِنْزَالَ التَّوْرَةِ كَانَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَعْقُوبُ عَاشَرَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمِائَتِ السَّنِينَ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾.

فَإِذَا لَمْ يُسَلِّمِ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَكَذَّبُوا الْقُرْآنَ، وَزَعَمُوا أَنَّ الَّذِي فِي التَّوْرَةِ خِلَافَ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ، وَأَنْ يَتْلُوهَا، وَيَسْتَخْرِجُوا مِنْهَا الْكَلَامَ الْمُتَعَارِضَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يُقَدِّمُوا هَذَا لِلرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وَهَمَّ لَنْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، وَلَنْ يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْرَةَ الْأَصْلِيَّةَ مَفْقُودَةٌ، فَمِنْ أَيْنَ يَأْتُونَ بِهَا؟!.

وَهَكَذَا رَأَيْنَا الْآيَةَ تُدِينُ الْيَهُودَ وَلَا تُؤَيِّدُهُمْ، وَتُقَرِّرُ ضَيَاعَ التَّوْرَةِ، وَلَا تَشْهَدُ لَهَا بِأَنَّهَا صَحِيحَةٌ وَسَالِمَةٌ مِنَ التَّحْرِيفِ، كَمَا ادَّعَى الْفَادِي!.

وَزَعَمَ الْفَادِي شَهَادَةَ الْقُرْآنِ بِسَلَامَةِ الْإِنْجِيلِ مِنَ التَّحْرِيفِ مُرَدُّدًا عَلَيْهِ، وَالَّذِي قَرَّرَهُ الْقُرْآنُ هُوَ عَكْسُ ذَلِكَ، فَقَدَّرَ تَحْرِيفَ الرَّهْبَانِ لِلْإِنْجِيلِ، وَتَأْلِيهِمْ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ قَالُوا إِنَّا نَصَدْرُكَ أَخَذْنَا مِنْثَقَمَهُمْ فَاسُوا حَطًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْآفَاتِ﴾ [المائدة: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وقد أمر الله أهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ولا تدلُّ هذه الآية على اعتماد الإنجيل، والشهادة له بعدم التغيير أو التبديل، كما ادعى الفادي الجاهل، إنما تُخبر الآية عن أمرٍ تاريخي، يُقرَّر أن الله بعث عيسى ﷺ رسولاً، وأنزل عليه الإنجيل، وأمر أتباعه النصارى بالتحاكم إليه. وهذا قبل بعثة محمد ﷺ، وقبل إنزال القرآن عليه.

أما بعد البعثة فإن أهل الإنجيل مثل أهل التوراة، مأمورون بالإيمان بالقرآن والحكم بما أنزل الله فيه. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ولذلك أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يحكم بين اليهود والنصارى بما أنزل الله عليه في القرآن. قال تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ولذلك أخبر الله أن اليهود والنصارى ليسوا على شيء، حتى يقيموا التوراة والإنجيل والقرآن. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] والذي أنزل إليهم من ربهم هو القرآن، وهذا معناه أن الإيمان الصحيح بالتوراة والإنجيل يجب أن يقود إلى الإيمان بالقرآن.

وبعد هذا التوضيح يظهر كذب الفادي في ما قاله في نهاية كلامه: «فالكتاب المقدس إذن صحيح، لم يعثره تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان». فالقرآن جزم بأن الكتاب المقدس - بقسميه التوراة والإنجيل - أصابه ما أصابه من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان!!.

وجزم الفادي المفتري بأن عيسى ﷺ لم يُبشَّر بالنبى الخاتم ﷺ قال:

«وها هو الكتاب المقدس كله، ليس فيه إشارة إلى إتيان محمد كنبى، فمن أين جاء محمد بأن عيسى بشر به؟».

وهو في هذا الافتراء يكذب القرآن تكديباً صريحاً مباشراً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦].

وزعم أن الذي في الإنجيل أن المسيح وعد أن يرسل إلى تلاميذه «الروح القدس» من بعده، وليس محمداً ﷺ. قال: «قال المسيح: إنه بعد صعوده سيرسل إلى تلاميذه «الروح القدس». وأصله باللغة اليونانية «البارقليط»، ومعناه «المعزي». وهذه الكلمة تقارب في لفظها كلمة يونانية أخرى، معناها «مشهور» أو «ممدوح» وهو معنى اسم محمد، فظن محمد أن هذا الممدوح الذي سيرسله المسيح هو محمد! ومنشأ هذا الخطأ هو الالتباس بين الكلمتين اليونانيتين، ففهم العرب غير ما أرادته المسيح^(١).

نحن مع القرآن في جزمه أن عيسى ﷺ قد بشر بمحمد ﷺ: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾. وما قاله الفادي المفترى تلاعبٌ وتحريفٌ وكتمانٌ للحقائق الهادية.

أما البارقليط ومعناها فنحتكم إلى رجل متمكن من الإنجيل ولغته، عرف الحق وأمن به وانحاز إليه، وفضح كاتمي الحق من القساوسة والرهبان، إنه المهتدي عبد الأحد داود.

كان عبد الأحد داود قسيساً كبيراً للكلدانيين التابعين للروم الكاثوليك، وكان اسمه: «دافيد بنجامين كلداني». وقد درس الكتاب المقدس دراسة متأنية، ووقف فيه على بشارات أنبياء بني إسرائيل بمحمد ﷺ، وبشارة عيسى الصريحة به.. وقاده البحث إلى الحق، فاعتنق الإسلام، وألف كتاباً رائعاً هو: «محمد في الكتاب المقدس».

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤٥.

ويهئنا هنا ذكُرُ خلاصة ما قاله عن البارقليط. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَرَدَتْ بشارَةُ عيسى بأحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في إنجيل يوحنا، في الإصحاحات الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر.

العبارة الصحيحة التي في إنجيل يوحنا هي قول عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وسوف أذهبُ إلى الآب، وسيرسلُ لكم رسولاً، سيكونُ اسمُه «البرقليطوس» لكي يبقى معكم إلى الأبد...».

والبرقليطوس هو: أحمد.

ولكنَّ النَّصارى حَرَّفوا العبارةَ إلى قولهم: «وسوفُ أسألُ الآب، وسوفُ يُعطيكم برقليطوس آخر».

وَفَرَّقَ بَعِيدٌ - كما يقولُ عبدُ الأحد داود - بين الكلمةِ الأصلية: «البرقليطوس» بالتعريفِ والتحديد، وبين الكلمةِ الأخرى «برقليطوس آخر» بالتنكيرِ والتعميم، التي تدلُّ على أنَّ عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنده مجموعةٌ من «البرقليطوسين». كلُّ واحدٍ منهم برقليطوس، أي: هو مُعزٌّ ووسيطٌ ومعينٌ.

وإنَّ كلمةَ عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المحددة: «البارقليطوس» كلمةٌ يونانية، معناها المحددُ باللغةِ العربية: «الأمجدُ الأشهر»، وهو معنى «أحمد» باللغةِ العربية.

والصيغةُ الآراميةُ التي كان يتكلَّمُ بها عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هي: «مَحامدا»، وهي متناسقةٌ مع الصيغةِ العربيةِ «محمد» أو «أحمد» تماماً! (١).

والخلاصةُ أنَّ عيسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ للحواريين باللغةِ الآرامية: «سوفُ أذهبُ إلى الآب، وسيرسلُ لكم رسولاً، سيكونُ اسمُه «مَحامدا»، لكي يبقى معكم إلى الأبد».

ولما كتبَ يوحنا هذه العبارة، ونَقَلَهَا من الآراميةِ إلى اليونانية، ترجمَ كلمةَ «مَحامدا» إلى كلمةِ «البارقليطوس»، ومعناها الأحمَدُ الأمجدُ الأشهرُ. وفعلُهُ صحيح.

(١) محمد في الكتاب المقدس، لعبد الأحد داود، ص ٢١٩ - ٢٢٣.

لكن لما أعادَ الرهبانُ كتابةَ إنجيلِ يوحنا باليونانية أرادوا طمسَ بشارَةِ عيسى بمحمد ﷺ، فَحَرَفُوا الكلمةَ، ونَقَلوها من معناها المحدِّدِ إلى المعنى الأعمّ، وحوّلوا كلمةَ «البارقليطوس» إلى كلمةِ «بارقليطوس آخر»، التي معناها: المعزّي أو المعين.

وزعمَ الفادي أنّ عيسى لم يُبشِّرْ بمحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، ودعا إلى قراءة الأناجيل لاستخراجِ هذه البشارة.. وها هو البروفسور المهتدي عبدُ الأحد داود يُقدِّمُ لنا تلك البشارة، ويُرينا تحريفَ الرهبانِ لها!!.



ما معنى الأمي والأميين؟

وَقَفَ الفادي أمامَ وَصْفِ الرسولِ ﷺ بالنبيِّ الأميِّ، وهو الوصفُ الذي وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وزعمَ أنّ سببَ وَصْفِهِ بذلك أنه لم يكن أضلَّهُ يهودياً، ولم يكن من أهلِ الكتاب؛ لأنَّ الأميين عند اليهود هم الأمم من غير اليهود. وزعمَ الفادي أنّ القرآن: «جرى على هذا القياس، فسمى اليهود والنصارى «أهلَ الكتاب»، وما عداهم «الأميين». فأهلُ الكتابِ اسمٌ علم على اليهود والنصارى، والأميون اسمٌ علم على جميع العرب وغيرهم.. ولهذا سُمِّيَ محمدٌ بالنبيِّ الأميِّ، لأنه غريبٌ عن الشعبِ المختار، الذي أقامَ اللهُ منه جميعَ الأنبياء وجعلَ خاتمهم كلمته المسيحُ مُخلِّصَ العالمِ»^(١).

وزعمَ الفادي مردود، لا تشهد له اللغة، ولا يؤيدُه المعنى.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

إِنَّ «الْأُمَّيَّ» منسوبٌ إلى «الأمِّ»، وهي والدَةُ الإنسانِ التي أنجبته، تقول: أمٌّ، وأمِّي. كما تقول: شافع وشافعي. والأمِّيُّ هو الذي لا يُحسنُ الكتابة؛ لأنَّ الكتابةَ تحتاجُ إلى مهارةٍ وتدريبٍ وخبرة. وسُمِّيَ الذي لا يُحسنُ الكتابةَ أمِّيًّا، تشبيهاً له بحالةِ خروجه من رَحِمِ أمِّه؛ لأنه خَرَجَ وهو جاهل، لا يَعْلَمُ شيئاً، ثم حَصَلَ التعليمُ فيما بعد. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨].

وَصَفَّ اللهُ رَسُوْلَهُ الْخَاتَمَ ﷺ بِالْأُمَّيَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. لأنه ﷺ لم يتعلم القراءة والكتابة، وهذا الوصف لا يعني الذمَّ والإنقاص، إنما هو وَصْفٌ لحالةٍ وواقع، فلا يُعَابُ الرَسُولُ ﷺ على أُمَّيَّته؛ لأنَّه لم يُسَرَّ له ظروفُ التعلُّمِ والكتابة، لا سيَّما أنَّ الأُمِّيَّةَ كانتُ منتشرةً في بلادِ العربِ في ذلك العصر، والذين تَعَلَّمُوا الكتابةَ كانوا قليلين.

وَجَعَلَ الْقُرْآنُ أُمَّيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وَلَمْ تَأْتِ الْأُمَّيَّةُ وَصْفًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ وَصْفًا لِلْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ إِخْبَارٌ عَنِ وَاقِعِهِمْ، وَلَيْسَ ذَمًّا لَهُمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُوْلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وَبِهَذَا نَعْرِفُ خَطَأَ الْفَادِي عِنْدَمَا جَعَلَ الْأُمَّيَّةَ كُلَّ الْأَقْوَامِ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ، مَهْمَا كَانَتْ أَجْنَاسُهُمْ، عَرَبًا أَوْ عَجَمًا. إِنَّ هَؤُلَاءِ يُسَمِّيهِمُ الْيَهُودُ «أُمَّيَّةِينَ»، وَالْمَفْرَدُ: أُمَّيِّيٌّ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأُمَّمِ وَلَيْسَ إِلَى الْأُمِّ. تَقُولُ: أُمَّمٌ، وَأُمَّيِّيٌّ. وَالْأُمَّمُ جَمْعُ أُمَّةٍ، وَهِيَ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ النَّاسِ.

وَأُطْلِقَ الْيَهُودُ وَصْفَ «الأميين» على العربِ الذين كانوا حولهم. وعلى

هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَيْلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].



عودة إلى دعوى التناقض في القرآن

عاد الفادي المفتري إلى ادعاء التناقض في القرآن، وقد سبق أن ناقشناه مطوّلاً في الآيات التي زعمها متناقضة، وقد جمعنا بينها وأزلنا ما يُظن أنه تناقض موهوم بينها، لكن الفادي المفتري ختم كتابه بهذه الدعوى المردودة. وعرض هذه الدعوى بأسلوب استفزازي مثير. قال: «في القرآن نهجان متباينان، كأنهما من نبيين مختلفين، تعاركا حتى هزم ثانيهما الأول، فأسره وعطل رسالته..»

حظر الأول إيذاء من لم يؤمن به، فقال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَنَ ءَأَسَلْتُمْ إِنْ أَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٩٩ - ١٠٠] وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤].

ولكن الثاني نسخ حكم هذه الآيات، ولو أنه لم يمنح حرفها من القرآن، بل أبقاها للتلاوة فقط. واتخذ في موطن هجرته في المدينة منهاجاً جديداً، هو الحرب والعنف والقتال! فكيف يوفق المسلم بين هذه الآيات، المكي والمدني، السلمي والحربي؟^(١)

يدعي المفترى أن الآيات المدنية تناقض الآيات المكية السابقة،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

فالأيات المكية تأمر بالسلم وحسن الكلام والدعوة، وتنهى عن الإيذاء والعنف والقتل، والآيات المدنية تنسخ هذا المنهج، وتضع مكانه الأمر بالعنف والقتل والحرب وسفك الدماء.

وهذا الادعاء يدلُّ على جهله، وقد أورد هو آيةً مدنيةً لا تأمر بالقتل والعنف - على حدِّ تعبيره - وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ إِسْلَمُوا فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. ونهى الله عن الإكراه في الدين في سورة البقرة المدنية. قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

لم يُغيِّر رسولُ الله ﷺ منهجه في الدعوة، بين الفترة المكية والفترة المدنية، ولم تنسخ آيات الجهاد والقتال آيات البلاغ المكية، ولا تعارض بين هذه الآيات!! إنَّ الأمر بالدعوة والبلاغ المبين مستمرٌّ في المدينة، والآيات المدنية تنهى عن الإكراه في الدين، كما هو واضحٌ في آيتي البقرة وآل عمران اللتين أوردناهما، ومعناهما مستمرٌّ حتى قيام الساعة، لم ينسخ ولم يُغيِّر ولم يُبدل.

وآيات الجهاد والقتال مستمرةٌ أيضاً حتى قيام الساعة، والجهاد موجّهٌ للذين يقفون أمام هذا الدين، بهدف إبطال مخططاتهم ضدَّ الإسلام، والقتال موجّهٌ للأعداء الذين يُحاربون الدعوة، ويمنعونهم من واجب التبليغ، وهو بهدف تحطيم القوة المادية الكافرة، التي تفتنُّ الناس، وتمنعهم من اعتناق الإسلام عن قناعة، وليس بهدف إكراه الناس على اعتناق الإسلام.

وبهذا نعرفُ أنه لا تعارضٌ بين آيات الدعوة والبلاغ والنهي عن الإيذاء والإكراه، وآيات الأمر بالجهاد والقتال؛ لأنَّ كلَّ آياتٍ تنزلُ على حالةٍ خاصة.

لماذا النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

أَخْبَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَىٰ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. ولذلك أوجب على المؤمنين أن يقبلوا حكمه، وينفذوا أمره؛ لأنه لا يأمر إلا بخير. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ولم يعجب هذا الفادي المفترى، الذي جعل هدفه الأساسي تخطئة القرآن، وإثارة الاعتراض عليه، واتهام الرسول ﷺ. ولذلك قال: «من هذه الآيات نرى كيف فرض محمد إرادته المطلقة، فإذا أراد أن يزوج زينب لابنه زيد، فيجب أن تنصاع للأمر، حتى لو اعترضت هي وأخوها، وإذا أراد محمد زينب فيجب أن يتخلى عنها زيد زوجها! وإذا أراد الغزو فعلى الشبان أن يطيعوا بدون استئذان والديهم»^(١).

لم يفرض رسول الله ﷺ إرادته المطلقة على أصحابه، ولم يخضعهم له، ولم يجعل الأمر أمراً شخصياً، يبحث فيه عن زعامة على حسابهم!

لقد تعامل معه الصحابة على أنه رسول من عند الله ﷻ، يبلّغهم شرع الله، ويُطبّق فيهم حكم الله، ولا يأمرهم إلا بما أمرهم الله به، ولا ينهاهم إلا عن ما نهاهم الله عنه.. وقد حفظ الله رسوله ﷺ، وعصمه من الوقوع في أيّ خطأ أو ذنب أو معصية، ولذلك كان لا يأمر إلا بطاعة الله.

لذلك أمر الله المؤمنين بطاعة رسوله ﷺ كما أمرهم بطاعته. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وجعل

(١) هل القرآن معصوم؟، ص ٢٤٧.

سبحانه طاعة رسوله ﷺ طاعة له، فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

بهذا الاعتبار صار النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قال تعالى:
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].



المحتوى

الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥
تعريف بكتاب: «هل القرآن معصوم؟»	١١
نقد مقدمة الكتاب	١٥
الفصل الأول: نقض المطاعن الجغرافية	
١ - هل تغيب الشمس في بئر ماء؟	٢١
٢ - هل الأرض ثابتة لا تتحرك؟	٢٦
٣ - كيف ترجم الشياطين بالنجوم؟	٢٩
٤ - هل السموات سبع والأراضي سبع؟	٣٣
٥ - ما هو النسيء؟	٣٧
٦ - بماذا تروى مصر؟	٤١
٧ - هل الرعد ملك من الملائكة؟ وكيف يسبح الله؟	٤٣
٨ - بين وادي طوى وجبل حوريب	٤٥
٩ - هل في طور سيناء زيتون؟	٤٧
١٠ - هل الشمس ثابتة؟	٥٠
١١ - القمر كالعرجون القديم	٥٤
١٢ - أسطورة جبل قاف	٥٤
الفصل الثاني: نقض المطاعن التاريخية	
١٣ - هل كان هامان وزيراً لفرعون؟	٦١
١٤ - حول تعاون هامان وقارون مع فرعون	٦٣
١٥ - حول صنع السامري للعجل	٦٥
١٦ - من هو أبو إبراهيم <small>عليه السلام</small> ؟	٦٨
١٧ - حول أبي مريم وأخيها	٦٩

- ١٨ - هل همّ يوسف عليه السلام بالزنى؟ ٧٢
- ١٩ - كيف دعا نوح على قومه بالضلال؟ ٧٦
- ٢٠ - هل نجا فرعون من الغرق؟ ٧٨
- ٢١ - بين زكريا ومريم ٨١
- ٢٢ - حول انتباز مريم مكاناً شرقياً ٨٤
- ٢٣ - حول ولادة مريم وكلام وليدها ٨٦
- ٢٤ - هل لكل أمة رسول؟ ٩١
- ٢٥ - هل أشرك آدم وحواء بالله؟ ٩٤
- ٢٦ - هل غرق ابن نوح عليه السلام؟ ٩٩
- ٢٧ - هل أيوب حفيد إسحاق؟ ١٠٢
- ٢٨ - الصلة بين موسى والخضر ومحمد عليه السلام ١٠٤
- ٢٩ - حول ترتيب أسماء الأنبياء ١٠٩
- ٣٠ - إدريس وليس أخنوخ ١١١
- ٣١ - من هم أتباع نوح عليه السلام؟ ١١٣
- ٣٢ - بابل والنمرود ١١٥
- ٣٣ - ما هو أصل الكعبة؟ ١١٧
- ٣٤ - إبراهيم عليه السلام ونمرود ١٢١
- ٣٥ - إسماعيل صديق نبي عليه السلام ١٢٢
- ٣٦ - كيف احتال إخوة يوسف عليه السلام على أبيهم؟ ١٢٣
- ٣٧ - الشاهد ببراءة يوسف عليه السلام ١٢٥
- ٣٨ - يوسف ومراودة نسوة المدينة ١٢٨
- ٣٩ - توجيه طلب يوسف ذكره عند الملك ١٢٩
- ٤٠ - عدد مرات مجيء إخوة يوسف لمصر ١٣٢
- ٤١ - حقيقة قميص يوسف ١٣٥
- ٤٢ - امرأة فرعون تتبنى موسى عليه السلام ١٣٧
- ٤٣ - حول تقتيل أبناء بني إسرائيل ١٣٨
- ٤٤ - حول صداق امرأة موسى عليه السلام ١٤٠
- ٤٥ - وراثة بني إسرائيل للأرض ١٤١
- ٤٦ - تسع آيات لا عشر ضربات ١٤٢

- ٤٧ - العيون المتفجرة من الحجر ١٤٤
- ٤٨ - الألواح التي كتبت عليها التوراة ١٤٦
- ٤٩ - هل طلب بنو إسرائيل رؤية الله؟ ١٤٧
- ٥٠ - قارون الإسرائيلي الكافر ١٤٩
- ٥١ - بين داود وسليمان عليهما السلام ١٥٠
- ٥٢ - بين هاجر ومريم ١٥٤
- ٥٣ - حول نزول المائدة على الحواريين ١٥٥
- ٥٤ - أصحاب القرية والرسل الثلاثة ١٥٧
- ٥٥ - حول قوم عاد ١٦٠
- ٥٦ - حول النبي ذي الكفل عليه السلام ١٦٣
- ٥٧ - من هم أصحاب الرس؟ ١٦٤
- ٥٨ - حول لقمان الحكيم ١٦٧
- ٥٩ - بين الإسكندر وذي القرنين ١٦٨
- ٦٠ - الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام ١٧١
- ٦١ - يمين أيوب والضغث والضرب ١٧٤
- ٦٢ - الصرح الذي بني لفرعون ١٧٦
- ٦٣ - حول الطوفان على المصريين ١٧٨
- ٦٤ - حول طالوت وجيشه ١٨٠
- ٦٥ - حول كلام عيسى في المهد ١٨١
- ٦٦ - عيسى ومعجزة خلق الطير ١٨٢
- ٦٧ - من هو المصلوب؟ ١٨٤
- ١٩٠ - معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

الفصل الثالث: نقض المطاعن الأخلاقية

- ٦٨ - الرخصة لمن أكره على الكفر ١٩٧
- ٦٩ - العفو عن لغو اليمين ١٩٩
- ٧٠ - حول إعطاء المؤلف قلوبهم ٢٠١
- ٧١ - حول آيات الجهاد والقتال ٢٠٣
- ٧٢ - حول إباحة الغنائم ٢٠٧

- ٧٣ - حول قسم الله بمخلوقاته ٢٠٩
- ٧٤ - حول الترخيص بالكذب ٢١٢
- ٧٥ - إباحة رد العدوان ٢١٤
- ٧٦ - حول إباحة تعدد الزوجات ٢١٧

الفصل الرابع: نقض المطاعن اللاهوتية

- ٧٧ - التوحيد والتثليث والأقانيم ٢٢٥
- ٧٨ - الذنوب بين الاستغفار والتكفير والفداء ٢٣٥
- ٧٩ - ما هي مصادر القرآن البشرية؟ ٢٣٨
- أولاً: ما أخذه عن الصابئين ٢٣٩
- ثانياً: ما أخذه عن عرب الجاهلية ٢٤٢
- ثالثاً: ما أخذه عن اليهود ٢٤٣
- رابعاً: ما أخذه عن النصارى ٢٤٦
- خامساً: ما أخذه من تصرفاته ٢٤٧
- ٨٠ - هل صلاة الجمعة من تشريع الجاهلية؟ ٢٤٨
- ٨١ - هل يباح القتال في الأشهر الحرم؟ ٢٥٢
- ٨٢ - ما هو أصل التكبير؟ ٢٥٧
- ٨٣ - حول عالم الجن ٢٥٩
- ٨٤ - هل يأمر الله بالفسق والفحشاء؟ ٢٦٢
- ٨٥ - لم يشك الرسول ﷺ بالوحي ٢٦٥
- ٨٦ - هل في القرآن أقوال للناس؟ ٢٧٠
- ٨٧ - حول سور الخلع والحفد والنورين ٢٧٦
- ٨٨ - كيف يشاء الله الكفر؟ ٢٨٠
- ٨٩ - الله يبتلي عباده بالخير والشر ٢٨٣
- ٩٠ - حديث القرآن عن المسيح ﷺ ٢٨٥
- أولاً: مثل عيسى كمثل آدم ٢٨٦
- ثانياً: وضوح حديث القرآن عن المسيح ٢٨٧
- ١ - المسيح كلمة الله ٢٨٩
- ٢ - المسيح روح من الله ٢٩١

- ٣ - عيسى ابن من؟ ٢٩٣
- ٤ - عيسى بدون ذنب ٢٩٤
- ٥ - حول معجزات عيسى ﷺ ٢٩٦
- ٦ - رفع عيسى ﷺ إلى السماء ٣٠٠
- ٧ - المسيح وجيه في الدنيا والآخرة ٣٠١
- ٨ - هل المسيح هو المخلص وحده؟ ٣٠٣
- ٩١ - موقف الملائكة من خلق آدم ﷺ ٣٠٤
- ٩٢ - ما معنى سجود الملائكة لآدم؟ ٣٠٦
- ٩٣ - هل جهنم لجميع الأبرار والأشرار؟ ٣٠٩
- ٩٤ - مظاهر نعيم المؤمنين في الجنة ٣١٢
- ٩٥ - أرواح الشهداء وأجواف الطيور الخضراء ٣١٦
- ٩٦ - حول تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ ٣١٩
- ٩٧ - هل تذهب الحسنات السيئات؟ ٣٢٠
- ٩٨ - من الذي صلب: المسيح أم شبيهه؟ ٣٢٢
- ٩٩ - حول تكفير الصوم للخطايا ٣٢٦
- ١٠٠ - نفي النبوة عن نسل إسماعيل ﷺ ٣٢٨
- ١٠١ - هل بلاد العرب للمسيح ﷺ؟ ٣٣٣
- ١٠٢ - هل أكلت الشاة القرآن؟ ٣٣٥
- ١٠٣ - حول إحراق عثمان المصاحف ٣٣٦
- ١٠٤ - كيف يضل الله الإنسان ثم يعذبه؟ ٣٣٨
- ١٠٥ - بين قدر الله وإرادة الإنسان ٣٤١

الفصل الخامس: نقض المطاعن اللغوية

- ١٠٦ - ذكر المرفوع بعد المنصوب ٣٤٧
- ١٠٧ - الفاعل لا يكون منصوباً ٣٤٩
- ١٠٨ - المبتدأ مؤنث والخبر مذكر ٣٤٩
- ١٠٩ - تأنيث العدد وتذكير المعدود ٣٥٠
- ١١٠ - جمع الضمير العائد على المثني ٣٥١
- ١١١ - اسم الموصول المفرد العائد على الجمع ٣٥٢

- ١١٢ - جزم فعل معطوف على منصوب ٣٥٣
- ١١٣ - عود ضمير الجمع على المفرد ٣٥٤
- ١١٤ - هل يجوز نصب المعطوف على المرفوع؟ ٣٥٥
- ١١٥ - هل ينصب المضاف إليه؟ ٣٥٧
- ١١٦ - جمع الكثرة بدل جمع القلة ٣٥٨
- ١١٧ - جمع القلة بدل جمع الكثرة ٣٥٩
- ١١٨ - هل يجمع الاسم العلم؟ ٣٦٠
- ١١٩ - بين اسم الفاعل والمصدر ٣٦٢
- ١٢٠ - لا يعطف المنصوب على المرفوع ٣٦٣
- ١٢١ - حكمة وضع المضارع بدل الماضي ٣٦٤
- ١٢٢ - حكمة حذف جواب الشرط ٣٦٥
- ١٢٣ - توهم الاضطراب بسبب عودة الضمائر ٣٦٦
- ١٢٤ - هل صرف القرآن الممنوع من الصرف؟ ٣٦٨
- ١٢٥ - حول تذكير خبر الاسم المؤنث ٣٧٠
- ١٢٦ - هل القرآن يوضح الواضح؟ ٣٧١
- ١٢٧ - هل يأتي فاعلان لفعل واحد؟ ٣٧٢
- ١٢٨ - اعتراض على الالتفات ٣٧٣
- ١٢٩ - حكمة أفراد الضمير العائد على المثني ٣٧٥
- ١٣٠ - كم قلباً للإنسان؟ ٣٧٧

الفصل السادس: نقض المطاعن التشريعية

- ١٣١ - لماذا قطع يد السارق؟ ٣٨١
- ١٣٢ - معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ٣٨٣
- ١٣٣ - حول شهادة المرأة وضربها وميراثها ٣٨٤
- ١٣٤ - حول تعدد الزوجات ٣٨٨
- ١٣٥ - هل الطلاق خطأ؟ ٣٩٠
- ١٣٦ - حول جلد الزاني والزانية ٣٩١
- ١٣٧ - حول إباحة التسري ٣٩٢
- ١٣٨ - الحجاب الحافظ للمرأة ٣٩٤

- ١٣٩ - هل شعائر الحج من الوثنية؟ ٣٩٦
- ١٤٠ - حول إباحة التجارة في موسم الحج ٣٩٨
- ١٤١ - من الذي حدد وقت الحج؟ ٤٠٠
- ١٤٢ - هل الإفاضة من أعمال الجاهلية؟ ٤٠٣
- ١٤٣ - هل أركان الحج من الجاهلية؟ ٤٠٤
- ١٤٤ - حول توزيع الزكاة ٤٠٥
- ١٤٥ - توجيه تفضيل الرجال على النساء ٤٠٧
- ١٤٦ - هل صلاة المسلمين تقليد وثني؟ ٤١٠
- ١٤٧ - حول التطهر بالتيمم ٤١٢
- ١٤٨ - تفسير سياسي لتحويل القبلة ٤١٦
- ١٤٩ - اعتراض على الصلوات الخمس ٤١٩
- ١٥٠ - الصلوات وليلة المعراج ٤٢١
- ١٥١ - حول فرض صيام رمضان ٤٢٤
- ١٥٢ - حول حرمة الأشهر الحرم ٤٢٧
- ١٥٣ - هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ٤٣٠
- ١٥٤ - حول القصاص في القتل ٤٣٣
- ١٥٥ - حكم قتل المرتد ٤٣٦
- ١٥٦ - حكم الزواج بالكتايبات ٤٣٩

الفصل السابع: نقض المطاعن الاجتماعية

- ١٥٧ - لماذا شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟ ٤٤٣
- ١٥٨ - لماذا ميراث المرأة نصف ميراث الرجل؟ ٤٤٤
- ١٥٩ - حول تعدد الزوجات ٤٤٥
- ١٦٠ - ضرب الزوجات: لماذا؟ ومتى؟ وكيف؟ ٤٤٧
- ١٦١ - ماذا بعد الطلقة الثالثة؟ ٤٤٩
- ١٦٢ - حول حجاب المرأة ٤٥١
- ١٦٣ - حول قتال مانعي الزكاة ٤٥٢
- ١٦٤ - حول توزيع الغنائم ٤٥٣
- ١٦٥ - حول أخذ الجزية من أهل الكتاب ٤٥٤

- ١٦٦ - حول إكراه الجوارى على الزنى ٤٥٥
- ١٦٧ - حول الشهود على الزنى ٤٥٧
- ١٦٨ - لماذا جلد الزانى أمام الناس؟ ٤٥٨
- ١٦٩ - المنسوخ والناسخ في حد الزنى ٤٦٠
- ١٧٠ - هل أخذ الرسول بثأر حمزة؟ ٤٦٢
- ١٧١ - حول الإعداد للأعداء ٤٦٥
- ١٧٢ - حول النهي عن موالة الكفار ٤٦٧
- ١٧٣ - هل يدعو القرآن إلى الكراهية؟ ٤٦٩
- ١٧٤ - حول تقبيل الحجر الأسود ٤٧٢
- ١٧٥ - حول عدم الاستعانة بالكافرين ٤٧٤
- ١٧٦ - حول انتشار الإسلام في العالم ٤٧٥
- ١٧٧ - حول تقاتل المسلمين ٤٧٧

الفصل الثامن: نقض المطاعن العلمية

- ١٧٨ - هل لتمثال العجل حوار؟ ٤٨١
- ١٧٩ - أسطورة خاتم سليمان ٤٨٤
- ١٨٠ - لماذا إنكار عذاب القبر؟ ٤٨٥
- ١٨١ - حول ناقة صالح عليه السلام ٤٨٧
- ١٨٢ - حول إهلاك قوم مدين ٤٨٨
- ١٨٣ - كيف مسخ اليهود قرده؟ ٤٩١
- ١٨٤ - حول عالم الجن ٤٩٣
- ١٨٥ - حول التداوي بالعسل ٤٩٥
- ١٨٦ - أين شهود الإسراء والمعراج؟ ٤٩٧
- ١٨٧ - حول مهمة الهدهد زمن سليمان عليه السلام ٥٠٠
- ١٨٨ - ما هي الدابة التي تخرج في آخر الزمان؟ ٥٠٤
- ١٨٩ - حول موت سليمان عليه السلام ٥٠٦
- ١٩٠ - رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ٥٠٩
- ١٩١ - هل تتكلم الجبال؟ ٥١١
- ١٩٢ - الله يلين الحديد لداود عليه السلام ٥١٣

- ١٩٣ - حول نوم أصحاب الكهف ٥١٥
- ١٩٤ - حول الريح المسخرة لسليمان ﷺ ٥١٧
- ١٩٥ - حول أصحاب الفيل والطيور الأبايل ٥١٨
- ١٩٦ - هل خاف يعقوب على أبنائه من العين؟ ٥٢٠
- ١٩٧ - حول بقرة بني إسرائيل ٥٢٢
- ١٩٨ - هل الرعد ملاك؟ ٥٢٤
- ١٩٩ - حول سحر الرسول ﷺ ٥٢٥

الفصل التاسع: نقض المطاعن الفنية

- ٢٠٠ - ما المراد بالحروف المقطعة؟ ٥٣١
- ٢٠١ - هل في القرآن كلام أعجمي؟ ٥٣٣
- ٢٠٢ - دعوى التناقض في القرآن ٥٣٥
- أولاً: هل يتبدل كلام الله؟ ٥٣٧
- ثانياً: التفاوت في مقادير أيام الله ٥٣٩
- ثالثاً: بين نفي الشفاعة وإثباتها في الآخرة ٥٤٠
- رابعاً: هل أهل الجنة قليلون أم كثيرون؟ ٥٤٢
- خامساً: هل اليهود والنصارى مؤمنون؟ ٥٤٣
- سادساً: بين الأمر بالصفح والأمر بالغلظة ٥٤٥
- سابعاً: هل الله يأمر بالفحشاء؟ ٥٤٦
- ثامناً: حول القسم بالبلد الأمين ٥٤٧
- تاسعاً: حول المنافقين ٥٤٨
- عاشراً: بين النهي عن الهوى وإباحته ٥٤٩
- أحد عشر: التناقض في الخمر بين الحل والحرمة ٥٥٤
- ثاني عشر: بين النهي عن إيذاء الكفار والأمر بقتالهم ٥٥٥
- ثالث عشر: هل نجا فرعون أم غرق؟ ٥٦٢
- رابع عشر: السماء والأرض أيهما خلقت أولاً؟ ٥٦٤
- خامس عشر: هل القرآن محكم أو متشابه؟ ٥٦٥
- ٢٠٣ - حول التكرار في القرآن ٥٦٨
- ٢٠٤ - هل في القرآن من كلام الآخرين؟ ٥٧١

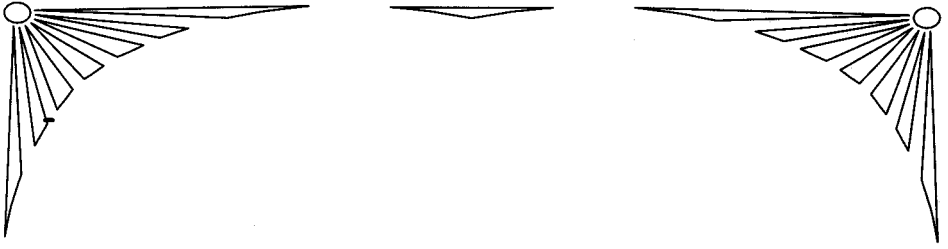
- أولاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من امرئ القيس؟ ٥٧٣
- ثانياً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كلام عمر بن الخطاب؟ ٥٧٥
- أ - موافقة عمر في عداوة عدو جبريل ٥٧٥
- ب - ثلاث موافقات لعمر ٥٧٧
- ثالثاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كتب اليهود؟ ٥٧٩
- رابعاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كتب النصارى؟ ٥٨٢
- خامساً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كتب الفرس؟ ٥٨٤
- أ - هل أخذ ﷺ حادثة المعراج من الفرس؟ ٥٨٥
- ب - هل أخذ ﷺ وصف الحور العين من الفرس؟ ٥٨٧
- ج - هل سلمان الفارسي هو مؤلف القرآن؟ ٥٨٩
- سادساً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من كتب الحنفاء؟ ٥٩٢
- أ - من هو الحنيف؟ ٥٩٢
- ب - حول نشأة الحنفاء ونهايتهم ٥٩٤
- ج - زيد بن عمرو ورسول الله ﷺ ٥٩٦
- د - هل أثر زيد بن عمرو في القرآن؟ ٥٩٧
- سابعاً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من الكتب السماوية؟ ٥٩٩
- ٢٠٥ - حول إنزال القرآن مفزقاً ٦٠٣
- ٢٠٦ - حول الكلمات الغريبة في القرآن ٦٠٨
- ٢٠٧ - حول الناسخ والمنسوخ في القرآن ٦١١
- أولاً: لا عيوب في النسخ في القرآن ٦١٢
- ثانياً: أمثلة الناسخ والمنسوخ في القرآن ٦١٨
- ثالثاً: الأسباب الحقيقية للناسخ والمنسوخ ٦٢٣
- ١ - لماذا نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام؟ ٦٢٣
- ٢ - لماذا نسخت القبلة إلى بيت المقدس؟ ٦٢٦
- ٣ - هل نسخ تمسك الرجل بزوجته؟ ٦٢٨
- ٤ - حول النسخ في معاشره الزوجات في ليل رمضان ٦٣١
- ٥ - حول نسخ ما حرمه الرسول ﷺ على نفسه ٦٣٣
- ٦ - هل نسخ تحريم إتلاف أشجار الأعداء؟ ٦٣٤
- ٧ - لا نسخ في الصلاة على غير المسلم ٦٣٥

- ٢٠٨ - حول الكلام المتشابه في القرآن ٦٣٧
 ٢٠٩ - هل القرآن مثل كلام الناس؟ ٦٤٠
 ٢١٠ - حول الاختلاف والتناقض في القرآن ٦٤٣
 مع أمثلة الفادي للاختلاف في القرآن ٦٤٧

الفصل العاشر: نقض المطاعن الموجهة إلى حياة الرسول ﷺ

- ٢١١ - حول أزواج الرسول ﷺ ٦٥٣
 حول حرمة نكاح أزواج النبي ﷺ ٦٥٦
 ٢١٢ - حول جهاد الرسول ﷺ وغزواته ٦٥٧
 ٢١٣ - ما الذي حرمه الرسول ﷺ على نفسه؟ ٦٦٠
 ٢١٤ - حول أبوي الرسول ﷺ؟ ٦٦١
 ٢١٥ - الزعم بأن القرآن وحي من الشيطان ٦٦٣
 ٢١٦ - هل مال الرسول ﷺ إلى المشركين؟ ٦٦٦
 ٢١٧ - اتهام الرسول ﷺ بتزوج زوجة ابنه ٦٦٨
 ٢١٨ - حول سحر رسول الله ﷺ ٦٧٠
 ٢١٩ - حول تقبيل الرسول ﷺ للحجر الأسود ٦٧٤
 ٢٢٠ - التشكيك في عفة عائشة رضي الله عنها ٦٧٥
 ٢٢١ - حول قتل الرسول ﷺ خصومه ٦٧٨
 ٢٢٢ - موقف الرسول ﷺ من ابن أم مكتوم ٦٨٢
 ٢٢٣ - لم يطرد رسول الله ﷺ الفقراء والعيبد ٦٨٤
 ٢٢٤ - استعاذة الرسول ﷺ من الشيطان ٦٨٧
 ٢٢٥ - هل الرسول ﷺ مذنب؟ ٦٨٩
 ٢٢٦ - حول موقف عبد الله بن سعد بن أبي السرح ٦٩١
 ٢٢٧ - هل الرسول ﷺ بدون معجزات؟ ٦٩٥
 ٢٢٨ - اتهامات الكفار للرسول ﷺ ٧٠٦
 ٢٢٩ - هل مات الرسول ﷺ مسموماً؟ ٧١١
 ٢٣٠ - حول أحوال الرسول ﷺ مع الوحي ٧١٢
 ١ - الرسول المزمّل المدثر ٧١٣
 ٢ - هل صورة الرسول ﷺ صورة السكران؟ ٧١٣

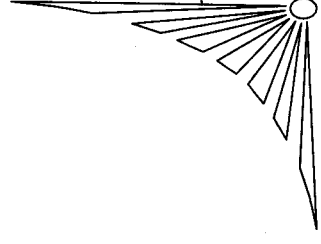
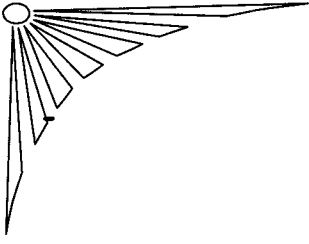
- ٣ - غطيظ الرسول ﷺ عند الوحي ٧١٤
- ٤ - صوت كدوي النحل ٧١٥
- ٥ - صوت كصلصلة الجرس ٧١٥
- ٦ - تصيب الرسول ﷺ عرقاً ٧١٥
- ٧ - هل كان الرسول ﷺ يسمع أصواتاً خفية؟ ٧١٦
- ٨ - هل كانت تصيبه الرعدة؟ ٧١٦
- ٩ - هل كان رأسه يؤلمه؟ ٧١٧
- ٢٣١ - هل شرع الرسول ﷺ في الانتحار؟ ٧١٧
- ٢٣٢ - خرافة امتحان خديجة لجبريل ٧١٩
- ٢٣٣ - سخرية المجرم من رسول الله ﷺ ٧٢٠
- ٢٣٤ - حول المرأة التي وهبت نفسها للرسول ﷺ ٧٢٢
- ٢٣٥ - حول إرجاء وإيواء الرسول ﷺ من يشاء من نسائه ٧٢٢
- ٢٣٦ - هل أثبت رسول الله ﷺ أقوال أهل الكتاب في القرآن؟ ٧٢٣
- ٢٣٧ - هل شتم الرسول ﷺ الذين شتموه؟ ٧٢٥
- ٢٣٨ - حول غزوات الرسول ﷺ ٧٢٧
- ٢٣٩ - إشاعة إبادة الكلاب في المدينة ٧٢٨
- ٢٤٠ - حول تبشير عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام ٧٢٩
- ٢٤١ - ما معنى الأمي والأميين؟ ٧٣٦
- ٢٤٢ - عودة إلى دعوى التناقض في القرآن ٧٣٨
- ٢٤٣ - لماذا النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ٧٤٠
- * المحتوى ٧٤٣
- صدر من سلسلة (من كنوز القرآن) ٧٥٥
- صدر للمؤلف ٧٥٦



صدر من سلسلة «من كنوز القرآن»

- ١ - مفاتيح للتعامل مع القرآن.
- ٢ - في ظلال الإيمان.
- ٣ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
- ٤ - تصويبات في فهم بعض الآيات.
- ٥ - مع قصص السابقين في القرآن.
- ٦ - لطائف قرآنية.
- ٧ - القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث.
- ٨ - مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ٩ - عتاب الرسول ﷺ في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ١٠ - الأعلام الأعجمية في القرآن: تفسير وبيان.
- ١١ - وعود القرآن بالتمكين للإسلام.
- ١٢ - القرآن ونقض مطاعن الرهبان.





صدر للمؤلف

- ١ - سيد قطب الشهيد الحي .
- ٢ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب .
- ٣ - أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب .
- ٤ - مدخل إلى ظلال القرآن .
- ٥ - المنهج الحركي في ظلال القرآن .
- ٦ - في ظلال القرآن في الميزان .
- ٧ - مفاتيح للتعامل مع القرآن .
- ٨ - في ظلال الإيمان .
- ٩ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن .
- ١٠ - تصويبات في فهم بعض الآيات .
- ١١ - مع قصص السابقين في القرآن .
- ١٢ - البيان في إعجاز القرآن .
- ١٣ - ثوابت للمسلم المعاصر .
- ١٤ - إسرائيليات معاصرة .
- ١٥ - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد .
- ١٦ - لطائف قرآنية .
- ١٧ - هذا القرآن .
- ١٨ - حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية .

- ١٩ - الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.
- ٢٠ - التفسير والتأويل في القرآن.
- ٢١ - الأتباع والمتبوعون في القرآن.
- ٢٢ - التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.
- ٢٣ - الخطة البراقة لذي النفس التواقفة.
- ٢٤ - تفسير الطبري تقريب وتهذيب.
- ٢٥ - الرسول المبلغ ﷺ.
- ٢٦ - القصص القرآني.
- ٢٧ - تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.
- ٢٨ - تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.
- ٢٩ - القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.
- ٣٠ - سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد.
- ٣١ - صور من جهاد الصحابة.
- ٣٢ - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.
- ٣٣ - مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ٣٤ - سعد بن أبي وقاص المجاهد الفاتح.
- ٣٥ - الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.
- ٣٦ - سيرة آدم ﷺ: دراسة تحليلية.
- ٣٧ - بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكي.
- ٣٨ - عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ٣٩ - وعود القرآن بالتمكين للإسلام.
- ٤٠ - حديث القرآن عن التوراة.
- ٤١ - جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.

- ٤٢ - سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم .
٤٣ - الانتصار للقرآن .
٤٤ - الأعلام الأعجمية في القرآن: تفسير وبيان .
٤٥ - القرآن ونقض مطاعن الرهبان .

